

المؤتمر العالمي الحادي عشر
لبديع الزمان سعيد النورسي
العمل الإيجابي البناء
في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

المؤتمر العالمي الحادي عشر

لبدء الزمان سعيد النورس

العمل الإيجابي البناء

في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

بيننا وبينهم حلال

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه؛
أما بعد، فهذا كتاب جامع يضم ما قدم باللغة العربية من بحوث في المؤتمر الحادي عشر لبديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله، وكان عنوان المؤتمر: **العمل الإيجابي البناء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية** الذي عقد في مدينة إسطنبول من ١ - ٣ من شهر أكتوبر ٢٠١٧ بعد عام من مواعده المقرر من قبل، ومعلوم أن التأجيل قد تم بسبب محاولة الانقلاب الفاشلة التي نجى الله منها تركيا بفضلها ورحمته، وقد عقدت جلسات المؤتمر بلغات ثلاث هي: العربية والتركية والإنجليزية وقدم في المؤتمر مئة وعشرون بحثا وشارك فيه باحثون من أكثر من أربعين دولة، وقد تم اختيار البحوث والباحثين من أعداد كبيرة من الراغبين في المشاركة، ولكن لا بد من الاختيار لأن الإمكانيات المتيسرة لا تتيح فتح المجال بغير حدود. ومن فضل الله عز وجل أن انتشار رسائل النور يزداد يوما بعد يوم والبحث فيها يمتد شرقا وغربا، وتلك ثمرات طيبة للجهود المتواصلة التي تقوم بها مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم من خلال أنشطتها المتنوعة المتعددة من عقد مؤتمرات في دول عديدة، ومن إقامة دورات وبرامج لقراءة رسائل النور، ومن خلال عقد ملتقيات للباحثين الأكاديميين في رسائل النور ممن يعدون الرسائل الجامعية في الرسائل ومن إصدار مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية وهي مجلة محكمة اكتسبت منزلة طيبة بين المجالات العلمية.

بلغت عدد البحوث التي أقيمت بالعربية في المؤتمر ستة وثلاثين بحثا أثبتنا منها في هذا المجلد ثلاثين بحثا وحذفنا منها ستة بحوث لأنها نشرت في مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، وكان النشر اجتهادا من إدارة المجلة بعد تأجيل موعد المؤتمر، ولم يحرم ذلك النشر أصحاب البحوث من المشاركة في المؤتمر، وهذه البحوث هي:

الفقه المصلحي عند الإمام النورسي وأثره في صناعة الإيجابية

أ.د. داود صالح عبد الله ود. أحمد مرعي حسن

ودور الفعل الإيجابي في توجيه قانون التضاد لبناء عالم أفضل

د. أم كلثوم حكوم داوود بن يحيى

والجهاد الفكري وعلاقته بالعمل الإيجابي في رسائل النور
بنعمر لخصاصي ونشرت هذه البحوث الثلاثة في العدد السادس عشر
ونشر بحثان في العدد الخامس عشر هما:
الأسس الشرعية لمنهج العمل الإيجابي البناء

د. مأمون فريز جرار

والإيجابية في مقاصد العبادات ودورها في بناء عالم أفضل

د. يوسف فاووزي

ونشر في العدد الرابع عشر
العمل الإيجابي الأسس والعوائق -دراسة في رسائل النور-

أ.د. عزيز محمد عدمان

وقد اجتهدنا في ترتيب البحوث وفق المحاور التي تتعلق بها، ورتبنا البحوث في كل محور
ترتيباً هجائياً، ولكل اجتهاد موافقون ومنتقدون وأرجو أن يلقي هذا الترتيب القبول ونعذر
من ينتقده.

وقد أضفنا في بداية المجلد الكلمات العربية التي ألقيت في جلسة الافتتاح ورتبناها وفق
الترتيب الهجائي لأسماء المتحدثين.

نسأل الله أن يتقبل من أصحاب البحوث عملهم ويكتب لهم أجر جهودهم، وأن
ينفعنا برسائل النور وألا يقتصر النفع على الجانب الأكاديمي بحثاً وحضوراً للمؤتمر بل لتكون
الرسائل نورا في حياتنا بإذن الله.

سائلين الله أن يتقبل من كل من بذل جهداً في إعداد المؤتمر وسعى لإنجاحه وأن يرزقنا
الإخلاص ويوفقنا للدوام على العمل الصالح.

د. مامون فريز جرار

كلمات أقيت
في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر
في قاعة الخليج للمؤتمرات

د. أم كلثوم حكوم بن يحيى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا وإمامنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن واهتدى بهديه أما بعد:

السادة الحضور السلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته، إنني أهني نفسي وإياكم بانعقاد هذا المؤتمر المبارك تحت عنوان هو في غاية الأهمية: "منهج العمل الإيجابي البناء من منظور رسائل النور"، والذي يأتي انعقاده في ظروف وتطورات بالغة الحساسية والأهمية يشهدها عالمنا الإسلامي المتطلع قُدماً نحو الاستقرار والحرية والعدالة الاجتماعية.

هي تطلعات مشروعة لأي مجتمع يرى نفسه جديراً بأن يكون طرفاً فاعلاً ومهما في بناء عالم إنساني أفضل، هذا البناء الذي يستلزم بالضرورة أفعالاً نابعة من فكر المجتمع وخصوصيته الدينية والثقافية والاجتماعية، ولا بأس إن اقتبس من الفكر الإنساني ما يفيد تقدمه من غير أن يفقده خصوصيته، والحضارة الإسلامية حضارة عريقة الامتداد سليمة الاعتقاد بما يؤهلها تاريخياً وتقنيا للمشاركة في هذا البناء الذي سمته التوازن الدنيوي والفوز الأخروي، حيث تنتصر مبادئ الحق والعدل والخير من خلال تبني منهج الفعل الإيجابي وما يستتبعه من نتائج يقطف ثمارها العالم أجمع.

والفعل الإيجابي الباني للعوالم المادية والروحية في فكر الأستاذ النورسي ما هو إلا قوة نفسية وقدرة فكرية واستعدادات عملية تستطيع تحويل مسار الأحداث لصالح الأمة الإسلامية مهما كانت هذه الأحداث خطيرة، وتعزز الصمود أمام التحديات التاريخية والآنية والمستقبلية لتحقيق الهدف الأسمى الذي نذر الأستاذ النورسي نفسه وأتباعه لخدمته إنه هدف بناء أمة مسلمة تتخذ القرآن منهجاً وسبيلاً قادرة على الدفاع عن نفسها وفي نفس الوقت قادرة على التعايش في مع أمم المجتمع الإنساني كافة.

فقد أيقن أن للفعل الإيجابي سحراً يتسلل إلى النفوس الفاترة والعقول الخاملة يوقد فيها شعلة التفاني ويسقي شتلة التحدي لتُنبِت وسط ركام الظلم والتغريب والتخلف زهرة الحرية معطرة بعزة المسلم ونور الدين تعيد الحياة والعزة لأمة بأكملها، يقول رحمه الله تعالى مخاطباً أتباعه في أواخر حياته وملخصاً خبرة امتدت عقوداً من الزمن في نصرة الدين: "وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدام".

هذا وكلي يقين أن هذا المؤتمر سيترك أثره الطيب في عقولنا وقلوبنا جميعا وسيزرع بذرة الفهم الصحيح لمفهوم الفعل الإيجابي، بذرة سنتعهدنا بالحفظ والرعاية لتنمو وتزهر وتؤتي أكلها في مجتمعاتنا في مشارق الأرض مغاربها.

وفي الختام أتقدم بالشكر والامتنان لكل من ساهم في إنجاز هذا المؤتمر المبارك من منتسبين للمؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم وأساتذة وأكاديمين وضيوف، وقبل ذلك شكري موصول إلى بديع زمانه فريد عصره الأستاذ النورسي.... شكرا مؤسسة اسطنبول. شكرا تركيا.

والسلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته

كلمة د. عبد الكريم عكيوي

كلية الآداب أكادير - المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الكريم وعلى آله وأصحابه.

أيها السادة الأفاضل،

من المغرب الأقصى أتيناكم نحمل إليكم أحسن التحيات، مشفوعة بأجمل معاني المحبة والوصال. ونشكر غاية الشكر مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم على هذا المؤتمر الحافل ونرجو لها التوفيق في جميع أعمالها.

أيها السادة الحضور الكرام، في كلمات موجزات عن الأستاذ النورسي نقول:

١- **النورسي رجل الإيمان** الذي يمنح القلب دفئا يمارس به تفاعلا ذوقيا جميلا مع الكون من حوله، فيتم ربط حبل الوصال والمحبة مع جميع المخلوقات. فالأصل في الكون الحسن والطهر والصفاء والفضيلة. والحكمة هو العمل على قاعدة (خذ ما صفا دع ما كدر). فهذه هي قلعة الإيمان الحصينة الجميلة كما قدمها النورسي للعالم.

٢- **النورسي رجل القيم الإنسانية**: تفاعل النورسي بعقله وقبله مع العالم من حوله. لقد تألم للأبرياء وبكى المنكوبين في الحرب العالمية، من الأطفال والنساء والشيخوخ في أوروبا. فأى نفس عالية سامية هذه !!! التي تتألم بالآلام الإنسانية وجراح البشرية، فينسى جراح نفسه وآلامه وهي كثيرة، فيهتم بجراح غيره.

٣- **النورسي رجل الجمال والحسن والتفاؤل والأمل**: ورسائل النور موسوعة في قيم الحسن والجمال. كان منهج في التربية التركيز على الخير وتوجيه الأنظار إلى الفضيلة وإعلانها لأن في إعلان الخير وتشهيره إضعافا للشر والرذيلة. ومن ذلك فتح أبواب الأمل وقتل اليأس.

٤- **النورسي رجل المحبة والاجتماع والمودة والائتلاف**، وهو الذي يعلن بأعلى صوته وغاية قوته لسمع العالم كله فيقول: "إن أجدر شيء بالمحبة هو المحبة نفسها وإن أجدر شيء بالعداوة هو العداوة نفسها". ودعا بقوة إلى الوحدة والاجتماع، وحذر بشدة من القومية الضيقة والطائفية والعصبية المذهبية.

٥- **النورسي رجل القصد والاعتدال:** فعلى رغم محنه، بقي معتدل التفكير منصفاً مع الموافق والمخالف. وأقام التوازن بين العلم وموازين العقل وبين القلب ومواجيد الروح. والحضارة عنده تقوم على الانسجام بين الإيمان والعلم والجمال، فبالعلم يستقيم التفكير، وبالإيمان تتقى أمراض القلوب، وبالجمال تزكو الأخلاق.

٦- **النورسي رجل العلم والمعرفة:** فقد أعلن منذ أن عقل العداوة على الجهل والخرافة، وجعل البحث عن المعرفة غايته.

٧- **النورسي رجل التزكية والتربية:** كان النورسي بديعاً مبدعاً في رياضة النفس. فبدأ بنفسه فروض نفسه على التواضع ونكران الذات، وتذويب (الأنا) في الجماعة، وحذر من أمراض النفس من الكبر والعجب والأنانية، واليأس والقلق.

٨- **النورسي رجل السكينة والأمان والسلامة والسلام:** كان رحمه الله شديد الحذر من إيذاء المخلوقات، فكان ينظر إليها بعين التقدير والاحترام. فأى نفس سامية هذه التي تخاف من إيذاء نملة. وكان غاية قصده أن يأمن الناس، ففي الأمان تهدأ العواطف ويستقيم التفكير فيظهر الحق.

(٥)

أيها السادة الحضور الكرام، إن رسائل النور ترجمان القرآن في دخول قلعة الإيمان الحصينة، وتعهد النفس بالتزكية، وفي التواصل على قيم الخير والجمال مع أهل القرابة والرحم، ثم مع أهل الملة، ثم مع الناس جميعاً، ثم جميع الكائنات والمخلوقات. وإن البشرية اليوم تحتاج إلى معالم العمل الإيجابي ليرفع الخير وينطمس الشر، وتظهر الفضيلة وتتوارى الرذيلة، وتشتهر المحبة وتندحر العداوة. نحدد الشكر لمؤسسة إسطنبول ولجميع طلبة النور و الله الموفق. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة د. مأمون فريز جرار

الأردن

باسمه سبحانه

الحضور الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أشرق في مطلع القرن الماضي نور الوعي في قلب الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي فرأى أن من عوامل نهضة الأمة "مدرسة الزهراء" التي تمنتج فيها العلوم الشرعية بالعلوم الكونية، وأدرك أن من عوامل تخلف الأمة انقطاع التواصل بين الوعاظ وجهاهير المسلمين لغيابهم عن الواقع وافتقارهم لغة التواصل، وفي الخطبة الشامية وصف الأستاذ أمراض الأمة واستمد من صيدلية القرآن أدويتها. وكان الأستاذ شاهداً على تحولات خطيرة في واقع الأمة الإسلامية والدولة العثمانية والعالم: معلماً وواعظاً ومجاهداً وأسيراً وعضواً في دار الحكمة. وكأنما كان القدر الإلهي يعد الأستاذ ليكون رجل هذا العصر بما أهله الله تعالى به من صفاء وذكاء، وعلم ونور، ووعي وفهم، فأكرمه برسائل النور التي كانت نوراً في عصر ظلمات كادت فيه أنوار الإيمان تختفي بعدما اختفت مظاهر الإسلام قسراً، وعاد الإسلام غريباً. في تركيا كانت إشرافه رسائل النور، لكنها كانت كالشمس تطل على الأفق فتملأ الأرض بنورها، وها نحن نرى جواباً عملياً لذلك السؤال الذي وجهه واحد من الرعيل الأول من طلبة النور: يا أستاذ، نحن نكتب فمن سيقراً؟ فأجاب: سيأتي يوم يقرأ العالم كله رسائل النور. وها نحن قد قرأنا الرسائل وجئنا من أقطار مختلفة وبلغات شتى نلتهمس الهدى من القرآن الكريم وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام من خلال تفسير رسائل النور.

رسائل النور ليست وليدة ظرف خاص، وليست رد فعل على أحداث معينة، إنها ثمرة تفكر في القرآن المنظور، وتدبر في القرآن المسطور، وصحبة ومعايشة للقرآن الناطق عليه الصلاة والسلام، فهل يمكن أن تكون هذه الثمرة صالحة لمرحلة خاصة وتنتهي صلاحيتها في زمن ما؟ لقد خاطب الأستاذ النورسي الحاضرين في المسجد الأموي واستكشف بنور الهدى ما سيكون من تحولات بعد سنوات طويلة، وخاطب من سيأتون في الربيع الحقيقي للأمة الذين سيأتون بعد عقود من الزمن، وكأنما كان ينظر بنور الغيب إلى امتداد آثار رسائل النور

من بعده، وها هي المؤتمرات والندوات والدراسات والرسائل الجامعية تعد وتقام في أقطار متعددة تغوص في بحار رسائل النور وتستخرج كنوزها، وتنتشر في بساطينها تقطف ثمرات الإيمان وتستجلي أنوار تجليات الأسماء الحسنى.

في هذه المرحلة الصعبة من تاريخنا نجد في صيدلية رسائل النور أدوية لأعراض الأمة، فالعمل الإيجابي البناء مضاد حيوي للفتنة حفظ تركيا من الاقتتال المدمر في أشد لحظات تاريخها اسودادا، وها نحن نجتمع والجراح تثخن جسد الأمة فهل تأخذ بهذا الدواء لتستعيد عافيتها؟ وها هي الأمة تعاني من التشتت فهل تأخذ بالاتحاد الإسلامي وسيلة لجمع كلمتها؟ ورسائل النور تجمع ولا تفرق، وتقدم الأنوار ليستفيد منها السائرون على الصراط المستقيم في قوافل الهداية التي لا تنقطع، وتقدم للدعاة إلى الله قاعدة مهمة: لكل صاحب مسلك حق أن يقول: مسلكي حق وهو أفضل ولا يجوز أن يقول: الحق هو مسلكي فحسب.

(٥)

اجتماعنا هذا مسؤولية وأمانة: فمن ذاق حلاوة الإيمان بطعم رسائل النور عليه أن يذيق غيره منها، ومن اكتسب الوعي من أنوار رسائل النور فعليه أن يتحول إلى محرك يولد الأنوار في بيئته، وأما ما سوى ذلك من مقاصد صغيرة وغايات قريبة فإنها تصغر أمام الغاية الكبرى: أن يقوم الإنسان بحق العبودية لله، ويحسن أداء وظيفة الخلافة عن الله في الأرض.

أسأل الله أن ينير قلوبنا وحياتنا ودينانا وآخرتنا بأنوار الإيمان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحور الأول

المصطلح والجانب النظري
للعمل الإيجابي البناء

تعريف رسائل النور للعمل الإيجابي وشمول معناه

الدكتور جمشيد أحمد الندوي

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة ممبائي، ممبائي، الهند

إن العالم الإنساني يمر اليوم بأصعب أدواره من حيث الخلق والأقدار والقيم الإنسانية و المجتمع البشري يواجه المشاكل والمصاعب العديدة مثل الجوع والفقر والظلم الاجتماعي و التلوث البيئي وكل منها تحتاج إلى العلاج بالدقة.

إن أعمال كل إنسان ينقسم إلى قسمين فهي أعمال إيجابية أم أعمال سلبية وهما تؤديان دوراً بارزاً في بناء العالم الإنساني والمجتمع البشري أو تدميره. لا شك فيه بأن الأعمال الإيجابية تؤدي دوراً كبيراً وفعالاً في بناء أي مجتمع بشري مثالي لا يستطيع أحد أن ينكر فضلها في بناء أفضل مجتمع بشري في أنحاء العالم وكما الأعمال السلبية تدمره كاملاً فينبغي لنا أن نعمل على الأعمال الإيجابية لكي نساهم في بناء المجتمع المثالي وأن نجتنب الأعمال السلبية لكي نحفظه من الهلاك والدمار.

إن رسائل النور للشيخ بديع الزمان سعيد النورسي رحمة الله عليه والغفران هي مرآة أفكاره ومنبع آرائه و نظرياته وهي مفيدة في كل مكان وزمان بأنها تفسر عملي للقرآن الكريم. نحن نستطيع أن نستفيد من أفكاره وآرائه ونظرياته في كل مجال من الحياة الدنيوية والأخروية وننتفع به في بناء مجتمع بشري مثالي مثل المجتمع البشري في القرون الأولى.

إن الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي عليه الرحمة قد قام بتعريف العمل الإيجابي والعمل السلبي وما يراد بهما في رسائله مراراً وتكراراً، والقى الضوء على فوائد العمل الإيجابي ونقائص العمل السلبي وتأثيرهما في المجتمع البشري بكل وضوح وصراحة. وهذا من الممكن الميسر لأن يُقْتَفَى آراؤه وأفكاره عن العمل الإيجابي والعمل السلبي ويُستفاد من نظرياته عنهما لكي نؤدي دورنا المهم في بناء أفضل مجتمع بشري.

كما ذكر أن الأستاذ النورسي عليه الرحمة قد قام بتعريف العمل الإيجابي والعمل

السلي وأركانهما هنا وهناك في رسائله النيرة فيحدر بنا أن نشير إلى ما يراى الشيخ النورسي بالعمل الإيجابي في رسائل النور. يقول الدكتور مأمون جرار بهذا السدد:

"كان الأستاذ خبيراً بالتاريخ الإسلامي، مطلعاً على أحداثه، وكان مطلعاً على الأفكار الثورية المعاصرة التي جاءت بها الماركسية التي قامت لها دولة في الاتحاد السوفياتي والصين والبلقان، وكان مطلعاً على آثارها السلبية في المجتمعات التي حكمتها، وفي البلاد التي انتشرت فيها، ولذلك اتخذ منهاجاً يبني ولا يهدم، يعمر ولا يدمر، يحفظ البلاد والعباد من كل أثر سلبى، ويحقق مصلحة الإنسان.

وقد حدد الأستاذ رحمه الله طريقة العمل لنشر دعوة الله بما سماه "العمل الإيجابي البناء" الذي استوحاه من القرآن الكريم، ذلك العمل الذي يعنى القيام بما أمر الله الإنسان به من الدعوة، وأما تحقيق النتيجة فإنه من تدبير الله، لا من شأن البشر" (قضايا وتحليلات في رسائل النور، ص ١٤).

ويقول في مكان آخر:

"إن العمل الإيجابي البناء كما يحدده الأستاذ النورسي رحمه الله يعنى: الجهاد المعنوي أي قيام الإنسان بما هو مطلوب منه الدعوة التي يسميها الأستاذ الخدمة، وأن يدع تحقيق النتائج لرب العالمين الذي تكفل بها. وفي تسمية الدعوة بالخدمة إشارة إلى أن الأستاذ مستخدم لدى ربه، يعمل لنشر دينه ونيل رضاه" (قضايا وتحليلات في رسائل النور، ص ١٥).

وما يراى بالعمل السلي عند الأستاذ النورسي رحمه الله فيقول الدكتور مأمون جرار بهذا السدد:

"ومن أسس العمل الإيجابي ومركزاته الآية الكريمة "﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾" [الإسراء: ١٥] فالعمل السلي أي استخدام القوة في السعي إلى الإصلاح الداخلي في المجتمع، يؤدي إلى وقوع الأذى على من لا ذنب له، ويؤدي إلى إيقاد نار الفتنة في المجتمع وزعزعة الأمن الداخلي، وما ينتج عن ذلك من الآثار السلبية المدمرة من قتل أو تخريب" (قضايا وتحليلات في رسائل النور، ص ١٦).

التعريف الأول للعمل الإيجابي:

حينما نقرأ رسائل النور فتتضح هذه الحقيقة بأن الأستاذ النورسي عليه الرحمة يتصور ويفهم أن الإيمان هو أصل كل شئ وعليه كل شئ يترتب ويقوم، وكما الخدمة الإيمانية

والخدمة القرآنية هما مقصودتان لكل مؤمن فكل شيء ما يُعين وينصرفيهما فهو عمل إيجابي وكل شيء يفسدهما ويخرجهما فهو عمل سلبي وهو يكتب مجيباً عن السر والحكمة لاستعادة أهل الحق في كل حين بالله من شر الشيطان في اللمة الثالثة عشرة من اللمعات:

"إن الضلالة والشر بأكثريتها المطلقة شيء عديمي وسلي وغير أصيل، وهي إخلال وتخريب. أما الهداية والخير فهي بأكثريتها المطلقة ذات وجود وشيء إيجابي وأصيل وهي إعمار وبناء" (اللمعات، ص ١٠٠).

وهو يقول مزيداً:

"إن الخير والمحاسن والكمالات - بأكثريتها المطلقة - تستند إلى الوجود وتعود إليه، فأساسها إيجابي ووجودي، أي ذو أصالة وفاعلية، وإن بدت ظاهراً سلبية وعدمية.

وإن أساس وأصل الضلالة والشر والمصائب والمعاصي والبلايا وأمثالها من المكاره هو عدم وسلي، وما فيها من القبح والسوء فناجمان من عدميتها، وإن بدت ظاهراً إيجابية ووجوداً، لأن أساسها عدم ونفي أي بلا أساس وبلا فعل إيجابي" (اللمعات، ص ١٠٣).

يبدو من المقتبسات المذكورة أن أساس العمل الإيجابي عند الأستاذ النورسي عليه الرحمة هو الإيمان والهداية وأساس العمل السلبي هو الكفر والضلالة وهو يقول بهذا السدد:

"إن الإيمان يجعل الإنسان إنساناً حقاً، بل يجعله سلطاناً؛ لذا كانت وظيفته الأساس الإيمان بالله تعالى والدعاء إليه. بينما الكفر يجعل الإنسان حيواناً مفترساً في غاية العجز" (الكلمات، ص ٣٥٤).

ويقول في مكان آخر:

"إن الإيمان مثلما ينقذ الإنسان من الإعدام الأبدي أثناء الموت، فهو ينقذ دنيا كل شخص أيضاً من ظلمات العدم والانعدام والعبث. بينما الكفر - ولا سيما الكفر المطلق - فإنه يُعَدِم ذلك الإنسان ويعدم دنياه الخاصة به بالموت، ويلقيه في ظلمات جهنم معنوية محولاً لذائد حياته آلاماً وغصصاً" (الكلمات، ص ٥٣٢).

وهو يقوم بتعريف الكفر كما يلي:

"الكفر إساءة وتخريب وتكذيب، ولكن هذه السيئة الواحدة تُفضي إلى تحقير جميع الكائنات وازدراءها واستهجانها، وتتضمن أيضاً تزييف جميع الأسماء الإلهية الحسنى وإنكارها، وتمحض كذلك عن إهانة الإنسانية وترذيلها" (الكلمات، ص ٣٦٠).

وبين حقيقة الكفر في مكان آخر هكذا:

"...لأن الكفر والعصيان والسيئة كلها تخريب وعدم، ويمكن أن تترتب تخريبات هائلة وعدمات غير محدودة على أمر اعتباري وعدمي واحد (الكلمات، ص ٥٣٥).

التعريف الثاني للعمل الإيجابي:

إن الأستاذ النورسي عليه الرحمة والغفران قام بتعريف آخر للعمل الإيجابي فقرره "الجهاد المعنوي" ويراد به علينا أن نقوم بواجباتنا، ونؤدي وظائفنا فحسب، ونترك النتائج على الله، ولا نتدخل في الأمور الإلهية، ولا نتفكر عن الأمور الكونية التي لا علاقة لنا بها. وهو يقول بهذا السدد:

"إن أعظم شرط من شروط الجهاد المعنوي هو عدم التدخل بالوظيفة الإلهية أي بما هو مأكول إلى الله. بمعنى أن وظيفتنا الخدمة فحسب، بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين، وإننا مكلفون ومرغمون في الإيفاء بوظيفتنا" (سيرة ذاتية ص ٤٧٠).

التعريف الثالث للعمل الإيجابي:

إن الأستاذ النورسي عليه الرحمة والغفران قام بالتعريف الثالث للعمل الإيجابي هكذا: "العمل الإيجابي البناء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلا (اللمعات، ص ٢٠٩).

وحيثما نفكر على التعاريف الثلاثة للعمل الإيجابي فنجد بأنها مترابطة بعضها ببعض وأهدافها واحد وهي الفوز والفلاح للإنسان في الحياة الدنيوية والأخروية وإنقاذ الإنسان و الإنسانية من الهلاك والدمار وبناء عالم أفضل للمجتمع البشري والإنساني.

بؤادر العمل الإيجابي والعمل السلبي وظواهرهما:

يتضح ما ذكرنا من تعاريف العمل الإيجابي بأنه يَتَمَرَّكُزُ الإيمان والهداية فطبعاً أن العمل السلبي يحيط الكفر والضلالة. إن العمل الإيجابي والعمل السلبي فلهما عدة بؤادر وظواهر ونسميها الأعمال الإيجابية والأعمال السلبية. وما يعد من الأعمال الإيجابية مثل الإخلاص وغير ذلك فهو من بؤادر العمل الإيجابي الأساسي، وما يعد من الأعمال السلبية كالأنانية وغير ذلك فهي من ظواهر العمل السلبي الأساسي.

ذكر الأستاذ النورسي عليه الرحمة بؤادر العمل الإيجابي والعمل السلبي وظواهرهما

وأشار إلى فوائدها ومضراتها مرة بعد مرة في رسائله النيرة فإنه يبحثنا بواسطة رسائله القيمة بأن نعمل على العمل الإيجابي الأساسي وظواهره الجيدة والحسنة ولا نعمل على العمل السلبي الأساسي وبوداره الرديئة والقيحة في مجال الحياة لكي نساهم في بناء عالم أفضل من كل ناحية وننقذ العالم البشري من الهلاك والتدمير.

إن الأستاذ النورسي يعتبر العمل الإيجابي أكبر سلاح وأفضله وأهمه في مقاومة التحديات والمشاكل المادية والمعنوية التي تواجهها البشرية اليوم وكما يعد العمل السلبي أهم سبب وأكبره لفساد البشرية وهلاكها وتدمير المجتمع البشري فكتب في رسائله عنهما بالكثرة. هو يهتم أن يبذر بذور العمل الإيجابي في نفوس طلبة النور ويخبرهم بفوائده حيناً بعد حين حتى درسهم حول العمل الإيجابي البناء قبيل وفاته وقال فيه:

"إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدام والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله. إننا مكلفون بالتحمل بالصبر والتقليد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي" (سيرة ذاتية ص ٤٦٩).

إن هذه العبارة ليست عبارة لأي مؤلف وليست قولاً لأي قائل فحسب بل كتبها وقالها الشيخ النورسي الذي يعمل بنفسه أولاً على ما يقول ويكتب، ولا ينتظر بأن يعمل عليه الآخرون. وهو من عباد الله المخلصين الذين يفعلون على ما يقولون بالصدق والإخلاص فلم تنطبق عليهم الآية الكريمة ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [٢] كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿[الصف: ٢ - ٣].

إن حياة الشيخ النورسي كلها مثال صادق للعمل الإيجابي وكما اجتنب كل عمل سلبي في سائر حياته ولو كان به خصاصة ظاهراً. إن الشيخ النورسي قد قضى حياته عاملاً على الأعمال الإيجابية وتاركا الأعمال السلبية حتى واجه المشاكل والمصاعب الشديدة ولكن لم يصدر في سائر حياته أي عمل سلبي منه للحفاظ على الأمن والاستقرار واقتداء بالأنبياء عليهم السلام والصحابة الكرام رضي الله عنهم وهو يقول مخاطباً طلبة النور في درسه الأخير حول العمل الإيجابي البناء:

"أقول متخذاً من نفسي مثلاً: أنني لم أنحن تجاه التحكم والتسلط منذ القدم، وهذا ثابت بكثير من الحوادث فمثلاً: عدم قيامي للقائد العام الروسي، وكما أنني لم أغر أية أهمية

على أسئلة الباشوات في ديوان المحكمة العسكرية العرفية الذي كان يهددني بالشنق والإعدام. وطوري هذا تجاه القواد الأربعة تُبين عدم قبولي للتحكم والتسلط. إلا أنني قابلت المعاملات الشائنة بحقي منذ ثلاثين سنة الأخيرة بالرضى والقبول، ذلك من أجل السعي للعمل الإيجابي والاجتناب عن السعي للعمل السلبي لأجل ألا أتدخل بما هو موكول أمره إلى الله. بل قابلتها بالرضى والصبر الجميل بنبي الله جرجيس عليه السلام وبالصحب الكرام الذين قاسوا كثيرا في غزوة بدر وأحد.

نعم مثلاً: أنني لم أدعُ بالسوء حتى على المدعي العام الذي اتخذ علينا القرار الجائر رغم أنني قد أثبت أخطأه البالغة واحدا وثمانين خطأً. لأن المسألة الأساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي، وإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة.

نعم ان في مسلكتنا قوة، إلا أننا لم نقم باستعمالها إلا في تأمين الأمن الداخلي. لذا قمت طوال حياتي بتحقيق الأمن الداخلي إتباعاً لدستور الآية الكريمة ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا يجوز معاقبة إنسان بجريرة أخيه وأحبائه. إن هذه القوة لا يمكن استعمالها إلا ضد الهجمات الخارجية. إن وظيفتنا - وفق دستور الآية الكريمة المذكورة - هي الإعانة على ضمان الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة. لهذا السبب لم تشتعل نار الحروب الداخلية المخلة بنظام الأمن الداخلي في العالم الإسلامي إلا بنسبة واحد من الألف. وهذا كان من جراء الاختلاف في الاجتهاد. إن أعظم شرط من شروط الجهاد المعنوي هو عدم التدخل بالوظيفة الإلهية. أي بما هو موكول إلى الله بمعنى أن وظيفتنا الخدمة فحسب. بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين، وأنا مكلفون ومرغمون في الإيفاء بوظيفتنا "(سيرة ذاتية ص ٤٦٩ - ٤٧٠).

وهو يقول مزيداً في درسه المذكور:

".... أنني قد تحملت وحدي المعارضات كافة، ولم أفتر مقدار ذرة قط. ووفقت في تلك الخدمة الإيمانية بإذن الله. فالآن رغم وجود ملايين من طلبة النور أسعى بالعمل الإيجابي وأتحمل جميع مظالمهم وإهاناتهم وإثاراتهم.

إننا لا نلتفت إلى الدنيا، فإذا نظرنا إليها فنحن لا نسعى سوى معاونتهم فيها، فنحن نعاونهم في تأمين الأمن بشكل إيجابي. وبسبب هذه الحقائق وأمثالها نحن نسامحهم حتى لو

عاملونا بالظلم" (سيرة ذاتية ص ٤٧١).

إن الأستاذ النورسي عليه الرحمة يقول ناصحا طلبة النور:

"إن المصائب الدنيوية الزائلة بالأفراح والخيرات على الأكثر..... ما ينبغي أن يصدر منا الشكوى قط بل تدفعنا هذه الأحوال الصعبة إلى أن نقول: نحن في جهاد معنوي نعتز به ونشكر ربنا الكريم لا بد أن تفضل به علينا.

إخوتي الأعزاء! إن أول ما نوصيه وآخره: الحفاظ على الرابطة فيما بينكم، والحذر من الأنانية والغرور والمزاحمة، مع أخذ الحذر وضبط النفس" (الشعاعات، ص ٣٤٧).

إن الشيخ النورسي عليه الرحمة يعتبر الإيمان وتربيته والدعوة إليه أساس لكل شيء ويفضل الإيمان ويؤثره على كل شيء حتى الجهاد الإسلامي كما يبدو من الحوار الذي حدث ووقع بين الأستاذ النورسي رحمه الله عليه والأستاذ علي أوزك - أستاذ اللغة العربية وعميد المعهد الإسلامي العالي باستانبول - وهو كما يلي:

- الأستاذ النورسي: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.... وماذا يقول الأستاذ مصطفى صبري؟

- الأستاذ علي أوزك: سيدي الأستاذ يسأل الشيخ مصطفى صبري عن عدد طلابكم.

- الأستاذ النورسي: لي خمسمائة ألف طالب وخدام القرآن الكريم.

- الأستاذ علي أوزك: يقول الشيخ مصطفى صبري... إذن ماذا تنتظر؟ ولماذا لا يبدأ

- بجهاد إسلامي مع هذا العدد من طلابه؟

- بلغ سلامي له أولاً، ثم قل له: إن دعوتنا هي الإيمان، والجهاد يلي الإيمان، وإن زماننا هو زمان خدمة الإيمان ووظيفتنا هي الإيمان وخدمتنا تنحصر في الإيمان".

وحيثما رجع الأستاذ علي أوزك إلى مصر وزار الشيخ مصطفى صبري - وهو كان طريح الفراش، وقد أنهكه المرض وأدركته الشيخوخة - وحدثه ما دار بينه وبين الأستاذ النورسي رحمه الله عليه في تركيا، فاستمع له جيداً ثم قال: "حقاً أن الأستاذ النورسي هو الحق، نعم إن ما قاله صدق وصواب، فقد وفقه الله في مسعاه، أما نحن فقد أخطأنا، حيث ثبت هو في البلاد ونحن غادرناها".

هكذا استصوب الشيخ مصطفى صبري عمل بديع الزمان وقوله (أنظر للتفصيل: سيرة

ذاتية، ص ٥٤٢).

هذا جدير بالذكر أن الشيخ مصطفى صبري هو آخر من شغل منصب "شيخ الإسلام" للدولة العثمانية، وله مؤلفات قيمة باللغة العربية مثل موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين، وآثرالهجرة وترك تركيا بعد سقوط الدولة العثمانية، وسكن مصر وتوفي هناك سنة ١٩٤٥ عن عمر يناهز الخامسة والثمانين رحمه الله رحمة واسعة.

إن العبارات المذكورة أعلاه فهي مرآة صادقة لحياة الشيخ النورسي ونحن نستطيع أن نرى فيها أفكاره وآراءه حول الحياة الاجتماعية ومسائلها المختلفة وكيف يُواجهها ويُقابَلها. كما يتضح من المقتباسات المذكورة بأنه قضى سائر حياته عاملاً على العمل الإيجابي - أي الإيمان والدعوة إليه والخدمة القرآنية - وبوادره من الإخلاص والصدق والوفاء وغير ذلك ومجتنباً العمل السلبي - أي الكفر والضلالة - وظواهره من الرياء والشهرة والأنانية وغير ذلك فحياته الفياضة المتدفقة نموذج لنا وللآخرين في العصر الراهن - وللأقوام الآتية في المستقبل إن شاء الله - بأن كيف نقضي حياتنا مؤدياً فرائضنا وعاملاً على الأعمال الإيجابية ومجتنباً الأعمال السلبية لكي نؤدي دورنا في بناء مجتمع مثالي وإنقاذ هذا العالم الكوني من الهلاك والتدمير.

إن الأستاذ النورسي ينصح طلابه أن يقوموا بالأعمال الإيجابية وأن يجتنبوا الأعمال السلبية دائماً بل هو يعتبر القيام بالأعمال السلبية ذنباً لا يغتفر وكما يحثهم على اختيار "أهون الشرين" وهو يخاطبهم:

"فعلى إخوتي في الآخرة أن يتجاوزوا عن الهجوم على أخطاء بعض المخطئين المساكين، وليعدوها من قبيل "أهون الشرين" وليقوموا بالعمل الإيجابي دائماً لأن العمل السلبي ليس من وظيفتنا ولأن العمل السلبي في الداخل لا يغتفروا دام قسم من السياسيين لا يلحقون الضرر برسائل النور، بل مسامحون قليلاً لذا أنظروا إليهم كأهون الشرين، ومن أجل التلخص من أعظم الشر فلا تمسوهم بضرر بل حاولوا أن تنفعوهم" (سيرة ذاتية ص ٤٧٣).

ويقول في مكان آخر:

"إن من الدساتير الأساسية لطلبة النور هو عدم التعرض قدر الإمكان للسياسة ولأمور الحكومة وشؤونها وإجراءاتها، ذلك لأن القيام بخدمة القرآن بإخلاص يكفيهم ويُغنيهم عن أي شيء آخر" (الشعاعات، ص ٤٠٠).

وينصح طلبية النور:

"ما دامت غايئنا محصورةً في الإيمان وفي الآخرة، وليست في الصراع والنزاع و المبارزة مع أهل الدنيا" (الشعاعات، ص ٤٠٥).

ظواهر العمل الإيجابي:

إن العمل الإيجابي - من منظور رؤية الاستاذ النورسي عليه الرحمة - يتطلب ممن يعملون عليه أن تترشح من ذاتهم آثار العمل الإيجابي وظواهره من الإخلاص والحب والعفو و المسامحة والتضحية والرفقة والشفقة والاستغناء والاقتصاد والتواضع وغير ذلك. وهناك يناسب لنا أن نذكر نبذة من آراء الاستاذ النورسي عليه الرحمة و أفكاره حول بعض ظواهر العمل الإيجابي لكي تتضح الأمور في صورة باهرة.

الإخلاص:

إن الاستاذ النورسي عليه الرحمة يتصور "الإخلاص" جزءا هاما للعمل الإيجابي وبدونه لا يكمل العمل الإيجابي ولا يتم. إن حياة الاستاذ النورسي عليه الرحمة صورة صادقة للإخلاص التام وهو قضى حياته مخلصا لله تعالى وطالبا رضاه فحسب لا نجد فيها أي شائبة من الرياء والسمعة. سئل منه مرة "من أين تلقيت هذا الإخلاص العجيب؟" فأجاب تلقيته من سيد الكونين محمد ﷺ ومن أسد الإسلام علي بن أبي طالب ﷺ (أنظر للتفصيل: سيرة ذاتية ص ٤٧٤-٤٧٥).

إن الاستاذ النورسي عليه الرحمة يقول عن الإخلاص:

" ما دام الإخلاص التام هو مسلكتنا. فبمقتضى الإخلاص التام لا بد من التضحية والفداء ليس بالأنانية فحسب، بل لو منحت سلطنة الدنيا يستوجب تفضيل مسألة إيمانية واحدة باقية على تلك السلطنة" (سيرة ذاتية ص ٤٧٤).

وهو يقول:

"إن محورالنجاح ومدارها الإخلاص، فالفوز به إذن أمر في غاية لأن ذرةً من عمل خالص أفضل عند الله من أطنان من الأعمال المشوبة" (اللمعات، ص ١٨٤).
إن الإخلاص يحتل مكانا مرموقا عند الاستاذ النورسي رحمة الله عليه فكتب عنه كثيرا حتى خصت اللمعة العشرون والحادية العشرون له فكتب فيهما مفهوم الإخلاص ومقتضاه ومداره وفوائده وغير ذلك.

الاقتصاد والقناعة:

إن الإقتصاد والقناعة هما أيضا من أهم بؤادر العمل الإيجابي فينصح الاستاذ النورسي عليه الرحمة طلبة النور أن يختاروا الإقتصاد والقناعة، وأن يجتنبوا الإسراف. إن الإقتصاد والقناعة يحتلان مكانا مرموقا عنده فكتب عنهما مرارا حتى اختص اللمعة التاسعة عشرة للاقتصاد ويّين فيها فوائده وحكمه مع ذكر الاسراف وسيئاته ونقائصه بكل وضاحة و صراحة وإليكم بعض أقوال الأستاذ النورسي حول الاقتصاد والقناعة:

- "الاقتصاد والقناعة منسجمان انسجاما تاما مع الحكمة الإلهية، إذ يتعاملان مع القوة الذاتية معاملة الحارس، يقفانها عند حدها ويكافئانها حسب تلك الوظيفة" (اللمعات، ص ١٩٥).

- "الإقتصاد توقير للنعمة جميل ونافع، بينما الإسراف استخفاف بالنعمة مضرّ ومشين" (المكتوبات، ص ٣٥٥).

- "أن القناعة شكران رابح، بينما الحرص كفران خاسر" (المكتوبات، ص ٣٥٥).

بؤادر العمل السلبي:

إن الاستاذ النورسي رحمة الله عليه ذكر العداء والحرص والحسد والغيبة والغرور والقومية والسياسة وغير ذلك من بؤادر العمل السلبي في رسائله "النور" وحث طلبة النور أن يجتنبوه لكي يفوزوا في الدنيا والآخرة.

وهناك يناسب لنا أن نذكر نبذة من آراء الاستاذ النورسي عليه الرحمة و أفكاره حول بعض بؤادر العمل السلبي لكي تتضح الأمور في صورة واضحة.

السياسة:

إن الاستاذ النورسي رحمة الله عليه يعد السياسة أكبر ظواهر العمل السلبي مطلقا ويتعود منها ويطلّقها تكرارا ومرارا فيقول:

"أعوذ بالله من الشيطان والسياسة لكي أحافظ على نور القرآن" (المكتوبات، ٦٢). ويقول: "طلّقت السياسة وتجرّدت عن الدنيا منشغلا بأمور آخري" (المصدر نفسه، ص ٥٨).

ويؤثر على السياسة خدمة القرآن مرة بعد مرة فيقول:

"أن خدمة القرآن لها من السمو والرفعة ما يعلو على جميع السياسات مما يجعلني أترفع

عن التدخل في السياسات الدنيوية التي يغلب عليها الكذب" (المصدر نفسه، ص ٦٠)
ويقول: "إن خدمة القرآن الكريم هي التي منعتني بشدة عن عالم السياسة بم أنستني
حتى التفكير فيها (المصدر نفسه، ص ٦١).

وهذا من الممكن أن آرائه وأفكاره عن السياسة وأهلها فهي سبب إحداث الخلاف و
إيقاعه بين الناس وتباين وتشعب آراء الناس الآخرين من آرائه وأفكاره عن السياسة وأهلها
و لكن لا شك فيه بأن ما توجد من المنافع للناس في السياسة فهي ليست بأكبر من إثمها
وكان الشيخ النورسي عليه الرحمة يعتبر إثمها أكبر من نفعها للناس وهو يقول مجيبا لسؤال لم
انسحبت من ميدان السياسة ولا تتقرب إليها قط؟:

"لقد خاض "سعيد القديم" غمار السياسة ما يقارب عشر السنوات علّه يخدم الدين
والعلم عن طريقها فذهبت محاولته أدراج الرياح، إذ رأى أن تلك الطريق ذات مشاكل،
ومشكوك فيها. وأن التدخل فيها فضول - بالنسبة إليّ - فهي تحول بيني وبين القيام بأهم
واجب. وهي ذات خطورة وأن أغلبها خداع وأكاذيب..... وإذا دخلت ضمن المعارضة
أو السياسة المخالفة للدولة فلا بد أن أتدخل إما عن طريق الفكر أو عن طريق القوة. فإن كان
التدخل فكريا فليس هناك حاجة إليّ أيضا لأن الأمور واضحة جدا، والجميع يعرفون المسائل
مثلي، فلا داعي إلى الثرثرة. وإن كان التدخل بالقوة، أي بأن أظهر المعارضة بإحداث
المشاكل لأجل الوصول إلى هدف مشكوك فيه. فهناك الولوج في آلاف من الآثام والأوزار
حيث يبتلي الكثيرون بجريرة شخص واحد. فلا يرضى وجداني الولوج في الآثام وإلقاء الأبرياء
فيها بناء على احتمال أو احتمالين من بين عشرة احتمالات. لأجل هذا فقد ترك "سعيد
القديم" السياسة ومجالسها الدنيوية وقراءة الجرائد" (المكتوبات، ص ٧٩).

القومية والعنصرية:

إن الأستاذ النورسي رحمه الله عليه يتصور "القومية والعنصرية" من أهم ظواهر العمل
السليبي ويفهمها خطرا كبيرا للمجتمع البشري فيحث الناس أن يبعدوا منهما وهو يقول بهذا
السد:

"ولقد نظرت - منذ السابق - إلى القومية السلبية والدعوة إلى العنصرية نظرة السم
القاتل، لأنها مرض أوروبي خبيث سار. وذلك حسب الأمر النبوي الجازم بأن الإسلام يَجِبُ
العصبية الجاهلية. ولقد أَلَقْتُ أوروبا بذلك المرض الويليل بين المسلمين ليمزّقهم ويفرّقهم شذر

مذّر ليسهل عليها ابتلاعهم قطعاً متناثرة. ولقد بذلت ما وسعني الجهد لعلاج هذا الداء الخبيث" (المكتوبات، ص ٨١).

إن الأستاذ النورسي رحمة الله عليه قسم القومية إلى القومية السلبية و القومية الإيجابية و قام بتعريفهما وذكر فوائدهما ونقائصهما في المكتوبات (ص ٤٠٠ وفيما بعد) بقدر من التفصيل.

الأنانية وحب النفس:

إن الأستاذ النورسي رحمة الله عليه ينصح طلبة النور أن تعرضوا عن الأنانية وحب النفس بأنهما مرض شديد لكل شخص ولكل قوم وهما تمنعان عن قبول الحق والخضوع أمام رأي الآخرين وهو يقول بهذا السدد:

"فإن لهذا العصر مرضا داهما وهو الأنانية وحب النفس واشتهاء قضاء حياة جميلة في ظل مباهج وزخارف المدنية الجذابة وأمثالها من الأمراض المزمنة. إن أول درس من دروس رسائل النور الذي تلقيته من القرآن الكريم هو التخلي عن الأنانية وحب النفس حتى يتم إنقاذ الإيمان بالتقليد بالإخلاص الأعظم الحقيقي" (سيرة ذاتية، ص ٤٧٤).

إنه أشار إلى سبب تقوية الأنانية في اللوامع فهو يقول:

"إن لم يكن لفكر الجماعة غاية وهدف مثالي أو تُسيت تلك الغاية أو تنوسيت، تحولت الأذهان أنانيات الأفراد وحامت حولها أي يتقوى "أنا" كل فرد، ويتحدد ويتصلب حتى لا يمكن خرقه ليصبح "نحن" فالذين يحبون "أنا" أنفسهم لا يحبون الآخرين حبا حقيقيا" (اللوامع مع الكلمات ص ٨٣٦).

إن الأستاذ النورسي رحمة الله عليه يبحث طلبة النور أن يضحوا بأنانيتهم حتى في سبيل أصغر مسألة إيمانية ويعرض أمامهم النماذج في درسه الأخير حول "العمل الإيجابي البناء": "فقد برز في الميدان كثيرون ممن بلغوا ذلك الإخلاص الأعظم الحقيقي فهناك الكثيرون ممن يضحون بأنانيتهم وبمنصبهم وجاههم في سبيل أصغر مسألة إيمانية" (سيرة ذاتية، ص ٤٧٤).

إنه يوصي طلبة النور:

"إخوتي الأعزاء! إن أول ما نوصيه وآخره: الحفاظ على الرابطة فيما بينكم، والحذر من الأنانية والغرور والمزاحمة، مع أخذ الحذر وضبط النفس" (الشعاعات، ص ٣٤٧).

وينصح لهم:

"ويلزم على إخواننا المحافظة على قوة التساند والأخوة وذلك بإبداء التضحية، وترك الأنانية، والتوضع قدر الإمكان" (الشعاعات، ص ٣٥١).

وينبههم:

"إن أخطر جهة من الأنانية في عملنا هذا هو الحسد والغيرة، فإذا لم يكن العمل خالصاً لله وحده، فإن الحسد يتدخل فيفسد العمل" (المكتوبات، ص ٥٤٢).

العداء:

إن الأستاذ النورسي رحمة الله عليه يعد العداء من بؤار العمل السليبي المهمة فهو يقول: "أن العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر: الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة" (المكتوبات، ص ٣٢٥).

الغرور:

إن الأستاذ النورسي عليه الرحمة يعد الغرور أيضاً من أهم ظواهر العمل السليبي فهو يقول: "إن غرورا رهيبا ناشئا من الغفلة وحب الدنيا، يُجري حكمه في هذا الزمان. فعلى أهل الحق ترك الغرور والأنانية وقصد المنافع حتى لو كان في طريق مشروع أيضاً" (الشعاعات، ص ٣٥٥).

الغيبة:

إن الغيبة مرض داهم في المجتمع الإنساني والقرآن الكريم قد ذكر شناعته في سورة الحجرات: ١٢ ﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾. إن الأستاذ النورسي يحث طلبة النور أن يجتنبوا بأنها "مذمومة عقلاً وقلباً وإنسانية ووجداناً وفطرة وملة.....حقاً إن الغيبة سلاح دنئ يستعمله المتخاصمون والحساد والمعاندون؛ لأن صاحب النفس العزيزة تأبى عليه نفسه أن يستعمل سلاحاً حقيراً كهذا..... إلا أن الغيبة وإن كانت محرمة فإنها تجوز في أحوال معينة.....دون أن يداخلها حظ النفس و الغرض الشخصي، بل تجوز لأجل الوصول إلى الحق وحده، و إلا فالغيبة تحبط الأعمال الصالحة وتأكدها كما تأكل النار الحطب" (المكتوبات، ص ٣٤٢-٣٤٤).

الحرص:

إن الأستاذ النورسي يعتبر الحرص من أدهى الأمراض للمجتمع الإنساني وقال إنه يؤلّد

ثلاث نتائج: عدم القناعة، والخيبة والخسران، واتلاف الإخلاص وفساد العمل الأخروي.
(أنظر للتفصيل: اللغات، ص ٢٠٢). إنه كتب عنه تكراراً ومراراً وإليكم بعض أقواله:

- "الحرص للمؤمن سبب الخيبة وقائد الحرمان والسفالة" (اللغات، ص ١٧٢).
- "أن الحرص أيضاً داء كالعداء بل هو أضر على الحياة الإسلامية وأدهى عليها. نعم الحرص بذاته سبب الخيبة والخذلان، وداء وبيل ومهانة وذلة، وهو الذي يجلب الحرمان والدناءة.

إن الشاهد القاطع على هذا الحكم على الحرص، هو ما أصاب اليهود من الذلة والمسكنة و الهوان والسفالة لشدة تحالكهم على حطام الدنيا أكثر من أية أمةٍ أخرى.
والحرص يُظهر تأثيره السيئ بدءاً من أوسع دائرة في عالم الأحياء وانتهاءً إلى أصغر فرد فيه، بينما السعي وراء الرزق المكلّل بالتوكل مدار الراحة والاطمئنان ويُبرز أثره النافع في كل مكان" (المكتوبات، ص ٣٣٦).

- "أن الحرص سبب الحرمان، أما التوكل والقناعة فهما وسيلتا الرحمة والإحسان... إن كنت تحب المال حبا جما فاطلبه بالقناعة دون الحرص حتى يأتيك وافرا (المكتوبات، ص ٣٣٧).

الحسد والغيرة:

أعد الأستاذ النورسي عليه الرحمة الحسد والغيرة من أخطر الأمور للناس وأشار إلى مضراته و معالجته (أنظر للتفصيل: المكتوبات، ص ٣٢٩ و ٣٤٢).

ثمرات عمل الأستاذ النورسي الإيجابي في تركيا:

إن الأستاذ النورسي عليه الرحمة قد عمل على العمل الإيجابي وبوادره واجتنب العمل السلبي وظواهره بصورة فعلية في سائر حياته فترتبت انعكاساته وتأثيراته البالغة وارتسمت ملامحه وأبعاده العميقة على المجتمع التركي بصورة فعلية. استعرض الدكتور مأمون جرار في تأليفه "قضايا وتحليلات في رسائل النور" ثمرات العمل الإيجابي للأستاذ النورسي في تركيا فقال: "كان من ثمرات هذا المنهج الدعوي الذي اختطه الأستاذ النورسي رحمه الله واستمده من نور القرآن الكريم أن جنب تركيا الوقوع في بحار من الدماء وجنبها المنهج الثوري الدموي، مع أن ما أصاب تركيا على المستوى الرسمي نوع من الكفر البواح الذي شن حرباً عنيفة على الإسلام والإيمان، وقد رأى الأستاذ في أخريات حياته بداية انحسار موجات الكفر عن تركيا

بتراجع شعبية حزب الشعب الجمهوري الكمالي، وتقدم الحزب الديمقراطي الذي كان "أهون الشرين" كما وصفه الأستاذ، وها نحن نرى مسيرة الإسلام في تركيا كيف يزداد نورها يوما بعد يوم وهي تتقدم نحو مستقبل إسلامي يكتمل نهاره بإذن الله" (قضايا وتحليلات في رسائل النور، ص ٢٤).

في نهاية المطاف أود أن أنقل بعض أقوال الأستاذ النورسي رحمة الله عليه رحمة واسعة وفيها لنا دساتير وقوانين لحياتنا الدنيوية والأخروية. لو نعمل عليها لفزنا برب الكعبة في كل مجال الدنيا والآخرة وهو يقول:

"فيا أيها الإنسان! المبتلي بدسائس الشيطان وكيدته! إن كنت ترجو سلامة حياتك الدينية وحياتك الشخصية وحياتك الاجتماعية وتطلب صحة الفكر واستقامة الرؤية وسلامة القلب، فزّن أعمالك وخواطرك بموازين القرآن المحكّمة والسنة المحمدية الشريفة، واجعل رائدك القرآن الكريم ومرشدك السنة النبوية الشريفة، وتضرّع إلى الله العليّ القدير بقولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" (اللمعات، ص ١٢٤-١٢٥).

وهو يقول:

"أن أسعد إنسان هو من: لا ينسى الآخرة لأجل الدنيا، ولا يُضخّي بآخرته للدنيا، ولا يفسد حياته الأبدية لأجل حياة دنيوية، ولا يهدر عمره بما لا يعنيه، وينقاد للأوامر انقياد الضيف للمضيف ليفتح باب القبر بأمان، ويدخل دار السعادة بسلام" (المكتوبات، ص ٩٢).

وهو يقول:

"إن الاختلاف الوارد في الحديث هو الاختلاف الإيجابي البناء. ومعناه: أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته وصواب نظريته، دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسلكهم، بل يكون سعيه لإكمال النقص ورأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلا.

أما الاختلاف السلبي فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، ومبعثه الحقد والضغينة والعداوة، وهذا النوع من الاختلاف مردود أصلا في نظر الحديث، حيث المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأي عمل إيجابي بناء" (المكتوبات، ص ٣٢٢).

وهو يقول:

"عصر مريض، وعنصر سقيم، وعضو عليل، وصفتة الطبية هي اتباع القرآن"

(المكتوبات، ص ٥٩١).

وهو يقول:

"لو تأملت في مساوئ جمعية البشر لرأيت: أس أساس جميع اختلالاتها وفسادها، ومنع كل الأخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية، كلمتان فقط: **إحدهما**: إن شبعُ فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع. **والثانية**: اكتسب أنتَ لآكل أنا، واتعب أنتَ لأستريح أنا. والقاطع لعرق الكلمة الأولى ليس إلا "الزكاة". والمستأصل والدواء للكلمة الثانية ليس إلا "حرمة الربا" (المكتوبات، ص ٥٩٥، أنظر للتفصيل: المصدر نفسه، ص ٣٤٠-٣٤١).

وهو يقول:

"أن جوهر الحياة الاجتماعية الإنسانية ولا سيما للأمة الإسلامية وأساسها هو: وجود محبة خالصة بين الأقرباء، ووجود رابطة وثيقة بين القبائل والطوائف، ووجود أخوة معنوية وتعاونية نحو إخوته المؤمنين ضمن القومية الإسلامية، ووجود علاقة فداء نحو قومه وجنسه، ووجود التزام قوي ورابطة قوية لا تهتز مع الحقائق القرآنية التي تنقذ حياته الأبدية، ومع ناشري هذه الحقائق وأمثالها من الروابط التي تحقق أساس الحياة الاجتماعية. وإن إنكارها لا يؤدي إلا إلى قبول الخطر الأحمر الذي يترصد بنا في الشمال، والذي يبذر بذور الفوضى، ويحاول القضاء على الأجيال وعلى القومية، ويجمع أطفال الناس هناك ويضعهم تحت تصرفه، ويحاول إزالة شعور القرابة وشعور القومية وإفساد المدنية البشرية والحياة الاجتماعية إفسادا تاما" (الشعاعات، ص ٤٣٩-٤٤٠).

وهو يقول:

"أن الدين حياة للحياة ونورها وأساسها. إحياء الدين إحياء لهذه الأمة. والإسلام هو الذي أدرك هذا. إن رقي أمتنا هو بنسبة تمسكها بالدين، وتدنيها هو بمقدار إهمالها له. هذه حقيقة تاريخية، قد تنوسيت (الكلمات، ص ٨٤٧).
لو نجعل هذه الأقوال نموذجا لنا في كل مجال فسيولد مجتمع مثالي هادئ يسكن فيه كل فرد من أفراد بكل هدوء وإطمئنان وصارت الدنيا جنة حقيقة.

"دور العمل الإيجابي في بناء عالم أفضل – مقارنة رسائل النور" العمل الإيجابي من حيث المصطلح والجانب النظري

الدكتور/ طارق عبدالوهاب أحمد

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

جامعة العريش – كلية الآداب / كلية التربية قسم التاريخ

mail: ETAREK19641@HOTMAIL.COM

يعرف البعض الإيجابية بأنها: "اندفاع الإنسان الذاتي الناشئ عن استقرار الإيمان في قلبه، لتكييف الواقع الذي من حوله وتغييره وتبديله إن لزم الأمر؛ لكي يطابق الواقع الإيجابي الذي في حسّه"، أو قُل: "هو الحافز الذي يدفع بطاقة الإنسان لأداء عمل مُعَيَّن؛ للوصول إلى غاية مُحدَّدة، محتملاً كافة الصعاب لتحقيق الهدف"^(١).

جاء في قصص الصين التراثي أن حاكماً وَضَعَ للناس صخرة عظيمة في أحد الطُرُق وترك من يرصد له تصرفات الناس، فمر أول رجل وكان تاجراً كبيراً في البلدة، فنظر إلى الصخرة باشمئزاز منتقداً من وضعها دون أن يعرف أنه الحاكم، ودار حول الصخرة رافعاً صوته قائلاً: "سوف أذهب لأشكو هذا الأمر، سوف نعاقب مَنْ وضعها، ثم مرَّ شخص آخر وكان يعمل في البناء، فقام بما فعله التاجر لكن صوته كان أقل علواً؛ لأنه أقل شأناً في البلاد، ثم مرَّ ثلاثة أصدقاء معاً من الشباب الذين مازالوا يبحثون عن هويتهم في الحياة، وقفوا إلى جانب الصخرة، وسخروا من وضع بلادهم، ووصفوا من وضعها بالجاهل والأحمق والفوضوي، ثم انصرفوا إلى بيوتهم، ومرَّ يومان حتى جاء فلاح من الطبقة الفقيرة ورآها فلم يتكلم وبادر إليها مُشَمِّراً عن ساعديه محاولاً دفعها، طالباً المساعدة ممن يمر فتشجَّع آخرون وساعدوه فدفَعوا الصخرة حتى أبعدوها عن الطريق، وبعد أن أزاح الصخرة وَجَدَ صندوقاً خُفِرَ له مساحة تحت الأرض، في هذا الصندوق كانت هناك ورقة فيها قِطْع من ذهب

(١) الشيخ عبد الخالق حسن الشريف، الشباب في مرآة الإسلام.

ورسالة مكتوب فيها: "من الحاكم إلى مَنْ يزيل هذه الصخرة، هذه مكافأة للإنسان الإيجابي المبادر لحل المشكلة بدلاً من الشكوى منها".

إن الإيجابية أمست عملة نادرة، لكنها تاج على رؤوس أولئك الذين يربطون الأرض بالسماء، ويصلون الخلق بالخالق، ويعرفون العباد برب العباد، ويشنون النور الإلهي المتمثل في الفطرة السليمة؛ لتعود الروح من جديد في كيان هذه الأمة، التي أصبحت صريعة الأهواء والشهوات والملذات، كالذي يتخبطه الشيطان من المس.

فالسلبية يستحيل أن تكون من خصال الصالحين، والبلادة لا يمكن أن تكون من صفات المصلحين بعدما قال الله تعالى له: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١)، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾^(٢).

من هنا نتبين أن العمل الإيجابي هو نهج المصلحين، فعلى هذا الطريق يلتقي ويتشارك المجددون كافة، وقد تلقى هؤلاء جميعاً الموعظة نفسها من رسول الله (ﷺ)، وأبدوا حساسية كبيرة للسير في هذا الطريق حسب شروط عصرهم، فالإمام الغزالي، والإمام الرباني، والشيخ عبد القادر الجيلاني، ومولانا جلال الدين الرومي وأمثالهم من العظام جميعاً قد سلكوا الطريق نفسها، وكانت غايتهم المشتركة جميعاً جذب الناس نحو حدود مرضاة رب العالمين، وأن يكونوا وسيلة لسعادتهم الأبدية. وللاستاذ بديع الزمان النورسي مكانة خاصة بين هؤلاء العظام الذين أصبحوا مظهراً للحديث النبوي "العلماء ورثة الأنبياء" بكل معنى الكلمة وميزته هذه تنبع من هول عصره، ونكبة زمانه.

وعلى هذا فقد كانت الإيجابية في الحركة قاعدة إرشادية من قواعد رسائل النور؛ فهذا هو الأستاذ النورسي يستهل آخر رسالة له يحمل تعتبر خلاصة لقواعد الإرشاد والتبليغ والإصلاح التي حاول تطبيقها طوال حياته، كالآتي:

"إن واجبنا القيام بأعمال إيجابية بناءة وليست تخريرية، بل القيام بوظيفة الإيمان ابتغاء مرضاة الله وحده لا غيره ومن غير التدخل في أمور موكوله إليه تعالى، فنحن مكلفون أن نصمد صابرين على كل المضايقات لأجل إحلال النظام واستتباب الأمن في ربوع البلاد"^(٣).

(١) آل عمران: ١٣٣.

(٢) الحديد، ٢١.

(٣) بديع الزمان النورسي، الملاحق: أمير داع، ص ٢٣٩.

ونحن الآن في عصر تفاقمت فيه المشاكل المادية والمعنوية، نحو: الجوع والفقر والظلم الاجتماعي، والحرب والمجرة والفوضى والإرهاب والعنف بجانب ظواهر سلبية كالتلوث البيئي والاحتباس الحراري وغيرها. وللأسف هي في تزايد وتفاقم مستمر يوماً بعد يوم، وبالرغم من بذل الجهود الواسعة؛ فلم يتوصل أحدٌ إلى حلول دائمة لها!.

ومن هنا كانت تلك التساؤلات:

كيف ستحقق سعادة البرية الدنيوية والأخروية؟ وكيف يمكن حل هذه المشاكل وأمثالها أو على الأقل تخفيفها وهل يمكن — مادياً ومعنوياً — القيام بالإصلاح من دون هدم، والبناء من دون تدمير؟ وهل يمكن التوصل إلى حل جذري لهذه المشاكل؟ إذ أننا أحوج ما نكون من أي وقت مضى إلى إجابات لهذه الأسئلة وما شابهها.

إن حياة بديع الزمان سعيد النورسي ومؤلفاته "كليات رسائل النور" مصدر مهم لمحاولة البحث عن إجابات شافية لهذه الأسئلة والمشاكل؛ وذلك لأن حل المشاكل فردية كانت أو اجتماعية أو عالمية مرهون بنظرة الإنسان إلى الكون والحياة، وبديع الزمان سعيد النورسي قد وفى حق سلوك الإنسان في نظره للكون والحياة بعبارة أصيلة هي: "العمل الإيجابي" فالعمل الإيجابي نهج مهم للحياة والنظر إلى الكون؛ لذا ينبغي أن يُطرح للمناقشة الجادة بأساساته المستندة على الوحي، وبتطبيقاته وممارساته في الحياة لإيجاد حلول دائمة للمشكلات التي تواجهها.

ولأجل سعادة المسلمين خاصة والإنسانية عامة، الدنيوية والأخروية؛ فإن نهج النظر في رسائل النور جدير بالمناقشة والذي نرجو أن يتحقق في المؤتمر العالمي الحادي عشر لبديع الزمان سعيد النورسي: "دور العمل الإيجابي في بناء عالم أفضل — مقارنة رسائل النور". ويشرفنا أن نتقدم في هذا المؤتمر ببحث نتحدث فيه عن العمل الإيجابي وتعريفه في رسائل النور وشمول معناه.

وسيكون بحثنا مختار من المحور الأول من محاور المؤتمر وهو: "العمل الإيجابي من حيث المصطلح والجانب النظري".

المقدمة:

يعيش إنسان اليوم في عصر تفاقمت فيه المشاكل المادية والمعنوية؛ نحو الجوع والفقر والظلم الاجتماعي، والحرب والمجرة والفوضى والإرهاب والعنف، بجانب ظواهر سلبية

كالتلوث البيئي والاحتباس الحراري وغيرها.
وللأسف هي في تزايد وتفاقم مستمر يوماً بعد يوم، وبالرغم من بذل الجهود الواسعة؛ فلم يتوصل أحد إلى حلول دائمة لها! ومن هنا كانت تلك التساؤلات، فكيف إذن ستتحقق سعادة البشرية الدنيوية والأخروية؟ وكيف يمكن حل هذه المشاكل وأمثالها أو على الأقل تخفيفها؟ وهل يمكن - مادياً ومعنوياً - القيام بالإصلاح من دون هدم، والبناء من دون تدمير؟! وهل يمكن التوصل إلى حل جذري لهذه المشاكل؟! إذ أننا أحوج ما نكون من أي وقت مضى إلى إجابات لهذه الأسئلة وما شابهها.

خطة البحث:

"تعريف رسائل النور للعمل الإيجابي وشمول معناه"

وسينقسم هذا البحث إلى: مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة
أما المقدمة: فستتضمن تعريفاً مختصراً برسائل النور، ومعنى الإيجابية وقيمتها في حياتنا وخطة البحث الإجمالية والتفصيلية.

الفصل الأول: وفيه سنعرض لنظرة النورسي للعمل الإيجابي وشمول معناه أهم القواعد التي سار عليها في رسائله،

الفصل الثاني: فسنعرض فيه لبعض الممارسات العملية للعمل الإيجابي وأثر العمل الإيجابي في حياتنا،

الفصل الثالث: فسنتناول فيه بعض تطبيقات العمل الإيجابي في التاريخ الإسلامي والسيرة، ثم نأتي إلى الخاتمة.. مسك الختام لنجمع فيها حصاد ما توصلنا إليه من خلاصة للبحث والنتائج.

ومن الجدير بالذكر؛ قبل الشروع في الحديث عن العمل الإيجابي وقبل الولوج لصميم بحثنا، أن نتعرف على ماهية "كليات رسائل النور" .. إن كليات رسائل النور هي مجموع ما كتبه الإمام الجليل سعيد النورسي - رحمه الله عليه - وينقسم إلى تسعة مجلدات، هم:

الكلمات - المكتوبات - اللمعات - الشعاعات - إشارات الإعجاز - المثنوي العربي النوري - الملاحق - صيقل الإسلام - وأخيراً السيرة الذاتية للإمام النورسي.

الفصل الأول

نظرة النورسي للعمل الإيجابي وشمول معناه وأهم القواعد التي سار عليها في رسائله

لاحظ الإمام سعيد النورسي، وهو الذي عاصر أخطر فترة انتقالية في حياة المسلمين وهي نهاية القرن الثالث عشر الهجري وبداية القرن الرابع عشر، أن المجتمع الإسلامي ينحدر في نضاهر حياته كلها انحذاراً سريعاً، واكتشف أن غزواً فكرياً منظماً يشن على العقيدة الإسلامية ابتداء من الدوائر الأجنبية إلى صحيفة الاتحاد والترقي إلى أجهزة إعلام الانقلابات اللادينية، وخاصة بعدما صرح وزير المستعمرات البريطاني - غلادستون - في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب ويده نسخة من القرآن الكريم قائلاً: "مادام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم؛ لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به".

ولقد تأكد للنورسي أن الإسلام أصبح في خطر أكيد، وأنه لابد من تقوية الإيمان عند البعض وإنقاذه عند البعض الآخر، أمام هذه الموجات العاتية من تزييف المنطق العقلي والحقيقة العلمية.

ولقد ساعدت دراسته العقلية الرصينة وإطلاعه الواسع على تطور العلم الحديث في نجاح محاولة ذلك الإنقاذ؛ فبدأ بتأليف الرسائل والكتب في دحض شبهات القول وإثبات حقائق الإيمان بأسلوب علمي عصري قريب إلى روح العصر وفهم الناس جميعاً، وكان يتتبع الشبهات التي كان يثيرها الملاحدة وأعداء الأمة لإدخال الشك في عقول الجيل الحديث فيرد عليها ويخصص لها الرسائل المتنوعة دون ذكر الشبهة إلا نادراً^(١).

هذا هو الاستاذ النورسي؟ الذي حمل على عاتقه معنى وظيفة التبليغ والإرشاد للوقوف حيال حركات الإفساد التي لم تشاهد لها مثيل في التاريخ ألقى دروساً قيمة لدفع الشبهات، ورفع إيمان المؤمنين من التقليد إلى مستوى التحقيق من ناحية، ومن ناحية أخرى بين للمسلمين كيفية السير في دروب وعيرة مليئة بالألغام والأشواك والدواهب من خلال ما سطر من الرسائل والملاحق.

فجده يقول في غاية الشفافية والوضوح: "في زمن عجيب كزماننا، لابد من تطبيق

(١) "الكلمات"، بديع الزمان النورسي، مقدمة رسالة المعجزات القرآنية ص ٤٢٠، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، سوزلي، استانبول ١٩٩٢.

خمسة أسس ثابتة حتى يمكن إنقاذ البلاد وإنقاذ الحياة الاجتماعية لأبنائها من الفوضى والانقسام.. وهذه المبادئ هي:

- ١ - الاحترام المتبادل.
- ٢ - الشفقة والرحمة.
- ٣ - الابتعاد عن الحرام.
- ٤ - الحفاظ على الأمن.
- ٥ - نبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة.

والدليل على أن رسائل النور في نظرتها للحياة الاجتماعية قد ظلت تثبت وتحكم هذه الأسس الخمسة وتحترمها احتراماً جاداً محافظة بذلك على حجر الأساس لأمن البلاد، هو أن رسائل النور قد استطاعت في مدى عشرين عاماً أن تحمل أكثر من مائة ألف رجل أعضاء نافعين للبلاد والعباد دون أن يتأذى أو يتضرر بهم أحد من الناس، ولعل محافظتي "اسبارطة وقسطموني" خير شاهد وأبرز دليل على صدق ما نقول".

ولم يكن الاستاذ النورسي في حركته وتوجهه ومسلكه منتقماً متوعداً، بل أنه قد واجهه بابتسامة مؤلمة كل ما لاقى من التعذيب والظلم، وليذله من المكائد الشيطانية لأجل دفعه إلى القيام بحركة سلبية، وقد استكمل مسيرته السامية لأجل إنقاذ إيمان البشرية جمعاء، حتى الذين ظلموه قابلهم بضبط النفس والأناة، دون أن يتزعزع ويتصرف بعداء وشحناء. وحسبنا لكي نعرف منهج النورسي في دعوته ومسلكه، أن نقرأ تلك الكلمات التي استهل بها آخر رسالة له، حيث قال:

"إن من واجبنا القيام بأعمال إيجابية بناءة وليست تخريرية سلبية، بل القيام بوظيفة الإيمان: ابتغاء مرضاة الله وحده لا غير من دون التدخل في أمور موكله إليه تعالى، فنحن مكلفون أن نصمد صابرين على كل المضايقات؛ لأجل إحلال النظام واستتباب الأمن في ربوع البلاد"^(١).

تلك الجمل تعتبر خلاصة لقواعد الإرشاد والتبليغ التي حاول تطبيقها طوال حياته، فالحركة الإيجابية البناءة كانت أساس لهذا السبيل السامق وسيره المطرد. لقد جعل النورسي من العمل الإيجابي البناء لمواجهة ما تعرض له من ظلم، فجعل منه

(١) "الملاحق" بديع الزمان سعيد النورسي، أمير داغ ١، ص ٢٣٩.

طريقة للعمل على نشر دعوة الله الذي استوحاه من القرآن الكريم؛ ذلك العمل الذي يعني القيام بما أمر الله الإنسان به من الدعوة، أما تحقيق النتيجة فإنه من تدبير الله لا من شأن البشر، نابذاً بذلك العمل السلبي الذي من شأنه استخدام القوة في السعي إلى الإصلاح، وهو ما قد يؤدي إلى وقوع الأذى على من لا ذنب له، وإلى إيقاد نار الفتنة في المجتمع وزعزعة الأمن الداخلي، وما ينتج عن ذلك من الآثار السلبية المدمرة من قتل أو تخريب.

وقد صرح الأستاذ النورسي بذلك في أكثر من موضع، منها قوله:

"إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدام، والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله، إننا مكلفون بالتحمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا؛ وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي"^(١).

إن العمل الإيجابي البناء كما يحدده الأستاذ النورسي؛ يعني: الجهاد المعنوي؛ أي قيام الإنسان بما هو مطلوب منه من الدعوة التي يسميها الأستاذ الخدمة، وأن يدع تحقيق النتائج لرب العالمين الذي تكفل بها، وفي تسمية الدعوة بالخدمة إشارة إلى أن الأستاذ مستخدم لدى ربه، يعمل لنشر دينه، ونيل رضاه، والله الأمر من قبل ومن بعد، ومثله من سار على منهجه من طلاب النور، يقول الأستاذ:

"إن أعظم شرط من شروط الجهاد المعنوي هو عدم التدخل بالوظيفة الإلهية؛ أي بما هو موكول إلى الله؛ بمعنى أن وظيفتنا الخدمة فحسب، بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين، وأننا مكلفون ومرغمون في الإيفاء بوظيفتنا"^(٢).

وعلى هذا الأساس؛ ولكي يزداد الأمر وضوحاً، نقدم لأنظارنا من خلال هذه الجمل أنواع نماذج الحركة الإيجابية والسلبية.

- فالعمل بمقتضى مرضاه الله هو العمل الإيجابي، والعمل للنفع والرياء هو السلبي.
- والعمل للخدمة الإيمانية هو الإيجابي، والعمل للكفر والضلالة هو السلبي.
- والتوكل على الله هو الإيجابي، والمداخلة لتدبير الله وشئونه هو السلبي.

(١) سيرة ذاتية، النورسي، ص ٤٦٩.

(٢) سيرة ذاتية، النورسي، ص ٤٧٠.

• والمحافظة على أمن المجتمع هو الإيجابي، وتوليد الخلاف والمشادة والإخلال بالأمن والسلام هو السلبي.

• والصبر والشكر هو الإيجابي والتمرد والاستعجال هو السلبي.

من كل هذا يتبين أن "العمل الإيجابي البناء" قل شمل حياة النورسي كلها، وكان الدافع والمحرك الأول أمام كل ما لاقاه من ظلم واستبداد.

والعمل الإيجابي له جانبان:

• **الأول:** الإيمان والعمل.

• **الثاني:** الدعوة إلى الله لإنقاذ إيمان الآخرين.

ولن نستطيع أحد أن ينقذ الآخرين ما لم ينق نفسه، فمن عجز عن إصلاح نفسه فهو عن إصلاح غيره أعجز.

وقد نبه الأستاذ النورسي في درسه الأخير لطلابه إلى أمر يمنع الإنسان من الجهاد المعنوي، هو الوقوع تحت سطوة "الضرورات الموهومة"، التي توقعه في المحرمات وتشغله عن حقيقة وجوده وعن حقيقة الدنيا وعن الآخرة، وهذا من مساوئ المدنية الحديثة التي زادت الحاجات الضرورية من الأربعة إلى العشرين، فجعلت الحاجات غير الضرورية بمثابة الحاجات الضرورية، بالإدمان والاعتیاد والتقليد، فتجد من يفضل الدنيا على الآخرة رغم إيمانه بها لانهم يهاكم بالأمور المعاشية والدنيوية ظنا منه أنها ضرورة^(١).

وعند الوقوع تحت هذه الحاجات الموهومة يقع الإنسان في محاذير وممنوعات تحت دعوى "الضرورات تبيح المحظورات"، وهي دعوة لا حقيقة لها ولا تنقبل إلا مع الضرورات الحقيقية.

(١) سيرة ذاتية، النورسي، ص ٤٧٠.

الفصل الثاني

بعض الممارسات العملية للعمل الإيجابي

وأثر العمل الإيجابي على حياتنا

١ - الإخلاص:

من الأمور السياسية التي تحدث عنها الأستاذ وضرب فيها مثلاً في سيرته الطويلة ومحنته الممتدة، والإخلاص والتجرد من حظ النفس، ولذلك كان من وصاياه أن يقرأ طلاب النور رسالة الإخلاص مرة كل أسبوعين على حد أقصى ليظل الإخلاص نصب أعينهم، ولتظل المعركة بينهم وبين أنانية النفس قائمة حتى يصلوا مرحلة التجرد التام لله سبحانه وتعالى. والإخلاص شرط لا بد منه في العمل الإيجابي البناء الذي يحتاج إلى الصبر وذلك ما قدمه الأستاذ في سيرته قدوة حسنة لطلاب النور، وذلك من قوله:

"اخواني ربما أموت قريباً، فإن لهذا العصر مرضاً داهماً، هو الأنانية، وحب النفس، واشتهاء قضاء حياة جميلة في ظل مباحج وزخارف المدنية الجذابة وأمثالها من الأمراض المزمنة، وإن أول درس من دروس رسائل النور الذي تلقيته من القرآن الكريم، هو التخلي عن الأنانية وحب النفس، حتى يتم إنقاذ الإيمان بالتقصد بالإخلاص الحقيقي، والله الحمد والمنة، فقد برز في الميدان كثيرون ممن بلغوا ذلك الإخلاص الأعظم الحقيقي، فهناك الكثيرون ممن ينصحون بأنانيتهم ومنصبهم وجاههم في سبيل أصغر مسألة إيمانية"^(١).

أيضاً مما قاله الأستاذ عن الإخلاص:

"إن الإخلاص واسطة الخلاص، ووسيلة النجاة من العذاب، فالعداء والعناد يزعزان حياة المؤمن المعنوية فتتأذى سلامة عبوديته لله؛ إذ يضيع الإخلاص ذلك لأن المعاند الذي ينحاز إلى رأيه وجماعته يرون التفوق على خصمه حتى في أعمال البر التي يزاولها، فلا يوفق توفيقاً كاملاً إلى عمل خالص لوجه الله، ثم أنه لا يوفق أيضاً إلى العدالة، إذ يرجح الموالين لرأيه الموافقين له في أحكامه ومعاملاته على غيرهم، وهكذا يضيع أساسان مهمان لبناء البر - الإخلاص والعدالة - بالخصام والعداء"^(٢).

(١) سيرة ذاتية، النورسي، ص ٤٧٤.

(٢) المكتوبات، النورسي، المكتوب الثاني والعشرون، ص ٣٥٠.

٢- وحدة المسلمين واتحادهم:

من المسائل المهمة للحركة الإيجابية التي أكد عليها المجدد الكبير بكل حساسية هي تأمين وحدة واتحاد المسلمين العاملين في حقل الخدمة الإسلامية بمناهج مختلفة، وقد وقف حول هذه النقطة المهمة كثيراً وقد أكد عليها أيما تأكيد، وسعى ليمنع تحول اختلاف المشارب والمناهج الدعوية إلى العدا والتخاصم، وقد أشار الأستاذ النورسي إلى هذه المسألة في غير موضع من رسائله، ويحسن بنا أن نقف عند تفسير حديث رسول الله (ﷺ) "اختلاف أمتي رحمة" حيث يقول:

لقد ورد في الحديث الشريف (اختلاف أمتي رحمة) والاختلاف يقتضي التفرق والتحزب والاعتداد بالرأي.. نقول إن الاختلاف الوارد في الحديث هو الاختلاف الإيجابي البناء المثبت.. ومعناه أن يسعى كل واحد لتزويج مسلكه وإظهار صحة وجهته وصواب نظريته دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسلكهم بل يكون معين لإكمال النقص ورأب الصدع والاصلاح ما استطاع إليه سبيلاً.

أما الاختلاف السلبي فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، ومبعثه الحقد والضغينة والعداوة، وهذا النوع من الاختلاف مردود أصلاً في نظر الحديث حيث المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأي عمل إيجابي بناء^(١).

وكمثال نود نقل النقاط الثلاثة الأوائل من الأمور البالغ عددها تسعة أمور كالاتي:

١- العمل الإيجابي البناء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره أو يتدخل في علمه عدا الآخرين أو التهوين من شأنهم؛ أي لا ينشغل بهم أصلاً.

٢- بل عليه أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام - مهما كان نوعها - والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفق فيما بينها فيتفق معها.

٣- واتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً، وهو أن صاحب كل مسلك حق يستطيع أن يقول: "أن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي فحسب"^(٢).

(١) المكتوبات، النورسي، المكتوب الثاني والعشرون، ص ٣٤٦، ٣٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٤٢.

وقد اتبع الأستاذ النورسي طوال عمره الإيجابية في الحركة دائماً وكضرورة لازمة لهذه الحركة الإيجابية وقف تجاه كل حركة سلبية أياً كان نوعها.

فكما واجه في رسائل النور حركات الإلحاد، والكفر والشرك، والصلالة بالمباحث الإيمانية، كذلك ألف رسالة الإخلاص لمواجهة الرياء، وحب الظهور، وكسب إعجاب الآخرين، وكتب رسالة الأخوة ليسد قنوات آفات العدا، الشنعاء، والبغض والغيبة، بين المسلمين، وقد كان هذا المبحث من الأهمية بمكان حيث جعله سبباً في فساد حياة البشرية قاطبة، فنجدته يقول في بداية مکتوبه الثاني والعشرون:

"إن ما يسببه التحايز والعناد والحسد من نفاق وشقاق في أوساط المؤمنين، وما يوغر في صدورهم من حقد وغل وعداء، مرفوض أصلاً ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الإسلام الذي يمثل روح الإنسانية الكبرى، فضلاً عن أن العدا ظلم شنيع يفسد حياة البشر الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة"^(١).

وقد بين لهذه الحقيقة من خلال وجوه ستة سنقف عند الوجه الأول فيها وقد ضرب فيه مثلاً رائعاً لما يقول:

"... فيامن امتلاً صدره غلاً وعداء لأخيه المؤمن، وياعدم المروءة! هب إنك في سفينة أو في دار ومعك تسعة أشخاص أبرياء ومجرم واحد، ورأيت من يحاول إغراق السفينة أو هدم الدار عليكم، فلا مرأ أنك في هذه الحالة ستصرخ بأعلى صوتك معترضاً على ما يرتكبه من ظلم قبيح، غد ليس هناك قانون يسوغ إغراق سفينة برمتها تضم مجرمين طالما فيها برئ واحد"، فكما أن هذا ظلم شنيع، وغدر فاضح، كذلك انطواءك على عدا وحقد مع المؤمن الذي هو بناء رباني وسفينة إلهية لمجرد صفة مجرمة فيه تستاء منها أو تتضرر مع أنه يتحلى بتسع صفات بريئة بل لعشرين منها كالإيمان والإسلام والجوار... الخ، فهذا العدا والحقد يسوقك حتماً إلى الرغبة ضمناً في إغراق سفينة وجوده أو حرق بناء كيانه، وما هذا إلا ظلم شنيع وغدر فاضح"^(٢).

(١) المرجع السابق، ص ٣٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٤٠.

٣- تأمين الهدوء الاجتماعي:

لقد أعطت رسائل النور أهمية كبرى لصحة البنية الاجتماعية ولا تجاهها، عدت من مقاصدها تأمين الهدوء الاجتماعي والراحة العامة ولا تعير أي اهتمام أو التفات لحركات التدمير وللهدم والتمزيق بل ترفع شعار الحركة الإيجابية وترى فيها وظيفتها ومهمتها، ولا تسمح مطلقاً بالفاعليات السلبية، بل تسعى لتقوية أواصر المحبة والأخوة في بنية المجتمع، وتلح على ضرورة الاتحاد والامتزاج، وترد بشكل مطلق كل المشاعر والأفكار التي قد تذهب بروح الأخوة التي أمر بها ديننا الإسلامي، فكان رافضاً للشعور القبلي أو العشائري أو الفكرة القومية أو العنصرية أو المليية السلبية، قال بديع الزمان مخاطباً دعاة التفريق بين المسلمين والمطالبين بحقوق أقليات دون غيرها:

"إن كنتم حقاً تحبون هذه الأمة حباً جاداً خالصاً، وتشفقون عليها فعليكم أن تحملوا في قلوبكم غير تسع الإشفاق على غالبية هذه الأمة لا على قلة قليلة منها، إذ أن هدمه هؤلاء خدمة اجتماعية مؤقتة غافله عن الله، وهم ليسوا بحاجة إلى الرأفة والشفقة وعدم الرأفة بالغالبية العظمى منهم ليس من الحمية والغيرة في شيء"^(١).

وقال أيضاً:

"لقد بذلت كل ما في وسعي من جهد طوال حياتي للمحافظة على الأمن إذ يجب ألا تستعمل القوة في الداخل بل نحو الاعتداء الخارجي، وظيفتنا هي مد يد المساعدة للمحافظة على الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة، إن أكبر شرط من روط الجهاد المعنوي هو عدم التدخل في الوظيفة الإلهية، فوظيفتنا نحن أداء الخدمة، أما النتيجة فتعود إلى الله سبحانه وتعالى ونحن ملكفون ومجبرون على أداء وظيفتنا"^(٢).

وبهذا أسس الأستاذ للبعد عن كل عمل أو نشاط يؤدي إلى إثارة أهالي البلد بعضهم ضد بعض، أو عمل يفضي إلى انحياز لجهة على حساب أخرى، والأكثر من ذلك كله هو الإصرار إلى الدفع والابتعاد عن كل ما يمس الأمن والاستقرار والهدوء، بهذا أوصى تلاميذه وطلابه.

(١) المكتوبات، النورسي، ص ٥٤٢ - ٥٤٤.

(٢) سيرة ذاتية، النورسي، ص ٤٦٩.

وللعمل الإيجابي أسباب حيوية ذلك أن الحياة الاجتماعية إن كدر مأوها، فإن إعادة السكون والاستقرار إليها تحتاج إلى مدة طويلة من الزمن، وتتطلب همّة كبيرة وجهوداً مكثفة، والبنية الاجتماعية إن اهتزت بعوامل الاستبداد أو الإرهاب والفوضى، فلا يمكن أداء الخدمة فيها بشكل مستمر وصحي ومؤثر.

ولكي يتم مقش الحقائق القرآنية في القلوب والعقول فإن الهدوء الاجتماعي شيء ضروري ولازم فإن تم تناول الأمور تحت سيل التهيج - استعمال القوة الجسدية - الانحياز وليس في جو (العقل - المنطق - موازنة الأدلة) زادت التناقضات واشتدت وارتفع الضغط الاجتماعي، وساد الاضطراب الشديد فيضيع الاستقرار والهدوء الداخلي وينخرط العقد الاجتماعي، وهو جو مثالي لشيوع الفوضى والاستبداد والإرهاب، وأساس دفع هذه الأوبئة العمل بحركة إيجابية.

وفي عبارة أخرى أساسية يقول:

"نحن مكلفون بالتحلي بالصبر والتحمل بالشكر ضمن عملنا لخدمة الإيمان التي تثمر الحفاظ على أمن البلاد".

فالعبارة تتضمن في مستهلها إرشاداً للقائمين بشئون الدولة، ويؤكد على درس مهم أنه لا يمكن تحقيق راحة المجتمع إلا من خلال حركة إيمانية إيجابية، فإن كل طالب نور يصبح بمثابة حارس لتأمين سلامة المجتمع وراحته^(١).

٤ - الجهاد الداخلي والخارجي:

لبدیع الزمان درس في الجهاد الداخلي له وزن وحقيقة:

ويصد التعدي الخارجي بالقوة؛ لأن أموال الأعداء وبنائهم غنيمة، أما في الداخل فليس كذلك، بل هو عمل إيجابي معنوي بناء يعمر بالإخلاص ماهدم، فالجهاد الخارجي يختلف تماماً عن الجهاد الداخلي^(٢).

وعلى الرغم من تجرع صاحب هذا القول الحبس والتشريد والنفي والتسميم والمظالم الكثيرة لمدة ثمانية وعشرين سنة من عمره فقد سعى إلى محافظة أمن المجتمع وسلامته بقوله: "الحفاظ على الأمن الداخلي لئلا يصيب تسعين بالمائة من الناس الضرر جراء ما يقول

(١) اللمعات، النورسي، اللمعة السادسة والعشرون، ص ٤٠٠.

(٢) سيرة ذاتية، النورسي، ص ٤٧٠.

به عشرة بالمائة من الزنادق الملحدين" (١).

ومن أسس العمل الإيجابي ومرتكزاته الآية الكريمة
﴿وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾ (٢).

فالعامل السلبي أي استخدام القوة في السعي إلى الإصلاح الداخلي في المجتمع وزعزعة الأمن الداخلي، وما ينتج عن ذلك من الآثار السلبية المدمرة من قتل وتخريب، وبياناً لذلك يقول الأستاذ:

"إن المسألة الأساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي، وإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة" (٣).

وقد توصل الاستاذ النورسي إلى حقيقة مهمة جداً، وهي:

إن هناك كلمتين اثنتين هما منشأ جميع ما آلت إليه البشرية في حياتهم الاجتماعية من ترد في الأخلاق وانحطاط في القيم، وهما منبع جميع الاضطرابات والقلقل، وقد بيناهما وأثبتناهما في (الكلمة والعشرين) عند عقدنا الموازنة بين الحضارة الحديثة وأحكام القرآن الكريم والكلمتان هما:

• **الكلمة الأولى:** إن شبت فلا على أن يموت غيري من الجوع.

• **الكلمة الثانية:** اكتسب أنت لآكل أنا، واتعب أنت لأستريح أنا.

وإن الذي يلزم هاتين الكلمتين ويغذيهما هو: جريان الربا، وعدم أداء الزكاة.

وإن الحل الوحيد والدواء الناجح لهذين المرضين الاجتماعيين هو تطبيق الزكاة في المجتمع وفرضهما فرضاً عاماً، وتحريم الربا كلياً؛ لأن أهمية الزكاة لا تنحصر في أشخاص وجماعات معينة فقط، بل أنها ركن مهم في بناء وسعادة الحياة البشرية ورفاهها جميعاً، بل هي عمود أصيل تتوحد أمامه الحياة الحقيقية للإنسانية؛ ذلك لأن في البشرية طبقتين: الخواص والعوام والزكاة تؤمن الرحمة والإحسان من الخواص تجاه العوام، وتضمن الاحترام والطاعة من العوام تجاه الخواص (٤).

أيضاً ضمن مبادئ العمل الإيجابي التي أرساها وتحدث عنها الأستاذ النورسي، هو

(١) سيرة ذاتية، النورسي، ص ٤٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية ١٥.

(٣) سيرة ذاتية، النورسي، ص ٦٩.

(٤) المكتوبات، النورسي، المكتوب الثاني والعشرون، ص ٣٥٥.

دستور التعارف والتعاون الذي تشير إليه الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^(١).

وقد قسم هذا المبحث بسبع مسائل في غاية الأهمية، يذكر في المسألة الثانية

منهم:

"يقسم الجيش إلى فيالق وإلى فرق وإلى ألوية وإلى أفواج وإلى سرايا وإلى فصائل وإلى حطائر، وذلك ليعرف كل جندي واجباته حسب تلك العلاقات المختلفة المتعددة، وليؤدي أفراد ذلك الجيش تحت دستور التعاون وظيفه حقيقية عامة لتصان حياتهم الاجتماعية من هجوم الأعداء، وإلا فليس هذا التقسيم والتمييز إلى تلك الأصناف، لجعل المنافسة بين فوجين أو إثارة الخصام بين سريتين أو وضع التضاد بين فرقتين.

وكذلك الأمر في المجتمع الإسلامي الشبيه بالجيش العظيم، فقد قُسم إلى قبائل وطوائف، مع أن لهم ألف جهة وجهة من جهات الوحدة؛ إذ خالقهم واحد ورازقهم واحد، وقبلتهم واحدة، وكتابتهم واحد ووطنهم واحد، وهكذا واحد واحد.. إلى الألوف من جهات الوحدة التي تقتضي الأخوة والمحبة والوحدة؛ بمعنى أن الانقسام إلى طوائف وقبائل - كما تعلقه الآية الكريمة - ما هو إلا للتعارف والتعاون لا للتناكر والتخاصم"^(٢).

كما ناقش مسألة الفكر القومي ووسع القول فيها، حيث قال:

"لقد انتشر الفكر القومي وترسخ في هذا العصر.. ولكن القومية نفسها على قسمين: قسم منها سلبي مشؤوم، ومضر، يترى وينمو بابتلاع الآخرين ويدوم بعد أو من سواه، ويتصرف بجذر، وهنا يولد المخاصمة والنزاع، وهناك القومية الإيجابية وهي نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند وتحقق قوة نافعة للمجتمع، وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية.. هذا الفكر الإيجابي القومي، ينبغي أن يكون خادماً للإسلام، وأن يكون قلعة حصينة له، وسوراً منيعاً حوله، لا أن يحل محل الإسلام ولا بديلاً عنه لأن الأخوة التي يمنحها الإسلام تتضمن ألوف أنواع الأخوة وأنها تبقى خالدة في عالم البقاء وعالم البرزخ"^(٣).

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٢) المكتوبات، النورسي، المکتوب الثاني والعشرون، ص ٤١٣، ٤١٤.

(٣) المكتوبات، النورسي، المکتوب الثاني والعشرون، ص ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦.

الفصل الثالث

تطبيقات للعمل الإيجابي في التاريخ الإسلامي والسيرة

لقد أُمست الإيجابية عملة نادرة، لكنها تاج على رؤوس أولئك الذين يربطون الأرض بالسماء ويصلون الخلق بالخالق، ويعرفون العباد برب العباد، ويثبون النور الإلهي المتمثل في الفطرة السليمة؛ لتعود الروح من جديد في كيان هذه الأمة، التي أصبحت صريعة الأهواء والشهوات والملذات، كالذي يتخبطه الشيطان من المس.

كما أن السلبية يستحيل أن تكون من خصال الصالحين، والبلادة لا يمكن أن تكون من صفات المصلين، بعد ما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾^(٢).

وقال: ﴿وَلِكُلِّ وُجْهٌ هُوَ مَوْلًى فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾^(٣).

وإن القرآن الكريم ملئ بالأمثلة الإيجابية، بل أن المتبوع للقرآن الكريم ليجد أن من أكثر الأمثلة ضرباً في القرآن هي الإيجابية، وهذه بعض النماذج التي سنتقيها ونعرض لها وأنها بمثابة غيض من فيض.

أولاً: مؤمن آل ياسين

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقَوِرُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾^(٤)
﴿اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٥) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنْهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقَذُونَ﴾^(٦)
﴿إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٧) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾^(٨).

إنها استجابة الفطرة السليمة لدعوة الحق المستقيمة؛ الصدق، والبساطة، والحرارة،

(١) سورة آل عمران، الآية ١٣٣.

(٢) سورة الحديد، الآية ٢١.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٤٨.

(٤) سيرة ذاتية، النورسي، ص ٤٦٩.

واستقامة الإدراك، وتلبية الإيقاع القوي للحق المبين، فهذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها بعدما رأى فيها من دلائل الحق والمنطق ما يتحدث عنه في مقالته لقومه، وحينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان، تحركت هذه الحقيقة في ضميره فلم يطق عليها سكوتاً ولم يقبّع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله والحدود والفجور، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره وتحرك في شعوره، وظاهر أن الرجل لم يكن ذا جاه أو سلطان ولم يكن في عزوة من قومه أو عشيرته ولكنها العقيدة الحية في ضميره تدفق وتجرى به من أقصى المدينة إلى أقصاها^(١).

ثانياً: مؤمن آل فرعون:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.

انتداب الله - عز وجل - رجلاً من آل فرعون وقع الحق في قلبه، ولكنه كتم إيمانه، انتداب يدفع عن موسى، ويحتال لدفع القوم عنه، ويسلك في خطابه لفرعون وملئه مسالك بالتخويف والإقناع، إنها جولة ضخمة هذه التي جالها الرجل المؤمن مع المتأمرين من فرعون وملئه، وأن منطق الفطرة المؤمنة في حذر ومهارة وقوة كذلك، وقد سجل مؤمن آل فرعون كلمته الحق خالدة في ضمير الزمان^(٢).

ثالثاً: إيجابية هدهد

قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَا عَذْبَاءَ شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاءٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

(١) في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب.

(٢) المرجع السابق.

وهنا نحت نجد أنفسنا أمام هدهد عجيب، صاحب إدراك وذكاء وإيمان، وبراعه في عرض النبأ، ويقظة إلى طبيعة موقفه، وتلميح وإيماء أريب، فهو يدرك أن هذه ملكة، وأن هؤلاء رعية، ويدرك أنهم يسجدون للشمس من دون الله، ويدرك أن السجود لها يكون إلا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض، وأنه هو رب العرش العظيم، وما هكذا تدرك الهداهد، إنما هدهد خاص أوتى هذا الإدراك الخاص على سبيل الخارقة التي تخالف المألوف، ولكن الأعجب من ذلك المجهود الجبار الذي قام به الهدهد، ولكي ترى كم من المسافات قطع، وكم من الجهد بذل وضحي، لك أن تعرف أن مملكة سبأ تقع في جنوب الجزيرة باليمن فقطع الهدهد هذه المسافات الشاسعة والفيافي، وبلغ قائده بما رأى^(١).

رابعاً: إيجابية النبي (ﷺ)

قال بن عمر: "ما رأيت أشجع، ولا أنجد، ولا أجود، ولا أرضى من رسول الله (ﷺ)". وقال على (رضي الله عنه): "إننا كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحلق، اتقينا رسول الله (ﷺ) فما يكون أحد قرب إلى العدو منه، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي (ﷺ) وهو أقرنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً".

وقال أنس (رضي الله عنه): "كان عليه الصلاة والسلام أشجع الناس، وأحسن الناس، وأجود الناس، لقد فرغ أهل المدينة ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم — عليه الصلاة والسلام — راجعاً قد سبقهم إلى الصوت، واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحه عري والسيف في عنقه وهو يقول: لن تراعوا^(٢)".

وعندما نعيش مع سنة رسول الله (ﷺ) نجد الحث على الإيجابية والإرشاد إليها ومن ذلك قول النبي (ﷺ): "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم، حتى يأتي أمر الله الله وهم على ذلك"^(٣). وقوله (ﷺ): "بلغوا عني ولو آية"^(٤).

بل في أمور الدنيا يأتيه سائل يطلب عوناً فيرشده النبي (ﷺ) إلى إيجابية العمل، فيبيع

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) نور اليقين في سيرة المرسلين، الشيخ محمد الخضري.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

ما عنده من متاع بدرهمين، ويشترى له أدوات جمع الحطب بدرهم، وطلب منه أن يعطي أهله الدرهم والآخر فيتحطب، فهو ضير له من سؤال الآخرين^(١).

وهكذا، ومن خلال تربية المصطفى (ﷺ) الصحابة رضوان الله عليهم صار كل صحابي أمة لوحدة وما من صحابي إلا وله سمه معينة، وموقف خاص، وإبداع متميز، فمنهم من أشار واقترح، ومنهم من أوضح، ومنهم من أضاف ما استدرك فيما يخدم الدعوة وحركة الإيمان، فسلمان الفارسي يستفيد من خلفيته الحضارية ويقترح حفر الخندق، وحباب بن المنذر يقترح الوقوف في بدر على المساء، وآخر ينصب المجانيق في غزوة الطائف، وأبو بصير يخطط لحرب عصابات بعيدا عن بنود صلح الحديبية، وعمر بن الخطاب يقرب سيفه في نفس الهدنة من أبي جندل طمعان في أن يستله ويقتل اباه دون مؤاخذه على نقض المعاهدة، ويستلم خالد بن الوليد الراية يوم مؤته بلا تأمير، رضى الله عنهم جميعاً.

والمتتبع لمعارك القادسية واليرموك والجسر والبويب يجد لكل صحابي فيها موقفاً مشهوداً، وللصحابة والتابعين بطولات وجولات، نستهل منها فقط قصة ذلك المجهول في القادسية صاحب الإبداع عند ملاقاته الفرس حيث نفرت خيل المسلمين من الفيلة فعمد رجل منهم فصنع فيلاً من طين، وأنس به فرسه حتى ألفه، فلما أصبح لم ينفر فرسه من الفيل، فحمل على الفيل الذي كان يقدمها، فقتل له إنه قاتلك، قال لا ضير من قتل، ويفتح للمسلمين، ولو ترك الجانب العسكري لرأينا في الجانب الاقتصادي ذلك الصحابي الذي توارقه كثرة أبناء المهاجرين والأنصار، فينقل زراعة القمح للحجاز، وعبدالرحمن بن عوف يختبر السوق، فيصفق لنفسه حتى لا يكون عيالا على غيره، وكل ذلك كان مظهرا من مظاهر العمل الإيجابي إيماناً منهم بضرورة ذلك العمل الإيجابي.

وكذلك في إطار الفكر والتربية يسارع عبدالله بن عمرو لتدوين الحديث، وزيد بن ثابت لجمع القرآن، إضافة إلى مسارحته لتعلم العبرانية والسيرانية، إذ قال عن نفسه:

"قال لي رسول الله: أتحسن السيرانية؟ قلت: لا، قال: فتعلمها، فتعلمتها في سبعة عشر يوماً".

وابن عباس يجد بغيته الدعوية في الخروج للأسواق والسلام على الناس، وصحابه تطالب الرسول (ﷺ) بحق النساء فتجمعهن للسماع، وتنقل أسماء بنت عميس بعض تجارب

(١) رواه أبوداود وابن ماجه والترمذي.

أهل الحبشة في كفن المرأة، وغير ذلك وفي الإطار الاجتماعي، يسابق بعضهم بعضاً في التزاور والضيافة ويتحاور أبو الدرداء مع سلمان لبيت الرسول (ﷺ) في أمر المناقشة حول حقوق العيال وقيام الليل.

وإذا وقفنا على بعض النماذج من السيرة فيها هي أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها منذ اللحظة الأولى تبادر بمشاركة الرسول (ﷺ) دعوته، فتؤمن به حسن كفر الناس به، وتعطيه حين حرمه الناس، وتواسيه حين تخلّى عنه الناس عندما قص عليها ما رآه في غار حراء، تعيش بجوارحها كلها معه، تطمئنه وتهدئ من روعه، وتبشره وتسعده: والله لن يخذلك الله ابداً، إنك لتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر.

وهذا ابوبكر رضي الله عنه يصل إلى قمة الإيجابية والمبادرة عندما يأتي بماله كله ويضعه في حجر رسول الله (ﷺ) وعندما يسأله: ماذا تركت لأولادك؟ يقول: تركت لهم الله ورسوله، وفي يوم الفرقان يوم التقى الجمعان تجلت الإيجابية في أعظم أشكالها فهذا سعد بن معاذ يقول لقائده ونبيه (ﷺ):

"قد أئنا بك فصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطينا على ذلك عهدنا وموathقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك؟ ما تخلف منا رجل واحد، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله".

بعد أن خرجوا من أجل العير، جلسوا مع رسول الله (ﷺ) ووعظهم ونصحهم: "والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة، قالوا: خذ منا أموالنا ما شئت واترك منها ما شئت، إن الذي تأخذه أحب إلينا من الذي تتركه"^(١).

إنها الإيجابية في أبهى صورها والعزة في أشمل معانيها، إن عمر رضي الله عنه لقب بالفاروق لأنه بعد إسلامه قال: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟! قال: بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متتم وإن حييتم، قال فقيم الاختفاء؟! والذي بعثك بالحق لنخرجن، وخرج الرسول في صفين عمر في أحدهم وحمزة في الآخر ولهم ككديد الطحين، ونظرت

(١) انظر سيرة ابن هشام.

قريش إلى عمر وحمزة فأصابتهن كآبة لم تصبهن من قبل ذلك قط، ومن هنا سماه رسول الله (ﷺ) الفاروق، وصدق الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) (١).

وعلى هذا الدرب وهذا النهج التربوي القويم ساد من بعد جيل الصحابة جيل التابعين ومن بعدهم المصلحين، الذي حمل رايتهم الأستاذ النورسي، فمن أمثلة العمل الإيجابي البناء وتطبيقاً لقاعدة ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ اتصف الأستاذ النورسي بصفة التسامح مع أشد الناس عداً له وإساءة له، ومن ذلك أن الأستاذ -رحمه الله- لم يكن يدعو على من يحكمونه؛ رحمةً بأهاليهم، وقد همَّ أن يدعي على مدَّعٍ عام ظلمه كثيراً ولما وقعت عينه على طفلة صغيرة وعرف أنها ابنة ذلك المدعي العام كفَّ عن الدعاء عليه، بل إنه سامح الحزب الذي ناصبه العدا، حزب الشعب الجمهوري؛ وذلك لأنه نظر إلى الوجه الآخر من القضية، حيث أن عدا ذلك الحزب أسهم من حيث لم يحتسب ذلك الحزب في نشر رسائل النور والتعريف بها لأعلى المستوى الشعب بل على أعلى المستويات، حيث كانت تُعرض على كبار المسؤولين، ومنهم مَنْ تأثر بها، يقول الأستاذ مبيناً ماسبق من تسامحه داعياً طلاب النور أن يمشوا على منهجه: "على إخوتي في الآخرة أن يتجاوزوا عن الهجوم على أخطاء بعض المخطئين المساكين، وليعدوها من قبيل أهون الشرِّين، ليقوموا بالعمل الإيجابي دائماً؛ لأن العمل السلبي ليس من وظيفتنا؛ ولأن العمل السلبي في الداخل لا يغتفر"....

"لقد ساحت عن جميع حقوقي وعفوت عن حزب من الأحزاب السياسية رغم مقاساتي منه ألوفاً من المضايقات والسجون منذ ثلاثين سنة، فقد أصبحت جميع تلك المشقات والمضايقات وسيلة لخلاص خمسة وتسعين بالمائة من المساكين في أن يسقطوا في مضايقات ومظالم واعتراضات" (٢).

(١) سورة فصلت، الآية ٣٣.

(٢) النورسي، سيرة ذاتية، ص ٤٧٣-٤٧٤.

الغاية

في نهاية حديثنا عن العمل الإيجابي في دعوة النور، أحب أن أذكر بعض ثمرات العمل الإيجابي البناء في تركيا:

لقد كان من ثمرات هذا المنهج الدعوي الذي اختطه الأستاذ النورسي واستمده من نور القرآن الكريم أن جنب تركيا الوقوع في بحار من الدماء، وجنبها المنهج الثوري الدموي، مع أن ما أصاب تركيا على المستوى الرسمي نوع من الكفى البواح الي شن حرباً عنيفة على الإسلام والإيمان، وقد رأى الأستاذ في أخريات حياته بداية انحسار موجات الكفر عن تركيا بتراجع شعبية حزب الشعب الجمهوري الكمالي، وتقدم من الحزب الديمقراطي الذي كان أهون الشرين كما وصفه الأستاذ النورسي^(١).

فقد كان النورسي دائم التشديد والتحذير في رسائله على عدم الوقوع في الأعمال السلبية، ومثال على ذلك قوله:

أيها الأخ التركي:

احذر.. وانتبه..! أنت بالذات قوميتك امتزجت بالإسلام امتزاجاً لا يمكن فصلها عن الإسلام، ومتى ما حاولت عزلها عن الإسلام فقد هلكت إذاً أو انتهى أمرك.. ألا ترى أن جميع مفاخرك في الماضي قد سجلت في سجل الإسلام، وأن تلك المفاخر لا يمكن أن تمحي من الوجود قطعاً فلا تمنعها أنت من قلبك بالاستماع إلى الشبهات التي تثيرها شياطين الإنس^(٢).

وهكذا أرسى بديع الزمان النورسي مسلكه على أسس صلبة، فالتريق الذي اختطه طريق حكيم وملائم للفطرة فقد بدأ بالزام شئ للإنسان، فدعا البشر إلى "التوحيد"، وبعد أن جعل منتسبي طريقه يمدون من مراحل انتقاله في الفكر والقلب والروح، جعلهم يتجولون في الآفاق الرحبة للفكر والتأمل فتشكلت منهم جماعة حصينة وكاملة، واستخدم الحكمة والكلمة اللينة واللسان العذب في تبليغ دعوته، ولم يلتفت أو يهتم أبداً بالأسلوب الخشن الحاد وبالأسلوب الهدام المخرب، واستمد في دعوته بصبر وجلد وتحمل كل الآلام دون

(١) سيرة ذاتية، النورسي، ص ٤٧٣.

(٢) المكتوبات، النورسي، المكتوب السادس والعشرين، ص ٤١٧.

خوف ودون استسلام ودون التخلي عن أسلوبه الإيجابي في التصرف.
ونجح بديع الزمان النورسي في تأسيس جيش فدائي متماسك نقي وحميمي، وأنشأ شخصية معنوية قوية تشع فوراً تجاه الشخصية المعنوية للكفر، وقد تطلع للمستقبل بتفاؤل ولم يقع في اليأس.

عاش مثلما تحدث، وتحدث مثلما عاش، فتربع على عرش القلوب كحقيقة تعيش في الواقع، ففي سبيله وطريقته وطراره وأسلوبه اتخذ الإنسان أساساً ورسم سبل الوصول إليه واهتم كل الاهتمام بإنشاء هذا الإنسان وبكيفية صعوده مدارج الكمال.
وقد أصبح سعيد النورسي المنقذ المنتظر في عصره بإخلاصه التام وتفكيره العميق، وتضحيته اللامعدودة وبتواضعه الكبير وبروحه المتألقة وشفقته الواسعة وشخصيته الكبيرة الخالصة من الأنانية وبخدماته الجليلة وبعبوديته الخالصة الخالية من حب المظاهر وبالتزامه المتين، ومفهومه عن طراز الخدمة — الذي يبدأ من المركز ويتوجه نحو المحيط — فقد بدأ بشخصه وخاطب نفسه ولم تقتصر طاقة خدماته في مكان معين أو بيئة معينة، بل داوم على أداء خدماته المخلصة في كل مكان وفي كل زمان وفي جميع الأحوال.

قائمة المراجع

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - صحيح الإمام البخارى.
- ٣ - صحيح الإمام مسلم.
- ٤ - السنن والمسنايد.
- ٥ - الشيخ عبد الخالق حسن الشريف، الشباب في مرآة الإسلام.
- ٦ - في ظلال القرآن، للأستاذ سيد قطب.
- ٧ - نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ محمد الخضرى.
- ٨ - بديع الزمان النورسي: مجموعة رسائل النور (الكلمات - اللمعات - المكتوبات - الملاحق - صيقل الإسلام - سيرة ذاتية)/ترجمة إحسان قاسم الصالحى - دار سوزلر للنشر - القاهرة - ٢٠٠٨م.

"العمل الإيجابي" في رسائل النور لسعيد النورسي

رؤية دلالية ومعالجة معرفية في البعدين؛ النظري والإجرائي للمصطلح

أ.م.د. عباس أمير*

المحور الأول: مفهوم العمل الإيجابي ومقوماته:

أولاً: العمل الإيجابي - مدخل دلالي وإجراء تنظيري:

جاء في الاستعمال الاجتماعي للجذر اللغوي؛ (عمل)، قولهم؛ «العامل هو الذي يتوَلَّى أمور الرجل في ماله ومُلْكِهِ وعَمَلِهِ ومنه قيل للذي يَسْتَخْرِج الزكاة عامل والعَمَلُ المهنة والفعل (...) وأَعْمَلَ فلان ذَهْنَهُ في كذا وكذا إذا دَبَّرَهُ بفهمه وأَعْمَلَ رَأْيَهُ وآلَتَهُ وَلِسَانَهُ واستَعْمَلَهُ عَمِلَ بِهِ (...) ورجلٌ عَمُولٌ إذا كان كَسُوباً (...) ورجلٌ عَمُولٌ بمعنى رجل عَمِلٌ أي مطبوع على العمل (...) واستَعْمَلَ فلان اللَّيْلَ إذا ما بَنَى بِهِ بِنَاءً (...) ورجلٌ خَبِيثُ الْعِمْلَةِ إذا كان خبيث الكسب (...) وعِمْلَةُ الرجل باطنته في الشرِّ خاصة (...) العُمالة بالضم رِزْقُ العامل الذي جُعِلَ لَهُ عَلَى مَا قُلِّدَ مِنَ الْعَمَلِ (...) ويقال لا تَتَعَمَّلْ في أمر كذا كقولك لا تَتَعَنَّ وقد تَعَمَّلْتَ لَكَ أَي تَعَنَيْتَ مِنْ أَجْلِكَ (...) واليَعْمَلَةُ مِنَ الْإِبْلِ النَّجِيبة الْمُعْتَمَلَةُ المطبوعة على العمل (...) وخبِلٌ مُسْتَعْمَلٌ قد عَمِلَ بِهِ وَمُهِن (...) وَعَمِلَ الْبَرُّ عَمَلاً فَهُوَ عَمِلٌ دَامَ (...) والعوامل بَقَرُ الْحَرْثِ والدِّيَاسَةِ (...) وعاملُ الرُّمَحِ وعاملته صَدْرُهُ دون السِّنَانِ (...) وطريقُ مُعْمَلٍ أَي حُبٌّ مَسْلُوكٌ»^(١).

وجاء في الاستعمال الاجتماعي للجذر اللغوي، قولهم؛ (وجب)، قولهم؛ «وجب الشيء يُجِبُّ وَجُوباً أَي لَزِمَ وَأَوْجَبَهُ هُوَ وَأَوْجَبَهُ اللَّهُ وَاسْتَوْجَبَهُ أَي اسْتَحَقَّهُ... وَأَوْجَبَ الرَّجُلُ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً يُوجِبُ لَهُ الْجَنَّةَ أَوْ النَّارَ... وَأَصْلُ الْوُجُوبِ السُّقُوطُ وَالْوُقُوعُ وَوَجِبَ الْمِثُّ إِذَا سَقَطَ وَمَاتَ وَيُقَالُ لِلْقَتِيلِ وَاجِبٌ.. وَيُقَالُ لِلْبَعِيرِ إِذَا بَرَكَ وَضَرَبَ بِنَفْسِهِ الْأَرْضَ قَدْ وَجِبَ تَوْجِيهاً وَوَجِبَتْ الْإِبِلُ إِذَا أُعْيَتْ... وَوَجِبَ الْقَلْبُ يَجِبُ وَجِباً وَوَجِيهاً وَوُجُوباً وَوَجِبَاناً حَقَّقَ

* باحث عراقي _دكتوراه دراسات نصية قرآنية/رئيس قسم علوم القرآن/كلية التربية/جامعة القادسية

.University of Al-Qadisiyah

(١) لسان العرب، ابن منظور؛ مادة (عمل).

واضطرب، والوجب الخطر وهو السبق الذي يُناضل عليه... وتواجهوا أي تراهنوا فكأن بعضهم أوجب على بعض شيئاً... وقد وجب نفسه توجيهاً إذا عودها ذلك... ووجب فلان نفسه وعياله وفرسه أي عودهم أكله واحدة في النهار وأوجب هو إذا كان يأكل مرة... والوجب سقاء عظيم من جلد تيس وافر وجمعه وجاب... والموجب من الدواب الذي يفزع من كل شيء... ووجبته عن كذا ووكتبته إذا ردته عنه حتى طال وجوبه ووكتبه عنه»^(١) ومقاربة سيميائية ودلالية لما سبق، ومن أجل مقارنة مفهوم (العمل الإيجابي) لدى سعيد النورسي، نخلص إلى أن صفة الإيجابية في العمل، صفة ملازمة للفعل أصلاً، فهي مما يتحقق بها العمل، وهي الفيصل والمعيار الذي به يُحكم للعمل بالقبول والحقانية، ذلك أن أثر الفعل المنوي مشروط باتصافه بالإيجابية. ومن هنا يتضح أن صلة العمل بصفة الإيجابية صلة وجود بحيث أن العمل يتقوم بصفة (الإيجابية) فهي مرتكز وجود وليست صفة زائدة على الوجود العملي للإنسان. ولكي تتحقق صفة الإيجابية في العمل لا بد من تثبيت إرادته وقصده في ذهن العامل ابتداءً، فـ«العمل؛ كل فعل يكون من الحيوان بقصد فهو أخص من الفعل، لأن الفعل قد يُنسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد يُنسب إلى الجمادات»^(٢). وإنها بما يكتسب العمل ضرورته^(٣). ومن هنا يبدو أن (الإيجابية) في العمل ذات جنبه أخلاقية وعقائدية تندرج بموجبها صفة الإيجابية ضمن عنوان؛ (الواجب) شرعاً، أي الذي يقال في ما من شأنه إذا لم يُفعل يُستحق به اللوم، وهو هنا واجب من جهة العقل ومن جهة الشرع، بمعنى أن حقه أن يوجد^(٤).

ولكن هل صفة (الإيجابية) في الفعل أمر متعين في العمل دونما سعي إلى تعيينه وتحقيقه؟ المتعين أخلاقياً وعرفانياً أن العمل «يرجع إلى مجاهدة النفس بإزالة ما لا ينبغي»^(٥)، وأن هذه المجاهدة مجاهدة جسمية وقلبية وعقلية، فـ«العمل هو حركة الجسم والقلب والفكر، فإن تحرك بما يوافق الشريعة سمي طاعة، وإن تحرك بما يخالف الشريعة، سمي معصية، لذلك

(١) المصدر نفسه، مادة؛ (وجب).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني؛ ص ٥٧٨.

(٣) المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا؛ ج ٢/ص ٤٤٢.

(٤) المصدر نفسه؛ ص ٨٥٤.

(٥) موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، الدكتور رفيق العجم؛ ص ٦٨٠.

أجمعوا على أن الشريعة لإصلاح الظواهر، والطريقة لإصلاح الضمائر، والحقيقة لإصلاح السرائر»^(١). ومن هنا، فإن الوصول بالعمل إلى اكتسابه صفة الإيجابية وتحقيق تلك الصفة في الواقع المعيش أمر يستدعي سبقا ومسابقة لأنه مدعاة للتنافس والتميز، ومن ثم، فإنه يستلزم اعتيادا وتعودا^(٢).

ولعل لزوم ديمومة صفة (الإيجابية) في العمل، في الوقت الذي تختلف فيه مظاهر العمل وحقوقه ومجالاته يعني أن النظر في إمكان كمال الجنبه العملية في الإنسان مرهون بإثبات صفة (الإيجابية) فيه، فصفة (الإيجابية) دليل على كمال، وعلامة على تحقق الأثر. فالإيجابية ظرف العمل ومستودعه وسقاؤه، وما منبت العمل الحق إلا في ذلك الظرف، وإلا فلا صفة حق للعمل. وهناك، فضلا عن العمل، مظهر التفكير الإيجابي، والشعور الإيجابي. وهذا يعني أن (الإيجابية) مرتبة عالية من المشاركة الاجتماعية والفاعلية العقلانية والتواصل العاطفي والانسجام النفسي. فالإيجابية في العمل دليل نتوصل به إلى معرفة جودة العمل. وعليه، فإن امتلاك العمل صفة الإيجابية يعني امتلاكنا نحن، أخص مراقبي العمل وطالبي معرفته، دليلا ناجعا على أن العمل نتيجة معقولة لتمام عقلي ومجاهدة نفسية وسوية عاطفية، وأنه يستلزم جهدا عاطفيا يبذله الفرد وهو يتوجه بعمله إلى الآخرين، كيما يؤدي ما أنيط به من عمل عاطفي على أحسن وجه، وهو بذلك، وأثناء ممارسته لعمله وقبل ممارسته، يداخله نوع انشراح وشوق وسعادة وإصرار، وكل ذلك مترتب على طلب أو نزوع وميل نفسيين نحو العمل الذي يحقق صفة الكمال، من حيث إن صفة الكمال كامنة أصلا في العامل الذي يشكّل ما يشبه السّقاء بالنسبة إلى الماء، ثم تفيض صفة الكمال على العمل وتلبّسه نتيجة لامتداد ذات العامل إلى العمل..

ولكي تتحول الإيجابية إلى صفة دائمة وملازمة للعمل لابد من ترويض النفس على العمل حتى يصير ديدنا يُعاد إليه ويُواظب عليه فيُلزم، ولاشك أن مآل تحقق الاعتياد النفسي هو المزيد من القوة والصلابة والثبات، «نعم إن أهم أساس في مسلكنا بعد الإخلاص التام هو الثبات والمتانة. وبهذه المتانة حدثت وقائع كثيرة أثبتت أن هؤلاء الذين نذروا حياتهم في خدمة النور يقابل كل منهم مائة شخص، فالشخص الاعتيادي الذي لا يتجاوز عمره

(١) المصدر نفسه؛ ص ٦٨١.

الثلاثين قد فاق أولياء يتجاوزون الستين من العمر»^(١).

وبناء على ما سبق كله، وبمقاربة أخرى لما ورد في (كليات رسائل النور)، ممتدا ومستفيضا، صريحا مرة ومنسريا في أثناء الحديث مرة أخرى، وبتقصّ حريص لحشيات ذلك الحديث ومعالجاته ورؤاه وأفكاره المتعلقة بمفهوم العمل الإيجابي، نخلص، من خلال الجمع بين حقلي المعجم اللغوي وكليات رسائل النور إلى المقوّمات والعناصر الآتية التي تشكل البنية التكوينية لمفهوم العمل الإيجابي لدى النورسي.

ثانياً: مقوّمات العمل الإيجابي:

١- المشاركة والحوار: لعل المعنى الأهم من معاني كلمة (عمل) هو المعنى المنطوي على فكرة مشاركة الآخر بالولاية، بكل ما تعنيه هذه الولاية من معاني النصر والحب والمخالفة، فضلا عما تشتمل عليه كلمة (الولي) من معاني؛ الرّبّ والمالك والسّيّد والمنعم والمعتق والتّابع والعقيد والعبد والمنعم عليه^(٢).

إن التوجّه إلى الآخر بالعمل ومشاركته له في أمره وشأنه مشاركة الناصر المحب المخالف هو الأصل الذي تبنى عليه صفة الإيجابية في العمل، «بمعنى أوسع، تُفهم المشاركة بوصفها أفعالا إيجابية يؤديها الأفراد نحو مجتمعهم»^(٣). وهذا هو المرتكز الذي يستند إليه النورسي وهو يتوجه إلى طلابه بقوله؛ «في مثل هذه الاوقات العصيبة، وامام هذه الاحداث الجسام، فان اعظم قوة لدينا - بعد قوة الاخلاص - هي قوة "الاشترك في الأعمال الآخروية" اذ يكتب كل منكم في دفتر اعمال اخوته حسنات كثيرة مثلما يرسل بلسانه الإمداد والعون إلى قلعة التقوى وخنادقها»^(٤). ومن ثم فإن «أجمع علاج في هذه الدنيا، ولاسيما في هذا الزمان، وبخاصة المبتلين بالمصائب، ولطلاب النور الذين انتابهم ضجر شديد ويأس قائم هو: تسليّة أحدهم الآخر، وإدخال السرور في قلبه، وإمداد قوته المعنوية وضمد جراحات الضيق والحزن والسأم، وتلطيف قلبه المغموم، كأخ حقيقي مضجّ. إذ الأخوة الحقّة والآخروية التي تربطكم لا

(١) كليات رسائل النور، مج ٧، الملاحق؛ ص ٢١٦.

(٢) لسان العرب، مادة؛ (ولى).

(٣) مفاتيح اصطلاحية جديدة - معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت؛ ٦٢٠.

(٤) كليات رسائل النور، مج ٧، الملاحق؛ ص ٧٠ - ٧١.

تتحمل التحيُّز والإغاطة»^(١). وإذا كانت القاعدة في العمل المادي _ الشُّغل، هي المشاركة فهي في العمل المعنوي أولى، والعمل العبادي بها أحق، ولا شك أن نتائجها أنجع، «إذ سيدخل مجموع أعمال المشتركين، وجميع النور النابع منها، سيدخل بتمامه في دفتر أعمال كل منه.. وهذا أمر مشهود وواقع بين أهل الحقيقة، وهو من مقتضيات سعة رحمة الله سبحانه وكرمه المطلق»^(٢). وهكذا يجيء النداء الحميم حثيثاً؛ «فيا طلاب رسائل النور و يا خدام القرآن! نحن جميعاً أجزاء وأعضاء في شخصية معنوية جديرة بأن يطلق عليها: الإنسان الكامل.. ونحن جميعاً بمثابة تروس ودواليب معمل ينسج السعادة الأبدية في حياة خالدة. فنحن خدام عاملون في سفينة ربانية تسير بالأمة المحمدية إلى شاطئ السلامة وهي دار السلام»^(٣).

٢- الصِّحة والجودة: إن أعمال الذهن في الشيء وتدبّره بفهمه رأياً وآلةً ولساناً، واستعمال كل ذلك أثناء ممارسة العمل وقبل ممارسته، هو الشرط الرئيس للانتقال بالعمل من مرتبة الفعل العُقل إلى مرتبة الصحة والجودة، وهو ما يشكّل منطلقاً رئيساً من منطلقات امتلاك العمل إيجابيته، وهذا ما وعاه النورسي بعمق وهو يؤكد في أكثر من مرة، شرط الإخلاص في العمل ولكن بقرينة التفكّر في أن الدافع إلى العمل هو الأمر الإلهي لا غير، وأن نتيجته هي كسب رضاه وحده، ثم عدم التدخل في الشؤون الإلهية^(٤).

٣- الطوعية: و لا يقل أهمية عن المعنيين السابقين، المعنى الذي يؤكد صفة الطبع في العمل الحق، وأنها شرط في جودته. ومن هنا نفهم قرن الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم، ذلك أن صلاح العمل لا يتحقق كما يجب إن لم تتحول الممارسة العملية إلى ممارسة طوعية، وهنا يصير العمل خدمة، وفي الخدمة «لذة تفوق كل شيء، حتى أنها تفوق مرارة الجوع وترجح على ألم الموت»^(٥).

(١) كليات رسائل النور، مج ٣، اللغات؛ ص ٥٤٥.

(٢) المصدر نفسه؛ ص ٢٤٩.

(٣) المصدر نفسه؛ ص ٢٤٣.

(٤) المصدر نفسه؛ ص ٢٠١.

(٥) المصدر نفسه؛ ص ١٩٠.

٤- البنائية، أو بنيوية العمل: للبنية معنى خاص، مفاده؛ «وهو إطلاقها على الكل المؤلف من الظواهر المتضامنة، بحيث تكون كل ظاهرة منها تابعة للظواهر الأخرى، ومتعلقة بها»^(١). والبناء هو؛ «مجموعة القوانين التي تحكم سلوك النظام ومكوناته إذ يمكن أن تحل إحداها محل الأخرى»^(٢) وشرط البنائية في العمل، على وفق مفهوم البنية، شرط جودة ودليل إيجابية. ومن هنا نفهم قول النورسي، «إن الحياة نتيجة الوحدة والاتحاد، فإذا ذهب الاتحاد المندمج الممتزج، فالحياة المعنوية تذهب أيضا أدراج الرياح»^(٣). وهو يخاطب طلاب رسائل النور؛ «فإن بضع أشخاص من أمثالكم من خدام الحق إذا عمل كل منهم على انفراد من دون اعتبار لتقسيم الأعمال فإن قوتهم تكون بقوة ثلاثة أو أربعة أشخاص، بينما إذا ما عملوا متساندين بأخوة حقيقية، مفتخرا كل منهم بفضائل الآخرين، حتى يبلغوا سر الفناء في الأخوة ان يكون أحدهم هو الآخر بنفسه، أقول: إنهم إذا ما عملوا هكذا فإن قيمة أولئك الأشخاص الأربعة تكون بمثابة أربعائة شخص»^(٤). ويقول في موضع آخر؛ «إن هذا الزمان-لأهل الحقيقة- زمان الجماعة، وليس زمان الشخصية الفردية وإظهار الفردية والأنانية. فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة ينفذ حكمه ويصمد تجاه الأعاصير. فالأجل الحصول على حوض عظيم، ينبغي للفرد إلقاء شخصيته وأنانيته في ذلك الحوض وإذابتها فيه. وإلا ستذوب حتما تلك القطعة من الثلج، وتذهب هباء وتفتت الفرصة من الاستفادة من ذلك الحوض أيضا»^(٥). ولديمومة هذه الرؤية البنيوية التي تفضي بالعمل إلى تحقيق إيجابيته، يؤسس النورسي لدرسات بنيوية تحفظ للعمل تلك الديمومة، ومنها هذا الدستور النفسي ذي الطابع البنائي، بامتياز، فيقول في الدستور الثاني؛ «دستوركم الثاني هو عدم انتقاد إخوانكم العاملين في هذه الخدمة القرآنية، وعدم إثارة نوازع الغبطة بالتفاخر والاستعلاء. لأنه كما لا تحاسد في جسم

(١) المعجم الفلسفي؛ ج ١/ ص ٢١٨.

(٢) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، الدكتور نعمان بو قرة؛ ص ٩٤.

(٣) كليات رسائل النور؛ مج ٧، الملاحق؛ ص ٥٨.

(٤) المصدر نفسه؛ ص ٥٩.

(٥) المصدر نفسه؛ ص ١٦٣.

الانسان بين اليدين، و لا انتقاد بين العينين، و لا يعترض اللسان على الأذن، ولا يرى القلب عيب الروح، بل يكمل كل منه نقص الآخر ويستتر تقصيره ويسعى لحاجته، ويعاونه في خدمته.. وإلا انطفأت حياة ذلك الجسد، ولغادرته الروح وتمزق الجسم»^(١).

٥- الإرادة الواعية والجهد الشعوري: العمل فعل إرادي واع، يستلزم مزيدا من الشقاء والعناء والجهد والمجاهدة. و لاشك أن أصى أنواع المجاهدة ذلك النوع الذي يستلزم عناء نفسيا وشعوريا يستطيع العامل بوساطته تخطي ما يعترضه من عقبات خارجية وداخلية. ولهذا يقول النورسي؛ «أما الآلام والأوجاع الروحية، فهي أسواط ربانية تحت على المجاهدة والصبر، إذ تقتضي الحكمة الحيلولة دون الوقوع في اليأس وكذلك دون البقاء في الاطمئنان والأمان، وذلك بالموازنة بين الخوف والرجاء، مع التحمل بالصبر والتحلي بالشكر»^(٢). ويترب على ذلك أن امتلاك العمل مقوم الإرادة الواعية والجهد الشعوري يستلزم اعتماد مبدأ التضحية، وذلك على وفق النورسي؛ «إننا مكلفون بالتضحية بحياتنا وكرامتنا وسعادتنا الدنيوية (...) وبهذا تُسكتون النفس الأمارة. وإن دار حول مسألة نقاش ونزاع، فشاؤروا بعضكم. لا تشددوا، أوغلوا برفق، الناس ليسوا سواسية في المشارب. ينبغي أن يتسامح بعضكم مع البعض الآخر»^(٣).

٦- الدافعية: يطلق مصطلح (الدافع) على ما يحرك نشاط الإنسان، وما يضبطه من حيث الجنبية الانفعالية التي تضبط نشاط الفرد وتدفعه إلى الحركة نحو غايته، فهو إذاً مبدأ الفعل والتغيير. ودوماً هناك «دافعان يؤثران في سلوك الإنسان، ويحددان اتجاهه، الأول هو ما تنطوي عليه طبيعته من الغرائز العمياء، والثاني هو ما يتضمنه عقله من التصورات الواضحة، فإذا خضع الإنسان للدافع الأول كان مسيراً بالأهواء، وإذا خضع للدافع الثاني كان عمله معقولا»^(٤). و لا شك أن خيرية العمل الأول

(١) المصدر نفسه؛ مج ٣، اللمعات؛ ص ٢٤٢.

(٢) المصدر نفسه؛ مج ٧، الملاحق؛ ص ١٠٢.

(٣) كليات رسائل النور؛ مج ٧، الملاحق؛ ص ٢١١ - ٢١٢.

(٤) المعجم الفلسفي؛ ج ١/ ص ٥٥٧.

ونقاءه من جهة، و خبثه وردائه من ناحية أخرى مرتبطان ارتباطا وثيقا بتلك الدوافع الباطنة) التي لاحت الإشارة إليها في معرض سرد مرات الاستعمال الاجتماعي لمادة (عمل).

ولعلنا لا نحافى الحقيقة إذا قلنا إن أكثر ما شغل النورسي وهو يؤسس لـ(عمله الإيجابي) هو تلك الدوافع، وإن عنايته بتخلية نفس (العامل) من الدوافع السلبية كان المقدم عنده، ذلك لأن تخلية النفس من أهوائها يعني العود بها إلى فطرتها السليمة، فطرة النقاء والخيرية والإخلاص والعدالة. وعلى هذا الأساس لا يمكن الجمع بين الدافعين السلبي والإيجابي بدءا بتحقيق نية العمل، وخلوصا إلى تحقيقه في الواقع المجتمعي. لهذا كله نجد يقول مثلاً؛ «العداء والمحبة نقيضان- كما لا يخفى - فهما كالنور والظلام لا يجتمعان معا بمعناهما الحقيقي أبدا. فإذا ما اجتمعت دواعي المحبة وترجحت أسبابها فأرست أسسها في القلب، استحالت العداوة إلى عداء صوري، بل انقلبت إلى صورة العطف والإشفاق، إذ المؤمن يحب أخاه، وعليه أن يوده، فأما تصرف مشين يصدر من أخيه يحمله على الإشفاق عليه، وعلى الجد في محاولة إصلاحه بالدين والرفق دون اللجوء إلى القوة والتحكم (...). أما إذا تغلبت أسباب العداوة والبغضاء وتمكنت في القلب، فإن المحبة تنقلب عندئذ إلى محبة شكلية تلبس لبوس التصنع والتملق»^(١). وهكذا يتميز الدافع من الدافع، ويرجح دافع المحبة ويحقق قوامه وقيموميته على الضد من دافع العداء، وتصير المحبة علاجاً ناجعاً، ويتحقق بها قوام «العمل الإيجابي البناء»، وهو؛ «عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين، أو التهوين من شأنهم»^(٢). وأما الذي على الطرف الآخر للعمل الإيجابي البناء فهو الفساد والمفاسد، «فاعلم، إن المفاسد التي هي سبب العداء والبغضاء كثيفة في نظر الحقيقة، كالتراب والشر نفسه، وشأن الكثيف أنه لا يسري و لا ينعكس إلى الغير - إلا ما يتعلمه الإنسان من شر من الآخرين - بينما البر والإحسان وغيرهما من أسباب المحبة فهي لطيفة كالنور وكالمحبة نفسها، ومن شأن النور الانعكاس والسرمان إلى الغير»^(٣). وهكذا يرجح دافع الإيمان بعده محرّكا وموجّها وضابطا للعمل، فيقول النورسي؛

(١) كليات رسائل النور، مج ٢، المكتوبات؛ ص ٣٤٠.

(٢) المصدر نفسه؛ مج ٣، اللمعات؛ ص ٢٢٨.

(٣) المصدر نفسه؛ مج ٢، المكتوبات؛ ص ٣٤٣.

«نعم إن الإيمان بعقيدة واحدة، يستدعي حتما توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد، و وحدة العقيدة هذه، تقتضي وحدة المجتمع. فأنت تستشعر بنوع من الرابطة مع من يعيش معك في طابور واحد (...) فما بالك بالإيمان الذي يهب لك من النور والشعور ما يريك به من علاقات الوحدة الكثيرة، وروابط الاتفاق العديدة، ووشائج الأخوة الوفيرة ما نبلغ عدد الأسماء الحسنی»^(١).

إن تأسيس دافعية العمل تأسيسا (جوانيا) باطنيا ابتداء هو الذي يجعل العمل ناجعا، وإن كانت البيئة التي يجري فيها هذا العمل بيئة اختلاف، ذلك أن الاختلاف المنضبط بدافع المحبة اختلاف يقبل الآخر، ويحرص على تصحيح مسارات النقص ويحرص على رأب الصدع والإصلاح، على عكس الاختلاف الذي يحركه الدافع السلبي، الذي مبعثه الحقد والضعينة والعداوة^(٢). وهنا يرشح الدافع الإيماني بعدد ضابطا لطلب الحقيقة، التي إن طلبت بتوجيه من ذلك الدافع صار طلبها هينا، وصارت مظاهرها أكثر جلاء، أما إن كان طلب الحقيقة منضبطا بدافع الهوى النفسي ممثلا بالتسلط والاستعلاء وإشباع الشهوات ونيل الشهرة وحب الظهور... الخ، فلا ظهور إيجابيا للحقيقة^(٣).

ولأن لكل شيء ثمرة، فثمرة ذلك الدافع الإيماني، الإخلاص في العمل والعدالة في النظر إلى الآخر^(٤)، وهو ما يشكل من زاوية أخرى مقوما جديدا من مقومات العمل الإيجابي، وسببا رئيسا من أسباب ديمومته، «فإذا لم يكن العمل خالصا لله وحده، فإن الحسد يتدخل فيفسد العمل»^(٥). والذي يجعل الإنسان يحرز الإخلاص «هو تفكره في أن الدافع إلى الإخلاص هو الامتثال للأمر الإلهي»^(٦). وعلى أساس، أن الإخلاص، وإن كان في أعمال الشر، «لا يذهب سدى، ولا يكون دون نتيجة»^(٧)، يجد المخلصون آثار إخلاصهم فيهم؛

(١) كليات رسائل النور؛ مج ٢، المكتوبات؛ ص ٣٤١.

(٢) انظر: المصدر نفسه؛ ص ٣٤٧.

(٣) انظر: المصدر نفسه؛ ص ٣٤٧.

(٤) انظر: المصدر نفسه؛ ص ٣٥٠.

(٥) انظر: المصدر نفسه؛ ص ٥٥١.

(٦) المصدر نفسه؛ مج ٣، اللمعات؛ ص ٢٠١.

(٧) المصدر نفسه؛ ص ٢٢٨.

عبودية عزيزة، ولينا ولكن دونما ذلة لمخلوق، وفقرا ولكن إلى الله لا إلى العباد، وضعفا مستندا إلى قوة سيدهم المطلقة^(١). وللإخلاص، على وفق النورسي مقومات دافعية هو الآخر، هي؛ العمل بمقتضى المحبة، وتحري روابط التلاقي والاتفاق والانسجام مع الآخر، واتخاذ دستور الإنصاف دليلا ومرشدا إلى قبول الآخر، والبحث عما يحقق الاتفاق مع أهل الحق، على الرغم من مخالفتهم في الجزئيات، والقوة المعنوية المتأتية من تضامن الجماعة، وترك غرور النفس، وما يُصوّر أنه ليس صحيحا في الآخر، وترك دواعي الحسد والمنافسة السالبة^(٢).

٧- المهارة والتخصص والمهنية أو واقعية العمل ومثاليته: جاء في الاستعمال الاجتماعي لكلمة (عمل)، مما سبق بيانه في موضع قريب، قولهم؛ «جَبَلٌ مُسْتَعْمَلٌ» قد عُمِلَ به ومُنِهَن، وقولهم؛ «العَوَامِلُ بَقَرُ الْحَرْثِ وَالْدِّيَاسَةِ». ويقول النورسي، وهو يمايز بين التراجع المجتمعي والحضاري لأهل الحق مقارنة بتقدم أهل الضلالة؛ «إن اختلاف أهل الحق ليس ناشئا من فقدان الشهامة والرجولة ولا من انحطاط الهمة وانعدام الحمية، كما أن الاتفاق الجاد بين الغافلين الضالين الذين ييغون الدنيا في أمورهم ليس ناشئا من الشهامة والرجولة ولا من الحمية وعلو الهمة. بل إن أهل الحق وجهوا نظرهم إلى ثواب الآخرة- على الأكثر- فتوزع ما لديهم من حمية وشهامة إلى تلك المسائل المهمة والكثيرة، ونظرا لكونهم لا يصرفون أكثر وقتهم-الذي هو رأس مالهم الحقيقي- إلى مسألة معينة واحدة، فلا ينعقد اتفاقهم عقدا محكما مع السالكين في نهج الحق، حيث إن المسائل كثيرة والميدان واسع جدا. أما الدنيويون الغافلون، فلكونهم يحصرون نظرهم حصرا في الحياة الدنيا-فهي أكبر همهم ومبلغ علمهم- تراهم يرتبطون معها بأوثق رباط وبكل ما لديهم من مشاعر وروح وقلب»، ويستطرد حتى يقول؛ «ولا يقولن أحدكم: "سأصرف وقتي الثمين في قراءة الأوراد والأذكار والتأمل، بدلا من أن أصرفه في مثل هذه الأمور الجزئية" فينسحب من الميدان ويصبح وسيلة في توهين الاتفاق والاتحاد وسببا في ضعف الجماعة المسلمة،

(١) انظر: المصدر نفسه؛ ص ١٨١.

(٢) انظر: المصدر نفسه؛ ص ٢٢٨-٢٢٩.

ذلك لأن المسائل التي تظنونها جزئية وبسيطة ربما هي على جانب عظيم من الأهمية في هذا الجهاد المعنوي»^(١). والذي يُستظهر من كلام النورسي، هو إيمانه بضرورة أن يكون العمل واقعيًا، مع مراعاته الجنبه المثالية والمعنوية المراعاة التي توازن بين العمل الآخروي والعمل الدنيوي دونما تضحية بأحدهما على حساب الآخر. ويذهب إلى أبعد من ذلك فيقول؛ «إن شرا قليلا يُقبل به للحصول على خير كثير، إذ لو ترك شرّ ينتج خيرا كثيرا للحيلولة دون حصول ذلك الشر القليل، لحصل عندئذ شر كثير»^(٢). وفضلا عما سبق، فالعمل الإيجابي عمل تخصصي، يراعى فيه جنبه المهنية لأنه يلزمه شرط التخصص والمهنية يكتسب مهارته ويحقق آثاره المجتمعية.

٨- التابعة: وهاهنا، مقوم آخر قلما يُلتفت إليه بغية تحقيق العمل إيجابيته، ألا وهو أن يتخلص العامل لحظة نيّته أداء عمله، وفي أثناء أدائه، من هاجس القيادة، أن يكون متبوعا لا تابعا.

وقد جاء في الاستعمال الاجتماعي لكلمة (عمل)، مما توقفنا عنده في موضع سابق، قولهم؛ «وعاملُ الرّمح وعاملته صدّره دون السنّان»، ولا شك أن صدر الرمح دون سنانه، فهو تالٍ له تابع في وجوده العملي لعمل السنّان، بل إنه حامل للسنّان، وإن السنّان مركّز في تحقيقه لغايته إلى قوة الصدر في الرمح. وبمقاربة هذا المعنى سيميائيا يتضح أن قوة العمل والعاملين كائنة، في جانب من جوانبها، في من يشكّلون صدر العمل لا سنانه. وهذا ما يتوقف عنده النورسي بنباهة فدّة، إذ يقول، وهو يعرض للأمراض الاجتماعية الناشئة عن فقدان الإخلاص المترتب على ممارسة العمل بدفاعيته السالبة، ثم يصف العلاج قائلا؛ «وعلاج هذا المرض الوبيل ودواؤه هو: الافتخار بصحبة السالكين في منهج الحق، وربط غرى المحبة معهم (...) ثم السير من خلفهم وترك شرف الإمامة لهم (...)» ثم إثارة البقاء في مستوى التابع دون التطلع إلى تسلم المسؤولية التي قلما تسلم من الأخطار»^(٣).

(١) كليات رسائل النور، مج ٣، اللغات؛ ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٢) المصدر نفسه، مج ٢، المكتوبات؛ ص ٥٢.

(٣) كليات رسائل النور، مج ٣، اللغات؛ ص ٢٣٢-٢٣٣.

المحور الثاني: هوية العمل الإيجابي:

للهوية، «علاقة بالتطابق مع الذات عند شخص ما أو جماعة اجتماعية ما في جميع الأزمنة وجميع الأحوال؛ فهي تتعلق بكون شخص ما أو كون جماعة ما قادرا أو قادرة على الاستمرار في أن تكون ذاتها، وليس شخصا أو شيئا آخر (...) ويتركز سؤال الهوية على تأكيد مبادئ الوحدة، في مقابل التعدد والكثرة، والاستمرار، في مقابل التغيّر والتحوّل»^(١). ونحن إذ ننظر في مفهوم العمل الإيجابي لدى سعيد النورسي، نجد أن النورسي يحرص، وهو يؤسس لعمله الإيجابي، على أن يستتب مفهوم العمل وجوده المعرفي والاجتماعي في تربته الخاصة التي تشكّل حاضنته الاجتماعية والثقافية. فالعمل الإيجابي لدى النورسي سلوك الأمة ذاتها، بكل ما لتلك الأمة من خصوصية عقدية وحضارية، والأمة بمجنتيتها العقائدية والحضارية هي الضامن التاريخي والاجتماعي والثقافي لديمومة ذلك العمل واستمراره ونجاحته، فالعمل الإيجابي لدى النورسي ليس شيئا آخر غير ما أراده القرآن للأمة، وهو ليس صفة أخرى غير ما أرادته الأمة لأبنائها، بكل ما لتلك الأمة من صفات التعدد والكثرة والتنوع. وعلى هذا الأساس، هاهنا توقف عند جنبتي تلك الهوية، وهما؛ الجنبّة القرآنية، والجنبّة الحضارية.

أولا: قرآنية العمل الإيجابي:

لعل محاولة الكشف عن ملامح الهوية القرآنية للعمل الإيجابي لدى النورسي لا تستلزم مزيد عناء، ذلك أن الأصل الوجودي والمهرمنيوطيقي لبنيان كليات رسائل النور بمجمله هو أصل قرآني. ولكن المحاولة تبدو غير ذلك حينما يُقصد بها الكيفية التي فهم بها النورسي النص القرآني واستنطقه وثوّر معانيه، ثم الكيفية التي تم بوساطتها للنورسي تنزيل معاني القرآن الكريم على الواقع الفردي والمجتمعي. خلاصة القول إن محاولتنا تقصّي الهوية القرآنية للعمل الإيجابي يقتضي تجاوز الأشكال البسيطة للتوظيف النورسي للنص الكريم، إلى البحث في الأصل الجامع الذي لنا أن نرد إليه كل ما ورد من آيات قرآنية استند إليها النورسي في تأسيسه لمفهوم العمل الإيجابي، بغية تحقيق رؤية معرفية إبيستمولوجية لتلك الهوية. وها هنا، محاولة في ذلك، من خلال نصين قرآنيين، لهما علاقة بالعمل الذي يستلزم فيه القرآن الكريم ما يستلزم من أجل امتلاكه جودته وإيجابيته.

(١) مفاتيح اصطلاحية جديدة؛ ص ٧٠٠-٧٠١.

١ - قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّزِ الْعَالَمِينَ﴾ (١). وقد جاء في تفسير الآية المباركة: «كل من ظهر بدعوى أو تعرض لمقام من المقامات يقال له: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، فإن كان إمره مبنياً على أساس الإخلاص والتقوى ثبت وانتهض، وشعشع نوره، وإن كان مبنياً على غير أساس، افتضح وكسف نوره، وسيرد الجميع إلى عالم الغيب والشهادة، فيجازي كلاً بعلمه» (٢).

٢ - جاء في القرآن الكريم، في معرض قصه لتسخير الشياطين والجن لسليمان، قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرَبٍ وَنَسْجٍ وَتَمْثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَةٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٣). وقد ورد، في معرض سرد صفات أولئك العاملين، أنهم كانوا يعملون أعمالاً كثيرة ومتنوعة، مطيعين يعملون بخفاء، وأنهم لا يؤذون أحداً أثناء أدائهم عملهم، وأنهم دائبون في العمل غير منقطعين، كما أن عملهم في طاعة الله، وبالمقابل ثمة الجنبه العبادية في العمل، وهي أن آل داود مطالبون بعمل يوجب الشكر، أو إنهم يعملون، وهم في حالة من الامتنان والشكر، وأن الغاية من العمل ليست شيئاً سوى شكر الله سبحانه، وأن معيارية ذلك الشكر هي الانشغال به باطنا وظاهراً، فهو صادر عن إرادة واعية (٤).

٣ - ويقول سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٥). وقد جاء في تفسير الآية، وجوه، منها: - أيكم أحسن عقلاً، وأردع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله (٦). - أيكم أخلص عملاً وأصوب، لأنه إذا كان خالصاً غير صواب لم يقبل، وكذلك إذا

(١) سورة التوبة؛ آية؛ ١٠٥.

(٢) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، تحقيق وتعليق أحمد عبد الله القرشي رسلان؛ مج ٣/ص ٤٢٦.

(٣) سورة سبأ؛ آية؛ ١٣.

(٤) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد؛ مج ٤، ص ٤٨٠.

(٥) سورة الملوك؛ آية؛ ١-٢.

(٦) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي؛ ج ١٠/ص ٢٢٠.

كان صواباً غير خالص، والخالص الذي يكون لله تعالى بإرادة القلب^(١).
والبيّن من النص الكريم أن العمل معنويًا عباديًا كان أم دنيويًا مهنيًا، موضع اختبار
وامتحان، وأن حسن العمل سواء كان ذلك الحسن مُمثلاً باستناد العمل إلى فكر نيرٍ وعلم
فدٍّ، أو مُمثلاً بالصحة والتمام والجودة والخلوص، يشكل الملامح الرئيسة للإيجابية العمل. وهو
ما استند إليه النورسي وهو يؤسس لمفهوم العمل الإيجابي.

ولعل عودة أخرى إلى كليات رسائل النور تكشف لنا عن تسرّب تلك الكليات
القرآنية الأربع إلى أصول معرفية يبتني عليها النورسي معالجاته الجزئية لقضية العمل الإيجابي في
هذا الموضوع أو ذاك من مواضع كليات النور. وإذا عرفنا أن الأصل يطلق، في نقد مبادئ
العلوم وفرضياتها ونتائجها وأصلها المنطقي، على الأسباب الفاعلة أو الظرفية المؤثرة في تكوين
المعرفة^(٢)، خلصنا إلى أن القرآن الكريم عامة، والآيات القرآنية السابقة خاصة تشكل بنية
تحتية ينطلق منها البنيان النورسي للعمل، ويستند إليها، النشاط العقلي النورسي وهو يحاول
أن يوائم بين تلك الكليات النورانية في الرسائل المواءمة التي نستطيع من خلالها أن نتلمس
نظرية معرفية نورسية ذات هوية قرآنية. وهكذا نفهم قول النورسي؛ «إن القرآن الكريم بمثابة
عقل الأرض وفكرها الثاقب، فلو خرج القرآن - والعياذ بالله - من هذه الأرض لجُثَّت
الأرض، وليس ببعيد أن تنطح رأسها الذي أصبح خالياً من العقل بإحدى السيارات
وتتسبب في حدوث قيامة. أجل إن القرآن عروة وثقى وحبل الله المتين يربط ما بين العرش
والفرش، وهو يقوم بحفظ الأرض أكثر مما تقوم به الجاذبية، ورسائل النور هي التفسير
الحقيقي والتفسير القوي لهذا القرآن العظيم»^(٣). ويعزّز النورسي هذه الرؤية الإيجابية العلمية
التي يستند إليها في تقرير مفهوم العمل الإيجابي، فيقول؛ «إن جمل القرآن الحكيم لا تنحصر
في معنى واحد، بل هي في حكم كلي يتضمن معاني لكل طبقة من طبقات البشرية، وذلك
لكون القرآن الكريم خطاباً لعموم طبقات البشر. لذا فالمعاني المبينة في حكم جزئيات لتلك
القاعدة الكلية، فيذكر كل مفسر، وكل عارف بالله جزءاً من ذلك المعنى الكلي ويستند في

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، التستري، حققه وضبطه طه عبد الرؤوف سعد، و سعد حسن محمد
علي؛ ص ٢٨٣.

(٢) المعجم الفلسفي؛ ج ١ / ص ٩٩.

(٣) كليات رسائل النور؛ مج ٤، الشعاعات؛ ص ٤٤٤.

تفسيره هذا إما إلى كشافاته أو إلى دليله أو إلى مشربه، فيرجح معنى من المعاني^(١). وبناء على هذه القناعة المعرفية التي تكشف عن أصولها المنهجية، وتنزيلا لها على الواقع، يقول في موضع آخر: «إن الشخص المعنوي لرسائل النور قد شخّص أمراض هذا العصر الاجتماعية والروحية والدينية، وعرض لإنسان هذا العصر بعناية الله ما يداويه من العلل الاجتماعية المزمنة بأدوية نابعة من حقائق القرآن»^(٢)، ولاشك أن العمل الإيجابي أحد أهم الأدوية التي نبتت من تربة القرآن، فهي صبغته المعرفية، وإجراؤه البشري، وهو هويته الثقافية والاجتماعية.

ولنتوجه الآن إلى بعض المعالجات الجزئية المترتبة على ذلك الأصل، ولننظر إلى النورسي، وهو يؤكد مفهوم الإخلاص بعدّه مقوّمًا رئيسًا من مقوّمات العمل الإيجابي، ويضع دساتير أو معايير ضابطة لذلك الإخلاص. يقول في الدستور الأول والأهم عنده: «دستوركم الأول: ابتغاء مرضاة الله في عملكم (...) لذا ينبغي جعل رضى الله وحده دون سواه القصد الأساسي في هذه الخدمة.. خدمة القرآن»^(٣). ولهذا يصير الصبر والشكر في أثناء أداء العمل أثرا خارقا من آثار الإحسان الإلهي للعاملين، وتصير المصائب والمضايقات وسيلة لكسب ثواب أكثر ونيل أجر أكبر، ويترتب على ذلك الالتذاذ بنوع سعادة داخلية كلذة السعادة الأبدية، وهذا ما لا يكون إلا لأولئك العاملين الإيجابيين، وبامتياز^(٤). وكل ذلك لأن «الدين ليس عبارة عن الإيمان فقط، بل العمل الصالح أيضا هو الجزء الثاني من الدين (...) ورسائل النور تضع مع كل شخص في كل وقت رقبيا معنويا من جهة العمل الصالح ومن جهة الإيمان»^(٥).

ولعلنا، ونحن ننظر إلى هذه المعالجات الجزئية على ضوء تلك الكليات، وبهدي من ذلك الأصل، نستطيع أن نخلص إلى آلية التساند والتعاقد، ومنهجية التخارج والتداخل الكائنة بين تلك الآيات الأصول وبين هذه المعالجات الفروع، بما يثبت مرة أخرى الهوية القرآنية لمفهوم العمل الإيجابي وإجراءاته لدى النورسي.

(١) المصدر نفسه، مج ٢، المكتوبات؛ ص ٤٢٢.

(٢) كليات رسائل النور؛ مج ٤، الشعاعات؛ ص ٥٠١.

(٣) كليات رسائل النور؛ مج ٣، اللغات؛ ص ٢٤٢.

(٤) المصدر نفسه؛ مج ٤، الشعاعات؛ ص ٣٦٧.

(٥) المصدر نفسه؛ مج ٤، الشعاعات؛ ص ٣٣٨.

٢- حضارية العمل الإيجابي:

لا شك أن بقاء المنجز الحضاري وديمومته أهم من أوليّة نشأته، و لا شك أيضا أن ديمومة الحضارة مرهونة بشروطها التي تتجاوز صفتها التاريخية إلى صفتها الثقافية والاجتماعية. وغير خاف أن السبب الرئيس الذي ضمن للحضارة الإسلامية قدرة البقاء والانبعاث هو النص القرآني الحضارة. فالحضارة لا تنحصر في المنجز المادي ممثلا بالجوانب المادية؛ العمرانية والاقتصادية والتنظيمية، وإنما تمتد لتشمل الجنبه الثقافية التي «تعنى بالجوانب المعرفية والأخلاقية والروحية والجمالية. وأن مكان العقائد والأديان إنما يحتل مساحة ما من الجانب الثقافي للحضارة»^(١). هاتان الجنبتان المتضافتان، هما ما يشير النورسي إليهما متوقفا عند إشكالات الميل لصالح الجنبه المدنية منهما، وما يترتب على ذلك الميل من مفساد، يحرص المشروع الحضاري الإسلامي على تجاوزه. يقول النورسي؛ «إنه بطغيان ذنوب المدنية على محاسنها، ورجحان كفة سيئاتها على حسناتها، تلقت البشرية صفتين قويتين بحرين عالميتين، فأتتا على تلك المدنية الآثمة، وقاءت دماء لطحّ وجه الأرض برمتها. وسوف تتغلب بإذن الله محاسن المدنية بفضل قوة الإسلام التي ستسود في المستقبل، وتطهر وجه الأرض من الأذناس وتحقق سلاما عاما للبشرية قاطبة»^(٢).

ومن هنا نقول إن المشروع الحضاري الذي يتبناه فرد من أفراد الأمة أو مجموعة أفراد عبر المكان والزمان مشروط بالكشف عن الطريقة التي يجب بها ذلك المشروع عن التحديات التي تحيط بالأمة. ذلك، «إن المشروع الحضاري هو الطريقة التي يجب بها أبناء أمة من الأمم على تحديات الواقع وأسئلة التاريخ، وتلك الطريقة أو الكيفية تميز نشاط الحكومات في كبرى المسائل، كما تميز نشاط الأمهات في البيوت، والعمال في الحقول...»^(٣). والحق أن رسائل كليات النور، وهي تحاول أن تجيب عن تحديات الواقع، ثم، وهي تجهد في ترسيم معالم الطريقة النورانية في العمل، تستحق بمجدارة أن نطلق عليها وصف؛ المشروع الحضاري. أما هوية ذلك المشروع فمرتبطة ارتباطا رئيسا بما يشكل ضامن تلك الحضارة والمشروع، ألا وهو النص القرآني الكريم وما تمثلته الأمة الإسلامية من ذلك النص عبر التاريخ، وهو ما يشكل هوية

(١) مدخل إلى الحضارة الإسلامية، د. عماد الدين خليل؛ مقدمة المؤلف؛ ص ١١.

(٢) كليات رسائل النور، مج ٨، صيقل الإسلام؛ ص ٥٠١.

(٣) المشروع الحضاري- نحو فهم جديد للواقع، أ.د. عبدالكريم بكار؛ ص ٧.

المنجز المعرفي والثقافي الإسلامي، ومن ثم فهو يشكل الهوية الحضارية لرسائل النور. أما الكيفية الإجرائية لذلك النموذج الحضاري ممثلة بمفهوم العمل الإيجابي وإجراءاته الاجتماعية والثقافية في رسائل النور، ولدى طلاب رسائل النور، ومجتمع رسائل النور من المتلقين المعاصرين لتلك الرسائل، فهي ما يشكل التمثلات النورية لتلك الهوية الحضارية، وهي التمثلات التي بدت واضحة في مجمل رسائل النور، وخاصة، في "صيقل الإسلام"، حينما يعرض النورسي لمشروعه الحضاري هناك، ويبين استعداد المشروع الإسلامي للبقاء والرقى، حينما يتوفر له مجموع قوى واعية يتسلح بها عقل واع، يطلق عليه النورسي الشخصية المعنوية للعالم الإسلامي^(١).

وبناء على ما سبق، تصوير واضحة، الهوية الحضارية للعمل الإيجابي النورسي، وتنكشف هويته القرآنية والإسلامية في قولاته الآتية، على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر؛

١ - **الكرامة الإنسانية.** فالعمل الإيجابي المستند إلى العلم هو الذي يحفظ للإنسان كرامته وشرفه وعزته، وهذا ما يؤكد النورسي في رسائل النور قاطبة، ولننظر إليه في موضع من مواضع عدة تتعلق بتلك الكرامة، وهو يقول؛ «إن الإنسان هو أكرم المخلوقات وأشرفها. لأنه يستطيع أن يكشف بعقله عن مراتب الأسباب الظاهرية في خلق الكائنات ونتائجها، ويعرف العلل والأسباب المتسلسلة، ويستطيع أن يقلد بمهاراته الجزئية الصنائع الإلهية والإيجاد الرباني المنتظم الحكيم»^(٢).

٢ - **خيرية العمل.** يخاطب النورسي أولئك العاملين بقوله، منتهيا بعملهم إليه سبحانه، ما يجعلهم يحافظون على الجنبه الأخلاقية في العمل، وهو ما يجعل منهم ذوي مشاعر ورؤى إيجابية متفائلة، فيقول؛ «إن الخير كله بيده، وأعمالك الخيرة كلها تُسجل في سجله، وما تقدموه من صالحات الأعمال جميعها تُدرج عنده»^(٣).

٣ - **معنوية الأجر.** يتوجه النورسي إلى العاملين بما يجعلهم يرتفعون على ما يوازي العمل من مقابل مادي زائل، بقوله الذي يشدّ أبصارهم من خلاله إلى ما بعد الحياة الدنيا، حيث تمام الأجر وهو ما يجعلهم أكثر أملاً وأوفر قناعة، فيقول؛ «فما أسعدكم أنتم إذن، وقد

(١) كليات رسائل النور، مج ٨، صيقل الإسلام؛ ٤٩٩ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه؛ ص ٥٠٣.

(٣) المصدر نفسه؛ مج ٢، المكتوبات؛ ص ٢٩٤.

أتممت خدماتكم، وأنهيتم وظائفكم، برئت ساحاتكم.. وانتهت أيام المعاناة والأعباء الثقيلة. فأنتم ماضون الآن لقبض الأجور واستلام الأرباح»^(١).

٤ - **الوحدة والتنوع.** وبموجب هذا المظهر من مظاهر الهوية الحضارية، يصير الانتماء عابرا للجغرافيا والتاريخ والقومية، ويقترح النورسي ما يسميه؛ القومية الإيجابية، فيقول؛ «القومية الإيجابية نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند، وتحقق قوة نافعة للمجتمع، وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية. هذا الفكر الإيجابي القومي، ينبغي أن يكون خادما للإسلام، وأن يكون قلعة حصينة له، وسورا منيعا حوله، لا أن يحل محل الإسلام، ولا بديلا عنه، لأن الأخوة التي يمنحها الإسلام تتضمن ألف أنواع الأخوة. وإنما تبقى خالدة في عالم البقاء والبرزخ»^(٢). القومية الإيجابية هذه هي المناخ الصالح لتنمية العمل الإيجابي في المجتمع، أما القومية الخاضعة لمقاييس الجغرافيا والجنس، فهي القومية السلبية، وهذه نوع سلمي ومشؤوم، «يترى وينمو بابتلاع الآخرين ويدوم بعداوة من سواه، ويتصرف بخذر، وهذا يولد المحاصمة والنزاع»^(٣). وعلى هذا الأساس الإيجابي للقومية يتحقق دستور التعارف والتعاون الذي تشير إليه الآية الكريمة؛ ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٤). ويترب على هذا الدستور الإيجابي ما يمكن أن نسميه الوحدة في التنوع، نعم المجتمع طوائف وقبائل متنوعة، ولكنه واحد، «إذ خالقهم واحد، ورازقهم واحد، ورسولهم واحد، وقبلتهم واحدة، وكتابهم واحد، ووطنهم واحد.. وهكذا واحد، واحد.. إلى الألف من جهات الوحدة التي تقتضي الأخوة والمحبة والوحدة. بمعنى أن الانقسام إلى طوائف وقبائل - كما تعلنه الآية الكريمة - ما هو إلا للتعارف والتعاون لا للتناكر»^(٥). أما مشرب هذا العمل الإيجابي المتوجه نحو المشروع الوحدوي الحضاري والمنطلق منه فهو

(١) المصدر نفسه؛ ص ٢٩٥.

(٢) كليات رسائل النور، مج ٢، المكتوبات؛ ص ٤١٥-٤١٦.

(٣) المصدر نفسه؛ ص ٤١٤.

(٤) سورة الحجرات، آية؛ ١٣.

(٥) كليات رسائل النور، مج ٢، المكتوبات؛ ص ٤١٣-٤١٤.

المحبة، وعدوه: الجهل والضرورة (الحاجة) والنفاق»^(١). وأما هدف هذا المشروع وقصده فهو؛ تحريك الرابطة النورانية، وإيقاظ المرتبطين بها بهذا التحريك، ودفعهم إلى طريق الرقي بأمر وجداني^(٢).

٥- الحرية الشرعية. وهي التي «ترشد البشرية إلى سبل التسابق والمنافسة الحققة نحو المعالي والمقاصد السامية، والتزق أنواع الاستبداد وتشتتها، والتي تهيئ المشاعر الرفيعة لدى الإنسان، تلك المشاعر المجهزة بأنماط من الأحاسيس كالمنافسة والغبطة والتيقظ التام والميل إلى التجدد والنزوع إلى التحضر»^(٣). وعلى هذا الأساس يني فرع (الشورى) في المشروع الحضاري النورسي الذي يجيء مفهوم العمل الإيجابي بعده تنويجا له، وذلك تأسيسا على الآية القرآنية الكريمة؛ ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ يَنْهَمُ﴾^(٤). ومن هنا فإن مفتاح سعادة المسلمين في حياتهم الاجتماعية يكمن بـ "الشورى"، أجل فكما أن تلاحق الأفكار بين أبناء الجنس البشري إنما هو شورى على مر العصور بوساطة التاريخ، حتى غدا مدار رقي البشرية وأساس علومها، كذلك الأمر في الشورى العملية، و لا يكون رفع الاستبداد إلا بالشورى والحرية الشرعية النابعة من الشهامة الإسلامية والشفقة الإيمانية، تلك الحرية التي تتزين بالآداب الشرعية وتنبذ سيئات المدنية الغربية»^(٥).

(١) المصدر نفسه، مج ٨، صيقل الإسلام؛ ص ٥٢٩.

(٢) انظر: المصدر نفسه؛ ص ٥٢٩.

(٣) المصدر نفسه؛ ص ٥٠٠.

(٤) سورة الشورى، آية؛ ٣٨ (جزء من الآية).

(٥) انظر: كليات رسائل النور، مج ٨، صيقل الإسلام؛ ص ٥١٤.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
-
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، مراجعة صدقي محمد جميل، الجزء العاشر، دار الفكر، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٢٥هـ-١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- البحر المديد، ابن عجيبة، تحقيق وتعليق أحمد عبدالله القرشي رسلان، القاهرة، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- تفسير القرآن العظيم، التستري، حققه وضبطه طه عبدالرؤوف سعد وسعد حسن محمد علي، دار الحرم للتراث، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت (د.ط.تا).
- كليات رسائل النور- الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مج ٤، دار سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- كليات رسائل النور- صيقل الإسلام، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مج ٨، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، م ٢٠٠٢.
- كليات رسائل النور- اللمعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مج ٣، شركة سوزلر للنشر، القاهرة.
- كليات رسائل النور- المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مج ٢، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، م ٢٠٠١.
- كليات رسائل النور- الملاحق، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مج ٧، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.
- مدخل إلى الحضارة الإسلامية، الدكتور عماد الدين خليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- المشروع الحضاري- نحو فهم جديد للواقع، أ.د. عبدالكريم بكار، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب - دراسة معجمية، الدكتور نعمان بو قرة، جدارا للكتاب العالمي، عمان- الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.
- المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، ١٩٨٢.
- مفاتيح اصطلاحية جديدة- معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت- لورانس غروسبيرغ- ميغان موريس، ترجمة سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم- بيروت.
- موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، الدكتور رفيق عجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩.

المحور الثاني

العمل الإيجابي
والقضايا الراهنة والعالمية

العمل الايجابي للتعايش السلمي في عالم متعدد الأديان ومتعدد الثقافات

أ.د. أمانى برهان الدين لوبيس

(جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا - إندونيسيا)

amanylubis@gmail.com

تمهيد

إن الحياة لا يمكن أن تسير بدون دين. ولا حياة لأمة بلا دين. إذ لا يمكن العيش - في حقيقة الحال - بالكفر المطلق. أشار الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي بأن إحدى المعجزات المعنوية للقرآن الحكيم أنه كشف هذه المعجزات لطلاب رسائل النور وهم في حقيقة الأمر جنود القرآن ليكونوا سداً أمام الكفر المطلق والإرهاب في هذا القرن. وحقاً أن الرسائل أدت دورها. إن هذا الدرس القرآني هو الذي حفظنا من هذا التيار الجارف الذي استولى على العالم وأقام سداً أمام الهجوم الإرهابي ضد الإسلام والمسلمين. وهكذا وُجد حل سليم أمام هذا الخطر الداهم^(١). وقد كان دور القيام بالخدمة الإيمانية كبير ومهم، حيث منحهم الحافز بالتجمل بالصبر والتحلي بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة في سبيل الأمن والاستقرار الداخلي للأمة الإسلامية.

في العصر الحديث تعرضت معظم دول العالم لمجموعة من التحديات المرتبطة بالحياة المعاصرة ومتغيراتها السريعة، وإزاء مواجهة هذه التحديات كان على المسلمين أن يهتموا بالوطن والأمة وإعطائهم الحقوق المتساوية رغم تعدد الأديان والثقافات وتسليح المجتمع بخصائص ومهارات فائقة، تعين الشعوب في مواجهة هذه التحديات والتعايش الإيجابي معها. من مقومات النهضة، لا سبيل لتكوين الإنسان المتحضر إلا بالتربية الجيدة من قبل الأهالي والحكومة والتعليم المتميز في سبيل الرقي الروحي والثقافي والاقتصادي والسياسي.

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص ٤٧٢.

وهو ما انتبهت إليه إندونيسيا، حيث أعيش بها بفضل الله تعالى، أن شعبها أعطى الاهتمام بالإنسانية والعمل الإيجابي، وأصبح ضرورة ملحة في ظل التقدم العلمي وأجواء تتسم بالديمقراطية والتطور التكنولوجي والتغيير الاجتماعي والحضاري الذي يشهده عالمنا المعاصر.

وفي هذه المناسبة تقدمت الباحثة لمناقشة موضوع العمل الإيجابي للتعایش السلمي في عالم متعدد الأديان ومتعدد الثقافات وإعطاء حل للمشاكل في التعایش في العالم أجمع من منظور كليات رسائل النور. لقد انتشرت كتب وأفكار الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي في جميع أنحاء العالم بفضل مريديه والمؤسسات النورية. وليس من المبالغة في القول إن تعاليم الرسائل أصبحت وسيلة لإنقاذ الإنسانية من الارهاب ووسيلة للتآخي والوحدة بين الأخوين الجليلين للإسلام و هما العرب والترك وبين الشعوب المختلفة في أنحاء العالم بفضل القيم النورية التي ينشرها طلاب النور والمؤسسات التابعة لها. إذن العمل الإيجابي لا بد أن يكون من اهتمام المؤسسات والهيئات التي تعمل في مجال التعایش السلمي وحفظ السلام بين معتنقي الأديان المختلفة، حتى تقوى الثقة المتبادلة بين المنظمات الرسمية والأهلية دوليا وإقليميا، وفئات من المجتمع المدني التي تعنى بشؤون الحوار الإسلامي مع الآخر.

تضم الورقة ثلاثة موضوعات، أولا- ثلاثية الإيمان والفلسفة والعمل الإيجابي، وثانيا تحديات عالم متعدد الأديان ومتعدد الثقافات، وثالثا جهود العمل الإيجابي في التعایش السلمي.

أولا- ثلاثية الإيمان والفلسفة والعمل الإيجابي

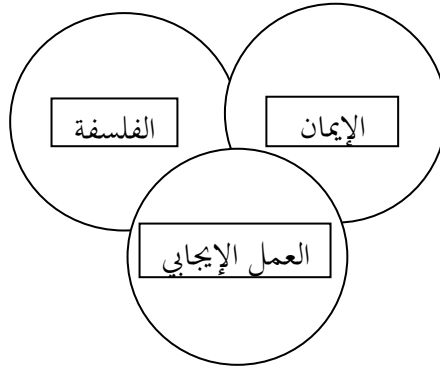
تسعى الورقة إلى إظهار دور العمل الإيجابي من رسائل النور وكبداية يحسن كشف بعض الجوانب الفلسفية. كما قال شيخنا في سيرته الذاتية "إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدام. والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الالهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله. إننا مكلفون بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي"^(١). إن شرح هذه المقولة النيرة هو أن العمل الإيجابي لا بد أن يكون

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص ٤٦٩.

بوجود الإيمان بالله حتى يدخل في نطاق الرضى الإلهي، كما أن العمل الإيجابي يظهر بعد التفكير والتكليف بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر لله ووجود الحافز لفلسفة العمل وعدم التدخل بالوظيفة الإلهية.

ويمكن رسم الفكرة بوضع هيكلية تضم الإيمان والعلم والعمل. ويتضح بعد ذلك أن العمل الإيجابي البناء يوصل إلى السعي للعمل الإيجابي وتجنب السعي للعمل السلبي. لقد كان الشيخ سعيد النورسي على وعي تام بوجود أصحاب الديانات الأخرى في المجتمع الإسلامي وأنه من العمل الإيجابي أن يكون هناك الصبر وقوة التحمل بدلا من العداة والعمل السلبي والانتقام والتخريب في التعامل مع الآخر. وأكد الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي، "أنني قد تحملت وحدي المعارضات كافة، ولم افتر مقدار ذرة قط. ووفقت في تلك الخدمة الإيمانية بإذن الله. فالآن رغم وجود ملايين من طلبية النور، فاني أسعى بالعمل الإيجابي وتحمل جميع مظالمهم وإهاناتهم وإثاراتهم^(١).

إن ثلاثية الإيمان والفلسفة والعمل الإيجابي تشكل فكرة التكامل والاندماج بين الدين والعلم والعمل وهذا هو الفكر الواقعي.



ومن هنا يمكن الاستخلاص بوجود علاقة وثيقة ومتداخلة بين الإيمان والفلسفة والعمل الإيجابي، حيث وجد العمل الإيجابي مع المقاطع المتداخلة الثلاثة وذلك لوجود علاقة قوية ما بين العمل الإيجابي في مجالات الحياتية المختلفة، مثل إزالة الفقر والعنصرية، الإرهاب والعنف، والتلوث البيئي وتغير المناخ، وتفاوت الدخل، الإفراط في الاستهلاك، والتهالك على حطام

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص ٤٧١.

الدنيا، وإخلال حقوق الإنسان، والحادثة وحل المشاكل في التعايش الديني. وكل هذه المحالات الحياتية لديها تعريفها بما يسهل الإنسان العاقل أن يجد الحلول. دليل آخر على وجود الهيكلية الثلاثية هو أن رسائل النور خيبت آمال أولئك العنيدين في الغرب، مثلما أسكتت تماماً الفلاسفة الماديين والطبيين. ولا توجد حكومة في الدنيا، مهما كان شكلها، تمنع محصولاً مباركاً لوطنها ومنحماً عظيماً لقوتها المعنوية مثل هذه الرسائل، أو تحكم على ناشريها. إن الحرية التي يتمتع بها الرهبان في أوروبا تشير إلى أن أي قانون كان لا يتابع تاركي الدنيا والعاملين بقواهم الذاتية للآخرة والإيمان. الحاصل: اجزم أنه لا قانون في الدنيا يقول بمنع، أو يقدر أن يمنع، كتابة الخواطر العلمية بشأن الإيمان الذي هو مفتاح السعادة الأبدية لرجل عجوز، محكوم عليه بالتغريب لمدة عشر سنوات، وممنوع عن الاختلاط بالناس والمراسلة. وأن عدم تعرض هذه الخواطر إلى الجرح والانتقاد من قبل أي عالم كان، يثبت أنها عين الحق ومحض الحقيقة^(١).

إذن، لا يمكن فصل الحلقات الثلاث عن بعضها، الإيمان والفلسفة والعمل الإيجابي،

ثانياً - تحديات عالم متعدد الأديان ومتعدد الثقافات

إن التحدث عن التحديات في العالم متعدد الأديان ومتعدد الثقافات بغرض التأكيد على أهمية فهم مشاكل العصر والمحاولة لإيجاد الحلول لها. وأكبر تحد هو ترسيخ قيم الروحانيات لدى المسلمين وإظهار الإيمان في حيز الوجود. قال الشيخ سعيد النورسي إن الإيمان وسيلة الفوز بالحياة الأبدية ومفتاح السعادة الخالدة، فينبغي إذاً السعي لأجله^(٢). التمسك بنور الله تعالى، وإبراز رسائل نيرة كثيرة للناس كافة هو العمل الجليل لا بد من تنفيذها بطرق شتى. إن رؤوس كثير من الرؤساء مخمورة، لا يقرؤون، وإذا قرأوا لا يفهمون، فيؤولونه إلى معنى خطأ، ويعترضون ويهاجمون. لذا، وللحيلولة دون الهجوم ينبغي عدم إظهار النور لهم لحين إفاقتهم واسترجاع رشدهم. وقد شرح النورسي من واقع حياته أنه غير ضروري الخوض في مجال السياسة، لأن السياسة توصل صاحبها إلى ترك السعي لحياة أبدية، وترك العمل لنور الإيمان المقدس، والدخول في الأعياب السياسة الخطرة وغير الضرورية، في زمن

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ص ٢٥٩.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، المكتوب السادس عشر، ص ٧٨.

الشيخوخة إنما هو خلاف للعقل ومجانبة للحكمة لشخص مثلي لا صلة له مع أحد، ويعيش منفرداً، ومضطر إلى التحري عن كفارات لذنوبه السابقة^(١).

فمن الواضح أن النورسي أراد التوازن في الحياة الاجتماعية والسياسية، حيث يقوم الإنسان بخدمة الدين في سبيل تحقيق الأمن الروحي والمادي للحياة الإنسانية. ولكن اهتم النورسي بضرورة التعليم، سواء للبنات أو للبنين. بالإشارة إلى مجال التعليم، إن التربية الإسلامية السليمة في جميع مراحلها أسهمت بدور بالغ الأهمية في تحقيق التنمية الشاملة والمستدامة للإنسان، حيث اهتمت بتهيئة النشء للحياة والعمل الإيجابي، في عالم سريع التطور، وذلك يتطلب إقامة توازن سليم بين التعليم الأكاديمي وتنمية المهارات العملية الحياتية، وربط مناهج التعليم بالواقع الوظيفي والحياتي، وتقليص الفجوة بين التعليم النظري والتطبيقي، وإعداد التلاميذ لمجالات حياتية مختلفة؛ وذلك بتركيز المقررات الدراسية الحالية حول تلك المجالات.

وأكد الشيخ النورسي أن ولاية الأمور إنما ينظرون إلى اليد لا إلى القلب. وهناك في كل قطر وفي كل مكان معارضون شديدون للحكومة لا يتدخلون في شؤون الإدارة والأمن. حتى أنه في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه لم يمسّ النصارى بشئ مع أنهم كانوا ينكرون الإسلام وقوانين الشريعة. وعلى هذا واستناداً إلى مبدأ حرية الفكر والوجدان، إذا كان بعض طلاب النور يرفضون نظمكم ومبادئكم، وينتقدونها على أساس علمي نقداً بناءً، أو إن صدرت منهم أعمال وتصرفات لا تتفق وتلك المبادئ، بما في ذلك إضمار العداء لأولى الأمر، فليس من حق القانون أن يحاسبهم على ذلك بشرط واحد وهو أن لا يتدخلوا في الشؤون الإدارية، والآ يخلّو بالأمن والنظام^(٢).

لقد كان الشيخ سعيد النورسي يحلم بوجود جمهورية متدينة تحمل معنى العدالة الحقيقية والحرية الشرعية. ولكنه قد شعر بخيبة الأمل لأنه عاش في رحاب جمهورية علمانية. وقد عرف العلمانية، فإنها بمعنى البقاء على الحياد، فكما لا تتعرض مثل هذه الحكومة للملحدن ولأهل السفاهة بحجة حرية الضمير فيجب ألا تتعرض لأهل الدين ولأهل التقوى. وأني الآن

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، الجزء الثالث من رسائل النور، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالح (القاهرة: منشورات سوزلر، ١٩٩٣)، ص ١٥٨-١٦٠.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، الشعاع الرابع عشر، ص ٤٠٨.

لا أعلم الأوضاع السياسية والأحوال التي تعيش فيها حكومة الجمهورية لأنني قد اعتزلت الحياة الاجتماعية منذ خمس وعشرين سنة^(١).

أشار الشيخ سعيد النورسي إلى أن الاسراف والسفاهة محل بؤادير الاقتصاد والقناعة، واستثمرت ميوئل الكسل والدعة وهجرت مراعى السعي والعمل. ولقد ألبست - هذه المدنية - البشرية المضطربة لباس الفقر المدقع وكستها أثواب الكسل والتقاعس الرهيب. واستناداً الى ما قامت به رسائل النور من إيضاح الدستور الذي يخاطب به القرآن الكريم في ندائه العلوي: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا...﴾ (الاعراف: ٣١) وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩) فقد أشارت - تلك الرسائل - مستضيئة بنور الآيتين المذكورتين - الى ان سعادة حياة البشرية منوطة بالاقتصاد وعدم الاسراف، وعلى إثارة الحمم للسعي والعمل والكد... وأنه بهذين الشرطين يتم التآلف والوئام بين طبقتي البشرية: الخواص والعوام^(٢).

من هنا يجب الحديث عن الإنسانية، تلك الكلمة التي تضم مختلف الأعراق والجنسيات في قالب دنيوي واحد. وقد برع الشيخ النورسي في الإصرار بأن الإنسانية ستتقبل الإسلام وستتحول إليه، وإن الإسلام سيحكم المستقبل بالقرآن^(٣). وفي رأي السيدة شكران واحدة، شارحة رسائل النور بريطانية الأصل، رسائل النور تقدم أفضل نموذج للإسلام إلى الغرب، فقدمت بذلك أفضل خدمة للقرآن والإسلام. إن الإنسانية ستتقبل الدين الإسلامي لكونه دين البرهان والعقل، وبذلك سيحكم الإسلام المستقبل^(٤).

ثالثاً- جهود العمل الايجابي في التعايش السلمي

إن الإخلاص والتكافل في رأي الشيخ سعيد النورسي يمكن إعادة فهمها في المنظور العصري بمصطلح التعايش السلمي، حيث أخذ في عين الاعتبار السعي للعمل الإيجابي وعدم الانقياد إلى العمل التخريبي. وفي مفهوم التعايش السلمي لا بد من وجود جهود مشتركة من قبل أصحاب الديانات المختلفة لإيجاد أرضيات مشتركة للعيش معا بإخلاص

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، الشعاع الرابع عشر، ص ٤٢٦.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ملحق أميرداغ/٢، ص ٣٧٨.

(٣) انظر بديع الزمان سعيد النورسي، الخطبة الشامية، ص ٢٠ - ٢٢.

(٤) شكران واحدة، مؤلفات النورسي نموذج لتقدم الإسلام للغرب.

حتى يتحقق الأمن الداخلي بالنسبة للمسلمين بينهم البعض والأمن الخارجي أي بوجود العلاقة الطيبة بين المسلمين وغيرهم من المسيحيين ومعتنقي الأديان الأخرى. وفي هذا المفهوم يمكن استخلاص أفكار النورسي عن الحوار البناء بين المسلمين والمسيحيين.

وقال الشيخ سعيد النورسي: ... إننا نقوم بالعمل الإيجابي البناء بكل ما نملك من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي. فالفرق عظيم بين الجهاد الداخلي والخارجي في الوقت الحاضر. وهناك مسألة أخرى في غاية الأهمية. وهي أن متطلبات المدنية الحديثة (الدنية بالنسبة لأحكام القرآن الكريم) في يومنا هذا قد زِيدَت الحاجات الضرورية من الأربعة إلى العشرين. فجعلت الحاجات غير الضرورية بمثابة الحاجات الضرورية بالإدمان والاعتياد والتقليد. فتجد من يفضل الدنيا على الآخرة رغم إيمانه بها لإغماكه بالأمور المعاشية والدنيوية ظناً منه إنها ضرورة^(١).

وقد أكد النورسي في اللمعة العشرين عما يحدث في عصر التفكك والشك والإنقسام، بأنه لا يستشعر بدواعي التعاون مع الآخرين بل لا يتمكن من رؤية جدوى الاتفاق مع مخالفه ظاهراً ولا يجد في نفسه الحاجة إليه. وأضاف كذلك... "وإذا ما كان ثمة غرور وأنانية في النفس يتوهم المرء نفسه محقاً ومخالفه على باطل فيقع الاختلاف والمنافسة بدل الاتفاق والمحبة، وعندها يفوته الاخلاص ويحبط عمله ويكون أثراً بعد عين"^(٢).

وقد أعطى النورسي بعض وصفات للعلاج من واقع القرآن الكريم والأحاديث النبوية في حالة عدم وجود الدافع للتعايش السلمي في تسعة أمور آتية:

١ - العمل الإيجابي البناء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عدااء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً.

٢ - بل عليه أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام - مهما كان نوعها - والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها.

٣ - واتخاذ دستور الانصاف دليلاً ومرشداً، وهو أن صاحب كل مسلك حق يستطيع

(١) سيرة ذاتية، ص ٤٧٠.

(٢) اللمعات، اللمعة العشرين، ص ٢٢٨.

القول: "أن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي فحسب" أو "أن الحسن والجمال في مسلكي وحده" الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها.

٤- العلم بأن الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي وأحد منابع العزة الإسلامية.

٥- الحفاظ على الحق والعدل بإيجاد شخص معنوي، وذلك بالاتفاق مع أهل الحق للوقوف تجاه أهل الضلالة والباطل الذين أخذوا يغيرون بدهاء شخص معنوي قوي في صورة جماعة على أهل الحق - بما يتمتعون به من تساند واتفاق - ثم الإدراك بأن أية مقاومة فردية - مهما كانت قوية - مغلوبة على أمرها تجاه ذلك الشخص المعنوي للضلالة.

٦- ولاجل انقاذ الحق من صولة الباطل.

٧- ترك غرور النفس وحفظها.

٨- وترك ما يُتصور خطأً أنه من العزة والكرامة.

٩- وترك دواعي الحسد والمنافسة والأحاسيس النفسانية التافهة.

بهذه النقاط التسع يُظفر بالإخلاص ويوفي الإنسان وظيفته حق الوفاء ويؤديها على الوجه المطلوب.

وهناك إضافة شرح من قبل المؤلفين في هامش الصفحة، سواء في النسخة العربية أم المترجم إلى اللغة الإنجليزية، بأنه قد ثبت في الحديث الصحيح أن المتدينين الحقيقيين من النصارى سيتفقون في آخر الزمان مستندين إلى أهل القرآن للوقوف معاً تجاه عدوهم المشترك الزندقة، لذا فأهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون أيضاً إلى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى، فيتركوا مؤقتاً كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعاً لعدوهم المشترك الملحد المتعدي^(١). وقد أيد الباحث الأمريكي طوماس مايكل في كتابه "أراء سعيد النورسي في العلاقة بين المسلم والمسيحي" بأن الشيخ سعيد النورسي فرق بين المسيحية الحقيقية والحضارة الغربية التي تتسم

(١) اللمعات، اللمعة العشرين، ص ٢٢١.

باللادينية والمادية، وفي اعتقاده المسلمون المخلصون والمسيحيين الحقيقيين سوف يواجهون معا أعدائهم المشتركة ممن رافضوا الدين وتركوا عن القيم الإنسانية في المجتمع^(١). إن محور النجاة ومدارها الإخلاص، فالفوز به إذن أمر في غاية الأهمية، لأن ذرة من عمل خالص أفضل عند الله من أطنان من الأعمال المشوبة. فالذي يجعل الإنسان يحرز الإخلاص هو تفكره في أن الدافع إلى العمل هو الأمر الإلهي لا غير، ونتيجته كسب رضاه وحده، ثم عدم تدخله في الشؤون الإلهية. لقد ورد في الحديث الشريف: "هلك الناس إلا العاملون وهلك العاملون إلا العاملون وهلك المخلصون والمخلصون على خطر عظيم"^(٢).

ومقارنة بآراء الشيخ سعيد النورسي وتنفيذا لفكره النير الذي يتمشى مع ظروف الدول الإسلامية المختلفة، يمكن عرض مثال لأهمية الإيمان وتكريس العمل الإيجابي في إندونيسيا. تمتاز إندونيسيا بالتنوع وتعدد الثقافات، ولها خبرة طويلة في معالجة وتسوية الخلافات العرقية والدينية والمذهبية، إلى جانب وجود جهود مشهودة في التعايش السلمي وحوار الثقافات والحضارات. إن تنمية فكرة تعدد الثقافات في إندونيسيا متماشية مع الثقافات المحلية للشعب نفسه والتي تعترف بالتنوع الثقافي، مما يدفعهم للتفاعل والعطاء الثقافي المستمر. مع وجود تحديات للعولمة والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، تبحث إندونيسيا عن أفكار مشابها لتوحيد الشعب الإندونيسي ككيان واحد حتى يحترم الشعب التعددية الثقافية ومراعاة خصوصية كل مجتمع. ففكرة تعدد الثقافات وليدة هذا العصر التي تحترم تعددية وجهات النظر وتدعو إلى ترجمة القيم الدينية والعلمية مثل عدم التمييز والعدل والتسامح إلى حيز الوجود.

وهنا تتضح أهمية آراء الشيخ سعيد النورسي حيث انتشرت في إندونيسيا منذ أكثر من ٢٠ عاما، وخاصة في طريقة شرحه للآيات القرآنية في رسائل النور حيث يعتبر تفسيره للقرآن الحكيم تفسيرا موضوعيا. وقد تداول النقاش حول القرآن والإخلاص في إندونيسيا وطبقت أفكاره التي أصبحت دافعا لخلق حياة أفضل وآمن ومزدهر. قال فضيلة الشيخ: "... فبمقتضى

(١) Soz Thomas Michel S.J., Said Nursi's Views on Muslim-Christian Understanding (Istanbul: Basim Yanin, 2005), pp. 19-20.

(٢) اللغات، ص ٢٠١.

الإخلاص التام لا بد من التضحية والفداء ليس بالأنانية فحسب، بل لو منحت سلطنة الدنيا يستوجب تفضيل مسألة إيمانية واحدة باقية على تلك السلطنة^(١).

إن الآيات في القرآن الكريم المسطور كآيات في الكون المنظور، وتدل إحداها على الأخرى وتحفز الإنسان على البذل والعطاء في ظل قيم البر والإثماء، والمودة والصفاء باعتبار المجالين، مجال القرآن ومجال العمران هما للإنسان، يتزود من الأول قيم الهداية والرشاد ويسعى في الثاني لإشادة نماذج في الحضارة والثقافة والفنون والصناعات والعلوم والآداب.

وإذا كانت طبيعة هذه الأصول، حافزة على الفعل، دافعة إلى الإبداع داخل الدائرة الإنسانية المشتركة، حيث الخطاب القرآني خطاب للإنسان حيثما كان وحيث الكون مجال استخلاف هذا الإنسان، فإن التجلي الأول لهذا النموذج من البناء الحضاري الإسلامي في عصور الإسلام المزدهرة قد كشف إمكانات هائلة لهذا الامتزاج والتداخل والتكامل والتواصل بين القيم الحضارية والإنسانية المشتركة، وعن إمكانات العقل المسلم وقدراته في الإبداع العلمي في مختلف الحقول والمجالات. لكن الناظر إلى العصور المتأخرة، يلحظ أن ثمة ضموراً كبيراً في هذا المجال، ونكوصاً وتراجعاً خطيراً عن عطاءات النموذج الأول. ولا خلاف في أن مرجع ذلك ليس إلى الأصول نفسها وإنما إلى طبيعة الفكر والنظر التي طرأت عليها وسائط وحالت دون استمدادها القوي حوائل متعددة، فلم تعد قدرتها على العطاء كما كانت.

الختام

إن قضايا وتحديات العالم المعاصر يوجد علاجها في كليات رسائل النور، منها العمل الإيجابي البناء، وتحري روابط الوحدة، واتخاذ دستور الانصاف دليلاً ومرشداً، والعلم بأن الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي، والحفاظ على الحق والعدل بايجاد شخص معنوي، وتجنب الباطل، وترك غرور النفس وحظوظها، وترك ما يُتصور خطأً أنه من العزة والكرامة، وترك دواعي الحسد والمنافسة والاحاسيس النفسانية التافهة. ومن رسائل النور تبين المقومات التي اشترطها بديع الزمان سعيد النورسي لبناء المجتمع الإسلامي لحصول الرقي والتقدم بنشر العدالة والأمن والتكافل الاجتماعي والنظام في ربوع البلاد والعلم.

(١) سيرة ذاتية، ص ٤٧٣.

المراجع

- بديع الزمان سعيد النورسي، *سيرة ذاتية*.
بديع الزمان سعيد النورسي، *المكتوبات*، المكتوب السادس عشر.
بديع الزمان سعيد النورسي، *اللمعات*، الجزء الثالث من رسائل النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: منشورات سوزلر، ١٩٩٣.
بديع الزمان سعيد النورسي، *الشعاعات*، الشعاع الرابع عشر.
بديع الزمان سعيد النورسي، *الملاحق*، ملحق أميرداغ/٢.
بديع الزمان سعيد النورسي، *الخطبة الشامية*.
شكران واحدة، "مؤلفات النورسي نموذج لتقديم الإسلام للغرب".

Thomas Michel S.J., Said Nursi's Views on Muslim-Christian Understanding, Istanbul: Soz Basim Yanin, 2005
<http://www.iikv.org/ar/kuliyat/kuliyat.php?bn=11&pn=469>

«الأعداء الثلاثة وسُبل مكافحتها في منظور رسائل النور»

تقديم: أ. د. حامد أشرف همداني

أستاذ بقسم اللغة العربية

جامعة بنجاب، لاهور، باكستان

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد قام الإمام بديع الزمان النورسي منذ بداية عمله بتنظيم أفكاره التي سيجاهد في سبيلها طوال حياته ضمن برنامج ومنهاج معين. وقضية "الأعداء الثلاثة" تُعد مركز وقلب هذا البرنامج الذي وضعه لنفسه. وقد ذكر النورسي هذه الأعداء الثلاثة في جميع مقالاته وكتاباتهِ، وعبر عن أفكاره هذه بأساليب مختلفة إذ يقول: "إن أعداءنا هي الجهل والبؤس والفرقة، وسنجاهد ضد هذه الأعداء بأسلحة الصناعة والمعرفة والاتفاق"^(١).

والإيجابية في الحركة قاعدة إرشادية من قواعد رسائل النور، تركز على العلم، والمعرفة، والتبليغ، والإقناع، والود، والشفقة.

ومن هذا المنطلق استهدف هذا البحث إلى التعريف بمنزلة العمل الإيجابي لدى الإمام النورسي، وبيان منهجه في مكافحة الأعداء الثلاثة. وذلك حسب التقسيم التالي:

المبحث الأول: العمل الإيجابي ومنزلته في رسائل النور.

المبحث الثاني: اهتمام النورسي في رسائل النور بالمشكلات الاجتماعية عامة.

المبحث الثالث: المنهج العام للنورسي في معالجة المشكلات الاجتماعية.

المبحث الرابع: الأعداء الثلاثة في رسائل النور: تفسيرها ومعالجتها.

المبحث الخامس: سُبل مكافحة الأعداء الثلاثة في منظور رسائل النور.

المبحث الأول: العمل الإيجابي ومنزلته في رسائل النور

الإيجابية في الحركة قاعدة إرشادية من قواعد رسائل النور، تركز على العلم، والمعرفة،

(١) بديع الزمان سعيد النورسي: ديوان الحرب العرفي، إسطنبول ١٩٩٠م، ص ٥٧.

والتبليغ، والإقناع، والود، والشفقة. وعلى طريق هذا النهج يتلقى ويتشارك المجددون كافة. وللاستاذ بديع الزمان سعيد النورسي مكانة خاصة بين هؤلاء العظام الكرام الذين أصبحوا مظهرًا للحديث النبوي "العلماء ورثة الأنبياء"^(١) بكل معاني الكلمة. وميزته هذه تنبع من هول عصره، ونكبة زمانه. ففي زمانه أُستهدف الأركان الإيمانية، وألقيت الشبهات في القلوب المؤمنة من خلال أسئلة "لأي شيء؟.. ولماذا؟.."، وأصبحوا في ريب من أمرهم وعقيدتهم.

وبالإضافة إلى ذلك فقد أصبح الكفر والضلالة والسفاهة في زمانه بيئة شخص معنوي عارم سيطر على الأرض كافة واستهدف بشكل مخطط الإيمان والإسلام والأخلاق. فهذا الأستاذ العظيم الذي حمل على عاتقه معنى وظيفة التبليغ والإرشاد للوقوف حيال حركات الإفساد التي لم تشاهد لها مثيل في التاريخ ألقى دورساً قيمة لدفع الشبهات، ورفع إيمان المؤمنين من التقليد إلى مستوى التحقيق من ناحية ومن ناحية أخرى بيّن للمسلمين كيفية السير في دروب وعرة، مليئة بالألغام والأشواك والدواهي من خلال ما سطر من الرسائل والملاحق. فالحركة الإيجابية البناءة أساس لهذا السبيل السامق وسيره المطرد.

ويستهل الأستاذ النورسي آخر رسالة له بجمل تعتبر خلاصة لقواعد الإرشاد والتبليغ التي حاول تطبيقها طوال حياته كالآتي:

"إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدّام، ومهمتنا القيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله، إننا مكلفون بالتجمل بالصبر، والتقلّد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا؛ وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي"^(٢).

(١) أبوداؤد، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داؤد، موسوعة الحديث الشريف، دارالسلام، الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م، باب الحث على طلب العلم، رقم الحديث ٣٦٤١، وأبوعيسى الترمذي: سنن الترمذي، موسوعة الحديث الشريف، دارالسلام، الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم الحديث ٢٦٨٢، وأبوعبدالله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه، موسوعة الحديث الشريف، دارالسلام، الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث ٢٢٣.

(٢) سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، دارسوزلر للنشر، الطبعة السادسة ٢٠١١م، القاهرة، ص ٤٠٠.

لقد جعل النورسي من العمل الإيجابي البناء مبدأ لمواجهة ما تعرض له من ظلم، فجعل منه طريقة للعمل على نشر دعوة الله الذي استوحاه من القرآن الكريم، ذلك العمل الذي يعني القيام بما أمر الله الإنسان به من الدعوة، وأما تحقيق النتيجة فإنه من تدبير الله لا من شأن البشر، نابذاً بذلك العمل السلبي الذي من شأنه استخدام القوة في السعي إلى الإصلاح، وهو ما قد يؤدي إلى وقوع الأذى على من لا ذنب له، وإلى إيقاد نار الفتنة في المجتمع وزعزعة الأمن الداخلي، وما ينتج عن ذلك من الآثار السلبية المدمرة من قتل أو تخريب.

كان الأستاذ خبيراً بالتاريخ الإسلامي مطلعاً على أحداثه، وكان مطلعاً على الأفكار الثورية المعاصرة التي جاءت بها الماركسية التي قامت لها دولة في "الاتحاد السوفياتي" و"الصين" و"البلقان"، وكان مطلعاً على آثارها السلبية في المجتمعات التي حكمتها، وفي البلاد التي انتشرت فيها؛ ولذلك اتخذ منهجاً يبني ولا يهدم، يعمر ولا يدمر، يحفظ البلاد والعباد من كل أثر سلبي، ويحقق مصلحة الإنسان.

إن العمل الإيجابي البناء كما يحدده الأستاذ النورسي يعني: الجهاد المعنوي أي قيام الإنسان بما هو مطلوب منه من الدعوة التي يسميها الأستاذ الخدمة، وأن يدع تحقيق النتائج لرب العالمين الذي تكفل بها. وفي تسمية الدعوة بالخدمة إشارة إلى أن الأستاذ مستخدم لدى ربه، يعمل لنشر دينه، ونيل رضاه، ولله الأمر من قبل ومن بعد، ومثله من سار على منهجه من طلاب النور. يقول الأستاذ:

"إن المسألة الأساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي، وإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة"^(١).

وبياناً لذلك يقول الأستاذ: "إن أعظم شرط من شروط الجهاد المعنوي هو عدم التدخل بالوظيفة الإلهية، أي بما هو موكول إلى الله. بمعنى أن وظيفتنا الخدمة فحسب، بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين، وإننا مكلفون ومرغمون في الإيفاء بوظيفتنا"^(٢).

فطريقة رسائل النور هي العمل الإيجابي والدرس الأخير الذي أعطاه بديع الزمان سعيد النورسي قبيل وفاته كان حول "التصرف الإيجابي".

(١) بديع الزمان سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة، إحسان قاسم الصالح، الطبعة الرابعة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٤٦٩.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص ٤٧٠.

المبحث الثاني: اهتمام النورسي في رسائل النور

بالمشكلات الاجتماعية عامة.

كتب النورسي رسائل علمية لمعالجة المشكلات الاجتماعية، ويربو عدد هذه الرسائل على مئة وثلاثين رسالة، فُجِّمَت في تسعة مجلدات باسم: «كليات رسائل النور»، دَوِّنَ فيها منهجه الإصلاحى الذي حمّله طلابه.

لقد ألفت «رسائل النور» في العصر الذي شهدت فيه تركيا أعنف هجومٍ على الإسلام فعملت على إنقاذ إيمان الشباب من فتنة الارتداد، وحافظت على اللغة العربية من خطة العلمانيين والقوميين لتدميرها، فأحيت مفاهيم القرآن ومقاصده؛ فقد سجل فيها النورسي كل ما استلهمه من نور القرآن الكريم، فاشتملت على تفسيرات قيّمة لبعض آياته، وتوجيهات دعوية توجز أهمّ معاني العبادة والعقيدة، ووظيفة الإنسان في الوجود، وإيراد نظائر من الكون للحقائق القرآنية، وإيضاح التوحيد الحقيقى ودلائله وثمراته، وأهمية الإيمان بالله تعالى ومعرفته ومحبته، ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم، وكيفية رعاية حقوق الآباء والشيوخ، وبيان أضرار الدعوة إلى العنصرية، والرد على العلمانيين الذين حاولوا تغيير الشعائر الإسلامية، وبيان الحاجة إلى الصبر على المصائب، وأن المصيبة الحقيقية هى التي تصيب الدين، وبيان أضرار الساعة ودلائل الحشر، وبيان مسالك النفس الأمارة بالسوء، ووضع العلاج لأمرائها، وأساليب تركيتها، والاعتصام بالكتاب والسنة. ويلمس قارئ رسائل النور اختلاف الدواعى لكتابتها، فقد يكون الداعى جواباً عن سؤال، أو ردّاً على أعداء الدين ودحضاً لشبهاتهم، أو تذكيراً لنفسه وزجراً لها، أو تفسيراً لآية قرآنية، أو تسليّة للمصابين، أو مخاطبة للمسؤولين، أو دفاعاً عن قضايا المسلمين، ومع هذا الاختلاف فهى تشترك في خدمة هدف واحد من خلال مسارين: أحدهما: ترسيخ أركان الإيمان في نفوس الأجيال، وتحسينهم ضدّ تيارات الغزو الثقافى. وثانيهما: إبطال النظريات المادية الإلحادية، والردّ على دعايتها^(١).

افتخر النورسي كثيراً ومصرّحاً بقدرة رسائله على علاج جميع المشكلات؛ ومن ذلك قوله: "فتجاه هذه الحالات المحيرة لا بد من ثبات عظيم، وصلابة تامة، ووفاء خالص، وغيره

(١) بكير، حسن عبدالرحمن: بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، الأردن ١٤٢٠هـ، ص ٩٦ بتصرف.

على الإسلام تفوق كل شيء، وبخلافه ستبقى خدمة الإيمان عقيمة بائرة، وتكون ضارة... ألا فليعلم أهل السياسة علماً قاطعاً رغم أننا لا علاقة لنا بهم؛ أن العلاج الوحيد لإنقاذ الأمة في هذه البلاد، وفي هذا العصر من الفوضى والإرهاب، ومن التردّي المريع والتدنيّ الرهيب؛ هو أسس رسائل النور"^(١).

يرى النورسي أن أهم المشكلات التي سببت تأخر البلاد ستة، وهي: البؤس واليأس والجهل وانعدام الصدق والعداوة والاختلاف"^(٢). إلا أنه لم ييأس النورسي من الإصلاح والتغيير، فقدّم الصفات العلاجية الناجعة لتلك الأعراض المرضية، مثل: الأمل، والصدق في الحياة الاجتماعية والسياسية، والمحبة، والترابط بين أفراد المجتمع، والشورى، فتلك مفتاح سعادة المسلمين"^(٣).

وسلك النورسي عدة مسالك لتثبيت المسلم على دينه، وإنقاذه من المشكلات، وأبرز مسالكه: الدفاع عن القرآن وتعاليمه ودفع الشبهات الموردة على العقيدة والشرعية، والشرح المفصّل بالأمثلة لأركان الإسلام ومقاصده وبيان وسائله وطرائقه، والشرح المفصّل بالأمثلة لوظيفة الإنسان في هذه الحياة والمراد من وجوده، والدعوة إلى العمل الجماعي وتقديم مصلحة الجماعة على المصلحة الفردية"^(٤).

وحّد النورسي الأسس التي يجب الاستناد إليها في مواجهة المشكلات الحاضرة والمستقبلية، ويمكن استخلاصها من رسائله، وأهمها: الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، والتقدم العلمي والعقلي الذي أشار إليه القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً، والجمع بين العلم والدين"^(٥).

(١) بديع الزمان سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٣٦ وص ١٥٩.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي: صيقل الإسلام، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٤٩٢ بتصرف.

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٩٢ - ٥١٥ بتصرف.

(٤) راجع للتفصيل: د. محمد أحمد عبد القادر ملكاوي ود. نجيل علي حسن صالح: المشكلات الاجتماعية ومعالجتها من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي، مجلة الشريعة والقانون، كلية القانون جامعة الإمارات العربية المتحدة، السنة السابعة والعشرون، العدد السادس والخمسون، ذوالحجة ١٤٣٤هـ أكتوبر ٢٠١٣م، ص ٢٨٠-٢٨٢.

(٥) راجع للتفصيل: د. محمد أحمد عبد القادر ملكاوي ود. نجيل علي حسن صالح: المشكلات الاجتماعية ومعالجتها من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي، ص ٢٨٢ - ٢٨٤.

المبحث الثالث: المنهج العام للنورسي في معالجة المشكلات الاجتماعية.

رَكَزَ النورسي في رسائله على تعريف معاصريه بمشكلاتهم، ومعالجتها بعدة وسائل، وإن القارئ لرسائل النور يجد أنها غُنِيَتْ بالمشكلات الاجتماعية بياناً وتحليلاً للأسباب والإجراءات العلاجية المناسبة لها، ويرى النورسي أن المشكلة الاجتماعية: هي كلُّ حالة أو ظاهرة تتناقض مع قيم الإسلام ومثله العليا الثابتة، مما يؤثر في الفرد والمجتمع تأثيراً سلبياً؛ لذا تتطلب هذه المشكلات حلاً جذرياً يتعاون فيه جميع أفراد المجتمع بإخلاص، كل حسب طاقته.

وإن المطلع على رسائل النور يلحظ وضوح مفهوم المشكلات الاجتماعية في فكره، فقد بيّن مدى خطورتها، وأشار إلى انعكاساتها السلبية في حياة الفرد والمجتمع، وجزم بأن أسبابها لا تكون إلا من فعل الإنسان، وأكد أيضاً على تقييد مفهوم المشكلة بالحكم الشرعي، فلا يجوز أن يكون أفراد المجتمع حاكمين على وجود المشكلات ومحددّين لها؛ بسبب تأثر بعضهم بالنظرة الغربية القائمة على افتراض العلاقة العدائية بين الدين والعلم، وإصرارهم على التغييب المقصود للمفهوم الديني للقيم ومصدرها، وتغييب الصبغة التربوية في حل المشكلات^(١).

ولبيان سمات مفهومه للمشكلة نبدأ بقوله: "لقد وضع الظلم على رأسه قلنسوة العدالة، ولبست الخيانة رداء الحمية، وأطلق على الجهاد اسم البغي، وعلى الأسر اسم الحرية، وهكذا تبادلت الأضداد صورها"^(٢).

وهذا يدل على أن المفهوم النورسي للمشكلات الاجتماعية امتاز بأربع سمات، وهي كما يلي:

السمة الأولى: إضافة البعد الديني لمفهوم المشكلات، فكل ما يخالف القيم الإسلامية المنطلقة من القرآن الكريم والسنة النبوية من سلوكات أو مواقف تؤثر في المجتمع هو في نظره مشكلة اجتماعية.

(١) راجع للتفصيل: د. محمد أحمد عبدالقادر ملكاوي ود. نجيل علي حسن صالح: المشكلات الاجتماعية ومعالجتها من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي، ص ٢٨٥.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي: المكتوبات، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٦٠٤.

السمة الثانية: التوافق وعدم الاضطراب في مفهومه للمشكلات الاجتماعية، والانسجام في عرضه لها؛ بسبب وحدة المصدر الحاكم على المشكلة.

السمة الثالثة: يُلاحظ حرصه الشديد على حال من يعاني من المشكلات الاجتماعية، فلم يكتف بالتنظير، بل وصف المشكلة وتحدث عنها وعن أسبابها وعلاجها، وأيد ذلك بضرب الأمثال.

السمة الرابعة: حدد النورسي الأركان الأساسية لمفهوم المشكلة الاجتماعية، وكان تحديده واضحاً في جميع رسائله، وقد ركّز فيه على البُعدين الديني والتربوي اللذين تفرضهما العقيدة الإسلامية^(١).

فبهذا المنهج القرآني بلور النورسي تفسيره للمشكلات الاجتماعية، وأكد على ذلك بقوله: "أما المنهج القرآني المعجز، ذلك المنهج الأقوم فقد أوضح الحقائق الإيمانية والمعرفة الإلهية المقدسة إيضاحاً أرفع بكثير وأسمى بكثير وأقوى بكثير مما أوضحه أولئك العلماء والأولياء، ورسائل النور إنما تفسّر هذا المنهج القرآن الأقوم الجامع الرفيع، وبه تتصدى للتيارات الفاسدة المضلة المدمرة"^(٢).

ومن خلال ما سبق عن تفسير النورسي للمشكلة نخلص إلى ما يلي لزيادة التوضيح:
أولاً: ينطلق تفسير النورسي للمشكلات الاجتماعية من فكر المدرسة القرآنية التي تحثّ على الإيمان والالتزام بأوامر الله، وتقوية الصلة بالله في نفوس الأفراد المكوّنين لِبَنات المجتمع.

ثانياً: عاش النورسي في تركيا في القرن العشرين، لكنه لم يربط تفسيره بأرض معيّنة، ولا بفترة زمنية محددة، ولا بحالاتٍ طارئة، كزمان الحروب وحالات الكوارث، فذلك تفسير مؤقت لا يصلح لكل أرض، ولا لكل المراحل الزمنية اللاحقة، وإنما كان تفسيره شاملاً ينطبق على المشكلات الاجتماعية في كل بلاد المسلمين، وفي كل زمان؛ لأنه ينطلق من قيم المجتمع الإسلامي الدينية الثابتة، فهو تفسير علميٍّ صائب، وبديلٌ عن كل التفسيرات المادية.

(١) راجع للتفصيل: د. محمد أحمد عبدالقادر ملكاوي ود. نجيل علي حسن صالح: المشكلات الاجتماعية ومعالجتها من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٢) النورسي: الملاحق، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.

ثالثاً: شمل تفسير النورسي مشكلات الفرد والمجتمع، وانتقل من قضايا الفرد إلى الأسرة إلى المجتمع، ثم إلى القضايا العليا المشتركة والمصيرية التي تهم المجتمعات الإسلامية كلها.

رابعاً: أضاف النورسي إلى تفسيره للمشكلات الاجتماعية بُعداً تربوياً مهماً؛ فقد نظر إليها من زاوية المري المشفق الحريص على مصلحة الأفراد والجماعات، وعدّ تلك المشكلات طعنات وجّهت إلى صدره فأوجعته أكثر من آلامه الشخصية، وأكد على ذلك مراراً، ومنها قوله: "لقد تحمّلتُ آلامي الشخصية كلّها، ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقتنني، إنني أشعر بأن الطعنات التي وجهت إلى العالم الإسلامي أنّها توجه إلى قلبي أولاً؛ ولهذا تروني مسحوق الفؤاد، ولكن أرى نوراً سيُنسِننا هذه الآلام إن شاء الله"^(١).

فهذا النص يدل على إحساس النورسي بالمسؤولية الدينية تجاه مشكلات الأمة كلها، ويدلّ على إخلاصه، وأنه كان يعيش مشكلات أمته بالقلب والروح والوجدان، وقد عبّر عن ذلك بقوله: «إنه بمقدار تيقظ القلب، وحركة الوجدان، وشعور الروح، تزداد اللذة والمتعة، وتقلّب نار الحياة نوراً، وشتاؤها صيفاً، وهكذا تفتتح أبواب الجنان»^(٢).

أما المنهج العام للنورسي في معالجة المشكلات الاجتماعية فيمكن بيانه حسب التفصيل الآتي:

أولاً: منهج النورسي في معالجة مشكلات الفرد

يرى النورسي أن تربية نفس الفرد ومعالجة جميع مشكلاته تكون بأربعة أساليب، وهي:

- ١ - تصحيح عقيدة الفرد بمعرفة الله تعالى وصفات كماله ومنها صفة الحكمة^(٣).
- ٢ - تصحيح سلوك الفرد باجتنب المحظورات وفعل المأمورات والعمل الصالح^(٤).
- ٣ - تربية روح الفرد بالترغيب بنعيم الآخرة والترهيب من العذاب كأنه واقع^(٥).
- ٤ - تربية عقل الفرد وتفكيره على النقد الواعي البناء والبحث عن الحقيقة^(٦).

(١) النورسي: صيقل الإسلام، ص ٥٤٩.

(٢) النورسي: الكلمات، ص ٨٩٥.

(٣) راجع للتفصيل: النورسي: صيقل الإسلام، ص ١٢٢.

(٤) راجع للتفصيل: النورسي: الملاحق، ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٥) راجع للتفصيل: النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٨٣.

(٦) راجع للتفصيل: النورسي: صيقل الإسلام ص ٣٤.

ثانياً: منهج النورسي في معالجة مشكلات المجتمع

- يرى النورسي أن تربية المجتمع ومعالجة مشكلاته تكون بأربعة أساليب، وهي:
- ١- معالجة المشكلات بخمسة أسس تشكل منظومة متكاملة من القيم الثابتة. (وهذه الأسس هي: الاحترام المتبادل، والشفقة والرحمة، والابتعاد عن الحرام، والحفاظ على الأمن، ونبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة) ^(١).
 - ٢- أن تكون العلاقات الاجتماعية قائمة على المحبة والابتعاد عن الخصومة ^(٢).
 - ٣- إصلاح النظام التعليمي في المجتمع وربط العلم بالدعاء والعبودية لله ^(٣).
 - ٤- العمل بالروح الجماعية التي هي شخصية معنوية قوية لا تعرف الأنانية ^(٤).

المبحث الرابع: الأعداء الثلاثة في رسائل النور: تفسيرها ومعالجتها

إن أعداء بديع الزمان الثلاثة هي: الجهل والفقر والفرقة. وقد ذكر "سعيد القديس" هذه الأعداء الثلاثة في جميع مقالاته وكتابات، وعبر عن أفكاره هذه بأساليب مختلفة إذ يقول مرة: "إن كل مؤمن مكلف بإعلاء كلمة الله، والوسيلة الكبرى لهذا في هذا الزمن هو التقدم المادي. ذلك لأن الأجانب يسحقوننا تحت سيطرتهم واستبدادهم المعنوي بوساطة أسلحة العلوم والصناعات، وسنجاهد نحن بأسلحة العلم والصناعة ضد الجهل والبؤس والفرقة التي هي أعدى أعداء إعلاء كلمة الله" ^(٥).

وفي مقالة أخرى يقول: "إن أعداءنا هي الجهل والبؤس والفرقة، وسنجاهد ضد هذه الأعداء بأسلحة الصناعة والمعرفة والاتفاق" ^(٦).

وفيما يلي نتناول هذه الأعداء الثلاثة بنوع من التفصيل من خلال رسائل النور:

(١) راجع للتفصيل: بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة، إحسان قاسم الصالح، الطبعة الثالثة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٤٠٦.

(٢) راجع للتفصيل: النورسي: صيقل الإسلام، ص ٥٠٩ والنورسي: اللغات، ص ٢٣٥.

(٣) راجع للتفصيل: النورسي: الكلمات، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ والنورسي: الملاحق، ص ٤١٧.

(٤) راجع للتفصيل: النورسي: الملاحق، ص ١٦٣.

(٥) ديوان الحرب العربي: ص ٥٧ "أخذت هذه العبارة من مقالته المنشورة في "الجريدة الدينية" بتاريخ مارت ١٩٠٩م عدد ٧٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٥.

العدو الأول: الجهل

قد صرّح النورسي في مواضع كثيرة من رسائله أن جميع المفسدات الاجتماعية تنبع من هذه الأعداء الثلاثة وبالتالي من الجهل: "ثم إن أعداءنا ليسوا هم "أي الأجانب" بل إن عدونا هو الجهل وماتولّد منه من منع إعلاء كلمة الله ومانتج عنه من مخالفة الشريعة. ثم البؤس وثمرته سوء الأخلاق وسوء التصرفات، والخلاف وماتولّد عنه من الحقد والنفاق. وغاية اتحادنا هي الهجوم على هذه الأعداء الخالين من الإنصاف"^(١). ويقول: "إذا كان الأمر من قد أعلنوا عداوتهم لنا، فإنهم فعلوا ذلك تحت إمرة هؤلاء المفسدين الثلاثة"^(٢).

والجهل في منظور النورسي رأس الشرور حيث يقول: "ثم إن الجهل هو عدونا ويسعى لإبادتنا، وهو ابن الآغا "السيد" أما البؤس فهو ابنه والخصومة حفيده"^(٣).

وبديع الزمان الذي يرى الجهل أساس كل سوء، يرى أن الخلاص يكون بالعلم، يُستشف هذا المعنى من قوله: "كنت أرى الأحوال البائسة للعشائر في الولايات الشرقية، فأدركت أن جزءاً من سعادتنا الدنيوية سيتحقق بالعلوم الجديدة للمدنية"^(٤).

ويُعَدُّ بديع الزمان من القلائل من بين علماء زمانه الذين أعطوا أهمية كبيرة للعلم، إذ من الصعب أن نجد رجل علم في أوائل هذا العصر يملك كل هذه البصيرة النافذة عن مستقبل العلم. يشهد له قوله: "إن البشرية في أواخر أيامها على الأرض ستتناسب إلى العلوم، وتنصب إلى الفنون، وستستمد كل قواها من العلوم والفنون فيتسلم العلم زمام الحكم والقوة"^(٥).

العدو الثاني: البؤس

عرّف الجرجانيُّ الفقر بأنه: فقد ما يحتاج إليه، وأما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمّى فقراً^(٦).

فعدم قدرة الإنسان على نيل احتياجاته الأساسية في الحياة يسمى فقراً، وهو الفقر

(١) بديع الزمان النورسي: الآثار البديعية، ص ٣٨١.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي: مناظرات، إسطنبول ١٩٩١ ص ٦٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٩.

(٤) بديع الزمان سعيد النورسي: ديوان الحرب العربي، إسطنبول ١٩٩٠، ص ٢٨.

(٥) بديع الزمان سعيد النورسي: الكلمات، دار سوزلر للنشر، إسطنبول، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص ٢٩٢.

(٦) الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٨م، ص ١٧٥.

المادي المرادف لمعنى الحاجة، ويعني بديع الزمان بـ"البؤس" التخلف المادي والتقني الذي أصاب المسلمين. وقد عبر عنه بعدة تعابير منها "الفقر" أو "الجوع" أو "الحاجة".. إلخ. وقد ربط النورسي حديثه عن الفقر بعقيدة الرزق، وأن الله تكفل بأرزاق الناس، وأن المعاصي تؤدي إلى الحرمان والفقر، وفي هذا المعنى يقول: "إن الرزق قسمان: القسم الأول: هو الرزق الحقيقي الذي توقف عليه حياة المرء، وهو تحت التعهد الرباني بحكم الآية ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(١)؛ ويستطيع المرء الحصول على ذلك الرزق مهما كانت الأحوال إن لم يتدخل سوء اختياره، دون أن يضطر إلى فداء دينه أو التضحية بشرفه وعزته. القسم الثاني: هو الرزق المجازي، فالذي يُسئ استعماله لا يستطيع أن يتخلى عن الحاجات غير الضرورية التي غدت ضرورية عنده نتيجة الابتلاء ببلاء التقليد، وثن الحصول على هذا الرزق باهظ جداً ولا سيما في هذا الزمان، حيث لا يدخل ضمن التعهد الرباني، إذ قد يتقاضى ذلك المال لقاء تضحيته بعزته سلفاً راضياً بالذل، بل قد يصل به حد السقوط في هاوية الاستجداء المعنوي، والتنازل إلى تقبيل أقدام أناس منحطين وضعيين، بل قد يحصل على ذلك المال المنحوس بالمحقوق بالتضحية بمقدساته الدينية التي هي نور حياته الخالدة"^(٢).

ويعترف بديع الزمان بهذا الفقر وبهذا التخلف الذي يئن تحت عبئه العالم الإسلامي. ولكنه لا يجعل هذا - كما يفعل بعض الماديين - وسيلة يأس يدفع الناس إلى حالة من الشلل يمنعهم من القيام بأية محاولة ومن بذل أي مجهود، على العكس من ذلك فإنه يجعل هذا دليلاً على قناعته بأن المسلمين سيتقدمون في المستقبل وسيلحقون بالغرب في مضمار العلم والتقنية بل سيسبقونه^(٣). ويشرح ذلك بالحاجة التي ظهرت في الغرب، والفاقة هي التي دفعته إلى التقدم. ويستند في هذا الصدد إلى المثل السائر: "الحاجة هي معلم المدنية"^(٤).

العدو الثالث: الفرقة

يحتل هذا الموضوع الذي تناولته رسائل (المكتوبات والسانحات واللمعات والكلمات ...) مساحة واسعة منها وأولته اهتماماً واضحاً من خلال عرضه وشرحه وتحليله مطلقة عليه

(١) هود: ٦.

(٢) النورسي: اللمعات، ص ٢١٦.

(٣) بديع الزمان النورسي: الآثار البديعية، ص ٣٤٩ - وقبلها ص ٦٩.

(٤) سنوحات: أنقرة ١٩٧٦م، ص ٥٥.

أحياناً بـ(الفوضى) و(النفاق) و(الخصومة) و(التنافر) وطارحة أسس علاجه من خلال (الاتحاد) و(الاتفاق) و(الوفاق) و(التساند) و(التعاون) و(الأخوة) ومقسمة إياه إلى خلاف فكري وفقهي وخلاف في العمل والتربية، أما الاختلاف الفكري فهو الناشئ عن الاجتهاد وتعدد الآراء وتحول مسار هذا الاختلاف من اختلاف إيجابي يهدف إلى الوصول إلى الحق كما قال عنه الرسول ﷺ «اختلاف أصحابي رحمة»^(١). أي عندما يروج المسلمون لمسلكتهم دون أن يهدموا مسالك الآخرين أو يطعنوا فيها، ويسعون إلى إكمال النقص إن وجد ورأب الصدع والإصلاح ما استطاعوا لذلك سبيلاً^(٢). وجعل اختلافهم ينحصر في الوسائل لا في الأسس والغايات وأن يحسنوا إلى بعضهم ويجعلوا قول الرسول ﷺ «الحُبُّ في الله والبُغْض في الله»^(٣). أساس التعامل بينهم^(٤). إلى خلاف سلمي يسوده التنازع والشقاق والتعصب وتشجيع المخالف وتخريب مسلكه وهدمه^(٥).

وقد نبهت رسائل النور على ضرورة حل الخلاف لاسيما أنه يسبب للأمة الإسلامية الركود والتخلف^(٦). ويشيع الجهل والتعصب بين المسلمين الأمر الذي جعل الغرب يحمل ظناً خاطئاً بأن الإسلام هو من يعين الاستبداد الذي شاع في المجتمعات الإسلامية في عصرنا هذا^(٧).

ودعت رسائل النور المسلمين إلى ضرورة إنهاء النزاعات ونبذ المسائل الجزئية والعودة من

(١) قال الحافظ العراقي سنده ضعيف وذكره آدم بن أبي إياس في كتاب العلم بلفظ «اختلاف أصحابي لأمتي رحمة» وهو مرسل ضعيف، ينظر: زين الدين محمد بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ١، الطبعة الأولى، مصر المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٦هـ، ص ٤٩.

(٢) بديع الزمان النورسي، كليات رسال النور (المكتوبات)، ترجمة إحسان قاسم الصالح، المجلد ٢، ط ٥، المكتوب الثاني والعشرون، القاهرة: شركة سوزلر للنشر، ٢٠٠٨م، ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٣) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩م، ط ٢، رقم الحديث (٢١٤٧١)، ج ٣٥، ص ٢٢٩.

(٤) النورسي، المكتوبات، المكتوب الثاني والعشرون، ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٤٣؛ بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور (سيرة ذاتية)، ترجمة إحسان قاسم الصالح، المجلد ٩، ط ٥، القاهرة: شركة سوزلر للنشر، ٢٠٠٨م، ص ٣١٤.

(٦) المكتوبات، المكتوب السادس والعشرون، ص ٤١٢ - ٤٢٠، النورسي، سيرة ذاتية، ص ٣١٤.

(٧) النورسي، صيقل الإسلام، المحكمة العسكرية العرفية، ص ٤٤٣.

جديد إلى قوة العقيدة والترابط بروابط الإيمان والإخوة^(١). فضلاً عن حديثها عن أنواع أخرى من الاختلافات لاسيما الاختلاف بين الدعاة والجماعات الإسلامية والاختلاف بين المدارس الدينية والمدارس الحديثة والتكايا والزوايا وغيرها^(٢).

المبحث الخامس: سُبُل مكافحة الأعداء الثلاثة في منظور رسائل النور

المطلب الأول: سُبُل مكافحة الجهل

الجهل درجات ومراتب وأنواع، ودركها الأسفل ما تعلق بجهل الدين وحقيقته وما نتج عنه من مخالفة الشريعة. والذي أثار بديع الزمان سعيد النورسي في عصره هو إهمال المعرفة الدينية وخاصة في صفوف الشباب مما حدا به إلى تأسيس مدرسة النور المنتشرة في بقاع الأرض الواسعة، فكتابة الرسائل واستقطاب التلاميذ بأعداد كبيرة كان إسهاماً إصلاحياً متميزاً في حياة الأتراك وحياة الإنسانية عامة.

ولعل المطلع على الرسائل في تفاصيلها يدرك جيداً الأهداف العملية التي توخاها الأستاذ سعيد النورسي من مكافحة الجهل. فقد كان يرمي إلى إصلاح البنية التعليمية الدينية شكلاً ومضموناً فدعا إلى:

١ - علاج الجهل بسلاح المعرفة: فعلاج الجهل الذي هو أساس كل سوء يكون بالعلم والمعرفة وتأسيس المدارس والمراكز التعليمية الدينية التي تجمع بين العلوم الدينية والدنيوية، وإنهاء التباين في الأفكار بين المؤسسات التربوية والدينية الثلاثة من حيث تدريس العلوم الدينية في المدارس الحديثة تدريساً حقيقياً وتحصيل بعض العلوم الحديثة في المدارس الدينية وتواجد علماء متبحرين في التكايا والزوايا^(٣)، وأن تتسلح الدول بسلاح العلم فبه القوة الحقيقة ذلك لأن "الحكومات التي تستند إلى القوة ستشيخ مثلها في ذلك مثل قوتها بسرعة، ولكن لما كان شأن العلم ومجده في تزايد مستمر، فإن الحكومات التي تستند إلى العلم ستكتب لها حياة أبدية"^(٤). فعلاج

(١) النورسي، اللمعات، اللمعة الرابعة، ص ٣١ - ٣٧

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي: ديوان الحرب العرفي، ص: ٨٠. و بديع الزمان النورسي: الآثار البديعية، ص ٣٥٥.

(٣) النورسي، السيرة الذاتية، ص ٧٢

(٤) النورسي، صيقل الإسلام، المناظرات، ص ٤٠٧ - ٤٢٨.

الجهل يكون إذن بسلاح المعرفة.

٢- **تفعيل دور المؤسسات العلمية الإسلامية التربوية:** وقد أفردت رسائل النور مساحة واسعة منها تبحث فيها شروط نجاح المؤسسة التعليمية بشكل يتناسب مع حاجة طالب العلم ومع حاجة أو متطلبات هذا العصر، فقد نصحت الرسائل طالب أي علم لاسيما طلاب العلوم الدينية أن يتخذ علماً من العلوم أساساً له ويأخذ خلاصة من كل علم من العلوم المتعلقة به لإتمام صورة ذلك العلم، وأن يهتم بالعلم الذي هو أهل لقدرته وبما هو مستعد للقيام به وترك العلوم التي لا يكون أهلاً باستيعابها أو الإحاطة بمداركها، فيكون الطالب عندئذ أقدر على محبة الصنعة وأقدر على احترام مقاييسها والفناء في إتقانها وإلا فإنه سيضيع قدراته في أمور هي خارجة عن نطاق قدرته وسيشوه الصنعة التي لا يميل لها لأنه خالف الفطرة...^(١).

٣- **فتح طريق لجريان العلوم الكونية الحديثة إلى المدارس الدينية،** بفتح نبع صاف لتلك العلوم بحيث لا ينفر منها أهل تلك المدارس^(٢).

اجتهد النورسي رحمه الله لإصلاح نظام التعليم عند المسلمين لتسير فيه العلوم المادية والفلسفية الإنسانية في توافق وائتلاف مع القرآن الكريم والسنة النبوية. تقول ماري ويلد: "يقسم بديع الزمان تاريخ الإنسانية إلى تيارين، أحدهما تيار النبوة والآخر تيار الفلسفة والعلوم، ويربط كلا التيارين بذات الإنسان ويصور نتائج كلا التيارين. فالنبوة التي تمثل الوحي الإلهي تخاطب قلب الإنسان، أما الفلسفة فتخاطب عقله، والهدف هو اتفاق الاثنين، أي قيام الفلسفة باتباع الدين واتباع النبوة وخدمتها، وكلما تم هذا ذقت الإنسانية طعم السعادة وعاشت في انسجام وتناغم. وعندما يفترق أحدهما عن الآخر ينسحب الخير والنور إلى جانب النبوة، ويتراكم الشر والضلالة - كما حدث في الغرب - في جانب الفلسفة"^(٣).

(١) النورسي، صيقل الإسلام، محاكمات عقلية، ص ٦٦-٦٧، والنورسي، السيرة الذاتية ص ٧١، ص ٤٩٧-٤٩٨.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالح، الطبعة الثالثة، سوزلر للنشر، ٢٠٠٢م، ص ٤٣٠.

(٣) مؤلفات بديع الزمان كنموذج لتقدم الإسلام إلى الغرب لماري ويلد. مؤتمر بديع الزمان، النورسي - إسطنبول ١٩٩٢م، ص ٢٢٢-٢٢٣.

فبهذا يؤلف بين الدين والدنيا وبين العلم والقرآن، فيكون علماء الحياة والكون بمنزلة الوجهين للعملة الواحدة، لأن كل طائفة ترى الحاجة بها إلى الطائفة الأخرى، فتصلح الواحدة بالأخرى. يقول رحمه الله: "ضيء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، وبافتراقهما تتولد الحيل والشبهات في هذا، والتعصب الذميمة في ذلك" (١).

٤- فكرة تأسيس مدرسة الزهراء: يرى النورسي أن تدريس الدين في المدارس العلمية والتقنية الحديثة يعصم الطلبة من الشك والإلحاد، وتدريس العلوم الحديثة في مدارس الشريعة يعصم طلبتها من التعصب وضيق النظر، فيلتقي الفريقان على سبيل وسط. وقد بدأ النورسي بنفسه فاطلع على العلوم الحديثة، وكانت له في التدريس طريقة مختلفة عما كانت عليه في عامة المدارس الشرعية، فكان يجمع بين الوحي وبين حقائق الكون والحياة كما عرفها الإنسان من خلال وسائل البحث العلمي عبر العصور. وفي تأليفه لرسائل النور تجده يجمع بين حجة الوحي المقروء وحقيقة الحياة والكون المنظور، فكانت العلوم الحديثة تسير من وراء الوحي وتشهد لحقائقه وتؤيد أحكامه (٢).

وعمل طول عمره على أن يسود هذا النظام في التعليم واجتهد وسعه لإنشاء - جامعة الزهراء - يتم فيها الجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا، ويقرأ فيها الوحي المنزل والكون المخلوق (٣).

المطلب الثاني: سبل مكافحة الفقر

قدم النورسي منهجه لمعالجة الفقر، وقد ركّز فيه على الجانب الروحي الإيماني، كما يلي:

أولاً: الإيمان بالله: فالإيمان بالله علاج لكل مرض مادي، وفي هذا يقول النورسي: "نعم، إن ألم الأمراض المادية الجزئية يزوب وينسحق تحت وابل السرور المعنوي والشفاء

(١) بديع الزمان سعيد النورسي: مناظرات، إسطنبول - دار نشر سوزلر ١٩٧٧م ص ٧٢.

(٢) أورخان محمد علي: سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، ١٩٩٩م: ص ٢٥.

(٣) المرجع نفسه ص ٢٥-٢٦، ص ٢٧، ص ٥٢، النورسي: "ملحق اميرداغ" الجزء الثاني ص ١٩٥.

اللذيد، والقادمين من الإيمان"^(١).

ويعملُ النورسي آثار هذا الإيمان في النفس الإنسانية تعليلاً تربوياً، وذلك بقوله: "إن الإيمان بالله الخالق الرحيم هو الذي يجعل أرواحهم تنبسط، وقابليتهم تنمو، ومواهبهم تتربى بسعادة — بما يكمن فيهم من ضعف وعجز — ويستطيعون أن ينظروا إلى الحياة نظرة اشتياق بتلقين التوكل الإيماني والتسليم الإسلامي تلقيناً يمكنهم من أن يصمدوا إزاء ما ستجابههم من أحوال وأهوال"^(٢).

ثانياً: الإيمان باليوم الآخر: الإيمان باليوم الآخر كفيل بتخليص الفرد والمجتمع من المشكلات الاقتصادية الداخلية والخارجية، وقد سماه النورسي بـ: "نقطة استناد البشر"، فقال فيه: "إن نقطة استناد البشر عند مهاجمة المصائب والأعداء من الخارج والداخل، مع عززه وقلة حيلته، وكذا نقطة استمداده لآماله غير المحدودة الممتدة إلى الأبد مع فقره وفاقته، ليس إلا معرفة الصانع والإيمان به والتصديق بالآخرة، فلا سبيل للبشرية المتيقظة إلى الخلاص من غفوتها سوى الإقرار بكل ذلك"^(٣).

ثالثاً: الدعاء المستمر والتضرع إلى الله تعالى: وفي الدعاء مزيد من إظهار الفقر المعنوي والحاجة إلى الله تعالى، والتضرع وسيلة لاستدراار الرزق، وقد عبّر النورسي عن ذلك بقوله: "وحيث إن الإنسان متعرّض لما لا يحصى من أنواع البلاء والمطالب ومهاجمة الأعداء لما يحمل من عجز مطلق، وله مطالب كثيرة وحاجات عديدة مع أنه في فقر مدقع لا نهاية له؛ لذا تكون وظيفته الفطرية الأساس: الدعاء بعد الإيمان، وهو أساس العبادة ومخها"^(٤).

وبهذا ترى أن النورسي قد حوّل مشكلة الفقر إلى نعمة تبقى المسلم في تذكر دائم لخالقه، وتضرع خالص لرازقه، فهو يأخذ بالأسباب اللازمة، ويستسلم للقدر، ويتشوّق لرحمة ربه.

رابعاً: الصوم وأداء الزكاة يوثقان العلاقة بين الأغنياء والفقراء ويعالجان أسباب

الفقر: يشيرُ النورسي إلى كفاية التشريعات الإسلامية للقضاء على الفقر، وقدرتها على علاج مشكلته، فالزكاة من أنجح الوسائل في ذلك، وفيها توثيق العلاقة بين الأغنياء والفقراء،

(١) النورسي: اللمعات، ص ٣٢٢.

(٢) النورسي: المكتوبات، ص ٥٤٥.

(٣) النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٩٤.

(٤) النورسي: الكلمات، ص ٣٥٥.

وفي ذلك يقول: "إن الناس قد خلقوا على صور متباينة من حيث المعيشة، وعليه يدعو الله الأغنياء لمساعدة وإخوانهم الفقراء، ولا جرم أن الأغنياء لا يستطيعون أن يستشعروا شعوراً كاملاً حالات الفقر الباعثة على الرأفة، ولا يمكنهم أن يحسوا إحساساً تاماً بجوعهم إلا من خلال الجوع المتولد من الصوم"^(١).

ويحثُّ النورسي الأغنياء على الصوم، ليكون داعياً لهم أن يبذلوا أموالهم في الزكاة، فالجوع يجعل الغني يعيش الواقع العملي للفقير، فتتوحد مشاعرهما، ويجهده الغني في أداء الزكاة، فتتقوى صلته بمجتمعه، ويشعر الفقير بأن الأغنياء يشاركونه في مشكلته، يقول في ذلك: "لو تأملت في مساوئ جمعية البشر لرأيت أسس جميع اختلالاتها وفسادها، ومنبع كل الأخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية، كلمتين فقط: إحداهما: إن شبعنا فلا على أن يموت غيري من الجوع. والثانية: اكتسب أنت لأكل أنا، واتعب أنت لأستريح أنا. والقاطع لعرق الكلمة الأولى ليس إلا الزكاة، والمستأصل للكلمة الثانية ليس إلا حرمة الربا، إن عدالة القرآن تقف على باب العالم وتصيح في الربا: ممنوع لا يحق لك الدخول! إن البشرية لما لم تصغ إلى هذا الكلام تلقت صفة قوية، وعليها أن تصغي إليها قبل أن تتلقى صفة أقوى وأمر"^(٢).

خامساً: معالجة مشكلة الفقر بالحث على العمل: أدرك النورسي أن الكسل سبب أساسي للفقر، فحث على العمل وأكد قيمته المعنوية، وأنه يمثل ثقافة التقدم والارتقاء، ولذلك وجه رسالة للكسالى يحفزهم على العمل، ويبين أن لذة الأعضاء وسعادتها بإتمام العمل، حيث يقول: "يا من لا يدرك مدى اللذة والسعادة في السعي والعمل، أيها الكسلان اعلم أن الحق تبارك وتعالى قد أدرج لكمال كرمه جزاء الخدمة في الخدمة نفسها، وأدمج ثواب العمل في العمل نفسه... تأمل في وظائف أعضائك وحواسك، ترى أن كلاً منها يجد لذائذ متنوعة في أثناء قيامه بمهامه في سبيل بقاء الشخص أو النوع، فالخدمة نفسها والوظيفة عينها تكون بمثابة ضرب من التلذذ والمتعة بالنسبة لها، بل يكون ترك الوظيفة والعمل عذاباً مؤلماً لذلك العضو"^(٣).

(١) النورسي: المكتوبات، ص ٥١٥.

(٢) النورسي: المكتوبات، ص ٦٠٤ - ٦٠٥.

(٣) النورسي: اللغات، ص ١٨٨ - ١٨٩.

ثم إن النورسي أراد توجيه الأنظار إلى أهمية التكسب في علاج الفقر، فحياءً العاقل شقية وضيقة وفقيرة، وحياءً الساعي يقظةً وهنيئةً وغنية، فهو يقول موضحاً هذا المعنى: "إن أشد الناس شقاءً واضطراباً وضيقاً هو العاقل عن العمل؛ لأن العطل هو ابن أخ العدم، أما السعي فهو حياة الوجود ويقظة الحياة"^(١).

المطلب الثالث: سبل مكافحة الفرقة

تدعو رسائل النور إلى بناء المجتمع بناءً صحيحاً، فتدعو إلى تأمين الراحة العامة والهدوء الاجتماعي، رافضة جميع حركات الهدم والتمزيق، لأنها تؤصل الحركية الإيجابية الفعالة، مناهضة جميع الحركات السلبية بتقوية أواصر المحبة والأخوة والترابط والتراحم في بنية المجتمع، وتدعو بقوة إلى الاتحاد والامتزاج، ومن ثم تحارب بضراوة كل دعاوى وأفكار الفرقة التي حاولت إخماد روح الأخوة التي هي أخص خصائص الدعوة القرآنية، ومن ثم فهي تصنع قواعد لبناء الأمة في مقابل دعاوى القبلية والقومية والعنصرية والميلية السلبية والشعوبية^(٢).

تتعدد في رسائل النور الإشارات والتعبيرات الواضحة الداعية إلى نبذ الخلافات والنزاعات التي تنشب نتيجة العناد والحسد والنفاق والحقد، وتدعو إلى التضامن والتعاقد. ويمكن استخلاص سبل مكافحة الفرقة من رسائل النور كالتالي:

أولاً: الاتفاق والاتحاد ورجوع المسلمين في حل مشاكلهم الدينية إلى القرآن الكريم والسنة النبوية

يكون علاج الاختلاف والتفرقة بالاتفاق والاتحاد ورجوع المسلمين في حل مشاكلهم الدينية إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وأن يأخذوا الأحكام الشرعية والضوابط مناهضة، ليكون العلاج نابغاً من مصدره الأساس فيتحقق منه نفع عام للمسلمين وتمسك ورغبة وتوجه نحوهما بدلاً من تشتت المسلمين بين آلاف الكتب الفقهية، التي وجب على المسلمين احترامها وتوقيرها هي الأخرى وتحويلها إلى كتب يستشف منها كنوز القرآن الكريم وتفسيراته فهي "وسائل شفافة كالزجاج لعرض قدسية القرآن الكريم وليس حجاباً دونه أو بديلاً

(١) النورسي: المكتوبات، ص ٦١٣، ولمزيد من التفصيل يرجى الاطلاع على مواضع تالية من رسائل النور: مناظرات ص ١٠٠، ١٣٦-١٣٩، الخطبة الشامية ص ٦٤، ١٢٩، الآثار البديعية ص ٦٤، ٣٥٠، محاكمات ص ٣٧، كلمات ص ٧٢٦.

(٢) النورسي: اللمعات، ص ١٧٤.

عنه^(١). ويكون أخذ الكتب الفقهية بطرق تربوية خاصة لتأخذ تلك الكتب مكانها الطبيعي ولتصل في أهميتها مصاف كتب الأئمة المجتهدين من السلف الصالح، على أن تجعل الغاية من قراءتها هي لأجل فهم ما يأمر به القرآن الكريم وليس لأجل ما يقوله صاحب الكتاب نفسه^(٢).

ثانياً: إعلاء الأخوة الإسلامية بين المسلمين

يكون علاج التفرقة بإعلاء الأخوة الإسلامية بين المسلمين وأن يستهدوا بقوله تعالى ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فِي أَشْيَاءِكُمْ﴾^(٣). الذي يشير إلى التساند والترابط الذي إذا اختل تفقد الجماعة قوتها ومكانتها، وبالحديث الشريف «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^(٤). أي في الاتحاد القوة والعظمة.

ثالثاً: السعى في توحيد الجماعات الإسلامية في المسالك والمشارب

يكون علاج التفرقة بالسعى في توحيد الجماعات الإسلامية في المسالك والمشارب، وانتهاج نهج المحبة فيما بينها وعدم انتقاص أحدها للآخر، واتباع السنة النبوية والامتثال لأوامرها واجتناب نواهيها، وعدم التمايز بين الناس سواء كانوا من الخاصة أو العامة، مع ضرورة المحافظة على النظام العام للبلاد والحرية الشرعية^(٥).

رابعاً: فكرة إنشاء جامعة إسلامية على غرار الأزهر

تبني النورسي فكرة إنشاء جامعة إسلامية على غرار الأزهر، بحيث تدرس فيها معاً العلوم الشرعية والعلوم الطبيعية، وذكر فائدة هذه الجامعة بقوله: "قبل خمس وستين سنة أردت الذهاب إلى الجامع الأزهر باعتباره مدرسة العالم الإسلامي، لأفهم منه العلوم، ولكن لم يكتب لي نصيب فيه، فهداني الله إلى فكرة وهي: أن الجامع الأزهر مدرسة عامة في قارة أفريقيا، فمن الضروري إنشاء جامعة في آسيا على غرار، بل أوسع منه بنسبة سعة آسيا على أفريقيا، وذلك لئلا تُفسد العنصرية الأقوام في البلدان العربية والهند وإيران والقفقاس وتركستان وكردستان، وذلك لأجل إنما الروح الإسلامية التي هي القومية الحقيقية الصائبة السامية

(١) النورسي، صيقل الإسلام، السانحات، ص ٣٤٧.

(٢) صيقل الإسلام، ص ٣٤٧ - ٣٤٨.

(٣) الأنفال: ٤٦.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٣٢، رقم الحديث ١٩٦٢٥، ص ٣٩٩.

(٥) النورسي، السيرة الذاتية، ص ٩٩ - ١٠٠، النورسي، صيقل الإسلام، الخطبة الشامية، ص ٩٨،

٥٣٦ - ٥٣٧، وبديع الزمان النورسي: الآثار البديعية، ص ٣٩٠

الشاملة، فتتال شرف الامتثال بالدستور القرآني: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^{(١)»(٢)}.

وهذا يُثبت أن منهج النورسي لعلاج الخلاف منهج علمي إيماني تربوي، إذ يبدأ بتهديب نفس الإنسان، ثم ينطلق به إلى قمة سامية بأن يكون أداؤه لمسؤولياته وواجباته الاجتماعية بدافع إيماني داخلي، والأساس الراسخ لهذا المنهج هو: العلم والمحبة والعدل والتعاون بين أفراد المجتمع على البر والتقوى، ثم التعاون والتآلف بين الشعوب الإسلامية من منطلق الأخوة الإيمانية، ولكن العُبن الفاحش حصل لما حالت ظروف العلمنة في الجمهورية التركية دون تنفيذ فكرة هذه الجامعة^(٣).

الخاتمة

عند مراجعة المادة التي قدمتها رسائل النور عن "الأعداء الثلاثة وسُبل مكافحتها في منظور رسائل النور" نجد مايلي:

١- علاج رسائل النور لمشاكل العصر كان بمنهجية شكلت سقفاً راسخاً فوق تاريخ الأمة الإسلامية، متعاملة معها بلغة العصر الداخل بصراع في مواجهة جاهلية العصر الحديث.

٢- وظفت رسائل النور القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في بناء مادتها، متبعة معها عنصر التدرج في البدء والانطلاق من الجزئي إلى الكلي، معدة أن طريق الشريعة الإسلامية وتحقيق الحقائق الإيمانية أقصر الطرق في علاج مشاكل العصر.

٣- شخصت رسائل النور الأعداء الثلاثة الفقر والجهل والاختلاف، وعدّها سبباً رئيساً في ضعف وتأخر المجتمعات الإسلامية، ووضعت الحلول لها ليستهدي بها المسلمون ويتخطوا العقبات التي وضعها الاستعمار أمامهم والتي تحول بينهم وبين إعلاء كلمة الله والتفاني في سبيلها.

٤- أكدت رسائل النور على قيمة الإخلاص والعمل والعلم، وعدّها أسباباً لتحقيق رقي المجتمعات، وأكدت على إيمانهم بمبدأ التكامل من حيث ربط العلوم الدينية والعلوم الدينية في سبيل مواجهة جاهلية العصر.

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) النورسي: الملاحق، ص ٤١٦ - ٤١٧.

(٣) زاده، جلال جلال: قضية العنصرية والظلم الاجتماعي الناتج منها من منظور الإمام النورسي، بحث مقدم في المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان سعيد النورسي، إسطنبول، ٢٠١٠م، ص ٧٣١ بتصرف.

٥- تشخيصها للأمراض الاجتماعية بنظرة واسعة وعميقة أوقعتها على حلول ناجعة وسريعة تتخطى بها ما تفرزه تلك الأمراض من آثار سلبية على المجتمعات والتي تكون سبباً في إعاقة نهوضها وتقدمها.

المصادر والمراجع

- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ج ٣٥، ط ٢، رقم الحديث (٢١٤٧١)، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩ م.
- أورهان محمد علي: سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، ١٩٩٩ م.
- بديع الزمان سعيد النورسي: ديوان الحرب العرفي، إسطنبول ١٩٩٠ م.
- بديع الزمان سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٤ م.
- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور (سيرة ذاتية)، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، المجلد ٩، ط ٥، القاهرة: شركة سوزلر للنشر، ٢٠٠٨ م.
- بديع الزمان سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٤ م.
- بديع الزمان سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دارسوزلر للنشر، الطبعة السادسة ٢٠١١ م، القاهرة.
- بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثالثة، سوزلر للنشر، ٢٠٠٢ م.
- بديع الزمان سعيد النورسي: صيقل الإسلام، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٤ م.
- بديع الزمان سعيد النورسي: المكتوبات، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٤ م.
- بديع الزمان النورسي، كليات رسال النور (المكتوبات)، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، المجلد ٢، ط ٥، المكتوب الثاني والعشرون، القاهرة: شركة سوزلر للنشر، ٢٠٠٨ م.
- بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثالثة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٣ م.
- بديع الزمان سعيد النورسي: مناظرات، إسطنبول ١٩٩١ م.
- بديع الزمان سعيد النورسي: مناظرات، إسطنبول - دار نشر سوزلر ١٩٧٧ م.

- بديع الزمان النورسي: آثار بديعية وهو كتاب جمعت فيه الرسائل المنشورة باللغة العثمانية أي كتابة اللغة التركية بالأحرف العربية.
- بديع الزمان سعيد النورسي: سنوحات: أنقرة ١٩٧٦م.
- بكير، حسن عبدالرحمن: بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، الأردن ١٤٢٠هـ.
- الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٨م.
- "الجريدة الدينية" بتاريخ مارت ١٩٠٩ عدد ٧٠.
- زاده، جلال جلال: قضية العنصرية والظلم الاجتماعي الناتج منها من منظور الإمام النورسي، بحث مقدم في المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان سعيد النورسي، إستانبول، ٢٠١٠م.
- زين الدين محمد بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ١، الطبعة الأولى، مصر المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٦هـ.
- أبوداؤد، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داؤد، موسوعة الحديث الشريف، دارالسلام، الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م.
- ماري ويلد: مؤلفات بديع الزمان كنموذج لتقديم الإسلام إلى الغرب، مؤتمر بديع الزمان، النورسي - إسطنبول ١٩٩٢م.
- محمد أحمد عبدالقادر ملكاوي ود. نجيل علي حسن صالح: المشكلات الاجتماعية ومعالجتها من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي، مجلة الشريعة والقانون، كلية القانون جامعة الإمارات العربية المتحدة، السنة السابعة والعشرون، العدد السادس والخمسون، ذوالحجة ١٤٣٤هـ أكتوبر ٢٠١٣م.
- أبوعيسى محمد بن عيسى الترمذي: سنن الترمذي، موسوعة الحديث الشريف، دارالسلام، الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م.
- أبوعبدالله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة، موسوعة الحديث الشريف، دارالسلام، الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م.

**مداخلة ندوة "دور العمل الايجابي
في بناء عالم أفضل : مقارنة رسائل النور
تجديد المفاهيم وطرق تنزيلها**

أ.د. صباح زخيني
أستاذة علوم الحديث، كلية الآداب،
جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب

أ.د. حسن الأمrani
رئيس تحرير مجلة المشكاة، المغرب

خطة البحث :

- ١ - مقدمة: في حاجة الأمة إلى رسائل النور.
- ٢ - تجديد المفاهيم.
- ٣ - مفهوم العمل.
- ٤ - مفهوم البناء.
- ٥ - مفهوم الغد الأفضل.
- ٦ - دوافع العمل الإيجابي.
- ٧ - عوائق التنزيل.
- ٨ - طرق العلاج.
- ٩ - خاتمة.

مقدمة

في حاجة الأمة إلى رسائل النور

يقول رسول الله ﷺ: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة، من يجدد لها دينها"^(١) واستنادا إلى هذا الحديث فإن الدعوات الإصلاحية في العالم الإسلامي لم تتوقف عبر العصور، وقد كانت بعض هذه الدعوات آتية، أي إنها كانت صالحة لزمانها فقط، بينما اكتسبت دعوات أخرى قدرة على تجديد نفسها، مما كتب لها البقاء والاستمرار. وكمثال على الدعوات الآتية نذكر حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي كانت تركز على التوحيد، ولكن من خلال بعض مظاهره المحدودة فقط، مثل محاربة زيارة الأضرحة والتقرب إلى الله تعالى عن طريق دعوة الأولياء، مما جعل هذه الدعوة عاجزة عن الامتداد الأفقي والعمودي، وآلت اليوم إلى بعض الأشكال والرسوم المنفصلة عن الواقع، والعاجزة عن معالجة القضايا الجوهرية للأمة. وأما الدعوات المتجددة فخير من يمثلها في العصر الحديث دعوة بديع الزمان سعيد النورسي، ذلك بأنها دعوة شاملة تعالج كل ما يتعلق بالفرد والجماعة، مع مراعاة العصر والواقع.

ومن هنا فإن الأمة الإسلامية اليوم وهي تشهد ما تشهد من مظاهر التصدع والشتات، بل والافتتال في بعض الأحيان، هي أحوج ما تكون إلى استحضار دعوة بديع الزمان النورسي^(٢) التي من مقوماتها العناية بالمحبة والرحمة والشفقة والخوف، وهذه العناصر مجتمعة من أسس الفعلية، إن نحن أدركنا هذه المقومات على حقيقتها، بحيث نتوجه بها إلى

(١) والحديث أورده أبو داود في سننه في أول كتاب الملاحم، (باب ما يذكر في قرن المائة) بسنده إلى سليمان بن داود المهري، قال: أخبرنا - عبد الله ابن وهب، أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن شراحيل بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة - فيما أعلم - عن رسول الله ﷺ قال: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة، من يجدد لها دينها".

(٢) إن داء الطائفية الذي استشرى في الأمة بعد غزو العراق داء وبيل. وقد استشعر الإمام النورسي خطورة هذا الداء فقال: (فيا أهل الحق الذين هم أهل السنة والجماعة، ويا أيها الشيعة الذين اتخذتم محبة أهل البيت مسلكا لكم، ارفعوا فورا هذا النزاع الذي لامي له ولا حقيقة فيه، وهو باطل ومضر في الوقت نفسه. وإن لم تزيلوا هذا النزاع فإن الزندقة الحاكمة الآن حكما قويا تستغل أحدكما ضد الآخر وتستعمله أداة لإفناء الآخر، ومن بعد إفنائها تحطم تلك الأداة أيضا). اللمعات: ٣٦.

قصدها الحقيقي الشريف، وإلا تحولت إلى سبب من أسباب الشقاء، بدلا من أن تكون وسيلة إلى السعادة التي هي قرينة الغد الفضل.

وهذا ما يجسده النورسي عندما فرق بين العشق الحقيقي والعشق المجازي، والعقل هو من يجتهد من أجل أن يتحول العشق المجازي . وهو محدود بمتع الحياة الدنيا . إلى عشق حقيقي، يتمثل في التوجه بالحب إلى (محبوب باق لا يزول)^(١)، (ومنها تنتقل المحبة إلى محبة تجليات الأسماء الحسنی)^(٢). فالحب، أو العشق الحقيقي، من وسائل تحقق العمل الإيجابي في هذه الحياة. يقول النورسي: (إذا تمكّن العشق من النفس . في طريق العشق الذي هو أنفذ الطرق الموصلة إلى الله . فإنها تتشبه بالمعشوق المجازي، وعندما ترى زواله تبلغ المحبوب الحقيقي)^(٣).

وكذلك أمر الشفقة، فإنها إن أحسنا توجيهها كانت عاملا من عوامل البناء، ورصيدا للفعالية، فإن نحن أخطأنا المقصد الأسنى تحولت إلى وبال. ويقرن بديع الزمان بين المحبة والشفقة على صعيد واحد، من حيث التأثير والتوجيه فيقول: (الذي ينسى نفسه ويغفل عنها، ولم يفكر بزوال حياته، وحسب دنياه الخاصة الفانية ثابتة كالدينا العمومية، ناسيا زوال الحياة، عاداً نفسه خالدا فيها فسكن إليها وتمسك بها بجميع حواسه ومشاعره يغرق فيها وينتهي أمره، فتكون تلك المحبة وبالا عليه وعذابا أليما، لأنها تولد شفقة ورقة قلب يائس يأس اليتيم، فيقاسي الألم من أحوال ذوي الحياة حتى يستشعر ألم الرقة والفراق مما يصيب المخلوقات الجميلة المعرضة لصفعات الزوال والفراق، ويجد نفسه مكتوف الأيدي إزاءها فيتجرع الألم في يأس مرير)^(٤). وأما الشفقة الإيجابية البانية التي تساعد المرء على العمل الإيجابي، وترقى به إلى أن يصبح جزءاً من بناء الغد الأفضل، فيقول عنها البديع: (أما الشخص الأول الذي نجا من شبك الغفلة، فإنه يجد بلسما شافيا إزاء شدة ألم الشفقة تلك، إذ يشاهد في موت ذوي الحياة وفي زوال من يتألم لأوضاعهم، بقاء مرايا أرواحهم التي تمثل تجليات دائمة لأسماء دائمة لذات جليلة باقية خالدة، وعندئذ تنقلب شففته إلى سرور

(١) انظر المكتوبات ص ١٢.

(٢) نفسه ص ١٣.

(٣) انظر المكتوبات ص ٥١٦ - ٥١٧.

(٤) نفسه.

دائم^(١)، ولما يتأمل هذا الشخص أسماء الله الحسنى يجد أن لهذه الأسماء تجليات لا تحد ولا تحصر، ويدرك أن هناك (شفقة مقدسة مطلقة ومحبة مقدسة مطلقة تليقان به سبحانه وتلائمان غناه المطلق وتعالیه وتقديسه وتوافقان كماله المطلق)^(٢)، فيمنحه ذلك حبورا ورغبة في الاتصاف بتلك الصفات، ويجعلها من أخلاقه، تأسيا بما ذكره بعض أهل التصوف من التحلق بأخلاق الله تعالى.

وعند النورسي أن الشفقة قد تعلو على المحبة نفسها، إذ الشفقة مجردة، ولا يطلب صاحبها من ورائها أجرا، ودليل ذلك (أن المشاعر والأحاسيس الشديدة الساطعة التي كان يشعر بها سيدنا يعقوب تجاه سيدنا يوسف عليهما السلام ليست مشاعر نابعة من المحبة والعشق، بل نابعة من الشفقة، لأن الشفقة أنفذ من المحبة والعشق، وأسطع منهما وأعلى وأنزه، فهي الأليق بمقام النبوة)^(٣).

وأما الرحمة، وهي صفة عني بها بديع الزمان كثيرا، فهي من الصفات الجوهرية التي عني بها القرآن الكريم، وقد قال تعالى مخاطبا رسوله الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤)، وفي الصحيح: (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)^(٥). إن حديث رسول الله ﷺ، كما قال عنه النورسي "معدن الحياة وملهم الحقائق"^(٦) وسيرته نموذج عال للرحمة.

وكما قارن النورسي بين المحبة والشفقة وقرنهما، كذلك قارن بين الرحمة والشفقة وقرنهما قائلا: (إن الشفقة التي هي ألطف تجليات الرحمة الإلهية وأجملها وأطيبها وأحلاها.. لهي إكسير نوراني، وهي أنفذ من العشق بكثير)^(٧). إن المحبة والشفقة والرحمة إذن هي أمور كفيفة برأب الصدع وجمع شمل الأمة من جديد

(١) انظر المکتوبات ص ٥١٧.

(٢) نفسه ص ١١١.

(٣) انظر المکتوبات ص ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٥) رواه الترمذي في سننه كتاب البر والصلة حديث رقم ١٩٢٤ وأبو داود في كتاب الأدب حديث رقم ٤٩٤١.

(٦) المکتوبات: ٥٦٧.

(٧) انظر المکتوبات ص ١٠١.

على هدي من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وتحقق التجديد المنشود المستلهم من العطاء النوري. ومما يُزين فكر النورسي ودعوته أنه يصوغ مبادئه ببديع أسلوبه، وأبهة بلاغته، ورائق بيانه، فكأنه حكيم يمد يده إلى صدور الناس ليحرك بأصبعه الحانية قلوبهم، وينفذ إلى الجمرة المتقدة في نفوسهم ليعيد إليها فعاليتها.

تجديد المفاهيم وتحديد المصطلحات:

من خصائص فكر بديع الزمان تجديد المفاهيم وتحديد المصطلحات، ومنها ما يتعلق بموضوعنا: "دور العمل الإيجابي في بناء عالم أفضل". وإن مما ينبغي تحديده وتحديد مفهوم العمل الإيجابي عند النورسي، ومفهوم البناء، ومفهوم العالم الأفضل وسبل تحقيقه. وقد اكتسبت هذه الأمور دلالات متجددة، انطلاقاً من القطب الذي تدور حوله كل القضايا النورية، وهو قطب الارتباط بالدين، وجوهره هو النظر إلى الآخرة، إذ الإيمان بالآخرة هو المحرك الذي يعطي كل شيء فعاليته في الحياة الدنيا، فإذا انتقض ذلك القطب انهار كل شيء، أو انخرط عن مساره على أقل تقدير.

مفهوم العمل والعمل الإيجابي:

ينقسم العمل عند النورسي إلى قسمين: عمل إيجابي وعمل سلبي، ويرتكز الإيجابي في "افعل"، أما السلبي فهو أن تكف عما نهك الله عنه، ونهك عنه الرسول ﷺ، وهذا التقسيم قريب جداً من "الصالح" وال"سوء"، إذ العمل الإيجابي يقابله العمل الصالح، والسلبي يقابله السيء.

يقول النورسي في هذا الشأن: "إن وظيفتي هي العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدام"^(١).

والعمل الإيجابي البناء هو الذي يثمر ويدوم ويستمر من أجل الأمة وخدمتها من دون إفراط ولا تفريط مصداقاً لقوله ﷺ: "يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل"^(٢).

ويقول النورسي: "إنه لا خير في الإفراط والتفريط في كل شيء، وأن الاستقامة هي الحد الوسط الذي اختاره أهل السنة والجماعة"^(٣).

(١) انظر للمعات ص ٣٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس باب الجلوس على الحصر ونحوه حديث رقم ٥٨٦١.

(٣) انظر للمعات ص ٣٧.

ثم إن العمل الإيجابي هو العمل الذي يسلم فيه القصد والنية من جهة، إذ الأعمال بالنيات، ويكون مراعيًا للميزان الذي يجعل منه عملاً صالحاً، ألا وهو ميزان الشريعة. فحسن القصد والنية وصلاح العمل هما الشرطان الأساسيان لكل عمل إيجابي.

والعمل في مفهومه الواسع يتخذ أشكالاً ثلاثة:

فهناك عمل صالح يتخذه المؤمن سبيلاً إلى تحقيق سعادة الدارين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾^(١) وهذا هو لب العمل الإيجابي.

وهناك عمل يظن صاحبه أنه يحسن صنعا، وهو مظهر من مظاهر الفساد الذي قال فيه الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾^(٢) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا^(٣).

ثم هناك عمل سيئ لا يرجى من صاحبه خير، ويصدق فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَبِيحٌ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٤).

ويميز بين الصنفين قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٥).

ويمكن أن يلحق بهذا الصنف صنف آخر، هو منه في النهاية وإن بدا على غير ذلك، فهو عمل صالح، كما يدل على ذلك ظاهره، إلا أنه يؤول إلى نتيجة مروعة، بسبب فساد القصد، وهي (إحباط العمل الصالح بالإيذاء والرياء)، كما يقول النورسي رحمه الله تعالى^(٦).

ومن الآيات البينات التي تقوي هذا المنحى، مع عناية خاصة بإبراز البلاغة التمثيلية، وبيان ما قد يؤول إليه العمل بسبب فقدان شرط الإخلاص، وإن كان صالحاً، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَاقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوفًا ۖ حِسَابُهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٧) ويضبط كل ما سبق قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ

(١) سورة الكهف الآية ٣٠.

(٢) سورة الكهف الآية ١٠٣-١٠٤.

(٣) سورة يونس الآية ٨١.

(٤) آل عمران: ٣٠.

(٥) انظر إشارات الإعجاز ص ١١٣.

(٦) سورة النور ٣٩.

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾^(١).

يقول بديع الزمان رحمه الله تعالى، عند الوقوف عند هاتين الآيتين الكريمتين: "يا من يريد أن يرى دليلاً على حقيقة الآيتين الكريمتين: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ اللتين تشيران إلى التجلي الأتم لاسم الله (الحفيظ).

إن التجلي الأعظم لاسم الله الحفيظ هو نظير الحقيقة الكبرى لهتين الآيتين مبثوث في الأرجاء كافة، يمكنك أن تجده بالنظر والتأمل في صحائف كتاب الكائنات، ذلك الكتاب المكتوب على مسطر الكتاب المبين وعلى موازينه ومقاييسه.

خذ . مثلاً . غرفة بقبضتك من أشات بذور الأزهار والأشجار، تلك البذريات المختلطة والحببات المختلفة، الأجناس والأنواع، وهي المتشابهة في الأشكال والأجرام، ادفن هذه البذريات في ظلمات تراب بسيط جامد، ثم اسقها بالماء الذي لا ميزان له ولا يميز بين الأشياء، فأين توجهه يسيل ويذهب. ثم عد إليه عند الربيع الذي هو ميدان الحشر السنوي، انظر وتأمل... ألا ترى كيف تتمايز تلك البذريات المتماثلة ويفترق بعضها عن البعض الآخر... لقد أظهرت كل بذرة بتجلي اسم الله (الحفيظ) وإحسانه ما ورثته من ميراث أبيها وأصلها بلا نقصان وبلا التباس"^(٢).

ومما يناقض العمل الركون إلى الكسل الذي استعاذ منه الرسول ﷺ: "وأعوذ بك من العجز والكسل"^(٣).

ومن مظاهر الركون إلى الكسل (حب الراحة والدعة والتطلع إلى تسنم الوظائف لدى

(١) سورة الزلزلة الآية ٧-٨.

(٢) انظر للمعات ص ١٨٨-١٨٩ .

(٣) في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة، فقال: (يا أبا أمامة ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة)، قال: هموم لزمته وديون يا رسول الله، قال: (أفلا أعلمك كلاماً، إذا أنت قلته: أذهب الله عز وجل همك وقضى عنك دينك؟)، قال قلت: بلى يا رسول الله، قال: (قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال)، قال ففعلت ذلك، فأذهب الله عز وجل همي وقضى عني ديني". رواه أبو داود في سننه حديث رقم (١٥٥٥).

الإنسان^(١)، وكل ذلك مما يستغله الشيطان ليفت في عضد الإنسان، وتتخذ شياطين الجن والإنس سلماً إلى صرف المؤمنين عن همهم العالية. (إنهم يستغلون ما لديهم من حب للراحة والدعة، ويستفيدون من مكانتهم في الوظائف ليفسدوا علينا مهمتنا، ويعيقوا خدمة القرآن، أو ليصرفوهم عن العمل للقرآن بدسائس ومكائد خبيثة إلى حد يجدون لقسم منهم أعمالاً كثيرة ليغرقهم فيها من دون أن يشعروا كيلاً يجدوا متسعاً من الوقت للعمل للقرآن، أو يقدموا لقسم آخر أموراً دنيوية فاتنة ليشيروا فيهم الرغبات والهوى، لتصيبه الغفلة عن الخدمة.. وهكذا)^(٢).

والعمل الإيجابي لا يمكن أن يكون كذلك إذا قام على التقليد، ولا سيما تقليد أهل السفاهة، بل لا بد من أن يكون أصيلاً، مستنداً إلى الكتاب والسنة، وفق فهم متجدد وأصيل.

يقول النورسي: "أيتها النفس، لا تقلدي أهل الدنيا، ولا سيما أهل السفاهة، وأهل الكفر خاصة، منخدعة بزينتهم الظاهرية الصورية، ولذا نذهم الخادعة غير المشروعة، لأنك بالتقليد لا تكونين مثلهم قطعاً، بل تتردين كثيراً جداً"^(٣).

مفهوم البناء: وأما البناء فهو المعول عليه لإنقاذ الإيمان الذي هو سر نجات الفرد والجماعة. ولكن البناء إذا لم يكن منضبطاً بقواعده صار وبالاً على صاحبه، وهكذا فإن البناء ينقسم إلى قسمين: بناء صالح، وبناء طالح. وخير ما يعبر عن هذه القضية ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضُرَّاراً وَكُفَّراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٠٧) لَأَنقَمُ فِيهِ أَبَداً لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا لِلَّهِ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ رَبِّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهَا بِيهٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠).

(١) انظر المکتوبات ٥٢٣.

(٢) نفسه ٥٢٣-٥٢٤.

(٣) انظر الكلمات ص ٤١١.

(٤) سورة التوبة الآية ١٠٧ - ١١٠.

فالبناء إذن منه محمود ومذموم، فلا يغرننا من يزعم الإصلاح وهو يبني، إذ البناء ما لم يقيم على تقوى من الله عز وجل كان على الحقيقة خراباً. وقد مثل النورسي لذلك بقول الله تعالى، في مقام الذم، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أُولِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنَكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١). وهذا من التمثيل الذي قال عنه بديع الزمان: "اعلم أن مما اتفق العلماء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كسأها أئمة، وكسته منقبة، ورفع من أقدارها وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباية وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيهما محبة وشغفا"^(٢). وهذا من بليغ ما قيل في باب التمثيل.

فما كل بناء هو بناء على الحقيقة. وإذا توسط (البناء) العمل الإيجابي والغد الأفضل لن يكون إلا بناء على تقوى من الله. وينبغي للعاقل أن يعمل للغد الأفضل الذي من أجله يكون البناء، وهو الغد الذي لا يتعرض للفناء ولا الزوال. نعم، إن الإنسان المستخلف في الأرض مدعو إلى عمران هذه الحياة الدنيا، ولكن هذا العمران . البناء . يجب أن يكون موصولا بالآخرة، التي هي مستقبل الإنسان الحقيقي، ومستقره الدائم. أو ليست السعادة هي التي أتعب الفلاسفة والمفكرون أنفسهم في البحث عنها والتنظير لها؟ وما السعادة على الحقيقة؟ ومن هو السعيد؟ إن القرآن الكريم أخبرنا عن السعادة وحقيقتها عندما قال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾^(٣). وهذه الدرجة لا يدركها إلا العاملون. وفي هذا نجد النورسي يقول: (لا بد أن أسعد إنسان هو من لا ينسى الآخرة لأجل الدنيا.. ولا يضحى بآخرته للدنيا.. ولا يفسد حياته الأبدية لأجل حياة دنيوية.. ولا يهدر عمره بما لا يعنيه.. ينقاد للأوامر انقياد الضيف للمضيف، ليفتح باب القبر بأمان.. ويدخل دار السعادة بسلام)^(٤). فالبناء إذن ليس غير العمل الصالح، وهو العمل الإيجابي الذي تكون آخرته هي السعادة. ولا ننسى أن الإنسان يجد في

(١) سورة العنكبوت الآية ٤١.

(٢) (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: ١١١).

(٣) سورة هود الآية ١٠٨.

(٤) المكتوبات: ٩١.

الحقيقة بشارة السعادة في الدنيا، وذلك بأنه يجد للعمل الإيجابي في نفسه لذة خاصة. وذلك ما بينه بديع الزمان خير تبيان بقوله: (يا من لا يدرك مدى اللذة والسعادة في السعي والعمل.. أيها الكسلان! اعلم أن الحق تبارك وتعالى قد أدرج لكمال كرمه جزاء الخدمة في الخدمة نفسها، وأدمج ثواب العمل في العمل نفسه.

ولأجل هذا كانت الموجودات قاطبة بما فيها الجمادات . من زاوية نظر معينة . تمثل الأوامر الربانية بشوق كامل، وبنوع من اللذة، عند أدائها لوظائفها الخاصة بها والتي تطلق عليها "الأوامر التكوينية"، فكل شيء ابتداء من النحل والنمل والطير.. وانتهاء إلى الشمس والقمر، كل منها يسعى بلذة تامة في أداء مهامها. أي اللذة كامنة في وظائف الموجودات، حيث إنها تقوم بها على وجه من الإتقان التام، رغم أنها لا تعقل ما تفعل ولا تدرك نتائج ما تعمل^(١).

فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للموجودات التي لا تعقل، فكيف بالإنسان العاقل؟ وهكذا فإن الإنسان إذا أدرك هذه الحقيقة، واستيقن أن اللذة والسعادة في العمل نفسه، كان ذلك حافزا له على التشمير عن ساعد الجد والإقبال على العمل الإيجابي بكل تفان وإخلاص.

مفهوم الغد الأفضل: وأما الغد الأفضل، عند بديع الزمان، فليس غير المستقبل. فكيف ينظر النورسي إلى المستقبل؟

يقول النورسي: "التفكر بالعقبى ليس هو بجلب المستقبل إلى الحاضر، بل الذهاب فكريا من الحاضر إلى المستقبل، ومشاهدة المستقبل من خلال الحاضر الواقع كما هو الحقيقة، فلا حاجة إلى الخيال، ولا يلزم الافتراض"^(٢).

إن الإنسان مطبوع على التشوف إلى المستقبل، لأن المستقبل غيب، ولأن الإنسان . منذ كان . كان ولوعا بمعرفة الغيب وكشف المحجوب. ولذلك سمى بعض الأساطير الشجرة التي أكل منها الأبوان "شجرة المعرفة"، قال تعالى: ﴿فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُمْ هَلْ أَذُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾^(٣).

(١) اللغات: ١٧١.

(٢) اللغات ٢٢٥.

(٣) سورة طه الآية ١٢٠.

وكل النظريات الاجتماعية والاقتصادية إنما صاغها أصحابها شوقاً إلى غد أفضل، أي إلى المستقبل. وعلى سبيل المثال، رأت الشيوعية المستقبل في انتفاء الطبقة، بعد مرحلة الصراع الطبقي.

في حين رأى العالم الغربي أن السعادة في سيادة نموذج القوائم على سيطرة الرأسمال والاقتصاد الحر، وهذا ما صاغه فوكوياما في نظريته "نهاية التاريخ".

وأما المسلم فيؤمن أن الغد الأفضل، أي المستقبل، يكمن في عمله الديني البناء الذي يوصله إلى سعادة الآخرة.

ولا يظن أحد أن طلب الآخرة، باعتبارها المستقبل الحقيقي، والغد الأفضل الحقيقي، يعني الانصراف عن الدنيا والزهد فيها زهداً يجعل الآخرين يتحكمون فينا، بتحكمهم في هذه الأرض. كلا، فإن المدافعة، وطلب العزة في هذه الحياة الدنيا هو من رسالة المسلم. وفي هذا يقول بديع الزمان: (أو تظن أن فقرنا ناجم عن من زهد في الدنيا أو كسل ناشئ من ترك الدنيا؟ إنك مخطئ في ظنك أشد الخطأ.. ألا ترى أن المجوس والبراهمة في الصين والهند وزنوج إفريقيا وأمثالهم من الشعوب المغلوبة على أمرها والواقعة تحت سيطرة أوربا هم أفقر منا حالاً؟

أولا ترى أنه لا يبقى بأيدي المسلمين سوى ما يسد رمقهم ويقيم أودهم حيث يغصبه كفار أوربا الظالمون منهم أو يسرقه منافقو آسيا بما يحيكون من دسائس خبيثة؟ إن كانت غايتكم من سوق المؤمنين قسراً إلى المدنية التي هي الدنية "أي بلا ميم" تسهيلاً لإدارة دفة النظام وبسط الأمن في ربوع المملكة، فاعلموا أنكم على خطأ جسيم، إذ تسوقون الأمة إلى هاوية طريق فاسد...

وبناء على ما تقدم من الأسس فليس بالمسلمين حاجة إلى ترغيبهم وحثهم على حب الدنيا والحرص عليها، فلا يحصل الرقي والتقدم ولا ينشر الأمن والنظام في ربوع البلاد بهذا السلوب، بل هم بحاجة إلى تنظيم مساعيهم، وبث الثقة فيما بينهم، وتسهيل وسائل التعاون فيما بينهم، ولا تتم هذه الأمور إلا باتباع الأوامر المقدسة في الدين، والثبات عليها، مع التزام التقوى من الله سبحانه وابتغاء مرضاته^(١).

ثم إن قيمة العمل ليس في حجمه ولا مظهره وإنما في كنهه وجوهره، يقول البديع رحمه

(١) اللغات: ص ١٧٠.

الله تعالى: (ما دام العمل لوجه الله وفي سبيله فلا ينظر إلى صغره وكبره ولا إلى سموه وتفاهته، فالذرة في سبيل رضاه سبحانه مع الاخلاص تصبح نجمة متألثة)^(١)، ولا يمكن أن يتحقق القصد منه إلا إذا تحقق فيه شرطا الجد والحزم. إلا أن تنزيل هذه الأمور لا تخلو من عوائق كوسوسة الشيطان والكسل والاعجاب بالنفس، والرياء وعدم الاخلاص والحسد والأنانية والخوف والطمع^(٢)..

فالحسد في المنافع المادية يشوه نتائج العمل الايجابي، وقد يجبر إلى المحذور وينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوُوا بِآثَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنقُوزُ﴾^(٣).

الدوافع والعوائق والعلاج

الآن وقد تحددت لنا المصطلحات والمفاهيم، وأدركنا حقيقتها، علينا أن نبحث عن سبل تنزيلها في الواقع، من أجل الالتزام بها، ونتبين عوائق التنزيل من أجل تجنبها، وأن نعرف سبل علاج تلك العوائق والتغلب عليها وإزاحتها من الطريق، من أجل الإقبال على العمل الإيجابي البناء من أجل الغد الأفضل، بمأمن من تلك العوائق والعقبات.

دوافع العمل الإيجابي: ودوافع العمل الإيجابي تتضمن أيضا مقوماته وشروط تنزيله.

يقرر النورسي رحمه الله أن ثمة طرقا عدة توصل إلى الغد الأفضل، نجمعها فيما يلي:

١- **خدمة الإيمان** الذي هو فوق كل اعتبار باعتباره مفتاح السعادة في الدنيا والآخرة، ولهذا يقول: "إن الإيمان إذا دخل القلب يصير الانسان جوهرًا لائقًا للأبدية، وبالفكر يصير خزفًا فانيًا، إذ الإيمان يرى تحت القشر الفاني لبًا لطيفًا، ويرى ما يتوهم حبابًا مشمسًا زائلًا ألباسًا منورًا، والكفر يرى القشر الفاني لبًا فيتصلب فيه فقط، فتنزّل درجة الانسان من الألباس إلى الزحاجة، بل إلى الحجاب"^(٤).

٢- **الاخلاص في العمل** والتفاني فيه حتى تعم الفائدة، إذ الإخلاص هو الشرط الأول في قوام الأعمال وقبولها، إذ لا ينفع صلاح العمل إذا فقد الإخلاص. يقول النورسي: "ثم إن الاخلاص في العمل ونشدان الحق فيه إنما يعرف بصدق الرغبة في إفادة المسلمين عامة أيا كان مصدر الاستفادة ومن أي شخص صدر. وإلا فحصر النظر

(١) انظر اللمعات ص ٢١٦.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٢٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٤١.

(٤) انظر المثنوي العربي ص ١٥٨.

بأن يؤخذ الدرس والارشاد مني فقط لأفوز بالثواب الأخروي هو حيلة النفس وخديعة الأنانية"^(١).

وإن من العمل الايجابي ألا يشغل المرء نفسه فيما يخصه سبحانه وتعالى من تقدير وتدبير، وإنما كما يقول النورسي: "بل اجمع همك في القيام بما أنيط بك من واجب"^(٢).

٣- **الاقتداء بأهل الصلاح في العمل الايجابي وربط عرى المحبة معهم** إذ لا ينبغي أن يكون الاقتداء بأهل الصلاح إلا بأهل الصلاح في العمل الايجابي وربط عرى المحبة معهم. فأما الاقتداء بأهل السفه فلا يزيدنا إلا خبالاً^(٣). إن من شأن صحبة أهل الصلاح رفع الهمة، **والتعالي** على الصغائر، وصقل النفس وجلاؤها من الأدواء، كحب النفس والغرور. يقول النورسي، وهو يتحدث عن علاج أمراض النفس الأمارة: (الافتخار بصحبة السلكين في منهج الحق، وربط عرى المحبة معهم تطبيقاً للحديث: "الحب في الله"، ثم السير من خلفهم وترك شرف الإمامة لهم، وترك الإعجاب بالنفس والغرور، بناء على احتمال كون سالك الحق أيا كان هو خيراً منه وأفضل، وذلك ليسهل نيل الإخلاص)^(٤).

٤- **عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب**^(٥)، من غير أن يشغل ذهنه بعداء مخالفه، أي لا يشتغل بهم أصلاً. ذلك بأن قيمة العمل ليس في حجمه ولا مظهره وإنما في كنهه وجوهره، فنحن نقرأ في اللغات: "ما دام العمل لوجه الله وفي سبيله فلا ينظر إلى صغره وكبره ولا إلى سموه وتفاوته، فالذرة في سبيل رضا سبحانه مع الاخلاص تصبح نجمة متألئة"^(٦). وهذا منسجم مع ما ذكرناه من قبل، من أن اللذة والسعادة في العمل نفسه.

(١) انظر اللغات ص ٢٠٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الكلمات: ٤١١.

(٤) اللغات: ٢١١.

(٥) نفسه: ٢٠٧.

(٦) اللغات: ٢١٦.

٥- اتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً^(١)، فبذلك يكون قادراً على تجنب الأنانية والغرور، وهما من الفواقر المهلكة. وبذلك لا يسمح للمنافسة، التي هي شيء فطري، أن تتحول إلى تحاسد وتباغض، والحال أن الذي ينبغي أن يجمع مع أهل القبلة هو الحب. ويزيد النورسي ذلك بيانا بقوله: (إن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: "إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل"، من دون أن يتدخل في امر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي فحسب" أو "إن الحسن والجمال في مسلكي وحده"، الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها)^(٢).

عوائق التنزيل:

إن السالك يستحضر دوافع العمل الإيجابي، ويوطن النفس على تنزيلها في الواقع. إلا أن للشيطان مداخله التي يريد من خلالها تشييط الهمم، وتزيين الكسل والقعود للمسلم. ومن هنا تنبع عوائق في الطريق، ومنها:

- ١- الرياء: ويكفي الرياء داء أنه يسفد الأصل الأول من أصول مقومات العمل الإيجابي الذي هو الإخلاص. وفي هذا يقول بديع الزمان: "والإخلاص نقيض الرياء"^(٣).
- ٢- الأنانية: والأنانية داء وبيل، تحجب الحق، وتفضي إلى غمط الحق. وسبب ذلك تضخم "الأنا"، التي كانت سبب هلاك السابقين. فإبليس أهلكه قوله: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٤)، وفرعون أهلكه قوله: ﴿قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾^(٥)، . يجعل بديع الزمان "الأنانية" هي المانع الثاني للإخلاص، ويقول: (المانع الثاني للإخلاص هو إعطاء ما يداعب انانية النفس الأمانة بالسوء وما تستشرفه من منزلة ومكانة، تتوجه إليها الأنظار، وحب إقبال الناس وطلب توجههم بدافع من حب الشهرة وذياق الصيت الناشئ من التطلع إلى الجاه وحبه. فكما أن هذا داء روحي وبيل، فهو باب إلى "الشر الخفي" الذي هو الرياء والإعجاب بالنفس الماحق للإخلاص)^(٦).

(١) اللمعات: ٢٠٧.

(٢) نفسه.

(٣) اللمعات: ٢٠٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٢.

(٥) النازعات، الآية: ٢٤.

(٦) اللمعات: ٢٢٨.

٣- **الخوف والطمع:** وهاتان الصفتان محمودتان عند التعامل مع الله تعالى، فقد قال سبحانه في محكم الكتاب: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) ولكنهما خصلتان مذمومتان عند التعامل مع المخلوق، إذ هما مدخل إلى الرياء، الشرك الأصغر. بل هما من دسائس الشيطان، ضمن ست دسائس ذكرهما النورسي فقال: (إن الشعور بالخوف شعور عميق في كيان الإنسان، وغن الطغاة والظالمين الماكرين يستغلون كثيرا هذا الشعور لدى الإنسان فيلجمون به الجبناء، ويستفيد كثيرا جواسيس اهل الدنيا ودعاة الضلال من هذا الشعور لدى العوام ولاسيما لدى العلماء، فيلقون في روعهم المخاوف ويشيرون فيهم الأوهام... فيدفعونهم إلى التحلي عن أمور جسام من جراء مخاوف تافهة لا قيمة لها)^(٢).

٤- **الحسد والمشاحنة:** وهما من الأمراض الخبيثة التي تفتك بالنفوس، وتبطل الأعمال. يقول النورسي: "لا حسد ولا مشاحنة في أعمال صالحة تفضي الى الآخرة، أي لا مجال للمنافسة والتحاسد فيها، فمنن تحاسد فهو لا شك مراة"^(٣). والحسد في المنافع المادية يشوه نتائج العمل الايجابي، وقد يجر إلى المخطور وينطبق عليه قوله تعالى: (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا)

٥- **التنازع والاختلاف^(٤):** وهذا داء وبيل، إذا أصيبت به الأمة دب إليها الضعف والوهن. و من علاج هذا الاختلاف التأدب بالآداب القرآنية والاتصاف بصفات عباد الرحمن ومنها اجتناب اللغو مصداقا لقوله تعالى ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(٥)، وهذا يعني عدم الجدال والمراء والالتزام بخلق العفو ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾^(٦) والانصراف عن العمل الايجابي بدعوى التفرغ للذكر الفردي واجتناب المناقشات الداخلية والانسحاب

(١) سورة الأعراف، الآية ٥٦.

(٢) راجع القسم السادس من المکتوب التاسع والعشرين في المکتوبات ٥١٢ - ٥١٨.

(٣) اللمعات ٢١٦.

(٤) المصدر نفسه ص ٢١٣.

(٥) سورة الفرقان: الآية ٧٢.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٠٩.

- من ميدان العمل مما يصيب صف المؤمنين بالوهن إذ هو من تلبس إبليس^(١).
- ٦- هذا ومن تلبس إبليس **الانصراف عن العمل الايجابي** بدعوى التفرغ للذكر الفردي واجتناب المناقشات الداخلية والانسحاب من ميدان العمل مما يصيب صف المؤمنين بالوهن إذ هو من تلبس إبليس^(٢).
- العلاج:** وحي بني بعد معرفة عوائق التنزيل أن نعرف سبل العلاج من هذه الأمراض والعوائق.
- وسبل العلاج كثيرة، وكلها تؤول إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ، تبعاً للمنهج النوري، إذ هذا هو المنطلق وهو المنتهى. ويمكننا عرض بعض هذه السبل، بإجمال، فيما يلي:
- ١- ولا شك أن علاج هذه الأمراض يكمن، أولاً، في **ابتغاء مرضاة الله وحده دون سواه**^(٣)، وعدم إثارة نوازع الحسد بالتفاخر والاستعلاء، "نحن جميعاً أجزاء وأعضاء في شخصية معنوية جديرة بأن يطلق عليها الانسان الكامل"^(٤). وتلازم الحق والاخلاص وملازمتها لأنهما وحدهما مصدر القوة^٥ ثم تقوية الأخوة في الله لأنها الأخوة الحقيقية وهي طريق إلى الخلية التي هي درجة عليا^٦.
 - ٢- عدم إثارة نوازع الحسد بالتفاخر والاستعلاء، يقول: "نحن جميعاً أجزاء وأعضاء في شخصية معنوية جديرة بأن يطلق عليها الانسان الكامل"^(٧).
 - ٣- تلازم الحق والاخلاص وملازمتها لأنهما وحدهما مصدر القوة^(٨).
 - ٤- تقوية الأخوة في الله لأنها الأخوة الحقيقية وهي طريق إلى الخلية التي هي درجة عليا^(٩).

(١) انظر للمعات ص ٢١٤.

(٢) - نفسه.

(٣) انظر للمعات ص ٢١٢.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٢٢.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٢٣.

(٦) المصدر نفسه ص ٢٢٤.

(٧) المصدر نفسه : ٢٢٢.

(٨) - نفسه: ٢٢٣.

(٩) - نفسه: ٢٢٤.

خاتمة: وخلاصة القول، فإن العمل الإيجابي البناء هو ثمرة من أهم ثمرات الايمان، بل مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، يقع منها موقع الوجوب العيني، وجوهره أن يكون سلوكا جماعيا منظما، مُنطلقه القيم الإسلامية، وهدفه الارتقاء بالفرد إلى الإنسان الكامل من أجل ضمان عيش كريم في سلام واطمئنان، في مجتمع يحافظ على التوازن بين الطبقات ويحترم الآخر قصد الرقي بالأمة إلى الأحسن والأفضل لتكون خير أمة أخرجت للناس.

ولهذه الأسباب وغيرها، أعطى النورسي رحمه الله الأولوية لخدمة الايمان باعتباره أساس بناء الإنسان، وثنى بالإخلاص، باعتباره الشرط الذي لا تسلم العمال إلا به، وجعل توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية قاعدة للعمل الإيجابي البناء، فدعا إلى إنزال مقاصد العمل الإيجابي البناء منزلة المحرك للأداء الحضاري.

والحمد لله رب العالمين.

دور العمل الإيجابي في وقاية النفس من الحرص وسبل العلاج من آثاره في ضوء رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي^(١)

د. سامر سمارة

جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

مقدمة:

لقد فطر الله في الإنسان الحرص على الأسباب التي بها مرام معاشه ومصالحه الدنيوية، لذلك فهو يسعى بصورة مستمرة إلى تحصيلها، ويرغب في الاستزادة منها ليتلذذ بها ويستمتع، وكلما تلذذ أكثر تطلعت نفسه إلى المزيد، وسعت إلى الاستئثار بها دون الآخرين، يقول الإمام النورسي رحمه الله: «كيف لا وهو المفطور على حبّ البقاء والخلود، فمن هنا دخل إبليس لأبينا آدم..»^(٢)، ولما كانت الحياة قائمة على سنّة التدافع، فإنّ البشر ينخرطون ضمن هذه السنّة في محاولة الاستئثار بالنصيب الأكبر من مُتَع الدنيا وزينتها، والإحفاء في طلبها والاستقصاء في تحصيلها، وجشع النفس عليها.

ومرّد هذا نابغ من صفات نفسية داخلية، وخلق في التفكير، وقصور في فهم حقيقة الحياة، وحقيقة الوجود فيها، فالمادّيون يعتقدون أنّ السعادة في الحياة نفسها، وما فيها من المتع والملذات المادّية، فكلّما تمّ تحصيل مُتَع وملذات أكثر؛ كانت السعادة أعظم، فالعلاقة بينهما مطّردة، لذلك هم يقصدونها بحثًا عن سبب السعادة. لكنّ الحقيقة أنّ كل هذا إنّما هو موقوت بزمانٍ سرعان ما ينتهي، فلا هو يروي النفس المتعطّشة للتلذذ، ولا يلي طموحاتها ورغباتها بديمومة هذه المتع والملذات، أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً، حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً، وجهودهم يبذلونها ثمّ تكون عليهم حسرة، كذلك يرجع الأمر إلى عوامل خارجية ومؤثرات محيطية بالإنسان تُعزّز من غو صفة الحرص وتزيد من تأثيرها^(٣).

(١) السيرة الذاتية (٢٥٢، ٢٥٣).

(٢) الشعاعات، الشعاع الرابع (٨٢/٤).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٨٢/٤-٨٤)، وسيرة ذاتية (١٤٧).

وقد ابتليت البشرية منذ بداية القرن المنصرم . خصوصًا بعد أفول شمس الخلافة الإسلامية، بسيطرة الحضارة الأوروبية المنبثقة من الفلسفة الطبيعية والمادية الجاثية على عقول الناس وطرق تفكيرهم؛ فتحكمت بمصائرهم، وقلبت السيئات إلى حسنات، وبرزت القيام بالأعمال السلبية بوصفها وسائل لتحقيق السعادة الموهومة، فتحسدت المادية نظامًا عالميًا قبيحًا سحق تحت وطأته الثقيلة كل معاني الإنسانية والرحمة والتعاون، وأغلق الأبواب أمام التواصل الإنساني الإيجابي، وأصبح وكراً لكل صفة سيئة وسلبية تولد داخلها بغضًا وحقداً وصراعاً مذموماً ظاهراً وباطناً بين البشر^(١).

وحتى لا يفهم كلام الشيخ رحمه الله عن الدنيا بصورة خاطئة، فقد بين أقسام الدنيا، ووضح أثر كل قسم منها على الإنسان فقال: «ثم نظرت إلى الدنيا التي عشقها أكثر الناس، وابتلوا بها. فرأيت بنور القرآن أنَّ هناك ثلاث دُنى كلية قد تداخل بعضها في البعض الآخر، الأولى: هي الدنيا المتوجهة إلى الأسماء الإلهية الحسنى، فهي مرآة لها. الثانية: هي الدنيا المتوجهة نحو الآخرة، فهي مزرعتها. الثالثة: هي الدنيا المتوجهة إلى أرباب الدنيا وأهل الضلالة، فهي لعبة الغفلة وهوهم»^(٢).

يلاحظ ممَّا سبق أنَّ تحذير المصلح النورسي رحمه الله ينصبُّ على القسم الثالث من أقسام الدنيا لما تركه من أثارٍ سلبيةٍ على النفس البشرية: من انشغالٍ عن الحق، وغفلةٍ عن القيام بالواجبات، أمَّا القسمين الأولين فلا ضير من العيش في ظلالهما؛ فهما يدعوان الإنسان إلى التقرب لله سبحانه وتعالى، ويعينانه على الثبات على الصراط المستقيم. ولأنَّ الشيخ رحمه الله كان صاحب نظرةٍ ثابتة، وحكيماً في تقدير الأمور، فقد شخص الأسباب الرئيسية التي تولد الحرص في النفس البشرية، وتعهده بالرعاية، وترفده بأسباب البقاء، ووصف لها الأدوية الشافية الفعالة التي تقي النفس من هذه الأسباب وتشفيها حال الإصابة بها.

المبحث الأول: أسباب تولد الحرص وتجذر المادية في النفس الإنسانية.

تتعدد الأسباب المولدة للحرص داخل النفس البشرية، والباعثة لها على سلوك سبيل المادية والتشبُّث بها، وقد ذكر المصلح والمجدد سعيد النورسي في رسائل النور جملة من هذه

(١) ينظر: اللمعات (١٧٧-١٨١).

(٢) السيرة الذاتية (٢٥٢، ٢٥٣).

الأسباب، وبعد تحليلها والوقوف على مضامينها وجدت أنها تندرج تحت قسمين رئيسين، الأول: أسباب نفسية داخلية، الثاني: أسباب خارجية، والتفصيل على النحو الآتي:

المطلب الأول: الأسباب النفسية الداخلية.

ويقصد الشيخ بها تلك الصفات السلبية المتغلغلة داخل النفس البشرية، والتي يتعرّز تأثيرها، وينعكس على السلوك بسبب: غياب التوجيه والتربية، وقلة العلم، فتتخطى رتبة الإنسان من منزلة التكريم الإلهي إلى منزلة الحيوانية البهيمية التي قال الله تعالى في شأنها: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(١).

ويمكن رد كل هذه الصفات السلبية إلى أصلين رئيسين هما: خلل تربوي، والثاني: قصور فكري.

أولاً: الخلل في تربية النفس البشرية.

النفس البشرية مثل الأرض، يصلح أن ينبت فيها النافع والضار، وعلى قدر الاهتمام أو الإهمال تكون النتائج ثماراً نافعة، أو شوكاً وعلقمًا، ومن هنا يتجلى معنى التكليف الإلهي للإنسان المأمور بحث نفسه وإلزامها بما فيه نفع لها دنيا وأخرى، والنأهي لها عن كل ما فيه ضرر في الدنيا والآخرة.

فإذا أهمل الإنسان تربية نفسه نبتت فيها الأخلاق الذميمة، والصفات السيئة، وسوّلت له نفسه كل خطيئة، فجلبت عليه الويلات وأوردته المهالك، يقول الشيخ: «إني ما أبرئ نفسي أبداً أنها تروم كل فساد، وذلك بمضمون الآية الكريمة: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾^(٢)» إن نظرة الشيخ النورسي للنفس البشرية بواقعية على اعتبار أنها عرضة للأمراض الداخلية والخارجية سهّل عليه تشخيص الأمراض والوقوف على حقيقتها ومعرفة مصدرها، لذلك نراه يفصّل في بيان الخلل النفسي التربوي الداخلي، وما ينتج عنه من أخلاق ذميمة وصفات سيئة تولّد صفة الحرص في النفس وتدفعها نحو المادية وهي على النحو الآتي:

(١) سورة الفرقان: آية ٤٤.

(٢) سورة يوسف: آية ٥٣.

١. الحسد النَّاشئ من الرَّغبة في تحصيل المنافع المادِّيَّة والمعنوية: وهذه أكثر ما يُبتلى به أصحاب التَّيارات والحركات الإسلاميَّة كما ذكر المصلح سعيد النَّورسي، وبيان ذلك: أنَّهم على اختلاف توجُّهاتهم أصحاب هدف وهمَّ واحدٍ وهي بيان الحقِّ للنَّاس وإرشادهم إليه، من غير تعيين لأجرة مائيَّة، أو تطلُّع لحظٍّ اجتماعيٍّ، أو إطرارٍ أو شهرة؛ لأجل ذلك يلقون التَّقدير والاحترام من قبل الأُمَّة، مصحوبًا بشيءٍ من الهدايا والصَّدقات والدَّعم المالي لمساندتهم وإغنائهم ودفع حاجاتهم الدُّنيويَّة، ولما كان المرشَّحون لهذا المقام الواحد كُثُر، والدُّنيا ضيقة ومؤقَّتة؛ يشوب البعض شيءٌ من الرَّغبة في عزَّة الرِّئاسة، أو شهوة خفيَّة في المنافع الدُّنيويَّة؛ فيبدأ الشَّقاق، ويحدث الافتراق، ويحدث التنافس والتَّحاسد، فيفسد الإخلاص تدريجيًّا؛ ويتحوَّل الهدف من خدمة للدين إلى الوصول والحصول على الدنيا^(١).

٢. الطَّمع في الجاه.

ذكر الإمام النَّورسي رحمه الله أنَّ حبَّ الجاه وتطلُّع النَّفوس إلى نيله أمرٌ طبيعيٌّ في النَّفوس البشريَّة، وهو متفاوت في النَّسب والمقادير، فمن رغبة جزئيَّة في نيل حطام بسيط، إلى حبٍّ جارِفٍ لتبؤ مواقع مرموقة ورفيعة في عيون النَّاس، ويعدها نقطة ضعفٍ خطيرة في الإنسان يسهل اختراقه من قبلها بسبب خفائها، وتكمن خطورة الطَّمع في الجاه في نشوته الدَّافعة للإنسان إلى التَّضحية بحياته في سبيل إشباع هذه الرَّغبة، وبريقه الجارف إلى دوامة رذائل الأخلاق والتَّصرفات في سبيل الحصول عليه^(٢).

دليل ما دُكر قول النبي ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنمٍ بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»^(٣) فأخبر النبي ﷺ أن حرص المرء على المال والشرف أكثر إفسادًا للدين من إفساد الذئب للغنم.

٣. قَلَّة الصَّبْر على سلوك طريق الحق، واستعجال جني الثَّمرات، وهذا ناتج من انعدام الإخلاص وضعف التربية عند السَّالك لهذا الطَّريق، وكما هو معلوم فإنَّ الطريق إلى الآخرة طويلة وشاقة تعترضها كثير من العوائق والقواطع، وحتى يجتازها المرء بسلام فعليه

(١) اللُّمعة العشرون (٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٧، ٢٣٨).

(٢) المكتوبات، المكتوب التاسع والعشرين، القسم السادس (٥٣٢/٤، ٥٣٣).

(٣) أخرجه الترمذي في باب الزهد، باب (٤٤) حديث رقم (٢٣٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح.

أن يتزوّد بنوعين من الزّاد: الإخلاص لله، والرفقة الصالحة، وبدون هذين الزّادين لا يستطيع المرء المواصلة؛ بل يكلّ ويمل، ويتعجّل قطف الثمرة، فيضل عن سواء السبيل، فيتبدل الحال من طالب للآخرة إلى متهافت على مُتّع الدنيا وملذّاتها^(١).

٤. الإسراف المولد لعدم القناعة، وهو نابع من عدم الرّضا بما قسمه الله للإنسان من رزق، والشّعور بالظلم حيال ما أُعطي الآخرون، لذلك فهو يسلك السُّبل غير الشرعية لإشباع رغباته المادّية، تاركاً ما زرعه الله من الحلال، وكلّما استبد الحرص بالإنسان، استرقه، وسبب له العناء والشقاء، ويشبه الشّيخ اللاهثين وراء متاع الدنيا بالحيوانات المفترسة التي تتحصل على رزقها بعد جهد ومشقة عظيمتين فيقول: «بينما لا تحصل الحيوانات المفترسة التي تنقضُّ على فرائسها بحرص شديد إلّا بعد لأيٍّ كبيرٍ، وتحترّ عظيم»^(٢) فلا يهتم الحريص، ولا يُشبع جشعه إلا استكثار الأموال واكتنازها، دون أن ينتهي إلى حد محدود، فكلما أدرك مأرباً طمح إلى آخر، وهكذا يلج به الحرص أبواب المحرّمات والممنوعات، وتستعبده الأطماع، حتى يوافيه الموت فيغدو ضحية العناء والخسران، يقول الشّيخ رحمه الله تعالى موجّهاً نصحه إلى عدم القانعين: «فيا أيها الأخوة المشدوهون من هموم العيش، والهائمون في الحرص على الدُّنيا، كيف ترضون لأنفسكم الذلّة والمهانة في سبيل الحرص - مع أن فيها من الأضرار والبلايا - وثقيلون على كلّ مالٍ دون أن تعبأوا أهو حلال أم حرام؟»^(٣).

ثانياً: قصور في الفكر.

الفكر هبة فطريّة منحها الله سبحانه وتعالى للإنسان ليستدلّ بها عليه، ويعلم من خلالها مقصد خلقه ووجوده على هذه الأرض، ولا بد لهذه الهبة أن تتناغم مع حركة الحياة التي يحياها الإنسان لتكون المخرجات والنتائج سليمة وصحيحة، وهي أنّ الدنيا مزرعة الآخرة، وأنّها دار ممر وليست دار مستقر، لكن إذا ما اختلّ ميزان الفكر، وانحرف عن مساره الصّحيح جاءت النتائج سلبيةً مشوّهة، من ذلك: أن يقوم الإنسان بالفصل بين الدّين

(١) ينظر: اللّمعات، اللّمة العشرون (٢٣٢).

(٢) ينظر: المكتوبات، المكتوب الثاني والعشرون (٣٥٢).

(٣) المكتوبات، المكتوب الثاني والعشرون (٣٥٢).

والحياة؛ معتقداً أن السعادة في الحياة نفسها، في مُتعتها وملذاتها، وأنه ما خلق إلا لِيَتَمَتَّعَ بها، ومسببات القصور الفكري عند الإنسان الآتي:

١. طول الأمل، ومقصود الإمام النورسي رحمه الله أن نسيان تذكر الموت، والغفلة عن ملاحظة فناء الدنيا وزوالها؛ يولد في الإنسان شعوراً بالرغبة في البقاء مدة أطول فيها، وكلما تقدّم به العمر؛ تجذّرت هذه الفكرة في عقله ووجدانه، فزاد تمسّكاً بها، وانفتحت شهّيته لمزيد من المتع والملذات، وصار لسان حال نفسه: هل من مزيد؟؟، إنه يبني آمالاً عريضة في مخيلته تمتد لمئات السنين، وهذا الحال ليس بمستغرب، فالإنسان مفطور على حبّ البقاء والخلود، ومن هنا دخل إبليس لأبينا آدم عليه السلام لما قال له ^(١): ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ ^(٢).

٢. غلبة الهوى وسيطرة الوهم، إن من طبيعة النفس البشرية رغبتها في تحصيل الملموس والعاجل من اللذائذ وإن كانت قليلة، ورفضها للذائذ الغائبة المؤجلة وإن كانت كثيرة، لذلك فإنّ أحاسيس الإنسان عندما تتذوق قطرة من اللذائذ الحاضرة تهيج وتلتهب، فلا يبقى عندها للعقل دور وأثر في الحكم على الأشياء وتسيير أمور النفس؛ بل تخضع لسلطان الهوى، والحرص إذ يحقق للإنسان تذوقاً سريعاً للملذات فإنه يوقعه أسيراً في وهم أن الماديّة هي سبيل العيش السعيد، والحياة الهانئة ^(٣).

٣. الشعور بالاستغناء عن الآخرين، ويقصد به الإمام النورسي أنّ الإنسان إذا امتلك أسباب الصّحة أو المال أو العلم؛ تولّد لديه طغيان داخلي يوهمه بالاستعلاء على الآخرين وعدم الحاجة إليهم، لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ ^(٤) ﴿أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى﴾ ^(٥) ومن هنا تبدأ القطيعة بينه وبين الآخرين، فهو يندفع للحصول على مزيد من أسباب التّفوّق والاستغناء المادية، ويستخدم في سبيل ذلك كلّ السبيل المتاحة، فتكون النتيجة وحشة بينه وبين المجتمع، وتجرّد من الرّحمة تجاه الآخرين ^(٥).

(١) ينظر: الشعاعات، الشعاع الرابع (٨٢)، اللّمعات، اللّمة الحادية والعشرون (٢٤٥).

(٢) سورة طه: آية رقم ١٢٠.

(٣) ينظر: اللّمعات (١١٨، ١١٩).

(٤) سورة العلق: آية رقم ٦.

(٥) ينظر: اللّمعات، اللّمة الخامسة والعشرون (٣٢٩-٣٣١).

المطلب الثاني: الأسباب الخارجية.

كما أنَّ هناك أسباب وصفات داخلية تدفع النَّفس للمضيِّ قُدُماً في طريق الحرص، كذلك هناك جملة من الأسباب الخارجة عن إرادة الإنسان، والتي تنشأ من تصرُّفات وسلوكيات الإنسان نفسه أو غيره، ومن هذه الأسباب:

١. تعطيل الشعائر الدينية، ويقصد الإمام التُّورسي بها هنا تعطيل تطبيق الزُّكاة وعدم تحريم الرِّبا، فالزُّكاة فرضها الله سبحانه وتعالى طُهرة للقلوب وتركيزاً للنفوس، لقوله تعالى: ﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(١) ولا تقف أهميتها على هذا المستوى الشخصي؛ بل تتعدَّى آثارها لتؤسس سعادة البشرية ورفاهها جميعاً، فهي تُؤمِّن الرِّحمة والإحسان من الخواص تجاه العوام، وتضمن الاحترام والطاعة من العوام تجاه الخواص، وإذا لم تؤدِّ الزُّكاة اختلَّ هذا الميزان بين الطبقتين، واشتعلت نار الحقد والعصيان فيما بينهما، وتوقَّدت حرب معنوية مستديمة تؤوِّل إلى اشتباك فعليٍّ بينهما.

ومَّا يُوَجِّحُ سُعار الكراهية بين طبقات المجتمع، ويُذكي نار الحقد بينها، جريان الرِّبا بين النَّاس، فهو رأس الأنانية وعماد المادِّيَّة، والصُّورة البشعة لاستغلال حاجات النَّاس لتكثير الأرباح، وزيادة الشروات، شعاره: اكسب أنت لا كلَّ أنا، واتعب أنت لأستريح أنا^(٢).

٢. تزيين مُتَمِّع الدنيا لإثارة المشاعر والخواص وذلك من أجل تحويل الإنسان إلى آلة مستهلكة تندفع لتلبية غريزة الاستهلاك، حيث يُبيِّن الإمام أنَّ تزيين مُتَمِّع الحياة الدُّنيا بصورة جذابة -من قبل أهل الضلال له أثرٌ على جهاز الحرص في الإنسان، إذ إنَّ تزيين المُتَمِّع الدُّنيوية يثير لدى الإنسان الفضول للاطلاع أكثر على هذه المُتَمِّع، وبذلك يتحول العقل والقلب إلى تابعين للنَّفس الأمارة بالسوء والتي تقودهما إلى ترك أُمُوراً دينيَّة ثمينة لحاجات مادِّيَّة صغيرة تافهة^(٣)، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾^(٤).

(١) سورة التوبة: آية رقم (١٠٣).

(٢) ينظر: الملاحق في فقه الدَّعوة (١٣٣-١٣٥).

(٣) المرجع السَّابق.

(٤) سورة البقرة: آية ١٧٥.

إنَّ هذه الحال قد ولدت لدى الإنسان تطلُّعًا للاستزادة من مُتَع الدُّنيا، مع إسراف متزايد وعدم مراعاة الاقتصاد، ومن عدم القناعة مع الحرص الشَّدِيد، فضلاً عن تزايد الفقر والحاجة والفاقة وهموم العيش^(١).

٣. تقليد الآخرين: إنَّ زيادة الاعتناء بالمظاهر الخارجية، والتركيز على الأمور الدنيوية، مع انتشار ثقافة التطلُّع إلى ما يفعله الآخرون وتقليدهم، كثر متطلُّبات الحياة وضيق مواردها، وحوَّل الكماليات إلى ضروريات، فصارت الحياة والمعاش هي الغاية القصوى والمقصد الأعظم للإنسان في كلِّ وقت، وصارت الأمور الدينية والأخروية أمراً ثانوياً^(٢)، وقد صدق قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾^(٣).

٤. تجويع الناس وإغراقهم في هموم العيش، حيث يسعى أهل الباطل بصورة حثيثة إلى تطبيق هذه الخطئة؛ لصرف النَّاس وخاصة أهل الإيمان منهم عن مشاعرهم الدِّينية أو تخفيف الاهتمام بها، فيصبح همُّهم الأول دنيوياً بحثاً؛ وذلك بالسَّعي لتحقيق أوقاتهم وسدَّ جوعتهم، ولحظات الجوع من أخطر اللحظات الفارقة في حياة النَّاس، ولأنها تؤدي بفريق منهم إلى سلوك سبل غير شرعية لتحقيق ما يريدون دون مراعاة للضوابط الشرعية أو التزاماً بالحدود الأخلاقية^(٤).

المبحث الثاني: آثار الحرص والمادية على حياة الفرد والمجتمع.

يُعَدُّ الحرص على الدنيا معوّفاً عظيماً أمام تحقيق التعاون الإيجابي البنَّاء بين البشر الذي يُفضي إلى تعطيل الاستخلاف الحقيقي للمأمور به من الله سبحانه وتعالى، كما يُمثِّل مفتاحاً من مفاتيح الشر المستطير المفضية إلى الخسران الأخروي الأبدي، وهو رأس الشَّقَاء الذي يُطل على البشرية، فينفث سمومه، ويبث شروره التي سرعان ما تجري في العروق فتقضي على الجسد.

وللوقوف أكثر على عظم خطورته لا بدَّ من بيان آثاره وتحلية مخاطره، وهي الآتي:

أولاً: إبطال دور التفاعل الإيجابي بين بني البشر، يرى الإمام النورسي أنَّ التَّفاعل

(١) ينظر: المکتوبات، المکتوب الثاني والعشرون (٣٥٥-٣٥٦).

(٢) ينظر: الملاحق في فقه الدَّعوة (١٤٥، ١٤٦) و اللّمعات، اللّعة التاسعة عشرة (٢١٥، ٢١٦).

(٣) سورة إبراهيم: آية رقم (٣).

(٤) الملاحق في فقه الدَّعوة (١٦١، ١٦٢).

الإيجابي سَنَّةُ إلهِيَّةٍ أَوْجَدَهَا اللهُ سبحانه وتعالى لعمارة الكون، وتحقيق معنى العبودِيَّةِ الحق لله رب العالمين، والنَّاظر إلى بديع خلق الله تعالى يرى أن هذه السَّنَّةُ متوافرة في جميع مخلوقاته الصغير والكبير، حتَّى جسم الإنسان يتجسَّد فيه هذا القانون الرِّبَّاني، والحرص مضاد للتفاعل الإيجابي، فهو قائم على الأنانية الفردية وحبِّ الدَّات، أمَّا التفاعل الإيجابي فهو قائم على التعاون والتَّشارك بين مجموعة لإِنْجاز وإِتِّمام هدف ما.

ثانيًا: يوقع الفرد والأُمَّة في حياة الدُّل والمهانة، ويجلب عليهما صنوف الحرمان والدَّناءة، ويضرب الإمام التُّورسي مثلاً على ذلك بأُمَّة اليهود، فما أصابهم من ذلٍّ ضرب عليهم، ومسكنةٍ وهوانٍ تلبَّستهم إلَّا بسبب حرصهم الشَّدِيد على الدُّنيا، وتهالكهم عليها أكثر من غيره من الأُمم، ويُعبِّر الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَنَجْذِبَهُمْ أَكْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^(١) فتهالكهم على جمع المال من الحرام ألحق بهم صنوف الدُّل والمهانة من قِبَل الأُمم الأُخرى^(٢).

إنَّ الذي يحرص على الحياة، يسعى إليها بشقِّ الصُّور والوسائل، حتَّى لو كان ذلك على حساب كرامته وشرفه، وهذا يؤدي إلى الجبن، واحتمال الضيم، ويجعل الأمة التي تنتشر فيها هذه الرذيلة لا تفرق بين الحياة الكريمة والحياة الذليلة.

ثالثًا: ينزع بركة الرِّزق والعمل، ذلك أنَّ الحرص يولِّد عند الإنسان صفة الطَّمع، وهي صفة سلبية تدفع بصاحبها للاستيلاء على مُتَع الدُّنيا وأرزاقها لوحده؛ ممَّا يؤدِّي إلى تقليص عدد المستفيدين من هذه الأرزاق، ويحرمهم من الانتفاع منها، بينما يرمي العمل الإيجابي إلى توزيع المنافع والفوائد على أكبر قدر من المستفيدين؛ فتحل بذلك البركات المادِّية والمعنوية، ولعلَّ أبرز مثال على ذلك منع الزكاة، يقول الإمام التُّورسي: «... إنَّكم تدعون في سبيل الحرص بابًا عظيمًا تفيض منه البركة والغنى على كلِّ فرد، ودفع عنه البلايا والمصائب. فالذين لا يؤدُّون زكاة أموالهم لا محالة يفقدون أموالاً بقدرها، ويبدِّدونها إمَّا في أمور تافهة لا طائل وراءها، أو تُلْمُ بهم مصائب تنتزعها منهم انتزاعًا»^(٣).

رابعًا: الحرص جالب للفقر ومسبِّب للشَّقَاء، فهو سبب للخيبة، وقائد للحرمان، حتَّى

(١) سورة البقرة: آية رقم ٩٦.

(٢) ينظر: المکتوبات، المکتوب الثاني والعشرون (٣٥١، ٣٥٢) واللمعات، اللمعة التاسعة عشرة (٢٢١).

(٣) المرجع السابق (٣٥٤، ٣٥٥).

انتشرت بين الناس عبارة مشهورة «الحريص خائب خاسر»^(١).

خامساً: الحرص مولد للشُّح المفضي إلى وقوع المنازعات بين البشر، فيؤدّي إلى إفساد المؤدّة والمحبة بين الأهل، ويُقطّع الصلات المتينة بين الناس، وذلك أنّ الشُّح مولد لصفة الأنانية في نفس الإنسان، فيسعى بكل السُّبل للوصول والحصول على ماديّات الدُّنيا، حتى ولو كان ذلك على حساب صلاته بالآخرين، فحينئذٍ تقع الخصومات والعداوات بين النَّاس، فينفرط عقدهم، ويبطل اجتماعهم، ويُلغى التَّفَاعُل الإيجابي فيما بينهم، ويحلّ الشَّقَاء والتَّعاسة على البشريّة^(٢).

سادساً: سبب لضالة الإنتاج؛ لأنّ النظريّة الماديّة تقوم على الاستفراد بالثروة أو المكاسب، وهذا عملياً يعني بذل مجهول كبير، ووقت طويل في سبيل تحقيق نجاح ما، ولما كانت النَّفس البشريّة ملولاً، صعب عليها المضي قدماً في هذا الطَّرِيق، فإنّنا أن يكون نتائجها ضعيفاً، أو تنقطع عنه أبداً^(٣).

سابعاً: عدم بلوغ الأهداف وتحقيق الفوائد المخطّط لها، إنّ بلوغ أي هدف يحتاج من صاحبه إلى صبر وأناة في كل حركة أو خطوة يخطوها نحو الأمام ليصل إلى ما يريد، والحاصل أنّ جشع الإنسان المادّي يدفعه إلى القفز فوق المراحل والمراتب المنطقية للوصول إلى الأهداف، فتكون النتيجة سقوطاً مدوياً غير متوقّع، أو تخطّياً لإحدى المراتب المهمة الموصلة إلى الهدف، وبذلك يعجز عن التقدم أو الرجوع^(٤).

ثامناً: مسبب للتوتر النَّفسي والضغط المتزايد على الإنسان ممّا يسبب القلق وأمراض الضغط، ذلك أنّ الإنسان إذا تعلّق قلبه بشيء واستولى عليه، خشي فواته وذهابه منه، وهذا يجعله في قلق دائم وتوترٍ مستمرٍّ، وتفكير متواصل حول فراق هذه المحبوبات^(٥).

(١) اللّمعات، اللّمة السابعة عشرة (١٨٧).

(٢) ينظر: اللّمعات، اللّمة العشرون (٢٣٧، ٢٣٨).

(٣)

(٤) ينظر: المكتوبات (٣٤٧-٣٥٠).

(٥) ينظر: ملاحق (١٤٤).

المبحث الثالث: علاج الحرص.

يتعرّض بدن الإنسان لعدد من الأمراض، ويُتلى بالكثير من الآفات، لذلك يسعى أهل الاختصاص من أطباء وعلماء العقاقير إلى وقاية الأجسام منها وشفائها حال الإصابة بها وذلك باختراع الدواء المفيد والنافع، وتوصيفه بصورة صحيحة للمرضى، كذلك حال نفوس البشر تُصاب بالأمراض والآفات، فيتصدى المرثون والمصلحون لها وقاية وعلاجًا. ومن المرين الكبار الذين تصدوا لتشخيص أمراض النفوس وعلاجها، المصلح بديع الزمان النورسي، فقد أدى ذلك بصورة تطبيقية في ممارساته وأعماله اليومية، رغم الأذى الذي ناله، والتضييق الذي لحق به، وقد ترجم هذه الأفعال حروفًا مضيئة في رسائل النور التي انتشرت بصورة كبيرة بين المسلمين.

ومن الظواهر السلبية التي عاجلها المصلح النورسي في رسائل النور ظاهرة المادية أو الحرص على الدنيا، وذلك بالاعتماد على ثلاث مركّزات أساسية وهي:

المطلب الأول: تفعيل فكر العمل الإيجابي في شتى المجالات.

وذلك من خلال نشره في أوساط المجتمع ليكون السمة الغالبة على تصرفات الناس وسلوكياتهم، ويرى النورسي أن الإسلام بتشريعاته وخاصّة العبادات الجماعية: كالعيد، والجمعة، والجماعة، تُعزّز هذا الفكر بين الناس، وترسخه ليصبح حقيقة ثابتة، فتنظم العلاقة فيما بينهم، وتسود روح الثقة، فيسهل التعاون، وتعم المشاركة الفاعلة^(١).

ومن امتدادات الفكر الإيجابي، التوافق فيما بين الجماعات والأحزاب التي أخذت على عاتقها خدمة الدين وتعليم أحكامه للناس، وذلك بأن يعمل كل إنسان بمقتضى ما يعتقد به من مسلك أو فكر دون المساس بأفكار الآخرين وطرقهم تصويبا وتخطئة، أو التّهوين من شأنهم.

إنّ انتهاج مبدأ التخصصيّة من قبل الجماعات الفاعلة على الأرض، مع التطوير الدائم للأداء، مرافقا له ضرورة إنصاف الآخر يُمثّل استراتيجية بناء عظيمة تشارك فيها هذه الجماعات لتحويل جهودها إلى حركة جبارة متناغمة تنهض بالأمة وتبني حضارتها، وتنفي عنها ظلال الخصومة والتفرق.

(١) ينظر: اللمعات، اللمعة السابعة عشرة، المذكرة التاسعة (١٩٤، ١٩٥).

والسر من وراء هذه القوة الداعمة لفكر العمل الإيجابي كما يرى النورسي: أنَّ التعاون بين الناس يعني اشتراكهم جميعاً في تسخير طاقاتهم المادية والمعنوية لتحقيق المراد^(١).

المطلب الثاني: تصحيح الفهم عن حقيقة الدنيا.

من المعلوم أنَّ الحكم على شيء فرع من تصوُّره، فإذا كان التَّصوُّر عن الشيء غير صحيح؛ كانت النتيجة باطلة، وهذه القاعدة تنطبق على أي فكرة في الحياة، ومنها حقيقة الحياة الدُّنيا والهدف من الوجود فيها.

إنَّ الانحراف الذي أصاب البشريَّة في العموم كان بسبب التَّصوُّر الخاطئ عن حقيقة هذه الدنيا والهدف من الوجود البشري فيها، فأصبحت الحياة في نظر الكثيرين هي الغاية؛ لذلك صاروا يسعون إلى التَّمَتُّع بكلِّ جزئية فيها بغض النظر عن الوسائل شرعية كانت أو لا، وممَّن انزلق في هذه الدَّوامة كثير من المسلمين، فكان لا بدَّ من تصحيح المسار لهم وذلك من خلال تصحيح الفهم، وتوجيهها نحو الفكرة الصحيحة، وهي أنَّ الدُّنيا هي التَّوَاتُة للحياة الخالدة للحياة الخالدة ومنشأ لها، وتصور خلاف ذلك مفسد للحياة الأبدية^(٢)، وذلك يتأتَّى من خلال الآتي:

أ- التَّظَنُّة الإيجابية للكون، وذلك من خلال رؤية عظمة الله وإبداعه في الخلق وربط الحياة بخالقها وبأسمائه الحسنى، فجميع أنواع الجمال الموجودة في هذا الكون وجميع أنماطه وألوانه، إنَّما هو تجلِّيات وإشارات وأمارات جمالٍ مقدَّس تعكس عظمة الله سبحانه وتعالى، يقول النورسي: «فإن شئت أنَّ تشاهد جلوة من أنواع حسن أسماء الجميل ذي الجلال المتجلية على مرايا الموجودات، فانظر بعين خيالية واسعة إلى سطح الأرض لتراه كحديقة صغيرة أمامك، واعلم أنَّ الرحمانية والرحيمية والحكيمية والعدالية وأمثالها من التَّعبير إنَّما هي إشارات إلى أسماء الله تعالى وإلى أفعاله، وإلى صفاته، وإلى شؤونه الجليلة»، فإذا أبصر الإنسان هذا الجمال وجد اللذة والمتعة الحقيقيتين، وكفى بها من متعة أن يبقى الإنسان متَّصلاً بخالقه وسيِّده ومولاه، فهو الحيُّ الباقي الذي تدوم لذَّة الارتباط به بدوامه سبحانه وتعالى^(٣).

(١) ينظر: اللمعات، اللمعة السابعة عشرة، المذكرة الثامنة (١٨٨-١٩٣).

(٢) ينظر: ملاحق في الدَّعوة (٤٥).

(٣) ينظر: الشعاعات، الشعاع الرابع (٨٤-٩١) الشعاع الحادي عشر (٢٦٤-٢٦٦) واللمعات، اللمعة السادسة عشرة (١٧٢).

ب- ملاحظة أحوال النَّاس من تقلُّب بين المرض والفقر، فصفة الدُّنيا عدم الدَّوام على حالة واحدة لأحد من البشر، فكم من الأقوياء من هدَّهم المرض، وكم من المترفين والأغنياء من انقلبوا فقراء، إِنَّ التَّأْمُل في هذه السُّنَّة الإلهية بقلبٍ واعٍ وعقلٍ متَّزن يشكّل عند الإنسان حالة من الوعي الكامل حول حقيقة تبدُّل الأحوال الدُّنيوية والتي بدورها تمنعه من الانجرار خلف سراب المادية، أو الإصابة بداء الحرص، لأنَّه يدرك أنَّ الاستكثار من متاع الدنيا والتمتع بلذاتها لا يدوم لأحد؛ بل إنَّ ضريبته ستكون باهظة، لذبك يكون مستعدًّا لأيِّ حال يمكن أن يحلَّ به، وبالتالي يستطيع التَّكَيُّف معها بإيجابية.

ج- النَّظَر في عواقب المادية والتَّهافت على الدُّنيا، هذا التَّهافت يفني ويعدم الماضي والمستقبل، ويترك الإنسان يعاني خواء القلب ووحشة في الحياة، ويضرب الشَّيخ مثلاً على ذلك بالشباب المتهاافت على متع الدُّنيا وملذَّاتها، كالحبِّ المحرَّم أو العشق لغير وجه حق وغيرها، فمثلها تسبب له آلاماً أكثر وأعماق من ذات اللذة نفسها، وزوالها يؤدي إلى معاناة الحسرات العميقة المنبعثة من زوال اللذة، فضلاً عن العقاب الرَّهيب في الآخرة والعذاب المرير في القبر^(١).

د- التَّذكُّر الدائم للموت، فهو يخلِّص من حبِّ الدُّنيا والتَّهافت عليها، وينقي من وساوس النَّفس الأمَّارة بالسُّوء، وينبِّه إلى سرعة زوال الدُّنيا وفنائها، ويبدِّد كثيراً من الآمال العريضة التي يبنينا الإنسان في مخيلته^(٢)، فهو يأخذ من دنياه ما ينفع أُخراه، ولا يقوم بأعمال سلبية تُلحق الضَّرر بنفسه أو الآخرين كذا لا بدَّ من فهم حقيقة الموت بأنَّه بَوَّابة عبور إلى الخلود الأبدي في عذاب أو نعيم فلا بد من الإعداد والاستعداد^(٣).

(١) الشعاعات، الشعاع الحادي عشر (٢٥٥).

(٢) ينظر: الشعاعات، الشعاع الرابع (٨٥، ٢٧٨).

(٣) ينظر: الشعاعات، الشعاع الحادي عشر (٢٤٣).

المطلب الثالث: ترسيخ منظومة الأخلاق الإيجابية في النفس وتفعيلها في شتى مناحي الحياة.

تُعَدُّ منظومة الأخلاق الضابط المهم الذي يتحكَّم بسلوك الأفراد في حياتهم اليومية، والتي تنعكس على حركة المجتمع ككل، كذا تستخدم منظومة الأخلاق الأشخاص والمجتمعات على الشفاء من الأمراض الاجتماعية والنفسية والتخلص منها، ولعلاج داء الحرص ومرض المادية لا بد من تفعيل أُمِّهات الأخلاق والصفات نذكر بعضاً منها، وهي الآتي:

أ- الإخلاص، إذ هو البلسم الشافي للنفس من داء المادَّة ومرض الحرص، بيان ذلك: أن انعدام الإخلاص من العمل يعني تطلُّع صاحبه إلى ثواب دنيوي بحت مقابل ما يقوم به، فإذا وجد المنافس له تولَّد الحسد والمنازعة والمنافسة بين الفرقاء، ومن ثمَّ تضاربت الجهود والأهداف، وحتى يعالج المرض لا بدَّ من نشر بذور الإخلاص في القلب وتعاهدهما، لأن الإخلاص يعمل على تطويع النفس للحق وإيثاره على هواها، ويرجِّح الهدى على الهوى، ويتطلَّع للأجر من الله رب العالمين. ثمَّ تطبيق ذلك يكون بقبول الحقِّ من أيِّ كان، والتعاون مع الآخرين على تطوير الوسائل الداعمة له، والسَّعي إلى إكمال النَّقص، ورأب الصَّدع والإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وهذا الذي يطلق عليه الشَّيخ مصطلح الاختلاف الإيجابي البناء^(١).

ب- القناعة، وهي صَمَام الأمان الذي يقي الإنسان من الطَّمع والانجرار نحو هاوية الجشع، إذ القناعة تبعث في نفس صاحبها الطَّمأنينة لموعود الله بالرزق، وتغرس فيه الرضا بما قسمه الله تعالى، وتعينها على ملاحظة نِعَم الله التي لا تُحصى مقارنة بغيره من النَّاس، ثمَّ تعزِّز فيها الإيمان الراسخ بمناسبة ذلك لجميع مخلوقته كلِّ بما أَراده الله وقسمه له^(٢)، ومن ثمَّ ينطلق الإنسان القانع في هذا الكون، مطمئن النفس، هادئ البال، مشتركاً مع الآخرين في إدارة عجلة الحياة وتطويرها.

ج- الصبر وتفويض الأمر لله، وهو مفتاح النَّجاح الحقيقي الذي يثبت الإنسان على

(١) ينظر: المكتوبات (٣٤٧، ٣٥٠).

(٢) ينظر: المكتوبات (٣٤٤، ٣٦٩).

سبيله، ويوصله إلى مبتغاه، وهو حلٌّ لكلِّ المشاكل، فمعيَّة الله وتوفيقه مع الصَّابرين لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، لذلك فإنَّ الصَّابِر يتحمَّل وطأة المُلذَّات الدُّنيوية المؤقَّتة في سبيل الحصول على تلك الدَّائمة، وهو يتلقَّى المصائب والشَّدائد برضى وسكينة، فيسهل عليه التَّكْيُف مع الأحوال الصَّعبة، حيث يحوِّلها إلى منح إلهيَّة تعين على التَّقدُّم والتَّطور.

د- الأناة والتَّعقل، وهما أداتان مهمَّتان لضبط اندفاع النَّفس لتحصيل محبوباتها، ذلك أنَّ الله تعالى قد خلق سنَّة كونية وقانونًا ثابتًا وهو التَّدْرُج والتَّرتيب في كل شيء بمقتضى حكمته سبحانه وتعالى، فكلُّ الحوادث على وجه البسيطة تحدث وفق هذا القانون، وإذا أراد الإنسان فعل شيءٍ ما فلا بد له من اتباع هذا القانون؛ لأنَّ الذي لا يتأبَّى في حركاته وخطواته إمَّا أن يطرَف الدَّرجات فيسقط، أو يتركها ناقصة فلا يرقى إلى المقصود^(١).

الخاتمة:

بعد هذه الوقفة مع رسائل النور والاطلاع على صفة الحرص ومسبباتها وآثارها وسبل الوقاية والعلاج منها نذكر بعض النتائج المهمَّة:

١. اتَّصف الإمام بزهده الواضح في الدنيا ونأيه بنفسه عنها، والتَّفرغ لنشر تعاليمه بين الناس؛ لتزكو نفوسهم وتطهر قلوبهم، ولا شك أنَّ الأحداث العالمية التي وقعت في حياته جعلته ينحى هذا المنحى بعد أن حاول في بدايتها أن يجمع بين التربية والسياسة.

٢. يُعدُّ الحرص أحدُ أمهات الشَّر والَّذي تتفرع عنه صفات سلبية كثيرة تنشر الخراب والمشاكل في المجتمع.

٣. الحرص والعمل الإيجابي نقيضان لا يجتمعان، فإذا ما حلَّ أحدهما في النفس أو المجتمع انتفى وجود الآخر.

(١) ينظر: المرجع السابق (٣٦٢).

٤. تعاھد النَّفس بالتربية الرُّوحیَّة والفكریَّة السَّلیمة ركیزة مهمَّة لدرء خطر الحرص عن الفرد والمجتمع.

٥. حتَّى یكون المجتمع خالیًا من آفة الحرص لا بدَّ من تفعیل دور العبادات الجماعیَّة فی حیاة النَّاس كذلك لا بدَّ من نشر ثقافة التَّعاون الإیجابی بین أفراد المجتمع.

المراجع والمصادر:

جميع مادة البحث مأخوذة من کلیات رسائل النور.

تطبيق العمل الإيجابي حول الحوار الديني عند بديع الزمان سعيد النورسي**

الدكتور سو زياد زبيدي صالح^{١*}

تمهيد

يجب أن يدعى الباحث في مستهل هذه المناسبة أنه لا يُعدّ مقالا مختصاً في أفكار الأستاذ سعيد النورسي فهو أدرك أن وجوده في هذا المؤتمر كباحث وليس كعالم في الموضوع. وليست غايته في هذه المقدمة القيام بعرض شامل لأفكار النورسي العريضة ولا وضع قائمة للمجالات العديدة التي قدّم فيها وجهات نظرة جديدة بل القيام بإلقاء نظرة وجيزة على نقطة واحدة وهي: تطبيق العمل الإيجابي حول الحوار الديني عند بديع الزمان سعيد النورسي.

يهدف هذا المقال إلى إبراز أهمية الحوار والإقناع وصلتهما بالاختلاف والوحدة والاتفاق من خلال رسائل النور. إن الحوار بين الأديان عند الأستاذ النورسي ليس قاصراً على الكلمات اللسانية المسموعة إذ قد يتجاوز إلى الإشارة الموضّحة والبسمة المشرقة والمواقف الصالحة حتى الصمت لا يبعد أحياناً أن يتأتّى حواراً، كما أن للحوار أثراً كبيراً على تقبّل السامع أو المحاور نفسه حيث أنه وسيلة حيّة استهدفت إنسانية الإنسان، لأنه يساعد على تقريب وتحليل المسائل بين المحاورين.

سياق الحوار الديني

من الحقائق المعترف بها أن الإنسان كائن بالحوار وداخل الحوار، والدليل على أهمية

** بحث علمي يقدمه الباحث في المؤتمر العالمي الحادي عشر لبديع الزمان سعيد النورسي عن "دور العمل الإيجابي في بناء عالم أفضل، مقارنة رسائل النور" المنعقد بإستنبول تركيا، ١-٣ أكتوبر ٢٠١٧.

* رئيس قسم العقيدة والفلسفة الإسلامية للدراسات العليا في الدكتوراه ومدرس قسم علوم القرآن والتفسير بكلية الدراسات العليا بجامعة دار السلام كونتور فونروكو إندونيسيا.

الحوار الديني كلّهُ ذو طبيعة حوارية. ذكر علي محمد صالح عبد الله بأن للحوار عشرة أنواع منها الحوار العقدي (doctrinal dialogue)، الحوار التفسيري (Exegetical dialogue)، والحوار الديني (Religious dialogue)^(١) والحوار هو الأسلوب الذي اتبعه الأنبياء في الدعوة والتبليغ والتعليم والإرشاد. لقد عني القرآن الكريم عناية فائقة بالحوار لأنه أسلوب أفضل للإقناع^(٢). وهناك نماذج عديدة من الحوار يذكرها الباحث على سبيل التمثيل لا الحصر منها: حوار الله عز وجلّ مع الملائكة، حوار عزّ وجلّ مع إبراهيم الخليل، وحوار نوح عليه السلام مع قومه، حوار إبراهيم الخليل مع النمرود، حوار موسى والحضر، والسيرة العطرة بالنماذج الحوارية الرائعة التي حاور فيها الرسول قومه.

إن النورسي كان يدعو إلى الحوار والتواصل والحجاج والإقناع، وكان في الوقت نفسه يحاور يتفاعل ويتواصل، ويتحاور مع الذات ومع الغير، مع الطلاب والعلماء، مع المسلمين وغير المسلمين، مع الحكّام والمحكومين. إذا كان النورسي رجلاً قرانياً وكان منهجه بالتالي هو منهج القرآن، وإذا كان القرآن الكريم قد عني عناية فائقة بالحوار، فكيف لا يكون النورسي رجل حوار، وكيف لا تكون رسائل النور حوارية في منهجها وأسلوبها وهي تفسير قيم للقرآن. إن المرجعية القرآنية، حاضرة في رسائل النور حضوراً قوياً واضحاً، نكاد نلمسها في كلّ قول وشرح أو تفسير.

إن الذي يدرس رسائل النور بعمق وإمعان يتوصل إلى النتائج التالية: الأول إنّ رسائل النور ذات بنية حوارية بارزة، إنّها بعبارة أخرى، مجموعة من الحوارات المباشرة وغير المباشرة، الحوارات الصريحة أو المضمرة، الحوارات المنحزة الفعلية الإيجابية أو المفترضة المتخيلة. الثاني الحوار في رسائل النور له أشكال عديدة وأنماط متنوعة، فقد جاء تارة على شكل مناجاة فردية (حوار مع النفس)، وجاء تارة أخرى على شكل مكاتيب ومراسلات مع الطلاب. وقد جاء أيضاً على شكل مناظرة أو مناقشة أو نقد أو جواباً عن أسئلة. الثالث اشتملت رسائل النور على معجم حوارى غني. فنحن نجد فيها مصطلحات كثيرة منها: الحوار، المحاورة، النقاش، الجدل، المناقشة، المناظرة، المذاكرة، الإقناع، الاقتناع، وغير ذلك. الرابع المؤشرات

(١) علي محمد صالح عبد الله، الحوار الديني الإبراهيمي في ميزان القرآن، (القاهرة مصر: دار السلام، ٢٠٠٧)، ٢٥.

(٢) محمد سيد طنطاوي، أدب الحوار في الإسلام، (مصر: دار النهضة، ١٩٩٧)، ١٠٥.

الحوارية التي تدلّ دلالة أكيدة على أنّ رسائل النور هي مجموعة من الحوارات المتنوعة^(١). إنّ هذه الحقيقة القرآنية تحكم كلّ السياقات التي يرد فيها ذكر أهل الكتاب وديانات أهل الكتاب. ومادام سياق النبوة واحداً، ومادام المصدر واحداً، فإنّ على أهل الكتاب تصحيح عقيدتهم بالعودة إلى التوحيد الخالص، وليس هناك معيار معيّن للأستاذ النورسي يمكنهم أثناء عملية التصحيح في سلك سياق النبوة أوفى من القرآن الكريم. إن النصرانية الحقيقية ليست إلا ما وردت معالمها في القرآن. يقول الأستاذ النورسي: "إن أهل هذا العصر الذي اغترّ بنفسه وأصمّ أذنيه عن سماع القرآن أكثر من أيّ عصر مضى وأهل الكتاب منهم خاصة أحوج ما يكونون إلى إرشاد القرآن الذي يخاطبهم ب ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ حتى يكون ذلك الخطاب موجّهاً إلى هذا العصر بالذات، إذ لفظ أهل الكتاب يتضمّن معنى أهل الثقافة الحديثة أيضاً^(٢)."

فالقرآن يطلق نداءه في أجواء الآفاق ويملأ الأرض بكل شدة وقوة وبكل نضارة فيقول: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ إن لقاء أهل القرآن وأهل الكتاب أمر قرّره القرآن الكريم وحدّد عناصره وحدوده: — ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله. وأي لقاء غاب فيه عنصر من تلك العناصر الثلاثة ملغى ونتيجته محددة في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. يرى الأستاذ النورسي أن عبارة أهل الكتاب تشمل أهل الثقافة الحديثة بكل مكوناتها وتوجهاتها. وما دامت هذه الثقافة الحديثة ومعها المدنية الحديثة قد استفادت في بنائها من محاسن الأديان السابقة.

فإنها مدعوة إلى التدبر في القرآن الكريم وإذا ما كان لها ذلك فسوف تدرك أنها تبقي دون حكمة القرآن، هذه الحكمة التي تقبل الحق نقطة استناد في الحياة الاجتماعية بدلا من القوة، وتجعل رضى الله ونيل الفضائل غاية وهدفا لعوض المنفعة وتتخذ دستور التعاون أساسا في الحياة بدلا من دستور الصراع، وتلتزم رابطة الدين بدلا من العنصرية والقومية السلبية^(٣)،

(١) توماس متشيل، الحوار والتعاون بين المسلمين والنصارى في المؤتمر العالمي الرابع عن سعيد النورسي، ٦٣٩.

(٢) سعيد النورسي، الكلمات، ٤٧١.

(٣) عبد الباري، فرج الله، منهج البحث وآداب الحوار والمناظرة، (القاهرة: دار الآفاق العربية،

إن القرآن وحده استطاع توضيح ذلك الخيط الرابط بين جميع الرسل والأنبياء السابقين وبين الكتب المنزلة. انه إذن كتاب جامع لحقائق الكتب السابقة في أصح صيغة وأعجز أسلوب. وما دام الأمر كذلك فالأهل الكتاب يهودا كانوا أو نصارى سواء كانوا من الفريق المتمسك بنصوص الكتب المقدسة في صيغتها المحرفة والمبدل، أو كانوا من أهل الثقافة الحديثة ممن انطلقوا من محاسن الأديان وبنوا شرائع اتخذوها منهجا، مدعوون إلى الوقوف على حقائق القرآن الخالدة وعلي دين الإسلام الذي تندرج اليهودية والنصرانية في سياقه^(١)، ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، والآية الأخيرة إذا كانت دالة على الرد القاطع من ادّعى نصرانية إبراهيم عليه السلام أو يهوديته، فإنها جواب على دعاة الدعوة الإبراهيمية في العصر الحديث. يرى الأستاذ النورسي أن ما ورد من أسس الكتب السابقة في القرآن الكريم دليل على مصداقية الآلهة في هذا القرآن ودليل على نبوة محمد صلى الله عليه الصلاة والسلام.

إن الكتب السماوية يقبلها أهل الكتاب كحقائق القرآن ونبوة محمد لازالت تنطق ببشارات متعلقة بهذا الرسول الكريم، وهم إن صدقوا بتلك البشارات أذعنوا لحقائق القرآن الكريم وآمنوا بمنبعه الإلهي. إن القرآن معدل ومكمل في الأصول والعقائد، وجامع لجميع محاسن الكتب السابقة وأصول الشرائع السالفة. إلا أنه مؤسس في التفرعات التي تتحول بتأثير تغير الزمان والمكان^(٢).

إن ما بين القرآن الكريم وبعض ما ورد في الكتب السماوية من اتفاق سيدفع المسلمين وفريق من أهل الكتاب إلى التقارب والاتفاق من أجل دفع عدو مشترك واحد يقول: "لقد ثبت في الحديث الصحيح أن المتدينين الحقيقيين من النصارى سيتفقون في آخر الزمان مستندين إلى أهل القرآن للوقوف معا تجاه عدوهم الزندقة، لذا فأهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون أيضا إلى الاتفاق

١٠٦، (٢٠٠٤).

(١) Colin Turner, *The Qur'an Revealed, a Critical Analysis of Said Nursi's Epistles of Light*, (Berlin: Gerlach Press, 2013), 289

(٢) عمّار جیدل، حقيقة مقاصد رسائل النور استمدادها وامتداداتها، (القاهرة: دار النيل للطباعة والنشر، ٢٠٠٩)، ٣٠٨.

حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى، فيتركوا مؤقتاً كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعا لعدوهم المشترك الحقيقي.

وضع الأستاذ النورسي استراتيجية في اللقاء بأهل الكتاب تقوم على حقيقة ثابتة هي تقارب أهل القرآن مع المتدينين الحقيقيين من النصارى من أجل محاربة الإلحاد مع تجميد كل الخلافات فهو من صورة تحديد الحوار الديني^(١). أما الجولة الأخيرة من هذا التقارب واللقاء فحين تسلم النصرانية أمرها للإسلام ويتحقق ما أشار إليه الرسول الكريم بنزول عيسى عليه السلام وأنه سيكون من أمته ويعمل بشريعته^(٢). إن الفرق بين الإسلام وسائر الأديان ومنها النصرانية حسب بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله هو التوحيد الخالص وهو أمر يبعد المسلمين حكما ومحكومين من الغرور والتكبر وبلغى الوساطات بين المسلم وخالفه. ومادام هذا التوحيد أصلا، سوف يدعن لحقيقته أهل الكتاب في آخر المطاف.

فقصارى القول إن الأستاذ النورسي في حديثه عن أهل الكتاب لا يزال منسجما مع ما ورد في شأنهم في القرآن الكريم، ولا يزال موجها بما تقره حقائق القرآن الكريم إنه على يقين ثابت من انسجام أهل الكتاب مع الإسلام في آخر الزمان ومن انتصار حكمة القرآن الكريم، وبخصوص إقامة أهل الكتاب في الدولة المسلمة نجد الأستاذ النورسي يعتقد بضرورة تحقيق المساواة بينهم وبين رعايا هذه الدولة من المسلمين مساواة ينبغي أن تؤصل من القرآن الكريم^(٣).

إن العالم في الأوقات الأخيرة يغزو اختلافات بين الدول نتيجة لتزايد نزعات التعصب والتفاخر، وعدم استيعاب الآخر، إلى جانب الغزو الفكرى الموجه ضد الإسلام بهدف قلب الحقائق واتهامه بالإرهاب والكراهية، فضلا عن الطعن في المصلحين والمفكرين الإسلاميين واتهامهم بالتشدد ونبد الآخر. لهذا أصبح التواصل والتعايش السلمى مع شعوب العالم على اختلاف دياناتها ولغاتها وأجناسها، من أهم الضروريات في حياتنا المعاصرة، تحقيقا للسلام والأمان بين أفراد الإنسانية، ودرءا لكل أخطار الصراعات التى تثير الفساد والدمار.

(١) حسن الشافعي، قول في التجديد، (القاهرة: مكتبة ذخائر الوراقين، ٢٠١٦).

(٢) سعيد النورسي، الكلمات (اللوامع)، ٨٤٥.

(٣) إحسان قاسم الصالحى، نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي، (القاهرة: سوزلر، ٢٠١٠)، ١١٥.

كان التاريخ الاسلامى يشهد نماذج مضيئة تبين مدى التسامح الإسلامى وعدم نبذه للآخر؛ وإنما تقريبه وتكريمه ما يستحق من حقوق، ثم ينبئنا التاريخ إلى اليوم كيف كان الرسول ناصعاً بياضاً منصفاً في معاملة أهل الكتاب حيث قال: "أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ حَمَلَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(١). وبعد وفاته فإن أصول الإسلام من قرآن وسنة تدعو إلى التسامح والبعد عن التعصب. ويأتى الرسول نموذجاً مثالياً في التعامل بين أهل الأديان، حيث ضرب لنا النهي خير مثال على ذلك في مقابلته لوفد نجران المسيحى وتحذيره ﷺ من ظلم أهل الكتاب.

ثم يأتي الأستاذ النورسي واحداً من أبرز المصلحين الإسلاميين في إرساء مبادئ السلام بين الأديان من خلال آيات القرآن. وأن النورسي يغلب على فكره جانب القوة والشدة في الدفاع عن الإسلام من خلال رحلته الجهادية التي عانى فيها كثيراً من نفي وسجن - فإن الكثيرين لا يلمسون ذلك الجانب الذى يغلب عليه العقلانية والموضوعية اللتان تمثلان أساساً في شخصية النورسي في نظرتيه للأديان، ويظهر ذلك من خلال تأويله من النصوص القرآنية المصدقة لكافة الرسالات والشرائع السماوية المنزلة، فكل شئ يراه نجده في القرآن، وكل سؤال يجد له الجواب من القرآن^(٢).

عنى هذا البحث بدراسة فكر النورسي في العلاقة بين أفراد الإنسانية بإمعان النظر عن اختلاف ديانتهم أو قوميتهم من خلال نظراته القرآنية وينقسم إلى أربعة محاور^(٣): المحور الأول تدبر النورسي للآيات القرآنية في حقيقة الإيمان بالأديان من خلال الآيات الواردة في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّأَهَّلُ الْكَاتِبُ تَعَالَى أَلَمْ يَكَلِّمْ سَوَاءً بَنَيْنَا وَنَنكُحُ﴾ فيها المعنى، الترابط، لكلمة ﴿يَتَّأَهَّلُ الْكَاتِبُ﴾. وفي المحور الثاني يدعو النورسي إلى تبادل المحبة ونشرها بين أهل الأديان لأجل إشاعة السلام والأمان في العالم، وذلك من خلال رسائله التي تؤيد إرساء أسس المحبة بين البشر. وفي المعنى السابق نجد حكمة الأستاذ النورسي في فهمه المعاصر لفلسفة المدنية الحديثة التي تركز كل محبتها في إعلاء شأن القوة والمنافع المادية، وتقوى فكرة

(١) رواه أبو داود (٣٠٥٢) وحسنه ابن حجر في "موافقة الخبر" (١٨٤/٢) وصححه الألباني في "صحيح أبي داود".

(٢) فريد الأنصاري، مفاتيح النور في مفاهيم رسائل النور، (القاهرة: دار النيل، ٢٠١٠)، ١٦٨.

(٣) فريد الأنصاري، المرجع السابق، ١٧٠.

الصراع والعنصرية وجميعها يؤدي إلى التصادم والنزاعات.

المحور الثالث: في بشارات الكتب السابقة بالنبي محمد ثم يتجه المحور الرابع نحو تفعيل النورسي لثقافة الحوار بين الأديان المتمثل في الحوار الإيجابي المتسامح الذي أمر به ديننا القويم وذلك من خلال العلاقات التي أقامها النورسي مع أهل الأديان من خلال معاملاته النابعة من إيمانه العميق وتطبيقه لأحكام القرآن وقد طبقها النورسي من خلال علاقات الصداقة التي أقامها مع أهل الكتاب من النصارى، وتوصية طلابه بضرورة التعامل الحسن مع أهل الكتاب، وتأكيدا على ذلك أرسل النورسي إلى البابا "بيوس الثاني" بعضا من كتاباته على سبيل الإهداء وقام بابا الفاتيكان بالرد عليها شاكرًا ومقدرا روحه المتسامية وأخلاقياته الكريمة^(١).

وقد ترك النورسي بعد وفاته ذخيرتين: الأولى رسائله التي ينتشر نورها في الآفاق. والثانية طلابه وتلامذته المخلصين الذين حملوا أمانة دعوته وقاموا بنشرها بكل اجتهاد وإخلاص وولاء، ولا يزالون حاملين تلك الشعلة الإيمانية التي سلمها لهم شيخهم فرعوها حق الرعاية، فمنذ وفاته كان طلابه الأوفياء يجتهدون بنشر دعوته القرآنية وآرائه وأفكاره وخواتمه الإيمانية في كل مكان، ويهتمون بتنفيذ ونشر ثقافة الحوار طبقا لأسس الشريعة الإسلامية ومبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من خلال رسائل النور.

ومن الجدارة أن للحوار قواعد وضوابط لغوية وأخلاقية. وهناك نظريات ونماذج حوارية عديدة طرحت في هذا المجال، نذكر منها نظرية التعاون الحوارية لبول غرايس (Paul Grice) أن الحوار لا يتم بين شخصين إلا إذا تعاونوا على إنجازه، ثم إن التراث العربي الإسلامي مليء بالمباحث والمصنفات التي تعالج ضوابط الحوار وآدابه. وقد اقترح النورسي مجموعة من القواعد الحوارية نذكر بعضها - بعد إعادة صياغتها - على سبيل التمثيل^(٢):

أ. قاعدة الشمولية، ونجدها في قوله (ينبغي معرفة مراتب الحديث... والإحاطة بدرجات الوحي الضمني وأقسام الكلام النبوي).

(١) عبد الكريم عكوي، جهود النورسي في إرساء أسس الوحدة الفكرية، ٢١١.

(2) Thomas Michel S,J, Muslim-Christian Dialogue and Co-operation in the Thought of Bediuzzaman Said Nursi, in A Contemporary Approach to the understanding the Qur'an, The Example of The Risale-i Nur, translated Sukran Vahide, (Istanbul: Sozler Nesriyat, 1998), 555

ب. قاعدة التأدب: فالمناقشة ينبغي أن لا تتسم بالعناد، وأن تجري في جوٍّ من الإنصاف.
ج. قاعدة المناسبة: أن تكون المذاكرة في المسائل المتخصصة بأن نأخذ بعين الاعتبار مسألة السياق والمقام.

د. القاعدة المتعلقة بالهدف والغاية من الحوار، فالمناقشة ينبغي أن تجري بنية الوصول إلى الحق، وأن يكون هناك تعاون حوارى فعلى من أجل تحقيق هذه الغاية المنشودة.
وقد فصل الأستاذ النورسي القول بخصوص القاعدة الثالثة: "ولكن لما كانت المسألة قد طرحت، وأصبحت مدار نقاش، فستؤدي تأثيرها السيء في أفهام العوام الذين يعجزون عن استيعاب أمثال هذه الأحاديث المتشابهة، إذ لو أنكرها أحدهم فقد فتح لنفسه بابا للهلاك والخسران، حيث يسوقه هذا الإنكار إلى إنكار أحاديث صحيحة ثابتة".

لقد أشار النورسي إلى أنواع عديدة من الاختلاف: أوربا النافعة وأوربا الفاسدة، النصرانية الحقيقية والنصرانية الزائفة، المسلمون والأجانب، الخلاف والاختلاف، الاختلاف الإيجابي والاختلاف السلبي. فتعامل مع كل نمط تعاملًا خاصًا، فأيد الاختلاف الإيجابي وحارب الاختلاف السلبي وبيّن أهمية الوحدة والاتحاد والاتفاق، ودعا إلى تدبير الاختلاف بالحوار والحجاج والإقناع وخاصة عندما يتعلق الأمر بالمدينين من غير المسلمين^(١).

فالنورسي يرفض الاختلاف السلبي الهدام الذي لا فائدة منه ولا يساعد الوصول إلى الحقيقة، والاختلاف يصبح هنا خلافاً، فكل خلاف اختلاف وليس كل اختلاف خلافاً لأن الخلاف أقرب ما يكون إلى الصراع والنزاع. أما الاختلاف الإيجابي الذي يساعدنا الوصول إلى الحق وإدراك الحقيقة فهو مطلوب، لأن الحقيقة إنما تظهر لنا جليلة واضحة عند مناقشة الآراء ودراسة المواقف وتصادم الأفكار وتحالف العقول. والمناقشة والمذاكرة وتصادم الآراء والأفكار حوار، والحوار لا يكون إلا عند حصول الاختلاف. وبعبارة أخرى فإن الاختلاف يستدعي الحوار والحوار يقتضي الكلام^(٢). ومن جهة أخرى فإن النورسي يأخذ

(١) عبد الكريم عكوي، جهود النورسي في إرساء أسس الوحدة الفكرية وتثبيت الحوار العلمي في عصره، في جهود سعيد النورسي في تحديد الفكر الإسلامي، (اسطنبول: سوز، ٢٠٠٥)، ١٩٩.

(٢) منقذ بن محمود السقار، الحوار مع أتباع الأديان مشروعيته وآدابه، (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ٢٠٠٤)، ٣٢.

بمبدأ النسبية: الفهم البشري نسبي والإدراك جزئي، والعجز عن الإدراك إدراك، والحقيقة متعددة الجوانب والمظاهر والسمات، فلا بد من الحوار والمناظرة والنقاش والحجاج والإقناع حتى تتجلى لنا جوانب عديدة ومتكاملة من جوانب الحقيقة.

الحوار مع غير المسلمين (الحوار العقائدي)

حقاً، إن النورسي لا يدعو إلى الحوار والتواصل مع المسلمين فقط، بل إنه يدعو إلى التواصل والتحاو مع المسلمين وغير المسلمين، وإلى اللجوء إلى أسلوب الإقناع والحجاج والاستدلال. صرّح النورسي "وليطمئن غير المسلمين بأنّ اتحادنا هو الهجوم على هذه الصفات الثلاث (الجهل والحاجة والنفاق)، وبالنسبة إليهم فسيبيلنا الإقناع، لأننا نعتقد أنهم مدنيين، وأننا مكلفون بأن نظهر الإسلام بمظهر الجمال والحسن المحبوب لأننا نظن فيهم الإنصاف". ويقول في نص آخر: "إن الظهور على المدنيين من منظور الدين إنما هو بالإقناع وليس بالإكراه، وبإظهار الإسلام محبوباً وسامياً لديهم وذلك بالامتثال الجميل لأوامر وإظهار الأخلاق الفاضلة.

فالنورسي يدعو إلى الاعتماد على قوة المنطق لا منطق القوة لأن الإسلام دين الحوار والحجاج والإقناع، لا دين الإكراه والعداء وهو ما نجده في قوله تعالى: "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"، و"لا" الوارد هنا هي "لا" النافية وليست الناهية. وإذا كان النورسي يدعو إلى استعمال أسلوب الإقناع والحجاج مع المدنيين من غير المسلمين، فإنه يدعو إلى الحوار والتفاعل والتواصل معهم ضمن الشروط الحوارية والتخاطبية المطلوبة، وهذا بحكم العلاقة القائمة بين الحوار والحجاج^(١)، فالأصل في الحجاج هو إنجاح الحوار وتدبير الاختلاف ورفع الخلاف وتحقيق الاتفاق. فلولا الاختلاف ما كان الحوار، ولولا الحوار ما كان الإقناع والحجاج، ولولا الحجاج ما كان الخطاب والكلام^(٢).

إن الحجاج نسبي والإقناع جزئي، والمطلوب منا أن نحاور ونبرهن ونقنع باستمرار، فإن اقتنع الغير فذاك، وإن لم يقتنع فلنحاول مرة تلو أخرى. يقول النورسي: "إن وظيفتنا العمل

(١) Mohammad Ashim Alavi, Seed of Change, Thrilling Leadership Lessons from the Life of Imam

Bediuzzaman Said Nursi, (Istanbul: Vakif Yayinlarim 2013), 213

(٢) فرج الله عبد الباري، منهج البحث وآداب الحوار والمناظرة، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠٤)، ١٠٦.

والإيمان بإخلاص، أما إحراز التوفيق وحمل الناس على القبول ودفع المعارضين، فهو مما يتولاه الله، نحن لا نتدخل في ما هو موكول إلى الله، حتى إذا غلبنا فلا يؤثر هذا في قوانا المعنوية وخدماتنا".

إننا نتكلم عادة بقصد التأثير في الغير، وأن الكلام له سلطة لا ينكرها أحد، وأن الكلام وسيلة أخص بالكائن البشري، وهو أبرز مقوم يميزه عن الكائنات الأخرى، وهو سلاح من أقوى الأسلحة، ووظيفته الأساسية هي الحجاج والإقناع^(١)، وهو المجال الذي يتحقق فيه أقل قدر ممكن من العنف، ويتحقق فيه في الوقت نفسه، أكبر قدر ممكن من الغلبة والتأثير، ويكون فيه هامش كبير للمرونة والتسامح، ومن هنا فإن الذي ينتصر عليك بقوة المنطق وسلطة الكلام وأدوات الحجاج والإقناع، يكون قد انتصر عليك انتصارا حقيقيا. وينبغي أن نفهم دعوة النورسي إلى اعتماد أسلوب الإقناع والحجاج في هذا الإطار^(٢). ولنتأمل هذا النص الذي يميز فيه بين الجهاد الداخلي الذي ينبغي أن يقوم على تحقيق الرقي المادي ومحاربة الجهل والنزاع والفرقة، والجهاد الخارجي المتمثل في الإقناع وقوة المنطق.

إنما ربط النورسي الإقناع بالمدينة لأن الإنسان مدني بالطبع كما قال ابن خلدون، وهو ما أكدّه النورسي بقوله: "من كانت همته لنفسه، فليس من الإنسان لأنه مدني بالطبع، فهو مضطر لأن يراعي أبناء جنسه، فإن حياته الشخصية يمكن أن تستمر بحياته الاجتماعية". وإذا كان قد ربط الإقناع بالمدينة، فقد ربطه أيضا بالإنسان لأن المدنيين ينبغي إقناعهم، والإنسان مدني بالطبع، إذن الإنسان ينبغي إقناعه^(٣). ثم إنه يربط الإقناع بأخص خصائص الإنسان وهو الكلام، فلولا الحوار والخطاب ما كان الإقناع والاقتناع.

وأما دعوته إلى الحوار العقائدي بين المذاهب والأديان والملل والنحل فنجد أنه دعا إليه فعلا. إن هذا العصر قد اغترّ بنفسه وأصمّ بأذنيه عن سماع القرآن أكثر من عصر مضى

(١) محمود حمدي زقزوق، الإسلام وقضايا الحوار، (القاهرة: وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ٢٠٠٢)، ٧٤.

(٢) عبد الكريم عكوي، جهود النورسي في إرساء أسس الوحدة الفكرية وتشبيث الحوار العلمي في عصره، في جهود سعيد النورسي في تجديد الفكر الإسلامي، (اسطنبول: سوز، ٢٠٠٥)، ٢٠٧.

(٣) عبد الكريم عكوي، المرجع السابق، ٢٠٩.

وأهل الكتاب منهم خاصة أحوج ما يكونون إلى إرشاد القرآن الذي يخاطبهم بـ"يا أهل الكتاب" حتى كأن ذلك الخطاب موجّه إلى هذا العصر بالذات، إذ أن لفظ "أهل الكتاب" يتضمن أهل الثقافة الحديثة أيضًا. فالقرآن يطلق ندائه في أجواء الآفاق ويملأ الأرض بكل قوة ونضارة^(١).

تحقيق التعايش السلمي للأمم

إن أفكار سعيد النورسي حول الحوار الذي يمكن القيام به بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات المسيحية ما زالت تحتفظ بمحدثتها بغض النظر عن مرور سنوات عديدة على إطلاقها. فمن الضروري أن يكون هذا الحوار صادقاً من كل الأطراف المعنية، لأنه من الواضح أن الحوار هو الوسيلة الوحيدة التي تحقق التعايش السلمي للأمم والحضارات وتقضى على تلك الفكرة المخيفة عن "تصادم الحضارات" المتداولة في مختلف الأوساط حالياً^(٢). هذا وقد توقفت عند وجهة النظر التي عبر النورسي عنها منذ مطلع هذا القرن لأنها يمكن العمل بها حالياً أكثر من أي وقت مضى وهي تمثل كذلك نقطة مهمة للانطلاق في الحوار ما بين أتباع الديانتين.

إن الحوار بين الأديان ليس وسيلة التبشير أو الدعاية الدينية أو إجبار الغير على معانقة دين معين - وهذا ما يخافه الناس الذين يرفضون الحوار الديني - بل هو مناسبة للإصغاء إلى الغير وفهم القيم الروحية التي تؤدي إلى كيان حياته فيه، فمن الضروري أن نشير هنا إلى أن الحوار الذي يجري بين المسيحيين والمسلمين - في النصف الثاني من القرن الذي انصرف، هو حوار بين الناس الذين يتبعون المسيحية ويؤمنون بها وبين الناس الذين يتبعون الإسلام ويؤمنون به وليس بالنقاش أو الجدل حول عقيدة أو أخرى وأفضلية هذه على تلك العقائد، بل الحوار في تحقيق السلام بينهم مؤسساً على الشفقة والمحبة.

فكل دين - أيّاً كان - هي نظام مطلق - كما ورد في عديد من الأعمال اللاهوتية - لدى أصحابها وهي غير قابلة للنقاش أو للمساومة مع أتباع دين آخر. ولو خطر في بال

(١) عباس محبوب، الحكمة والحوار علاقة تبادلية، (عمان الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٦)، ٢٢٩ قارن مع محمد موسى الشريف، التقارب والتعايش مع غير المسلمين، (جدة: دار الأندلس الخضراء، ٢٠٠٣) ٤٣.

(٢) علي محمد صالح عبد الله، الحوار الديني الإبراهيمي في ميزان القرآن، 314.

مؤمن أن دينه لا يمثل الحقيقة المطلقة لتركها منكرًا تعاليمه معانقا دينًا آخر يستجيب آماله للخلاص وهي لذلك خارج دائرة الحوار أصلاً. فحل هذه المشكلة التي تعوق الحوار، يوصي النورسي بـ"اتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً، وهو أن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: "إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، لكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي فحسب أو إن الحسن والجمال في مسلكي وحده الذي يقضى على بطلان المسالك الأخرى وفسادها"^(١). أو بكلمة أخرى، لا لوم على الإنسان إذا افتخر بقيمه الروحانية التي يؤمن بها وتقوده في هذه الدنيا وهي غير قابلة للنقاش، ولكن الأمر يختلف إذا اعتدي على الآخرين بسبب معتقداتهم بدلاً من الإنصات إليهم ومحاولة فهمهم واحترامهم.

وجدير بالذكر أن الأستاذ النورسي عبر عن هذه الأفكار قبل أن تتبلور فكرة الحوار ما بين الأديان اليوم وهو أعطى تعريفاً لهذا النوع من الحوار مؤكداً على عدم إكراه الغير على دخوله في دين آخر، بل الشيء الوحيد المطلوب منه هو الاستماع وإكمال معلوماته الدينية. وفي نهاية المطاف تبقى عليه حرية الاختيار: "إن فيه إشارةً إلى تشويق أهل الكتاب على الإيمان وتأنيسهم والتسهيل عليهم، كأنه يقول: "لا تشقن عليكم الدخول في هذا السلك، إذ لا تخرجون عن قشركم بالمرّة بل إنما تكملون معتقداتكم، وتبنون على ما هو مؤسس لديكم"^(٢).

إن القرآن - في رأي النورسي - بكونه الكتاب المقدس للإسلام وهو دين من الأديان السماوية أو الإبراهيمية الثلاثة (وهي ما عدا الإسلام الذي ذكرناه، المقصود بها اليهودية والمسيحية) يأتي كتكميل كل ما سبق تنزيله وهو جوهرة كل محاسن الكتب التي سبقته: "إذ القرآن معدّل ومكتمل في الأصول والعقائد، وجامع لجميع محاسن الكتب السابقة وأصول الشرائع السالفة. إلا أنه مؤسس في التفرعات التي تتحول بتأثير تغير الزمان والمكان"^(٣).

فيخاطب في القرآن الكريم أتباع الأديان الإبراهيمية الثلاثة قائلاً: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ

(١) سعيد النورسي، اللغات، ٢٢٩.

(٢) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجار، ٥٩٠.

(٣) النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجار، ٥٩١.

أَلَكْتَبِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿١﴾ .
وبالإضافة لما سبق فإن القرآن جعل ثاني أكبر سور القرآن "آل عمران" - أي والد مريم
وأُسْرته - وذلك في جو من التقديس والتبجيل، وسورة أخرى باسم "مريم" الصديقة الطاهرة،
في جو من التكريم والاحترام.

هذه الوحدة التي تشمل كل الأديان السماوية كما يتبين من الآيات القرآنية تعتبر
قاعدة قوية لمباشرة الحوار الذي ينوي المسلم أن يجريه مع يهودي أو مسيحي أخذا بعين
الاعتبار إيمانه - الذي يوصى به - بكل ما نزل إلى المرسلين الذين سبقوا النبي محمد:
﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٢).

هذه النقاط المشتركة بين الديانتين الإسلامية والمسيحية هي التي تضمن إمكانية العمل
المشترك بين المسلمين والمسيحيين ضد الإلحاد بناء على حقيقة مشتركة جوهرية بين الديانتين
وهي التقاؤهما في الإيمان بحقائق أبدية. ونظرا إلى تشاطات النورسي في مجال الحوار الإسلامي
المسيحي، فمن الممكن وصف هذا الحوار بنوعين: الحوار الداخلي والحوار الخارجي. المقصود
بالحوار الداخلي ذاك الحوار الذي يجري بين أبناء قطر واحد تربطهم نفس التراكيب الثقافية
والتاريخ المشترك، أما الحوار الخارجي يجري بين أبناء حضارات شتى وأقطار تنتمي إلى
ثقافات متنوعة (٣).

فتطبيقا للحوار الداخلي الذي يستهدف - في منظور النورسي - التفاهم حول المواقف
المشتركة لتشديد الإيمان في صفوف الناس بصرف النظر عن معتقداتهم الدينية. ففي هذا
الصدد، قام سعيد النورسي عام ١٩٥٣ بزيارة البتريك أثيناغوراس في مقره الواقع في استانبول
لإيجاد سبل التعاون بين مسلمي ومسيحي تركيا لمواجهة الاتجاهات الإلحادية المعادية التي
بدأت تغزو تركيا كذلك. أما في الحوار الخارجي، فهو لإنشاء التعاون بين الأمم، بذل
النورسي جهودا لا تحبو نارها لإقامة علاقات ودية متينة مع المسيحيين في أوروبا.

(١) المائدة، ٦٨.

(٢) البقرة، ١٣٦.

(٣) أحمد بن عبد الرحمن الصويان، الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، (الرياض: دار الوطن،
٢٠٠٢)، ٩٨.

كان الأستاذ النورسي يعتبر أن المؤمنين - مسلمين كانوا أو مسيحيين، ومسيحيين مؤمنين فعلا - يتوحدون أمام عدوهم المشترك وهو الإلحاد الذي ينتشر بسرعة في كافة المجتمعات المعاصرة مهما كان الدين السائد فيها أصلا. ففي عام ١٩٤٦، بعد خروج العالم من التجربة المؤلمة التي شهدتها أثناء الحرب العالمية الثانية، يدعو النورسي إلى كل المؤمنين أن يتحدوا، ليس مع المؤمنين المسلمين فحسب، بل مع المتدينين المسيحيين كذلك لإبعاد القضاء على عدوهم المشترك وهو الإلحاد أو الزندقة: "لقد ثبت في الحديث الصحيح أن المتدينين الحقيقيين من النصارى سيتفقدون في آخر الزمان مستنديهم إلى أهل القرآن للوقوف معا تجاه عدوهم المشترك الزندقة، لذا فأهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون أيضا إلى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى، فيتركوا مؤقتا كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعا لعدوهم المشترك الملحد المتعدي"^(١).

كان الإلحاد بأنواعه يؤدي إلى تباعد الناس الذين يصبحون عبادا للأشياء ويعاملون بعضهم البعض كأشياء. عكس الإلحاد هو الإيمان الذي يلح النورسي للحفاظ به في كل المجتمعات - الإسلامية وغير الإسلامية - وعليه يمكن إجراء حوار وبناء تعاون: "الإيمان نور لوجدان البشر وشعاع من شمس الأزل يضيء دفعة ملكوتية الوجدان بتمامها. فينشر أنسية له مع كل الكائنات.. ويؤسس مناسبة بين الوجدان وبين كل شيء"^(٢).

فهو يريد التعاون مع المؤمنين في أوروبا لإيقاف التدهور الروحاني الذي غزاها من كل الأطراف متانسية مسيحيتها والإيمان بها: "فيا أوروبا التي نأت عن النصرانية وابتعدت عنها، وانغمست في السفاهة والضلالة! لقد أهديت بدهائك الأعور كالدجال لروح البشر حالة جهنمية، ثم أدركت أن هذه الحالة دائمة عضال لا دواء له. إذ يهوى بالانسان من ذروة أعلى عليين إلى درك أسفل سافلين، وإلى أدنى درجات الحيوان وحضيضها، ولا علاج لك أمام هذا الداء الوييل الذي يدفع إلى إبطال الحس وتخدير الشعور مؤقتا، وكمالياتك المزخرفة وأهواؤك المنومة... فتعسا لك ولدوائك الذي يكون هو القاضي عليك"^(٣).

(١) النورسي، اللمعات، ٢٢٩.

(٢) النورسي، إشارات الإعجاز، ٥١٠.

(٣) النورسي، اللمعات، ١٧٨.

ومن هذا المنطلق ورغبة في التعاون بين كل المؤمنين، نظر النورسي بارتياح كبير إلى اتفاقية بغداد المتوصل إليها في عام ١٩٥٥ والمشارك فيها كل من تركيا والعراق وإيران وباكستان وبريطانيا العظمى لأنها منحت للأتراك أربعمئة ميلوين من المسلمين "صداقة ثمانمئة مليون نصراني"^(١) لأن في التعاون والاجتماع سرًا عجيبيًا. لأنه إذا اجتمع حسنة ثلاثة أشياء صار كخمسة، وخمسة كعشرة، وعشرة كأربعين بسر الانعكاس. إذ في كل شيء نوع من الانعكاس ودرجة من التمثيل. كما إذا جمعت بين مرأتين تترأى فيهما مرآيا كثيرة، أو نورتهما بالمصباح يزداد ضياء كل بانعكاس الأشعة؛ فكذلك اجتماع النكت والنقط^(٢).

ومن هذا السرّ والحكمة ترى كل صاحب كمال وصاحب جمال يرى من نفسه ميلا فطريا إلى أن ينضم إلى مثيله ويأخذ بيد نظيره ليزداد حسنا إلى حسنه. حتى أن الحجر مع حجرته إذا خرج من يد المعقد الباني في السقف المحذب يميل ويخضع رأسه ليماس رأس أخيه ليماسكا عن السقوط. فالإنسان الذي لا يدرك سرّ التعاون هو أجمد من الحجر؛ إذ من الحجر من يتقوس لمعاونة أخيه"^(٣).

يعتبر النورسي في إحدى رسائله التي كتبها في أوائل القرن العشرين عندما كان التوتر الديني اتجه إلى آسيا الصغرى اتضح أن الجذور لكل نزاع ديني هو "الغرور والأنانية في النفس ويتوهم المرء نفسه محقا ومخالفه على باطل فيقع الاختلاف والمنافسة بدل الاتفاق والمحبة"^(٤). فبالتالي حرية كل الفئات الدينية تمنح وتضمن حرية المجتمع بأجمعها: "حرية غير المسلمين جزء من حريتنا".

فإن النورسي، هو الإنسان المنفتح على الحوار والتفاهم مع الغير والمجرد من أي نوع من التعصب، حين ينظر في النزاعات، يتساءل بتعجب ودهشة، كيف أن هذه الأديان التي هي في أصولها وينابيعها الصافية دعوة لإصلاح الإنسان، وتعاونه مع أخيه الإنسان، للوصول

(١) Sukran Vahide, The Author of the Risale-i Nur Collection Bediuzzaman Said Nursi, (Istanbul: ٢٠١٠)

Sozler Nesriyat Tic, 2010), 354

(٢) عباس محبوب، **الحكمة والحوار علاقة تبادلية**، (عمان الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٦) ٢٢٩.

(٣) إشارات الإعجاز، ٤٩٠.

(٤) النورسي، اللغات، ٢٣٨.

إلى السعادة الكاملة، وقفت عاجزة أمام خلافات رجالها عن ردع النزاعات المهلكة للبشرية، وكيف أن الإنسان أن يفقد إنسانيته: لما كان الانسان - بمقتضى إنسانيته - يتألم بألم الآخرين، فلا يستطيع أن يتحمل ما يراه في هذا الطريق من ألم غير محدود، إذ الوجدان لا يطبق ألما إلى هذا الحد، لذا يضطر سالك هذا الطريق لأحد أمرين: إما أن يتجرّد من إنسانيته، يحمل قلبا قاسيا غارقا في منتهى الوحشة لا يتألم بهلاك الجميع طالما هو سالم معافى، وإما يبطل ما يقتضيه القلب والعقل لقبول الحوار المنصف.

خاتمة:

تلخيصا لكل ما ورد أعلاه، يمكن القول إنّ حلّ كل النزاعات الدينية هو الحوار الناجع بين المؤمنين المنتمين إلى تلك الأديان، حوار - حسب منظور النورسي - مشيّد على المعرفة الصحيحة لكل القيم الروحية الخاصّة بالأطراف الراغبة في جرائه باتخاذ دستور الإنصاف دليلا ومرشدا، وهو أن صاحب كلّ مسلك حقّ يستطيع القول: "إن مسلكي حقّ وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، لكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي فحسب أو إن الحسن والجمال في مسلكي وحده الذي يقضى على بطلان المسالك الأخرى وفسادها". فكل يجب على احترام الغير بصرف النظر عن معتقداتهم، بشرط أن يكونوا مؤمنين حقيقيين. حقا إن أفكار النورسي وحياته كلّها تجعله من رواد الحوار الإسلامي المسيحي، فلا يمكن تحقيق دراسة هذا الموضوع دون ذكر اسمه والاعتماد على مقترحاته. والله المستعان...

أهمّ المراجع

- أحمد، الشفيق الماحي، الأمثال في رسائل النور، (اسطنبول: سوز للطباعة والنشر، ٢٠٠٦).
- توماس، متشيل، الحوار والتعاون بين المسلمين والنصارى في المؤتمر العلمى الرابع عن النورسي.
- جيدل، عمار، حقيقة مقاصد رسائل النور استمدادها وامتداداتها، (القاهرة: دار النيل للطباعة والنشر، ٢٠٠٩).
- زقزوق، محمود حمدي، الإسلام وقضايا الحوار، (القاهرة: وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ٢٠٠٢)، السقار، منقذ بن محمود، الحوار مع أتباع الأديان مشروعته وآدابه، (مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ٢٠٠٤) ٣٢.

- الشريف، محمد موسى، التقارب والتعايش مع غير المسلمين، (جدة: دار الأندلس الخضراء، ٢٠٠٣) ٤٣.
- الشافعي، حسن، قول في التجديد، (القاهرة: مكتبة ذخائر الوراقين، ٢٠١٦).
- الصويان، أحمد بن عبد الرحمن، الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، (الرياض: دار الوطن، ٢٠٠٢)، ٩٨.
- الصالح، إحسان قاسم، نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي، (القاهرة: سوزلر، ٢٠١٠).
- صحيح أبي داود
- عبد الله، علي محمد صالح، الحوار الديني الإبراهيمي في ميزان القرآن، (القاهرة مصر: دار السلام، ٢٠٠٧).
- عبد الباري، فرج الله، منهج البحث وآداب الحوار والمناظرة، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠٤)، ١٠٦.
- عكوي، عبد الكريم، جهود النورسي في إرساء أسس الوحدة الفكرية وتثبيت الحوار العلمي في عصره، في جهود سعيد فريد، الأنصاري، مفاتيح النور في مفاهيم رسائل النور، (القاهرة: دار النيل، ٢٠١٠) طنطاوي، محمد سيد، أدب الحوار في الإسلام، (مصر: دار النهضة، ١٩٩٧).
- محجوب، عباس، الحكمة والحوار علاقة تبادلية، (عمان الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٦) ٢٢٩.
- النورسي في تجديد الفكر الإسلامي، (اسطنبول: سوز، ٢٠٠٥).
- النورسي، سعيد، الكلمات (اللوامع).
- النورسي، سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز.
- النورسي، سعيد، اللمعات، ٧٤.
- Alavi, Mohammad Ashim, *Seed of Change, Thrilling Leadership Lessons from the Life of Imam Bediuzzaman Said Nursi*, (Istanbul: Vakif Yayinlarim 2013),
- Michel, Thomas S,J, Muslim-Christian Dialogue and Co-operation in the Thought of Bediuzzaman Said Nursi, in *A Contemporary Approach to the understanding the Qur'an, The Example of The Risale-i Nur*, translated Sukran Vahide, (Istanbul: Sozler Nesriyat, 1998),
- Colin, *The Qur'an Revealed, a Critical Analysis of Said Nursi's Epistles of Light*, Turner, (Berlin: Gerlach Press, 2013),
- Vahide, Sukran, *The Author of the Risale-i Nur Collection Bediuzzaman Said Nursi*, (Istanbul: Sozler Nesriyat Tic, 2010),

حلول مشكلة (اليأس) المانع الأول للنهوض والبعث الحضاري عند بديع الزمان سعيد النورسي

أ.د. فيروز عثمان صالح

قسم الدراسات الإسلامية - كلية الآداب - جامعة الخرطوم

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل الوراثة الحضارية سنة مطردة تتحقق متى ماتوفرت شروط الصلاح وإرادة الإصلاح والإحياء وصدق العزيمة في مَنْ تصدي ونذر نفسه لهذه المهمة الجليلة، مصداقاً لقوله تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)^(١) والصلاة والسلام على نبي الرحمة وريث النبوة والحضارة ومرشدها وقائدها وإمامها، وعلى آله وصحبه أجمعين.... وبعد

لقد أدرك كثيرٌ من المصلحين الذين نذروا أنفسهم لمهمة إحياء الأمة وبعثها _ وفي مقدمتهم الإمام الثورسي (١٨٧٧-١٩٦٠م)^(٢) _ أن تنزيل المشروع الحضاري في أرض الواقع منوط برفع وعي الأمة وإدراكها، حتى لا يتم التنفيذ من غير وعي، أي أن المسألة تحتاج إلى إعادة تشكيل الذهن وتعميق التصور والرؤية نحو الرسالة الحضارية للإسلام بشمولها

(١) سورة الأنبياء الآية (١٠٥).

(٢) صاغ الثورسي معالم مشروعه النهضوي الحضاري في ثنايا مؤلفه التفسيري (رسائل النور) لاسيما في الخطبة الشامية، رسائل النور أكثر من (١٣٠) رسالة جمعت تحت عنوان: كليات رسائل النور، وهي كما يقول الأستاذ الثورسي "برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لحة براءة من لمحات إعجازه المعنوي..." انظر العالم يتصفح رسائل النور، سوزلر للنشر، القاهرة (د.ت)، ص ٢٠، وهي تضم تسعة أجزاء سجل فيها الثورسي كل ما استلهمه من نور القرآن الكريم. أما الخطبة الشامية فقد ألقاها الأستاذ الثورسي وهو في شرح الشباب باللغة العربية في الجامع الأموي بدمشق عام ١٩١١م، بإلحاح من علماء الشام، وحضرها جمع غفير يربون على عشرة آلاف شخص. بديع الزمان سعيد الثورسي، من كليات رسائل النور (١٣)، الخطبة الشامية، صرخة حياة في موات أمة، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، سوزلر للنشر، استانبول، (د.ت)، ص ٥.

للزمان والمكان، فإي عملية بناء لابد أن يسبق بفكرة تُطبع في أذهان أصحابها، وهو الدور الذي قامت به رسائل النور.

لقد أدرك الثورسي بفكره الثاقب أن ثمة أمور سالبة على حركة الإحياء والبعث الحضاري تزلزل ثقة الأمة في وعد الله بالنصر أو يستبطنونه أو تحدث ضباباً ولبلة فكرية، تبعثر الطاقات العاملة في الإحياء منها: كون الأمة لأكثر من قرن من الزمان - في الوقت الذي حلّق فيه العالم الغربي إلى المستقبل - بعثت في أوضاعها العامة عن منهجها، وانهمرت أمام عدوها، وفقدت دورها الريادي والحضاري^(١).

وبالرغم من تلك الحقائق السالبة يلحظ المتبصر في هذا الشأن أن نخضة إسلامية حقيقية تعتمل، وأن دورة جديدة من دورات ريادة الأمة الإسلامية قد لاحت، في ضوء هذه الحقائق ما لبث الثورسي يعكف على توجيه النظر إلى مسائل انصرف الكثيرون عن التنبيه إليها، وهي الدراسة الواعية المتبصرة لواقعنا بكل تفاصيله، وفهم مشكلاتنا المعاصرة في إطارها التاريخي (مكاناً وزماناً) ومن ثم التحديد الدقيق للحلول وترتيب الأولويات.

الأستاذ الثورسي صاحب مشروع وباعث أمة:

إنّ بديع الزمان الثورسي - رحمه الله - كان عارفاً بأحداث عصره وتقلباتها ومصائبها ومهلكاتها وكان عميق الحكمة وثاقب البصيرة، فيما يتجه إليه مصير الأمة، ودائم القلق على هذا المصير يقول رحمه الله: "إنّ أمامي حريقاً مدهشاً يحترق فيه أبناء أمتي يحترق فيه إيمانهم وعقيدتهم، فما أنا ذا أحاول أن أطفئ ذلك الحريق فيعرقلني واحد فيصدم به رجلاي فلا قيمة لذلك"^(٢). ونراه يردد: "إنه لا يقلقني سوى المخاطر المحيطة بالإسلام فقلعة الإيمان إذن في خطر داهم. لذا لا قلق لي إلا هذا ولا أضطرب إلا من هذا بل ليس عندي زمن أضيعه في التفكير في التعب والمشاق التي أتعرض لها بنفسي، وليتني أتعرض لألف ضعف من شقائي ويسلم مستقبل قلعة الإيمان... ولم ينقطع رجائي وأملّي تماماً"^(٣).

فقد عاصر بديع الزمان سعيد الثورسي عهد السلطان (عبد الحميد الثاني) أواخر عمر

(١) بديع الزمان الثورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص ٢٨.

(٢) بديع الزمان سعيد الثورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط ٣، ١٩٩٨ م ج ٩، ص ٦٦.

(٣) المرجع نفسه، ج ٩، ص ٤٩٠-٤٩١.

الدولة العثمانية الآيلة للسقوط، وعاصر تكالب الأعداء وتزاحمهم للقضاء على هذه الدولة. وخاض الشعب التركي حرباً تحريرية ضد الغزاة وهي التي تُسمى (حرب الاستقلال) ولكن ما إن استقر الأمر وطرد الغزاة حتى ظهر العداء السافر للإسلام ومحاولات جادة لقلع الإيمان الراسخ في قلب الأمة. ففي عام ١٩٢٢م وُضعت قوانين وأُتخذت قرارات لقلع الإسلام من جذوره و إخماد جذوة الإيمان في قلب الأمة. فأُلغيت السلطنة العثمانية في (١٩٢٢/١١/١م) وأعقبه إلغاء الخلافة في (١٩٢٤/٣/٣م)، فانتشرت المقومات والتقاليد والأفكار والفلسفات المادية الغربية والعلمانية المعادية لمبادئ القرآن^(١).

وأمام هذه الأعاصير الهائلة المزعزعة للحياة الاجتماعية بأسرها، ظهر بديع الزمان ليحمل هموم الأمة ويقوم بأعباء رسالة (البعث والنهوض الحضاري) من خلال تأليفه لرسائل النور ونشرها بين طبقات الأمة في ظروف غاية في الدقة والصعوبة^(٢).

لقد ساقته - رحمه الله - الظروف لأن يقف موقف التبنّي لأوضاع أمته ومآلها، إذ كان في قلب الجبهة، وفي مواجهة الصراع.. فضلاً عن ما كان له من إيمان روحي راسخ ومن حظوظ علمية تُهيئُه لأن ينهض بالدور الإحيائي الذي تفرضه عليه المرحلة فكان لا مناص له من أن يتحمل المسؤولية وأن يؤدي واجبه في الإحياء وبعث المقومات^(٣)، يقول محمد البنيادي "الأستاذ سعيد النورسي صاحب مشروع وبعث أمة، رسائله إسهامات بارزة في تحريك الحس الحضاري، وإيقاظ الشعور الجماعي للأمة. إن الذي يتدبر رسائل الرجل يشدّه هذا التفكير العميق والنظر الطويل والتأمل البصير في البحث عن علل وأزمات الأمة واقتراح الحلول لها"^(٤).

(١) العالم يتصفح كليات رسائل النور، مركز رسائل النور- السودان، ص ٥ - ١٣ ملخصاً.

(٢) العالم يتصفح رسائل النور، ص ٤ - ٥.

(٣) عشراقي سليمان، الندوة العلمية الدولية: جهود سعيد النورسي في تحديد الفكر الإسلامي، ورقة بعنوان: النورسي ومنطق السيورة، تحسس لمسألة الزمان كما تمثلها فكراً، الرباط، دار سوزلر للطباعة والنشر، استانبول ط، ٢٠٠٥م. ص ٢٣٣.

(٤) محمد البنيادي، المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان النورسي "العلم والإيمان والأخلاق لأجل مستقبل أفضل للإنسانية" ورقة بعنوان: فقه البناء والتحديد في المشروع الإيماني والأخلاقي الثوري، استانبول، ٢٠١٠م. ص ٨٥٦.

أسباب التراجع الحضاري للمسلمين (موانع النهوض):

لقد كان الأستاذ النورسي - رحمه الله - يعي ويدرك أن "الحضارات - بما في ذلك الحضارة الإسلامية - جهد بشري، وهي بطبيعة بشرتها تبقى خاضعة للسقوط والنهوض والخطأ والصواب كلما توفرت لها عوامل ذلك"^(١).

لكن الفرق بين حضارة الإيمان وحضارة الجبت والطاغوت أنّ الأولى تمتلك وجهة ومقاصد واضحة، لأنها مؤطرة بمعرفة الوحي، وتمتلك قيماً تقوّم وتسدد بها مسيرتها، وتمتلك بها إمكان المعاودة والنهوض من جديد. فهي حضارة لا يتعطل فيها الفعل الحضاري بالكلية. والثانية - أي حضارة الجبت والطاغوت - بائدة مهما طال عمرها.

والنورسي كان يدرك ويعي حقيقة التراجع والسقوط الحضاري للمسلمين في عصره، "فقد عاش في مرحلة مضطربة كانت تموج فيها الأحداث موجاً، وتوضع الخطوط العريضة والكبرى للعالم المعاصر، وكان ذا معرفة بخبايا القوى الغالبة وخفايا الحضارة الظاهرة، وانطلاقاً من هذا نقرأ في رسائل النور ما يثبت حسن قراءة الأستاذ النورسي لأحداث عصره في تركيا، وفي العالم الإسلامي وإدراكه لحقيقة الحضارة الغربية وأسسها وأسباب قوتها وضعفها"^(٢).

فهو يصف في كلام قصير حالة عصره وعللها ويصف في ذات الوقت العلاج، يقول في المكتوبات: "عصر مريض، وعنصر سقيم، وعضو عليل، وصفتها الطبية هي اتباع القرآن"^(٣). وفي الخطبة الشامية، حدد النورسي - رحمه الله - تلك الأمراض والعلل والتي أدت إلى التراجع الحضاري قائلاً: "لقد تعلمت الدروس من مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية وعلمت في هذا الزمان والمكان أن هناك ستة أمراض جعلتنا - أي المسلمين - نقف على أعتاب القرون الوسطى في الوقت الذي طار فيه الأجانب - وخاصة الأوروبيين - نحو المستقبل وتلك الأمراض هي: أولاً: حياة اليأس الذي يجد فيها أسبابه وبعثه، ثانياً: موت الصدق في حياتنا

(١) سعاد رحائم، الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط ١، ٢٠٠٧ م. ص ١٠.

(٢) عبد العزيز فارح، ندوة "سؤال الأخلاق في مشروع النورسي"، ورقة بعنوان: بديع الزمان النورسي معالم في الاخلاق والإيمان، وجدة، المغرب، دار سوز للطباعة والنشر، استانبول، ط ١، ٢٠٠٨ م. ص ١٣٧.

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، دار سوز للنشر، استانبول، ط ١، ١٩٩٣ م، ج ٢، ص ٦٠٠.

الاجتماعية والسياسية، ثالثاً: حب العداوة، رابعاً: الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض، خامساً: سريان الاستبداد، سادساً: حصر الهمة في المنفعة الشخصية^(١). إذن فقد قرأ الأستاذ النُورسي أحداث عصره وعاش هموم أمته، باحثاً عن أسباب تراجعها وتخلّفها ووسائل بعثها وبناء مستقبلها، فقد أدرك - رحمه الله - أن أول الطريق للاستئناف الحضاري هو الإقرار بحقيقة تراجع الأمة وأن تشخيص الداء أول خطوة في وصف العلاج، وأن العقبات في حقيقتها حافز للنهوض وهو الأمر الذي يؤكد علي نباهته الحضارية، وعلي قدرته علي التعاطي الإيجابي مع معطيات زمانه ومكانه بتعقيداتها النظرية والعملية.

رجل القدر يبحث عن نور (أمل) بين ظلمات (اليأس):

من الأساليب التربوية للأستاذ النُورسي أسلوب الحوار، وكان يستخدم هذا الأسلوب في تبليغ المعاني الحضارية الراقية، ومن هذه النصوص (حوار في رؤيا)، ولم تكن رؤيا في منام بل رؤيا صادقة هي يقظة في الحقيقة كما أكد النُورسي، فقد كان النُورسي يبحث عن أمل ونور بين ظلمات اليأس المتكاثفة القائمة الذي ولدته حوادث الدهر عام ١٩١٩م وهو عام سقوط الدولة العثمانية ودخول الأجانب البلاد، يقول النُورسي: "دخلت عالم المثال في ليلة من ليالي الجمعة، ورأيت مجلساً منوراً قد حضره السلف الصالحون، ومثلون من العصور.... لم أر مثيلهم في الدنيا.... قال أحدهم موجهاً كلامه لي - يارجل القدر!.. يارجل عصر النكبة والفتنة والهلاك!"^(٢).

وفي ذلك المجلس وجّهت للنُورسي أسئلة تتعلق بواقع الأمة وحاضرها وتستشرف المستقبل، ردّ عليها مبشراً بأنّ "هزيمة الدولة العثمانية رغم أنها مصيبة ليست شراً محضاً، فقد تنشأ السعادة من النكبة والبلاء، فالدولة العثمانية التي حملت راية الخلافة إعلاءً لكلمة الله وزوداً عن استقلال العالم الإسلامي. ستعوّض عما أصابته من مصيبة وستزيلها السعادة التي سوف يرفل بها عالم الإسلام"^(٣). وقد وزان النُورسي بين أسس المدنية الحديثة والمدنية التي

(١) بديع الزمان سعيد النُورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط١، ١٩٩٣م، ج٨، ص٤٩١-٤٩٢، النُورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم، ص ٢٨.

(٢) النُورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج ٨، ص ٣٥٥.

(٣) النُورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج ٨، ص ٣٥٦.

تأمرنا بها الشريعة، فأكد أن المدنية الحديثة تُفضي إلى الاعتداء والتزاحم والتنازع والتصادم ومسح الإنسان معنوياً^(١).

وزف رحمه الله البشرى بأن المدنية التي تأمرنا بها الشريعة الغراء وتتضمنها، هي التي

(١) يرى الثورسي أن المدنية الحديثة تأسست على خمس أسس سلبية:

١. فنقطة استنادها هي القوة، وهذه شأنها الاعتداء.
٢. وهدفها وقصدها: المنفعة، وهذه شأنها التزاحم.
٣. ودستورها في الحياة: الجدال والصراع، وهذا شأنه التنازع.
٤. والرابطة التي تربط المجموعات البشرية هي العنصرية والقومية السلبية التي تنمو على حساب الآخرين، وهذه شأنها التصادم كما نراه.
٥. وخدمتها للبشرية خدمة فائنة جذابة هي تشجيع هوى المنفعة، وإثارة النفس الأمار، وتطمين رغباتها وتسهيل مطالبها، وهذا الهوى شأنه: إسقاط الإنسان من درجة الملائكية إلى درك الحيوانية الكلية: وبهذا تكون سبباً لمسح الإنسان معنوياً. وسعادة هذه المدنية هي لأقل القليل من الناس والقرآن لا يرضى بمدنية لا تضمن سعادة الجميع. أو لا تعم الغالبية العظمى. المرجع نفسه، ج ٨، ص ٣٥٧.
٦. فنقطة استنادها هي القوة، وهذه شأنها الاعتداء.
٧. وهدفها وقصدها: المنفعة، وهذه شأنها التزاحم.
٨. ودستورها في الحياة: الجدال والصراع، وهذا شأنه التنازع.
٩. والرابطة التي تربط المجموعات البشرية هي العنصرية والقومية السلبية التي تنمو على حساب الآخرين، وهذه شأنها التصادم كما نراه.
١٠. وخدمتها للبشرية خدمة فائنة جذابة هي تشجيع هوى المنفعة، وإثارة النفس الأمار، وتطمين رغباتها وتسهيل مطالبها، وهذا الهوى شأنه: إسقاط الإنسان من درجة الملائكية إلى درك الحيوانية الكلية: وبهذا تكون سبباً لمسح الإنسان معنوياً. وسعادة هذه المدنية هي لأقل القليل من الناس والقرآن لا يرضى بمدنية لا تضمن سعادة الجميع. أو لا تعم الغالبية العظمى. المرجع نفسه، ج ٨، ص ٣٥٧.
١١. فنقطة استنادها هي القوة، وهذه شأنها الاعتداء.
١٢. وهدفها وقصدها: المنفعة، وهذه شأنها التزاحم.
١٣. ودستورها في الحياة: الجدال والصراع، وهذا شأنه التنازع.
١٤. والرابطة التي تربط المجموعات البشرية هي العنصرية والقومية السلبية التي تنمو على حساب الآخرين، وهذه شأنها التصادم كما نراه.
١٥. وخدمتها للبشرية خدمة فائنة جذابة هي تشجيع هوى المنفعة، وإثارة النفس الأمار، وتطمين رغباتها وتسهيل مطالبها، وهذا الهوى شأنه: إسقاط الإنسان من درجة الملائكية إلى درك الحيوانية الكلية: وبهذا تكون سبباً لمسح الإنسان معنوياً. وسعادة هذه المدنية هي لأقل القليل من الناس والقرآن لا يرضى بمدنية لا تضمن سعادة الجميع. أو لا تعم الغالبية العظمى. المرجع نفسه، ج ٨، ص ٣٥٧.

ستكشف بانقشاع هذه المدنية الحاضرة، وتضع أسساً إيجابية بناءة مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية نعم! إن نقطة استنادها هي الحق بدلاً من القوة! والحق من شأنه: العدالة والتوازن. وهدفها: الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها: التجاذب. وجهة الوحدة فيها والرابطة التي تربط بها المجموعات البشرية: الرابطة الدينية والوطنية، والمهنية بدلاً من العنصرية، وهذه شأنها: الأخوة الخالصة، والسلام والوئام، والزود عن البلاد عند تجاوز الأجنب.

ودستورها في الحياة: التعاون بدل الصراع والجدال، والتعاون من شأنه التساند والاتحاد. وتضع الهدى بدل الهوى ليكون حاكماً على الخدمات التي تقدم للبشر، وشأن الهدى: رفع الإنسانية إلى مراقبي الكمالات فهي إذن تحدد الهوى وتحذ من النزعات النفسانية وتطمئن الروح وتشوقها إلى المعالي^(١)، ومادام الميل نحو الكمال قانوناً فطرياً في الكون وقد أدرج في فطرة البشرية، فإن الحق والحقيقة سيظهران في المستقبل على يد العالم الإسلامي إن شاء الله^(٢).

إذن فإن النورسي كان يبصر وسط ركام الآلام الذي أثقل فؤاده نوراً يُنسيه الآلام. لذا نجده يردد: "إنني أستطيع أن أتحمل كل آلام الشخصية، ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقتني، إنني أشعر بأن الطعنات التي وجهت إلى العالم الإسلامي كأنها وجهت إلى قلبي أولاً ولهذا ترونني مسحوق الفؤاد ولكن أرى نوراً يُنسينا هذه الآلام إن شاء الله تعالى"^(٣).

اليأس مانع للنهوض الحضاري:

يربط الأستاذ النورسي بين اليأس والمسألة الحضارية فيؤكد أن اليأس داءٌ استشرى في قلب الأمة الإسلامية وأدى إلى تراجعها الحضاري وتمكن الاستعمار الغربي فيها، إذ يقول: "إنّ اليأس داء قاتل، وقد دبّ في صميم قلب العالم الإسلامي... وهذا اليأس هو الذي أمات فينا الروح المعنوية التي بها استطاع المسلمون أن يسيطروا سلطاتهم على مشارق الأرض ومغاربها بقوة ضئيلة، ولكن ما إن ماتت تلك القوة المعنوية الخارقة باليأس حتى تمكن

(١) النورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج ٨، ص ٣٥٩.

(٢) المرجع نفسه، ج ٨، ص ٥٠١، النورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص ٤٦.

(٣) Bilinmeyen Tarafariyle Bediuzzaman said Nursi ص ٢١٤، نقلاً عن اورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت) ص ٩٤-٩٥.

الأجانب الظلمة — منذ أربعة قرون- أن يتحكموا في ثلاثمائة مليون مسلم^(١) ويكبلوهم بالأغلال"^(٢).

ويقرر الثورسي أن اليأس هو المانع الأول لترقي الأمم ونهوضها قائلاً: "إن اليأس داء عضال للأمم والشعوب، أشبه ما يكون بالسرطان وهو المانع من بلوغ الكمالات"^(٣). وكذلك يقول: "اعلموا أن اليأس مانع كل كمال"^(٤) فإن الذي ينفث في أوروبا الحياة هو (الأمل).. والذي يقتلنا هو (اليأس)^(٥).

وبعد تحذيره- رحمه الله- من تلك العلة يصف الدواء من فيض صيدلية القرآن أسوة بالأمراض الستة التي بيّن علاجها بست كلمات^(٦)، - يقول رحمه الله-: "فما دام هذا الداء قد فتك فينا إلى هذا الحد... فنحن عازمون على أن نقتص من قاتلنا فنضرب رأس ذلك اليأس بسيف الآية الكريمة "لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ"^(٧)^(٨).

ويبدو واضحاً للمتصفح لرسائل النور عموماً والخطبة الشامية على وجه أخص أنها جعلت من بثّ الأمل والتبشير بمستقبل أفضل للمسلمين إحدى أكبر مقاصدها وحقائقها. فالآية الكريمة السابقة — على سبيل المثال — قد ورد ذكرها في مواضع كثيرة من رسائل النور على نحو ينسجم مع مشروعه النهضوي للأمة^(٩). بل إنه قد استهل الخطبة الشامية التي

(١) تعداد المسلمين آنذاك.

(٢) الثورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم، ج٨، ص٥٠٥، الثورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم، ص٥٣.

(٣) الثورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج٨، ص٥٠٥، الثورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم، ص٥٣.

(٤) الثورسي، الخطبة الشامية، ص ٩٧.

(٥) الثورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج٨، ص ٣٦٩.

(٦) الثورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص ٢٩.

(٧) سورة الزمر، الآية (٥٣).

(٨) الثورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج٨، ص ٥٠٥، الثورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص ٥٤.

(٩) انظر مثلاً: الثورسي، كليات رسائل النور، الملاحق (في فقه الدعوة) ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط٥، ١٩٩٥م، ج٧، ص٢٥٩، وانظر: الثورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ج٨، ص٣٩٢، ٤٣٣، ٤٩١، ٥٠٥.

تجسد معالم هذا المشروع بها^(١). فالآية الكريمة "تحول بين الأمة وبين الانطفاء والزوال - باليأس - وتبعث على الحياة بل أنها ضياء يتجاوز الأمة لينير العالم اجمع"^(٢). فثقافة الأمل من محركات الإقلاع والاستئناف الحضاري في رسائل النور "فالإيمان يفتح باب الأمل المشرق"^(٣).

إذن فهزيمة اليأس هو شرط تحقق (حركة الحياة وفعاليتها)^(٤) "لذا ينبغي النظر إلى الأمور بمنظار رسائل النور والسعي في الخدمة السامية بجد وشوق كلما ازدادت المشكلات"^(٥).

رسائل النور تؤكد على قابلية الأمة الإسلامية للتقدم المعنوي والمادي:

يؤكد الثورسي في رسائل النور على إمكان وقابلية الأمة للتقدم والبعث الحضاري، ويؤلف البشرى بمستقبل أفضل للمسلمين، يقول في الخطبة الشامية في الكلمة الأولى "الأمل"^(٦) "يسرني أن أزف إليكم البشرى يا معشر المسلمين، بأنه قد أزف بزوغ أمارات الفجر الصادق ودنا شروق شمس سعادة عالم الإسلام الدنيوية. فإني أعلن بقوة وحزم بحيث أسمع الدنيا كلها وأنف اليأس والقنوط راغم: أن المستقبل سيكون للإسلام وللإسلام وحده، وأن الحكم لن يكون إلا لحقائق القرآن والإيمان"^(٧) وحاكمية القرآن والإسلام على المستقبل منبثقة من طبيعته أولاً، ومن مضمونه ثانياً، فضلاً عن ذلك فإن للإسلام استعداد المعنوي للترقي مما يجعل سيادته في المستقبل مُتَيْقَنَةً لا مرء فيها^(٨).

وبقراءة فاحصة وعميقة لواقع عصره فإن الأستاذ الثورسي يبين الأسباب والموانع التي

(١) الثورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم. ص ٢٧.

(٢) الثورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم. ج ٨، ص ٣٩٢.

(٣) بديع الزمان الثورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط ٣، ١٩٩٨م، ج ١، ص ١٠٤.

(٤) الثورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم. ج ٨، ص ٤٣٣.

(٥) الثورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج ٧، ص ١٢١.

(٦) يقصد الثورسي بالأمل: شدة الإعتماد على الرحمة الإلهية والثقة بها، الثورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج ٨، ص ٤٩٢.

(٧) المرجع نفسه، ج ٨، ص ٤٩٢، الثورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم. ص ٢٩-٣٠.

(٨) عمار جيدل، المؤتمر العالمي "العلم والإيمان والأخلاق لاجل مستقبل أفضل للإنسانية"، ورقة بعنوان: اهتمام رسائل النور بالمستقبلات، استانبول، ٢٠١٠م، ص ١٦٢.

حالت دون استيلاء حقائق الإسلام والإيمان وسيادة حكم القرآن استيلاءً تاماً، مع تأكيده أن قسماً من تلك الأسباب قد زال، وقسماً آخر في طريقه للزوال يقول رحمه الله في الخطبة الشامية: "لقد حالت ثمانية موانع دون استيلاء حقائق الإسلام على الزمان الماضي استيلاءً تاماً وهي: المانع الأول والثاني والثالث: جهل الأجانب، وتأخرهم عن عصرهم (أي بعدهم عن الحضارة)، وتعصبهم لدينهم. فهذه الموانع الثلاثة بدأت تزول بفضل التقدم العلمي ومحاسن المدنية. المانع الرابع والخامس: تحكم القسيسين وسيطرة الزعماء الروحانيين على أفكار الناس وأذهانهم، وتقليد الأجانب لأولئك القسيسين تقليداً أعمى، فهذان المانعان أيضاً يأخذان بالزوال بعد انتشار حرية الفكر وميل النوع البشري إلى البحث عن الحقائق. المانع السادس والسابع: تفشي روح الاستبداد فينا، وانتشار الأخلاق الذميمة من مجافة الشريعة ومخالفتها. فإن زوال قوة استبداد الفرد الآن يشير إلى زوال استبداد الجماعة والمنظمات الرهيبة بعد ثلاثين أو أربعين سنة. ثم إنَّ فوران الحمية الإسلامية والوقوف على النتائج الوخيمة للأخلاق الذميمة كفيلاً برفع هذين المانعين بل هما على وشك أن يرفعا، وسيزولان زوالاً تاماً إن شاء الله. توهم وجود التناقض بين مسائل العلم الحديث والمعنى الظاهري لحقائق الإسلام"^(١)، وقد بيّن الثورسي رحمه الله أنَّ رسائل النور ولا سيما رسالة "المعجزات القرآنية- فضلاً على مؤلفات قيِّمة لعلماء الإسلام قد تصدت لهذا المانع وهدمت قسماً كبيراً منه، وأنَّ كل الأمارات تدل على أن هذا المانع الثامن سيضمحل تماماً"^(٢).

وزف الثورسي - رحمه الله - البشري بزوال الموانع الثمانية قريباً بالعلم، والمعرفة الحقيقية ومحاسن المدنية^(٣)، وذلك ببعثها روح التحري عن الحقائق والإنصاف والمحبة الإنسانية وإرسالها إلى جبهات محاربة تلك الأعداء الثمانية^(٤). وسوف تتغلب بإذن الله محاسن المدنية بفضل قوة الإسلام التي ستسود في المستقبل وتطهر وجه الأرض من الأدناس وتحقق أيضاً

(١) الثورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص ٣٦ - ٣٨.

(٢) المرجع نفسه. ص ٣٨-٣٩ ملخصاً.

(٣) يؤكد الثورسي أن قصده من المدنية هو محاسنها وجوانبها النافعة للبشرية وليس ذنوبها وسيئاتها، ونبه إلى ضرورة تجاوز سيئات مدنية أوربا والاقتباس فقط من محاسنها، فمدنية أوربا لم تتأسس على الفضيلة والهدى بل على الهوس والهوى، وعلى الحسد والتحكم، لذلك تغلبت سيئات هذه المدنية على حسناتها. أنظر الثورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم. ص ٤٥.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٩.

سلاماً عاماً للبشرية قاطبة^(١). فإن لكل شتاء ربيعاً ولكل ليل نهاراً فلواء الإسلام العادل العظيم سيُرفع خفّاقاً ليرفرف في آفاق الكمالات^(٢).

الأنبياء أرباب وهداة التقدم والرفي المعنوي والمادي:

الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- هم هداة الترفي المادي والمعنوي وقادة طريق الكمالات الروحية والعقلية، والتُّورسي - رحمه الله - يؤكد أنّ في قصصهم ومعجزاتهم الواردة في القرآن الكريم تحريك لأجهزة الاستقبال في الأرواح المتطلعة للسمو وتحفيز للترفي وتشجيع للبشر للوصول إلى أشباهها إذ يقول في إشارات الإعجاز: "كأنّ القرآن بتلك القصص يضع اصبعه على الخطوط الأساسية ونظائر نتائج نهايات مساعي البشر للترفي في الاستقبال الذي يبنى على مؤسسات الماضي الذي هو مرآة المستقبل، وكأنّ القرآن يمسح ظهر البشر بيد التشويق والتشجيع قائلاً: اسع واجتهد في الوسائل التي توصلك إلى بعض تلك الخوارق"^(٣) ويشرح ذلك قائلاً: "إنّ القرآن بذكره معجزات الأنبياء، إنّما يدل البشرية على أنّ نظائر تلك المعجزات سوف تتحقق في المستقبل بالترفي، ويحث الإنسان على ذلك وكأنه يقول: هيا اعمل واسع لتنجز أمثال هذه المعجزات، فاقطع مثلاً مسافة شهرين في يوم واحد كما قطعها سليمان عليه السلام، واعمل على مداواة أشد الأمراض المستعصية كما داواها عيسى عليه السلام، ... وابحث عن المواد التي تقيك شر الحرق بالنار والبسها كما لبسها إبراهيم عليه السلام، والتقط أبعاد الأصوات واسمعها وشاهد الصور من أقصى المشرق والمغرب كما فعل ذلك بعض الأنبياء...، وهكذا قياساً على هذا نجد أن القرآن الكريم يسوق البشرية إلى الرفي المادي والمعنوي"^(٤). وبهذا يمكن "للنفس أن تخرج إلى غاية كما لها الممكن لها في العلم والعمل"^(٥).

(١) التُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج ٨، ص ٥٠١. التُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص ٤٥.

(٢) التُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج ٨، ص ٣٧١-٣٧٢ بتصرف.

(٣) التُّورسي، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط ٣، ١٩٩٩م، ج ٥، ٢٣٨.

(٤) التُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص ٤٢. انظر إلى مزيد من الشواهد على أثر معجزات الأنبياء عليهم السلام في الترفي المادي في: التُّورسي، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز، تحقيق: إحسان قاسم، ج ٥، ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٥) عبد الرحمن بن الجوزي، صيد الخاطر، ضبط وتحقيق: محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة،

القرآن الكريم باحث على الترقى الحضاري للمسلمين:

إن تاريخ الحضارة الإسلامية دالت فيه الدول وسقطت^(١)، لكن لم تنطفئ فاعلية المجتمع فيه تماماً، وما ماتت ولم يتعطل الفعل الحضاري بالكلية^(٢) وذلك أن الحضارة الإسلامية تملك خاصية الإحياء والبعث متى ما توفرت شروط معينة، ولها قابلية الترقى والنهوض المادي والمعنوي أو كما يقول الأستاذ الثورسي "إن حقائق الإسلام تمتاز باستعدادها، استعداداً كاملاً لرفع أهلها إلى مراقي التقدم المادي والمعنوي معاً"^(٣).

والثورسي يؤكد على أن الباحث على الرقي المعنوي هو القرآن والإيمان فيقول في الخطبة الشامية: "نحن معاصر المسلمين خدام القرآن نتبع البرهان ونقبل بعقلنا وفكرنا وقلوبنا حقائق الإيمان، ... وعلى هذا فإن المستقبل الذي لاحكم فيه إلا للعقل والعلم سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامه على العقل والمنطق والبرهان"^(٤).

لذا تطالب رسائل النور بضرورة "الرضى بالقدر الإلهي وبما قسمه الله لنا، إذ لنا مستقبل زاهر"^(٥) ويؤكد الثورسي ذلك في مقام آخر قائلاً: "نعم، كونوا على (أمل)، أن أعظم صوت داوٍ في انقلابات المستقبل هو صوت الإسلام الهادر"^(٦).

ولا شك أن "المؤمن يتمتع بالغلبة بقدر التزامه بأحكام القرآن، لهذا فالنجاح والفلاح به مشروط بتصديقه قلباً وعقلاً مع صدق العمل على تجسيده في الواقع المعيش، فيتحول

ط ٢، ١٩٨٨ م ص ١٣٦.

(١) عندما ضُغِفَ الأمويين وأهتز ملكهم وتفكك أمام الاضطرابات المختلفة، زالت دولتهم، إلا أن العباسيين جددوا طاقات الدولة من بعدهم وأعطوها دفعةً جديدةً وهكذا دورات متعاقبة من (السلاجقة) و(المماليك) وغيرهم إلى العثمانيين.

(٢) أزهرى التجاني عوض السيد، إعادة البناء الإسلامي، سلسلة رسائل البعث الحضاري (١٩)، المركز القومي للإنتاج الاعلامي، الخرطوم، ط ٢، ١٩٩٦ م، ص ١٢.

(٣) الثورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ص ٤٩٣، الثورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص ٣٠.

(٤) الثورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج ٨، ص ٤٩٥، الثورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص ٣٥.

(٥) الثورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج ٨، ص ٤٩٢.

(٦) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٣٦٠.

القول بالقرآن إلى أعمال وأحوال تُرى تصرفات في شعاب الحياة"^(١).
لذا فقد اجتهد الأستاذ النُورسي في بعث المسلمين بعثاً قرانياً يستوعب حضارة العصر،
لكنه لا يحمل أوزارها وسيئاتها وإبعادها للدين والقيم والأخلاق عن الفعل الحضاري، يقول رحمه
الله: "إن القرآن الكريم مرشدنا وأستاذنا وإمامنا ودليلنا في أعمالنا"^(٢).
وينبه الأستاذ النُورسي إلى "أنّ أثر القرآن في التقدم (الحضاري الإسلامي) لا يُنكر،
فالقرآن هو الذي دفع العرب إلى فتح العالم، ومكنهم من إنشاء امبراطورية فاقت إمبراطورية
الإسكندر الكبير، والإمبراطورية الرومانية سعة وقوة وعمراً وحضارة"^(٣).
فمحمد ﷺ كما يقول النُورسي رحمه الله "أخرج قومه من زوايا النسيان ورقى بهم إلى
أوج المدنية وصيرهم معلمي عالمهم، وأسس لهم دولة عظيمة في زمن قليل، فأصبحت
كالشعلة الجواله والنور النوار بل كعصا موسى تبتلع سائر الدول وتمحيها"^(٤).
تلك الدولة التي ولدت ما ازدهر به التاريخ الإسلامي من المعارف والآداب، والصنائع
والفنون فكان المسلم - الذي يمتلك قابلية الترفي المعنوي والمادي - هو منشئ تلك الآثار
الباهرة من الحضارة، سيدها ومعمّرها بإيمانه القوي، وروحه المتقدمة وفكره المتوثب، وخلقه
الطاهر وسلوكه الأمين. فالإسلام لم يكن أبداً معرقلاً للفعل الحضاري، بل بالعكس من ذلك
كان مُنشئاً لحضارة مستقلة بذاتها، وأبعد من ذلك ساهمت من جانبها في تطور الحضارة
الإنسانية. وذلك هو أهم الأمارات والأسس لحيوية الإسلام وحركيته، لذا فإن الأستاذ
النُورسي يُنبه الأمة بالأخذ بأسباب التفوق المادي، لأن ذلك هو الذي يكفل لها الفاعلية
والحركية، ويكفل لها قدرة التأثير لأن الأمم كما يقول: "لا تتبع ولا تعبأ إلا بالأمة القوية
المتحركة في المادة ومصيرها، وبما أننا أمة تبليغ، فالتبليغ بات اليوم العلم ولا بد من
تكنولوجيا رائدة، وبات أيضاً احتذاء، إذ لا بد من المكانة المكيّنة التي تغدو فيها سيرتنا محل
أسوة وإقتداء"^(٥).

(١) عمار جيدل، المؤتمر التاسع "العلم والإيمان والأخلاق لأجل مستقبل أفضل للإنسانية، ورقة بعنوان:

اهتمام رسائل النور بالمستقبلات. ص ١٦١

(٢) النُورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج ٢، ص ٤٧٦.

(٣) النُورسي، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز، تحقيق: إحسان قاسم، ج ٥، ص ٢٨٠.

(٤) النُورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج ٨، ص ١٤٨.

(٥) عشراي سليمان، النُورسي في رحاب القرآن، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط ٢، ٢٠١٠م، ص ٣٥.

عمارة الارض بالعمل الإيجابي البناء:

إن مقاصد الشريعة والأدلة الأصلية جزء من المصادر الأساسية للتشريع الإسلامي، والمقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها وصلاحيها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كُلفوا به من عدل واستقامة ومن صلاح في العقل وفي العمل وإصلاح في الأرض واستنباط لخيراتهما وتدبير لمنافع الجميع^(١) يقول الإمام الغزالي: "فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم"^(٢) لذا يؤكد الثورسي على "إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدام"^(٣). إن الاستخلاف في الأرض في نظر الأستاذ الثورسي يعني القدرة على العمارة والإصلاح، لا على الهدم والإفساد، والقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة، لا على الظلم والقهر، والقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري، لا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارك الحيوان^(٤) وهكذا سار الثورسي بالتأويل في مسار التثقيف المادي النافع والمفيد^(٥).

فالقِيام بعمارة الأرض والأخذ بأسباب الترقى والتحضر والتمدن من فروض الكفايات - أي أنه أمر تشريعي توجه للأمة كلها دون أمر الأفراد بأعيانهم-^(٦) لضرورتها في حياة الخلق ومصالحهم، ويُعد ترك الناس لها كما يؤكد الإمام الشاطبي مدعاة لانحرام النظام^(٧)

(١) علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب. ص ٤٢.

(٢) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دراسة وتحقيق: د. حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، (د. ت). ج ٢، ص ٤٨١.

(٣) الثورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج ٩، ص ٥٠٥.

(٤) تيسفيتان تيوفانوف، ندوة: "سؤال الأخلاق في مشروع الثورسي" ورقة بعنوان: مبادئ الإنسانية وتحديات العصر في نظرية سعيد الثورسي، المغرب، سوز للطباعة والنشر، استانبول، ٢٠٠٨م. ص ١٣-١٤.

(٥) عشراقي سليمان، الثورسي في رحاب القرآن، ص ٤٠.

(٦) المقصود بفرض الكفاية تحصيل المصالح ودرء المفاسد دون ابتلاء الأعيان بتكليفه، العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام، تحقيق: نزيه كمال حماد- عثمان جمعة ضميرية، دار القلم، ٢٠٠٠م، ج ١ ص ٦٩.

(٧) ابراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، ط ٢، ص ٤١-٤٢.

الذي هو أعظم مفسد الأمم والمجتمعات وتؤثم الأمة بتركهم هذا الواجب العام^(١). لذا فإن الأستاذ النورسي جعل من الحث على الرقي المادي أحد مقاصد رسائل النور "إن مقاصدنا هو سوق الجميع بشوق وجداني إلى كعبة الكمالات بطريق الرقي، إذ الرقي المادي سبب عظيم لإعلاء كلمة الله"^(٢).

ويرى الأستاذ النورسي أن أسباب التراجع المادي للمسلمين يرجع إلى أمرين: الأول نفسي وعملي راجع إلى الفتور في السعي الذي يخالف الأمر القرآني القاضي بـ ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٣). "فإن المصالح والخيرات واللذات والكمالات، كلها لا تنال إلا بحظ من المشقة"^(٤).

وقد حدث ذلك التقاعس العملي بفعل تلقين ثقافة الخمول والتواكل من قبل "وعاظ جاهلين لم يدركوا أن إعلاء كلمة الله في الوقت الحاضر يتوقف على الرقي المادي، ولم يفرقوا بين قناعتين بعيدتين عن بعضهما: القناعة في التحصيل والكسب، وهي المذمومة، والقناعة في المحصول والأجرة وهي الممدوحة"^(٥).

والسبب الثاني هو النفور من العمل اليدوي زراعة وصناعة وغير ذلك والإقبال على الوظيفة الحكومية، لذلك يؤكد النورسي أن "الطريق المشروع للمعيشة والسييل الحيوي إليها هو الصناعة والزراعة والتجارة أما الطريق غير الطبيعي فهو الوظيفة الحكومية والإمارة بأنواعها"^(٦).

وبالرغم من ذلك فإن النورسي يؤكد علي "استعداد الإسلام معنوياً للرقي المادي وسيادته في المستقبل. لأن في قلب الشخصية المعنوية للعالم الإسلامي قد اجتمعت وامتزجت خمس قوى لا تُقهر، وهي في منتهى الرسوخ والمتانة. القوة الأولى: "الحقيقية الإسلامية" التي هي أستاذ جميع الكمالات والمثل والمجهّزة بالمدنية الحقيقية والعلوم الصحيحة.

(١) بدر الدين الزركشي، المنتور في القواعد، مؤسسة الخليج، ط ١، ١٩٨٢م، ج ٣، ص ٣٥.

(٢) النورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج ٨، ص ٤٤٦.

(٣) سورة النجم، الآية ٣٩.

(٤) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، تحقيق: سيد إبراهيم وعلي محمد، دار زمزم، ج ٢، ص ١٥.

(٥) النورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج ٨، ص ٤٠٣.

(٦) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٤٠٣.

القوة الثانية: "الحاجة الملحة" التي هي الأستاذ الحقيقي للمدنية والصناعات المجهزة بالوسائل والمبادئ الكاملة.. وكذا "الفقر" الذي قصم ظهرنا. **القوة الثالثة:** الحرية الشرعية التي تعني التحلي بأسمى ما يُليق بالإنسانية من درجات الكمال والتشوق والتطلع إليها. **القوة الرابعة:** الشهامة الإيمانية المجهزة بالشفقة والرأفة. أي: أن لا يرضى الذلّ لنفسه أمام الظالمين، ولا يلحقه بالمظلومين. **القوة الخامسة:** العزة الإسلامية التي تُعلن إعلاء كلمة الله. وفي زماننا هذا يتوقف إعلاء كلمة الله على التقدم المادي والدخول في مضمار المدنية الحقيقية. وإن قصدنا من المدنية هي محاسنها وجوانبها النافعة للبشرية وليس ذنوبها وسيئاتها"^(١).

والأستاذ الثورسي لا يدعو إلى الترقى المادي في فكاك عن الترقى المعنوي لأنّ الخواء الروحي هو الذي يؤدي إلى كوارث رغم التفوق المادي، لذلك فإنه يقول في المكتوبات "التاريخ شاهد على أن المسلمين ما تمسكوا بدينهم إلا وترقوا بالنسبة لذلك الزمان، وما أهملوا الدين إلا وتدنوا"^(٢).

فالترقى المادي وعمارة الأرض "لا يكون إلا بالتمسك بالدين وتطبيق شرعه وإنماء وإعمار الأرض على بصيرة وهذه البصيرة تتجلى بالعلم على أن يخضع العلم إلى الأخلاق"^(٣).

وقد ترقى المسلمون رقياً عظيماً في الوقت الذي تمسكوا بدينهم وغدت الدولة الإسلامية في الأندلس الأستاذة العظيمة لأوروبا^(٤) والضيء للإنسانية^(٥).

والإسلام لا يقاس بالنصرانية، لأنّ أوروبا عندما كانت متمسكة بل متعصبة لدينها، لم تكن متحضرة، وعندما تركت التحضر والالتزام بدينها تحضرت، فقد كان الحكام المستبدون يتخذون الدين وسيلة في سجن العوام وفقراء الناس وأهل الفكر والعلم منهم، حتى تولد نوع

(١) الثورسي، كليات رسائل النور، صيقل الاسلام، ج ٨، ص ٤٩٩ - ٥٠١.

(٢) الثورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج ٢، ص ٥٦٤.

(٣) مقدار يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٦هـ، ص ٨٥.

(٤) الثورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ج ٢، ص ٤١٨.

(٥) الثورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم، ج ١، ص ٢٦٤.

من السخط على الدين^(١).

إذن لا سبيل للترقي الحضاري للمسلمين إلا بالالتزام بتعاليم الدين "فإصابة الأمة في قلبها إنما هو من ضعف الدين ولن تنعم بالصحة إلا بتقوية الدين"^(٢) وتطبيق الشريعة الغراء كفيل - كما يؤكد النورسي - "بطي المسافة الشاسعة التي تخلفنا فيها عن الرقي الحضاري في زمان قصير"^(٣) لذا فكونوا على (أمل) بأن أعظم صوت مدوّ في انقلابات المستقبل هو صوت الإسلام الهادر^(٤). وأن الحقائق القرآنية-برحمة الرحمن الرحيم- ستنقذ البشرية من السقوط إلى أسفل سافلين، وتظهر وجه الأرض من الأدناس والأدران وتقيم سلاماً عاماً شاملاً^(٥). فالإسلام الذي هو الإنسانية الكبرى سيسطع كالشمس في رابعة النهار في سماء المستقبل وعلى جنان آسيا^(٦).

الخاتمة:

من الدراسة السابقة نخلص إلى الآتي:

- تحمّل الأستاذ النورسي مسؤولية رسالة البعث الحضاري للأمة الإسلامية من خلال رسائل النور.
- وُفق الأستاذ النورسي في رسائل النور في تحديد علل وأزمات الأمة واقتراح الحلول وبعث المقومات وترتيب الأولويات.
- أكّدت رسائل النور أن هزيمة اليأس هو شرط تحقق حركة الحياة وفعاليتها، فاليأس داء قاتل وهو مانع كل كمال.
- العقبات في نظر النورسي في حقيقتها حافز للنهوض وهو الأمر الذي يؤكد على نباهته الحضارية.

(١) النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات ترجمة: إحسان قاسم، ج٢، ص٤١٨-٤١٩.

(٢) النورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص١٠٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٩٣.

(٤) النورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج٩، ص١٤٢.

(٥) النورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص٥٢.

(٦) النورسي، كليات رسائل النور، ترجمة: إحسان قاسم، ج٨، ص٤٩-٥٠.

- أكد الثورسي في رسائل النور على إمكان وقابلية الأمة الإسلامية للتزقي الحضاري وبشر بمستقبل أفضل للمسلمين.
- اجتهد الثورسي في بعث المسلمين بعثاً قرانياً يستوعب حضارة العصر، لكنه لا يحمل أوزارها وتسفلها وإبعادها للأخلاق والدين عن الفعل الحضاري.
- سوق الأمة بشوق وجداني إلى كعبة الكمالات بطريق الرقي المادي - إعلاءً لكلمة الله - أحد مقاصد رسائل النور.
- يقرر الثورسي أنّ الرغبة في التحضر والتجدد والتقدم المادي يُلجئ إليها (لأمل) الباعث للحياة بموت (اليأس) القتاتل لكل رغبة.
- مسلك الثورسي في بث الأمل هو الذي جعل من رسائل النور إحدى العلامات الفارقة والمضيئة في فكرنا المعاصر.

قائمة المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. اورخان: محمد علي، سعيد الثورسي، رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة، القاهرة (د.ت).
٣. البنعادي: محمد البنعادي، المؤتمر العالمي التاسع لبيع الزمان الثورسي، "العلم والإيمان والأخلاق لأجل مستقبل أفضل للإنسانية، ورقة بعنوان: فقه البناء والتجديد في المشروع الإيمان والأخلاق، استانبول، ٢٠١٠م.
٤. التجاني: أزهرى التجاني عوض السيد، إعادة البناء الإسلامي، سلسلة رسائل البعث الحضاري (١٩)، المركز القومي للإنتاج الإعلامي، الخرطوم، ط٢، ١٩٩٦م.
٥. جيدل: عمار جيدل، المؤتمر العالمي التاسع لبيع الزمان الثورسي، "العلم والإيمان والأخلاق لأجل مستقبل أفضل للإنسانية" ورقة بعنوان: اهتمام رسائل النور بالمستقبلات، استانبول، ٢٠١٠م.
٦. رحائم: سعاد رحائم، الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ٢٠٠٧م.
٧. الزركشي: بدر الدين الزركشي، المنشور في القواعد، مؤسسة الخليج، ط١، ١٩٨٢م.
٨. سليمان: عشراي سليمان، الندوة العلمية الدولية: جهود سعيد الثورسي في تحديد الفكر الإسلامي ورقة بعنوان: الثورسي ومنطق السيرورة، تحسس لمسألة الزمان كما تمثلها فكراً، الرباط،

- دار سوزلر للطباعة والنشر.
٩. سليمان: التُّورسي في رحاب القرآن، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط ٢، ٢٠١٠م.
١٠. الشاطبي: إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، ط ٢، ص ٤١ - ٤٢.
١١. العالم يتصفح رسائل النور، مؤلف رسائل النور: بديع الزمان سعيد التُّورسي، لمحات من حياته وآثاره، دار سوزلر للنشر، (د.ت).
١٢. ابن عبد السلام: العز، قواعد الأحكام، تحقيق: نزيه كمال حماد- عثمان جمعة ضميرية، دار القلم.
١٣. الغزالي: أبو حامد محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دراسة وتحقيق: حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، (د. ت).
١٤. فارح: عبد العزيز فارح، ندوة : سؤال الأخلاق في مشروع التُّورسي، ورقة بعنوان: بديع الزمان التُّورسي معالم في الأخلاق والإيمان، المغرب، دار سوز للطباعة والنشر، استانبول، ط ١، ٢٠٠٨م.
١٥. الفاسي: علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب.
١٦. ابن القيم: ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، تحقيق: سيد إبراهيم وعلي محمد، دار زمزم.
١٧. التُّورسي: بديع الزمان سعيد التُّورسي، كليات رسائل النور(١)، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، دار سوزلر للنشر، استانبول، ١٩٩٢م.
١٨. التُّورسي: كليات رسائل النور(٢)، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط ١، ١٩٩٣م.
١٩. التُّورسي: كليات رسائل النور(٣)، اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، دار سوزلر للنشر، استانبول.
٢٠. التُّورسي: كليات رسائل النور(٥)، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط ٣، ١٩٩٩م.
٢١. التُّورسي: كليات رسائل النور(٦)، المثنوي العربي التُّوري، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط ٤، ١٩٩٩م.
٢٢. التُّورسي: كليات رسائل النور(٧)، الملاحق (في فقه الدعوة)، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر

- للتنشر، استانبول، ط١، ١٩٩٥م.
٢٣. التُّورسي: كليات رسائل النور(٨)، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ١٩٩٣م.
٢٤. التُّورسي: كليات رسائل النور(٩)، سيرة ذاتية، ترجمة وإعداد: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط٣، ١٩٩٨م.
٢٥. التُّورسي: من كليات رسائل النور، الإخلاص والأخوة، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، القاهرة، (د.ت).
٢٦. التُّورسي: من كليات رسائل النور، الخطبة الشامية، صرخة في موات أمة، ترجمة: إحسان قاسم الصالحى، شركة سوزلر للنشر، استانبول، (د.ت).
٢٧. يالجن: مقدار يالجن، دور التربية الأخلاقية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٦هـ.

التعايش في فكر النورسي الوعي والممارسة

محمد بلبشير

جامعة تلمسان - الجزائر

هناك ضرورات معرفية واجتماعية قصوى، تتعلق ببذل الجهد العلمي والمعرفي في عملية تأصيل القيم والمفاهيم، التي تساهم في إدارة العمل الإيجابي لحالة التنوع والتعدد والاختلاف في المجتمعات الإنسانية، من أجل إقامة جسور التفاهم بين الإنسانية، في عالم متعدد الثقافات.

ولعل من أهم هذه القيم والمفاهيم، التي تحتاج إلى تأصيل وإظهار معالمها، هو مفهوم التعايش السلمي الذي يدعو إلى تحقيق الاستقرار الاجتماعي وتوثيق الأواصر الاجتماعية، فكل ما يدور في فلك التحابب والتسامح والتصالح يعد وسيلة إيجابية فاعلة لتحقيق التعايش بين الأمم، فالدعوة إلى كلمة سواء، ونبذ الخلاف والتنازع والتصارع، والدعوة إلى التعارف والحوار، من مظاهر التعايش الفاعلة في تهيئة الدواعي الأخلاقية، والنفسية والاجتماعية.

انطلاقاً من هذا يمكننا أن نقرب من التجربة النورسية وتعزيز قيمة التعايش السلمي في ظل مشروع يتميز بالشمولية والاستمرارية... فالتجربة النورسية تعلمنا أن شرط انتظام الهيئة الاجتماعية أن لا تتجافى طبقات الإنسان. كما "أن الخير هو أصل العالم، والشر تبعي" وأن الحوار ليس مجرد وسيلة لحل الاضرابات والثورات فحسب، بل هو أسلوب للتعارف والتعايش والتكافل بين الشعوب من أجل تحسين ظروف البشرية، إنه الطريق الذي يسلك بالإنسانية مسلكاً يؤدي إلى بناء علاقات أخوية متكاملة، مسلك الخلة والأخوة، بدل الاستعلاء والأنانية، مسلك التسامح بدل العنف.

لعلّ السؤال الذي يواجهنا، ونحن بصدد قراءة النورسي من منظور التعايش. أين تجليات الإبداع المنهجي والتأصيلي في مقارنة النورسي للتعايش؟

والهدفية هنا رؤية تبرز فن التعايش الذي رصدته النورسي في مقارباته.

خيوط القضية هو ماتحاول الدراسة لم شتاته، وصولاً إلى مجمع البحرين، حين يخدم

النص الحق.

أولاً: مفهوم التعايش.

يرد في معاجم اللغة العربية كلمة عيش: العيش أي الحياة، عاش يعيش عيشاً، وعيشة أو معاشاً وعيشوشة، والعيشة ضرب من العيش، يقال عاش عيشة صدق وعيشة سوء، والمعيشة ما يعاش به، والعيش: المطعم والمشرب وما تكون به الحياة، قال الجوهري: "كل واحد من قوله معاشاً ومعيشاً يصلح أن يكون مصدراً و أن يكون اسماً"^(١).

والعيش معناه الحياة، وهو العيش على هذه الأرض من بني آدم كافة دون تفريق، وتعني الاشتراك في الحياة على الإلفة والمودة^(٢).

وسيرا على هذا المعنى فإن مصطلح "التعايش" يعني البديل على العلاقة العدائية بين الشعوب بمختلف اتجاهاتهم وانتماءاتهم وعقائدهم المتباينة.

مفهوم التعايش عند النورسي:

لا شك أنّ مفهوم التعايش عند الأستاذ النورسي تمخض من معاشته لحن تاريخية سلبت البشرية الراحة والأمان، كما هو في هذا العصر، حتى أصبح العمل السليبي مسلكاً متحكماً في العقول والقلوب، فكانت لغة الرسائل بكافة أبعادها أدبيات وأطيان لغة إنسانية وعالمية، تدعو إلى "التعايش" بدل "الإقصاء"، و"الحق" بدل "القوة" و"الحوار" بدل "الصراع"...

يقول الأستاذ النورسي: "أما المدنية التي تأمرنا بها الشريعة الغراء وتتضمنها، فهي التي ستتكشف بانقشاع هذه المدنية الحاضرة، وتضع أسساً إيجابية بناءة مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية.

نعم! إن نقطة استنادها هي الحق بدلاً من القوة. والحق من شأنه: العدالة والتوازن. وهدفها: الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها: الحبة والتجاذب.

وجهة الوحدة فيها والرابطة التي تربط بها المجموعات البشرية: الرابطة الدينية، والوطنية، والمهنية بدلاً من العنصرية. وهذه شأنها: الأخوة الخالصة، والسلام والوئام، والذود عن البلاد

(١) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، مادة عيش.

(٢) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط٤، ٢٠٠٤م، مادة عيش.

عند اعتداء الاجانب.

ودستورها في الحياة: التعاون بدل الصراع والجدال، والتعاون من شأنه التساند والاتحاد. وتضع الهدى بدل الهوى ليكون حاكماً على الخدمات التي تقدم للبشر، وشأن الهدى: رفع الانسانية الى مراقبي الكمالات، فهي اذ تحدد الهوى وتحد من النزعات النفسانية تُطمئن الروح وتشوقها الى المعالي"^(١).

ويشترط الأستاذ النورسي أن يقوم التعايش على قدم المساواة، وعلى احترام تعدد الثقافات، وهو ما يمكن أن نخلصه من قوله: "اعلم! ان شرط انتظام الهيئة الاجتماعية ان لا تتجاف طبقات الإنسان وأن لا تتباعد طبقة الخواص عن طبقة العوام، والأغنياء عن الفقراء بدرجة ينقطع خيط الصلة بينهم"^(٢).

كما يؤكد أنه "لا يمكن العيش بسلام ووثام في مجتمع إلا بالمحافظة على التوازن القائم بين الخواص والعوام، اي بين الاغنياء والفقراء، واساس هذا التوازن هو رحمة الخواص وشفقتهم على العوام، واطاعة العوام واحترامهم للخواص"^(٣).

فالتعايش عند النورسي هو "الصراط في نظام الهيئة الاجتماعية لنوع البشر" كما أنه "الرابطه لجريان مادة الحياة بينهم"^(٤).

وهو تجسيد للحوار الذي يؤسس للتسامح، الذي لا يخضع للمساومات الفكرية أو الدينية، ولا يأتي نتاجاً لموقف تلفيقي بل يحترم المميزات وخصوصيات الجماعات فيما بينها دون القفز فوق الفوارق، ويعترف بوجود تلك التباينات، ويقوم التعايش الديني أو الحضاري أو الثقافي في مفهومه على التقاء اهل الحضارات والأديان والثقافات معاً، وخلق تحالف يعمل من أجل خير المجتمعات وأمنها.

(١) سعيد النورسي: صيقل الإسلام، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ص: ٣٥٩.

(٢) سعيد النورسي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م، ص: ٥٤.

(٣) سعيد النورسي: الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، استانبول، تركيا، ١٩٩٩م، ص: ٤٧٤.

(٤) سعيد النورسي: إشارات الإعجاز، مرجع سابق، ص: ٥٤.

إنّ دعوة النورسي إلى التعايش هو تبيان لمعالم الطريق، للخروج من العمل السلبي إلى العمل الإيجابي المؤسس على الحوار الإيجابي بين بني البشر، عبر نظام رباني تنشده الانسانية. فقدم بذلك الأستاذ النورسي رسائل النور التي كانت رؤية مجاوزة لأفق الانسداد، بغرس قيم العمل الإيجابي، المؤسس على ثقافة التعايش، ودفع كل ما من شأنه تعريض الإنسانية للصراع، ومنح "أفراد [الانسانية] ما يفيد في اجتياز قلقهم الروحي بنجاح، وتخطي عواطف شكوكهم بسلام"^(١).

فالتعايش في مفهوم رسائل النور ينبع من مبدأ جعل سعادة الإنسان غاية تلك ذلك التعايش، مادام وجود الإنسان يشكل منطقة المركز في فكر سعيد النورسي وقطب الرحي في رسائله"^(٢).

كما أنّ دعوة رسائل النور للتعايش لا تعد استجابة لظرفية زمنية خاصة أصابت البشرية، أو مشروعاً تجزيئياً يهم جماعة دون أخرى، بل هو مشروع يتميز بالشمولية والاستمرارية، لأنّ رسائل النور "معجزة قرآنية تستطيع أن تنور هذا العصر، بل العصر المقبل"^(٣)، "بل أصبحت ضرورية في هذا العصر كضرورة الخبز والماء"^(٤).

ثانياً: مبادئ التعايش الإنساني:

الناظر لرسائل النور يلحظ أنّ الهدف من التعايش هو تغليب العمل الإيجابي على العمل السلبي الذي يولد الانشغال بمبادئ تجعل البشرية تتعايش فيما بينها بالضرورة، .."وتجعل غاياتها الحد من تجاوز النفس الأمانة ودفع الروح إلى معالي الأمور وتطمين مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال والمثل العليا لجعل الإنسان انساناً حقاً"^(٥).

(١) سعيد النورسي: المثنوي العربي النوري، تحقيق: إحسان قاسم الصالح، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م، ص: ١٣.

(٢) أديب إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، مركز الكاتب للنشر، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م، ص: ١٠.

(٣) سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة، إحسان قاسم الصالح، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م، ص: ١٠٠.

(٤) المرجع نفسه: ص: ١٠٥.

(٥) سعيد النورسي: الكلمات، مرجع سابق، ص: ٤٧٣.

لذا ينطلق الأستاذ النورسي في مشروعه التعايشي من مبادئ أساسية لا غنى لهذا التعايش عنها، تبدأ بفطرية الاجتماع، ثم فطرية الخير، ويأتي ذلك الأخلاق، وهذه المبادئ وغيرها، في حد ذاتها عمل إيجابي يضمن التعايش الإنساني، وإقامة السد المنيع أمام المصائب والأمراض والآلام، وسائر المؤثرات المهيجة، والمحرّكة للصراع العالمي.

١- فطرية الاجتماع:

يرى الاستاذ النورسي أن "الإنسان هو ثمرة العالم، وأجمع وأبدع مصنوعات القدرة الربانية، وأكثرها عجزا وضعفا ولطفا"^(١).

والضعف الذي وصف به الإنسان - هنا- من حيث هو (ثمرة)، إنما هو بالمعنى الإيجابي لا المعنى السلبي. فالضعف البشري هو باب العبودية لله القوي العظيم^(٢).

فالخالق الذي أبدع الإنسان بصفته جزءا من الإبداع الكوني العام ركب فيه نزعة الحاجة إلى الاجتماع تجسيدا لممارسة السلوك العبادي الذي يتطلب مفروضة اجتماعية بدأ من عملية التناسل لاستمرار البشر مروراً بعملية توصيل الدساتير الإلهية إليهم بممارسة المبادئ الاجتماعية المفروضة عليهم، كما أنه لا يمكن تمرير المهمة العبادية من خلال العلاقات التي تفرضها هذه المبادئ، ولا يمكن تمرير هذه العلاقات إلا من خلال النزوع الفطري الذي يحمل الناس على التعايش فيما بينهم، وهذا ما عبّر عنه الأستاذ النورسي في مناسبات كثيرة فقال في رسائله: "أما الإنسان... فهو عندما يقدم على الدنيا يقدمها وهو محتاج إلى تعلّم كل شيء وإدراكه... ولا يمكنه أن يحقق لنفسه منافع حياته ومصالحها ولا دفع الضرر عنها إلا بالتعاون والانخراط في الحياة الاجتماعية البشرية"^(٣).

ويقول أيضاً: "كما أن الإنسان - خلافاً للحيوان- ذو علاقة مع بيئته، فهو أيضاً ذو ارتباط وثيق مع الدنيا، ومثلما أنه مرتبط بأقاربه بروابط ووشائج، فهو كذلك ذو نسب فطري بالجنس البشري"^(٤).

(١) سعيد النورسي: المرجع نفسه، ص: ٤١٨.

(٢) فريد الانصاري: مفاتيح النور، نسل للنشر، إستانبول، تركيا، ط ٢٠٠٤ م، ص: ٩٥.

(٣) سعيد النورسي: الكلمات، مرجع سابق، ص: ٣٥٥ و ٥٥٤.

(٤) سعيد النورسي: اللغات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩ م، ص: ٢٧٧.

ويذكر في المکتوبات أنه "من المعلوم أن الإنسان ذو علاقة - من حيث الإنسانية - مع أكثر الموجودات، فيتلذذ بسعادتها ويتألم بمصائبها، ولا سيما مع ذوي الحياة، وبخاصة مع الإنسان، وبالأخص مع من يحبهم ويعجب بهم ويحترمهم من أهل الكمال، فهو أشد تألماً بآلامهم، وأكثر سعادة بسعادتهم، حتى يضحي بسعادته في سبيل إسعادهم، كتضحية الوالدة الشفيقة بسعادتها وراحتها من أجل ولدها"^(١).

وفي معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾... (سورة الحجرات: الآية: ١٣)، يقرر بأن "التعارف" هو عمل إيجابي من أجل أن تعيش البشرية متآخية، يتعايشون على مبدأ التعاون والتساند والتعايش، بدلا من الصراع والقوة والعنصرية.

يقول الأستاذ النورسي: "خلقناكم طوائف وقبائل وأما شعوبا كي يعرف بعضكم بعضا، وتتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعية، لتعارفوا فيما بينكم، ولم نجعلكم قبائل وطوائف لتتناكروا فتتخاصموا"^(٢).

فالناس جميعا على اختلاف أجناسهم، وتمايز ألوانهم وتباعد أمصارهم، وتنوع مشاربهم "لهم ألف جهة وجهة من جهات الوحدة، إذ خالقهم واحد، ورازقهم واحد،... وهكذا واحد، واحد، إلى الألوف من جهات الوحدة، التي تقتضي الأخوة والمحبة. بمعنى أن الانقسام إلى طوائف وقبائل. كما تعلنه الآية الكريمة. ما هو إلا للتعارف والتعاون لا للتناكر والتخاصم"^(٣). فالجميع يرجعون إلى أب واحد وأم واحدة، وهذا بمثابة التنبيه العملي إلى ضرورة تجاوز العمل السلبي من تكبر وتعجرف، بوصفها أمراضا تصيب الإنسانية حين الغفلة عن العمل الإيجابي من الأخوة الإنسانية المحددة بالأبوة الواحدة^(٤).

وهكذا ورد الإعلان الإلهي خلقتكم لتعارفوا، فتعاونوا وتحابوا، لا لتناكروا فتعاندوا فتعادوا، إذ كما أن هناك روابط تربط الجندي بفصيله وفوجه ولوائه وفرقة في الجيش، وله

(١) سعيد النورسي: المکتوبات، مرجع سابق، ص: ٣٧٢.

(٢) سعيد النورسي: المرجع نفسه، ص: ٤١٣.

(٣) المرجع نفسه، ص: ٤١٤.

(٤) عمار جیدل: ماهية الإنسان وصلتها بحريته ووظيفته الاجتماعية، نسل للطبع والنشر، استانبول، تركيا، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص: ٣٣.

واجب ووظيفة في كل منها، كذلك كل إنسان في المجتمع له روابط متسلسلة، ووظائف مترابطة، فلو اختلطت هذه الروابط والوظائف، ولم تعين وتحدد لما كان هناك تعاون ولا تعارف. فالشعور الإيجابي بنمو الشفقة على بني الجنس التي تدفع إلى التعاون والتعارف. اما السليبي فهو الذي ينشأ من الحرص على العرق والجنس الذي يسبب التناكر والتعاند^(١). انطلاقاً من هذه الدعوة النورية إلى الأخوة الإنسانية، التي تستند إلى وحدة الأصل الإنساني، تستوجب أن يؤدي حقها، بأن يعيشوا مع بعضهم البعض في حب و وئام وسلام، رغم اختلاف العقائد والأديان والثقافات.

٢- فطرية الخير:

إنّ وجود حد أدنى من الخيرية متمثلة في وجود حد أدنى من الاجتماع تحمل الإنسانية فطرياً على التعايش فيما بينها، وتعكس رسائل النور في الدعوة لتكامل صورة التعايش الإيجابي بين الجميع، عبر نظام رباني تنشده الإنسانية، ينتج عنه التآلف والتساكن، وتعميم الخير ودفع الشر، "لأنّ الخير أصل العالم، والشر تبغي، ولأنّ الخير كلّي والشر جزئي"^(٢). ويقر الأستاذ النورسي أن طبيعة هذا الوجود تتأهل للخير والتعمير، والنماء، وأنّ الشر هو العدم والفناء، من هنا كانت أعمال الشر مفضية إلى العدمية إذ العدم أساس الشرور، ومن هنا كان الشر طارئاً على الكون، غير منسجم مع مراميه^(٣). كما يذهب الأستاذ إلى أن "الكمال والخير والحسن في الكائنات هي المقصودة بالذات وهي الكليات؛ وان الشر والقبح والنقصان جزئيات بالنسبة إليها قليلة تبعية مغمورة في الخلقة، خلقها خالقها منتشرة بين الحسن والكمال، لا لذاتها، بل لتكون مقدمة، وواحداً قياسياً، لظهور - بل لوجود - الحقائق النسبية للخير والكمال". بهذا يرسى الأستاذ النورسي أساس مبدأ فطرية الخير في الإنسانية، وينبه على أنّ الشر ليس أصلاً في العالم، وإنما سبيل لمعرفة الخير، لذلك لا بد من انتصار قوة الخير على قوة الشر من أجل نجاح مشروع عالم متعدد فيه الهويات الثقافية والعيش في سلام.

(١) سعيد النورسي: صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص: ٣٣٤-٣٣٥.

(٢) سعيد النورسي: صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص: ٣٥.

(٣) سعيد النورسي: الشعاعات، مرجع سابق، ص: ٣٢٠.

٣- الأخلاق:

من مبادئ العمل الإيجابي في بعث ثقافة التعايش عند الأستاذ النورسي تعميق جذور كليات القيم وإحياء النظرة الإنسانية العالمية الشاملة للأخلاق، لذا وضع مشروعا إيمانيا أخلاقيا كونيا قائما على أساس التلاقي والتعارف والتعاون، تحقيقا للوعود ودفعاً للمخاطر.

فعرّف الأخلاق على أنّها: "تطبيع صورة الروح الإنسانية بماهيتها، بينما الولع بالصور فإنه يفسد الأخلاق ويهدمها كلياً، ويؤدي إلى انحطاط الروح وترديها"^(١)، كما يذكر أن "الغاية القصوى للإنسانية والوظيفة الأساسية للبشرية هي التخلق بالأخلاق الإلهية، أي التحلي بالسجايا السامية والخصال الحميدة. التي يأمر بها الله سبحانه وتعالى."^(٢)

وحذر من العمل السلبي في زعزعة بناء ثقافة التعايش، بتسلط الأفكار والفلسفات المادية المؤمنة بأن "ركيزة الحياة البشرية الإنسانية هي "القوة" وهي تستهدف المنفعة في كل شيء، وتتخذ الصراع دستوراً للحياة، وتلتزم بالعنصرية والقومية السلبية رابطة للجماعات، وغايتها هي "لهو عابث" لإشباع رغبات الأهواء وميول النفس التي من شأنها تزيد جموح النفس وإثارة الهوى"^(٣).

لذلك سعى الأستاذ النورسي إلى بيان عدم جدوى هذا المسلك، فأكد على أن الدساتير والأسس التي تستند إليها هذه الأفكار "هي التي جعلتها عاجزة. مع محاسنها. على أن تمنح سوى عشرين بالمئة من البشر سعادة ظاهرية، بينما ألقت البقية إلى شقاء وتعاسة وقلق"^(٤).

وقدم بالمقابل عملاً إيجابياً ينطلق من منظور شمولي للأخلاق القرآنية، وهذا من أجل إعادة بناء ثقافة التعايش، كما أكد على أهمية البعد الروحي في الشخصية الإنسانية الميالة إلى التكامل والتعاضد، بدل التضاد والتناقض "وهذا بدفع الروح إلى معالي الأمور واشباع مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال والمثل الإنسانية.

إذ شأن الحق هو "الإنفاق"، وشأن الفضيلة هو "التساند"، وشأن دستور "التعاون"

(١) سعيد النورسي: الكلمات، مرجع سابق، ص: ٤٧٦.

(٢) سعيد النورسي: الكلمات، مرجع سابق، ص: ٦٤٢.

(٣) سعيد النورسي: الكلمات، مرجع سابق، ص: ٤٧٢.

(٤) المرجع نفسه، ص: ٤٧٢.

هو "إغاثة كل للآخر"... وشأن الدين هو "الأخوة والتكاتف"... وشأن "إلجام النفس" وكبح جماحها وإطلاق الروح وحثها نحو الكمال هو "سعادة الدارين"^(١).
وبهذا يقدم لنا الأستاذ النورسي الأخلاق باعتبارها عملا إيجابيا يحول الإنسانية من موقع العداوة والخصومة، إلى موقع التعايش في محبة وسلام وتفاهم.

ثالثا: أسس التعايش السلمي:

تعلن رسائل النور مجموعة أسس لبناء مجتمع تتعايش فيه الإنسانية في سلام واطمئنان، والتي يمكن تحديدها فيما يلي:

١- رفض الطغيان والأنانية.

يرى الأستاذ سعيد النورسي أن أصحاب مسلك الطغيان، والأنانية يسدون كل باب التعايش، ويوصدون أي منفذ للتفاهم، وهو ما يتجلى في تحذيره من الحضارة الأوروبية الضارة^(٢)، على أنها حضارة متعالية حتى شبهها بقارون، يقول الأستاذ: "إن الحضارة الأوروبية المؤسسة على أسس فاسدة تدعي أن كل ما أتاها هو من عندها، كإدعاء قارون"^(٣).

لذلك خاطبها بقوله: "إنّ الذي يتلقى الدروس منك، ويسترشد هديك، يصبح فرعوننا طاغيا"^(٤)، والطغيان ينتج عنه الأنانية والغرور وحب الذات وإقصاء المختلف (الآخر)، وهذه لا تستقيم مع العمل الإيجابي للتعايش السلمي.

وقد تنبّه الأستاذ النورسي إلى أصل هذا الداء، وحذر من خطورته على المجتمع الإنساني، حيث يقول: "إن أس أساس جميع الاضطرابات والثورات في المجتمع الانساني انما هو كلمة واحدة، كما أن منبع جميع الأخلاق الرذيلة كلمة واحدة أيضا.

الكلمة الأولى: (إِنْ شَبِعْتُ فَلَا عَلَيَّ أَنْ يَمُوتَ غَيْرِي مِنَ الْجُوعِ).

الكلمة الثانية: (اِكْتَسَبَ أَنْتَ لَاكُلَّ آتَا. وَاتَّعَبَ أَنْتَ لِأَسْتَرِيحَ أَنَا)"^(٥).

(١) المرجع نفسه، ص: ٤٥ و٤٦٢.

(٢) يقسم الأستاذ النورسي أوربا إلى قسمين: القسم الاول أوربا نافعة للبشرية والقسم الثاني أوربا ضارة للبشرية. ينظر: سعيد النورسي: اللغات، مرجع سابق، ص: ١٧٦-١٧٧.

(٣) سعيد النورسي: الملاحق، مرجع سابق، ص: ١٠٩.

(٤) سعيد النورسي: اللغات، مرجع سابق، ص: ١٨١.

(٥) سعيد النورسي: الكلمات، ص: ٤٧٣-٤٧٤.

فالكلمة الأولى الغدارة النَهْمَة الشنعاء هي التي زلزلت العالم الانساني فاشرف على الخراب.

والكلمة الثانية الظالملة الحريضة الشوهاء هي التي هارت بترقيات البشر فأوشك أن تنهار بها في نار الهَرْج والمَرْج^(١).

فالأنا عند هؤلاء مبني على السيطرة، سيطرة الذات على ما تتخذه موضوعاً لها، سواء كان هذا الموضوع أشياء الطبيعة أو أناساً آخرين، ومن خلال هذا التصور لـ (الأنا) كمبدأ للسيطرة يتحدد موقع المختلف (الآخر) ودلالته ووظيفته في فكرهم، أي بوصفه موضوعاً للسيطرة، أو عدواً، أو بوصفه قنطرة تتعرف الذات من خلالها على نفسها.

فأنانية الإنسان، وأنانية الشعوب والمدنيات، القائمة على "العنصرية والقومية السلبية التي تنمو على حساب الآخرين"^(٢)، هو ما يفاقم من أسباب التصادم والتناحر، فشعار الكلمة الأولى والكلمة الثانية، لا يترك مجالاً للتعايش.

فالعيش بسلام ووثام لا يمكن أن يكون في مجتمع إلا بالمحافظة على التوازن القائم بين الخواص والعوام^(٣).

ولما كان "أهل الضلالة في هذا العصر قد امتطوا 'أنا' فهو يجوب بهم في وديان الضلالة"^(٤)، فإن الأستاذ النورسي يرى أن الأنا كما الآخر (المختلف)، ليس رقعة جغرافية، وإنما ينظر إلى الأنا باعتبارها القيم الأصيلة، والميادين العليا التي جاء بها القرآن الكريم، إضافة للخريطة الإدراكية لمضمون (الأنا) في الخطاب المعرفي لرسائل النور، فحينما يستخدم مصطلح الأنا فإن المقصود من ذلك القيم المعيارية المطلقة على الواقع النسبي المتحرك والمتغير.

يقول الأستاذ النورسي: "إنّ لهذا العصر مرضاً داهماً. وهو الأنانية وحب النفس، واشتهاء قضاء حياة جميلة في ظل مباحج وزخارف المدنية الجذابة وامثالها من الأمراض المزمنة. ان اول درس من دروس رسائل النور الذي تلقيته من القرآن الكريم، هو التخلي عن الانانية

(١) سعيد النورسي: إشارات الإعجاز، ص: ٥٤.

(٢) سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص: ١٣٩.

(٣) سعيد النورسي: الكلمات، ص: ٤٧٤.

(٤) سعيد النورسي: المكتوبات، ص: ٥٤٩.

وحب النفس. حتى يتم إنقاذ الإيمان بالتقليد بالإخلاص الحقيقي"^(١).
ويبين الأستاذ النورسي أنه "اندرجت في "أنا" آلاف الأحوال والصفات والمشاعر
المنطوية على آلاف الأسرار المغلقة التي تستطيع ان تدل وتبين . الى حد ما . الصفات الإلهية
وشؤونها الحكيمة كلها.

أي أن "أنا" لا يحمل في ذاته معنى، بل يدل على معنى في غيره؛ كالمرآة العاكسة،
والوحدة القياسية، وآلة الانكشاف"^(٢).

من هنا دأب الأستاذ النورسي إلى علاج داء الاستعلاء والأنانية مع تبين معنى "أنا"،
وإبراز حقيقة الصلة بين الانسان وخالقه سبحانه وتعالى، لتحديد طريق التخلص من سيطرة
"الأنا" على الانسان، وترقيته بمدارج الصلاح الخلقي، بصورة تحقق له توازنا فطريا، وكمالا
حقيقا لا وهما، تجعله في علاقة شاملة مع الإنسان المختلف (الآخر)، علاقة معايشة وانتماء
تتجسد فيها معايير السلوك وعناصر الضبط الاجتماعي من أجل العيش في سلام.

٢- التسامح بدل العنف:

عوائق كثيرة تحول دون قيام عمل إيجابي، ومعها متغيرات حالية يعرفها العالم، وهي
تندر بالمزيد من التناقضات والمشكلات، وخاصة ما يتعلق بصعوبة التعايش في سلام، مما
يجعل الحاجة ماسة إلى تغيير هذا الواقع، ولا سبيل لهذا التغيير غير البدء بنشر ثقافة التسامح
ونبذ العنف والعداوة.

فالعداء كما يعرفه الأستاذ النورسي: "ظلم شنيع يفسد حياة البشر الشخصية
والاجتماعية والمعنوية، بل هو زعاف لحياة البشرية قاطبة"^(٣). وداء خطير "ترفضه الحقيقة
والحكمة، ويرفضه الاسلام الذي يمثل روح الانسانية الكبرى"^(٤).

فالأستاذ النورسي يرفض العداء أيا كان مصدره ومنشؤه ومبعثه وأسبابه، لهذا وضع
حقيقة عداء الانسان لأخيه الإنسان، في ستة أوجه كي يمكن جملها كالآتي:

- الوجه الاول: عداء الانسان لأخيه الانسان ظلم في نظر الحقيقة.

(١) سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص: ٤٧٤.

(٢) سعيد النورسي: الكلمات، مرجع سابق، ص: ٦٣٧.

(٣) سعيد النورسي: المكتوبات، مرجع سابق، ص: ٣٣٩.

(٤) المرجع نفسه، ص: ٣٤٠-٣٤١.

- الوجه الثاني: عداء الانسان لأخيه الانسان ظلم في نظر الحكمة.
- الوجه الثالث: عداء الانسان لأخيه الانسان ظلم في نظر الشريعة الاسلامية.
- الوجه الرابع: عداء الانسان لأخيه الانسان ظلم مبين حيث الحياة الشخصية.
- الوجه الخامس: عداء الانسان لأخيه الانسان ظلم يؤشر سلبا على الحياة الاجتماعية، ويولد الخصام والتنافر والعناد.
- الوجه السادس: العداء والعناد يزعزعان حياة المؤمن المعنوية، فتتأذى سلامة عبوديته لله^(١).

فالعداء هو عنوان العمل السلبي يأبى الأستاذ النورسي أن يرى الإنسان واقعا تحت نبره، ذلك لأن الأستاذ يقدر تلك الأبعاد الهدمية للعداوة الناتجة عن اختلالات النفس والمشاعر، لا تطل الأفراد المتباغضة فحسب، ولكنها تطل المبدأ الإنساني بكليته. ومن هنا وضع أن كل من الحقيقة والحكمة ترفضان العداء، باعتبارهما ميزتين إنسانيتين تشترك فيهما الإنسانية جمعاء، "فهذا العداء والحقد الذي يسوق الإنسان حتما إلى الرغبة ضمنا في اغراق سفينة وجوده، أو حرق بناء كيانه، وما هذا إلا ظلم شنيع، وغدر فاضح"^(٢). لهذا تعمل رسائل النور إلى إشاعة روح المحبة والتسامح بين الإنسان وأخيه الإنسان، وتوطين أنفسهم على العفو و الصفح، لأنه لا يمكن الوقوف ضد نزعات القتل والإلغاء لدواعي دينية، أو مذهبية أو قومية، إلا بتعميق خيار التسامح في العالم، هذا الخيار هو الذي يساهم في إعادة صياغة علاقة الإنسان بأفكاره وعقائده، فالتعصب الأعمى للذات هو الذي يدفع الإنسان للتجاوز والاعتداء على حقوق وكرامات الآخرين. وثقافة التسامح هي التي تضبط علاقة الإنسان بذاته أو بالآخر، بحيث لا تصل إلى مستوى التعصب الذي يقود صاحبه للقتل وممارسة التدمير باسم القيم والعقيدة.

وقد بسط الأستاذ النورسي الكلام في وصف هذا العلاج وبيان آثاره الايجابية، حيث وضع دعائم دستور التسامح لطلاب رسائل النور، حين يقول لهم: "اعفوا عن هفوات

(١) سعيد النورسي: المکتوبات، ص: ٣٤٠ - ٣٥٠.

(٢) المرجع نفسه، ص: ٣٤٠.

أخوانكم، واصفحوا عن تقصيرنا هم، وغضوا أبصاركم عن عيوب بعضكم البعض الآخر"^(١).
"أوصي طلابي أن لا يحمل أحد منهم شيئاً من روح الانتقام في قلبه ولو بمقدار ذرة"^(٢).

فترسيخ العمل الإيجابي بثقافة روح التسامح بين الأفراد كان دستور رسائل النور، وكان الأستاذ النورسي متسامحاً مع كل الناس حتى مع أعدائه، يقول متحدثاً عن نفسه: "إنني قابلت المعاملات الشائنة بحقي منذ ثلاثين سنة الأخيرة بالرضى والقبول، ذلك من أجل السعي للعمل الإيجابي والاجتناب عن السعي للعمل السلبي لأجل ألا أتدخل بما هو موكول أمره إلى الله، بل قابلتها بالرضى والصبر الجميل"^(٣).

فالنورسي يدعو إلى مقابلة العمل السلبي بالعمل الإيجابي، مقابلة العداوة بالتسامح، من منطلق المحبة والشفقة، "كانت "الشفقة" دستور حياتي منذ ثلاثين سنة، وأساس مسلكي ومسلك رسائل النور، فإني لا اتجنب التعرض للمجرمين الذين ظلموني وحدهم بل لا أستطيع حتى مقابلتهم بالدعاء عليهم، وذلك لكي لا اتسبب في إلحاق الضرر بأي شخص برئ. بل إن هذه الشفقة هي التي منعتني من أن أتعرض - أو حتى أن ادعو - على بعض الفساق بل الظالمين اللادينيين الذين اندفعوا بحقد شديد في ظلمي، ذلك لكي لا اتسبب في ضرر مادي يلحق بالشيوخ والعجائز المساكين من أمثال والد ذلك الظالم أو والدته، أو في الإضرار بأنفس بريئة مثل أولاده. لذا فمن أجل أربع أو خمس من الأنفس البريئة لا أستطيع التعرض لذلك الظالم"^(٤).

بهذه الروح النورية من التسامح كان الأستاذ يخشى حتى من إلحاق أي ضرر بأعدائه، لأن هذا الضرر يمكن أن يصيب من حولهم من نفوس أقاربهم، وهي نفوس بريئة، وبذلك الروح الفياضة من التسامح كان الأستاذ يواجه أعداءه، ويثبت ذلك التسامح بين طلابه، وهي دعوة إيجابية في درء العداوة والعنف، لبناء علاقة اجتماعية تسودها المحبة والسلام والألفة والأخوة.

فالأستاذ النورسي اهتم بجميع العناصر واللوازم الإنسانية ولا سيما بالمقولات الثلاثة من

(١) سعيد النورسي: اللغات، ص: ٢٣٥.

(٢) سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص: ٤٤٤.

(٣) سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص: ٤٦٩.

(٤) سعيد النورسي: الشعاعات، ص: ٤٣٩.

الحب والعدالة والإيمان، وبدعوته إلى هذا يحذر من العداوة والظلم والكفر الذي يجر الإنسان إلى الهلاك والدمار.

ويبين أنّ مذهبه في هذا بقوله: "إن مذهبي هو ابداء الحب للمحبة، وإظهار الخصام للعداء، أي أن أحبّ شئ إليّ في الدنيا هي المحبة، وأبغض شيء عندي هو الخصام والعداء"^(١).

٣- العدالة كيمياء التعايش:

تتضح علاقة العدالة بالتعايش السلمي لدى الأستاذ النورسي من خلال رؤيته الفكرية الاجتماعية التي يشير فيها إلى أن العدالة ضرورة اجتماعية بحكم الطبيعة البشرية ومتطلباتها، التي لا تتحقق إلّا في ضوء تعاون اجتماعي، "فالإنسان لا يعيش عيش الحيوانات، ولا يسعه ذلك فهو محتاج لتحصيل حاجاته في مأكله وملبسه ومسكنه إلى تلطيفها واتقانها بصنائع جمّة، لا يقتدر هو بانفراده عليها كلها، لهذا احتاج إلى الامتزاج مع أبناء جنسه، ليتشاركوا فيتعاونوا، ثم يتبادلوا ثمرات سعيهم. ولكن لتجاوز قوى الانسانية على الآخرين، . بسر عدم التحديد . تحتاج الجماعة إلى العدالة في تبادل ثمرات السعي.... ثم لأن عقل كل أحد لا يكفي في درك العدالة، احتاج النوع إلى عقل كلي للعدالة، يستفيد منه عقول العموم، وما ذلك العقل إلّا قانون كلي، وما هو إلّا الشريعة"^(٢).

من المهام التي طلب الأستاذ النورسي مجابهتها دساتير المدنية الظالمة، لذلك بين عملها السليبي المنافي للعدالة وروح التعايش، قال الأستاذ: "إن دستور المدنية الظالم هو: "أن يضحي بالفرد لأجل الجماعة، ولا ينظر إلى الحقوق الجزئية من أجل سلامة الأمة، وقد فتح هذا الدستور ميدان مظالم شنيعة لم يُر مثلها حتى في القرون الأولى. بينما العدالة الحقيقية للقرآن المبين أنه لا يُفدى بحق الفرد لأجل الحفاظ على الجماعة، فالحق حق، لا ينظر إلى كثيره وقليله"^(٣).

لقد تنبه الأستاذ بدقة بالغة إلى كل تطلعات الدول الكبرى للسيطرة على العالم، وما ارتكبته من جرائم وحشية بحق البشرية من منطلق المصالح العنصرية والأحقاد، يقول رحمه الله

(١) سعيد النورسي: صيقل الإسلام، ص: ٤٢٣.

(٢) سعيد النورسي: إشارات الإعجاز، ص: ١٤٧-١٤٨. و- صيقل الإسلام، ص: ١٣٧-١٣٨.

(٣) سعيد النورسي: المكتوبات، ص: ٦٨. والملاحق، ص: ١٧٢.

وهو يرد على سؤال ورد من قبل طلاب رسائل النور، عن حرب في زمنه، ولعلنا نسأله مرة أخرى عن الحروب في زمننا هذا فيجيب: "إنَّ الإنسان الذي يخوض غمار هذه الحرب الطاحنة يمثل أصدق تمثيل الآية الكريمة ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الاحزاب: ٧٢) لذا لا يجوز النظر الى المظالم المحيرة فضلاً عن موالاة تلك التيارات وتتبع اخبارها والاستماع الى دعاياتهم الكاذبة الخداعة ومشاهدة معاركها بأسى وحزن. لأن الرضى بالظلم ظلم ما اذا ما مال اليه يكون ظالماً. واذا ما ركن اليه ينال زجر الآية الكريمة ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ﴾ (هود: ١١٣).

نعم، لأن هذه الحرب المدمرة ليست لأجل إحقاق الحق وإرساء الحقيقة ولا لأجل اعلاء شأن الدين وقرار العدالة، بل تستند الى العناد والعصبية القومية والمصلحة النوعية واشباع انانية النفس، فترتكب مظالم شنيعة ومآسي أليمة لم يُرْمِثِلْها في العالم. والدليل على ذلك:

إفناء الأبرياء من اطفال وعوائل وشيوخ ومرضى بالقنابل المدمرة بحجة وجود جندي أو اثنين من جنود الاعداء فيما بينهم.. واتفاق أعنى المستبدين من البرجوازيين مع الفوضيين والارهابيين الذين هم المتطرفون من الاشتراكيين والشيوعيين وإهدار دماء ألوف بل ملايين من الأبرياء.. والاستمرار في هذه الحرب الضارة للإنسانية جمعاء.. وردّ الصلح والسلام.. لذا فإن الإسلام والقرآن الكريم بريئان بلاشك من مثل هذه الحروب المدمرة التي لا تنسجم مع أي قانون كان من قوانين العدالة ولا مع الانسانية ولا مع اي دستور كان من دساتير الحقيقة وقوانين الحقوق. ولا يتنازلان ولا يتذللان لمعاونة أولئك؛ لأن فرعونية رهيبة ومصلحية عجيبة تستحوذان فيهم بحيث لا يمدون يد العون إلى القرآن والإسلام بل يحاولون جعلهما آلتين طيعتين في سبيل مآرهم. فلا شك ان أحقية القرآن تأبي الاستناد الى سيوف ظالمين كهؤلاء. بل الفرض على اهل القرآن والواجب عليهم الاستناد الى قدرة رب العالمين ورحمته بدلاً من الاستناد الى قوة عجنت بدماء ملايين الأبرياء"^(١).

ومن ثم يمكننا القول: إن دعوة الأستاذ النورسي إلى ترسيخ العدالة في المجتمع يمكن أن تساهم بشكل فعال في مجابهة العنف والظلم، وقبول الشعوب لمبدأ التعاون، الذي ينبغي أن

(١) سعيد النورسي: الملاحق، ص: ٢٠٣.

ينصب على تحقيق عدالة إنسانية شاملة، تستند على مبدأ المساواة بين الشعوب واحترام الأديان والثقافات، وبذلك فالعدالة هي جوهر وروح التعايش الحقيقي الذي هو غاية خلق الإنسان وسعادته.

٤ - العلم روح التعايش:

يؤمن الأستاذ النورسي بمبدأ الحق للبشر في تداول الانجازات العلمية، إذ بتوسع المعرفة الإنسانية يتحقق التطور، والتطور حينما يبنى على مسطرة من المنفعة العامة، ينعكس على الإنسانية جمعاء.

لهذا كان أكبر همّ البحث عن مسلك يجعل العلم وما يتوصل إليه مفيد ونافع، يقول الأستاذ: "نعم إنه لا بد من البحث عن علاج وعن وسيلة للوصول إلى جعل تلك المعلومات العلمية، والمعارف الفلسفية مفيدة ونافعة، منورة مضيئة، حية نابضة، تتدفق بالرواء والعطاء"^(١).

لذلك نجده يدعو إلى الأخذ بعلوم الغرب مع الحفاظ على القواعد الأخلاقية والإنسانية، لأن ثقافة العلوم الغربية قسّمت، قسم نافع وقسم ضار، يقول الأستاذ: "ولثلا يُساء الفهم لا بد أن ننبه: أن أوروبا اثنتان.

أحدها: هي أوروبا النافعة للبشرية، بما استفاضت من النصرانية الحقة، وأدّت خدماتٍ لحياة الإنسان الاجتماعية، بما توصلت إليه من صناعاتٍ وعلومٍ تخدم العدل والانصاف، فلا أخاطب - في هذه المحاور - هذا القسم من أوروبا. وإنما أخاطب أوروبا الثانية تلك التي تعقّنت بظلمات الفلسفة الطبيعية وفسدت بالمادية الجاسية، وحسبّت سيئات الحضارة حسناتٍ لها، وتوهّمت مساوئها فضائل. فسافت البشرية إلى السفاهة وأردتها الضلالة والتعاسة.

ولقد خاطبتُ في تلك السياحة الروحية الشخصية المعنوية الأوروبية بعد أن استثنيت محاسن الحضارة وفوائد العلوم النافعة"^(٢).

فالأستاذ النورسي كان يعلم أن ما تنتجه المعارف وما يتوصل إليه العلم يمكن أن تكون

(١) المرجع نفسه، ص: ٤٦.

(٢) سعيد النورسي: للمعات، ص: ١٧٦ - ١٧٧.

له نتائج العكسية على سعادة الانسانية وتطورها، لذلك يقول: "إن أعظم نتائج العلم يمكن أن تستخدم في أغراض هدمية أو بنائية"^(١).

كما أدرك أن العلم النافع له دور في بناء الحضارة الإنسانية، مما يجعلها تعيش في ازدهار وسلام وسعادة، يقول الأستاذ: "إن سعادتنا الدنيوية ستحصل . من جهة . بالعلوم الحديثة الحاضرة، وأنّ أحد الروافد غير الآسنة لتلك العلوم سيكون العلماء، والمنبع الآخر سيكون حتما المدارس الدينية، كي يأنس علماء الدين بالعلوم الحديثة"^(٢).

فالعلم النافع للبشرية هو الذي تنشده رسائل النور، العلم الداخل النظرة الإيمانية الشمولية للحياة والكون، منطلق من قواعد اخلاقية تخدم الإنسانية وتوفر لها السعادة. وعليه نداء الأستاذ للأخذ بغزارة العلم وسيلة لمعرفة النظام الإلهي الذي تبنى عليه فكرة تعايش الشعوب.

لذلك كان يعلي من شأن العلم، ولا يرضى الإهانة، يقول الأستاذ: "اقتلوني... ولكن حافظوا على شرف العلم ومكانته"^(٣).

رابعا: التعايش والقيم المشتركة:

تفيض رسائل النور ببيان دور القيم المشتركة في الحياة وأهميتها، في إشاعة الأمن والسلام وتحقيق العدل والمساواة بين البشر، ولعل أهم هذه القيم: الحرية وحقوق الإنسان.

أ- الحرية: هي العنصر الأساس الذي يؤسس العلاقة بين الفرد والمجتمع، والتي يعرفها الأستاذ النورسي بقوله: "الحرية هي أن يكون المرء مطلق العنان في حركاته المشروعة مصونا من التعرض له، محفوظ الحقوق ولا يتحكم بعض في بعض، ليتجلى فيه نهي الآية الكريمة: ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٦٤) ولا يتأمر عليه غير قانون العدالة والتأديب، لئلا يفسد حرية إخوانه"^(٤).

فلا يمكن تصور عمل إيجابي بدون حرية، لهذا أعطى الاستاذ أهمية لهذا الأساس حيث قال: "إن حريتي في أداء واجبي هي أهم من كل شيء، فهو أول ركن من دستور حياتي، وإن

(١) سعيد النورسي: إشارات الإعجاز، ص: ٢٥١.

(٢) سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص: ٤٩٨.

(٣) المرجع نفسه، ص: ٥٢.

(٤) سعيد النورسي: صيقل الإسلام، ص: ٣٩٤.

سلب حريتي بجبائل الأوهام الكاذبة وتقييدها بقيود الاستبداد والطغيان يجعلني أمل الحياة مللا شديدا،... وإني أتمكن أن أعيش من دون طعام ولكني لا يمكن أن أعيش من دون حرية"^(١).

كما رافع الأستاذ عن حرية التدين انطلاقا من قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (سورة البقرة: الآية: ٢٥٦) قائلا: "إن الظهور على المدنيين من منظور الدين إنما هو بالإقناع وليس بالإكراه، وبإظهار الإسلام محبوبا وساميا لديهم، وذلك بالامتثال الجميل لأوامره، وإظهار الأخلاق الفاضلة، أما الإكراه والعداء فهما اتجاه وحشية الهمجيين"^(٢).

وضرب لنا من عمق التاريخ عملا إيجابيا يؤسس لحرية التدين فقد: "تحاكم عمر رضي الله عنه، في زمن خلافته مع نصراني من عامة الناس في محكمة واحدة، فإن عدم مؤاخذه مخالفة هذا النصراني لنظام حكومة الاسلام ودينها وقوانينها، تظهر بجلاء أن مؤسسة العدل لا تنحرف مع تيار ولا تنحاز إلى تعصب، هذه عمدة أساس في حرية الدين والضمير"^(٣).

بينما نجد الأستاذ ينتقد أوروبا المتعصبة بدينها، والقوانين الجائرة التي تمنع في التضيق على حرية التدين وعدم احترام تنوع الديانات^(٤)، لأن هذه القوانين تخل بمبدأ العدالة والمساواة بين الديانات. مما جعله يدعو إلى إقرار قانون حرية المتدينين^(٥).

يتضح من هذا أن الحرية بالنسبة للإنسانية هي ضرورة مطلقة من أجل العيش المشترك، وحفظ الإنسان كرامته المشروعة، ف"الحرية العامة هي المحصلة الناتجة من حريات الأفراد، ومن شأن الحرية عدم الاضرار سواء بالنفس أو بالآخرين... على أن كمال الحرية أن لا يتفرعن (الإنسان) وأن لا يستهزئ بحرية غيره"^(٦).

المسألة الأساسية للحرية في رسائل النور ربطها بالعقيدة، حيث يقول الأستاذ: "المؤمن حر في ذاته فالذي هو عبد لله رب العالمين لا ينبغي له أن يتذلل للناس، بمعنى أنه كلما رسخ

(١) سعيد النورسي: الملاحق، ص: ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٢) سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص: ٩٨.

(٣) المرجع نفسه، ص: ٤٤٦.

(٤) المكتوبات، ص: ٥٦٤.

(٥) الملاحق، ص: ٣٤٧.

(٦) سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص: ٣٩٣.

الإيمان قويته الحرية"^(١).

ثم يضيف "لأن الحرية الحسنة ماهي إلا تلك المتأدبة بآداب الشريعة والمتزينة بفضائلها، وليست تلك التي في السفاهة والردائل"^(٢). "أما الحرية المطلقة فما هي إلا الوحشية المطلقة بل بهيمية، وتحديد الحرية ضروري من وجهة نظر الإنسانية"^(٣).

فالحرية الشرعية هي التي "ترشد البشرية إلى سبل التسابق والمنافسة الحقّة نحو المعالي والمقاصد السامية، والتي تمزق أنواع الاستبداد وتشتتها، والتي تهيج المشاعر الرفيعة لدى الإنسان، تلك المشاعر المجهّزة بأنماط من الأحاسيس كالمنافسة والغبطة واليقظ التام والميل إلى التجدد والنزوع الى التحضر. فهذه القوة الثالثة: "الحرية الشرعية" تعني التحلي باسمي ما يليق بالإنسانية من درجات الكمال والتشوق والتطلع اليها"^(٤).

تلك هي الحرية التي على أساسها يكون التفاهم والتفهم الاجتماعي، والتعايش السلمي في المجتمع البشري.

ب- **حقوق الانسان:** لا غرور أن تتطلع الإنسانية إلى جو تسوده العدالة، وتمحّص فيه القضايا تمحيصاً يقوم على النزاهة والدقة، فلا يعاقب بريء ولا ينجو مجرم.

إن رسائل النور رسائل تستهدف نشر ثقافة السلم مراعية لحقوق الإنسان، وصيانتها للكرامة البشرية، متشعبة من نور القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ.

لهذا حارب الأستاذ النورسي العنصرية واعتبرها مرض اجتماعي ونفسي إذا دبّ في جسم الشعوب يحولها إلى أشلاء متناثرة، ويخل بميزان الكون وجماله. "إنّ من متطلبات العدالة الاجتماعية إقامة المجتمع على أسس من الشرف والمبادئ الإنسانية، ولا يمكن أن تتكون المجتمع الفاضلة، دون أن ترسخ جذوره في أرضية ملائمة وموافقة مع الناموس الطبيعي وشريعة الله التي فطرت طبيعة الإنسان عليها"^(٥).

ويقول أيضاً: "إن الأسس المتبعة في القومية والعنصرية أسس ظالمة لا تتبع العدالة ولا

(١) سعيد النورسي: صيقل الإسلام، ص: ٥٣٥. وسيرة ذاتية، ص: ٩٨.

(٢) صيقل الإسلام، ص: ٣٩٢-٣٩٣.

(٣) سيرة ذاتية، ص: ٩٨.

(٤) صيقل الإسلام، ص: ٥٠٠.

(٥) سعيد النورسي، الملاحق، ص: ١١٤.

توافق الحق، إذ لا تسير تلك الأسس على وفق العدالة، لأن الحاكم العنصري يفضل من هم بنو جنسه على غيرهم، فأثني له أن يبلغ العدالة!.... إذ لا تكون هناك عدالة قطٍ وإنما تهدر الحقوق ويضيع الانصاف"^(١).

كما نجد الأستاذ النورسي ينتقد الدساتير والشرائع الوضعية، المناهية بحقوق الإنسان، على أنها قوانين فشلت بعد اخفاقها في القيام بدور حفظ السلم وحقوق الإنسان في العالم، فهي قوانين ظاهرها يوحى بالعدالة، لكن باطنها الاخلال بالمساواة، مما يولد الظلم والنفاق في المجتمع"^(٢).

ف" القانون الاساس للسياسة البشرية هو: يضحي بالأفراد من اجل سلامة الأمة. وتُقدى بالأشخاص حفاظاً على الجماعة. ويرخص كل شيء في سبيل حماية الوطن. فجميع الجرائم البشعة التي ارتكبت في البشرية إلى الآن إنما ترتكب بالاستعمال السيئ لهذه القاعدة ولهذا القانون الأساس، فلقد تيقنت من هذا يقيناً قاطعاً. فهذا القانون البشري الاساس ليس له حدّ معين ولا ضوابط مخصصة، لذا فقد مهد السبيل للتلاعب باستعماله بكثرة"^(٣).

لهذا أحال لقاعدة جلييلة ترسي العدالة الحقّة في البشرية، مفادها: "لا يؤاخذ احد بجريرة شخص آخر. ثم ان البرئ لا يُضحي به - حتى من اجل جميع الناس - دون رضاه، ولكن لوضحي بنفسه بإرادته وبرضاه فتلك مرتبة الشهادة"^(٤). كما دعا إلى معادلة حقوق الفرد والجماعة بـ "اتخاذ دستور الانصاف دليلاً ومرشداً" و"الحفاظ على الحق والعدل"^(٥). إن دعوة الأستاذ النورسي إلى الحرية، والتي يطلق عليها الحرية الشرعية، وإلى ضبط معادلة حقوق الإنسان، تتميز بالشمولية وترتبط بالنظام الكوني، القائم على الحكمة، المنسجم مع النظام الشرعي وهو ميزان العدل"^(٦)، "الذي يهيئ للإنسان مقاماً سامياً"^(١).

(١) سعيد النورسي: المكتوبات، ص: ٦٨.

(٢) سعيد النورسي: صيقل الإسلام، ص: ٤٥٨.

(٣) سعيد النورسي: الملاحق، ص: ٣٧٦.

(٤) المرجع نفسه، ص: ٣٧٧.

(٥) سعيد النورسي: اللغات، ص: ٢٢٩.

(٦) الشعاعات، ص: ٣٥ و ٢٦٨.

فتقدير الحرية حق قدرها، واحترام كرامة الإنسان والمساواة بين البشر، هي ما تدعوه دائما الفطرة الإنسانية السليمة والمنطق السوي والنفسي الطبيعية للإنسان، وتنفره من كل ما هو شائن وقبيح، فكانت الفطرة التي جبل عليها الإنسان قاسما مشتركا ومصدرا طبيعيا لبناء الكثير من القيم في المجتمعات.

فهي قوانين فطرية نابعة من التجلي الأعظم لاسم "العدل" وتدير موازنة عموم الأشياء، وتأمّر البشرية بإقامة العدل، فهي حقائق وديناميات الإسلام ما أشدها إيغالا في أعماق الحياة الاجتماعية، وما أشدها عراقا وأصالا^(١). دساتير تشرف بها الإنسانية وتسمو، لتعيش في أمان وسلام.

خامسا: من الحوار إلى التعايش:

المتأمل في دعوة رسائل النور إلى التعايش السلمي يجدها قائمة على الحوار الفعال والجدلي، الذي هو حوار معرفي متكافئ، يهدف إلى التفاهم والالتقاء على نقاط وقواسم مشتركة وليس إلى التقابل الجدلي العنيف، أو الصدم الحضاري كما يتوهم أن يكون، الذي يحول دون إيجاد مناخ مناسب للتواصل والتعايش الحضاري بين المجتمعات.

فالأستاذ يدعو إلى "التعاون بدل الصراع والجدال، والتعاون من شأنه التساند والاتحاد... والرابطة التي تربط المجموعات البشرية بدلا من العنصرية، وهذه من شأنها الأخوة الخالصة والسلام والوئام"^(٢).

وإذا كانت مجالات الحوار كثيرة، فلعل أهمها وأبرزها ما يتصل بالأديان وما فيها من قيم ومقومات، وخاصة ما يرتبط بالمعتقدات، لأجل ضمان حرية الإنسان الدينية، وبناء عالم تسوده المحبة والتعاون.

لهذا نجد الأستاذ النورسي يدعو إلى الحوار والتواصل مع المسلمين وغير المسلمين، بأسلوب الاقتناع والاستدلال، ويصرح لغير المسلمين: "وليطمئن غير المسلمين بأن اتحادنا هو المحجوم على هذه الصفات الثلاث (الجهل والضرورة والنفاق) ليس إلّا... لأننا ننظر فيهم

(١) المرجع نفسه، ص: ٢٦٤-٢٦٧.

(٢) المرجع نفسه، ص: ٥٢٦.

(٣) سيرة ذاتية، ص: ١٤١.

الانصاف^(١).

ويرشد إلى أهم مبدأ من مبادئ الحوار الناجح هو الإقناع وليس الإكراه، يقول الأستاذ: "إن الظهور على المدنيين من منظور الدين إنما هو بالإقناع وليس بالإكراه. وبإظهار الإسلام محبوباً وسامياً لديهم وذلك بالامتثال الجميل لأوامره وإظهار الأخلاق الفاضلة. أما الإكراه والعداء فهما تجاه وحشية الهمجيين"^(٢).

أثبت الأستاذ تبني هذا المسلك الإيجابي بزيارته للبطريرك "أثيناغوراس" في مقره الواقع في استانبول لإيجاد سبل تعاون بين مسلمي تركيا ومسيحييها، لمواجهة الموجة الإلحادية المعادية التي بدأت تغزو تركيا.

كما أرسل الأستاذ النورسي إلى البابا "بيوس الثاني عشر" في الفاتيكان مجموعة من رسائل النور على سبيل الإهداء، وقام بابا الفاتيكان بالرد عليها شاكرًا ومقدرا روحه المتسامية وأخلاقياته الكريمة^(٣).

إن دعوة الأستاذ النورسي إلى الحوار هي دعوة إلى الاعتراف بالجانب الروحي من الإنسان وتقوية الجانب السامي منه، وهذا أساس رسالات الأنبياء التي تجمع المعنوي والروحي كشرط لازم لسمو الإنسان.

وإذا ما تحقق الحوار على هذا النحو، فإنه تلقائياً سيؤدي إلى تفاعل إيجابي لا يلبث أن يصبح حاجة ملحة يشعر بضرورتها كل طرف، لما يكتسب من قيم جديدة يغني بها قيمه الخاصة، في تراكم ناجح يتجه نحو خط إنساني شامل وجامع يؤدي بدوره إلى تحقيق السلام وما يتصل به من غايات كونية مأمولة.

فإنّ التفاعل والحوار يظل المنهاج العملي الحقيقي الذي يعتمد عليه الأستاذ النورسي في رؤاه للعلاقات الحضارية، من منطلق أن الحوار المجدي بين الحضارات والثقافات والديانات خطوة ضرورية لتجذير عرى المحبة والتعاون بين الشعوب، على اختلاف ألوانها، ومحواً للاعتبارات الإثنية التي تقف أمام رسالة التعاون والتعايش السلمي.

(١) صيقل الإسلام، ص: ٥٢٩-٥٣٠.

(٢) سيرة ذاتية، ص: ٩٨.

(٣) سعيد النورسي: الملاحق، ص: ٣٤٦. وسيرة ذاتية، ص: ٤٣٨-٤٣٩.

الختامة:

لا شك أن الوجه الإنساني للعالم اليوم وجه مخيف و"هموم العيش أحاطت بالناس كلهم من كل جهة"، وأزمة العالم اليوم تكمن في تغيراته ضمن حالات عدم التعيين، وليس أمام المجتمعات الإنسانية إلا أن تختار بين "صدمة المستقبل" أو تشكيل "دستور عالمي" مهمته مواجهة تحديات الأزمة القائمة والقادمة.

ومن هنا تبرز "كليات رسائل النور" باعتبارها رسائل نابعة من فيض القرآن الكريم^(١)، الذي هو "مرّب للعالم الانساني.. وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التي هي الاسلامية.. وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد المهدي الى ما خُلِقَ البشرُ له.. وكذا هو للإنسان: كما أنه كتاب شريعة كذلك كتاب حكمة، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية كذلك هو كتاب أمر ودعوة، وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر، وكما أنه كتاب واحد، لكن فيه كتب كثيرة في مقابلة جميع حاجات الانسان المعنوية، كذلك هو كمنزل مقدس مشحون بالكتب والرسائل. حتى انه ابرز لمشرب كل واحدٍ من أهل المشارب المختلفة، ولمسلك كل واحدٍ من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصديقين ومن العرفاء والمحققين رسالةً لائقةً لمذاق ذلك المشرب وتنويره، ولمساق ذلك المسلك وتصويره حتى كأنه مجموعة الرسائل^(٢).

لهذا جاءت رسائل النور ترسم لثقافة التعايش، تدعو إلى الحاجة وتقتضي الإبداع الذي تجلّى في تراكم البناء الحضاري الإنساني، وعبرت عن هذا الإبداع من خلال ما تؤسس له من دعوة إلى الحوار والتعاون المتبادل في العلاقات الإنسانية، والتعايش السلمي، وتبني مبادئ وحدة البشرية والمساواة بين الناس على تعدد ألوانهم وأعراقهم، وتعظيم الجوامع المشتركة بين أتباع الديانات والحضارات والثقافات.

والتعايش السلمي في ظل التنوع الذي تدعو له رسائل النور، هو التواصل الإيجابي النافع الذي يجعل من أفراد المجتمع كتلة موحدة وفاعلة تتجاوز الخصائص التكوينية في سبيل بناء أرحب وأعمق يجعل من خصوصيات الهوية المميزة لكل أمة عامل تنوع وإثراء لصياغة

(١) سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص: ٣٦٣.

(٢) سعيد النورسي: المكتوبات، ص: ٢٦٧. وإشارات الإعجاز، ص: ٢٢.

نمط مجتمع جديد يستوعب الأفراد والجماعات المختلفة في اتجاهاتها ودياناتها.
فالحركة الإيجابية البناءة أساس هذا المشروع، "إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء
وليس السعي للعمل السلبي الهدام"^(١).

مكتبة البحث:

سعيد النورسي:

- ١- الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م.
- ٢- المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م.
- ٣- اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م.
- ٤- الشعاعات: ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م.
- ٥- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م.
- ٦- المثنوي العربي النوري، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م.
- ٧- الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م.
- ٨- صيقل الإسلام، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م.
- ٩- سيرة ذاتية: إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، إستانبول، تركيا، ١٩٩٩م.
- ١٠- أديب إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسي، مركز الكاتب للنشر، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م.
- ١١- فريد الانصاري: مفاتيح النور، نسل للنشر، إستانبول، تركيا، ط ٢٠٠٤م.
- ١٢- عمار جيدل: ماهية الإنسان وصلتها بجزئته ووظيفته الاجتماعية، نسل للطبع والنشر، إستانبول، تركيا، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- ١٣- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت.
- ١٤- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط ٤، ٢٠٠٤م.

(١) سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص: ٤٦٩.

مشكلة الخلاف بين الفرق الإسلامية في بنغلاديش ومعالجتها من خلال رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي

د . محمد شهيد الإسلام

الأستاذ المشارك

قسم العربية، جامعة داكا

بنغلاديش

E-mail: shahidislam@du.ac.bd

١ . المقدمة :

من المعلوم أن عالمنا المعاصر عامة والمجتمع الإسلامي في بنغلاديش خاصة يعيش في مشكلات تزداد خطراً إذا لم يتحكم فيها ويتعامل معها وفق قواعد أساسية محددة. وإنها أضعفت دعائم قوة الأمة وركنت إلى عجزهم؛ وذلك لوجه الاختلاف بين طوائف المسلمين. وقد اشتد الخلاف بينهم يوماً فيوماً، حتى أصبح مرضاً يعوق سير أحوال الأمة ويشوش على جهود المصلحين. وقد تنبه علماء ومصلحين العالم في العصور بعد الأنبياء إلى خطورة هذا الداء، فاجتهدوا منذ أمد طويل لعلاج مشكلات الأمة وإعادة ما تهدم من بنائها وإصلاح ما فسد من أحوالها. وكان الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي (١٨٧٧-١٩٦٠م) من رجال العلم في زمن المصائب والهلاك للعالم الإسلامي الذين يقومون بتبليغ الإسلام دوماً، ويسعون لنصب راية الإيمان وأفدوا عمرهم حتى آخر أنفاسهم لنشر وتفهم حقائق الإيمان وتعليمها للأحرار في زمن فقد فيه المسلمون ثقة أنفسهم، وضعفت اعتقاداتهم. وقد اهتم بغايتها ودرجتها الفائقة إلى الوحدة المسلمين في العالم عامة وفي الترك خاصة، لأن الاتحاد الإسلامي وحقيقة التوحيد الإلهي كان عنده من أكبر الفرائض. وهذا الاتحاد لا يمكن التحقق إلا بامتزاج العلم والأفكار بالشورى. وهو تواصي المسلمين لاتحاد الأمة المسلمة بالإبتعاد عن العنصرية والنفاق والإنقسام والتمزق والإرهاب بصورة قاطعة. وفي هذه الدراسة يهدف الباحث إلى التعرف عن الفرق الإسلامية في بنغلاديش ووجوه الخلاف بينهم مع بيان كيفية معالجتها من خلال تعليم رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي والله ولي التوفيق.

٢. الفرق الإسلامية في بنغلاديش

بنغلاديش هي دولة تقع في جنوب شرق آسيا. وهي كانت منطقة مهمة لشبه القارة الهندية حتى استقلت عنه عام ١٩٤٧ عندما أصبحت الإقليم هي المنطقة الشرقية لدولة باكستان، وفي عام ١٩٧١م انفصلت عن باكستان بحرب الاستقلال حتى قامت دولة جديدة. عدد سكانها الحالي ١٦٠ مليون نسمة تقريبا (بنغلاديش <https://ar.wikipedia.org/wiki/بنغلاديش>). اللغة الرسمية هي البنغالية (Bangla). قد توجد في بنغلاديش أجزبا إسلامية كثيرة تتميز بمختلف مميزات؛ تهتم بعضها بالدعوة والتبليغ، وبعضها بالدعوة والسياسة؛ وبعضها بالدعوة والتصوف؛ وبعضها بالدعوة والتصوف. فمن هؤلاء يذكر أسماء بعض الأحزاب الرئيسية كما في الذيل:

أ) الدعوة والتبليغ

جماعة التبليغ

هي جماعة إسلامية أقرب ما تكون إلى جماعة وعظ وإرشاد. وهي جماعة تهتم بالتربية على الفضائل وبعض العبادات الأساسية والدعوة إليها وربط الناس بالإسلام عن طريقها. وهم يظنون أن هذه الأمة أصاب الخلل بسبب انحراف سلوكها وانغماسها في الشهوات والطرف والماديات. وتقوم دعوتها على تبليغ فضائل الإسلام لكل من تستطيع الوصول إليها. يلجأ أعضاؤها إلى الخروج للدعوة ومخالطة المسلمين في مساجدهم، وإلقاء المواعظ والدروس والترغيب في الخروج معهم للدعوة. وينصحون بعدم الدخول في جدل مع المسلمين أو خصومات مع الحكومات. فمن أسس دعوتهم: الكلمة الطيبة، وإقامة الصلاة، والعلم، والذكر، وإكرام المسلمين، والإخلاص. وفي الواقع أن لهذه الجماعة دورا بارزا في إصلاح كثير من المسلمين عن فسوقهم وفجورهم. وتمتاز أيضا بالتواضع في رحلاتها، والإخلاص في دعوتها (د. مانع بن حماد الجهني، ١٤٢٠هـ: ٣٢١-٣٢٨ والشيخ ممدوح الحربي، ٢٠١٠م: ٤٥١-٤٥٣).

جماعة أهل الحديث

هي أقدم الحركات الإسلامية في شبه القارة الهندية التي قامت على الدعوة لاتباع الكتاب والسنة بضوء فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وتقديعهم على كل قول وهدي سواء كان في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق أو السياسة (د. مانع بن حماد الجهني، ١٤٢٠هـ: ١٧٣-١٨٥). وكان من مقاصدها الأولية

تصفية الإسلام من الشرك والبدع والخرافة وما شاكل ذلك، ودعوة الناس إلى اتباع منهج السلف الصالح في مجال العلم والعمل (د. مانع بن حماد الجهني، ١٤٢٠هـ: ١٨١).

جماعة السلفية

هي جماعة تنادي إلى اتباع الكتاب والسنة وفق السلف الصالح منذ عهد الرسالة الزاهر. وكان رائدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية (١٧٠٣-١٧٩١م). ويطلق البعض على هذه الجماعة "الوهابية" نسبة إلى رائدها. وكان من اعتقاد هذه الجماعة أن تدعو الناس إلى العودة بالعقيدة الإسلامية إلى أصولها الصافية مع إنكار تقليد المذاهب الأربعة، بل تدعو إلى اتباع الكتاب والسنة مباشرة على منهج السلف الصالح وتقديمها على كل قول وهدي، سواء كان في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق أو السياسة، وهم يعدون جماعتهم هي الفرقة الناجية (د. مانع بن حماد الجهني، ١٤٢٠هـ: ١٦٠-١٦٦).

الحفاظة الإسلامية (Hifazat-e Islam Bangladesh)

هي جماعة إسلامية غير سياسية في بنغلاديش التي تسلك مسالك الديوبند الهندية. وهي مجموعة الضغط الإسلامي من معلمي وطالبات المدارس القومية (الأهلية). أسس هذه الجماعة الشيخ أحمد شفي ومفتي إظهار الإسلام سنة ٢٠١٠م كمجموعة الضغط الإسلامي بعد تشكيل "أصول تنمية المرأة" (Women Development Policy) سنة ٢٠٠٩م. وأصبحت هيفاجات معروفة لدى الجميع لاجتماعهم في ساحة شابلا في ٥ مايو سنة ٢٠١٣م لطلابهم ١٣ نقطة مطالبة بتطبيق عقوبة الإعدام على "المدونين الملحدون" (en.wikipedia.org/wiki/Hefazat-e-Islam_Bangladesh).

ب) الدعوة والسياسة

الجماعة الإسلامية بنغلاديش

هي جماعة إسلامية معاصرة كرسَتْ جهودها في سبيل إقرار الشريعة الإسلامية وتطبيقها في حياة الناس والوقوف بحزم ضد جميع أشكال الاتجاهات العلمانية التي تحاول السيطرة على المنطقة. وكان رائدها أبو الأعلى المودودي (١٩٠٣-١٩٧٩م). وكان من عقيدتها عقيدة أهل السنة والجماعة من حيث الدعوة (د. مانع بن حماد الجهني، ١٤٢٠هـ: ٢٠٦-٢١٣). فمن أهدافها: جعل الإسلام نظاما شاملا للبشرية كافة وللمسلمين عامة،

والدعوة إلى كل من أظهر الإسلام أن يخلصوا دينهم لله ويتركوا أنفسهم لتتخلص من التناقض والنفاق، والدعوة إلى جميع أهل الأرض أن يستخلصوا الحكم الحاضر من الطواغيت (د. مانع بن حماد الجهني، ١٤٢٠هـ: ٢١٠-٢١٧).

ت) الدعوة والتصوف والسياسة

١) الاتحاد الإسلامي بنغلاديش (Islami Okya Jote, Bangladesh - Islamic Unity)

(Front

هو حزب سياسي إسلامي في بنغلاديش. وقاد عند تأسيس هذه الجماعة الشيخ الحديث مولانا عزيز الحق (١٩١٩-٢٠١٢م) والمفتي فضل الحق أميني (١٩٤٥-٢٠١٢م)، ولكن في الحاضر هذه الجماعة قد افترق إلى أحزاب لأسباب قليلة ولقضايا بسيطة.

٢) الحركة الإسلامية بنغلاديش (Bangladesh Islami Andulon)

إن الحركة الإسلامية بنغلاديش وجمعية الاتحاد الإسلامية بنغلاديش كانتا حزبا واحدا، وأتھما قد افترقا بعضھما بعضا باختلاف بسيط، وكان أيضا مؤسس جمعية الاتحاد الإسلامية بنغلاديش شيخ الحديث العلامة عزيز الحق (المتوفى) حينما أعلن أن الائتلاف يمكن مع الأحزاب الألمانية لمصلحة الشعبية، ولكن لم يتحد بعض زعماء القواد مع نظريته فتعارضوا على هذه الفكرة معارضة شديدة، ولكن رئيس الجمعية ما استطاع أن يتحدهم فلا يهتم بمعارضتهم، فافترق بعض الزعماء من الحزب الأصلي وأسس حزبا جديدا المسمى بالحركة الإسلامية بنغلاديش، وكان رئيس هذا الحزب أولا مولانا فضل الكريم (المتوفى) والرئيس الحاضر ابنه الكبير المفتي رضاء الكريم.

٣) حركة الخلافة بنغلاديش (Bangladesh Khilafot Andolan)

حركة الخلافة البنغلاديشية (بنغلاديش خلافات أندولان \ Bangladesh Khilafat Andolan) هي حزب سياسي إسلامي في بنغلاديش، أسسه عالم كبير مولانا محمد الله المشهور بحافظي هوزور عند انتخاب رئيس الدولة عام ١٩٨١. وكان حافظي هوزور مرشحا للرئاسة في هذا الانتخاب. ويتضمن برنامج هذه الجماعة إدخال مبادئ القرآن والسنة في بناء الدولة، وإعادة توجيه النظام القضائي نحو الشريعة الإسلامية، وإسلامية النظام التعليمي (Islamization of the educational system)، وإعادة تنظيم الزكاة والأوقاف

(en.wikipedia.org/wiki/Bangladesh_Khilafat_Andolan).

٤) **جمعية علماء الإسلام بنغلاديش (Jamiat-i Ulama-i Islam Bangladesh)**
وهي أول جماعة إسلامية سياسية ووحيدة في بنغلاديش. بدأت رحلته في الهند سنة ١٩١٩م ضد حكومة البريطانية الاستعمارية بقيادة شيخ الهند محمود الحسن. وبدأت رحلته في بنغلاديش بعد الاستقلال من باكستان عام ١٩٧١م بقيادة الشيخ الحديث مولانا عزيز الحق. ورائدها الحالي الشيخ الحديث عبد المؤمن إمام باري. وكان من فكرة هذه الجماعة إقامة دين الله ونظامه في أرضه

(https://bn.wikipedia.org/wiki/জামিয়াত_উলামায়ে_ইসলাম_বাংলাদেশ)

٥) **مجلس الخلافة بنغلاديش (Bngladesh Khilafot Majlis)**
هو حزب سياسي إسلامي في بنغلاديش. وتسعى هذه الجماعة إلى إنشاء دولة إسلامية وإنفاذ الشريعة الإسلامية الكاملة على غرار الخلافة
(en.wikipedia.org/wiki/Bangladesh_Khelafat_Majlish)

٦) **اتحاد الطريقة بنغلاديش (Bangladesh Tariqat Federation)**
٧) **جمعية الذاكرين (Jaker Party)**
هي أيضا حزب سياسي إسلامي، أسس في سنة ١٩٨٩م بقيادة شيخ ذاكر منزل مولانا هشمة الله فريدبوري بهدف إحداث تغيير نوعي في السياسة. ومن أصوله الرئيسي تطوير القيم الإنسانية الليبرالية (Liberal) وفقا للإسلام الحقيقي، والتسامح في إزاء الآراء والأفكار والمعتقدات الدينية المتباينة (<http://zakerpartybd.com/about-us/what-is-zaker-party/>)

ث) الدعوة والتصوف

١. جمعية حزب الله

٢. جمعية تعليم حزب الله

٣. أنجمان الإصلاح بنغلاديش

هذه الأحزاب الثلاثة يركزون على التصوف وتزكية النفس مختلطين بالأذكار. وأنهم يركزون أيضا على إقامة المدارس الدينية في سائر البلاد لنشر مبادئهم الأصلية بعيدا عن التشكيلات الحزبية والقضايا السياسية مثل جماعة التبليغ. ولكن بينهم وبين جماعة التبليغ فرق بسيط، أن جماعة التبليغ تقوم دعوتها بمتبع إلى ستة مبادئ من الكلمة الطيبة وإقامة

الصلاة والعلم والذكر وإكرام المسلمين وتصحيح النية والدعوة التبليغ بعيدا عن التشكيلات الحزبية والقضايا السياسية.

٤. حزب ديوان باغي

٥. حزب كتوب باغي

٦. حزب جاندرور بوري

٧. حزب راجار باغي

٨. حزب سوريششوري

هذه الأحزاب الخمسة أحزاب غير سياسية، وهم يركزون بالدعوة وتبليغ الرسالة والتصوف مختلطين بالبدع والشرك والخرافة. فيميل إليهم عامة الناس متأثرين بالوعاظ الجذابة والقصص العجيبة عدم الموجودة في الإسلامي الخالص.

٣. الاختلاف الأصلي بين الأحزاب الإسلامية المعاصرة في بنغلاديش

إن قضية الاختلاف بين الفرق الإسلامية في بنغلاديش أمر يرجع تاريخه إلى عهد بعيد؛ لأن هذه الأحزاب كلها يعتقدون بأنهم يدعون إلى الكتاب والسنة وأنهم يهتمون بمعرفة الله سبحانه وتعالى وبرضائه المكتوبة في أصولهم، ولكن هذه الأحزاب يسلكون مسالك مختلفة حتى تختلفوا بعضهم بعضا و يعيبوا بعضهم بعضا. لا يوجد بينهم رغبة الاتباع للآخرين، وإن هذا الاختلاف قد أضعف الإسلام والمسلمين في هذه البلاد مع كون أكثر سكانها مسلما. ولكن الخلاف بينهم لم يكن في أصول دينهم من العقائد والعبادات ومصادره الأصلية، وإنما كان الخلاف في أمور فرعية بسيطة، ولكنها لا تمس وحدة المسلمين الحقيقة.

وإذا نلاحظ ملاحظة دقيقة إلى هذا الخلاف نرى بينهم أن الاختلاف الأصلي لجميع الأحزاب الإسلامية في بنغلاديش مع الجماعة الإسلامية بنغلاديش اختلاف عقدي؛ لأن مؤسس الجماعة الإسلامية أبو الأعلى المودودي كان منتقدا عند علماء شبه القارة البارزين لنظريته الخاصة المتعلقة بعقيدة أهل السنة والجماعة وإقامة الدين. وكان المودودي يعتقد أن العبادات الأصلية من الصلوة والصيام والزكاة معاون ومساعد لإقامة الدين، ولكن هذه العبادات عمدة من عماد الدين كما تعتقد الأحزاب الباقية الإسلامية. وأن الرسول ﷺ قال: بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وإقام

الصلوة وإيتاء الزكاة والحج والصوم رمضان (الصحيح البخاري). كذلك كان المودودي يعتقد أن العبادة الظاهرة تكفي بحياة الإنسانية لايحتاج إلى التصوف وتركية النفس، بل التصوف مضر لإقامة الدين كما أن السكر مضر للمريض. ولكن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (سورة الأعلى: ١٤). وكذلك الخلاف معهم عن مسألة عصمة الأنبياء، لأنهم يعتقدون أن الأنبياء ليسوا بمعصومين سواء قبل النبوة أو بعدها. ولكن الجماهير العلماء يعتقدون أن الأنبياء منزهون عن الصغائر والكبائر والقبائح قبل النبوة وبعدها (مولانا محمد حميت الدين، ٢٠١٠: ٣٨٢-٤١٠).

وفي حين أن جماعة التبليغ كانت دعوتهم مقتصرة على الجانب السلوكي الروحي فقط، أن الجماعة تهتم باتباع الشريعة في حياتهم الشخصية تحصر الإسلام في بعض العبادات والأذكار، وإكرام المسلمين والتلطف بها والزهد في الدنيا والدعوة إلى ذلك فقط، ولا تهتم بالجوانب الأخرى التي هي أهم من ذلك الجوانب كـ"حياتهم الأسرية والاجتماعية وإقامة الدين، والاقتصاد الإسلامي، والمسائل الاعتقادية؛ هذه الجماعة ذهلت ذهولا كبيرا عن الخلل الأكبر والخطر الأعظم الذي ابتلت به الأمة وهو الخلل العقدي، لأن تصحيح العقيدة ليس من أهدافهم. وكذلك هذه الجماعة لا تهتم بالنهي عن المنكر بحال من الأحوال معللين (د. مانع بن حماد الجهني، ١٤٢٠هـ: ٣٢١-٣٢٨ و الشيخ ممدوح الحربي، ٢٠١٠م: ٤٥١-٤٥٣).

وبجانب آخر كان الخلاف الأساسي بين جماعة أهل الحديث والسلفية وأهل السنة والجماعة في تقليد المذاهب الفقهية الأربعة، لأن أهل الحديث يحذرون الناس من التقليد في المسائل الفقهية. ومن اعتقادهم يجب أن يأخذ الأحكام من الكتاب والسنة فقط. وكذلك خلافتهم مع الآخرين في العقائد والتوسل في الدعاء كالجماعة الإسلامية (مولانا محمد حميت الدين، ٢٠١٠: ٤٥٢). مع ذلك ولو كان أمرهم محمود لدعوتهم إلى تصحيح العقيدة والعمل ونبت البدعة والشرك والخرافة، ولكن أسلوبهم الموجه مختلفة كل الاختلاف عما سبق من المحاولات الإصلاحية الدينية، لأن دعوتهم ليست محبة بل مهددة، وهم يسلكون مسالك التشدد.

إن معجم الأحزاب المهتمون بالدعوة والتصوف والسياسية بينهم وبين الأحزاب الآخرين فرق كبير؛ كمجلس الخلافة بنغلاديش (Bangladesh Khilafot Majlis) واتحاد الطريقة بنغلاديش (Bangladesh Tariqat Federation) وجمعية الذاكرين، لأن عقيدة هذه

الأحزاب مختلطة بالشرك والبدعة، وأكثرهم يسجدون القبور ويتوسلون المشايخ في المصائب والنوائب، وأنهم يعتقدون أنفسهم جماعة الحق ويعلنون الآخرين جماعة الباطل، كما أنهم يدعون أنفسهم بأهل السنة والجماعة ويدعون عن الأحزاب الإسلامية الأخرى فرقا باطلة. وكذلك بعض الأحزاب اللواتي تهمون بالدعوة والتصوف يوجد فيهم مثل هذه الاعتقادات؛ كحزب ديوان باغي، وحزب كتوب باغي، وحزب جاندر بوري، وحزب راجار باغي، وحزب سوريششوري. وهم يعتقدون أن قبور شيوخهم أقدس مكان على وجه الأرض، فيرفعون قبورهم وينون عليها ويتخذونها عيداً ويأفدون السراج عليها، فيسجدون قبورهم إجلالاً واحتراماً لها ويطلبون منها الذرية ودفع المصائب وتفريج الكرب، ويقدمون لهم النذور من الأموال والحيوانات. ويعتقدون أن أصحاب هذه القبور لهم طاقة في تصريف الأمور وإدخالهم الجنة (الشيخ ممدوح الحربي، ٢٠١٠م: ٤٣٦).

وكذلك الأحزاب الخمسة مهتمون بالتصوف الدعوة كحزب ديوان باغي، حزب كتوب باغي، حزب جاندر بوري، حزب راجار باغي، حزب سوريششوري هم يصرفون الناس عن القرآن والحديث وفتح باب التأويل الباطن لنصوص القرآن والحديث وإتلاف العقيدة الإسلامية والدعوة للفسق والفجور، وأنهم متأثرون بالشرك والبدعة؛ يستحلون الغناء والاحتلاط والتظاهر بالكفر والزندقة، كما أن حزب سوريششوري تباح فيه السجدة التحية والغناء والرقص؛ وحزب جاندر بوري يعتقد إن الذين وصلوا إلى الدرجة العليا لا يحتاج إلى العبادة، ولا يفرق بين الله وجبرائيل بل يعتقد الله هو جبرائيل؛ وحزب ديوان باغي يعتقد لا يحتاج الدخول إلى الإسلام للوقاية من عذاب الله، ويدعون أنفسهم من نسل الرسول ﷺ (مولانا محمد حميت الدين، ٢٠١٠: ٤٨٠-٥١٥).

وكذلك جمعية حزب الله، وجمعية تعليم حزب الله، وأنجمان الإصلاح بنغلاديش هم يركزون على التصوف وتزكية النفس والأذكار فقط، ولكن لا يهتمون بإقامة دين الله في أرضه ولا يفكرون عن الاقتصاد الإسلامي، وهم أيضاً لا يخلون عن البدعة وإن كانت قليلة كما يدعون الجماعة الإسلامية وجماعة أهل الحديث والسلفيون.

ففهمنا من المناقشة المذكورة أن الجماعة الإسلامية بنغلاديش والحركة الإسلامية بنغلاديش وجمعية الاتحاد الإسلامية بنغلاديش أحزاب سياسية إسلامية وإن كان بينهم اختلاف أصلي، وأنهم يسعون لإقامة الدين في البلاد حسب مساعيهم، وأن جمعية المتحدة

الإسلامية حزب باطل ومانع لإقامة الدين في البلاد، وأن جماعة التبليغ وجمعية حزب الله يعملان لتنشئة الأخلاق الحسنة شخصيا بعيدين عن القضايا السياسية.

٤. أسباب الخلاف بين الفرق الإسلامية في بنغلاديش

كما ذكرت آنفا بأن الفرق الإسلامية في بنغلاديش تختلف فيما بينهم، لايهتمون بآراء الآخرين وإن كانت صحيحة، بل يخالفهم لأسباب مختلفة. وكان الأستاذ سعيد النورسي (١٨٧٧-١٩٦٠م)^(١) تقدم في هذا المجال بعض العوامل التي تخدم الوحدة في المجتمع الإسلامي، وهي اسباب الاختلاف بين المسلمين. فهذه الأسباب أكثرها موجودة بين الأحزاب الإسلامية في بنغلاديش، فمن هؤلاء الأسباب أهمها:

١. الجهل بمفاهيم الإسلام؛

٢. إهمال العلم الشرعي؛

٣. الأنانية والغرور وحب السمعة ضد الإيمان؛

٤. سلوك المسالك النافية للأخوة الإسلامية؛

(١) إن المرشد الإسلامي الجليل الأستاذ سعيد النورسي كان متميزا بعمقه العلمي و اتساع آفاقه الفكرية و الإخلاص لدين الله و ربطه بين التراث و الحياة المعاصرة، و لإعراض الكلّي عن الدنيا و زخرفها و دوام مراقبته و ذكره لله. ولد في عام ١٨٧٧م من أسرة كردية في قرية (نُورُس) شرقيّ الأناضول في تركيا (شكران واحدة، ٢٠٠٨: ١٥)، ونشأ في بيئة كردية يحيم عليها الجهل والفقر. وكانت أسرته متدينة حيث كان والده لا يطعم أولاده إلا الحلال الطيب (سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ٢٠٠٤: ٣٥). ظهرت على النورسي علامات الذكاء مبكراً. وكان ذاكرته قوية حيث حفظ حوالي ٩٠ كتاباً من أمهات الكتب. وهو تعمق في دراسة العلوم المختلفة من رياضيات وكيمياء وفيزياء وفلسفة وتاريخ وجغرافية حتى سمي بـ"بديع الزمان" لنموغه فيها (د. جمال الدين فالح الكيلاني و د. زياد حمد الصميدعي، ب ت : ١٤). وكانت حياته كلها ملحمة من ملاحم الوقائع و الحوادث، حيث تفقه في الدين ثم وقف لإظهار حقائق الإيمان وإصلاح أحوال المسلمين و إيقاظ المجتمع الإسلامي و إعادة الروح الديني فيه بواسطة خدمة القرآن الكريم و تفسيره وبيان أغراض آياته الكريمة. وقد واجه من أجل ذلك أنواعاً كثيرة من المعوقات ونالته وحشة السجون النائية المظلمة. لكنه لم يستسلم لشيء من ذلك. ولجّى النورسي نداء ربه الكريم سنة ١٩٦٠ الميلادي، فدفن في مدينة "أورفة". ولكن السلطات العسكرية الحاكمة لم تدعه يرتاح حتى في قبره؛ إذ بعد أربعة أشهر من وفاته وقع الانقلاب العسكري في تركيا فأخرج العسكر التركي رُفاته من القبر، ونقلوه بالطائرة إلى جهة مجهولة، فأصبح قبره مجهولاً حتى الآن (الشيخة ورغي، ٢٠٠٧-٢٠٠٨: ٨١-٨٢).

٥. عدم تعهد النفس بالتربية الروحية الإيمانية؛

٥. الإفراط في العزة وعلو الهمة؛

٦. الغلو في الشعور بالقوة وتوهم الاستغناء؛

٧. الجهل بالروابط السامية التي تربط المؤمنين ببعضهم

٨. موت الصديق في الحياة الاجتماعية و السياسية

٩. حصر الهمة بالمنفعة الشخصية

١٠. حب العداوة والأخذ بأسبابها

٥. فكرة الاتحاد الاسلامي عند سعيد النورسي

إن الوحدة والاتحاد الإسلامي عند النورسي نافذة واسعة، وفريضة شرعية وعبادة عظيمة، ومقتضيات الفطرة الذوق السليم للذات يملأ على الإنسان حب المحبة وبغض العداوة. وهو واجب مستعجل في كل عصر؛ وأكثر وجوباً في العصر الحاضر. وكان الشيخ الأستاذ سعيد النورسي شعر ذلك بكل مهمة، واستخلص وفقات دقيقة ونظرات عميقة عليه من فيض القرآن الكريم ومن هدي السنة النبوية الشريفة، فبذل جهوده للاتحاد بين المسلمين، لأن الاختلاف والشقاق بين أهل الإسلام من أهم أسباب الركود والتخلف في العالم الإسلامي. فإن الاتحاد يقوم على المحبة والتعاون والأخوة. كما قال النورسي:

إن مذهبي هو إبداء الحب للمحبة، وإظهار الخصام للعداء، أي أن أحب شيء إليّ في الدنيا هي المحبة، وأبغض شيء عندي هو الخصام والعداء (سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ٢٠٠٤: ٤٢٣).

وكان من اعتقاده بأن الاتحاد هو محل الاتفاق بين المسلمين، فمن أنكره ولم يعتقد تحريم العداوة والشقاق فقد أنكر معلوماً من الدين بالضرورة. وتعجب بالمجتهدين من المسلمين في السنن المستحبة والفضائل المندوبة، ولكنهم يغفلون من أصل عظيم ويتركون ما هو فرض واجب مقطوع به من غير احتمال وخلاف؛ ويستحيون العداوة والشقاق بينهم مع كون القرآن الكريم هو سر حياتهم وقائدهم إلى آخرتهم الذي جعل الخصومة والعداوة من أكبر المنكرات. فوضع النورسي بآيات القرآن الكريم وأحاديث النبوية ﷺ بأن الغفلة عن الاتحاد هو مخالفة عظيمة، لأن الخلاف والعداوة بين المسلمين معصية، والشقاق والتنازع بينهم كبيرة

من كبائر الذنوب (سعيد النورسي، اللمعات، ٢٠٠٤: ٢٣٤). فيمكن تخلص الأمة المسلمة من مرض الاختلاف باتخاذ النهي الإلهي: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦)، واتخاذ الأمر الرباني: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢). وكان النورسي يذكر لنا مع الأهتمام إلى الاتفاق والتوحيد بأن عناصر الاتفاق كثيرة لا تحصى، حيث قال:

إن خالقكما واحد، مالككما واحد، معبودكما واحد، رازقكما واحد... وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ الألف. ثم، إن نبيكما واحد، دينكما واحد، قبلتكما واحدة، وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ المائة. ثم، إنكما تعيشان معاً في قرية واحدة، تحت ظل دولة واحدة، في بلاد واحدة... وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ العشرة. فلئن كان هناك إلى هذا القدر من الروابط التي تستدعي الوحدة والتوحيد والوفاء والاتفاق والمحبة والأخوة، ولها من القوة المعنوية ما يربط أجزاء الكون الهائلة، فما أظلم من يعرض عنها جميعاً ويفضل عليها أسباباً واهية أو هن من بيت العنكبوت، تلك التي تولد الشقاق والنفاق والحقد والعداء. فيوغر صدره عداءً وغلاً حقيقياً مع أخيه المؤمن! أليس هذا إهانة بتلك الروابط التي توحد؟ واستخفافاً بتلك الأسباب التي توجب المحبة؟ واعتسافاً لتلك العلاقات التي تفرض الأخوة؟ فإن لم يكن قلبك ميتاً ولم تنطفئ بعد جذوة عقلك، فستدرك هذا جيد. (المكتوبات: ٣٤١).

٦. علاج مشكلة الخلاف بين الفرق الإسلامية في بنغلاديش من خلال رسائل النور لبديع

الزمان سعيد النورسي

أن مشكلة الخلاف بين الفرق الإسلامية في العالم الإسلامي عامة وفي بنغلاديش خاصة يمكن علاجها من خلال رسائل النور. لأنه قد تربى في مثل مجتمع تركيا حين ساد الجهل والفقر والإحاد والطغيان كأكثر البلدان الإسلامية. فسعى جاهداً في يقظة الأمة الإسلامية وإحياء الشريعة الإسلامية وإثارة الوعي بإثبات شعور الوحدة والاتحاد بينهم. لأن الوحدة والاتحاد الإسلامي من فكرته التجديدية والإصلاحية. وكان النورسي يخالف المخالفة بين المسلمين. وهو يعد الجهل والفقر والاختلاف أعداء في نهضة المجتمع، لأن جميع المفاصل الاجتماعية تنبع من هذه الأعداء الثلاثة. وهو يعتقد بأن الاتحاد والوحدة من طبيعة الإسلام وركنه. لأن الإسلام جعل المسلمين جماعة متآلفة يعاون بعضهم بعضاً وينصره و

يؤازره؛ و جعل الإسلام هذه الوحدة من القوة، كقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (سورة ال عمران: ١٠٣). وكذلك ويحذر الإسلام من أي تفرقة واختلاف مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة ال عمران: ١٠٥). وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (سورة الأنعام: ١٥٩). وأن الرسول الأمين ﷺ يهتم بالاتحاد ويحذر عن التفرق حيث قال: عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ وَمَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَعَلَيْهِ بِالْجَمَاعَةِ (الشيبياني: ٤٢). ولو أن المسلمين يؤمنون بهذه الآيات لا يمكن لهم أن تفرق بينهم المذاهب الدينية ولا أهواء السياسية ولا تباعد الأمكنة. ولكنهم إذا تركوا دينهم تفرقوا شيعاً وتجزؤوا أمماً، فزالت قوتهم وذهبت ريحهم واستولت عليهم غيرهم. وهو يعتقد بأن الجهاد في الشريعة لا يواجهه إلى داخل العالم الإسلامي، بل يواجهه إلى العالم الخارجي؛ فأما الجهاد في داخل العالم الإسلامي فهو جهاد دعوة وعلم وبذل و نصيحة المسلمين إلى حقيقة الإسلام (بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ١٩٩٣: اللمعة ثلاثون).

وكان الأستاذ النورسي عيّن بعض المشاكل للعالم الإسلامي التي سماها بأمراض الأمة الإسلامية في خطبته بالشام سنة ١٩١١م، وهي أسباب تأخر العالم الإسلامي وموانع الاتحاد فيما بينهم. وهي:

أولاً: حياة اليأس الذي يجد فيها أسبابه وبعثه.

ثانياً: موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

ثالثاً: حبّ العداوة.

رابعاً: الجهل بالروابط النورية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

خامساً: سريان الأمراض المعدية المتنوعة.

سادساً: حصر الهمة في منفعة الشخصية، ولمعالجة هذه الأمراض الستة الفتاكة، أبين

ما اقتبسته من فيض صيدلية القرآن الحكيم - الذي هو بمثابة كلية الطب في حياتنا

الاجتماعية - أبينها بست كلمات، إذ لا أعرف أسلوبا للمعالجة سواها (سعيد النورسي، ٢٠٠٤: ٤٩١-٤٩٢).

هذه كلها انحرافات نفسية، لأنها ترجع إلى الكبر والأنانية والحقد والحسد والغرور والعداوة التي هي ضرر تعوق الاتحاد والوحدة. كما قال الشيخ النورسي:
وإذا كان ثمة غرور وأنانية في النفس يتوهم المرء نفسه محقا ومخالفه على باطل، فيقع الاختلاف والمنافسة بدل الاتفاق والمحبة، وعندها يفوته الإخلاص ويحبط عمله ويكون أثرا بعد عين (سعيد النورسي، ٢٠٠٤: ٢٢٧).

فاجتهد النورسي لمداواة هذا الداء، حتى عرض علاج لازم ودواء ضروري لكل مرض من الأمراض الستة كي يثبت الاتحاد بين جميع المسلمين ويمنع العداوة والحقد ويقوم المجتمع على أسس المحبة والتعاون والأخوة؛ وهو قدم الأمل بمقابلة اليأس، والتربية بالإخلاص بمقابلة موت الصدق، والتربية على التواصل والمحبة بمقابلة الجهل بالروابط النورية، والتربية على روح الجماعة بمقابلة المنفعة الشخصية (د. عبد الكريم عكيوي، ٢٠١٥: ٨٨). وكذلك يلتزم على المسلمين التزكية والتواضع والإخلاص والمحبة للتخلص من هذه الأمراض.
وإذا التمسنا معالجة الخلاف بين الفرق الإسلامية في بنغلاديش من رسائل النور يظهر أماننا الأفكار التالية:

معالجة الخلاف الفردي

يرى النورسي أنّ المجتمع البشري يتكون من أفرادهم، فإصلاح نفس الفرد ومعالجة مشكلاته يعين في معالجة مشكلات المجتمع استنادا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١). لذلك كان في رأيه أول طريق نجاح العلاج الفردي والمجتمعي هي نفس الفرد، لأنها العنصر الجوهرية في كل مشكلة اجتماعية، فسعى سعيًا حثيثًا إلى تربيته وتحفيز طاقاته العقلية والروحية الكاملة (سعيد النورسي، ٢٠٠٤: ٥٨٢). ويرى النورسي أن إصلاح نفس الفرد تكون بأربعة أساليب، وهي (د. محمد أحمد عبد القادر ملكاوي ود. نهيلى علي حسن صالح، ٢٠١٣: ٢٩٦-٢٩٨):

أولاً: تصحيح عقيدة الفرد بمعرفة الله تعالى وصفاته كماله؛

ثانياً: تصحيح سلوك الفرد باجتنب المحظورات وفعل المأمورات والعمل الصالح؛

ثالثاً: تربية روح الفرد بالترغيب بنعيم الآخرة والترهيب من العذاب؛

رابعاً: تربية عقل الفرد وتكفيره على النقد الواعي البناء والبحث عن الحقيقة.

معالجة الخلاف الاجتماعي والسياسي

وكان فكر النورسي في معالجة الخلاف السياسي يمتاز بعدة خصائص وسمات، أفردته عن غيره من أهل الفكر، لأن العصر الذي عاشه النورسي عصر اضطراب وقلق حضاري وسياسي مع. رغم هذا جاء فكر النورسي فكراً مؤثراً وهادفاً لإصلاح الاضطراب، واقتلاع ذلك القلق معتمداً على كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله، وساعده على ذلك نضوج فكره السياسي مبكراً، فوعى الأحداث بوضوح تام يعج بها فكره حيث أنه قد ضمن أفكاره السياسية في ثنايا كتاباته. فمن أهم توجهاته السياسية المبثوثة في تراثه الفكري، وهي (محمد عوض المزاينة، ٢٠٠٧: ١٦٧-١٧١):

أولاً: الإيمان بمبدأ الحوار؛

ثانياً: التلازم بين الفكرة والبرهان؛

ثالثاً: الابتعاد عن التعميم والعزوف عن المكاسب؛

رابعاً: الانضباط في الفكر والممارسة؛

خامساً: موضوعية الفكرة؛

سادساً: السمو والأصالة.

وكان النورسي سلك في عملية الإصلاح بعض المسالك، وهي مهم لإثبات الوحدة والاتحاد في المجتمع الإسلامي في بنغلاديش، فمن أهمها:

١. الاهتمام بمفاهيم الإسلام: قد يوجد الاختلاف ظاهرة في المجتمع الإسلامي في

بنغلاديش. كل حزب يعيّن الآخر لقلة علمهم حتى يكفرون بعضهم بعضاً. لا

يمكن التخلص من هذا الخلاف إلا بالاهتمام بمفاهيم الإسلام. لأن المفهوم عن

حقيقة الإسلام مهم في حياة المسلم، لذلك من يفهم الإسلام فهماً حقيقياً تصغر في

عينيه الاختلافات الفرعية، أما إذا اقتصر هذا الفهم يتضح مسائله الفرعية، وينفسح

المجال للاختلاف والخلاف، ويؤدي إلى شيوع مفاهيم مغلوطة حتى يمزق وحدتهم

ويفرق جماعتهم. وكان النورسي أدرك الأسباب من وراء التفرقة بين المسلمين، فينبههم

عن هذه الاختلاف والعداوة والخصومة، ويحذرهم منها، واجتهد لإزالة هذا الداء

بإصلاح نظام التعليم. وقد بدأ النورسي يطلع العلوم الحديثة، واهتم بإنشاء "جامعة

الزهراء" حيث يجمع فيها علوم الدين وعلوم الدنيا ويقرأ فيها الوحي المنزل والكون المخلوق. لأن تدريس الدين في المدارس العلمية والتقنية الحديثة يعصم الطلبة من الشك والإلحاد، وتدرس العلوم الحديثة في مدارس الشريعة يعصم طلبتها من التعصب وضيق النظر، فيلتقي الفريقان على سبيل الوسط (أورخان محمد علي، سعيد النورسي: رجل القدر في حياة أمة: ٢٥-٢٧ و ٥٢).

٢. الدعوة إلى العمل الجماعي و تقديم مصلحة الجماعة على المصلحة الفردية:

لا يمكن التخلص من الخلاف بين الأحزاب الإسلامية في بنغلاديش إلا بتقديم مصلحة الجماعة على المصلحة الفردية، كما أن النورسي شدد على الدعوة إلى العمل بروح الجماعة، وأكد على أن روح الجماعة تشكل فردا معنويا له خصائص ومؤهلات لا يمتلكها شخص الفرد الحقيقي، مثل: القيادة الحكيمة والوقوف في وجه التحديات، ستمتازان يفقدنهما الفرد بسبب الأنانية وحب الذات، وقال في ذلك:

فلسنا في الزمان الغابر، حيث كان الحاكم شخصا واحدا ومفتيه ربما شخص واحد أيضا، يصحح رأيه ويصوبه، فالزمان الآن زمان الجماعة، والحاكم شخص معنوي ينبثق من روح الجماعة، فمجالس الشورى تملك تلك الشخصية (سعيد النورسي، صبقل الإسلام، ٢٠٠٤: ٣٥٢).

٣. مخالفة الأنانية: الأنانية مرض من الأمراض القلوب في الفرد والمجتمع. لا يجتمع في

قلب حب السمعة وتعظيم النفس وغرورها مع الإيمان، فإذا سيطرت هذه الصفات الأنانية على النفس صار الهوى والشهوات النفسية موجهة للسلوك، وصعب إنقاذ الإيمان حتى تنشأ مشكلات كثيرة. وإن أكثر الأحزاب في بنغلاديش لا يبالي إلى هذا المهم، بل يظنون أنهم جماعة صحيحة. هذه هي السبب المهم للخلاف بينهم.

ولكن لا يمكن الاتحاد إلا التخلص من هذا المريض. وكان النورسي يخالف الأنانية في الرأي في كل موضوع، بل يعتدل ويتخذ الإنصاف دليلا ومرشدا، وهو صاحب كل مسلك حق يستطيع القول:

أن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي فحسب" أو أن الحسن والجمال في مسلكي

وحده" الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها (سعيد النورسي، اللغات، ٢٠٠٤: ٢٢٨).

وهو عدّ الأنانية والغرور وحبّ السمعة ضداً للإيمان وأعظم خطر عليه، لذا لا يجتمع في قلب حبّ السمعة وتعظيم النفس وغرورها مع الإيمان، لأن هذه الصفات الأنانية إذا سيطرت على النفس صار الهوى والشهوات النفسية موجهة للسلوك، وصعب إنقاذ الإيمان. كما جاء في قوله:

إن أعظم إحسان أعدّه في هذا الزمان وأجلّ وظيفة، هو إنقاذ الإنسان لإيمانه والسعي لإمداد إيمان الآخرين بالقوة، فاحذر يا أخي من الأنانية والغرور، وتجنب من كل ما يؤدي إليهما، بل ينبغي لأهل الحقيقة في هذا الزمان نكران الذات، ونبد الغرور والأنانية، وهذا هو الإلزام لهم؛ لأن أعظم خطر يتأتّى من الأنانية والسمعة (سعيد النورسي، الملاحق، ٢٠٠٤: ٢٥٩-٢٦٠).

وكذلك واضح النورسي علاجها بقوله: "إن تباين الأفكار هذا قد هزّ أساس الأخلاق الإسلامية، وفرّق اتحاد الأمة وأخرنا عن ركب الحضارة، لأن أحدهم يكفر الآخر ويضلله، بينما الآخر يعدّ الأول جاهلاً لا يوثق به، وهكذا ساد الإفراط والتفريط، وعلاج هذا الداء هو الصلح النابع من توحيد الأفكار، وربط العلاقات ووصلها حتى يوصل إلى نقطة الاعتدال، فيتصافح الجميع، ويتفقوا جميعاً لئلا يخلوا بنظام الرقيّ (النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٧٣).

٤. **الإخلاص:** إن أهمية الإخلاص في زوال الخلاف وإثبات الوحدة كثيرة. وكان عند النورسي اهتم به في عملية الإصلاح. لأن الاتحاد عنده هو أكبر قوة في النجاح والفلاح، وهذا لا يحصل إلا بالإخلاص، لأن الإنسان لا يتخلص من الأحاسيس القدر مثل الرياء والحسد والطمع بغير الإخلاص.

٥. **الأخوة:** إن الأخوة لها أهمية بارزة في المجتمع الإسلامي. لا يمكن الاتحاد بين الأحزاب الإسلامية في بنغلاديش خاصة وفي العالم الإسلامي عامة إلا الأخوة الإسلامية. سلوك مسالك النافية كالفسطة وانعدام الشورى؛ فإنها نابعة من داخل النفس البشرية التي تنحرف السلوك العملي وتظاهر مشاكل الخلاف وتختفي الحقيقة؛ وتأسس غالباً على التعصب، وهي مذمومة للأخوة الإسلامية، مفرقة للانتساب

الجنسي الإنساني، مخالفة للتعاون الفطري. وكان النورسي يعتقد بأن الوحدة والاتحاد لا يتحقق بين المسلمين إلا بالأخوة الحقيقية؛ لأن الإسلام يقضي الأخوة، وهي لا تقوم على المعارضة. كما قال النورسي: إن المؤمن يجب أخاه، وعليه أن يوده، فأبما تصرف مشين يصدر من أخيه يحمله على الإشفاق عليه (سعيد النورسي، المكتوبات، ١٩٩٢: ٣٤٠). وعلى هذا كانت طلبة النور هم أخوة وأصدقاء؛ معينين ومظاهرين لبعضهم، وإنهم يفنون في بعضهم، يعبر عن هذه الحالة في رسائله بتعبير "الفناء في الإخوان".

٦. حمل دعوة القرآن: ينبغي للمسلمين في أنحاء العالم للوحدة أن يجعل خدمة الإيمان وحمل دعوة القرآن من أساس مسالكهم. وكان النورسي يهتم على هذه بدعوته. لأن القرآن يدعو الناس إلى الوحدة والاتحاد، حيث قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣). وهذا هو العمود الأساس للمجتمع الإسلامي.

٧. الجمع بين العلم والدين: إن العلوم الدينية ضياء القلب، والعلوم الحديثة نور العقل، وبالجمع بينهما تظهر الحقيقة، وبافتراقهما يتولد التعصب في المجتمع. وكان النورسي أبان عن التعليم الديني والتعليم المعاصر، فاهتم بإصلاح المجتمع إلى علاقة عدائية بين العلم والدين. لذلك تبني النورسي مشروع تدريس العلوم الدينية في المدارس الحديثة، وإدخال العلوم الحديثة إلى المدارس الدينية، ليظهر التكامل بين المنهجين. كما جاء في قوله:

للتصافح العلوم النابعة من الفلسفة مع الدين، وتتصالح الحضارة الأوربية مع حقائق الإسلام مصالحة تامة، ولتتفق المدارس الحديثة وتتعاون مع المدارس الشرعية في الأناضول (سعيد النورسي، الملاحق، ٢٠٠٤: ٤١٧).

٨. الجمع بين العلم و الأخلاق: إن العلم لا يكتمل إلا بالأخلاق، فالعلم والإيمان ثنائية لا يمكن التفريق بينهما. وكان النورسي يهتم بجمعهما. وكان منهجه يتمحور في تنوير الأذهان وإنقاذ الإيمان وتطهيره من الفكر الإلحادي والمادي وفي الميل إلى المجال التعليمي والتربوي وتزكية النفس. فاتبع في منهجه الإصلاحي خطوات عملية تربوية؛ فقد استخدم فيه كل الوسائل المتاحة من خطب ومواعظ ومحاضرات ورسائل وغيرها

من الوسائل، واستعان في كل ظرف بما يصلح له. وكان هدفه في كل ما كتبه هو المحافظة على العقيدة والإيمان في نفوس الناس وتلخيص مجتمعه من المشكلات الاجتماعية التي كدّرت صفو الحياة في كلّ مجالاتها.

٩. **التوسط وعدم التعصب في الإصلاح:** أن كثيرا من حركة الإصلاح الديني والاجتماعي لم تؤت ثمارها بسبب غياب البعد التنظيمي، وظهور المركبات غير الأخلاقية في الوسط الإسلامي. ولكن حركة الإصلاح النورسي تجاوز السلبيات، وهو لم يكن من المؤمنين المتعصبين، بل كان منهجه الإصلاحية يميز بالتوسط بين منهج الإصلاح في ثوبه القديم وثوبه الحركي (د. المصطفى تاج الدين، ب ت: ١١٧). وهو يبين أن الطريق الإسلامي الصحيح هو المنهج الوسط بين الإفراط والتفريط. وهي سهلة نافعة واستقامة. فإن الوسيطة والاستقامة هي أنفع طريق وأيسرها وأقصرها من بين جميع الطرق المسلوكة في حياة الإنسان الشخصية والاجتماعية. كما يقول:

أنه لا خير في الإفراط والتفريط في كل شيء. وإن الاستقامة هي الحد الوسط الذي اختاره أهل السنة والجماعة، ... فيا أهل الحق الذين هم أهل السنة والجماعة (سعيد النورسي، اللغات، ب ت: ٦٥٠)!

١٠. **الاهتمام بالعقيدة الصحيحة:** كثير من الأحيان في بنغلاديش وقعت الأحزاب الإسلامية في الخلاف في المسائل العقائدية. لذلك لا يمكن الاتحاد بها إلا بالاهتمام بالعقيدة الصحيحة. وكان النورسي اهتم به حيث اعتبرها أساس كل بناء، فصالحها مؤذن بصلاح الأحوال جميعا، كما أن الخلل فيها يؤدي إلى الضياع والخذلان في شتى مناحي الحياة. لذا جعل قضية الإيمان القضية الأساسية التي كرس لها حياته وفكره، ووظف لها كل طاقاته: "هي الإيمان... وإن زماننا هذا هو زمان خدمة الإيمان ووظيفتنا هي الإيمان وخدمتنا تنحصر في الإيمان". ولقد اتخذها النورسي وسيلة لإنقاذ أسس الإيمان وأركانه لا بالاستفادة من الإيمان الراسخ الموجود، وإنما بإثبات الإيمان وتحقيقه وحفظه في القلوب، وإنقاذه من الشبهات والأوهام بدلائل كثيرة ساطعة (أ). د. أحمد محمد أحمد الجلي، ب ت: ٢٣٨).

١١. **الاهتمام بالتصوف:** لا يثبت الاتحاد في المجتمع إلا بالتركيز على علاج أمراض القلوب. وهذا يوجد في علم التصوف. لذلك كان النورسي اهتم به. وهو قد عرف

التصوف معرفة تامة، فوجد التصوف في منهجه المكانة والتقدير الجدير به. فهو يقدر التصوف الصافي النابع من القرآن والسنة، ويعتبره مرحلة من مراحل الارتقاء الإيماني، ويهدف من خلاله إلى تجلي الحقائق المبينة في القرآن، والوصول إلى الكمال عن طريق القلب. لذا لا ينبغي أن تجاهل أثر التصوف أو غمط أعلام التصوف الذين رفعوا راية الإيمان (أ. د. أحمد محمد أحمد الجلي، ب ت: ٢٤٢).

٧. الخاتمة

في الختام ما نقول، أن العلاج الحقيقي للخلاف بين الأحزاب الإسلامي في بنغلاديش موجود في رسائل النور. لأن هذه الرسائل تأثر مثل المجتمع التركي إيجابية من عصره حتى الآن، وهي كما يلي:

١. الرد على أعداء الدين من الدهريين والعلمانيين؛
٢. رجوع بعض الفلاسفة عن الكفر إلى الإيمان؛
٣. ازدياد عدد طلاب النورسي وانتشارهم في أرجاء البلاد؛
٤. المحافظة على الأمن بتربية الأخلاق؛
٥. المحاربة للجهل؛

وكذلك الشيخ الإمام بديع الزمان سعيد النورسي كان من أبرز رجالات الفكر الدعوى الإصلاحية التجديدي الذي يتركز في دعوته للاتحاد الإسلامي على أساس القرآن والسنة، والحوار بين المذاهب والديانات، والتسامح الديني، والفلسفة المادية الغربية وحضارتها؛ وهو أثبت الاتحاد والوحدة فريضة في الدين وضرورة عقلية وواقعية. وهو اعتبر العداوة والشقاق بين مرض العصر ومعضلة الزمان بالنسبة للمسلمين. ولهذا من لم يسعوا لرفع الشقاق بين المسلمين فقد خالف أصلا في الشريعة، وارتكب كبيرة في الدين، وخرج عن مقتضيات العقل السليم، وجانب التفكير السديد، وأعرض عن الحكمة واتخذ سبيل الغي سبيلا.

وكانت دعوته للاتحاد في صفوف المسلمين على أساس القرآن والسنة، والحوار بين المذاهب والأديان. وحاول على جمعهم تحت راية الإسلام رغما من الاختلافات الداخلية والفرعية التي كانت منتشرة حينذاك في المسلمين، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ (آل عمران: ٦٤). وعلى هذا لما دعاه علماء

العرب إلى دمشق لإلقاء خطبة سنة ١٩١١م حاول فيها أن يجمع المسلمين على أساس الإسلام، فدعاهم إلى الاعتصام بحبل الله والتسليم لتعاليم الإسلام وأحكامه والمؤاخاة بين العرب والترك. فكانت جهوده الإصلاحية اتسعت بالسماة التالية (عبد الله الطنطاوي، ب ت: ١٣٩-١٤٨):

أولاً: التدرج في الإصلاح والتغيير الذي يبدأ بأفراد المجتمع.

ثانياً: الوسيط و عدم التعصب.

ثالثاً: التركيز على علاج أمراض القلوب.

رابعاً: توحيد الصفوف ونبذ الإقليمية تمشياً مع عالمية الإسلام.

خامساً: السعي لمداومة جروح البلاد وتقديم مصلحتها على مصلحته الخاصة.

سادساً: الشمول لمختلف جوانب الحياة التي تهم الفرد المجتمع.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- د. أحمد محمد أحمد الجلي، ب ت، بديع الزمان النورسي و تحديد دراسات العقيدة الإسلامية، المؤتمر العالمي السادس لبديع الزمان سعيد النورسي.
- أورشان محمد علي، سعيد النورسي: رجل القدر في حياة أمة.
- بديع الزمان سعيد النورسي <http://ar.wikipedia.org/wiki/>
- د. المصطفى تاج الدين، ب ت، مركزية الأخلاق في منهج الإصلاح عند النورسي، المؤتمر العالمي السادس لبديع الزمان سعيد النورسي.
- د. جمال الدين فالخ الكيلاني و د. زياد حمد الصميدعي، ب ت، بديع الزمان سعيد النورسي: قراءة جديدة في فكره المستنير، القاهرة، دار الزينة.
- د. طارق محمد أو رحيم، ٢٠١٢، رؤية النورسي للأحداث و الفتن التي وقعت في صدر الإسلام، مجلة جامعة كركوك، المجلد السابع، العدد ١، السنة السابعة.
- د. عبد الكريم عكيوي، "التزكية و تدبير الخلاف و أثرها في وحدة الأمة عند الإمام بديع الزمان سعيد النورسي"، النور للدراسات الحضارية و الفكرية، العدد ١١، يناير ٢٠١٥.
- الدكتور عبد الكريم عكيوي، أسس الوحدة الفكرية عند بديع الزمان سعيد النورسي، جامعة ابن زهر، المغرب.
- د. محمد أحمد عبد القادر ملكاوي و د. نهيل علي حسن صالح، أكتوبر ٢٠١٣، المشكلات الاجتماعية و معالجتها من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي، مجلة الشريعة و القانون، كلية القانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، السنة السابعة والعشرون، العدد السادس والخمسون.
- د. مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الرياض، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.
- الشيخ ممدوح الحري، موسوعة الفرق والمذاهب والأديان المعاصرة، ألفا-لنشر والإنتاج الفني، مصر، ٢٠١٠م.
- سعيد النورسي، ٢٠٠٤، اللغات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، اسطنبول، دار سوزلر.
- سعيد النورسي، ٢٠٠٤، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، اسطنبول، دار سوزلر.

- سعيد النورسي، ٢٠٠٤، الملاحق، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، اسطنبول، دار سوزلر.
 - سعيد النورسي، ٢٠٠٤، سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، اسطنبول، دار سوزلر.
 - سعيد النورسي، ٢٠٠٤، صيقل الإسلام (الخطبة الشامية)، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، اسطنبول، دار سوزلر.
 - سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري.
 - السيد المصطفوي جواد، مجلة التوحيد، ١٩٨٧م.
 - شكران واحدة، ٢٠٠٨، الإسلامية في تركيا الحديثة: بديع الزمان النورسي، ترجمة محمد فاضل.
 - الشيباني، كتاب السنة، الجلد الأول.
 - الشيخة ورغي، ٢٠٠٧-٢٠٠٨، البعد الروحي في منهج الدعوة عند بديع الزمان سعيد النورسي، مذكرة لنيل درجة الماجستير، جامعة العقيد الحاج لخضر، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ص ٨١-٨٢.
 - عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، الجزء: ٢.
 - محمد عوض الهزاعمة، ٢٠٠٨، الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي مفكر سياسي، المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية، المجلد العاشر، العدد الأول.
 - الأستاذ مصطفى قصير العاملي، "الوحدة الإسلامية: دراسة في الطرق العملية لتحقيقها" مجلة رسالة التقريب، العدد ٩.
 - مولانا محمد حمايت الدين، العقائد الإسلامية والمذاهب الضالة (باللغة البنغالية)، دাকা، مكتبة الأبرار، ٢٠١٠.
- edited by Nur Kirabaev, *Values of Islamic culture and the experience of* Pochta Yuriy, *history*, Washington, Council For Research In Values and Philosophy.

أسس الائتلاف الإنساني ومعالم إدارة الاختلاف الحضاري مقاربة بين مقاصد النص القرآني ورسائل النور

د. مريم عمّار عطية

جامعة الملك خالد - أبها -

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

يعدّ موضوع المشترك الإنساني وبناء الائتلاف وإدارة الاختلاف الحضاري من المواضيع التي اكتسبت أهميتها القصوى في الآونة الأخيرة، لدى الشعوب قاطبة باختلاف مشاربها، وتنوّع ثقافتها بسبب فشل الخطابات القومية والعنصرية وفشل الدراسات والنظريات المخترضة على الصّراع والكراهية وسقوط فلسفات إقصاء الآخر وابتلاع الضّعيف في مقابل تأسيس لمنطق النموذج العولمي الواحد.

وبحثي الذي أتقدّم به إلى هذا الملتقى العلمي الدّاعي إلى الإيجابية هو أحد الومضات الثّورانية التي حاولت بكلّ إيجابياتها أن تبرز رسالة القرآن وهي تحمل تلك الأبعاد العالمية الكونية وتتغيّ إسهاد الإنسانية بالتركيز على تأصيل المشتركات الإنسانية.

ولمعالجة هذا الموضوع سرت وفق الخطة الآتية:

أولاً: مقتضى الإرادة التكوينية والتشريعية وأثرهما في إدارة الاختلاف.

أ- الأساس التّكويني ووظيفة تأصيلية.

ب- الأساس التّشريعي ووظيفة حمائية.

ثانياً: الأولويات الرّاهنة في بناء الائتلاف الإنساني.

ثالثاً: المسالك المعرفية والتربوية عند الثّورسي ودورها في بناء الائتلاف وإدارة

الاختلاف.

أولاً: مقتضى الإرادة التكوينية والتشريعية وأثرهما في إدارة الاختلاف

وردت عبارات كثيرة تشير إلى مصطلح الاختلاف في رسائل الثّور فقد جاء على لسان

الثّورسي لفظة: أوروبا الفاسدة، أوروبا النافعة، المسلمون والأجانب، المذاهب المختلفة،

التّصراية الحقيقية والنصرانية الزائفة، الخلاف الدّخلي والاختلاف الخارجى.

فما الذي يقصده النورسي بالخلاف والاختلاف؟
وقبل أن نجيب على ذلك نحاول ابتداء التعرّف على هذه اللفظة في القرآن الكريم.
أولاً: الاختلاف لفظة قرآنية

لفظة الاختلاف لفظة قرآنية فقد دلّت عليها آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾^(١) وأيضا ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾^(٢) وقوله تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾^(٣) والمقصود بالخلاف والاختلاف مطلق المغايرة في الرأي، الفعل، الحالة، الهيئة، الموقف ويفرز الاختلاف اختلافا في العقول والمدارك والألسنة والألوان بما هو آية من آيات الخلق المقصودة لغايات يعلمها الله ولحكمة هو أدرى بمكوناتها يقول تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْأَلْوَانِكُمْ﴾^(٤).

يؤمن النورسي كما هو ظاهر من كتاباته وكلماته وإشاراته ولوامعه، بأنّ الاختلاف ظاهرة صحيّة بل هي سنّة من السنن الكونية ومقصد من مقاصد تدبير الله لكونه الفسيح، لذلك لا يصحّ أن يُنظر إلى الاختلاف على أنّه ظاهرة مرضية يحاول فيها إلغاء أو إقصاء الآخر، ولعلّ التاريخ شاهد على تلك المحاولات العديدة لإلغاء الآخر والتي لم يُكتب لها النجاح، كما حدث مع التجربة الشيوعية مثلاً في حين كان للمسلمين تجارب مهمّة وناجحة أرسوا فيها قيم المشتركة الإنسانية في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر وخمسة قرون في الأندلس.

فتنويرات النورسي وقدرته على تأصيل المشترك الإنساني من آيات القرآن وقدرته على وضع سبل إدارة الاختلافات الحضارية لسعادة البشرية وأمنها، هو شعاع وضّاء قد سبق وثائق حقوق الإنسان التي تزعم أنّها أول من أصّل لما يجمع الإنسان بأخيه الإنسان.
كما أنّ تأصيل النورسي أيضاً للمشارك الإنساني واعتباره آية من آيات الإرادة الإلهية التكوينية هو رد على تلك النظريات والبحوث والدراسات التي سعت جاهدة لتأصيل الكراهية في المجتمعات وفي العالم وغدت تؤصّل إلى الإقصاء والدمار والقتل والترهيب.

(١)-الذاريات آية ٨

(٢)-الزخرف ٦٥

(٣)-هود ١١٨

(٤)-الروم الآية ٢٢

قوى عظمى تتحالف لإقصاء الأديان، وحروب يقودها العظماء لإزاحة مئات العرقيات

لقد كتب النورسي رسالة حين بلغ التوتر الديني أوجه في آسيا الصغرى وراح ضحيتها ٢٠% من أقوام الأناضول بداية من الحرب العالمية الأولى إلى بداية ثلاث وعشرون تسعمائة وألف (١٩٢٣م) وأرجع النزاعات الدينية إلى إقصاء حريات الآخرين فقال: «الغرور والأنانية في النفس وتوهم المرء نفسه محقًا ومخالفه على باطل فيقع الاختلاف والمنافسة بدل الاتفاق والمحبة»^(١).

كما يؤكّد النورسي على احترام إنسانية واختيار الآخر والسعي للتعايش في أمن وأمان فيقول في كتابه المناظرات « حرية غير المسلمين جزء من حريتنا».

لقد وضع النورسي معايير مهمة وقواعد ناصعة لبناء الائتلاف الإنساني وللمحافظة عليه ولتحسينه كما وضع في المقابل المعايير التربوية والعلمية لإدارة الاختلاف الحضاري وهو بذلك قد سبق الكثير من الفلاسفة الذين يشاد بأرائهم.

١-المعالم التكوينية لبناء الائتلاف الإنساني

وأقصد بها تلك الأسس المشتركة التي خلق الله الناس عليها مجتمعين ويمكن أن تكون أدوات مشتركة لبناء الائتلاف

أ-وحدة الأصل الإنساني

ويقصد بها النورسي كون الإنسانية لها أصل واحد يقول تعالى ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^(٢)، ويذهب النورسي بعيدا في تأملاته للكون والحياة والمصير والتأمل في الذات الإنسانية وخاصة قضية الخلق التي هي لغز الوجود، وينتهي النورسي بعد قراءاته للكون الكبير أنّ الماهية الوجودية للإنسان هي ماهية كونية كبرى ويعتبر أنّ أول باب للولوج إلى الماهية الإنسانية هي العلة الخلقية.

فإذا كان القرآن الكريم هو المصدر الأول والأساس لمنظومة النورسي فإنّ القرآن قد حدّثنا عن قضية الاستخلاف الربّاني قبل قصّة خلقه فلا يكون خلق آدم عليه السلام إلا

(١)-النورسي، اللّمعات، ترجمة إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، ط٧، ٢٠١٣م، ص ٢٣٨

(٢)-النساء آية ١

من بعد ما قدّرت له وظيفته الكونية لقوله عز وجل ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) ولذلك يربط النورسي الوجود الإنساني بالمنظور الكوني يقول في ذلك: «إنّ الإنسان هو الثمرة النهائية لشجرة الخلقة ومن المعلوم أنّ الثمرة هي أبعد أجزاء الشجرة وأجمعها وألطفها لذا فإنّ الإنسان هو ثمرة العالم، وأجمع وأبدع مصنوعات القدرة الربّانية وأكثرها عجزاً وضعفاً ولطفاً»^(٢) فالكون كلّ في منظور النورسي قد هُيئ للإنسان حتى يعيش فيه ويموت ثم ينتهي الكون كلّ بانتهاء الإنسان.

فالإنسان في منظوره أيضاً هو فهرسة الكون كلّ وبذلك يعدّ هذا من أهمّ المشتركات لبني البشر يقول النورسي: «إنّ الإنسان مع صغر جرمه وضعفه وكونه حيواناً من الحيوانات، ينطوي على روح غال، ويحتوي على استعداد كامل ويتبطن ميولاً لا حصر لها، ويشتمل على آمال لا نهاية لها ويحوز أفكار غير محصورة ويتضمّن قوى غير محدودة مع أنّ فطرته عجيبة كأنه فهرسة للأنواع والعالم»^(٣).

ب-وحدة الفطرة

وصف الإمام ابن عاشور الفطرة بأنها وصف الإسلام الأعظم ومن خلالها بُنيت مقاصد الشريعة كما ورد في كتابه العزيز ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(٤)، بل إنّ معنى الفطرة كما أشار لم يجد من أتقن الإفصاح عنه فاستنتج ابن عاشور أنّ الفطرة التي فطر الله الناس عليها هي أصل الخلقة الإنسانية، وهذا الأصل الانساني الطبيعي لا ينبغي أن يغيب في كلّ عقائد الإسلام، وبالرغم من أنّ ابن عاشور اعتبر قامة علمية يندر تكرّرها في التاريخ المعاصر لدقّة فهمه لأسرار الشريعة نجد النورسي قد سبقه إلى هذا الفهم الدقيق الذي اعتبر فعلاً من أصول الإنسانية المشتركة يقول النورسي: «أجل إنّ حقائق الشريعة التي أتى بها رسولنا محمد حافظت على التوازن الموجود في قوانين الفطرة، فلم تخل بالمناسبات اللازمة للروابط الاجتماعية فكلّما طال

(١)-البقرة ٣٠

(٢)-النورسي، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، ط٧، ٢٠١٣م، ص ٢٠٤

(٣)-النورسي، إشارات الإعجاز، ترجمة إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، ط٧، ٢٠١٣م ص ٢٦

(٤)-محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٨م، ص ٥٧

الزّمن ظهر الاتصال فيما بينها»^(١).

ج- وحدة الكرامة الإنسانية

تعتبر الكرامة الإنسانية من مظاهر الحياة بعد الخلق وتسخير الكون وسباق القرآن الكريم يدلّ على أنّ التّكريم هو التّفصيل ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(٢) فالإنسان خلق في أحسن الصّور وأكمل الهيئات وميّزه الله بالعقل وبلاستخلاف في الأرض لذلك التّورسي مفهوم الكرامة الإنسانية بمفهوم العموم والشّمول وجعلها تمتدّ امتداد المكان والزّمان فهو يراه مكّرماً بصرف النّظر عن أصله ودينه وعقيدته ومركزه وقيّمته ونسبه وحسبه، ولا يملك لأحد أن يجردّه من كرامته التي أودعها الله فيه متناسقة مع فطرته وطبيعته.

ت- الأساس التّشريعي وظيفه حمائية

وردت إشارات كثيرة من النّورسي متفرّقة مستلهمة من وحي القرآن تدلّ في مجموعها أنّ الآيات التّشريعية حمت الآخر وحرّمت استباحة دمه بغير وجه حقّ، كما أنّ مؤاكلة أهل الكتاب ومكافلتهم ومجاورتهم وصلّتهم وعيادتهم كلّها معالم تحمي هذا الاختلاف وأنا لا أريد أن أطيل في هذه الجزئية لذلك سأتكلم فقط عن حماية الحرية الدّينية لأنّ هذه المسألة أخذت أبعاداً مختلفة من طرف بعض المنتسبين للدّين والذين استخدموا كلمة الكفر وحدها وجعلوها علة لقتل الآخر أو نشر الكراهية والعداوة.

الحرية الدّينية في منظور النورسي

إنّ الدّين لا بدّ منه للإنسان الذي تسمو معانيه الإنسانية عن التشبّه بالمخلوقات الأخرى فالتدين خاصّة من خواص الإنسان ولا بدّ إذن لأيّ إنسان أن يحفظ دينه من أيّ اعتداء لذلك جاء الخطاب القرآني يدعو الناس إلى عدم إكراههم على اعتناق أيّ دين يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٣) ويستعمل مفهوم الحرية فلسفياً للدّلالة على استقلالية الذات فكرياً وسلوكياً وعلى خاصيّة الكائن الذي لا يخضع للإكراه، وتعني القدرة على

(١)- بديع الزمان النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي، ترجمة أورهان محمد علي، دار

سوزلر للنشر، ط ١، ١٩٩٧ ص ١١٧

(٢)- الإسراء ٧٠

(٣)- البقرة آية ٢٥٦.

الاختيار الإرادي وغياب الإكراه^(١) وهي بهذا المعنى حقّ للبشرية لأنّ الله خلق للإنسان العقل والإرادة وأودع فيه القدرة على العمل فالحرية ترتبط بالإذن التكويني المستقرّ في الخلقة الإنسانية^(٢) يقول النورسي في هذا الصدد: «إنّ الظهور على المدنيين من منظور الدين إنما هو الإقناع وليس بالإكراه وبإظهار الإسلام محبوبا وساميا لديهم وذلك بالامتثال الجميل للأوامر وإظهار الأخلاق الفاضلة»^(٣).

ثانيا: الأولويات الراهنة في بناء وتحسين الائتلاف الإنساني

١- التعارف الحضاري

إنّ اتجاهات الإنسانية اليوم نحو العالمية الشاملة محدّدة بأنساق التواصل، والتدافع والتلافي، لذلك يجعلنا هذا التوجّه نقف على تلك الإشارات الرئانية التي أصّلت لذلك الائتلاف الإنساني، بل سعت إلى ترتيب الأولويات لتحسينه، ندرك أنّ القرآن الكريم أسّس لرؤية كونية متوازنة لهذا الائتلاف عن طريق التعارف بين بني البشر يقول النورسي مفسّرا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٤).

أيّ خلقناكم طوائف وقبائل وأما وشعوبا كي يعرف بعضكم بعضا وتتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعية لتتعرفوا فيما بينكم ولم نجعلكم قبائل وطوائف لتناكروا فتتخاصموا^(٥). أشار النورسي بهذه العبارات الواضحة إلى أنّ غاية الخلق هو التعارف الإنساني العالمي المنبثق من التّكريم والتقوى والنورسي يشير أيضا إلى أهمّ أولوية يفتقدها العصر الحديث وهي التعارف العالمي المحكوم بالمنظومة الأخلاقية التي تكرم الإنسان وترفعه وتحترمه وتنأى به بعيدا عن الاستغلال والاستهزاء والتكبر وتسخره لتحقيق المصالح الخاصة ونشر الظلم وسفك الدماء، ولا يخفى أنّ المعاني التي تحدّثنا عنها آنفا كلّها من إفرازات العولمة ومن صدامها

(١)- محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ص ١٦٠.

(٢)- المرجع السابق ص ١٦٩.

(٣)- النورسي، صيقل الإسلام، ص ٥٣٥.

(٤)- الحجرات الآية ١٣.

(٥)- النورسي، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، ط ٧، ٢٠١٣ م ص ٤٠٠.

وتعدّيتها والتي هدفت بالدرجة الأولى إلى فرض قيمها وأهدافها على العالم دون احترام لخصوصيات وقيم الشعوب الأخرى.

ليس عجيباً أن نجد النورسي قد نوّه لهذا بقوله: « لقد انتشر الفكر القومي وترسّخ في هذا العصر ويشير ظالموا أوروبا الماكرون بخاصّة إلى هذا الفكر بشكله السّليبي في أوساط المسلمين ليمزّقوهم ويسهل ابتلاعهم، ولما كان في الفكر القومي ذوق للنفس ولذة تغفل، وقوّة مشوّومة، فلا يقال للمشغلين بالحياة الاجتماعية في هذا الوقت : دعوا القومية... وكذلك شعوب أوروبا، لما دعوا إلى العنصرية وأوغلوا فيها في هذا العصر نجم العداء التاريخي المليء بالحوادث المريعة بين الفرنسيين والألمان كما أظهر الدّمار الرهيب الذي أحدثته الحرب العالمية مبلغ الضّرر الذي يلحقه هذا الفكر السّليبي للبشرية»^(١).

لقد كان النورسي خبيراً بما حدث في تلك الحقبة في أوروبا من ظهور العصبية والقوميّات والدكتاتوريات الفاشية والنازية والشيوعية والرأسمالية وكلها كانت تنادي بالاستعلاء وبابتلاع الآخر دون احترام لآرائه وأفكاره وخصوصياته، حتى استعلى منطق القوة واستقوى وتقنن بوصفه صار فلسفة ومنطقاً للتعامل.

والنورسي لم يغفل أخطاء الشعوب التي وقعت في هذا التعصّب والعنصرية فيقول: «ولقد ظهرت طوال التاريخ أضراراً كثيرة نجمت عن القومية السّلبية، نذكر منها: «إنّ الأمويين خلطوا شيئاً من القومية في سياساتهم، فأسخطوا العالم الإسلامي فضلاً عما ابتلوا به من بلايا كثيرة من جرّاء الفتن الدّاخلية، وكذلك شعوب أوروبا، لما دعوا إلى العنصرية وأوغلوا فيها في هذا العصر نجم العداء التاريخي المليء بالحوادث المريعة بين الفرنسيين والألمان كما أظهر الدّمار الرهيب الذي أحدثته الحرب العالمية، مبلغ الضّرر الذي يلحقه هذا الفكر السّليبي للبشرية»^(٢).

لقد عاش النورسي فعلاً في فترتين متعاكستين في الهدف والدّور، عاش في أواخر زمن الدّولة العثمانية، وعاش زمن الدّولة العلمانية التركية التي أرادت أن تطمس كل ماله علاقة بالإسلام، ولقد كان الرّجل فعلاً مدركاً لتوجّهات القومية بكلّ ما تعنيه من العصبية القبلية

(١)-النورسي، المكتوبات، ص ٤٠١.

(٢)-النورسي، المكتوبات ص ٤٠١.

التي أدّت إلى التناحر والتقاتل وقد عبّر عن ذلك قائلا: « وكذلك الحال فينا ففي بداية عهد الحرية أيّ- إعلان الدّستور - تشكّلت جمعيات مختلفة للاجئين وفي المقدّمة الرّوم والأرمن، تحت أسماء أندية كثيرة، وسبّبت تفرقة القلوب»^(١).

فبالرغم من الوضع المتشابك الذي كان يعيشه النّورسي إلّا أنّه واجه هذه القوميّة العمياء بالكلمة الطيبة وبتربية الأفراد على الإيمان والإخلاص لله تعالى وكذلك تربية النفوس على التعايش والتعارف والترابط مستندا في ذلك إلى نصوص القرآن الكريم، لأنّه أدرك من خلال الواقع أنّ القومية السّلبية لن يكون نتاجها إلّا الإقصاء والنزاع والحروب والخراب.

يؤكّد النورسي في اتجاه آخر أنّ الإطار التّعارفي الحضاري الإنساني المؤسّس على المعيار الرّبّاني العادل لا يفرّق فيه بين العربي والأعجمي ولا بين الضّعيف والقوي وعندما يغدو هذا التّعارف الحضاري بمقاصده الشّرعية المبنية على التّقوى ومنظومة الأخلاق فإنّه لا محال سيغدو سبيلا لنشر الخير والإحسان والتّسامح ونشر المحبة ويتحوّل الصّراع إلى تبادل وتفاعل وتشارك من أجل تحقيق مصالح النّاس.

ويختم النورسي بتلك القناعة التي لا يخالجهما شك، قناعته بهدي ووحى القرآن بأنّ أيّ بديل عن القومية الإسلامية هو خدعة وأكذوبة، بل هو جناية على الإسلام يقول النورسي: «ولهذا فلا تكون الأخوة القومية مهما كانت قوية إلّا ستارا من أستار الأخوة الإسلامية وبخلافه، أي إقامة القومية بديلا عن الإسلام جناية خرقاء»^(٢).

سعى النورسي في مكتوباته إلى التركيز على المشتركات العامّة بين بني البشر وخاصّة تلك المشتركات العامّة والخاصة والدّاعمة وأن يحسنوا استغلالها في إطار التّعارف الحضاري الإنساني وفق منظومة أخلاقية ملؤها الإنصاف والمحبة والتكريم والاحترام وأنّ على الإنسان أن يقف أمام طبيعته المنشطرة بين الخير والشرّ فينمّي جانب الاتفاق والوئام ويتغلّب على نزعات الغرور والشرّ والاختلاف والتنازع حتى يحقق ائتلافا إنسانيا.

الأولوية الثانية: الأمن والسّلم العالميين

إنّ الأمن الذي يطلبه المسلمون وغيرهم، هو الأمن الذي يتأتّى بتكاتف جهود الأفراد

(١)-النورسي، المكتوبات ص ٤٠٢.

(٢)-النورسي، المكتوبات ص ٤٠٣.

وتعاونهم، ومن تعميق الثقة بالنفس وقد أظهرت رسائل النور حلاً لكثير من قضايا الإنسان الشائكة والمعقدة في ظل إرشادات القرآن الكريم والنورسي في رسائله يحاول أن يكون للعالم ارتباطاً برسائله لفهم إشاراته وتفسيراته وحكمة القرآن^(١).

ومسائل الأمن مما لا يدع مجالاً للشك صارت مبتغى الإنسانية اليوم الشاردة عن الحياة المليئة بالطمأنينة والسلامة ونحن إذا رجعنا إلى ما تعنيه اللفظة في آيات القرآن لوجدنا الأمن ينحصر في تلك الطمأنينة المقابلة للخوف والفرع والروع سواء في الحواضر ومواطن العمران وفي السبل والطرق وفي كل ما يتواصل به الإنسان ويتعامل به.

وهو أيضاً من المواضيع التي أولى العلماء لها شأنًا بل قعدوا لها القواعد ونظروا لها فمثلاً إذا تصفّحنا كتاب أدب الدنيا والدين لوجدنا الماوردي قد كفانا بقاعدته الرابعة الحديث عن ضرورة الأمن لاستقامة حياة الناس وتطوّر عمرانهم يقول: «أما القاعدة الرابعة فهي أمن عام تطمئنّ إليه النفوس وتنتشر به الهمم ويسكن فيه البريء ويأنس به الضعيف، فليس لخائف راحة ولا لحاذر طمأنينة وقد قال بعض الحكماء: «الأمن أهنأ عيش والعدل أقوى جيش لأنّ الخوف يقبض الناس عن مصالحهم ويحجزهم عن تصرفهم ويكفّهم عن أسباب المواد التي بها قوام أودهم وانتظام جملتهم»^(٢).

ولقد أثر الماوردي فيمن بعده، إذ جعل هذه القاعدة من القواعد التي تستقيم بها أمور الناس ومعاشاتهم وأنها الباعثة على ازدهار العمران وانتشاره كما جعلها ابن خلدون أيضاً من أسباب قيام الحضارات وسقوطها.

لم يُغفل النورسي هذا المعنى وقد ركّز على الابتعاد عن الصّراع مع القوى الكبرى وتحمل مسؤولية خدمة الإيمان، وحذّر المسلم من الصّراعات من أجل امتلاك نفوذ الدنيا الزائلة لأنّ هذا لا يزيد الصّراع إلّا صراعاً ولا يزيد الحروب إلّا اشتعالاً، بل على المسلم أن يتمسك

(١)-يقول النورسي: « فرسائل هذا شأنها لا بد أن العالم وما حوله بأ جمعه سيكون ذا علاقة بها، ولا جرم أنها حقيقة قرآنية تشغل هذا العصر والمستقبل وتأخذ جل اهتمامه وأنها سيف ألماسي بتار في قبضة أهل الإيمان» النورسي، الملاحق، ترجمة إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، ط٧، ٢٠١٣م، ص ٢٤٨.

(٢)-الماوردي، أدب الدنيا والدين، تحقيق كريم راجح، دار إقرأ، ١٤٠٥، ١٩٨٥م، ط٤، ص ١١٩، ١٢٠.

برسالته الحقيقة وهي خدمة الإيمان

فالسعي نحو خدمة الإيمان هو السبيل الأوحى لتحقيق أمن المجتمعات البشرية يقول: «ويصل الإخلاص للقضية إلى حد أنه لو ملك أحد عقلا وإدراكا للأمور أضعاف ما يملكه الآن لبدله كله فيما يلزم تلك القضية وفي سبيلها»^(١).

فالقضية التي يراها النورسي مبعثا حقيقيا للأمن والصّلاح هي الدين الإسلامي يقول: «هو الروح الإنسانية الكبرى التي ينبغي على كل من أراد أمنا وسلاما وصلاحا أن يجعله قضيته المصيرية ويفوز في ظلها بشهادة الإيمان ويحترز من التفريط في صيانتها فمن لم يراعها حق رعايتها فسوف يضيع حتما تلك القضية ويخسر»^(٢).

الأولوية الثالثة: التعايش السلمي

إن فكرة تصادم الحضارات أكبر فكرة هدّدت أمن المجتمعات الإنسانية وراجت وتداولها العقلاء والجهلاء على السواء وكان لها أسوأ الأثر في زرع بذور العداء والتمزّق بين الإنسانية، والقرآن الكريم انطلق واضحا في آياته يدعو إلى المسالمة والتعايش ومعاملة غير المسلمين بالحسنى يقول تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٣).

ولقد عبّر النورسي عن أفكاره تطبيقا حين زار سنة ١٩٥٣م البتيريك أثينا غوراس في مقره الواقع في إسطنبول للبحث عن آليات التعاون لمجابهة للإلحاد الذي يروج له في تركيا، كما دعا النورسي إلى اتحاد المتدينين الروحيين وتواديهم بعد الخروج من الحرب العالمية الثانية، ومما يؤكّد هذا التوجّه عند النورسي ارتياحه لاتفاقية بغداد المتوصّل إليها في عام ١٩٥٥م لأنها جمعت بين أربعمئة مليون مسلم وثمان مئة مليون نصراني، كما بذل النورسي جهودا لإقامة علاقات ودّية متينة مع المسيحيين في أوروبا وبهذا الخصوص بادر بإرسال مجموعة من أعماله إلى البابا بيوس الثاني عشر في الفاتيكان واستلم جوابا منه في ٢٢ شباط ١٩٥١م، وقد سعى النورسي دائما لتعميق الرّوحانية في أوروبا التي انغمست في حيوانيتها وشهواتها

(١)-النورسي، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، ط٧، ٢٠١٣م ص ٢٥٣.

(٢)-المصدر نفسه.

(٣)-المتحنة آية ٨.

ولمذاً فهو يخاطبها قائلاً: « يا أوروبا الثانية اعلمي أنك قد أخذت بيمينك الفلسفة المضلة السقيمة، وبشمالك المدنية المضرة السفيهية، ثم تدعين أنّ سعادة الإنسان بهما... ولما كان الإنسان بمقتضى إنسانيته يتألم بألم الآخرين فلا يستطيع أن يتحمّل ما يراه في هذا الطريق من ألم غير محدود...»^(١).

إنّ النورسي يحترم آراء الآخرين ومعتقداتهم وهنا هو يخاطب أوروبا التي نأت عن التصرانية وقيمها الخلقية وأصبحت ترسل للناس كل سفاهة وظلال وهذا في رأي النورسي من السبل التي تجعل البشرية تنحرف عن مسلك التعايش الحقيقي ما لم تكن هناك قيم أخلاقية مشتركة بين الأديان.

يشير النورسي إلى قاعدة مهمّة في تحقيق التعايش وهي أنّه على كلّ شخص أن يعتقد أنّ مسلكه حق ولا يحقّ له الاعتقاد الجازم في أنّ الحقّ هو مسلكه فقط يقول النورسي: «إنّ مسلكي حقّ وهو أفضل وأجمل» ولا يقول: «الحقّ هو مسلكي فحسب وإنّ الحسن والجمال في مسلكي وحده»^(٢).

ثالثاً: المسالك المعرفية والتربوية عند النورسي دور وقصد في إدارة الاختلاف

١- اهتمام النورسي بالحوار مع الآخر

الحوار فعالية خطابية وهو الأصل في الكلام، ولا يمكن أن ننكر أنّ الحوار اليوم أصبح ضرورة دفع إليها التنوّع الثقافي وتمايز المصالح الاقتصادية والسياسية وغدا الرجوع إليه أمراً بالغ الأهمية لإدارة الصّراعات الحضارية القائمة وتدبير الاختلاف بين البشر ولقد انتشرت مصطلحات عديدة كلها تعمّق فكرة الحوار كالحوار الإسلامي المسيحي، الحوار العربي الأوروبي، حوار الحضارات.

تظهر انطلاقة النورسي إلى حوار مع غير المسلمين من قناعاته بآليات الحوار المبنوثة في نصوص القرآن الكريم، إذ نلمس انعكاساتها بآلياتها وأهدافها ومقاصدها التي أثّرت في النورسي تأثيراً واضحاً حتى في رسائل النور ومنهجها وأسلوبها وهي التي لم تعد أن تكون تفسيراً للقرآن الكريم، ولقد عني القرآن الكريم بالحوار لأنه الأسلوب الأمثل للإقناع وهناك

(١) النورسي للمعات، ص ١٦٣.

(٢) النورسي، للمعات، ص ٢٢٩.

نماذج عديدة من الحوار كحواره عز وجل مع إبراهيم وموسى والملائكة وحوار صاحب الجنتين وحوار نوح عليه السلام مع قومه.

فظهر مصطلحات الحوار في رسائل النور^(١) ليست بدعا من النورسي إذ أنّ مرجعية القرآن هي التي أسدلت بظلالها على الرسائل.

يؤمن النورسي إيمانا قاطعا بأنّ الديانات السماوية أحادية المصدر كما يؤمن بأنّ النصرانية الحقيقية هي التي ذكرت معالمها في القرآن الكريم لذلك فإنّك تجده متشوّفا إلى إيصال صوت القرآن إلى أهل الكتاب^(٢) يقول النورسي: «إنّ هذا العصر الذي اغترّ بنفسه وأصمّ أذنيه عن سماع القرآن أكثر من أيّ عصر مضى، وأهل الكتاب منهم خاصّة أحوج ما يكونون إلى إرشاد القرآن الذي يخاطبهم بأهل الكتاب حتّى يكون ذلك الخطاب موجّها إلى هذا العصر بالذات، إذ لفظ أهل الكتاب يتضمّن معنى أهل الثقافة الحديثة أيضا»^(٣).

والنورسي يمارس مع هؤلاء أسلوبا تربويا ويحاول أن يشوّقهم إلى الإيمان قائلا: «لا يشقّ عليكم الدّخول في هذا السّلك، إذ لا تخرجون عن قشركم بالمرّة بل إنّما تكملون معتقداتكم وتبنون على ما هو مؤسّس لديكم»^(٤). والنورسي قبل أن يفتح باب الحوار مع المخالف يعلّمنا منهج التعرّف على الآخر وسبر أغواره حتى يكون الحوار هادفا ومنتجا. ويركّز أيضا على هذه النّقاط التي استخلصتها من كلماته

أ-المدنيّة الحاضرة عاجزة أمام حكمة القرآن

يدعو النورسي البشرية إلى الحكمة القرآنية لتحقيق السّعادة البشرية بل إنّنا نجد يشفق على المدنية الحاضرة وعجزها أمام هدي وحكمة القرآن فهو حريص برحمة الهداية القرآنية أن يدعو المدنية الغربية إلى الانتهاك من ينبوع الحكمة القرآنية حتّى ترتقي بحياة اجتماعية إنسانية يقول النورسي: «وهكذا يمثل هذه المسائل، فإنّ كل مسألة من آلاف المسائل القرآنية تضمن

(١)-اشتملت رسائل النور على مثل هذه المصطلحات المناظرة، المذاكرة، الخطاب، المناقشة، النقاش، المحاور، الحوار، الجدال، الاقتناع، الاقتناع

(٢)-يتجاوز النورسي بمعنى لفظ أهل الكتاب إلى معنى آخر وهو أهل الثقافة الحديثة ينظر النورسي، الكلمات ص ٤٧١.

(٣)-النورسي، الكلمات، ص ٤٧١.

(٤)-النورسي، إشارات الإعجاز، ص ٥٩.

سعادة البشر في الدنيا، كما تحقّق سعادته الأبدية في الآخرة، فلك أن تقيس سائر المسائل على المسائل المذكورة، وأيضاً فكما أنّ المدنية الحاضرة تخسر وتُغلب أمام دساتير القرآن المتعلّقة بحياة الإنسان الاجتماعية، فيظهر إفلاسها من زاوية الحقيقة إزاء إعجاز القرآن المعنوي، كذلك فإنّ فلسفة أوروبا وحكمة البشر (وهي المدنية) عند الموازنة بينها وبين حكمة القرآن بموازين الكلمات الخمس والعشرين السابقة ظهرت عاجزة وحكمة القرآن معجزة»^(١). يحاول النورسي أن يعرف المحاور الآخر العاجز بكل مقاييس العجز بإنتاجه المعرفي وخلاصة المدنية كلّها أنه لا يزال يتقلّب في مسالك الظلم والغرور والابتلاع والاستغلال والعدوان وأن نقطة المحاور الأساسية التي ينطلق منها هي حكمة المعجزة القرآنية التي تدعو إلى سماع الآخر والإنصات له.

يتوقّد النورسي ذكاءاً وحكمة ويقطف من ثمر القرآن ومعارفه وتنير له إشاراته ولمعاته ليدون فعلاً كلماته الخالدة بأن كل ما يقوله الإنس وأجل ما يقوله، وأبلغ ما يقوله الجن وأعمق ما تقوله الشياطين إذا اجتمعت كل أقوالهم ونتائج أفكارهم فلن يماثلوا أبداً قول القرآن، يقول النورسي في هذا الصدد: «ولقد توهم بعض قاصري النظر أن المعنى العظيم والحقيقة الكبرى التي تفيدها الآية الكريمة: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا تَنَبَّؤُوا مِنْ كُونِي وَكِيلًا﴾»^(٢).

والنورسي بهذا المعنى يؤسس لمصدر السعادة الإنسانية المشتركة وهو معين الحكمة القرآنية.

ب-دعوة النورسي الآخر إلى الرجوع إلى معين القرآن من أهمّ مسالك الائتلاف القرآني يقول النورسي في هذا الشأن: «وأيضاً فكما أنّ المدنية الحاضرة غلبت أمام إعجاز حكمة القرآن العلمي والعملية كذلك آداب المدنية وبلاغتها فهي مغلوبة أمام الأدب القرآني وبلاغته والنسبة بينهما أشبه ما يكون ببكاء يتيم فقد أبويه بكاء ملؤه الحزن القاتم واليأس المرير، إلى إنشاد عاشق عفيف حزين على فراق قصير الأمد غناء ملؤه الشوق والأمل»^(٣).

(١)-النورسي، الكلمات، ص ٤٧٢.

(٢)-الإسراء آية ٨٨.

(٣)-النورسي، الكلمات، ص ٤٧٢.

إن المدنية في نظر النورسي وبسبب إيمانها بالمادة والطبيعة فقد غفلت عن كل ما يشيع الروح، وظلت عن كل طريق تأنس به النفس وتبتعد به عن الجفاء والحزن واليأس وهذا الجو الكئيب المظلم هو حقيقة تكلم عنها النورسي منذ قرن ولا زالت المدنية تتخبط فيها وتنقلب في أروقتها.

في حين تدعو الحكمة القرآنية إلى صلة الإنسان بأخيه الإنسان وتعامله معه وفق ما تدعوه كل معاني الإنسانية والرحمة.

٥- الإقناع مسلك تربوي علمي من مسالك إدارة الاختلاف

أشار النورسي إلى أهمية التواصل مع غير المسلم قائلا: «وليطمئن غير المسلمين بأنّ اتحادنا هو المحجوم على هذه الصفات الثلاث (الجهل، الحاجة، النفاق) وبالنسبة إليهم فسيبلنا الإقناع لأننا نعتقدهم مدنيين وأنا مكلفون بأن نظهر الإسلام بمظهر الجمال والحسن المحبوب لأننا نظن فيهم الإنصاف».

هذه العبارات بقدر ما هي صريحة ولا تحتاج إلى إعادة قراءة فإنّ الذي يرغب في إظهار الإسلام بمظهر المعادي والكاره والإرهابي فهو لا ينتمي لحظيرة المسلمين، بل إنّ تلك النظريات التي صنعها الفكر البشري تارة باسم تصادم الحضارات وتارة باسم الإرهاب وأخرى باسم الولاء والبراء الغير مدروسين وفق مقاصدهما الشرعية هي التي هدمت المشترك الإنساني وزعزعت أواصر الالتقاء.

فالاغتماد على قوة المنطق كمسلك مرغوب دون اللجوء إلى منطق القوة وهو مسلك منبوذ غير مرغوب هو توجه قرآني ابتداء فالملو عز وجل يقول في محكم تنزيله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(١).

وقد نفت هذه الآية كل أنواع الإكراه في العقيدة والدين بدلالة لا النافية للجنس

ويعتبر النورسي الإقناع من وظائف المسلم بالرغم من جزئيته ونسبيته إلا أنّ على المسلم أن يحاول باستمرار مخلصا لله تعالى في ذلك يقول النورسي: «إنّ الظهور على المدنيين من منظور الدين إنما هو الإقناع وليس بالإكراه وبإظهار الإسلام محبوبا وساميا لديهم وذلك

(١)-البقرة، آية ٢٥٦.

بالامتثال الجميل للأوامر وإظهار الأخلاق الفاضلة»^(١).

ويؤكد على معنى الإخلاص في قوله: «إنّ وظيفتنا العمل والإيمان بإخلاص أمّا إحراز التوفيق وحمل الناس على القبول ودفع المعارضين فهو مما يتولاه الله، نحن لا نتدخل في ما هو موكول إلى الله تعالى حتّى إذا غلبنا فلا يؤثّر هذا في قوانا المعنوية وخدماتنا».

لا شك أنّ النورسي بهذا المسلك يفرق بين الوسائل والنتائج فمادام الإنسان مدني بطبعه فهو يعيش في جماعة يحتاج إلى الحجاج والإقناع أمّا المحصّلات والنتائج فهي ليست ضمن مسؤوليته.

٦- دعوة النورسي إلى تبادل المحبة ونشرها بين أهل الأديان

أصرة المحبة من الأواصر التي تكلم عنها النورسي كثيرا وهي سر من أسرار الله تعالى أودعه في جميع ذرات الوجود والنورسي يعتبرها جوهر الكون كله وبه تقوم حركة الموجودات كلها وقوانين الانجذاب والجذب والجاذبية التي تجري في الموجودات إنما هي آتية من المحبة وقد أشار النورسي لذلك بقوله: «كل ذرات الوجود في نشوة المحبة، الفلك نشوان، والملك نشوان، النجوم والسموات نشاوى، القمر والشمس والأرض نشاوى والعناصر والنباتات والأشجار نشاوى»^(٢)

ومن أجل إشاعة السلام والأمان في العالم يقول النورسي: «يا نفسي المحبة لنفسها، ويا رفيقتي العاشقة للعالم اعلمي أنّ المحبة سبب وجود هذه الكائنات والرابطة لأجزائها وأنها نور الكون وحياتها، ولما كان الإنسان أجمع ثمرة من ثمرات هذا الكون فقد أدرجت في قلبه الذي هو نواة تلك الثمرة محبة قادرة على الاستحواذ على الكائنات كلّها».

فالنورسي ركز على قيمة المحبة كقيمة مركزية لتحسين الائتلاف الإنساني وأساسا من أسس استقرار البشر وارتقائهم الروحي لأنّ النفس المحبة وحدها هي من تستطيع نشر الخير.

٧- تفعيل القيم الخلقية والروحية سبيل لإدارة الاختلاف

رسم النورسي صورة بدیعة في رسائله عن معالم الأخلاق الإسلامية وعلاقتها بالخالق والخلق والكون والنفس وهو بذلك تجاوز الكثير من النظريات التي أرادت أن تربط القيمة

(١)- النورسي، صيقل الإسلام، ص ٥٣٥

(٢)- النورسي، الكلمات ص ٧٢٨، ٧٢٩.

الخلقية باللذة أو المنفعة أو المصلحة أو تلك الأفكار التي دعا إليها الفلاسفة من فصل الأخلاق عن الدين.

ومن خلال الإشارات والعبارات المبتوثة في رسائل النور نجد النورسي لم يخرج عن دائرة القيمة الخلقية التي دعا إليها القرآن الكريم يقول في هذا الصدد: «نظام الأخلاق الذي يطبع صورة الروح الإنسانية بماهيتها ويسلك بها مدارج التربية والمجاهدة لاكتساب معناها الكوني»^(١).

لأنّ الأخلاق فطرة فطر الله الناس عليها ودور الدين هو تهذيب الفطرة وتثبيتها وقد أشار عبد الله دراز إلى المعنى نفسه قائلاً: «لن يكون دور هذه الشريعة الجديدة بلا ريب أن تبطل قانون الفطرة، لأنّهما حقيقتان مآكان لهما أن تتعارضاً، ولكن دور الشريعة الإلهية أن تثبت قانون الفطرة وأن تمنحه سنداً متيناً، وذلك بعد أن تستخلصه بكل نقائه وطهارته»^(٢). يكون النورسي بهذا المسلك قد نظّر إلى أنّ الأخلاق المستندة إلى القرآن والسنة ليست حاكمة فحسب بل هي شاهدة على كلّ القيم والأخلاق الفلسفية عند الغرب، وأنّ أصل العلاقات بين الناس بالرغم من اختلافهم لن تقام إلّا حين يلتزم بهذه المبادئ والقيم يقول النورسي: «لا تجد في القرآن آية إلا توحى بمحبة شديدة لله، وفيه حثّ كبير على الفضيلة خلا تلك القواعد الخاصّة بالسلوك الخلقي وفيه دعوة كبيرة إلى تبادل العواطف وحسن المقاصد والصّفح عن الشتائم وفيه مقت للعبج والغضب وفيه إشارة إلى أنّ الذنب قد يكون بالفكر والنظر، وفيه حض على الإيفاء بالعهد حتى مع الكافرين وتحريض على خفض الجناح والتواضع وعلى استغفار الناس لمن يسيئون إليهم لا لعنهم، ويكفي جميع تلك الأقوال الجامعة المملوءة حكمة ورشداً لإثبات صفاء قواعد الأخلاق في القرآن.

إنّ نداء القرآن حول الاجتماع بالآخر ليس نداء مقتصر على مكان ما أو زمان معين أو عصر معين بل هو نداء متجدد يملأ آفاق الأرض وينم عن ثقة المؤمن بأن أخيه الإنسان المنقطع في الأرض، الذي لم تصله هدايات القرآن النورانية مكلف بأن يوصل هذه الرحمة إلى العالم دون كلل أو ملل ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ

(١) - النورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم الصالح، ص ٨٥.

(٢) - عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، ص ٤٠٥.

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ»^(١) هي دعوة قرآنية، دعوة لتدبر كلام خالق البشر الذين خلقهم مختلفين. ويقول: «لو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الرسول وكمال حقائق الإيمان لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجا بل ربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام»^(٢).

٨- آداب الحوار واستراتيجية دعوة أهل الكتاب عند النورسي

يحاول النورسي أن يتقارب مع المتدينين الحقيقيين من النصارى من أجل محاربة الإلحاد المنتشر على ظهر البسيطة مع تجاوز كل الخلافات لأنّ النورسي يؤمن كل الإيمان أنّ التقارب حقيقة متيقّنة حين تسلّم النصرانية أمرها للإسلام ويعمل عيسى بشريعة الإسلام يشير النورسي على هذا بقوله: «ستجد النصرانية أمامها الانطفاء أو الاصطفاء وسوف تلقي السلاح وتستسلم للإسلام، لقد تمزقت عدّة مرات حتى آلت إلى البروتستانتية ولم تسعفها كذلك، وتمزق الستار مرة أخرى فوقعت في ضلالة مطلقة إلا أنّ قسما منها اقترب من التوحيد وسيجد فيه الفلاح... إذ تجد نفسها أمام الحقائق الإسلامية الجامعة لأسس النصرانية الحقيقية»^(٣).

الخاتمة:

- مما سبق يتبين أنّ رسائل النور تولى أهمية كبيرة لسلامة البنية الاجتماعية، وقد حاول النورسي من خلال مبادئ القرآن أن يؤصّل لتأمين العدل والسّلم والتعايش بين البشر ونشر المحبة والألفة ولم يُعر أي اهتمام أو التفات لأيّ نظريات أو دعاوى التمزيق والتشتيت والهدم، بل عاش إيجابيا في فكره وفي حركته، ولم يعترف بكل السبل التي تعمق السلبية وتطفئ روح الأخوة الإنسانية وتمزق حبل الود الإنساني لذلك نبذ كل أفكار القومية والعنصرية.

- جاءت أفكار بديع الزمان النورسي منسجمة في نظام متناسق متكامل تحاول ابتداء التأصيل للمشارك الإنساني واعتباره آية من آيات الله الكونية وأبرز النورسي أن وحدة

(١)-آل عمران آية ٦٤.

(٢)-النورسي، صيقل الإسلام، ص ٤٩٤.

(٣)- النورسي، اللوامع، ترجمة إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، ط٧، ص ٨٢٩.

الأصل الإنساني، ووحدة الفطرة ووحدة الكرامة الإنسانية كلها أسس إنسانية لبناء الائتلاف الإنساني بالمقابل لم يغفل النورسي المعالم التشريعية من تأمين حياة المخالف وحماية حريته الدينية واعتبارها ركائز لتحسين الائتلاف الإنساني - أسس النورسي لقواعد التعارف الإنساني وجعله محورا مهما لإدارة الحوار الحضاري ونوه لأهم الركائز الإيجابية التي يكون الحوار فيها منصفًا وهادفًا.

قائمة المصادر والمراجع

- ١ - عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن.
- ٢ - الماوردي، أدب الدنيا والدين، تحقيق كريم راجح، دار إقرأ، ١٤٠٥، ١٩٨٥م، ط٤.
- ٣ - محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشركة التونسية للتوزيع، تونس.
- ٤ - النورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم الصالح، ص ٨٥.
- ٥ - النورسي، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، ط٧، ٢٠١٣م.
- ٦ - النورسي، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، ط٧، ٢٠١٣م.
- ٧ - النورسي، اللّمعات، ترجمة إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، ط٧، ٢٠١٣م.
- ٨ - النورسي، اللوامع، ترجمة إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، ط٧.
- ٩ - النورسي، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، ط٧، ٢٠١٣م.
- ١٠ - النورسي، الملاحق، ترجمة إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، ط٧، ٢٠١٣م.

قيم التعايش والتواصل الإنساني عند الإمام بديع الزمان النورسي وأثرها في تنمية العمل الإيجابي، وحل الأزمات، وتجاوز المشكلات

د. مصطفى الحكيم

جامعة محمد بن عبد الله - فاس/المغرب

lahkimmostafa@yahoo.fr

مقدمة:

اقتضت إرادة الله جل وعلا أن يختلف البشر ويتباينوا منهجا وفكرا وطريقة ووجهة، وأن تتفاوت قدراتهم، وأفهامهم ومداركهم، وتتعدد مشاربهم وروافدهم، وتختلف شعوبهم وقبائلهم وألسنتهم وألوانهم وهيئاتهم؛ وهي إرادة ناجزة، وأمر واقع ما له من دافع، يقول الحق عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٨-١١٩)، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩)...

مما يستلزم البحث عن قواعد ناظمة، وضوابط حاكمة تساعد على تنظيم العلاقة بين المختلفين وفق مبادئ التعايش والتساكن والتواصل، حتى لا تتحول ساحات الوجود الإنساني إلى ساحات قتل وحرب ومصادرة واعتداء بسبب الاختلاف والتغاير. فهل من سبيل إلى تدبير سليم يضبط العلاقة بين المختلفين بضابط الاحترام المتبادل والتقدير المشترك، وتسيير لهذه العلاقة على مدارج الخدمة والتسخير والتعاون؟

وقد وعى الإمام النورسي بأهمية التواصل والتعايش بين المختلفين، وأدرك قيمة نزع فتيل الصراعات، وإبعاد شرارات التوترات والأزمات التي تعصف بالوجود الإنساني، وتشل إرادته عن واجب عمارة الأرض وتنميتها والنهوض بأحوال أهلها. ولا ينبغي أن يعزب عن بالنا السياقات التاريخية التي جعلت بديع الزمان مثابرا متمسكا بالدعوة إلى التعايش بين المختلفين، وتحسير العلاقة بينهم، وبناء قواعد رابطة وأسس ضابطة؛ بالنظر لما غشي زمانه من حروب وصراعات، وهو الذي عاش في أتون حربين عالميتين مدمرتين: الحرب العالمية الأولى (٢٨ يوليو ١٩١٤ - ١١ نوفمبر ١٩١٨)، والثانية (٧ يوليو ١٩٣٧ - ١٩٤٥)، والتي

أزهقت فيهما الكثير من الأرواح، وسالت فيهما الكثير من الدماء، وضاعت مصالح الإنسان، وضُودر وجوده، وتقاذفته أمواج الكراهية والبغضاء، يقول متأسفاً متحسراً: «لقد شعرت بدافع العطف الإنساني بحزن أليم جداً للبشرية المضطربة في هذا الشتاء القارس، والشتاء المعنوي الرهيب الذي يلطخ البشرية بالدماء»^(١).

ونحن أحوج ما نكون في هذا الزمان العصيب إلى تمثل القواعد التي أثلتها الإمام النورسي، وشاد بنيانها في تدبير العلاقة مع المخالف على أسس التعاون، والتعايش، والاحترام المتبادل، والرحمة العامة، والعطف الإنساني، والإنصاف المطلوب. وبخاصة في وقت تعالت فيه أصوات القتل والذبح باسم رب كريم، ودين رحيم، واستبدت بأهل هذا الزمان نوازع الحقد والكراهية، ومحركات العداوة والبغضاء، واشتعلت نيران الحروب، وأمسى الأخ قاتلاً لأخيه؛ وكلاهما يدّعي أنه ينفذ حكم الله، وينصر دينه، وينفذ شريعته. وهو الذي قال حين دُعي لدعم ثورة الشيخ سعيد بيران النقشبندي ضد حكم مصطفى كمال أتاتورك وسياساته التغريبية: «إنّ ما تقومون به من ثورة، تدفع الأخ لقتل أخيه، ولا تحقّق أية نتيجة.. فالأمة التركية قد رفعت راية الإسلام وضحت في سبيل دينها مئات الألوف بل الملايين من الشهداء؛ فضلاً عن تربيتها ملايين الأولياء، لذا لا يُستلّ السيف على أحفاد الأمة البطلة المضحية للإسلام.. وأنا أيضاً لا أستلّه عليهم»^(٢).

وقد انتظم هذا البحث بعد مقدمة في تمهيد ومبحثين: أفردت التمهيد لبيان ظروف نشأة المشروع النورسي، وسياقاته التأسيسية، وعوامل التأثير. ثم خصصت المبحث الأول لدراسة قواعد تدبير العلاقة مع الآخر وفق المنهج النورسي ومحدداتها ونماذجها من سيرته الزكية، ثم عرضت في المبحث الثالث لأثر هذه القواعد الجامعة في تنمية العمل الإيجابي، وتعزيز التواصل الفكري، والتفاعل الحضاري، وصيانة الحريات الدينية، وحل الأزمات، وتجاوز المشكلات، ثم أتيت بخاتمة جمعت فيها عناصر البحث وتوصياته وخلاصاته.

تمهيد: المدرسة النورسية: ظروف النشأة وسياق التأسيس

تبوأ الإمام بديع الزمان النورسي (١٨٧٦م-١٢٩٤هـ/ ١٩٦٠م-١٣٧٩هـ) مقاما

(١) الملاحق لبديع الزمان سعيد النورسي: ٢٠٥. ترجمة إحسان قاسم الصالح، شركة سوزلر: القاهرة، ط٣، ١٩٩٩.

(٢) سيرة ذاتية لبديع الزمان سعيد النورسي: ٢٠٨. ترجمة إحسان قاسم الصالح، شركة سوزلر: القاهرة.

عظيما، ومنزلا أثيرا في مسار دعوة الإسلام وحركته التغييرية أكسبه حضورا لافتا كسر به الحواجز الجغرافية ليشع بأنواره، ويفيض بحكمه وأسراره، ويؤثر بفكره القرآني ونظره الرباني في شعوب مختلفة، ومناطق ممتدة، وليحدث تغييرا وجد صداه عند ذوي القلوب المتوحدة ذوقا، المتوقدة شوقا، المتوجهة إلى ربها حقا وصدقا.

فأحيا الله به قلوبا مواتا هدها الإعياء، وزاغت بها النفس عن المحجة البيضاء، والرسالة الغراء فتاهت بين دروب الحياة تبحث عن الحقيقة المفقودة، والسعادة المنشودة. فلم تجد أمامها إلا السراب والقلب قفر خراب، وناداهم منادي الملك الوهاب: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦).

فقيض الله الإمام النورسي ليدل الخلق على الخالق، وليذكرهم بالنبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون؛ نبأ قيام الناس لربهم ووقوفهم بين يديه، ويزيل عنهم غشاوات الجهل والتجهيل والتضليل، وظلام الإلحاد والكفر بالله الذي غشي قلوب وعقول حياة المسلمين فأصبحت له سوق رائجة في زمانه، وصار له سلطان على النفوس الضعيفة التي سلبت نور الإيمان وبركة الإسلام بفعل تأثير المدنية الغربية التي أزاحت الدين عن مواقع الريادة والسيادة، وألغت وجوده بدعوى مخالفته للتمدن والتحضر والترقي، يقول فريد الأنصاري متحدثا عن هذا السياق التاريخي: «كانت أمواج الإلحاد تجتاح البلاد والعباد، وكان التنكر للدين وأهله هو السمة الغالبة على الطبقة المثقفة آنئذ، ومن هنا تجرد النورسي رحمه الله لمعركة الإيمان بكل معانيه، العقلية والوجدانية والروحية»^(١).

فسرت عدوى هذه الأفكار إلى بلاد المسلمين، وألفت لها مكانا خصيبا في عقول البعض من بني جلدتنا الذين استنسخوا هذه الأفكار، وانتصروا لها، وراحوا ييثون سمومهم، ويوجهون سهامهم لدين الإسلام، وشريعته الحانية، ودعوته الخالدة، يقيسون مع وجود الفارق بين سياقين متباينين، ومرجعيتين مختلفتين. بين رسالة جعلت للعلم مكانا سامقا وللمعرفة منزلة جليلة، وانتصبت تعاليمها داعية إليه، محفزة عليه، مرشدة لسلوك طريقه، وغشيان مجالسه، ونيل كمالاته، ولا أدل على ذلك توالي ورود مصطلحات من الأسرة

(١) مفاتيح النور لفريد الأنصاري: ٧١. معهد الدراسات المصطلحية: فاس/مركز النور للدراسات والبحوث: تركيا/كلية الآداب والعلوم الإنسانية: طهر المهرز فاس، ٢٠٠٣.

المفاهيمية لمصطلح "العلم" وامتداداته ومكملاته في الدلالة والمعنى من مثل: تعقلون، تنظرون، تتفكرون، تذكرون، تبصرون، يتدبرون، إقرأ، علم بالقلم، يسطرون... وغيرها مما يدل دلالة صريحة على مكانة العلم والمعرفة في الإسلام، ورفعة شأنه، وعلو مقامه، وشرف أهله والمشتغلين به؛ سواء أكانت علومًا شرعية أو علومًا كونية.

وبين مرجعية دينية مختلفة هي المرجعية المسيحية التي سعت إلى تعطيل النظر العقلي، وتجفيف منابع العلم، وإقصاء العلماء، ومحاربة نتائج العلوم، وثمرات الفهوم، وهذا ليس قولاً نطقه على عواهنه، أو ثمرة من ثمرات التعصب الديني، وإنما هو حقيقة ثابتة شهد بها رجال الغرب أنفسهم، يقول الفيلسوف الفرنسي جوستاف لوبون: «إذا رجعنا إلى القرن التاسع والقرن العاشر من الميلاد حين كانت الحضارة الإسلامية في إسبانيا ساطعة جداً، رأينا أن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجاً يسكنها سنيورات متوحشون يفخرون بأنهم لا يقرأون، وأن أكثر رجال النصرانية معرفة كانوا من الرهبان المساكين الجاهلين الذين يقضون أوقاتهم في أديارهم ليكشطوا كتب الأقدمين النفيسة بخشوع... ودامت همجية أوروبا البالغة زمناً طويلاً من غير أن تشعر بها، ولم يبد في أوروبا بعض الميل إلى العلم إلا في القرن الحادي عشر وفي القرن الثاني عشر من الميلاد، وذلك حين ظهر فيهم أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل فولوا وجوههم شطر العرب الذين كانوا أئمة وحدهم»^(١).

ففي أوروبا كانت الكنيسة بفكرها الخرافي ومنهجها الاستبدادي تجثم على أنفاس العلماء والحكماء والمفكرين، مصادمة بذلك العقل والفطرة التي تدعو إلى التفكير في ملكوت الله، وإعمال العقل والفكر والنظر. من هذه النماذج نظرة رجال الكنيسة لوباء الطاعون، حيث تم تصويره - كما جاء على لسان أحدهم - على أنه «ناتج عن تأثير الأجسام السماوية أو ناتج عن غضب الله من أعمالنا الآثمة، فليس هناك من علم إنساني يكافحه. لذا حل بنا أربع مرات متتاليات حتى نكفر عن ذنوبنا»^(١)، أما كروية الأرض

(١) حضارة العرب لغوستاف لوبون: ٥٨٦. ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة: مصر، ٢٠١٣.

(١) انظر: شمس العرب تسطع على الغرب لزغريد هونكه: ٢٧٥. ترجمة فاروق ببيضون وكمال دسوقي، دار الجيل/دار الآفاق الجديدة: بيروت، ط ٨، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

فاعتبرت كفرا وضلالا، يقول معلم الكنيسة لاكتانتوس مستنكرا: «هل هذا من المعقول؟ أيعقل أن يجن الناس إلى هذا الحد، فيدخل في عقولهم أن البلدان والأشجار تتدلى من الجانب الآخر من الأرض؟ وأن أقدام الناس تعلق رؤوسهم»^(١).

في الوقت الذي كان العالم الإسلامي ساحة علم ومناظرة، ازدهرت فيه المكتبات والوراقة، والبحث والتأليف، وتكاثر فيه الإنتاج العلمي النظري والتطبيقي، تقول المستشرق الألمانية هونكه في نظرة مقارنة: «في الوقت الذي كان فيه العرب ينظرون إلى مثل هذه العوارض والأمر نظرة علمية بحثة تدعمها التجربة، ويغذيها البحث والتدقيق، كان النصارى في أوربا يقفون أمامها مكتوفي الأيدي، وقد سيطرت على عقولهم اعتقادات مهترئة أعمت بصرهم...»^(٢).

وقد وعى الإمام النورسي بهذا التباين بين هاتين المرجعيتين، وأدرك بعقله الثاقب، وفكره الوقاد، وقلبه المنور حقائق الرسالة المحمدية، وأسرار الآيات القرآنية حين ورد حياض القرآن، وعبَّ من معينه الصافي، وشرب من كوثره الزاخر، فانكشفت له من معانيه وأسراره وجواهره ما لا ينكشف إلا لصاحب فتح رباني، واستمداد نوراني، وكيف لا وهو سليل المدرسة اليوسفية - كما يذكر دائما في كتاباته - التي ذاق فيها صنوفا من الابتلاءات، وأصنافا من الاضطهاد والملاحقة والتعسف، يقول في ذلك: «لم أذق طوال عمري البالغ نيفا وثمانين سنة شيئا من لذائد الدنيا؛ قضيت حياتي في ساحات الحرب، وزنانات الأسر، أو سجون الوطن ومحاكم البلاد؛ لم يبق صنف من الآلام والمصاعب إلا وتجرَّعته: عوملت في المحاكم العسكرية العرفية معاملة المجرمين، ونُفيت وغُرِّيت في أرجاء البلاد كالمشردين، وحرِّمت من مخالطة الناس في زنانات البلاد شهورا، وعُرِّضت للتسميم مرارا، وعُرِّضت لإهانات متنوعة، ومرت عليَّ أوقات رجَّحت فيها الموت على الحياة ألف مرة، ولولا أن ديني يمنعني من قتل نفسي، فلربما كان "سعيد" ترابا تحت التراب»^(٣).

حتى صفا معدنه، وصقلت روحه، وتمحض قصده، وشعت أنواره، لأن الابتلاء إنما هو

(١) المرجع نفسه: ٣٧٠.

(٢) المرجع نفسه: ٢٧٤.

(٣) سيرة ذاتية: ٤٩١.

اجتباء واصطفاء وارتقاء وكمال، يقول الإمام النورسي في هذا الشأن: «الابتلاء والامتحان سبب النشوء والنماء، والنشوء والنماء سبب لانكشاف الاستعدادات الفطرية، وتكشف الاستعدادات سبب لظهور القابليات، وظهور القابليات سبب لظهور الحقائق النسبية، وهذه الحقائق النسبية سبب لإظهار تجليات نقوش الأسماء الحسنی للخالق الجليل وتحويل الكائنات إلى صورة كتابات صمدانية ربانية»^(١).

وقد عاش مع القرآن تلميذا نجيبا يتلقى إشارات، ويمتثل لأوامره، وينزجر عن زواجه، اتخذ أنسيه وجليسه وسميره ودليله وحاديته إلى جنان المعاني الربانية، وقطوف الحكم الإلهية، ومباهج الأنوار القدسية، عاش مع القرآن بقلبه وفكره ففتح الله عليه من أبواب الفهم عنه ما رد به كيد الكائدين، وسهام الطاعنين في شريعة الإسلام، وكتابه المنزل، وحقائقه الثابتة، ودلائله الظاهرة، فزاد بذلك عن حمى الدين، وانتصر لقيم الإسلام وتعاليمه بحجج بالغة، وأدلة دامغة جمع فيها بين مدركاته العقلية، وبصيرته النورانية.

حمل الإمام النورسي هم القرآن، وأمانة البلاغ نيابة عن سيد الخلق وإمام الحق سيدنا محمد ﷺ ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَعُ﴾ (المائدة: ٩٩) الذي أورث هذه الأمانة خلفاءه وورثته من أهل العلم والولاية الذين شربوا من معين التزكية الإحسانية، فدل الخلق على الله، ولم يعتزل في أبراج التأليف والتصنيف مكتفيا به عن الواجبات الجهادية؛ بل غشي ميادين العمل الإسلامي، وساحات التربية والتزكية والتعليم، يقول في هذا الشأن: «إن مهمة رسائل النور الأساس: هي خدمة القرآن الكريم، والوقوف بصرامة وحزم في وجه الكفر المطلق الذي يودي بالحياة الأبدية، ويجعل من الحياة الدنيا نفسها سما زعافا، وجحيما لا يطاق. ومنهجها في ذلك إظهار الحقائق الإيمانية الناصعة المدعمة بالأدلة والبراهين القاطعة التي تلزم أشد الفلاسفة والمتزندقة تمردا على التسليم بالإيمان»^(٢).

المبحث الأول: تدبير العلاقة مع الآخر عند الإمام النورسي: القواعد الناظمة

والضوابط الحاكمة

سعى الإمام بديع الزمان النورسي سعيه، واستفرغ وسعه في بناء قواعد مساعدة على

(١) الكلمات لبديع الزمان سعيد النورسي: الكلمة ٢٩.

(٢) الشعاعات لبديع الزمان سعيد النورسي: ٤٠٦. ترجمة إحسان قاسم الصالحى، دار سوزلر: القاهرة، ط ٢، ١٩٩٣.

التفاهم بدل التصادم، مستنبطا عناصرها التكوينية من رسالة القرآن، مستلهما جذورها من وحي تلمذته عليه، واغترافه من مشربه الصافي، قواعد من شأن تمثلها، والسير على مقتضاها تجنيب البشرية نيران الحروب والصراعات والتنازع.

عند النظر الفاحص في هذه القواعد التي نجدها ماثورة في ثنايا نظراته القرآنية، وإشارات الربانية في مجموع مؤلفاته؛ ثُلُفي بعضها يعالج واقع التنازع والاختلاف بين المسلمين واتجاهاتهم الفكرية والعقدية والسياسية؛ باعتبار أن رحما واحدة تجمعهم، ودينا واحدا يؤلف بين قلوبهم، وبعضها الآخر يعالج واقع الصراع بين الأديان المتعددة، والعقائد المختلفة، والاتجاهات المتباينة.

١- الحوار أفقا للتعايش

تأثر الإمام النورسي بالقرآن، وسرت أنواره في فكره، وحركته التغييرية، وعاش بين آياته وسوره يتفيا ظلاله، ويقطف ثمرات مختلفا ألوانها من الأفكار والأسرار والإشارات التي هي رزق رباني، وعطاء رحمني يهبه الله لخاصته وأحبابه ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (البقرة: ٢١٢/آل عمران: ٣٧/النور: ٣٨).

لذا كان الحوار في الفكر النورسي معلما راسخا، وأساسا مهما تجلّى في سلوكه ونظرته للناس والكون، وما ذلك إلا من ثمرات رسالة القرآن الذي أحل الحوار مقاما أثيرا، وأبرز شواهد ومشاهده في كثير من الآيات والصور التي تجلّى فيها الحوار بين المختلفين على قدم التواصل والتعايش تجليا ظاهرا، حيث حفظ لنا القرآن حوارات عديدة في سياقات مختلفة يُستفاد منها، ويُعتمد عليها في بناء قواعد ناظمة للتعايش الإنساني، من ذلك حوارات الأنبياء مع أقوامهم، حوار الله تعالى مع الملائكة، حوار عز وجل مع الشيطان، حوار نوح عليه السلام مع ابنه... وغيرها من النماذج الحوارية القرآنية التي ليس هذا مجال بسطها، والتوسع فيها.

ولا ننسى أن الإمام النورسي استغرق حياته في الحوار مع المخالفين سواء من المسلمين أو من غيرهم، فلم يمتشق سيفاً، أو يضمّر عداوة بل حمل سلاح القلم والكلمة مدافعا عما يعتقد ويؤمن به، مسودا مئات الصفحات في الدلالة على أفكاره ومعتقداته، حيث يجد الدارس لها أسلوب الحوار طاغيا ساريا في حججه ودفاعه وتفسيراته ونظراته. ولم يستثن أحدا من حواراته الكثيرة بل حاور المؤمن والكافر والملحد والعاصي والصغير والشاب والكبير

والمرأة والرجل في لغة بليغة، وخطاب مشرق ينفذ إلى القلوب قبل العقول، ولا أدل على ذلك من تكرر ورود مصطلحات تتصل بالأسرة المفاهيمية للحوار، من مثيل: المناظرة، الخطاب، الجواب، النقاش، الإقناع، الاقتناع، التوافقات، التعارف، البرهان، الحجة...

٢- الإنسانية سبيلا للترباط

يحتل مصطلح الإنسان في فكر الإمام النورسي مقاما أثيرا، ومنزلا عظيما، باعتباره مفهوما مركزيا؛ لا يحصل للدارس للفكر النورسي الفهم العميق والتمثل الكامل إلا باستحضاره، وإدراك امتداداته وعلاقاته وروابطه. فالإنسان عند النورسي هو «الثمرة النهائية لشجرة الخلقة، ومن المعلوم أن الثمرة هي أبعد أجزاء الشجرة وألطفها؛ لذا فإن الإنسان هو ثمرة العالم، وأجمع وأبدع مصنوعات القدرة الإلهية، وأكثرها عجزا وضعفا ولطفًا»^(١).

وصدق الإمام علي حين قال:

وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر^(٢)
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمّر

هذا الإنسان هو موضع تشريف وتكريم رباني حين أحسن خلقه، وأبدع صورته، وعدّل قوامه، وسخر له الكون خادما رفيقا به، مطيعا له، مُعَدّا لاستقباله، وجعل الكائنات الأخرى من حيوانات ونباتات وجمادات على مقام التسخير له، والإيفاء بمصالحه وضرورياته. وما خلق الله السماوات والأرض والجال والحياء بكليتها إلا لتكون فضاء لاختباره، وابتلائه، وتحيصا لطائعه من عاصيه، يقول الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢)، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (هود: ٧)، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٧)، فهو كما قال النورسي «قائد الموجودات،

(١) الكلمات ٢٠٤/١.

(٢) ديوان الإمام علي بن أبي طالب: ٥٧. جمع وترتيب عبد العزيز الكرم، المكتبة الشعبية. وفي هذا المعنى يقول الإمام النورسي: «لا يخطر على بال أحد ويقول: ما أهمية هذا الإنسان وما قيمته حتى تنتهي هذه الدنيا العظيمة، وتفتح دنيا أخرى لمحاسنته على أعماله؟ لأن هذا الإنسان هو سيد الوجود رغم أنه صغير جدا؛ لما يملك من فطرة جامعة شاملة» الكلمات ٦٣/١-٦٤.

والداعي إلى سلطان ألوهية الله، والممثل للعبودية الكلية الشاملة ومظهرها؛ لذا فإن له أهمية عظمى»^(١).

وقد جعل الله تعالى له الحياة الدنيا منفسحا ليعرف خالقه، ويدرك عظمته، وجلاله وجماله، ويحظى بمعيته وقربه، وميدانا للاستمداد من أنواره، وإدراك أسرارهِ. يقول الإمام النورسي عنه: «هو الآية الحاملة لتجليات الاسم الأعظم في ذلك القرآن الكوني... وهو أكرم ضيف في قصر الكون، وهو أنشط موظف مأذون له بالتصرف في سكرة ذلك القصر»^(٢).

ويرتبط هذا المفهوم عند النورسي ارتباطا وثيقا بالتعايش المطلوب والتواصل اللازم، لما للإنسان من روابط تجمع بين أبنائه، وتلحم العلاقة بينهم بلحام التقارب والتعارف، من هذه الروابط: التكريم الإلهي، والانتساب الإيماني^(٣)، و الوحدة الفطرية^(٤)، يقول الله تعالى: ﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْقِيَمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠)، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢)، وقد أشار الإمام النورسي في هذا السياق إلى أن الله: «وهب لهذا الإنسان استعداد فطريا ساميا؛ ما يمكنه من حمل الأمانة الكبرى التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها، أي خلقه ليعرف صفات خالقه سبحانه الشاملة المحيطة، وشؤونه الكلية، وتجلياته المطلقة بموازنه الجزئية ومهاراته الضئيلة، والذي برأه بشكل ألطف المخلوقات وأعجزها وأضعفها فسخر له جميعها من نبات وحيوان؛ حتى نصبه

(١) الكلمات ٦٣/١-٦٤.

(٢) الشعاعات ٢٧٢/٤.

(٣) من المصطلحات النورية التي تكررت في كتاباته. يقول في ذلك: «فما دمت قد ظفرت بنقطة استناد مثل هذه؛ بهوية الانتساب الإيماني، فيمكنك الاستناد والاطمئنان إذا إلى قوة عظيمة وقدرة مطلقة» اللمعات لبديع الزمان سعيد النورسي: ٣٨٩. ترجمة إحسان قاسم الصالح، دار سوزلر: القاهرة.

(٤) هي عند الإمام النورسي ثمائل الإنسانية، يقول فريد الأنصاري معرفا مفهوم الإنسانية عند النورسي: «هي الفطرة التعبدية لدى الإنسان، ببعدها الكوني الشامل، واستعداداتها التفكيرية لتذوق الإيمان». انظر: مفاتيح النور: ١٦٠.

مشرفا ومنظما ومتدخلا في أنماط تسبيحاتها وعباداتها، والذي جعله نموذجا - بمقاييس مصغرة للإجراءات الإلهية في الكون، ودلالا لإعلان الربوبية المنزهة - فعلا وقولا- على الكائنات؛ حتى منحه منزلة أكرم من منزلة الملائكة، رافعا إياه إلى مرتبة الخلافة»^(١).

ومن هذه الروابط الجامعة اندراج البشر جميعهم ضمن أصل واحد، ورجوع أصولهم إلى أب واحد، وأم واحدة، يقول النبي ﷺ: (أيها الناس إن الرب واحد، والأب واحد...) ^(٢)، وقد اعتنى الخطاب القرآني في الكثير من آياته بهذه الرابطة حين خاطب البشرية بقوله: ﴿يَتَّبِعْ آدَمَ﴾ ^(٣)؛ أفلا يكون ذلك أدعى لتسيير العلاقات بينهم على قواعد الاحترام المتبادل، والإحسان استحضارا لهذا الأصل الجامع، وإن اختلفت التوجهات والمعتقدات، وتباينت المنطلقات، وتعددت الآراء والأطروحات.

ولعل من أهم المصطلحات الخادمة للتعايش والتواصل والتي أثلها الإمام النورسي ونحت معالمها والتي تشكل امتدادا للأخوة الإنسانية؛ مفهوم "الأخوة الوجودية"؛ بما هي رباط يربط الموجودات من جميع الكائنات الحية والجمادات برباط وثيق من شأنه أن يطبع العلاقة بطابع الاحترام والتقدير، يقول فريد الأنصاري في هذا السياق: «إن كتابا آخرين، ومفكرين إسلاميين عديدين قد تكلموا عن شيء من مثل هذا المعنى، متحدثين عن روابط الأخوة بين الموجودات من حيث هي جميعا تعبد الله الواحد وتسبح بحمده... بيد أن بديع الزمان... وجد رحمه الله بإحساسه الصافي أن هذه الأخوة موصولة بمفهوم الزمن الانتسابي، إذ يشعر العبد المنسب أنه لا يشارك الموجودات في أخوة العبادة لله وحسب، بل يتعدى ذلك إلى مشاركتها في أخوة الوجود» ^(٤).

٣- الرحمة العامة باعثا على الشفقة والعطف الإنساني:

اتسعت رحمة الله للخلائق بأجمعهم، ووسعتهم برّهم وفاجرهم، عاصيهم وطائعيهم،

(١) الكلمات ٩٤/١.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٠٧/٢١. تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر: دمشق، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(٣) انظر الآيات التاليات: الأعراف: ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٥، ١٧٢، الإسراء: ٧٠، يس: ٦٠.

(٤) مفاتيح النور: ٣٤٨-٣٤٩.

صغيرهم وكبيرهم، يقول الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، ومن أنوار هذه الرحمة الإلهية قبس محمد ﷺ، ومن فيوضاتها اغترف فكان رحمة للناس، شفوفا عطوفا عليهم، ولينا بين أيديهم، رؤوفا بهم، يقول عز من قائل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، يقول بديع الزمان عن هذه الرحمة: «الرحمة الواسعة التي تديم حياة جميع ذوي الأرواح المحتاجة إلى الرزق، وتعيشها بكمال الرأفة عيشة خارقة للغاية. والعناية الدائمة التي تظهر أنواع الزينة والمحاسن بما لا يعد ولا يحصى، في فترة قصيرة جداً في كل ربيع»^(١).

ودخول الناس جميعاً ضمن هذه الرحمة العامة هو اندراج في سلك العبودية الاضطرارية المطلقة، يقول النبي ﷺ فيما رواه أنس بن مالك: (الخلق عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله)^(٢). فكان من تجليات هذه الرحمة في سلوك المؤمن خدمة المخلوقات بغض النظر عن الاختلافات والتباينات.

وبالنظر لما غشي حياة بني الإنسان - في عصر النورسي والعصور اللاحقة - واستولى على أحاسيسهم، وداخل نفوسهم من قسوة وشدة في معاملة المخالفين، ورغبة في التنكيل والإذلال للمخالف، كما نرى في هذا العصر الهائج المائج قتلاً وتدميراً وانتقاماً باسم الانتماء الديني، أو الهوية الوطنية، أو الانتساب العرقي؛ تُنسى الشفقة والرحمة أمرين لازمين، وخُلقين واجبين. يقول الإمام النورسي: «في زمن عجيب كزماننا هذا لا بد من تطبيق خمسة أسس ثابتة: الاحترام المتبادل، الشفقة والرحمة، الابتعاد عن الحرام، الحفاظ على الأمن، نبد الفوضى والغوغائية والدخول في الطاعة»^(٣).

٤- التعاون سبيلاً للتقارب

لما كان الاختلاف البشري قدراً مقدوراً، ومسألة لازمة للوجود الإنساني، وسنة إلهية ماضية حتى يرث الله الأرض ومن عليها؛ كان لزاماً بناء العلاقات الإنسانية على أسس التعاون والتبادل والتساند المفضي إلى التقارب والتلاقي والوئام، يقول عز من قائل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ

(١) الكلمات: ١٢٤.

(٢) مسند أبي يعلى ٦/٦٥. تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث: دمشق، ط ١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤.

(٣) الشعاعات: ٤٠٦.

أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١١٩﴾ (هود: ١١٨-١١٩)، ويقول أيضا: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة: ٤٨).

يقول الإمام النورسي مؤكدا ضرورة التعاون وفرضيته: «من القواعد الثابتة للنسوة في الحياة الاجتماعية أن التعاون دستور مهيم على الكون، ابتداء من الشمس والقمر إلى النباتات والحيوانات، فترى النباتات تمتد الحيوانات والحيوانات تمتد الإنسان، بل ذرات الطعام تمتد خلايا الجسم وتعاونها. فأين هذا الدستور القويم دستور التعاون، وقانون الكرم، وناموس الإكرام من دستور الصراع الذي تقول به الفلسفة من أنه الحاكم على الحياة الاجتماعية؛ علما أن الصراع ناشئ فقط لدى بعض الظلمة والوحوش الكاسرة من جراء سوء استعمال فطرتهم...»^(١).

فلا بديل عن التعاون سوى الصراعات والعداوات وإنتاج الكراهية، واستفراد البعض بمصائر الآخرين، وسلوك سبيل الدمار والخراب المؤذن بالسقوط والانهيار. ولا حجة لمن يبني عداوته على اختلاف الألسن والأجناس والشعوب والألوان والعقائد... ويتخذها مطية للفرقة والانقسام، لأن المقصد من وجود هذه الاختلافات تحقيق التعاون المفضي إلى التكامل، يقول الإمام النورسي بعد إيراد آية سماها "دستور التعارف والتعاون": ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣): «خلقناكم طوائف وقبائل وأما وشعوبا كي يعرف بعضكم بعضا، وتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعية، لتعارفوا فيما بينكم، ولم نجعلكم قبائل وطوائف لتتناكروا وتتخاصموا»^(١).

المبحث الثاني: أثر هذه القواعد الجامعة في تنمية العمل الإيجابي، وحل الأزمات، وتجاوز المشكلات

١- تحقيق الأمن الروحي والاجتماعي والسياسي

لا شك أن تطبيق هذه القواعد الناعمة للعلاقات الإنسانية في دنيا الناس من شأنه أن يعود بفوائد جمة وثمرات كثيرة على الفرد والمجتمع والأمة والإنسانية جمعاء، بما يحقق الأمن

(١) الكلمات: الكلمة ٣٠.

(١) المكتوبات: لبدیع الزمان سعید النورسي: ٤١٣. ترجمة إحسان قاسم الصالحی، دار سوزلر: القاهرة، ط ٣، ٢٠٠١.

الروحي، والأمان الاجتماعي، ويزيل عوامل الخوف والرغبة من مصادرة حقوق المختلف، وحرته الدينية والفكرية. يقول النورسي مبرزاً أثر بعض هذه القواعد في ترسيخ منظومة الأمن والأمان: «إن رسائل النور في نظرتها إلى الحياة الاجتماعية قد ظلت تُثَبَّت وتُحَكَّم هذه الأسس الخمسة وتحترمها احتراماً جاداً محافظةً بذلك على الحجر الأساس لأمن البلاد... استطاعت في مدى عشرين عاماً أن تجعل أكثر من مائة ألف رجل أعضاء نافعين للبلاد والعباد دون أن يتأذى أو يتضرر بهم أحد من الناس»^(١).

وقد ساهمت التربية النورية على هذه القواعد التي تضبط العلاقة مع الآخر في صناعة جيل نوراني رسالي يمضي على مهيع العمل الإيجابي والبناء، ويؤثر في واقعه بالخدمة والرحمة والعطاء، وهذا ما جعل بعضاً ممن خبروا معدن طلابه وتلامذته يشهدون بقيمة جهودهم، وفعالية أفكارهم، وإيجابية سلوكهم، فاعترفوا «أن طلاب رسائل النور رجال أمن معنويون، لأنهم يحافظون على الأمن وعلى النظام»^(٢).

٢- الشفقة على المخالفين وخدمة الخلائق أجمعين

من الثمار اليانعات لهذه القواعد السابقة حصول الشفقة في القلوب، والعطف في النفوس، وانتصاب المستلهمين لها للتخلق بخلقى البذل والخدمة في معاملة الناس ومخالطتهم بما يعود بالنفع والمرحمة والتقدم في سلم الأخلاق، ومدارج التميز العقلي والقلبي والمعاشي، يقول الإمام النورسي مبرزاً تأثير الشفقة كقاعدة مهمة في تدبير العلاقة مع الآخر: «لما كانت الشفقة دستور حياتي منذ ثلاثين سنة، وأساس مسلكي ومسلك رسائل النور، فإنني لا أتجنب التعرض للمجرمين الذي ظلموني وحدهم بل لا أستطيع حتى مقابلتهم بالدعاء عليهم، وذلك لكي لا أتسبب في إلحاق الضرر بأي شخص بريء. بل إن الشفقة هي التي منعتني من أن أتعرض -أو حتى أن أدعو- على بعض الفساق من الظالمين اللادينيين الذين اندفعوا بحقد شديد في ظلمي، ذلك لكي لا أتسبب في ضرر مادي يلحق بالشيوخ والعجائز المساكين من أمثال والد ذلك الظالم أو والدته، أو في الإضرار بأنفس بريئة مثل أولاده»^(٣).

(١) الشعاعات: ٤٠٧.

(٢) الشعاعات: ٤٣٩-٤٤٠.

(٣) الشعاعات: ٤٣٩.

ولأهمية الخدمة وضرورتها في الفكر النورسي كانت آخر ما نبه إليه في درسه الأخير، يقول في ذلك: «إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء، وليس السعي للعمل السلبي الهدام. والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكل أمره إلى الله. إننا مكلفون بالتجمل بالصبر، والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا، وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي»^(١).

خاتمة:

هذا غيضٌ من فيضِ أنوارٍ جرت في ميادين الكلمة القرآنية والحقيقة المحمدية، وانبثقت من مشكاةٍ فيها مصباحٌ أضاء قلب الإمام النورسي؛ فجاد بأسرار نورانية، وخواطر ربانية، ونظرات إيمانية غيرت مسار أجيال اتسعت مواطن حضورها، وأماكن وجودها شرقاً، وغرباً، شمالاً، وجنوباً، تاركا أثراً لا يمحي، وبصمة لن تزول، ودُكراً لن يخبو، وخيراً لن ينقطع؛ لأنه متصل مدده واستمداده بنور القرآن الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢).

وقد شاد الإمام النورسي قواعد ناظمة للعلاقات بين بني الإنسان بما يحفظ وجودهم، ويصون حقوقهم، ويمنع تنازعهم واحترابهم، من حوار يشكل أفقا للتعايش، وإنسانية تُشعر بالترابط، ورحمة عامة تَبعث على الشفقة والعطف الإنساني، وتعاون يُؤسس للتقارب؛ بما يشمر تحقيق الأمن الروحي والاجتماعي والسياسي، وحفز خصال الشفقة والرحمة بالمخالفين، وخدمة الخلائق أجمعين.

(١) سيرة ذاتية: ٤٦٩.

لائحة المصادر والمراجع:

- تاريخ دمشق لابن عساكر. تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر: دمشق، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- حضارة العرب لغوستاف لوبون. ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة: مصر، ٢٠١٣.
- ديوان الإمام علي بن أبي طالب. جمع وترتيب عبد العزيز الكرم، المكتبة الشعبية.
- سيرة ذاتية لبديع الزمان سعيد النورسي. ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر: القاهرة.
- الشعاعات لبديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر: القاهرة، ط ٢، ١٩٩٣.
- شمس العرب تسطع على الغرب لزغريد هونكه. ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجليل/دار الآفاق الجديدة: بيروت، ط ٨، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- الكلمات لبديع الزمان سعيد النورسي.
- اللمعات لبديع الزمان سعيد النورسي. ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر: القاهرة.
- مسند أبي يعلى. تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث: دمشق، ط ١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤.
- مفاتيح النور لفريد الأنصاري. معهد الدراسات المصطلحية: فاس/مركز النور للدراسات والبحوث: تركيا/كلية الآداب والعلوم الإنسانية: طهر المهرارز فاس، ٢٠٠٣.
- المكتوبات: لبديع الزمان سعيد النورسي. ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر: القاهرة، ط ٣، ٢٠٠١.
- الملاحق لبديع الزمان سعيد النورسي. ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر: القاهرة، ط ٣، ١٩٩٩.

دور العمل الايجابي في مواجهة فكرة العداء للإسلام (من خلال رسائل النور)

د / نفييسة دوييدة

أستاذة محاضرة في التاريخ الحديث والمعاصر

بالمدرسة العليا للأستاذة بوزريعة الجزائر العاصمة – الجمهورية الجزائرية.

الاييميل: douida1998@yahoo.fr

كثرت الكتابات والدراسات والأبحاث التي تناولت سيرة وأفكار الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، ودأب أهل الاختصاص من مفكرين وفلاسفة وتربويين، وعلماء النفس والاجتماع والتنمية البشرية وغيرهم على التنقيب في آثار النورسي، والنهل من معين زاده الذي لا ينضب، والمتمثل في رسائل النور، وكلما زاد الإمعان والتأمل في تلك الرسائل النورية بحق؛ كلما زادت اللهفة والظما للاستزادة منها.

وفي اعتقادي أن الجاهل بفكر النورسي، أو الغافل عن استحضار وتوظيف تراثه، والغائب عن استلهام مقاصده؛ يعتبر مقصرا في حق نفسه ومجتمعه؛ ذلك أن تمثل سيرة النورسي ورسائله بمثابة وصفة علاجية لأزمات العصر. ويطيب لي في هذا الموضع أن اثني على جهود المشرفين والمساهمين في نشر التراث النوري؛ بغية إيصاله لأكبر عدد من الناس، وكذا المنظمين والساهرين على تأطير المحافل والندوات والمؤتمرات المتعلقة به، ومنها على الخصوص مؤسسة استانبول للثقافة والعلوم فلهم مني اخلص تحية، وأوفى احترام وتقدير.

تتناول هذه المداخلات المعنونة بـ: "دور العمل الايجابي في مواجهة فكرة العداء للإسلام (من خلال رسائل النور)" إشكالية رئيسية مفادها البحث في منطلقات وقواعد العمل الايجابي لدى النورسي، ودوره في مواجهة فكرة العداء للإسلام.

أما عن المنهج المعتمد فقد زواج بين المنهج التاريخي التحليلي المطلوب لإعادة ربط الأحداث التاريخية ببعضها، وفهم سياقاتها المكانية والزمانية، ومنهج تحليل المضمون الذي يمكننا من الولوج إلى المضامين الكثيرة والكثيفة التي تضمنتها رسائل النور، ومن ثمة رصد وظيفيتها ومعانيها، أما المنهج الاستقصائي فنعتمد عليه في استخلاص ما أمكن من الأفكار

والرؤى التأويلية الواردة في تلك النصوص المكتوبة.

وإذا كان بعض الباحثين يشكو - خلال مرحلة إعداد بحثه - من قلة المادة المعلوماتية والمعرفية المصدرية المتعلقة ببحثه؛ فإنني على العكس اصطدمت بكثرتها، وثرائها، وغنى محتواها، وانسجام فحواها، وبيان لغتها، ووضوح معناها، وموسوعية صاحبها، ومتعة قراءتها، ولكن بما أن الحيز الكمي الممكن لهذه الدراسة محدد سلفاً؛ فإنني سأقصر البحث على نقاط أراها أساسية دون التفصيل في غيرها، وذلك تبعاً للخطة البحثية التالية:

١ - فكرة العداء للإسلام في تصور النورسي: المنطلقات والأسس.

٢ - وسائل واليات العمل الايجابي لدى النورسي.

٣ - دور العمل الايجابي في مواجهة فكرة العداء للإسلام.

١ - فكرة العداء للإسلام في تصور النورسي: المنطلقات والأسس:

ان منشأ الافكار ومآلها لدى النورسي هو الايمان، وهذا الاخير يمثل الحقيقة الوحيدة في نظره التي تقود الى اصلاح الفرد والمجموعة، ومنه تنطلق وتعالج باقي المشكلات، فالحقيقة الايمانية بعبارة اخرى هي الدائرة "الوهاجة" التي تحيط بنا، وكلما اقتربنا من مركزها ازدادنا قوة وثباتاً.

ان المتفحص لرسائل النور يستجدي فيها آفاقاً متعددة توحيها الرؤية الفكرية لصاحبها، ويبرز فيها وفاؤه للمجموعة القيمية التي استلهمها من الشريعة الاسلامية، ولكنها تنطلق أيضاً الى فضاءات الفكر بالعناية والتحليل والنقد والتقويم. والمميز في تجربة سعيد النورسي أنها مزجت بين النظرية والتطبيق، أي بين الالهام والتنفيذ، فمنهج النورسي اعتمد أولاً على الأدوات والملكات الفردية في المعرفة، وقد أشار الى دور الانسان "الكامل" في البناء الحضاري، كما أنه ارتكز على ضرورة توظيف العقل في مناقشة الأفكار مهما كان نوعها واتجاهها.

واستحضر النورسي في رسائله النورية منطلقات وأسس فكرة العداء للإسلام (والمسلمين)، وسبل مواجهتها، ومثل هذا الجانب جزءاً من مشروعه الايماني المتكامل، ويمكن تلخيص تلك الأبعاد والمنطلقات في النقاط التالية:

✓ عدم الفهم الصحيح لتعاليم الاسلام، وانتشار الأفكار المغلوطة عنه لدى الآخرين، وهذا يقتضي التعريف به وفق المنهج السلفي الصحيح، ونبد الأفكار المتطرفة، ومحاربة

البدع، وإزالة الشبهات، وقد كتب سعيد النورسي معبراً عن ذلك: "أمام أهل الايمان الأسباب القوية، والوسائل القوية للرفي المادي والمعنوي، والطريق السوي الممهّد كسكة الحديد للوصول الى السعادة في المستقبل، وعلينا ان لا نطن ظن السوء أن الدنيا دار ترق وتقدم للأجانف وللجميع؛ بينما أصبحت دار تدن وتأخر للمسلمين المساكين وحدهم"^(١).

✓ سواد فكرة التعارض بين الاسلام والعلم، وهذا يقتضي بيان اعجاز القرآن، ومناحي ثبوت الحقائق العلمية المكتشفة من المنطلق القرآني، أي اتخا العلم حجة للتوافق؛ من حيث ان القرآن ثابت لا يزول، ولا يعتريه التغيير، أو القصور والضلال، والامثلة التي طرحها النورسي في هذا الاطار أكثر من تحصى؛ نذكر منها مثلاً قوله: "ان القرآن العظيم حكيم يعطي لكل شيء قدره من المقام، ويرى القرآن من ثمرات الغيب التقدم الحضاري البشري قبل الف وثلاثمئة سنة المستترة في ظلمات المستقبل افضل وأوضح مما نراها نحن وسنراها. فالقرآن اذاً كلام ينظر الى كل الازمنة؛ بما فيها من المور والاشياء في ان واحد"^(٢).

✓ ظهور الحركات الفاسدة والهدامة التي تبغى فناء الانسانية، أو سيادة مجموعة فيها، أو تحقيق مكاسب فئوية معينة، وهي حركات متفرعة وأكثر من ان تعد، وتشمل المذاهب الفكرية والدينية، والحركات الاحادية والعلمانية والتكفيرية، وكذا الانظمة السياسية الفاسدة التي تتغنى بالحرية والتحرر شعاراً لها، وهذا ما يقتضي الوعي بالادوار المنوطة بكل تلك التنظيمات والحركات، وبأهدافها، ومحاربتها وفق اساليبها المتبعة، وقد لخص النورسي فحوى ذلك في قوله: "... ان معاول الهدم، ومطارق التخريب تعمل منذ عشرين عاماً مقترفة اشد انواع الظلم، واقسى ضروب التعسف لافساد الاخلاق؛ حتى ضاعت الثقة والوفاء الى درجة لم يعد يوثق بشخص واحد من كل عشرة اشخاص بل من كل عشرين"^(٣).

✓ انتشار فكرة التناقض والتعارض بين الاسلام (كدين مؤسس ومنظم للحياة الانسانية بجوانبها المختلفة)، وبين النزعات الوطنية القطرية الضيقة، وهذا ما يقتضي العمل على تحقيق الانسجام بين تطور المجتمع من جهة، وتلبية ما تدعو اليه النصوص القرآنية من

(١) النورسي، صيقل الاسلام، ص ٥٠١.

(٢) النورسي، الكلمات، ص ٢٩٦.

(٣) النورسي، الملاحق، ص ١٣٦.

جهة ثانية، أي تكييف الحياة اليومية وفق نصوص الشريعة، وليس العكس؛ خاصة انه من الصعب ان لم نقل الاستحالة العودة الى زمن الرسول الكريم ﷺ ونظام الخلافة في ظل تطور وتعقيد الحياة المعاصرة.

✓ ارتباط صورة الاسلام بسلوكات المسلمين انفسهم، وخاصة بالتقليد الاعمى للاوربيين، ووصفهم بالتخلف والجمود الفكري، وانتشار الجهل والفقر والاستبداد واليأس والكسل: "ان اليأس داء عضال للامم والشعوب؛ اسبه ما يكون بالسرطان...، وهو المانع عن بلوغ الكمالات، والمخالف لروح الحديث القسي الشريف: انا عند ظن عبدي بي، وهو شأن الجبناء والسفلة والعاجزين، وذريعتهم، وليس هو من شأن الشهامة الاسلامية قط"^(١). والحال يقتضي تصحيح وتقويم السلوك الاجتماعي والاخلاقي الجمعي للمسلمين، وضرورة تمتعهم بالوعي في الارتقاء بانفسهم ودينهم ومجتمعاتهم، وكذا ايجاد قنوات اعلامية وسياسية وثقافية ودينية؛ هدفها ايصال تلك الصورة المشرفة والمشرقة المفترضة للمسلمين، وقد قال النورسي عن ذلك: "لقد آن اوان الاتحاد الاسلامي، وهو على وشك ان يتحقق، وعليه ينبغي ان تصرفوا النظر عن تقصيراتكم الشخصية، وليتجاوز كل واحد عن الآخر"^(٢). وكتب النورسي ايضا عن ذلك قائلا: "ان اوربا تظن الشريعة هي التي تمد الاستبداد بالقوة وتعينه، حاشي وكلا.. ان الجهل والتعصب المتفشين فينا قد ساعدا اوربا لتحل ظنا خاطئا من ان الشريعة تعين الاستبداد"^(٣).

✓ قصور الانظمة السياسية في المجتمعات الاسلامية عن اداء ادوارها في توظيف المنظومة الاسلامية، وذلك على المستوى التشريعي والنظمي والاجتماعي، وهذا ما يتطلب ايجاد بدائل للانظمة الوضعية المتهالكة؛ يكون منطلقها الاساس هو القرآن نفسه؛ لكونه منهجاً للحياة والعبادة في ان واحد، وكتب النورسي موضحاً ذلك قائلاً: "... نعم ان في مسلكنا قوة؛ الا اننا لم نقوم باستعمالها الا في تأمين الامن الداخلي.."، واضاف منبهاً: "... ان المسألة الاساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي،

(١) النورسي، صيقل الاسلام، ص ٥٠٥.

(٢) النورسي، صيقل الاسلام، ص ٥١٢.

(٣) نفسه، ص ٨٣.

واقامة السد المنيع امام التخريبات المعنوية، واعانة الامن الداخلي بكل ما نملك من قوة"^(١).

✓ ايكال امر الدين وشأنه للجهلاء، والفاستدين، والمفسدين، والمنحرفين به عن اهدافه ومعانيه السامية، وهذا يقتضي اعادة الامر لاهله، وقد وضع النورسي هذه الفكرة في قوله: "...اما الجهاد الخارجي فنحيله الى السيوف الالماسية للبراهين القاطعة للشريعة الغراء؛ لأن الغلبة على المدنيين؛ انما هي بالاقناع، وليس بالاكره كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئاً"^(٢). وقال في السياق ذاته: "نحن نقوم بالعمل الايجابي البناء بكل ما نملك من قوة في سبيل تأمين الامن الداخلي، فالفرق عظيم بين الجهاد الداخلي والخارجي في الوقت الحاضر"^(٣).

✓ التخوف من تكرار تجارب المجتمعات الاوربية؛ بعد سيطرة الكنيسة، والحروب الدينية الطويلة، وتناقضات المذاهب المسيحية والشرائع الاخرى فيما بينها، وذلك التخوف برز من جديد في حال سيادة الدين الاسلامي، وبالتالي يستلزم الامر اثبات ان الاسلام نظام حياة، وليس سبيلا للموت، فكتب النورسي بصورة الحكيم الذي خبر الامم: "... لكن الغرب يعاني من معضلات انسانية خلقية، ويشعر بالحاجة الشديدة الى تلك المبادئ التي تعبقها الارواح، والذي سيساعد الغرب في وصوله الى الحقيقة الاسلامية تغلب مساوئ مدنيته على محاسنها؛ تلك المساوئ التي بثت الفوضى في الاجانب، وارهقت الحضارة وشيبتها"^(٤).

ان العجز عن اداء المهام المنوطة بالانسان في مجتمعه؛ تدفعه أحياناً - حسب النورسي - للتوقف "للحظي" عن الابداع؛ فيرهن حاضره (وربما مستقبله) بلحظات عجزه، وفقدان ارادته، وبالتالي يسقط في فخ الحياة البيولوجية اليومية التي لا يختلف فيها عن الحيوان (أي الاكل والشرب والنوم)، ولا تختلف عندها بالنسبة له الايام ولا السنوات، وهو بالضبط حال

(١) النورسي، المصدر نفسه، ص ٤٦٩.

(٢) النورسي، صيقل الاسلام، ص ٥٢٧.

(٣) نفسه، ص ٤٧٠.

(٤) النورسي، صيقل الاسلام، ص ٥٦.

أمتنا الإسلامية بالأمس القريب واليوم^(١)، وقد أكد النورسي؛ بناءً على دراسته ووعيه بالتجربة الانسانية الماضية؛ على ان هذا الحال سيقصصها حتمًا من الذاكرة البشرية؛ فالزمن ضروري للارتقاء الایماني، والتاريخ عالم يختصر لدارسيه الانتظار، ويمنحهم تجارب انتهت ليستلهموا منها ما هو ايجابي، وليتخذوها منطلقا لهم، وعليه فإن اول خطوة في طريق الانطلاق والانعقاد هي الوعي بالتحديات المفروضة والمحیطة.

وقد أبدع النورسي في رسم التوافق المنطقي المقبول، وذلك عند الحديث عن تفاصيل أركان ومعالم الحياة البشرية القائمة على أساس قدرة الانسان على تحديد اختياراته ورغباته، وبين تحريكه لاشعوريًا بواسطة يد القدر الالهي؛ ديدنه الاجابة على التساؤلات الوجودية الابدية: "من أنت؟، من أين؟، الى أين؟"، ومما ذكره في هذا الخصوص قوله عن عظمة النبوة: "... ما يقول؟ (أي الرسول الكريم عليه افضل الصلاة وازكى التسليم)، نعم انه يقول عن أمر جسيم، ويبحث عن نبأ عظيم؛ اذ يشرح ويحل اللغز العجيب في سر خلق العالم، ويفتح ويكشف الطلسم المغلق في سر الكائنات، ويوضح ويبحث عن الأسئلة الثلاثة المعضلة؛ التي شغلت العقول واوقعتها في الحيرة؛ اذ هي الأسئلة التي يسأل عنها كل موجود"^(٢).

ان دراسة استمرارية الصراع البشري، والتعرف على آليات الخلاص؛ هي مهمة ضرورية للانسان، وترتبط بصفة مباشرة بالشروع في العمل الايجابي والبناء. وقد خلص النورسي بعد دراسته المستفيضة (وفق منهجه الخاص، وبصيرته المتقدمة، ووسائله المتفردة) الى ان الامة الاسلامية مثلاً قد افتقرت الى الاستقرار الروحي عندما تخلت عن روابطها بدينها الاسلامي، وأن المجتمعات البشرية عامة اندفعت باتجاه الرفاه المادي دون تحصيل الهناء الوجداني؛ مهمة في طريقها الاسترشاد بقصص التاريخ وعبره فقال عن ذلك: "... على ان قصصنا من مدنية الغرب هو محاسنها وجوانبها النافعة للبشرية، وليس ذنوبها وسيئاتها. كما ظن بعض الحمقى من الناس ان تلك السيئات محاسن فقلدوها، وخربوا الديار؛ فقدموا الدين رشوة للحصول على الدنيا؛ فما حصلوا عليها، ولا حصلوا على شيء"^(٣).

(١) النورسي، سيرة ذاتية، ص ٨٦.

(٢) النورسي، الكلمات، ص ٢٥٤.

(٣) النورسي، صيقل الاسلام، ص ٥٠٠ - ٥٠١. وانظر ايضا: اللمعات، ص ١٧٦ - ١٧٧.

ومن المفيد - في اعتقادي - الإشارة الى ان النورسي اعتمد على نظريته الذاتية التشخيصية لمسار الحياة الانسانية، وابرز توقعه مآلها مستقبلاً، ومثال ذلك دراسته لواقع وحال الامة الاسلامية في عصره، وتنبؤه بمصيرها التالي^(١)، حيث حدد مشكلاتها في امراضها "المعنوية" المتمثلة في: "حياة اليأس المستشري في النفوس، وموت الصدق في تعاملاتنا الاجتماعية والسياسية، وحب العداوة والغضاء، والجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين ببعضهم البعض، وسريان الاستبداد، وحصر الهمة في المنفعة الشخصية"^(٢). واكد النورسي على خطورة دور اعداء الدين الاسلامي في الداخل والخارج، ورأى بنظرة المحلل والمتأمل في الالتفات الى حال الامم السابقة، والاستفادة مما اصابهم وسيلة يمكن ان تنهض بالهمم في الاوساط المسلمة، وتنقذ نفسها خاصة ان الخطر حسبه قد بات حتمياً ومؤكداً.

وقد احتفظ النورسي في وصف رحلة الانسان "الايجابية" على الارض بمصدره الرئيسي ان لم نقل الوحيد وهو القرآن الكريم، وقدم تبريره لذلك في كون القرآن يخبرنا عن غيب ما كان (أي الماضي الذي لم نعشه)، وغيب ما سيكون (أي المستقبل الآت الذي لن نعيشه ايضا). وقد عرفه - أي القرآن - بأنه "الترجمة الازلية لكتاب الكائنات الكبير... وهو لسان عالم الغيب في عالم الشهادة"، وانه كذلك "كتاب سماوي يتضمن اجمالاً كتب جميع الانبياء المختلفة عصورهم، ورسائل جميع الاولياء المختلفة مشاربهم، وآثار جميع الاصفياء المختلفة مسالكهم"^(٣).

ان هاجس النورسي تمثل في توجيه الناس الى سبيل المعرفة الايمانية، وهو القائل في كل مناسبة او بدونها: "ان عصرنا هو عصر انقاذ الايمان"، وبناءً عليه حاول النورسي توظيف منطلقاته الفكرية لتحقيق غايته في الاقناع، ونجده مثلاً قد أشار الى سيادة العلوم والفنون بأنواعها على الحياة البشرية في أواخر أيامها على الارض "فيتسلم العلم زمام الحكم والقوة"، وربط ذلك بمعجزات الأنبياء والمرسلين: "... مادامت الآيات التي تخص معجزات الانبياء عليهم السلام لها نوع من الإشارة الى خوارق التقدم العلمي والصناعي الحاضر،

(١) النورسي، سيرة ذاتية، ص ٣٧٨.

(٢) نقلاً عن: سعيد النورسي: صيقل الاسلام، ص ٤٩٢.

(٣) النورسي، ذو الفقار، ص ١٣ - ١٤.

ولها طراز من التعبير كأنه يخط ابعد الحدود النهائية لها... وحيث انه ثابت قطعاً ان لكل آية دلالات على معان شتى؛ بل هذا متفق عليه لدى العلماء، ولما كان هناك اوامر مطلقة لاتباع الانبياء عليهم السلام والافتداء بهم؛ لذا يصح القول: انه مع دلالات الآيات المذكورة سابقا (وفيها اعطى امثلة واقعية) على معانيها الصريحة هناك دلالات مشوقة بأسلوب الاشارة الى اهم العلوم البشرية وصناعاتها^(١).

وربط النورسي هذه الرؤية "التفاؤلية" بالتحويلات التي مست العالم الاسلامي بعد ذلك، وأشار - بعين الغيور على دينه - لجهود المسلمين في التصدي للأخطار فكتب: "انه للأسف ظهرت بين تلك الرياض البديعة؛ اشواك اهل البدع ايضا.. ولذلك انطلق كثير من ائمة المجتهدين والمحدثين والحفاظ والاصفياء والاقطاب الاولياء الى انحاء العالم الاسلامي"^(٢)، وكأنه أراد التأكيد على مسألة غاية في الدقة والأهمية، وهي ابراز الحكمة من كل ما اعترض الامة الاسلامية من اختبارات دموية "قاسية"، والتي كانت غايتها نشر الاسلام، والوصول به صادحا في كل اقطار المعمورة، وتنوير الناس بتعاليمه، وكذا دعوتهم للاغتنام من كنوز القرآن؛ مهما كانت دياناتهم وجنسياتهم واعراقهم.

واذا كان من المهم بالنسبة للنورسي؛ تمكن الانسان عموماً من التعرف على التجارب الحقيقية للناس والأمم والحضارات، والاستفادة منها ما أمكن، وخاصة لتحسين النفس والمجتمعات من المفاسد والاحطار؛ فانه اعتبر أيضا ان استشراف الانسان للمستقبل؛ بواسطة المعرفة هدفه "تحصيل السعادة الانسانية بعد اتمام ايمانه، وانهاء استعداداته لليوم الموعود (الحشر) وللمصير المحتوم (الموت)"^(٣) وقدم استنتاجات منطقية عن ذلك؛ تقتطف منها مثلاً قوله: "مادامت الحياة هي حكمة خلق الكائنات وأهم نتيجتها وجوهرها؛ فلا تنحصر تلك الحقيقة السامية في هذه الحياة الدنيا الفانية القصيرة الناقصة المؤلمة، بل ان الخواص التسع والعشرين للحياة وعظمة ماهيتها... ما هي الا الحياة الابدية والحياة الآخرة والحياة الحية في دار السعادة الخالدة"^(٤).

(١) النورسي، ذو الفقار، ص ١٤٢-١٤٣.

(٢) النورسي، ذو الفقار، ص ٢١٧.

(٣) النورسي، ذو الفقار، ص ٤٥٢-٤٥٣.

(٤) النورسي، ذو الفقار، ص ٤٦٠. وأكد النورسي على ضرورة الاتزان واستعمال العقل في العيش

وبرر النورسي ضرورة التوجه لحماية الدين الاسلامي عن طريق سلوك العمل الايجابي، والتحلي بجملة من الصفات الانسانية (يقوله: "لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن اطفاء نورها"^(١))، واقتناعه بأن "المستقبل سيكون للاسلام وحده، وان الحكم لن يكون الا لحقائق القرآن والايمان"^(٢)، وقد اتخذ كل الوسائل المتاحة أمامه لتحقيق تلك الغاية، وعبر مثلاً عن أسفه لشيخوخة الدولة العثمانية المتهالكة، وتوقع بأن لم أقول شمس الخلافة قبل حصوله فقال: "اضطرتني تلك الحالة الى النظر... الى أودية الماضي وشواهد المستقبل أنقب عن نور، وأبحث عن رجاء وعزاء ينير ما كنت أحس به. فحينما نظرت الى اليمين الذي هو الماضي باحثاً عن نور ورجاء بدت لي تلك الجهة من بعيد على هيئة مقبرة كبرى لي ولأبي ولأجدادي والنوع الانساني. ثم نظرت الى اليسار الذي هو المستقبل مفتشاً عن الدواء فتراءى لي على صورة مقبرة كبرى مظلمة لي ولأمثالي وللجيل القادم؛ فأدهشني عوضاً من ان يؤنسني. ثم نظرت الى زماني الحاضر فبدأ ذلك اليوم لنظري الحسير ونظرتي التاريخية على شكل نعش لجنازة جسمي المضطرب كالمذبوح بين الموت والحياة"^(٣). وإذا كانت السعادة الأخروية مقصداً للانسان في تصور النورسي، ومادام القدر عنصرًا فاعلاً في تشكيل الماضي والحاضر والمستقبل؛ فعلى الانسان اذًا ان يفهم ويستوعب حكمة ما يمكن ان يواجهه من مصائب ومكاره وتجارب عنيفة، وان يتحلى بالايجابية والتفاؤل والصبر.

١- وسائل وآليات العمل الايجابي لدى النورسي:

اتخذ النورسي كل وسائل العمل الايجابي والمواجهة الممكنة، ودعا الى تفعيل دورها، وما فتئ ماضياً في طريق الإيمان بحسبه العلم والعمل لازمتان متلازمتان؛ فكان أن حدد الأسس الخمسة للعمل الايجابي، وهي:

- "الابتعاد عن الحرام".

بسلام؛ دون التفكير كثيراً في أحزان الزمان الماضي الغابر، ولا بتعذيب النفس بمخاوف المستقبل الآت. انظر للتفاصيل: النورسي، ذو الفقار، ص ٤٦٠ - ٤٦١.

(١) النورسي، سيرة ذاتية، ص ٦٦.

(٢) النورسي، صيقل الاسلام، ص ٤٩٢.

(٣) النورسي، سيرة ذاتية، ص ١٩٤.

- "الحفاظ على الأمن".

- "نبذ الفوضى والغوغائية والدخول في الطاعة".

- "الاحترام المتبادل".

- "الشفقة والرحمة".

ورصد النورسي أيضاً وسائل وآليات تمكن الإنسان من الوصول إلى تحقيق أهدافه؛ نذكر منها على وجه الخصوص:

- بيان إعجاز القرآن الكريم، واثبات توافق العلم معه، وذلك عن طريق تشجيع البحث العلمي، وتفعيل دور المؤسسات المتخصصة، والاهتمام بمسارات التقدم التقني؛ من دون التخلي عن ربطها بالمنطلق القرآني، واستحضار الأهداف الرئيسية منها، وقد كتب النورسي في هذا الإطار ما يلي: "إن القرآن خطاب ودواء لجميع طبقات البشر من أذكي الأذكياء إلى أغبي الأغبياء، ومن اتقى الأتقياء إلى أشقى الأشقياء، ومن الموفقين المدين الفارغين من الدنيا إلى المخدولين المتهاولين المشغولين بالدنيا"^(١). وأضاف عن أهمية الرد على الشبهات بتوظيف الإعجاز: "إن كل آية من أكثر الآيات الواردة في هذه الرسالة (ويقصد المعجزة القرآنية)؛ إما أنها أصبحت موضع انتقاد الملحدين، أو أصابها اعتراض أهل العلوم الحديثة، أو مستهها شبهات شياطين الجن والإنس وأوهامهم"^(٢).

- ضرورة تحقيق تفاعل إيجابي للمسلمين على مستويات الأداء الحضاري وسط الأمم، والتأثير في الواقع المعاش بإيجابية وصدق، وذلك بتحسين أوجه ومضامين الخطاب التواصلية مع الآخر خاصة. وترتيب الأولويات فيما تعلق بالإصلاح المجتمعي؛ بدءاً بالنفس فالمجتمع فالآخر (الأجنبي)، وخاصة عن طريق الشروع في إصلاح وتقوم النفس، وإعادة بعث الإيمان فيها، وبتكريس الحضور الديني في السلوكيات؛ فقال النورسي بهذا الخصوص: "إن هناك ثلاث مسائل: الحياة، الشريعة والإيمان، وإن مسألة الإيمان هي أهم هذه المسائل الثلاث، وأعظمها في نظر الحقيقة. بيد أن

(١) النورسي، المثنوي...، ص ٧٠.

(٢) النورسي، الكلمات، ص ٤٢٠.

الحياة والشريعة تبدوان في نظر الناس عامة، وضمن متطلبات أوضاع العالم أهم تلك المسائل"^(١).

- محاربة أوجه التطرف والتعصب والعنف... الخ؛ على مستوى ممارسة الأفراد، أو المجموعات على السواء، وكذا فتح قنوات الحوار والإقناع والبرهان والمواجهة؛ بدل الإساءة والعداء والخلاف، وذلك حتى عند مواجهة أعداء الإسلام، وقال النورسي عن ذلك: "إن رقي الإسلام، وتقدمه في الماضي؛ كان بالقضاء على تعصب العدو، وتمزيق عناده، ودفع اعتداءاته. وقد تم ذلك بقوة السلاح والسيف، وسوف تغلب الأعداء اليوم، وتشتت شملهم بالسيوف المعنوية بدلا من المادية"^(٢). وأضاف: "إن ما جعل الإسلام يتجلى وتنكشف حقائقه..؛ إلا تأسيسه على الحقيقة، وتقلده البرهان، ومشاورته العقل، واعتلاؤه عرش الحقيقة، ومطابقتها دساتير الحكمة المتسلسلة من الأزل إلى الأبد، ومحاكاته لها"^(٣).

- الاهتمام بالمؤسسات والمناهج التعليمية، وربطها بالعمل كنافذة تحقق الأهداف المنوطة بها، وكذا ضرورة تقديم الحقائق الإيمانية بأسلوب وروح العصر، ووفق ما يتماشى وآلياته: "ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل الفنون المدنية؛ فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، وبافتراقهما تتولد الحيل والشبهات في هذا، والتعصب الذميم في ذاك"^(٤).

- التمعن في رسائل النور؛ باعتبارها مرآة عاكسة لتعاليم الإسلام، وهي إحدى وسائل التغيير والإصلاح المنشود، وقد قال عنها صاحبها ما يلي: "... نعم إن من يشاهد أسلوب بيان رسائل النور؛ لا يمكن أن لا يهتم بها، فهي لا تشبه المؤلفات الأخرى بتأثيرها في القلب والعقل وحدهما؛ بل تسحر أيضا النفس والمشاعر"^(٥)، وأكد النورسي الإفادة الجمة منها في قوله: "يستفيد السالك في رسائل النور في

(١) النورسي، الملاحق، ص ١٣٦.

(٢) النورسي، صيقل الاسلام، ص ٥٠٠.

(٣) النورسي، صيقل الاسلام، ص ٤٨.

(٤) النورسي، صيقل الاسلام، ص ٤٢٨.

(٥) النورسي، الشعاعات، ص ٣٨٣.

لحظة؛ ما لا يستفيده سالكو سائر المسالك في سنة"^(١).

٢- دور العمل الايجابي في مواجهة فكرة العدا للاسلام:

لم يترك النورسي وسيلة؛ إلا استعملها في موضوع مواجهة فكرة العدا للاسلام، ولكنه اعتمد بالأخص على دعائم إيمانية؛ مثلت أساس دعوته لتبني العمل الايجابي والفعال. ولم ينفك النورسي يركز على دور هذا الأخير في رد الشبهات عن الاسلام، وصد المعادين له، ودحض الأفكار الخاطئة المروجة. وفسر النورسي في مناسبة موقع وأهمية القرآن في الحياة، وبأن البعد عنه هو سبب كل الأزمات والانكسارات الهزائم، وان الخلاص هو بالعودة ثانية إليه في كل صغيرة وكبيرة من شؤون الحياة: "ليس بالإمكان القيام بعمل ايجابي بناء مع التهاون في الدين، حيث اقتربت الحضارة القرآنية من الظهور، وأوشكت الحضارة الأوربية الضالة المسؤولة عن ضعف الدين على التمزق والانهار، أما القيام بعمل سلبي؛ فليس الاسلام بحاجة إليه، كفاه ما تعرض له من جروح ومصائب"^(٢).

واكد النورسي ان مواجهة فكرة العدا للاسلام والمسلمين تنطلق بالاساس من تفعيل اداء المسلمين انفسهم، وكشف بأن "البشرية تتعثر في سيرها؛ فهي لا تكاد تقوم حتى تقع في احوال ملوثة منتنة، ولكن قسما منها يمضي في طريق آمنة، وقسم آخر قد وجد بعض الوسائل لتنجيه من الوحل والمستنقع، وقسم آخر وهم الاغلبية يمضون وسط ظلام دامس في ذلك المستنقع الموحد المتسخ"^(٣). وفي موضع آخر كتب: "من المعلوم ان مقاومة الفرد تكون ضعيفة امام المؤثرات الخارجية؛ فلقد ضحى بكثير من احكام الدين مسaire للمؤثرات الخارجية"^(٤).

ويبين واضح لامس النورسي جدوى العمل الايجابي؛ بآلياته المفترضة والمقترحة من

(١) النورسي، المشنوي...، ص ٩٢. واذاف عن اهمية رسائل النور: "... اما رسائل النور فلكونها معجزة معنوية للقرآن الكريم؛ فهي تنقد اساس الايمان واركانه، لا بالاستفادة من الايمان الراسخ الموجود، وانما باثبات الايمان وتحقيقه، وحفظه في القلوب، وانقاذه من الشبهات والاوهام بدلائل كثيرة، وبراهين ساطعة؛ حتى حكم كل من يمعن النظر فيها؛ بأنها اصبحت ضرورية في هذا العصر كضرورة الخبز والماء". انظر: الملاحق، ص ١٠٥.

(٢) النورسي، المشنوي...، ص ٢٠٢.

(٣) النورسي، المكتوبات، ص ٦٠ - ٦١.

(٤) النورسي، صيقل الاسلام، ص ٣٥٢. وانظر: ص ٤٠٥.

قبله: "ان الاسلام سيظهر على الارض كافة؛ مبينا ان اعظم رقي مادي ومعنوي سيحققه الاسلام، وستنجلي الحضارة الاسلامية بأبهى مظاهرها، وستتطهر الارض من الملوثات"^(١). ونصح اخوانه بصرخة صادقة قائلا: "اهجموا على الجهل والفقر بالعلم والصناعة"^(٢).

خاتمة:

ما يمكن ان نستشفه من دراسة أسس ومنطلقات العمل الايجابي لدى النورسي، ودوره في مواجهة فكرة العداء للاسلام ما يلي:

١- كان الهاجس اليماني مفتاحاً لحل كل المشكلات والقضايا بالنسبة للنورسي، وهو في ذلك لا يترك الاستفهامات تطرح دون ان يجد لها الاجابات المقنعة.

٢- تمثل النورسي من خلال دراسة أحوال الشعوب والامم؛ استكشاف اسرار الوجود والخلق، واثارة الحماس في نفوس النشء، وهدف لايقاظ الهمم من الخمول، وتأجيج الرغبة في التنافس الحضاري المرغوب. واعتبر ان المعرفة والعمل الايجابي يشكلان معا جسرا يربط الانسان بالآزمنة والحضارات، والتي تحيله الى مقاربة الحاضر، ومن ثمة تؤسس لعالم المستقبل الزاهر.

٣- ان العمل الايجابي لدى النورسي هو مسعى لتحصيل حياة أفضل؛ من أجل إيمان مكتمل، ونفس مستقرة، ووعي سليم، مآله في الأخير مواجهة العداء والبغضاء للاسلام والمسلمين.

٤- لم يكن النورسي قلقا من المصير الذي يخيف عادة البشر وهو الفناء (على عادة المؤرخين المهووسين بذلك)؛ بل أمدته الواقعية بالتماسك والقوة والصلابة؛ مادام بناؤه النفسي والفكري قد قام على أساس الركيزة الايمانية، وهو القائل: "ان الايمان مثلما ينقذ الانسان من الاعداء الابدي أثناء الموت؛ فهو ينقذ دنيا كل شخص أيضا من ظلمات العدم والانعدام والعبث"^(١).

٥- أكد النورسي (في مسعى مواجهة فكرة العداء للاسلام) على العلاقة الوطيدة بين

(١) النورسي، صيقل الاسلام، ص ٤٩٢.

(٢) النورسي، الكلمات، ص ٢٩٦. وانظر ايضا: صيقل الاسلام، ص ٤٦٣.

(١) النورسي، ذو الفقار، ص ١٩٦.

العلم والقرآن، واستحضر التجارب الماضية لابرار تلازمة التطور المادي للحضارة، وعدم تناقض قواعد العلم؛ مهما استمر تقدمه وتطوره مع النصوص القرآنية، وهذا تحديداً ما يستلزم ضرورة الايمان والاقتناع والعمل بنصوص القرآن؛ بدل اللجوء الى تقديس العلم مجرداً دون هدف.

● قائمة البليوغرافيا المعتمدة:

- ١- سعيد النورسي: الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة. احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط١، ٠١، ١٩٩٩.
- ٢- سعيد النورسي: المثنوي العربي النوري، تحقيق. احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط١، ٠١، ١٩٩٥.
- ٣- سعيد النورسي: سيرة ذاتية، اعداد وترجمة. احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط٠٥، ٠٨، ٢٠٠٨.
- ٤- سعيد النورسي: صيقل الاسلام او آثار سعيد القديم، ترجمة. احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط٠٣، ٠٢، ٢٠٠٢.
- ٥- سعيد النورسي: ذو الفقار: مجموعة رسائل المعجزات القرآنية والمعجزات الأحمديّة ورسالة الحشر، ترجمة. احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط٠١، ٠٥، ٢٠٠٥.
- ٦- سعيد النورسي: الكلمات. ترجمة. احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط٠٥، ٠٨، ٢٠٠٨.
- ٧- أديب ابراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الايمانية عند النورسي، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط٠١، ٠١، ١٩٩٧.

المحور الثالث

العمل الإيجابي البناء والعلوم الإسلامية

العمل الإيجابي بين التيارات الفلسفية ورسائل النور. البروفسور الأخضر شريط

مدير مخبر مشكلات الحضارة.

جامعة الجزائر ٢.

إن الغرض من هذه الورقة هو مقارنة ما يمكن أن تشتمل عليه التيارات الفلسفية من عمل إيجابي مع ما جاء من قرينه في ضوء رسائل النور. للوهلة الأولى يبدو أن الرسائل جاءت بفكرة مغايرة عما عودتنا عليه الطروح الفلسفية. لكن هذا يبقى مجرد معاينة أولية للحقيقة أي حقيقة العمل الإيجابي. كما أن التيارات الفلسفية على مختلف مشاربها، قدمت هي الأخرى قاعدة للعمل الإيجابي لكن هذه الأخيرة تبقى تسبح في العالم النظري دون أن تأخذ الإيجابية واقعيته فيها. وعليه يعتبر هذا أيضا مجرد تكهن لمعالم هذه التيارات الفلسفية. وإن كنا لا نختلف في كون الاثنين جاءتا معا من أجل إسعاد البشرية. وهنا تتبادر إلى ذهننا الاشكالية التالية: إلى أي مدى كان العمل الإيجابي أكثر إيجابية بين رسائل النور ومختلف التيارات الفلسفية ؟

للإجابة على هذه الاشكالية سوف نتبع المنهجية التالية:

- في مفهوم العمل الإيجابي بين الرسائل والتيارات الفلسفية.
- سؤال العمل بين الرسائل والتيارات الفلسفية.
- سؤال الاختلاف في العمل الإيجابي بين النورسي وبعض التيارات الفلسفية
- بديل النورسي للعمل الإيجابي.
- نتائج البحث.

وللوصول إلى مبتغانا سوف نستخدم المنهج التحليلي المقارن. كما أننا نعتمد على أهم المصادر والمراجع التي نرى أنها تفي بغرض البحث الأكاديمي.
في مفهوم العمل الإيجابي بين الرسائل والتيارات الفلسفية.
إن مفهوم العمل هو مفهوم دار حوله نقاش كبير بين الفلاسفة من جهة، وأهل الإيمان

من جهة أخرى. فكون الفلاسفة يحاولون أن يعطوا له تفسيراً بعضه عقلياً، وبعضه الآخر تفسيراً نفسياً، والبعض الآخر تفسيراً مادياً، وهناك حتى من يعتبر العمل هو من يحرر الإنسان من العبودية إلى الحرية^(١): من عبودية العباد لكن ليس إلى عبودية رب العباد، بل إلى حرية الإنسان :

وإذا اتينا لتفصيلات كل ذلك وجدنا التيار العقلي يضع العمل هو النشاط الذي يقوم به الفرد طبقاً لما يمل به عليه العقل. أو لنقل القاعدة القانونية، ومن ذلك قول الفيلسوف الألماني كانط: إعمل كما لو كان على مسلمتك أن تصبح قانوناً عاماً. وقوله إذا كان يجب عليك فانت تستطيع^(٢). ومن هذا نفهم المعنى التالي : إن العمل هو ما يأمر به العقل، ولو أخطأ هذا الأخير، فإنه يكون لنا قاعدة قانونية خاطئة. ومنه فإن أهل هذا التيار، يذهبون في تأليهم للعقل للحد الذي لا ينتهون معه إلى إمكانية الخطأ من العقل^(٣). وعليه فإن مفهوم العمل عند هذا التيار لا يمكنه إلا أن يكون ترف فكري، ليس إلا. لماذا؟ لأنه منقوص من عنصر آخر وهو الجانب القيمي. أي الجانب الذي ينظر في كيف هذا العمل أي في صلاحية هذا العمل من عدم صلاحيته^(٤). وعليه فالأمر في هذا المفهوم يكون منقوصاً.

في مقابل هذا المفهوم يقدم بديع الزمان سعيد النورسي تعريفاً لما يسميه بالعمل الإيجابي^(٥). إذ أن هذا الأخير لا يكون كذلك، إلا إذا كان ملهماً من الروح الربانية، فهي

(١) لتفصيل أكثر حول الفكر راجع: هيجل ج ف، محاضرات في فلسفة التاريخ - العقل في التاريخ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة ١٩٨٦.

(٢) هناك مجموعة من القواعد الهادفة لإقامة فكرة الواجب الأخلاقي، ولكنها كلها تبدأ بالقول اعمل، لتفاصيل أكثر راجع المصدر الخاص بالمؤلف: kant groundwork of the metaphysics of morals,

translated & edited by Mary Gregor Cambridge university press 1997

(٣) هذه هي أهم الانتقادات التي وجهت للتيار العقلي مثلاً هنا بصاحب الفلسفة العقلية النقدية. الفيلسوف الألماني كانط.

(٤) لتفاصيل أكثر حول هذه الفكرة راجع مالك بن نبي، ميلاد مجتمع. فصل: قيمة الأفكار وحياتها الرياضية. ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق ١٩٨٦.

(٥) حتى نكون منصفين هذا المصطلح أي مصطلح العمل الإيجابي مصطلح خاص ببديع الزمان سعيد النورسي، ولا نجد له في مسميات أخرى بين المفكرين استعمالاً على شاكلته، مع العلم أننا نستطيع

وحدها التي تأهله لان يتطور في حياته، ويكون عمله أي عمل الإنسان إيجابيا. إذن إن العمل الإيجابي - لا يكون كذلك حسب - إلا من أنه من إرادة الله، أو أن يكون مجسدا لها في واقعه يقول النورسي: "نعم، ان التفاوت بين مجيء الحيوان والانسان الى هذه الدنيا يدل على أن اكتمال الانسانية وارتقاءها الى الانسانية الحقة إنما هو بالإيمان وحده، وذلك لأن الحيوان حينما يأتي الى الدنيا يأتي اليها كأنه قد اكتمل في عالم آخر، فيُرسَل اليها متكاملًا حسب استعداده. فيتعلم في ظرف ساعتين أو يومين أو شهرين جميع شرائط حياته وعلاقاته بالكائنات الأخرى وقوانين حياته، فتحصل لديه ملكة؛ فيتعلم العصفور أو النحلة - مثلاً - القدرة الحياتية والسلوك العملي عن طريق الإلهام الرباني وهدايته سبحانه. ويحصل في عشرين يوماً على ما لا يتعلمه الانسان إلا في عشرين سنة. اذن الوظيفة الاساس للحيوان ليست التكمّل والاكتمال بالتعلم، ولا الترقى بكسب العلم والمعرفة، ولا الاستعانة والدعاء بإظهار العجز. وانما وظيفته الأصلية: العمل حسب استعداده، اي العبودية الفعلية"^(١).

وهذا الكلام نفهم منه أن النورسي لا يجعل للعمل الإنساني أية قيمة، إلا إذا كانت صادرة عن القوي المتعالي، أي الله سبحانه وتعالى. بمعنى ان العمل أي كان، فإنه لا يختلف عما هو عليه عند الحيوان. لكن تبقى الهوة سحيقة بين الاثنين مما يتفوق الانسان عن الحيوان بالإيمان، والذي هو عنصر رئيس في أي عمل إيجابي. وهذا المفهوم للعمل الإيجابي يختلف عما جاءت به أكبر التيارات العقلية التي تجعل - كما قلنا - من العقل وحده ملهم للعمل. إذا بخصوص أصول العمل انتهينا مع هذا التيار الفلسفي (أي التيار العقلي) إلى أنه من وحي العقل، بينما مع النورسي يبدأ مع الإيمان، وما ادراك ما الإيمان!!!. وعليه فالعمل عنده ذا أصول إيمانية روحانية.

أن نجد ما يقابله كالعمل وفق الواجب الشرعي، أو الديني، أو الدعوي، أو حتى العمل وفق القواعد القانونية، ولكن مع ذلك يبقى استعمال المصطلح استعمال خاص به ولا يعطي الدلالة نفسها مع هذه المصطلحات جميعها الشيء الذي معه انكبنا على تحليله في هذا البحث.

(١) بديع الزمان سعيد النورسي رسائل النور، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي الكلمة، الثالث والعشرين ص ٤٠٠.

سؤال العمل بين الرسائل وبعض التيارات الفلسفية.

وإذا ما قلبنا الأمر مع تيار فلسفي آخر، والذي هو التيار المادي، نجد أن العمل عنده ذا أصول مادية يقول كارل ما ركس مثلاً: أن الكل يعمل إن أجل إشباع رغبته ولكل حسب مقدرته ولكل حسب حاجته^(١). ومن هذا يتبين أن مفهوم العمل هنا يحمل طابعا ماديا صرفا، ذلك أن الذي عليه أن يعمل أولا من جانبه البهيمي، من جانبه الذري المادي. إن العمل هنا يلاحظ عليه نوع من التحرر من العبودية، لكن إلى عبودية الكل، أي البروليتاريا.^(٢) ومنه فقيمة العمل تصبح قيمة على علاقة وثيقة بهذه الطبقة، ولا علاقة تربطها خارج هذه الطبقة. فهي علاقة مادية ليس إلا.

لكن النورسي يجعل للإنسان قيمة من العمل الإيجابي عنده. حيث أن العمل الإيجابي لا يكون كذلك إلا من النية الخالصة لله سبحانه وتعالى، وكل عمل ليس فيه هذه النية: هو هباء منثورا. ولذلك فإن الحديث الشريف الذي يرويه يدل به على ذلك: والحديث هو "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"^(٣) يقول النورسي مستعينا بمثال توضيحي ما يلي هو "الحيوانات التي يملكها ذلك المالك العظيم، ويستخدمها في أعمال بناء القصر والمدينة، ولا يعطيها إلا علفها. فهذه الحيوانات تتمتع بلذة في أثناء قيامها بعمل يوافق استعداداتها، إذ القابلية أو الاستعداد ان دخلت طور الفعل والعمل بعدما كانت في طور القوة الكامنة، تنبسط وتنفس، فتورث لذة، وما اللذة الموجودة في الفعاليات كلها الا نابعة من هذا السر.

اي ان انجاز الاعمال وفق السنة الشريفة يجعل العمل الفاني القصير مداراً للحياة الابدية، ذات ثمار خالدة.^(٤) "وعندما ننظر في مفهوم العمل الإيجابي عند النورسي نجد

(١) كارل ماركس: رأس المال، ترجمة د. راشد البراوي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٧٠، ص ٦.

(٢) البروليتاريا: طبقة العمال أو الكادحين وهي التي تسيطر في المرحلة الشيوعية وتقيم دكتاتوريتها باعتراف من الماركسيين أنفسهم فيتحول الأفراد إلى معبودهم الجديد.

(٣) نص الحديث: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه. رواه البخاري ومسلم.

(٤) بديع الزمان سعيد النورسي رسائل النور، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالح، المكتوب الرابع

يتسم بمجموعة من الصفات نذكر منها:

- الإيمان.

- **مرضات الله.** فالعمل لا يكون في غير مرضات الله يكون هباءً منثوراً أو لنقل عملاً مبتوراً كما جاء في الحديث الشريف^(١) أنه عمل غير هدام. إذ يمكننا أن نتصور عمل لكنه هدام. لأن بعض التيارات الفلسفية تقيم العمل كعمل دون أن تنظر إليه ما إذا كان هدام أم إيجابي. ومن ذلك تعريفها للعمل الذي يقوم به لاعب كرة القدم مثلاً هو عمل بالنسبة لهذه التيارات لأنه بالتعريف عندها هو بذل جهد من أجل منفعة وعلى راس هذه التيارات الفلسفية التيار البرغماتي الأمريكي.

- **الصبر** وهو حسب النورسي عنصر هام في فلسفة مضامين العمل الإيجابي، إذ لا يكون العمل متصفاً بهذه الصفة أي الإيجابية إلا إذا اكتنفه الصبر. وكل عمل إيجابي يصبح كذلك من تلك الخاصية الرئيسية بعد الإيمان يقول في هذا المعنى:

"ان وظيفتنا هي العمل الايجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدام. والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الالهي دون التدخل بما هو موكول امره إلى الله. اننا مكلفون بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي"^(٢).

والنورسي يشد الأمر على الله وذلك بكشف الغطاء عن النفس التي تنسى ويذكرها بهذا التذكير، حيث انه كما يقول من الممكن ان تشغل هذه النفس بشواغل دنيوية الشيء الذي يجعلها تغفل وتنسى التكليف والتركية الواجبة عليها ويستنتج ذلك من الآية الكريمة التي جاء فيها قوله تعالى: ﴿... وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ...﴾^(٣) ذلك: ان الانسان ينسى نفسه ويغفل عنها، فاذا ما فكر في الموت صرفه الى غيره، واذا ما رأى الفناء والزوال دفعه الى الآخرين، وكأنه لا يعنيه بشيء، اذ مقتضى النفس الامارة انها

والعشرين، ص ٤٠٤.

(١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (كُلُّ كَلَامٍ أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللَّهِ فَهُوَ أَبْتَرُ - أَوْ قَالَ: أَقْطَعُ -) وقد روي الحديث بألفاظ أخرى نحو هذا.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي، رسائل النور سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحى - ص: ٤٦٩

(٣) سورة الحشر الآية ١٩.

تذكر ذاتها في مقام اخذ الاجرة والحظوظ وتلتزم بها بشدة، بينما تتناسى ذاتها في مقام الخدمة والعمل والتكليف. فتزكيتها وتطهيرها وتربيتها في هذه الخطوة"^(١).

إن هذا المفهوم من النورسي للعمل الإيجابي لا يضاهيه مفهوم آخر. حيث ان مجاله غير المجال الذي نادى به جل التيارات الفلسفية. هذه الأخيرة التي ركزت في مفهومها للعمل على الجانب النظري. - وللحقيقة نقول هي تتأرجح في مفهومها للعمل الإيجابي بين كرسين من جهة تركز على إعطاء مفهوم للعمل الإيجابي، من الجانب النظري ومن جهة أخرى، تعطي مفهومها له من الجانب الواقعي. وعليه فإما أن مفهوم العمل عندها يسبح في ملكوت العقل، سواء كان هذا العقل: العقل المجرد النظري أو العقل المدرك، العقل الذي له ملكة التمييز من جهة. ومن جهة أخرى، فإن مفهوم العمل الإيجابي يكون بين المفهوم الحسي والمفهوم الطيني. ونقصد بهذا الأخير أصحاب "التيار الواقعي"، الذين جعلوا من الحس بدايتهم في إعطاء المفاهيم. ومنه المفهوم الخاص بالعمل. أو أصحاب الواقعية الجديدة"^(٢) وهم أيضا من الذي جعلوا من مفهوم العمل مفهوما ماديا، كما مر معنا مع المدرسة المادية التي بدأ التأسيس لها مع داروين تشارلس Charles Darwin^(٣) ومرت مع كارل ماركس وانتهت بما يعرف بالمادية المحدثّة، والتي يمثلها صاحب كتاب "الانسان يقوم وحده". أي جوليان هوكسلي Julian Huxley^(٤).

فكل هذه التيارات الفلسفية تضاد بل تناقض الطرح الذي يقدمه النورسي للعمل الإيجابي، والذي قلنا ان المنطلق عنده فيه هو النية. ثم مررنا مع العناصر والخصائص الأخرى والتي هي: **العمل الذي لا يكون هداما**. ومع ذلك كله لا بد من **الاتقان**: إتقان العمل

(١) بديع الزمان النورسي، رسائل النور، الكلمات، ترجمة احسان قاسم الصالح، الكلمة السادسة والعشرون - ص: ٥٥٩.

(٢) تيار فلسفي معاصر نشأ في الفلسفة التحليلية البريطانية ومن رواده جوج مور.

(٣) شارلس داروين بيولوجي بريطاني صاحب فكرة التطور التي جاء بها في كتابه أصل الانسان وكتابه أصل الأنواع. 1882-1809.

(٤) جوليان هوكسلي Julian Huxley ١٨٨٧-١٩٧٥ بيولوجي بريطاني من أتباع الداروينية المحدثّة من مؤلفاته Man stand a lone الانسان يقوم وحده. وهو الكتاب الذي رد عليه عالم الكيمياء الأمريكي: أبرهام كريسي موريسون Abraham Cressy Morrison 1888-1951 بكتاب الإنسان لا يقوم وحده Man dose not stand a lone.

لقول الرسول ﷺ "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"^(١). وهو الذي حسب النورسي يكون متسلحاً بخاصية أخرى سماها الصبر.

ولعل من نافلة القول أن نقول في المفهوم أقوال أخرى تتبع خاصيات العمل الإيجابي، سواء عند التيارات الفكرية، أو عند النورسي. وهي الخاصية المتعلقة بالطريقة والمنهج المتبع فيه. أي في سبيل إرساء العمل الإيجابي.

فالفلاسفة على مختلف مشاربهم يبنون هذه القاعدة حسب طبيعة موضوعاتهم. فأصحاب الموضوعات المادية، يسلكون طرق ومنهجيات تابعة في كثير من الأحيان للمنهج الخاص بالعلم الطبيعي^(٢). (والذي يعتمد الخطوات المعروفة والمتمثلة في الملاحظة والفرضية وتفحص أو اختبار الفرضية والتجربة فالحصول على القانون).

ولا يختلف الفلاسفة النظريون عن هذا المنهج أو الطريقة هذه. ليكون العمل عندهم كمفهوم عمل إيجابي فهم يضعون عوض الاختبار: الاستقراء. وعوض التجربة الاحتمال. ليصلون إلى القانون المستنبط من العقل. والعقل وحده. ومن هنا يراعون الجانب الطبيعي في طريقته والتعامل مع مفهومهم للعمل.

هذا في التعاملات مع المجالات العلمية التي غالباً ما تشكل منطلقاتهم. وهو الأمر الذي لا ينكره النورسي نقصد الخطوات المعروفة في منهج العلم الطبيعي خصوصاً وأنها كانت من لبنات الحضارة الإسلامية (فلقد كان جابر بن حيان أول من راعى هذه الخطوات ولذلك أصبح تقليداً لكل علماء الحضارة الإسلامية وعلماء وفلاسفة هذه الحضارة ينطلقون منها أيضاً).

لكن العمل الإيجابي له في المجال العسكري والمجال السياسي والاجتماعي شأن آخر. والفلاسفة بعضهم يؤكد على ما يعرف عندهم ببعض الاستراتيجيات الحربية. أو الاستراتيجيات السياسية وهي كلها مبنية على تخمينات الإنسان العسكري والقيادات المنفذة.

(١) نص الحديث: عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" الصحيحة (١١١٣).

(٢) شيخاني محمد، التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام، دار قتيبة للطباعة والنشر. ص. ٢٣.

أما بديع الزمان سعيد النورسي فهو الذي يضع الطريقة للوصول إلى أن يكون العمل إيجابيا في مجال غير المجال الذي يضعه الفلاسفة. فهو - كما قلنا- يتسم بالخصائص السابقة (التي ذكرنا) ويكون مطبوعا بالطابع الدعوي أيضا. يقول: "أما أورد هذا الطريق القصير وأذكره فتنحصر في اتباع السنة النبوية.. والعمل بالفرائض، ولا سيما إقامة الصلاة باعتدال الأركان والعمل بالأذكار عقبه. وترك الكبائر"^(١).

ولنتأمل جيدا قول النورسي في هذا المجال على مستويين: على المستوى الداخلي، وكيف يكون التعامل مع الأعداء؟ وعلى المستوى الخارجي وكيف يكون التعامل معهم؟ يقول ضمن هذه الأخيرة أي على مستوى التعامل على المستوى الخارجي ما يلي: "أجل، يستوجب مجابهة المحجمات الخارجية بالقوة، لأن أموال العدو وذرائعه يكون بمثابة غنيمة للمسلمين. أما في الداخل فالأمر ليس هكذا. ففي الداخل ينبغي الوقوف أمام التخريبات المعنوية بشكل إيجابي بناء، بالإخلاص التام. إن الجهاد في الخارج يختلف عما هو في الداخل. وقد أحسن إلي المولى سبحانه وتعالى بملايين من الطلاب الحقيقيين. فنحن نقوم بالعمل الإيجابي البناء بكل ما نملك من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي. فالفرق عظيم بين الجهاد الداخلي والخارجي في الوقت الحاضر"^(٢).

وهو كما نرى يبني العمل الإيجابي الخارجي على أساس أن يكون التعامل مع العدو باستعمال القوم وكأنه يطبق قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٣) ومن ذلك لأن استعمال القوة في هذا العمل الإيجابي في التعامل مع العدو الخارجي نتائجه معروفة وهي الحصول على الغنائم لكي يقوى العمل أكثر. بينما لا تكون النتيجة نفسها في العمل الإيجابي، لو طبقناه مع عدو الداخل، لأن استعمال القوة معه لا ينتج سوى الخراب والدمار للبدن. معناه أنك تخسر مما هم عون لك في هذا العمل، سواء على مستوى الخسائر المادية، أو الخسائر البشرية. وفي كلتا الحالتين يتبين لك أنك تتعامل مع شيء يمكننا أن نسميه نحن "بتآكل الذات" شيئا فشيئا حتى الانقراض وهذا مضر بالعمل الإيجابي بل هو عين العمل الهدام.

(١) الكلمة السادسة والعشرون - ص: ٥٥٨.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالح، ص ٤٧٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

ولنتأمل بشكل جيد كيف أن النورسي يعيدنا إلى التعامل مع فئة العلماء في الداخل:
العلماء الذين لهم وزن في توجيه الأمة: إن كانوا مخالفين له في التوجيه يقول النورسي:
"اخواني! لا تهاجموا بعض العلماء الذين ظنوا بعض الجاءات (كما هي في النص
وأغلب الظن من لجأ) العصر ضرورة، وركنوا إلى البدع. لا تصادموا هؤلاء المساكين الذين
ظنوا الأمر ضرورة، بدون علم وعملوا وفقها. ولهذا فنحن لا نقوم باستعمال قوتنا في
الداخل. فلا تتحرشوا بهم وإن كان المعارضون لنا من العلماء الائمة. انني قد تحملت وحدي
المعارضات كافة، ولم افتر مقدار ذرة قط. ووقفت في تلك الخدمة الإيمانية بإذن الله. فالآن
رغم وجود ملايين من طلبة النور، فإنني اسعى بالعمل الايجابي وتحمل جميع مظالمهم
وإهاناتهم وإثاراتهم"^(١).

ويتبين من هذا النص أن اللجوء إلى مهاجمة علماء ضنوا في أن منتجات الحضارة
الغربية من العلوم أصحب الحلول الجاهزة من الغرب، ك أولئك: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٢) ومن هذه النماذج نذكر علماء البلاد العربية على مختلف
مشاربهم وعلى مختلف طروحاتهم. ومن مفكراتها عندنا في البلاد العربية نذكر على سبيل
المثال: سلامة موسى وشبلي شميل واسماعيل مظهر وطه حسين وقاسم أمين والجابري
وأركون.... والقائمة تطول من الذين تشبعوا بالفكر العلماني والذين رأوا فيه منقذ للأمة. فإن
توجههم هذا يبقى مجاله مفتوحا.

ومن ذلك يحذر النورسي أن لا نهتم بما هو غير العمل الإيجابي، لان الاهتمام به يوجد
شكل من أشكال الجدل البيزنطي العقيم. من جهة ومن جهة أخرى مدعاة لتضييع الوقت،
وتضييع فرصة أمام العمل الإيجابي، الذي يجب على طلاب النور الاهتمام به أكثر من
غيرهم.

ويحذر الطلاب أي طلبة النور من التعرض لهم ومن مهاجمتهم (أي المناوئين) ويجعل
الأمر من الأمور التي يجب ان يتحملها هو نفسه. وإذا قلنا يتحملها هو نفسه معناه على
طلبة النور أن يتحملوه أيضا، اقتداء برسائل النور. وما جاء فيها من توجيهات لفائدة العمل

(١) سيرة ذاتية - ص: ٤٧١.

(٢) سورة الكهف، الآية ١٠٤.

الإيجابي. (وهو العمل الذي نتمسك أول ما تمسك بالإيمان).

ويضيف النورسي عن العمل الإيجابي وعن كيفية التعامل مع المخطئين من من هم في الداخل. حيث يبدي لهم حلماً ما فوقه حلم هذا الحلم: هو التسامح حتى مع أحلك الأمور، وها هو يوصي طلبته في كيفية التعامل مع هذه الفئة فيقول:

"أخواني! ان مرضي قد اشتد كثيراً. ولعلي أتوفى قريباً، او امنع من المكالمات كلياً - كما كنت امنع أحياناً منها - لذا فعلى اخوتي في الآخرة ان يتجاوزوا عن الهجوم على اخطاء بعض المخطئين المساكين، وليعدّوها من قبيل أهون الشرين. وليقوموا بالعمل الإيجابي دائماً. لان العمل السليبي ليس من وظيفتنا. ولان العمل السليبي في الداخل لا يُغتفر. ومادام قسم من السياسيين لا يلحقون الضرر برسائل النور، بل مسامحون قليلاً. لذا انظروا إليهم كأهون الشرين. ومن اجل التخلص من أعظم الشر. فلا تمسوهم بضرر بل حاولوا ان تنفعوهم^(١).

وهذا يتبين من خلاله أن النورسي كان حريصاً على تطبيق فكرة العمل الإيجابي، ونلاحظ من خلال الوصية السالفة الذكر، انه حتى مع اشتداد المرض عليه كان دأبه ان يلح على التمسك بالعمل الإيجابي. في حين كان لا يبارك في شيء أي عمل سليبي. لأن هذا الأخير حسبه ليس من مهامه، وليس من ديدنه. ثم أنه يرشد طلبته إلى اعتماد أهون الشرين في العمل مهما كان هذا في حالة ما إذا تساوت كفتا الشر: فإن أهون الشرور هو الذي يوصي به النورسي طلبه النور.

للحقيقة نقول أن هذا المنهج في العمل الإيجابي يقي على حظوظ تحقيق غايات العمل الإيجابي. هذه الغايات التي هي مرضات الله في مقدماتها. والغايات الأخرى، وهي تحقيق أكبر طلبه انتماء لمدارس النور. وهو العمل الإيجابي الذي مكن الطلاب من أداء واجباتهم الإيمانية بالدرجة الأولى، ونذكر من هؤلاء السيد: نجم الدين أريكان، رئيس حزب الرفاه، والعمل. الذي حققه على المستوى السياسي، ونذكر أيضاً العمل الذي يقوم به الآن، (منذ توليه السلطة في تركيا) ومنذ سنوات عديدة حزب العدالة والتنمية في تركيا اليوم. يمكننا أن نقول أن طريقة العمل الإيجابي قد أعطت ثمارها بل قد أعطت نتائجها على المستوى

(١) سيرة ذاتية - ص: ٤٧٣.

الحضاري في تركيا الفتية اليوم. رغم كيد الكائدين.

والنورسي يجعل من العمل الإيجابي ما هو ذا طابع ذاتي، أي ان العمل يخصه هو نفسه في مجاله الذي يبتغي من خلاله الحياة السعيدة. حيث الايمان طريقه وعليه، أن يعمل ملاً طاقته في هذا السبيل. لكن بالمقابل فإن العمل هذا له ما يقابله على المستوى الاجتماعي، حيث أنه وباعتباره عالم دين لا بد وأن يقوم بالوظيفة الاجتماعية. والوظيفة هنا هي التعليم أي تعليم العامة. مما يتيسر من معالم النور ومما تيسر له ليفتح الآذان للإيمان. وليمهد لهم الطريق نحو السعادة الأبدية، التي يراها النورسي في مفتاح الايمان. وعليه لا بد من السعي أي العمل على تنوير العوام بالرسائل.

يقول النورسي "انني اتقدم في الشيب، ولا علم لي كم سأعيش بعد هذا العمر. لذا فالأولى لي العمل لحياة ابدية. وهذا هو الإلزام. وحيث أن الايمان وسيلة الفوز بالحياة الابدية ومفتاح السعادة الخالدة، فينبغي اذاً السعي لأجله"^(١).

فإذا تأملنا في هذا النص نجد أنه يتألف من ثلاث كلمات مفتاحية.

أول هذه الكلمات، مسألة الحرص على العمل: ذ لك أن الأستاذ النورسي يحرس كل الحرس على مسألة جد هامة، الا وهي مسألة السعي والعمل للحياة الأبدية، خاصة وان العمر أصبح قصيراً وبالتالي هو عمر لا يكفي للحصول على مبتغاه من السعادة. لذلك لا بد من العمل من اجل الحياة الأبدية.

وثاني المفاتيح أنه للوصول إلى السعادة لا بد وان يسلك سبيل الايمان، بل لا بد له من أن يمتن هذا السبيل. بل لا بد له ان يعيشه الحياة كلها، الحياة في الدنيا دار الغرور والتغلب على هذا الغرور. لا يكون إلا بالإيمان ويضيف قائلاً:

"بيد أي عالم ديني، مكلف شرعاً بإفادة الناس، لذا اريد أن اخدمهم من هذه الناحية ايضاً. الا أن هذه الخدمة تعود بالنفع الى الحياة الاجتماعية والدينية، وهذه ما لا أقدر عليها، فضلاً عن انه يتعذر القيام بعمل سليم صحيح في زمن عاصف، لذا تخلّيت عن هذه الجهة وفضّلت عليها العمل في خدمة الايمان التي هي اهم خدمة والزمها وأسلمها. وقد

(١) بديع الازمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، المكتوب السادس عشر - ص: ٧٨.

تركت الباب مفتوحاً ليصل الى الآخرين ما كسبته لنفسي من حقائق الايمان وما جربته في نفسي من ادوية معنوية. لعلّ الله يقبل هذه الخدمة ويجعلها كفارة لذنوب سابقة^(١).
والنورسي يجعل من الخدمة أن تكون عمل اجتماعي. وهو المتمثل في التربية والتعليم لكنه يعتذر عن هذه الخدمة لكبر سنه. غير انه يقيها قائمة. لكن هذه المرة خدمته هو لمسالة الايمان. وهنا يمكننا القول أنه يريد أن تكون أو تتحول إلى مستواها المعقول. فمن غير الممكن أن ينشغل هو بالتعليم كعمل تربوي بقدر ما عليه. ان يهتم بالإيمان وأن يبلغ هذا الايمان للأففس، عبر العمل الإيجابي أو لنقل العمل الدعوي.

سؤال الاختلاف بين العمل الإيجابي بين النورسي وبعض التيارات الفلسفية

عندما نقارن هذا النوع من العمل الإيجابي مع العمل الذي نادى به كارل ماركس (كممثل للتيار الاجتماعي) في كتابه البيان الشيوعي، نجد الفرق والبون شاسع، على الأقل على المستوى النظري. حيث أن نداء ماركس في هذا المعروف بـ "يا عمال العالم اتحدوا" يريد منه فقط الاتحاد من أجل العمل للحياة الدنيوية فقط. ونحن نعلم - من تحليل نفسي على الانسان - الذي نجد له من الرغبات ما لا يشبع. وحسب محللين نفسانيين نجد أن الانسان يملك من الرغبات سواء على المستوى الذي تكلم عليه ماركس وغال^(٢) William McDougall أو على المستوى الذي تكلم عليه فرويد Freud, S عدد كبير من الرغبات. وعليه فإن هذا الكل لا يمكن أن يلبي جميعه. وإن لي فلا يستطيع ان يتوقف عند حد معين ومنه فإننا نقول أن النداء هذا يكون مكبلاً بندايات الطبيعة البشرية. فلا حد للرغبات وكلما زادت الرغبات زاد معها الشقاء فيصبح الانسان كأنه من ذلك النموذج الذي تكلم عليه القرآن ﴿...إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ...﴾^(٣).

وهو المصير نفسه يجده ذاك الانسان الذي وجه له الاقتصادي الإنجليزي آدم سميث Adam Smith ١٧٢٣-١٧٩٠^(٤) (كممثل للتيار الفردي) حينما قال "دعه يعمل دعه يمر". وهو بذلك يفتح أمامه الحرية المطلقة في التحرك من أجل تلبية الرغبات، التي

(١) نفسه - ص: ٧٨.

(٢) ماركس وغال وليام William McDougall عالم نفس بريطاني ١٨٧١ - ١٩٣٨ م.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٧٦.

(٤) آدم سميث Adam Smith 1723-1790 فيلسوف واقتصادي بريطاني.

تكلّمنا عليها والفرق بين هذا النداء والنداء الأول أي نداء كارل ماركس. إنّما هو فرق في أن الأول كان به نبرة اجتماعية. بينما الثاني كان به نبرة فردانية ولكنهما يشتركان في كون أحدهما من أجل إسعاد الإنسان في الحياة الفانية. هذه الحياة القصيرة الحياة الدنيا بتعبير القرآن. بينما النورسي يريد من فكرة العمل الإيجابي إسعاد الإنسان في الحياة الأبدية كما مر معنا.

وعلى المستوى السياسي نجد أن ما قدمته التيارات الفلسفية من أجل إسعاد الإنسان أيضاً بقي يراوح مكانه في الحياة القصيرة. ومن الأمثلة على ذلك إن ما قدم من عمل في المجال السياسي ابتداء من فكرة (الغاية تبرر الوسيلة، التي جاء بها ميكافيلي نيقولا وكذا فكرة المقارنة ما بين المجتمع الطبيعي والمجتمع السياسي التي جاء بها هوبز Hobbes الفيلسوف الإنجليزي إلى أيام الثورة الفرنسية وما قدمه كل من جون جاك روسو - J J Rousseau ومونتيسكيو Montesquieu من أجل الإطاحة بالملكية الفرنسية. والكم الارسطوقراطي وبالضبط بالباستيل، وإقامة الحكم الديمقراطي، الذي أخذ في ما بعد المبادئ الثلاثة: الحرية والمساواة والأخوة). حتى إلى هذا الحد يمكننا أن نقول أن كل هؤلاء الفلاسفة وغيرهم. إنّما كانوا يجاهدون بأفكار لهم. لكن من أجل إسعاد الإنسان في الحياة الفانية القصيرة هذه. طبعاً من أجل إرساء روح الديمقراطية في البلاد الأوروبية^(١).

كما أن العمل والسعي الذي سعى إليه كل من جورج فالهالم هيغل J F Hégel لأجل تثبيت العقل في التاريخ، الذي كانت نتائجه وخيمته: حيث حمل هذا التاريخ بفكرة الاستعمار. عوض فكرة العقل. مما تأكد معه أن وجه الحضارة التي رمى إلى إرسائها والتي كما يقول هو "أن شمسها بزغت عند اليونان وهي تشرق من جديد على أوروبا الغربية وبالضبط على الشعوب الجرمانية".

هذه الفكرة سعى من أجل تمييزها بين الشعوب الأوروبية الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه FNietzsche والذي ميزها بفكرة الإنسان الأعلى superman والذي رسم من خلالها أن "التاريخ ما هو إلا أسهم نارية يجب الحكم عليها أخلاقياً لا ادبياً".

والفكرة هذه التي سعى ميدانيا الألماني أدولف هيتلر من أجل تطبيقها والتي كانت وبالأحرار حتى على شعوب أوروبا نفسها. خاصة لما وفر الشروط المشحونة لاصطدام فكرته

(١) علي عبد المعطي محمد، تيارات فلسفية حديثة، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع. ص ٥٥.

بفكرة "شعب الله المختار". حيث جرت هذه الأخيرة العالم إلى إيقاد حربين فيه. كان الرابع فيها منكسر بملايين الضحايا الأبرياء من الأنفس. ومن ذلك يمكننا أن نقول أن التيارات الفلسفية جنت على العالم السعادة الدنيوية في الوقت الذي نكلت بشعوب المعمورة في هذين الحربين مما يعني أن السعادة كانت شقاوة بالجملة.

وإلى أيامنا هذه لا زال العالم يتجرع تلك الشقاوة من مؤشرات جمة نذكر منها صراع الحرب الباردة بعد الحرب الثانية، وحادثة تحطم جدار برلين الذي تلتته أحداث وأحداث في العالم. بل تلتته انهمزات للضمير الإنساني. ابتداء من أحداث التدخل الروسي في أفغانستان. فأحداث الحرب العراقية الإيرانية، فأحداث تحطم جدار برلين، وما تلتته من أحداث ابتداء من العدوان المتكرر على غزة، من طرف الصهاينة. إلى أحداث الصرب في البوسنة والهرسك. (والتي كان المتهم فيها فقط كاراديتش!!!!). إلى قضية أحداث العشرية السوداء في الجزائر. إلى أحداث التقتيل وانتصارات وهزائم العالم أمام رجل كصدام حسين. إلى أحداث ما سمي بـ ١١ سبتمبر ٢٠٠١. إلى ثورات ما سمي بالربيع العربي. إلى الأحداث الأليمة التي هي عليه دول الربيع العربي. والتي لا يزال بعضها يعاني من تدمير شديد، خاصة بعد التدخل الروسي في سوريا، وابتداء "الشبح محاربة داعش" أو ما عرف بتنظيم الدولة الإسلامية في الشام والعراق. والتي تمدد فيها هذا المصطلح على شعوب المغرب العربي، لا سيما في ليبيا ومالي ودول الساحل.

إن المتتبع لهذه الأحداث يجد ما يلي:

١- إن الأحداث جميعها وعلى مختلف اصنافها سواء العسكرية أو السياسية كانت في كل الحالات تعرف إدارة شؤون الصراع على جغرافية البلاد الإسلامية، كأنه يراد للعالم الإسلامي ان يموت وأن ينتهي عسكريا باختياره أو باختيار مفروض عليه. يترجم ذلك جلجلات دول التحالف عليه في كثير من الأحيان فهل نقول أن كل هذا كان عملا إيجابيا من أجل إسعاد الانسان؟

بديل النورسي للعمل الإيجابي.

إن النورسي قدم ويقدم البديل للعمل الإيجابي والذي يمكننا من أن نتكلم على نموذج آخر مغاير في الأفكار ذلك أنه يرى أن سعادة الانسان في العمل الايجابي تكون من:

١ - "العمل الايجابي البناء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون ان يرد الى تفكيره، او يتدخل في علمه عداء الآخرين او التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم اصلاً"^(١).

وهو عمل مغاير تماماً للعمل الذي أودى بتلك الأحداث وبذلك المآسي التي تكلمنا عليها لذلك فهو من صنف ومن نوع آخر فهو ناتج عن محبة. وثانياً هو ناتج عن عدم انشغال بما يكيده الأعداء.

٢ - لا بد من الإخلاص فيه يقول النورسي "ثم ان الاخلاص في العمل ونشدان الحق فيه انما يُعرف بصدق الرغبة في افادة المسلمين عامةً أيا كان مصدر الاستفادة ومن اي شخص صدر"^(٢).

وهو أي النورسي يستند في ذلك إلى دليل نقلي هذا الدليل هو من: "لقد ورد في الحديث الشريف: "هَلَكَ النَّاسُ إِلَّا الْعَالَمُونَ وَهَلَكَ الْعَالَمُونَ إِلَّا الْعَامِلُونَ وَهَلَكَ الْعَامِلُونَ إِلَّا الْمُخْلِصُونَ وَالْمُخْلِصُونَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ". "أي ان محور النجاة ومدارها الاخلاص، فالفوز به اذن امر في غاية الاهمية لأن ذرة من عمل خالص أفضل عند الله من أطنانٍ من الاعمال المشوبة. فالذي يجعل الانسان يحرز الاخلاص هو تفكره في ان الدافع الى العمل هو الامر الإلهي لا غير، ونتيجته كسب رضاه وحده، ثم عدم تدخله في الشؤون الإلهية"^(٣)

وبخصوص الانقلاب الهائل الذي انقلب منه سعيد النورسي عن الفلسفات يقول: "حينما سار "سعيد الجديد" في طريق التأمل والتفكير، انقلبت تلك العلوم الاوروبية الفلسفية وفنونها التي كانت مستقرة الى حدٍّ ما في افكار "سعيد القديم" الى أمراض قلبية، نشأت منها مصاعب ومعضلات كثيرة في تلك السياحة القلبية. فما كان من "سعيد الجديد" الا القيام بتمحيص فكره والعمل على نفضه من أدران الفلسفة المزخرفة ولوثات الحضارة السفهية. فرأى نفسه مضطراً الى اجراء المحاوراة الآتية مع الشخصية المعنوية لأوروبا لكبح جماح ما في

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، اللغات، ترجمة إحسان قاسم الصالح، اللعة العشرون - ص: ٢٢٨.

(٢) نفسه، اللعة العشرون - ص: ٢٣٠.

(٣) نفسه، اللعة السابعة عشرة - ص: ٢٠١.

روحه من احاسيس نفسانية منحازة لصالح اوروبا، فهي محاوره مقتضبة من ناحية ومُسَهَّبَةٌ من ناحية اخرى.^(١)

وهي التفاتة كما يقال فلسفيا التفاتة إلى الذات التفاتة نحو الهدي القرآني. وفي المجال الاقتصادي يلح النورسي على أن تكون القناعة هي أساس التحرك الاقتصادي لأن الحرس مدمر. الحرس كما فعله أرباب الفلسفات الاقتصادية على مختلف مشاربهم من المدرسة الفردانية أو من المدرسة الاجتماعية. كما أسلفنا سابقا حيث يقول: "نعم، ان القناعة كنز للعيش الهنيئ الرغيد ومبعث الراحة في الحياة، بينما الحرس معدن الخسران والسفالة كما يتبين ذلك من الحديث الشريف: (القناعة كنز لا يفنى)^(٢).

النتيجة الثالثة: ان الحرس يتلف الاخلاص ويفسد العمل الأحروري؛ لأنه لو وُجد حرص في مؤمن تقي لرغب في توجه الناس وإقبالهم اليه، ومن يرقب توجه الناس وينتظره لا يبلغ الاخلاص التام قطعاً ولا يمكنه الحصول عليه. فهذه النتيجة ذات اهمية عظيمة جدية بالدقة والملاحظة.^(٣)

وفي المجال السياسي فإن الفكرة الميكيفيلية لا مكان لها عند النورسي ذلك أنها فكرة من الدهاء السياسي وكل الدهاء السياسي. سواء تكلمنا عليه في هذا الباب أم لم نتكلم عليه فإنه مفسدة. يقول في هذا المعنى

"الهدى فعّال في القلب، يدفع الدماغ الى العمل والنشاط. بينما الدهاء فعّال في الدماغ، ويعكّر صفو القلب ويكدره"^(٤). وهو تحليل منطقي من الأستاذ النورسي كما انه تحليل يتسم بعالم بخبايا النفس البشرية. حيث أن الإشارة الأولى تأتي من القلب فالإنسان إذا أحب عمله وتفانى من أجل النشاط فيه يرسخ بعقله كل ذاك النشاط. أي انه يقوم

(١) نفسه، اللعة السابعة عشرة - ص: ١٧٦

(٢) الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم، وزُرق كَفَافًا، وفنّعه الله بما آتاه»، وأوصى أبا هريرة ؓ وصية جامعة ثمينة، فقال له: «كن ورعًا تكن أعبد الناس، وكن قنيًا تكن أشكر الناس». أما الحديث بالنص الذي ورد في المتن فهو ضعيف أو مرفوع رابط

الموضوع: <http://www.alukah.net/sharia/0/79033/#ixzz4C7CXqZe3>

(٣) نفسه، اللعة التاسعة عشرة - ص: ٢٢٢.

(٤) نفسه اللوامع - ص: ٨٥٨.

باستخدام عقلي لكل ما هو تدفق من القلب: أي لكل ما هو من محبة يرسلها القلب وشعور الانسان برضى ربه.

بينما الدهاء هو المكر الذي يرسله العقل دون محبة من القلب بالتالي فهو مفسدة وهو معكر لكل عمل إيجابي. ومعكر حتى لصفاء السريرة في القلب. ومن ذلك ينتج المكر والخديعة ولا يكون العمل إيجابيا إلا لأنه يحمل كما يسميها مالك بن نبي فكرة مخدولة^(١).

نتائج البحث:

إن النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث هي على النحو التالي.

١- إن مفهوم العمل الإيجابي يختلف بين التيارات الفلسفية ناهيك عن أنه ذا مفهوم خاص عند النورسي.

٢- كل الفلاسفة على اختلاف مشاربهم يجعلون منه أي العمل الإيجابي مفهوما نظريا أي أي مفهوما يرتبط مباشرة بالعقل دون محفزات هذا القلب وهي محفزات القلب.

٣- إن النورسي يجعل للعمل الإيجابي ضوابط دقيقة حيث تتداخل فيها الغيبات أو الماورائيات بعالم الطبيعة أو عالم الشهادة. بينما الفلاسفة يقصرون رؤيتهم على عالم الطبيعة فقط فهوم العمل الإيجابي هو مفهوم للحياة القصيرة في هذه الدنيا عندهم بينما هو مفهوم للحياة الأبدية.

٤- يجعل الفلاسفة على مختلف تياراتهم العمل مفهوم يتعلق بنشاط الانسان دون النظر في كيف هذا النشاط. بينما يراعي النورسي في العمل الإيجابي كيف هذا العمل بمعنى يراعي فيه الصلاحية من غيرها بينما هم يهتمون أنه نشاط وكفى كيفما كان.

٥- يقيم النورسي العمل الإيجابي على قاعدة علمية صرفة تتعلق بالجانبين: جانب الصحة وجانب الصلاحية.

٦- يضبط النورسي جملة من القواعد لكل عمل إيجابي تتباين بين مآخذ دنيوية ومآخذ أخروية. بينما الفلاسفة لا يراعون في ضوابط العمل الإيجابي الجانب الأخروي إلا قليل منهم وهؤلاء على قلتهم ربطوه بالعقل ولا شيء وراءه. الفيلسوف الألماني

(١) مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ط٢، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، دار الدعوة، القاهرة، ١٩٧٠.

كانط (راجع كتابه أسس ميتافيزيقا الأخلاق: وأخلاق الواجب فيها والقواعد التي سطرها فيه..).

٧- يذكر النورسي من ضوابط العمل الإيجابي التقوى فالنية فالإخلاص، مرضات الله. الشيء الذي لا يتكلم عليه فلاسفة التنوير بالخصوص لأنه في نظرهم من لا يدخل ضمن شرائط العمل عندهم.

٨- العمل عند النورسي للحياة الأبدية وليس للحياة الفانية لأن هذه الأخيرة محدود بالزمان والمكان بينما الأبدية لا حدود لها. والعمل فيها يبقى دائما يتفتح بالخيرات والسعي من أجل مرضاة الله.

٩- ينشر النورسي النور عبر الرسائل ويعتبره من العمل الإيجابي في آخر محطة ومرحلة من حياته إذ لا يكتفي بالتعليم حينئذ. بل كما يقول لا بد لي من الاهتمام بمسالة الإيمان.

١٠- يشكل كتاب الكون في انسجامه وفي توازنه: في جماله دافع للعمل الإيجابي.

١١- يشكل القرآن الكريم والسنة النبوية ملهم لكل عمل إيجابي عنده بينما تنطلق التيارات الفلسفية من إيمانها بالعقل أو بالحس في أي عمل مهما كان.

١٢- إن العمل الإيجابي الذي يتكلم عليه النورسي هو شكل من أشكال العمل الدعوي غير أنه يأخذ تعميما أكثر من العمل الدعوي.

مصادر ومراجع البحث:

القرآن الكريم.

سورة الحشر الآية ١٩.

سورة التوبة، الآية ٦٠.

سورة الكهف، الآية ١٠٤.

سورة الأعراف، الآية ١٧٦.

الحديث النبوي الشريف:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه. رواه البخاري ومسلم.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (كُلُّ كَلَامٍ أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللَّهِ فَهُوَ أَتَمُّ - أَوْ قَالَ: أَقْطَعُ -) وقد روي الحديث بألفاظ أخرى نحو هذا.

نص الحديث: عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" الصحيحة (١١١٣).

الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم، ووزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه»، وأوصى أبا هريرة رضي الله عنه وصية جامعة ثمينة، فقال له: «كن ورعاً تكن أعبد الناس، وكن قنعاً تكن أشكر الناس». أما الحديث بالنص الذي ورد في المتن فهو ضعيف أو مرفوع رابط الموضوع.

المصادر.

- بديع الزمان سعيد النورسي كليات رسائل النور، الكلمات ترجمة إحسان قاسم الصالحي الكلمة. الثالثة والعشرين.
- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي الكلمة. السادسة والعشرين.
- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، المكتوب. السادسة عشر.
- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،

المكتوب الرابع والعشرين.

- بديع الزمان سعيد النورسي، **كليات رسائل النور، اللمعات**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، اللمعة السابعة عشر.
- بديع الزمان سعيد النورسي، **كليات رسائل النور، اللمعات**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، اللمعة. التاسعة عشر.
- بديع الزمان سعيد النورسي، **كليات رسائل النور، اللمعات**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي اللمعة العشرين.
- بديع الزمان سعيد النورسي، **كليات رسائل النور، سيرة ذاتية**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي..

المراجع.

- شيخاني محمد، **التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام**، دار قتيبة للطباعة والنشر، ٢٠٠٨.
- علي عبد المعطي محمد، **تيارات فلسفية حديثة**، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع.
- مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**. فصل: قيمة الأفكار وحياتها الرياضية. ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق ١٩٨٦.
- مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**، ط٢، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، دار الدعوة، القاهرة، ١٩٧٠.
- هيجل ج ف، **محاضرات في فلسفة التاريخ - العقل في التاريخ**، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة ١٩٨٦.

Kant,E. groundwork of the metaphysics of morals, translated & edited by Mary Gregor Cambridge university press 1997

تناس (رسائل النور) مع الهديين في الفاعلية الإيجابية لبناء عالم أفضل

الأستاذ المساعد الدكتور إسماعيل آل ناصر

كلية التربية للعلوم الانسانية

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ. ورضي الله عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم
الدين.

التعريف بمفاهيم البحث الأساسية:

١. التناص:

يشير التناص الى الخاصية التكوينية في كل نص، ومجموع العلاقات الصريحة أو الضمنية
التي بين نص ما ونصوص أخرى. ويستعمل التناص للإشارة الى حضور عدد من النصوص
في نص آخر بالشاهد والتلميح. والدلالة على مجموع نصوص مرتبطة فيما بينها بعلاقات
تناصية^(١). وتحيل التناصية تارة على خاصية من الخصائص المكونة للنص وتارة على مجموع
العلاقات الصريحة والضمنية التي تربط نصا ما بنصوص أخرى^(٢).

ويعرّف التناص بأنه: لوحة من الاستشهادات التي تقوم على امتصاص نصوص
متنوعة. وهو تعالق للنصوص مع بعضها لتوليد نص جديد^(٣). ويعرفه جبرار جنيت: بعلاقة
حضور متزامن بين نصين أو أكثر أو هو الحضور الفعلي لنص داخل نص آخر^(٤). إذ تعد

(١) ينظر: معجم تحليل الخطاب، شارودو ومنغونو، ت: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا،
تونس، ٢٠٠٨: ٣١٥-٣١٨.

(٢) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ت: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم،
ط١، بيروت، ٢٠٠٨: ٧٧-٧٨.

(٣) القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ديكرو و سشايفر، ت: د. منذر عياشي، المركز الثقافي
العربي، د. ط. ت: ٥٣٣.

(٤) نظرية التناص، ب. م. دوبيازي، ت: المختار حسني، فكر ونقد: ٢٨.

جميع العلاقات التي تربط نصا بآخر، بصورة أساسية، علاقات تناس^(١). فالتناس خاصية ضرورية لا يستطيع أن ينفلت منها أي مكتوب على الإطلاق.

٢. الهديين:

يقصد بالهديين: (القرآن الكريم) و(السنة النبوية) الذين اتخذهما الإمام النورسي نبراساً لرسائله النورانية. وقد وُصف (القرآن الكريم) و(السنة النبوية) بالهدى، انطلاقاً من حديث رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْخَوْضَ"^(٢). وفي رواية أخرى: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُم بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»^(٣).

ويشير (نفي الضلال) الى تحقق دوام الهداية الالهية للمعتصمين بـ(القرآن الكريم) و(السنة النبوية)، ومن هنا عُدّا هداية انطلاقاً من دلالة الاثبات للنفي، فعندما ينتفي الضلال تثبت الهداية وحدها. ودلالة المنفي على الاثبات أقوى من دلالة المثبت عليه. لأن المثبت يحتمل غيره، على عكس المنفي الذي لا يحتمل غيره. فقول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُم بِهِمَا) يؤكد حصول الهداية بشرطها ولا يحتمل الضلال أبداً.

٣. الفاعلية الايجابية:

يقصد بالفاعلية الايجابية: قوة الدافع والتأثير في محيط المسلم وواقعه بصورة ايجابية، فقوة الفاعلية لوحدها لا تكفي، لأنها قد توظف في غير المقصود، ولذا تحتاج الفاعلية الى صفة الايجابية لتحقيق الهدف المرجو منها.

تستند الفاعلية الايجابية الى آيات قرآنية وأحاديث نبوية تؤكد على القوة والتأثير، كقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(٤). وقول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا

(١) المبدأ الحوارى، تزفيتان تودوروف، ت: فخري صالح، المؤسسة العربية، ط٢، بيروت، ١٩٩٦: ١٢٢.

(٢) المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابورى، تح: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط٢،

٢٠٠٢ : (رقم ٣١٩) ١/١٧٢. (حديث صحيح).

(٣) موطأ الإمام مالك، تح: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط١، أبو

ظبي - الإمارات، ٢٠٠٤: (رقم ٣٣٣٨) ٥/١٣٢٣. (حديث حسن).

(٤) سورة الأنفال: ٦٠.

تَعَجَّرُ»^(١).

تحدد الفاعلية الايجابية بالأهداف الايجابية، فبدىع الزمان طوال حياته كان رائده الحركة الإيجابية البناءة^(٢). ويمكن توضيح معالم الفاعلية الايجابية في رسائل النور بالأصول الآتية:

١. **الايمان بالله والاستعانة به:** الايمان هو علمٌ، ووجودي، واثبات، وحكم، وحقيقة ايجابية. وإنَّ الايمانَ يجعل الانسانَ انساناً حقاً، بل يجعله سلطاناً؛ لذا كانت وظيفته الأساس: الايمانُ بالله تعالى والدعاء اليه. بينما الكفرُ يجعل الانسانَ حيواناً مفترساً في غاية العجز^(٣). وفي البسملة جهات من الاستعانة والتبرك والموضوعية بل الغائية والفهرستية للنقط الاساسية في القرآن. فخدمة الايمان فوق كل شيء، ووظيفة طلاب رسائل النور الحقيقيين خدمة الايمان والقرآن، فضلاً عن اهتمامهم بالتنوع دون الكمية^(٤).

٢. **الاهتداء:** ان الخير والمحاسن والكمالات تستند الى الوجود وتعود اليه، فأساسها ايجابي ووجودي، أي ذو اصالة وفاعلية. وان اساس وأصل الضلالة والشر والمعاصي وامثالها هو عدمٌ وسلبي.. اي بلا أساس وبلا فعل ايجابي^(٥).

٣. **الالتزام بالاسلام وتعظيمه والاعتصام بحبل الله:** ليس بالامكان القيام بعمل إيجابي

(١) صحيح مسلم، الامام مسلم بن الحجاج، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، ط ١، القاهرة، ١٩٩١: (رقم ٢٦٦٤) ٢٠٥٢/٤.

(٢) سيرة ذاتية، ت: إحسان قاسم الصالحى، شركة سوزلر للنشر، ط ١، القاهرة، د.ت: الفصل الخامس/ ٢٥١.

(٣) ينظر: الشعاعات، ت: إحسان قاسم الصالحى، شركة سوزلر للنشر، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٣: الشعاع السابع/ ١٣٨. والكلمات، ت: إحسان قاسم الصالحى، شركة سوزلر للنشر، ط ١، القاهرة، ١٩٩٣: الكلمة الثالثة والعشرون/ ٣٥٤، والكلمة الرابعة والعشرون/ ٣٧٩.

(٤) إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز، ت: إحسان قاسم الصالحى، شركة سوزلر للنشر، ط ٢، القاهرة، ٢٠٠٢: السورة الأولى من الزهراوين/ ٤٠. والملاحق في فقه الدعوة، ت: إحسان قاسم الصالحى، شركة سوزلر للنشر، ط ٣، القاهرة، ١٩٩٩: ملحق قسطنطيني/ ١٤٥.

(٥) اللمعات، ت: إحسان قاسم الصالحى، شركة سوزلر للنشر، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٣: اللمعة الثالثة عشرة/ ١١٣.

بناءً مع التهاون في الدين. وإنَّ أهم قضية هي إنقاذ الإيمان وتقويته بالاعتصام بالقرآن الكريم. واعلموا ان قلعتكم هي سنة رسولكم عليه أفضل الصلاة والسلام. ورسائل النور تحصر نظرها في هذا المقصد، فلا محيد عن العمل الإيجابي البناء وحده، إذ في يدنا نور..^(١).

٤. **القوة ونفي العجز الديني:** فالعجز شأن الضعفاء، وإن رمت الحياة، فلا تتشبث بالعجز فيما يمكن حله^(٢). ولتحقيق ما نريد يتعين علينا أن نفعل القوة الخلاقة التي وهبنا الله إياها، أنما قوة الابداع ويمكننا أن نستخدم هذه القوة في صنع وتحقيق أي شيء نريده في الحياة، ويسهم تأمل قوة الخالق في هذا الكون والنظر من حولنا لنرى ابداعاته الخلابة التي لا تحصى ولا تعد^(٣). في تحقيق الفاعلية الايجابية.

٥. **المحبة:** العمل الايجابي البناء هو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون ان يرد الى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم^(٤). فكونك ايجابيا معناه أن تكون ودودا وصريحا وأن تقول ما تعتقده وتسعى للحقيقة وأن لا تكون فظا، وأن تختار بوعي وتنظر للجانب المضيء من الأمور، وأن تحب نفسك والآخرين وتهتم بمن حولك^(٥). وستعالق هذه النقطة مع التي تليها.

٦. **التعاون والتعارف ونفع الآخرين:** فالإيجابي ينتعش بنمو الشفقة على بني الجنس التي تدفع الى التعاون والتعارف. اما السليبي فهو الذي ينشأ من الحرص على العرق والجنس الذي يسبب التناكر والتعاند^(٦). وهذا يوجب الابتعاد عن التحايز والعناد والحسد والنفاق والشقاق والحقد والغل والعداء.

(١) ينظر: المثنوي العربي النوري، ت: إحسان قاسم الصالح، شركة سوزلر للنشر، ط١، القاهرة، ١٩٩٥: حباب / ٢٠٢، وسيرة ذاتية: الفصل الثاني/ ١٨٤، والفصل الثامن/ ٣٦٤. واللمعات: اللمعة الثالثة عشرة/ ١١٤.

(٢) الكلمات: الكلمة الثالثة والثلاثون/ ٨٥٣.

(٣) ما وراء التفكير الايجابي، د. روبرت أنتوني، مكتبة جرير، ط١، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٥.

(٤) اللمعات: اللمعة العشرون/ ٢٢٨.

(٥) التفكير الايجابي، فيرا بيفر، مكتبة جرير، ط٨، المملكة العربية السعودية، ٢٠١١: ١٤.

(٦) صيقل الإسلام، ت: إحسان قاسم الصالح، شركة سوزلر للنشر، ط٣، القاهرة، ١٩٩٥: السانحات/ ٣٣٥.

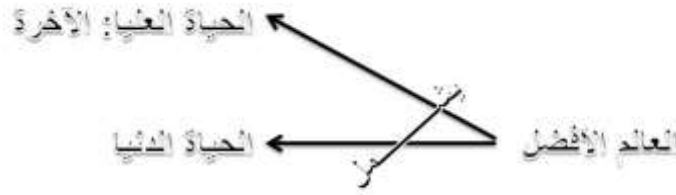
٧. الطوعي والاختياري: إنّ العمل الصالح نوعان: احدهما: ايجابي واختياري. والآخر: سلبي واضطراري^(١).

٨. المدنيّة: التي تأمر بها الشريعة الغراء وتتضمنها، تضع أسساً ايجابية بناءة مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية^(٢).

٤. العالم الأفضل:

تلتقي فاعلية الانسان الايجابية لبناء عالم أفضل مع قوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣). ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^(٤)، كما تلتقي تلك الفاعلية مع تأكيدات الرسول ﷺ على العمل بقوله: (اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِّمَا خُلِقَ لَهُ.. أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ) فالسعداء هم المسهمون في بناء عالم أفضل.

فالعالم الأفضل: مصطلح يوصف العالم بصيغة المبالغة في التفضيل، ليكون هو الأفضل في كل شيء، وعلى الرغم من أن بناء هذا العالم يكون في الحياة الدنيا إلا أنه يمتد لمديات واسعة ويستغرق مساحة قصوى، ويمكن بيانه في الرسم الآتي:



فالبشر والكائنات جميعها في حالة نشاط دائم لتحسين وضعها، فالحياة تجلب لهم شيئاً جديداً من المشاكل لتبدأ محاولاتهم النشطة لحلها وتجاوزها. وللوصول إلى عالم أفضل مما نعيش فيه يجب التطرق لقضايا عدة كالمعرفة والجهل والعلم وصياغة الواقع^(٥).

(١) الكلمات: الكلمة الثالثة والثلاثون / ٨٥٩ - ٨٦٠.

(٢) سيرة ذاتية: الفصل الرابع / ١٤١. وصيقل الإسلام: السانحات / ٣٥٩.

(٣) سورة التوبة: ١٠٥.

(٤) سورة هود: ٦١.

(٥) ينظر: بحثاً عن عالم أفضل، كارل بوبر، ت: د. أحمد مستحير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط،

مصر، د. ت: ٧.

في الحياة الدنيا تجد المؤمنين حقاً يبحثون عن عالم أفضل. أما في الحياة العليا: الآخرة، فستكون الجنة - أو ما أطلق عليه الامام النورسي أعلى عليين^(١) - هي العالم الأفضل الذي يطمح له كل مؤمن ومؤمنة.

ويؤكد الامام في رسائل النور على جملة من المعطيات التي تسهم في بناء العالم الأفضل، والتي يمكن اجمالها في:

١. الاستغفار والالتجاء الى الله سبحانه وتعالى: إنّ أمضى سلاح ضد المهالك وأهم وسائل البناء والتعمير هو: الاستغفار والالتجاء الى الله سبحانه وتعالى^(٢).

٢. الرحمة والعدالة: فلاهل الايمان وجه رحمة ووجه عدالة في كل شئ. وإن العدالة الحقيقية نجدها في القرآن المبين انه لا يُفدى بحق الفرد لأجل الحفاظ على الجماعة، فالحق حق لا ينظر الى كثيره وقليله. وهذه القاعدة الجلية هي التي ترسي العدالة الحقّة في البشرية، تجدد تفاصيلها في رسائل النور^(٣).

٣. الاعمار والبناء: الهداية والخير ذواتا وجود وشئ ايجابي أصيل وهما اعمار وبناء، وإن الضلالة والشرّ بأكثريتها المطلقة شئٌ عديم وسلبي وغير أصيل، وهي إخلال وتخريب. ولأهل الحق قلعة منيعة وحصن منيع -هي الشريعة الإلهية وسنة النبي ﷺ - عندما يتحصنوا ويلوذوا بها، لا يجروا أحد أن يمسهم بسوء^(٤).

٤. لزوم المسلك السامي: أما طريق أهل الهداية والمسلك السامي للانباء (عليهم الصلاة والسلام) وفي المقدمة الرسول الاكرم ﷺ فهي: وجودية وإيجابية وتعمير، كما أنّها حركة واستقامة على الطريق والحدود، وهي تفكر بالعقبى، وعبودية خالصة لله، كما أنّها سحقٌ لفرعونية النفس الأمّارة بالسوء وكبح لجماعها^(٥).

آليات تناس (رسائل النور) مع الهديين:

لكثرة معالم الفاعلية الايجابية والمعطيات البناءة للعالم الأفضل في رسائل النور، سنختار

(١) ينظر: الكلمات: الكلمة الثالثة والعشرون / ٣٤٨.

(٢) اللغات: اللعة الثالثة عشرة / ١١٤.

(٣) الملاحق في فقه الدعوة: ملحق قسطنطيني / ١٦١، ١٧٢، وملحق أميرداغ / ٣٧٧.

(٤) اللغات: اللعة الثالثة عشرة / ١١٠.

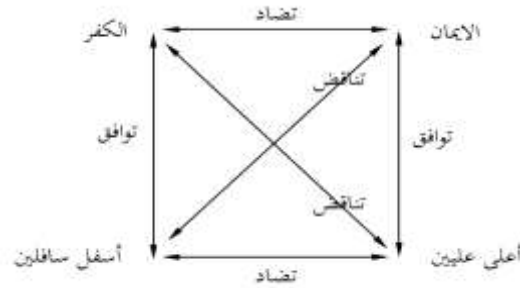
(٥) م.ن: اللعة الثالثة عشرة / ١٢٣ - ١٢٤.

نماذج معينة نفصل فيها البحث، على وفق آليات التناص الأربع، وهي: (١).التطابق
 ٢.التفاعل ٣.التداخل ٤.التحاذي) لبيان علاقة (كليات رسائل النور) مع الهديين في
 اظهار فاعلية الانسان الايجابية لبناء عالم أفضل، والتي يمكن تفصيلها في الآليات الآتية:
أولاً. التطابق:

يتحدد معنى التطابق في التساوي والاتفاق، فتطابق الشيئان: تساويًا، والمطابقة:
 الموافقة، والتطابق: الاتفاق. وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حدّ واحد. وهذا
 الشيء وفق هذا ووفائه وطبافته بمعنى واحد^(١).

ويتحقق بتطابق معطيات ومضامين (رسائل النور) مع الهديين في مفهوم الفاعلية
 الايجابية. وتتحقق في هذه الآلية تطابق المعالجة بين الرسائل والهديين، ويمكننا التمثيل لآلية
 التطابق في حديث الاستاذ سعيد النورسي عن محاسن الايمان، بقوله: "إن الانسان يسمو
 بنور الايمان الى أعلى عليين فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقاً بالجنة، بينما يتردى بظلمة
 الكفر الى أسفل سافلين فيكون في وضع يؤهله لنار جهنم"^(٢).

يتناص حديث النورسي هذا ويتطابق مع الآيات القرآنية الآتية: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
 الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ مَرْقُومٌ.. كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ
 ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾^(٣). ويمكن توضيح تداخلات التطابق في التساوي
 والاتفاق بين: الايمان وأعلى عليين من جهة، والكفر وأسفل سافلين من جهة أخرى، في
 المربع العلامى الآتي:



(١) لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤: مادة (طبق).

(٢) الكلمات: الكلمة الثالثة والعشرون / ٣٤٨.

(٣) سورة المطففين: ٧، ١٧-٢١.

الذي يتخذ فيه التوافق بين طرفي ثنائية (الايمان/أعلى عليين) دلالة التلازم المشروط بالعمل الصالح، وهو ما أطلق عليه الامام النورسي (القيمة المكتسبة) التي "تجعله لائقاً بالجنة". وتنطبق هذه الآلية على ثنائية (الكفر/أسفل سافلين) المتوافقة، والتي يتضاد شرطها مع الأولى فيتضاد جزاؤها تبعاً له.

فالثنائية المتضادة (الايمان/الكفر) - التي عرض لها النورسي - تتناص مع ثنائية (الأبرار/الفجار) القرآنية وتتطابق معها، لأنّ الايمان هو المدّ الطبيعي للأبرار كما أنّ الكفر سبيل الفجار. كما تتوافق مع ثنائية الجزء الشامل (أعلى عليين/أسفل سافلين) المتضادة كذلك، في حين يظهر التناقض في المستوى القطري بين الكلية الموجبة والجزء السلبي والكلية السالبة والجزء الايجابي، بشطريه المتناقضين.

وإن نص الاستاذ النورسي هذا ذو أبعاد شمولية، تستغرق الدنيا والآخرة معاً، وليس أحادي الجانب. لأن الانسان يسمى بالايمان ذلك النور الذي يربط الانسان بصانعه الجليل، ويرتدّى بالكفر - تلك الظلمة التي تقطع تلك النسبة وذلك الانتساب - في السلبية الوضيعة حين يلج الانحطاط المحقق لعالم سيء في الدنيا ونار جهنم في الآخرة.

وبهذا نخلص الى أن العمل الايجابي - عند النورسي - لا يتحقق الا بالايمان. وهذا ما يتطابق مع قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١). فالايمان الذي يُسمى الانسان ذو بعدين (دنيوي/أخروي)، والسمو هو المحقق للفاعلية الايجابية التي بدورها تبني عالم أفضل في الدنيا والآخرة.

وتشير النقطة الأخرى الى القوة الكامنة في الايمان: كما أن الايمان نورٌ وهو قوةٌ ايضاً، فالانسان الذي يستند الى قوة ايمانه يبحر متفجعاً على سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية بكمال الأمان والسلام.. ويقطع سبيل الدنيا مطمئن البال في سهولة وراحة.

والقوة أساسية في الفاعلية الايجابية والعمل الايجابي، ومن خلالها يستطيع الانسان بناء عالم أفضل، وهذا ما يشير اليه كلام الامام النورسي: إن الايمان يجعل الانسان انساناً حقاً، بل يجعله سلطاناً؛ لذا كانت وظيفته الأساس: الايمان بالله تعالى والدعاء اليه. بينما الكفر

(١) سورة البقرة: ٨٢.

يجعل الانسانَ في غاية العجز.

وهنا مكمّن التطابق بين المهديين والنص النورسي الذي يحيل الايمان والكفر الى ثنائية (السلطان/ العاجز) المتضادة، والتي يمكن بيانها في الرسم الآتي:



فالايمان يحقق الفاعلية الايجابية الممهدة لبناء عالم أفضل، ولا يتم هذا البناء في نظر النورسي الا بالاستناد الى هذه النقطة^(١):

كما أن الايمان يقتضي الدعاء ويتّخذ وسيلة قاطعة ووساطة بين المؤمن وربّه، وكما أن الفطرة الانسانية تتلهف اليه بشدة وشوق، فإن الله سبحانه وتعالى ايضاً يدعو الانسان الى الأمر نفسه بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٢). فيجب ان تكون الفاعلية الايجابية مستندة الى الذات المقدسة لله سبحانه وتعالى ويتحقق هذا الاستناد بالدعاء والطلب من الله سبحانه وتعالى العون والتوفيق والسداد لتحصيل العمران، وعلى العكس من ذلك عد الامام النورسي: "الكفر والعصيان والسيئة كلها تخريب وعدم"^(٣). وهذه تتناقض مع البناء والايجابية المطلقة.

ثانياً. التفاعل:

من أشهر دلالات التفاعل: التشارك بين اثنين فأكثر، والمطاوعة^(٤). ويستعمل التفاعل للدلالة على وحدة التحليل الكبرى للحديث، أي مجموعة التبادلات المنجزة من قبل

(١) ينظر: الكلمات: الكلمة الثالثة والعشرون / ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٦.

(٢) سورة غافر: ٦٠.

(٣) الكلمات: الكلمة الثالثة والعشرون / ٣٤٣.

(٤) شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي، تح: نصر الله عبد الرحمن، مكتبة الرشد، الرياض، د.ت: ٣٤.

المشاركين في سياق ما، لتشكيل اللقاء النصي^(١). كل عمل مشترك يحضر فيه طرفان فاعلان أو أكثر، وهو يشمل التشاركات النصية وغيرها^(٢).

ويتوضح عندما تتشارك رسائل النور مع الهديين في التوجه وطلب الغاية نفسها، ليتفاعلا معا في عرض التوجه والقصد نفسه. وسيتحقق التفاعل التناسي عندما تتشارك (رسائل النور) بمقاصدها وآفاقها الثقافية المتنوعة وتطاول مقاصد الهديين، في العمل الإيجابي لبناء عالم أفضل. ويمكننا التمثيل للتفاعل التناسي في النص النوري التالي:

إنّ الانسان هو أكمل ثمرة في شجرة الخليقة، وانه أهم مخلوق بين المخلوقات، وأعلى موجود بين الموجودات، وأن فرداً منه بمثابة نوع من سائر الاحياء، وأن كلّ فرد من أفراد البشرية سيُعاد في الحشر الأعظم والنشر الأكبر بعينه وجسمه واسمه ورسمه^(٣).

يستند الامام سعيد النورسي في حديثه عن الانسان وتوصيفه بهذا الأوصاف الى آيات القرآنية عديدة، منها: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٤). ويتناص كلامه مع حديث الرسول ﷺ: أنّ الله سبحانه وتعالى يقول للعبد يوم القيامة: (أَيُّ قُلٍّ)^(٥): أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأَرْوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْحَيْلَ وَالْإِيلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعُ^(٦)؟^(٧).

وتكرّم الإنسان هو ما جعله الله له من الشرف والفضل، وجعله ذوي كرم بمعنى الشرف والمحاسن الجمّة. ولتكرّم الله للإنسان صور عديدة لا يمكن إحصاؤها نذكر منها:

١ - اختصّ الله الإنسان بأن خلقه بيديه. وأعطاه الصّورة الحسنة والقامة المعتدلة، وخلق له على أحسن هيئة وأكملها وجعل له سمعا وبصرا وفؤادا وعقلا، ليفرق بين الأشياء ويعرف منافعها ومضارّها في الأمور الدنيوية والدنيوية.

(١) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ٧٥.

(٢) معجم تحليل الخطاب: ٣٠٩.

(٣) اللّمعات: اللّمة السابعة عشرة/ ١٧٦.

(٤) سورة الاسراء: ٧٠.

(٥) أَيُّ قُلٍّ: يا فلان.

(٦) تَرَأْسُ وَتَرْبَعُ: جعلتك رئيسا مطاعا دون مشقة.

(٧) صحيح مسلم: (رقم ٢٩٦٨) ٤/٢٢٧٩-٢٢٨٠.

- ٢- هداية الانسان هداية عامّة بما جعل فيه بالفطرة، والمعرفة وأسباب العلم.
- ٣- منحه العقل والنطق والتمييز وكرّم الله الإنسان بهذه الفطرة التي تجمع بين الطّين والنّفخة. وكرّمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته فاستأهل بها الخلافة في الأرض.
- ٤- تسخير المخلوقات وما في السماء والأرض للانسان. وتفضيله على كثير من المخلوقات الأخرى، وتقريبه منه ومعيّته له. وتحمّله الأمانة وإعطاؤه الحرّية كاملة.
- ٥- محبة الله للانسان وهدايته إياه بإرسال الرسل- عليهم الصلاة والسلام-، ورعايته وحفظه من السّوء. وذكره سبحانه له في الملأ الأعلى.
- ٦- تحريم دم الإنسان وماله وعرضه وتشديد النّكير والعقوبة على من يفعل ذلك.
- ٧- إعطاء حقّ المساواة لكلّ فرد مع الآخرين، فلا يتفاضل أحد على أحد إلّا بالتّقوى والعمل الصّالح^(١). فيتفاعل النص النوري مع النصوص القرآنية والنبوية ويتشارك معها في عدّ الانسان:

● أكمل ثمرة في شجرة الخليفة.

● أهم مخلوق بين المخلوقات.

● أغلى موجود بين الموجودات.

● وأن فرداً منه بمثابة نوع من سائر الاحياء.

وقد استخدم الامام النورسي صيغة (أفعل) الدالة على التفضيل الأساسي للانسان على بقية الأحياء. وفي وصف الانسان ب(ثمرة، مخلوق، موجود) دلالة على الكمال والأهمية القصوى في الفاعلية الايجابية وبناء عالم أفضل.

وهنا تظهر دلالة التفاعل جليّة للعيان، ففيه دلالة التشارك والمطاوعة، فقد تشارك النص القرآني والحديثي والنص النوري واتفقا على تكريم الانسان وتفضيله على جميع المخلوقات، ولكن النص الثاني لم يتوقف بل تفاعل مع النص الأول و اضاف معان أخرى، كتوصيف الانسان بأنه: (أكمل ثمرة في شجرة الخليفة)، والتي فيها دلالة الانتاج والعطاء والافادة والجودة والقمة والكمال الذي تميز بها الانسان عن غيره، ويستمر التفاعل بين

(١) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، الشيخ صالح بن حميد، دار الوسيلة، ط٤، جدة، ١٤١٨: ١١٣٦-١١٤١.

النصين ليصل الى نتيجة أعلى، وهي: (وأن فرداً منه بمثابة نوع من سائر الاحياء) للدلالة على قيمة الانسان، فالفرد الواحد يعادل أمة من غيره، وفيها تظهر المطاوعة جلية بين النصين.

ثالثاً. التداخل:

يتوضح تداخل (الهديين ورسائل النور) بتشابه ودخول الأول في الثاني بصور متنوعة، ويظهر تداخل (رسائل النور) بالهديين في فضاء نصي عام، ويستغرق هذا التشابه حيزاً من النص المركزي، ويوجد صلات قوية بينها.

يظهر التداخل في التناصية التي تؤكد: حضور نص في نص آخر بوساطة التلميح^(١). ويمكننا الاستشهاد بحديث الامام النورسي عن العمل الصالح وتقسيمه الى نوعين، فيقول: "إنه سبحانه طلب منا الزكاة عُشراً أو واحداً من أربعين جزءاً من ماله الذي اعطاه لنا، فبخلنا وظلمنا وخلطناه بالحرام، ولم نعطيها طوعاً. فأرغمنا على دفع زكاة متراكمة. وانقذنا من الحرام، فالجزء من جنس العمل.

إنّ العمل الصالح نوعان: احدهما: ايجابي واختياري. والآخر: سلبي واضطراري. فالآلام والمصائب كلها اعمال صالحة سلبية اضطرارية، كما ورد في الحديث الشريف وفيه سلواننا وعزأؤنا^(٢). ويستغرق هذا التقسيم العبادة ايضا بوصفها عملاً صالحاً، فيقول: "إنّ العبادة قسمان:

الاولى: العبادة الايجابية المتجسدة في اقامة الصلاة والدعاء وامثالها.

الثانية: العبادة السلبية التي يتضرع فيها المصاب ملتجئاً الى خالقه الرحيم مستجيراً به متوسلاً اليه، منطلقاً من احساسه التي تُشعره بعجزه وضعفه امام تلك الامراض والمصائب. فينال بذلك التضرع عبادةً معنوية خالصة متجردة من كل انواع الرياء"^(٣).

ويقصد بالنوع الأول من العمل الصالح والعبادة، الاعمال الايجابية التي يفعلها المسلم باختياره في بناء عالمه بصورة أفضل. وقد استغرق هذا النوع في القرآن الكريم مساحة واسعة وصيغ متنوعة لحث الناس على فعله وانتشاره، وقد اتسعت مدياته في الاسلام لمساحات

(١) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ٧٨.

(٢) الكلمات: الكلمة الثالثة والثلاثون/ ٨٥٩ - ٨٦٠.

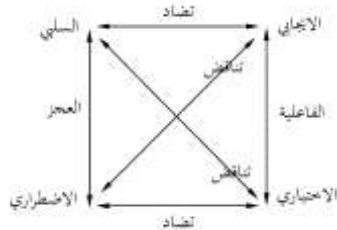
(٣) اللمعات: اللمعة الخامسة والعشرون/ ٣١٦.

شاسعة.

ويطلق العمل على كل فعل مقصود، وهو أخص من الفعل لأن الفعل قد يقع بغير قصد. والعمل الصالح هو العمل الخالي من الخلل، والذي يلتزم الإخلاص في النية وبلوغ الوسع فيه، ويطلق العمل الصالح على ما دبر بالعلم. فالصالح الخالص من كل فساد، وعرفا القائم بما وجب عليه من حقوق الحق والخلق^(١). فيطلق العمل الصالح على كل عمل أو قول يقوم به المسلم ابتغاء مرضاة الله، ويسهم في أداء مهمته التي خلقه الله من أجلها ويكون نتاجه خيراً ونافعاً للإنسان والمجتمع والبشرية والخلقة جمعاء.

وقد مدح الله المؤمنين أهل العمل الصالح وجعلهم خير الخلق، بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(٢). ويظهر التلازم بين الإيمان والعمل الصالح، وعند تحقيقهما سينالوا وصف (الخيرية) الذي خصه الله سبحانه بهم دون غيرهم، "والبرية جميع الخلق لأن الله تعالى برأهم أو أوجدهم بعد العدم"^(٣).

فالصفة الأساسية للعمل الصالح عند الامام النورسي هي الاختيارية، عندما يقوم الانسان بما اختياراً وليس اضطراراً، وهذا هو الفرق بين النوع الأول والنوع الثاني: السلبي الاضطراري، الذي مثل له بـ(الآلام والمصائب) التي يجبر الانسان على فعلها. ويمكننا التمثيل لتقسيم النورسي للعمل الصالح الى (الايجابي والسلبي) في الرسم العلامي الآتي:



فالنوع الاول من العمل الصالح: الايجابي والاختياري هو الذي يؤسس لعمران الأرض

(١) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تح: د. محمد رضوان الدايدة، دار الفكر المعاصر، ط١، بيروت، ١٤١٠: ٤٤٦، ٥٢٧.

(٢) سورة البينة: ٧.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٢: ٥/٥٠٨.

وازدهارها، وعندما ينكص الانسان عن فعله فسيجبر عليه بطريقة ثانية، عندها سيكون فعله سلبيا واضطراريا، وسلبيته تعني انه لا يؤسس لعمران الأرض وازدهارها أما الاضطرارية فتدل على الجبر الفعلي.

رابعاً. التحاذي:

يتحقق التحاذي بمجاورة أو موازنة (رسائل النور) للهديين في فضاء تناسي خاص، فوجود بعض النصوص إلى جانب بعض يحقق التحاذي النصي بينهما، مع محافظة كل نص على هويته وبنيته ووظيفته. وتتخذ المجاورة أو الموازنة فيه دلالة التوجه والتأطير الواحد، في حين قد تبتعد المضامين بينهما.

ويمكننا التمثيل بتأكيدات الامام النورسي عن أنّ الايمان يدعو الى الاخوة والمحبة، بقوله:

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾^(١).

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾^(٢).

﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٣).

إنّ ما يسببه التحايز والعناد والحسد من نفاق وشقاق في أوساط المؤمنين، وما يوغر في صدورهم من حقد وغل وعداء، مرفوض اصلاً. ترفضه الحقيقة والحكمة، ويرفضه الاسلام الذي يمثل روح الانسانية الكبرى. فضلاً عن ان العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر: الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة^(٤).

إنّ الامام النورسي يبدأ حديثه عن الأخوة والمحبة ونقده (للمرفوضات الثمانية) المتمثلة ب: التحايز والعناد والحسد والنفاق والشقاق والحقد والغل والعداء، بذكر ثلاث آيات قرآنية عن: الاصلاح بين الأخوة والدفع بالتي هي أحسن وكظم الغيظ والعفو عن الناس والاحسان. ويظهر التحاذي بتجاور النص النورسي مع الآيات البينات مما سيكسبه دلالات

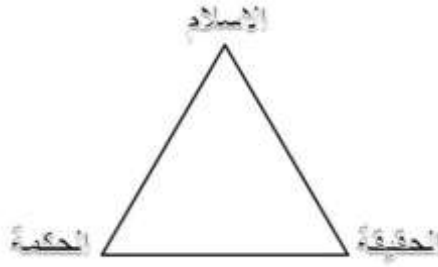
(١) سورة الحجرات: ١٠.

(٢) سورة فصلت: ٣٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٤) المكتوبات: المكتوب الثاني والعشرون / ٣٣٩.

واسعة بتأثير التحاذي. ويستند رفض الامام النورسي (للمفروضات الثمانية) الى مثلث الحق
العلامي الآتي:



فتعاليم الاسلام ومبادئه الحقّة تتقاطع مع (المفروضات الثمانية)، انطلاقاً من الآيات
البيّنات التي صدرَ بها نصّه. وتحذير الرسول ﷺ للمسلمين من ثمانية أمور: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ،
فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحْسَسُوا، وَلَا تَحْسَسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا
تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(١).

وتؤيد الحقيقة رفض النورسي بوصفها: سمة الحق، والتي تطلق على الواقع الذي يحصل
التحقق منه تجريبياً، أي الحكم المطابق للواقع، فالحقيقة التي قصدها النورسي تؤكد أن هذه
(المفروضات الثمانية) تفسد حياة البشر الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هي سمّ زعاف
لحياة البشرية قاطبة. ويرغب النورسي بتخليص المجتمع منها ليبني عالم أفضل يعم فيه السلام
والتعاون والالفة والمحبة.

أما الحكمة فتعني: "إصابة الحق بالعلم والعمل"^(٢)، أو موافقة الحق ووضع الشيء في
موضعه، وتطلق على صواب الأمر وسداده، وتعدّ مانعة للجهل.

ولعلاج هذه الأمراض يؤكد الامام النورسي على ثمان توجيهات نورانية استمدها من
الهديّين، هي: (المحبة والاخوة والشفقة وحسن الظن والاتفاق والمدح والوحدة والمواطنة)

(١) صحيح البخاري، الامام محمد بن اسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط ١، بيروت، ٢٠٠٢: (رقم
٦٠٦٤) ١٥١٩. وصحيح مسلم: (رقم ٢٥٦٣) ٤ / ١٩٨٥. (متفق عليه).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف: ٢٩١.

ويدخلها في الاعمال الصالحة^(١). فبهذه التوجيهات النورانية نستطيع أن نتجاوز كل المعوقات المحبطة، لأنها تعد معالم أساسية وضرورية في بناء العالم الأفضل -لدى النورسي- وتؤسس للفاعلية الحضارية للأمة.

وبهذا نكون قد أكملنا بحث: (تناس (رسائل النور) مع الهديين في الفاعلية الايجابية لبناء عالم أفضل)، بعد تعريف المفاهيم الأساسية الواردة في البحث: (التناس، الهديين، الفاعلية الايجابية، العالم الأفضل) والتي تضمنت معالم الفاعلية الايجابية والمعطيات التي تسهم في بناء العالم الأفضل في رسائل النور. ونظرا لامتدادها الواسع في الرسائل اخترنا نماذج منهما فصلنا فيها القول، على وفق آليات التناس الأربع: (التطابق والتفاعل والتداخل والتحاذي)، لبيان علاقة (كليات رسائل النور) مع الهديين (الوحيين) في عرض اتساع فاعلية الانسان الايجابية لبناء عالم أفضل.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

(١) ينظر: صيقل الإسلام: محاكمات/١٦١، والساخات/ ٣٤٩. والملاحق في فقه دعوة النور: ملحق أميرداغ/١ /٢٩٧، وملحق أميرداغ/٢ /٣٧٣.

النورسي ومعالجته النقدية الايجابية البناءة للقضايا

الدكتور/ أشرف عبد الرافع الدرفيلي

الاستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

ومستشار التعاون الدولي والتبادل المعرفي بالجامعة

Email: Ashrafrafaa@gmail.com^٨

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الأخيار الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... وبعد،،،

لقد كان لجهود علمائنا الإصلاحية والتجديدية منذ زمن الإمام الشافعي وسيراً بعده حتى وقتنا المعاصر الأثر الكبير في إثراء الحركة الفكرية في العالم العربي والإسلامي من الناحية النظرية، على الرغم مما اعتراها من منعطفات سلباً وإيجاباً، وما صاحبها من صراعات وتنازعات وانقسامات واضطرابات، بل وما لازمها من إقصاء وعنف وتعصب واقتتال وإراقة دماء، ولم ينجو من ذلك إلا القليل ممن رحمهم الله، والإمام النورسي واحد من هؤلاء وأبرزهم، بل وكان فريداً في معالجته للقضايا الفكرية بعيداً عن الجدلية الغوغائية، ومتجنباً للنقد الانتقائي أو الفوضوي أو التشاؤمي، على الرغم من معاشته لأحداث ومراحل تاريخية عصفت بكل موروث إسلامي في بلد كانت حاضنة للخلافة الإسلامية، وكان لهذه الأحداث تأثيرها على حياته، وكانت المحرك الأبرز له للنهوض في الناس بدعوته الإصلاحية والتجديدية لمواجهة الحداثة الأوربية التغريبية، والغوص في المشكلات التاريخية والفلسفية، للوقوف على تفسير شامل لعوامل الفرق، والتدهور والنهوض الحضاري، وإعادة صياغة الأفكار والممارسات الإسلامية في عصر ما بعد الثورة الصناعية، والأيدولوجيات المتنوعة، وإعمال الفكر في العملية التاريخية الحديثة، والتكيف معها بفهم دقيق للتحويلات – التاريخية – مع ابتكار منهج ديني ناضج راشد، واستيعاب دقيق للبُعد الديني في كل ما يُطرح من أفكار، لتتمكن من التعامل مع هذه التحويلات، ومواجهة تحديات الحداثة المادية والعلمانية الراديكالية، وإزالة ما تم ترويجه – في الجزء الأول من القرن العشرين – بأن الخطاب الإسلامي خطاب رجعي ومتخلف.

لهذا رأيت أنه من الأهمية دراسة وتحليل قدرة النورسي العجيبة على معالجته النقدية الإيجابية البناءة للقضايا بعيداً عن الأنا والجدلية، ثم استخلاص ضوابط النقد العلمي الإيجابي في رسائل النور، وإبراز الأسس والأدوات التي انتهجها النورسي لتحقيق ذلك، وسوف تتناول الدراسة مناقشة وتحليل ما يلي:

- ١- المفهوم اللغوي والاصطلاحي للنقد وأنواعه.
- ٢- شروط ودساتير النقد الإيجابي البناء في رسائل النور.
- ٣- منهجية النورسي الذاتية في المعالجة النقدية للقضايا.
- ٤- معالجة النورسي النقدية للقضايا الفلسفية.
- ٥- معالجة النورسي النقدية لعلم الكلام.
- ٦- معالجة النورسي النقدية للتصوف.
- ٧- خاتمة بأهم نتائج البحث.
- ٨- قائمة المراجع والمصادر.

أولاً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للنقد وأنواعه: -

النقد لغة: هو التمييز بين الصحيح والزائف، نقول: نقدت الدراهم، أي ميزت الجيد من الزائف.

والنقد: هو المناقشة، نقول: ناقده في المسألة، أي ناقشه، ويطلق النقد على الوازن من الأشياء، أي الراجح منها^(١).

النقد في الاصطلاح: هو نقد التعبير المكتوب أو المنطوق من متخصص يطلق عليه اسم ناقد وتتوفر فيه خصائص وأساليب وأدوات الفاحص الناقد عقلياً ومعرفياً، وذلك للكشف عن سلبيات وإيجابيات أقوال أو أفعال أو إبداعات أو قرارات.

أنواع النقد وأقسامه:

حين استعرض الإمام النورسي أثناء شرحه وتفسيره للحديث الشريف "اختلاف أمتي رحمة"^(٢) برع في حل الإشكالية لفهم هذا الحديث، ونستطيع أن نستخلص مما ورد أقسام

(١) المعجم الوسيط: مادة ن ق د، وأنظر/معجم اللغة العربية/حرف النون (ن) مصر، طبعة وزارة التربية والتعليم، ١٩٩٤م.

(٢) هذا الحديث على الرغم من استشهاد علماء كثيرين به كالقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٥٩/٤ وذكره في كتب الحديث المعتمدة إلا أنه مثار جدل ونقاش لأن مقابله مع النص القرآني تبين أن

النقد وتعريفاتهم الاصطلاحية:

النقد الإيجابي: وهو أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته وصواب نظرته دون أن يحاول هدم مسالك وأفكار الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسلكهم، بل يكون سعيه لإكمال النقص ورأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلاً

النقد السلبي: هو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، ومبعثه الحقد والضغينة والعداوة، وهذا النوع من الاختلاف مردود أصلاً في نظر الحديث^(١).

أما النقد من حيث ما يتعلق به من قضايا فيمكن تلخيصه فيما يلي:

النقد المنهجي: وهو يعني تجاوز موقفى الرفض والقبول المطلقين، واتخاذ موقف قائم على الحيادية لبيان أوجه الصواب والخطأ من خلال الموازنة بموازين الشرع والتميز العقلي المجرد عن المادية.

النقد المعرفي: وهو يعني تحرير العقل عن الأخطاء الناتجة عن التعلق بالفكر الخرافي والأساطير، وهي أخطاء تعوق سيره نحو المعرفة الصحيحة^(٢).

النقد السياسي: هو الكشف عن أوجه القصور في السلطة السياسية حين مزاولتها لأداء دورها كنائب عن أفراد الأمة بسبب بعدها الرئيسي عن الشورى وأساليب السياسة الشرعية العادلة.

وقد تجلّى تأسيس النقد السياسي في أروع صوره من خلال كلمات سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد توليه منصب الرئاسة - الخلافة - في سقيفة بني ساعدة حين قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أيها الناس فياني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني،

الاختلاف لم يرد في نص إلا ووقع في دائرة النهي والذم، أنظر كتابنا: نحو التوحد الإسلامي الكبير، ص ٣٨ - ٤١.

(١) النورسي: المكتوبات، ص ٣٣١ - ٣٣٢.

(٢) أ.د/محمود حمدي زقزوق: مدخل إلى الفلسفة، ص ٩ - ١٢، ط المعهد العالي للدراسات الإسلامية بالقاهرة، ٢٠٠٤م، وأنظر إلى مقارنة ذلك النقد المعرفي عند الإمام النورسي: الشعاعات ص ١٣٥، إشارات الاعجاز ص ٢٢٥ / أديب إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية: ط ١، ص ٤٠ - ٤٢، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٥/ وأنظر كتابنا: الحرية والمعرفة عند الامام النورسي ص ٤٤٨

وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم^(١).

النقد الأدبي: يعني الكشف عن مدى اتساق أو تناقض العمل الأدبي - بجميع تصنيفاته - مع قواعد ومعايير علم الجمال من حيث الشكل، وبيان مدى ارتباطه بالواقع الاجتماعي من حيث المضمون، للعمل على إزالة ما يعوق تقدم المجتمع ثقافياً وأدبياً^(٢).

النقد الاجتماعي: هو نقد يكشف عن الظواهر السلبية في المجتمع من حيث أنماط التفكير والسلوك وكل ما يرتبط بالعلاقات الاجتماعية السلبية بين الأفراد والجماعات وعدم توافقه لمنهج القرآن والسنة ومع فطرة الإنسان السوية، ولقد تجلّى نقد النورسي الإيجابي للحياة الاجتماعية بعد زوال الخلافة العثمانية وإعلان الجمهورية التركية العلمانية التي عكفت على محو كل ما هو إسلامي وتجريد المجتمع التركي من عاداته وقيمه وأعرافه وسلوكياته الإسلامية وتغييرها بنمط الحياة الاجتماعية الغربية^(٣).

ثانياً: شروط ودساتير النقد الإيجابي البناء في رسائل النور:

الباحث في رسائل النور والقارئ لها يجد أن الإمام النورسي حين سطرها وضع الأسس والضوابط والتزم بالأدوات المنهجية العلمية في معالجته النقدية المؤسسة على الإيجابية لجميع القضايا التي ناقشها واستعرضها، بل وأصلها واقعاً عملياً وتطبيقياً حياً في رسائله ومعاملاته ومناقشاته ودعوته وطلابه، ويمكن استنتاج أبرز الشروط التي جعلها منهجاً له ورأى وجوب توافرها في النقد الإيجابي البناء فيما يلي:

أولاً: إذا كان النقد إيجابياً فلا بد من ابتعاده عن المدح والثناء والإطراء، وإذا كان سلبياً

(١) علماء وزارة الأوقاف: صفحات من سيرة الرسول الكريم، طبعة وزارة الأوقاف، القاهرة، بدون، ص ٢٤ - ٢٥.

(٢) النورسي: سيرة ذاتية، ص ٣٨٩ - ٤٠٥، الشعاعات: ص ٣٤٠/ وأنظر كتابنا: الحرية والمعرفة، ص ٣٣٢ - ٣٣٧.

(٣) أنظر النورسي: رسالة الحجاب، ومرشد الشباب، ومرشد أخوات الآخرة، وأنظر كتابنا: الحرية والمعرفة، ص ١٢٢ - ١٢٦.

فيجب الحذر من الوقوع في دائرة السباب والشتائم والتكفير والتبديع والتنقيص من أجل إسقاط الآخرين وإبراز ذاته من خلال نقده، بل يجب أن يكون النقد في كلا الحالتين مبنياً على الموضوعية والحيادية والتجرد من التعصب والأهواء والأحكام المسبقة، وخاصة بين أهل المسالك والمذاهب والفرق.

ثانياً: عدم تأسيس النقد على النيات والمقاصد العشوائية، بل يجب أن يتجه النقد حول فكرة موضوعية ونقطة جوهرية واضحة وذات أهمية قصوى، بعيداً عن المساس بالتجريح في صاحب الفكرة.

ثالثاً: أن تؤسس منطلقات النقد على ثوابت علمية ومنهجية دقيقة، ومتوافقة مع موازين العقل العلمي السليم وضوابط الشرع الصحيحة والمتفق عليها، وكما يقول الإمام النورسي: "العقل القرآني ووزن القضايا بموازين الشرع"^(١).

رابعاً: إذا كان النقد يسبب فتنة أو يحدث منكرًا أعظم من السكوت فالتزام الصمت وترك النقد هو الأولى، لأنه ليس من الحكمة أن تنتقد كل ما يحدث ويطرأ، والناس لو سكتوا عن أشياء كثيرة وتغاضوا عن قضايا سلبية لماتت في مهدها ولما حدث لها انتشار، ونحن نرى من أراد أن ينشر فكرة ما أن يطلب من الآخرين نقده.

جسد الإمام النورسي معالجته لهذه الشروط بمنهجية علمية من أجل تحقيق النقد الإيجابي البناء المتوافق مع منهج القرآن والسنة النبوية في بضع دساتير تتسم بالشمولية والعمق وتمثل فيما يلي:

١- عدم انتقاد إخوانكم العاملين في هذه الخدمة القرآنية، وعدم إثارة نوازع الحسد بالتفاخر والاستغلاء، لأنه كما لا تحاسد في جسم الإنسان بين اليدين، ولا يرى القلب عيب الروح، بل يكمل كل منه نقص الآخر ويستتر تقصيره ويسعى لحاجته ويعاونه في خدمته.

٢- اعلّموا أن قوتكم جميعاً في الإخلاص والحق، حتى إن أهل الباطل يحرزون القوة لما يبدون من ثبات وإخلاص في باطلهم^(٢).

(١) أنظر كتابنا: الحرية والمعرفة: ص ٥٢٩ - ٥٣٢.

(٢) النورسي: اللمعات، اللمة العشرون، رسالة الاخلاص، ص ٢٢٢ - ٢٢٧ بتصرف.

٣- عندما تعلم أنك على حق في سلوكك وأفكارك يجوز لك أن تقول: إن مسلكي حق أو هو أفضل "ولكن لا يجوز لك أن تقول: إن الحق هو مسلكي أنا فحسب" لأن نظرك الساخط وفكرك الكليل لن يكونا محكاً ولا حكماً يقضي على بطلان المسالك الأخرى.

٤- عليك أن تقول الحق في كل ما تقول، ولكن ليس لك أن تذيع كل الحقائق، وعليك أن تصدق في كل ما تتكلمه، ولكن ليس صواباً أن تقول كل صدق".

٥- إذا كان النقد مؤسساً على نزعة العداوة والحقد والحسد، فالأولى أن تعادي ما في قلبك من العداوة، وحاول أن تعادي من هو أعدى أعدائك وأشدّهم ضرراً عليك، تلك هي نفسك التي بين جنبيك، فقاوم هواها واسع في إصلاحها، واعلم أن صفة المحبة محبوبه لذاتها، وإن اردت أن تغلب خصمك بالنقد السلبي الهدام، فادفع سيئته بالحسنة والنقد الايجابي البناء، وليدرك صاحب النقد المؤسس على الحسد أنه ينتقد القدر الإلهي ويعترض على رحمته الواسعة، فليدرك أن ما ناله محسوده من أعراض دنيوية من مال وقوة ومنصب وذيع صيت، هي أعراض زائلة فانية، إما إذا كان النقد الناشئ عن الحسد ناشئاً من الدفاع عن دين الله والفوز بالآخرة فلا حسد أصلاً، ولهذا يجب مراعاة ما يلي أثناء سيرك في نقد الآخرين:

● ينبغي أن تدرك أن القدر الإلهي له حظه في الأمر، فعليك أن تستقبل حظ القدر هذا بالرضى والتسليم.

● إن للشيطان والنفس الأمارة بالسوء حظهما كذلك، فإذا ما أخرجت هاتين الحصتين لا يبقى أمامك إلا الاشفاق على أخيك بدلاً من عدائه، لأنك تراه مغلوباً على أمره أمام نفسه وشيطانه، فتنتظر منه بعد ذلك الندم وعودته إلى صوابه.

● عليك أن تلاحظ تقصيرات نفسك التي لا تراها أو لا ترغب أن تراها، فإذا عزلت هذه الحصّة مع الحصتين السابقتين ستري الباقي حصّة ضئيلة تستقبلها بالعفو والصفح، وتنجو من أي ظلم أو إيذاء لأحد.

وقد مرت على الإمام النورسي حادثة جديدة بالملاحظة، حيث تكشف لنا عن سوء وفظاعة النقد القائم على الشخصية والمصالح الذاتية والأنانية والتعصب المذهبي والحزبي،

يقول النورسي: رأيت ذات يوم رجلاً عليه سيماء العلم يقدح بعالم فاضل بانحياز مغرض حتى بلغ به الأمر إلى حد تكفيره، وذلك لخلاف بينهما حول أمور سياسية، بينما رأيته قد أثنى في الوقت نفسه على منافق يوافقه في الرأي السياسي، فأصابني من هذه الحادثة رعدة شديدة، واستعذت بالله مما آلت إليه السياسة وقلت: أعوذ بالله من الشيطان والسياسة"^(١).

فالنورسي يرى أن النقد إذا كان لأغراض شخصية ولهوى النفس الأمانة بالسوء وللتسلط والاستعلاء وإشباع شهوات نفوس فرعونية ونيل الشهرة وحب الظهور، فهو نقد وملجأ ذوي النيات السيئة، بل ومتكأ الظلمة ومرتكزهم، فالظلم واضح في تصرفاتهم، فلو أتى شيطان إلى أحدهم معاوناً له وموافقاً لرأيه يثني ويترحم عليه، بينما إذا كان في الصف المقابل إنسان كالملك تراه يلعنه ويقذفه، فهذه الدائرة من النقد وبسط الأفكار لا تظهر فيها الحقيقة، بل تتولد منها شرارة الفتن والنزاعات والنفاق والشقاق، فلا تجد بين أمثال هؤلاء اتفاقاً في المقصد والغاية لأنه ليس لأجل الحق أو الوصول إلى الحقيقة.

أما إذا كان النقد من أجل مناقشة الآراء والأفكار لأجل الحق وفي سبيل الوصول إلى الحقيقة وإظهار كل زاوية من زواياها بأجلى صور الوضوح رغم تنوع الوسائل مع الاتفاق في الأسس والغايات، فهذا نقد يندرج تحت قائمة الإيجابية ويقدم خدمة جليلة"^(٢).

ثالثاً: منهجية النورسي الذاتية في المعالجة النقدية للقضايا:

يمكننا حصر ورصد منهجية النورسي في المعالجة النقدية للقضايا، أو ما يمكننا تسميتها "تصفية الذات قبل نقد الآخر" كما سجلها في رسائل النور وذلك بإيجاز على النحو التالي:

١- يضع النورسي منهجاً نقدياً لا بد لكل مصلح أن يلتزم به، وهو أن يبدأ الناقد والمصلح بنقد نفسه أولاً وإصلاحها، فيقول: من لا يصلح نفسه لا يمكنه إصلاح غيره، علينا أن نرشد أنفسنا ثم نرشد غيرنا.

٢- نقده الذاتي لمراحله العمرية والفكرية، حيث قام بمراجعة نقدية دقيقة لأفكار سعيد القديم، انتقل على إثرها لمرحلة سعيد الجديد"^(٣).

٣- رغم تصفيته لذاته قبل نقد الآخر لكي يكون نقده نقداً موضوعياً، فإنه يدعوا من

(١) النورسي: المکتوبات، المکتوب الثاني والعشرون، ص ٣٢٧ - ٣٣٠.

(٢) المرجع السابق: المکتوبات، المکتوب الثاني والعشرون، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ بتصرف.

(٣) النورسي: اللغات، ص ١٧٦، وأنظر كتابنا: الحرية والمعرفة، ص ١٦٥، ٢١٣.

يسمعه ويقرأ رسائل النور إلى تصفية ذاته من حسن الظن به وبكلامه، وأن لا يقبل كلامه على علاقاته دون اختيار وتمحيص ووزن الكلام المقروء والمسموع بميزان القرآن والسنة، فيقول: "ليس هناك من يوصم نفسه بالفساد، بل غالباً ما يظهر المفسد نفسه بمظهر الصلاح والصواب. نعم إنه مثل مشهور" ما من أحد يقول لمخيضه حامض "فعليكم أن تختبروا كل قول تسمعون ولا تقبلوا أي كلام كان دون اختيار وامتحان، فالللكلام الفاسد رواج في عصرنا هذا، حتى كلامي أنا لا تقبلوه على علاقاته - بناءً على حسن ظنكم بي - وإنما دعوا أي كلام كان يظل على هامش تفكيركم حتى إذا ما نجح في الاختبار وظهر صدقه وبان معدنه الذهبي، عند ذلك أحفظوه في القلوب، أما إذا كان صدأ - ومن معدن رخيص - فاطرحوه أرضاً غير مأسوف عليه"^(١).

٤- إن النورسي جعل لمنهجه النقدي ميزاناً لا يتجاوزه، وهو ميزان الشريعة "فيقول: "إنني طالب شريعة، لذا أزن كل شيء بميزان الشريعة، فالإسلام وحده هو ملتي، لذا أقيم كل شيء وأنظر إليه بمنظار الإسلام"^(٢).

٥- إن النورسي لم يجعل المنهج النقدي هدفه وغايته دون مبرر ضروري ملح، فهو لم يلجأ للنقد إلا عند الضرورة القصوى، مع التزامه التام في مسعاه للمعالجة النقدية أن يكون ذلك مطابقاً لواقع الحال زماناً ومكاناً، وموافقاً لحاجات العصر، وما تقتضيه المصلحة والضرورة^(٣).

٦- التزامه بالعرض النقدي الموضوعي التحليلي للقضية سلباً وإيجاباً، وطرح البدائل العلاجية المناسبة كبناء تعويضي عما أبرز من الجوانب السلبية الضارة، وتأسيسه لقاعدة معيارية للتعامل مع جميع المستجدات والتباعد عن التوقع، وهي "خذ ما صفا ودع ما كدر"^(٤).

٧- التزام النورسي في خطابه النقدي باللين والرفق في الكلام، ولا يتجاوز هذا الالتزام

(١) إحسان قاسم : النورسي حياته وآثاره، ص ٢١٧، وأنظر/صقيل الإسلام، مناظرات.

(٢) النورسي: صقيل الإسلام، ص ٤٣٩.

(٣) النورسي: المرجع السابق، ص ٤٤٦ بتصرف.

(٤) النورسي: الكلمات، ص ٣٦، ٨٥٤، وأنظر صقيل الإسلام، ص ٤٦٨، سيرة ذاتية، ص ٨٦.

إلا حين يرى هجوما صارخا على القرآن الكريم، وتجاوزا شنيعا على الحقائق الإيمانية بتزييفها^(١).

رابعاً: معالجة النورسي النقدية للقضايا الفلسفية:

مما لا شك فيه أن تنوع الفلسفات واختلاف مشاربها وتباين مراميها يعكس وطأة التيه الخائقة التي ظل العقل البشري يضرب فيها بحثاً عن معالم طريق يسكن إليه ويقر فيه قراره، ولذلك وبسبب خاصيتها الاستفزازية تلك فقد تناوشت مع الدين، بل وتعارضت معه في بناءات فكرية عديدة، ودخلت معه في علاقة عدااء سافر، خاصة في العصور الوسيطة، حين كانت الكنيسة تتعصب لفرض معتقداتها وحجب الرؤية عن أنظار الناس، ومع العصر الحديث تفاقمت زندقة الفلسفة المادية وخاصة بعد بزوغ الكشوف العلمية والرياضية، وقبلها للأطر والفرضيات والاستشرافات التي ظلت تنادي بها التعاليم الإنجيلية، الأمر الذي جعل الفلسفة الوضعية تنحو منحى الثورة في رفضها للمعطي الديني والمعرفة الكهنوتية، وفي تعاملها مع المقدس، وبناء أخلاقياتها على مسطرة اللادين، والواقع أن ثورة الفلسفة على الرب - وسبحان الله عما يقولون - قد وقعت في شرك الروح الكتابية ذاتها ولم تخرج عنها، وذلك حين ناظرت بين الرب الممات على يدها (المسيح) وبين الإنسان المؤله علي يديها أيضاً (المسيح أيضاً) ذات الوازع العرفي، ذلك لأن الإنسان المؤله لديها ليس هو الإنسان مطلقاً، ولكنه إنسان الاستعمار الفاتح الإمبراطوري^(٢) لهذا نرى النورسي ينتقد تلك الأفكار والأسس الفاسدة التي يستند عليها الماديون الطبيعيون "البيان أن ما سلكه أولئك الملاحدة الماديون من طرق ومناهج لا تعدوا أن تكون محض خرافة خرقاء"^(٣) ولا تكتفي الرسائل بإيراد بضعة أدلة، وإنما تسرد الدلائل تلو الدلائل وتعقبها بأمثلة غزيرة ومتنوعة حتى تبين بوضوح أن الطريق التي يسلكها المنكرون من المادين الطبيعيين هي بعيدة كل البعد عن المسلمات المنطقية والعقلية، بل تمجها العقول السليمة وأنها محض خرافة، ويسلك النورسي في معالجته النقدية تلك بخطوات منطقية عقلية، فمثلاً: جاء في مقدمة رسالة "الطبيعة": أيها الإنسان أعلم أن هناك كلمات رهيبة تفوح منها رائحة الكفر النتنة تخرج من أفواه الناس وتردها

(١) أنظر/ النورسي: اللغات، "رسالة الطبيعة" ص ٢٤٥.

(٢) د/عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص ٢٤٧، ٢٤٦. بتصرف.

(٣) أنظر/ النورسي: اللغات "رسالة الطبيعة" ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

ألسنة أهل الإيمان دون علمهم بخطورة معنى ما يقولون، وسنبين ثلاثة منها هي الغاية في الخطورة:

أولها: قولهم عن الشيء: "أوجدته الأسباب" أي أن الأسباب هي التي توجد الشيء المعين.

ثانيها: قولهم عن الشيء: "تشكل بنفسه" أي أن الشيء يتشكل من تلقاء نفسه ويوجد نفسه بنفسه وينتهي إلى صورته التي انتهى إليها كما هي.

ثالثها: قولهم عن الشيء: "اقتضته الطبيعة" أي أن الشيء طبيعي والطبيعية هي التي أوجدته واقتضته.

ثم تذكر الرسالة تلك المحالات، وتوضحها بأمثلة علمية سلسلة متنوعة، حتى لا تذر غباراً للشبهة والوسوسة في القلب والعقل، وهكذا يلمس القارئ الأسلوب العلمي المنطقي الرصين والمحاورة الهادئة الرزينة^(١) ويلمس القارئ لرسائل النور أن نقد القضايا الفلسفية في "رسائل النور" أخذت حيزاً كبيراً بحيث لا تكاد تخلو معظم الرسائل من وقوف مع الفلاسفة، رداً على آرائهم أو مناقشة لأدلتهم أو مقارنة بين نظرتهم إلى الله والإنسان والكون، ثم بيان نظرة القرآن الكريم، وفي كثير من الأحيان يكتسي أسلوب الرد قوة بقدر ما نلمسها في سعة التحليل ومتانة الاستدلال، نجدها أيضاً في قساوة النعوت التي يستعملها النورسي لوصف الفلاسفة الماديون وتسفيه آرائهم ومناهجهم، فهو في أحسن الأحوال يصفهم بأنهم "انحدرت عقولهم إلى عيوتهم"^(٢) فلم يستطيعوا تجاوز حدود الحس، ويصف فلسفتهم بأنها "طاعون معنوي حيث تسبب في سريان حمى مهلكة في البشرية عرضها للغضب الإلهي"^(٣) وهي تحجب عن الإنسان الإدراك السليم للحقائق إذ "تكل العقل وتعمي البصيرة"^(٤) وهي "غول يريد أن يلتهم عقائد المسلمين"^(٥) وهي في النهاية "فلسفة مبنية على

(١) إحسان قاسم: النورسي حياته وآثاره، ص ٢١٣، ٢١٢. وأنظر اللغات، اللعة الثالثة عشر.

(٢) بديع الزمان النورسي: الكلمات، ص ٦٠١.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٨٧٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٥٧٧.

(٥) النورسي: اللغات، ص ٢٦٧.

أساس العبث في الوجود"^(١) لأنها "فلسفة عاصية للدين"^(٢) والنورسي يميز أثناء معالجته النقدية بين التفكير الفلسفي المقبول، والتفكير الفلسفي المرفوض، وهذا التمييز وضحه بشكل مباشر من خلال جملة من النصوص وردت في رسائله، وأوضح فيها أن رفضه إنما هو لنوع من أنواع هذا التفكير وهو الفلسفة المادية فيقول: "أما الفلسفة التي تهاجمها رسائل النور وتصفعها بصفعاتها القوية فهي الفلسفة المضرة وحدها، وليست الفلسفة على إطلاقها، ذلك لأن قسم الحكمة من الفلسفة التي تخدم الحياة الاجتماعية والبشرية وتعين الأخلاق والمثل الإنسانية وتمهد للرفي الصناعي، فهي في وفاق ومصالحة مع القرآن، بل هي خادمة لحكمة القرآن، فلا تعارضها ولا يمكنها ذلك، لذا فرسائل النور لا تتصدى لهذا القسم من الفلسفة، وأما القسم الثاني من الفلسفة: وهي التي أصبحت وسيلة للتردي في الضلالة والإلحاد والسقوط في هاوية المستنقع الآسن للطبيعة، فإنه ينتج كذلك السفاهة واللهو والغفلة والضلالة ويعارض الحقائق المعجزة للقرآن الكريم بخوارقه التي هي كالسحر لذا فإن رسائل النور تتصدى لهذا القسم من الفلسفة في أغلب أجزائها بنصبها موازين دقيقة وسوقها البراهين الدامغة فتصفعها بصفعاتها القوية في حين أنها لا تلتفت إلى القسم النافع منها"^(٣).

النورسي أثناء مسيرته النقدية للقضايا الفلسفية أراد أن يبين ان الاختلاف بين جوهر الفلسفة ومراميها، وبين روح القرآن ومقاصده يبدأ في طبيعة الصلة بين المصدرين وبين الوجود، ويتدأ أيضاً في مستوى الحوار الذي يعقده كل منهما مع الكون وعناصره وجميع المخلوقات "فالقرآن يبحث عن معاني كتاب الكائنات ودلالاتها، أما الفلسفة فإنما تبحث عن نقوش الحروف ووضعياتها ومناسباتها ولا تعرف أن الموجودات كلمات تدل على معان، فإن شئت أن ترى فرق حكمة الفلسفة وحكمة القرآن فراجع ما في بيان آية ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾"^(٤) فالفلسفة تثير السؤال بشكل دائم، وهذا يرسخ داخل الإنسان قلقاً مستمراً خاصة عند عدم الحصول على الإجابة على هذا السؤال، مما

(١) النورسي: الكلمات، ص ٦٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٤٣.

(٣) النورسي: الملاحق، ص ٢٨٦.

(٤) انظر النص للنورسي في المشنوي العربي، ص ٧٦، وأنظر/ د. عشراي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص ٢٢٩.

يصل بهذا القلق إلى حالة الاكتئاب، والدين وحده هو القادر على أن يطفى هذا القلق ويهب الإنسان نوعاً من الطمأنينة والسكينة، يقول النورسي: "إن القرآن وحده هو الكفيل بالإجابة عن الأسئلة التي تسألها الفلسفة، فالكائنات: ومن أين؟ وبأمر من تأتون؟ من سلطانكم ووليكم؟ مما تصنعون؟ وإلى أين تصيرون؟ ولهذا تُذكر الكائنات في القرآن ذكر استطرادي لبيان طريق الاستدلال على الصانع الجليل"^(١).

كذلك اعتمد النورسي أثناء معالجته النقدية على مفهومي الاسمية والحرفية ليشخص من خلalهما الفارق الأساس بين المنظورين القرآني والفلسفي، موازياً بين الإفادة التي يحصل عليها العقل من وراء تعاطيه الفلسفة والعلم القرآني وبين الدلالة التي يحيل إليها كل من الحرف والاسم "فالفلسفة عدلت عن طريق الحقيقة، فاستخدمت الموجودات لأنفسها بالمعنى "الاسمي، وأما القرآن فبالحق أنزل وبالحق نزل وإلى الحقيقة يذهب فيستخدم الموجودات بالمعنى "الحرفي" لا لأنفسها بل لخالقها"^(٢) و"الفلسفة المادية تقوم الأشياء والموجودات بذاتها ولذا تم، على عكس الرؤية القرآنية التي تقرر الأشياء بربطها لخالقها"^(٣) فرؤية القرآن أحيالية تصل الوقائع ببارئها.. بينما الرؤية الفلسفية رؤية عينية ذاتية مصمتة لا يتعدى فيها الدال مدلوله الحسي الشاخص، فهي بمثابة الاسم يحمل فحواه في بينته فحسب، ومن هنا كان النظر القرآني للأشياء نظراً إيمانياً يلحم بين الظواهر وبين الله خالقها ومدبرها، فيما كان النظر الفلسفي نظراً شئياً حسيّاً لا يرسو بمصادراته العقلية القاصرة إلا على منطق جحودي، من أبرز محدداته الاصطلاحية: المجهول واللا نهائي والمطلق، وهو ما يعكس ضيعة الإنسان وعجزه"^(٤).

ويصل النورسي إلى نتيجة مؤداها، أن مكانه القرآن أعلى بكثير من مكانة الفلسفة فيقول: "إن ثروة القرآن الطائلة وغناها الواسع في معرفة الله في ميدان العلم والحكمة، وإفلاس

(١) النورسي: صيقل الإسلام، ص ٢٩.

(٢) النورسي: المتنوي، ص ٦٧٠.

(٣) النورسي: المرجع السابق، ص ٧٢.

(٤) النورسي: المتنوي، ص ٧٧. وانظر د/ عشراي سليمان: المرجع السابق، ص ٢٣٤.

الفلسفة وفقرها المدقع في دروس العبرة والعلم بمعرفة الصانع الجليل^(١) ولهذا "فإن أسس الإسلام عريقة وغائرة إلى درجه لا تبلغها أسس الفلسفة، بل تظل سطحية تجاهها"^(٢) وبالتالي فالعلم المستفاد من القرآن المتعلق بالكائنات أعلى وأعلى بما لا يحد من العلم المستفاد من فنون الفلسفة"^(٣) بل إن "مفتاح دلائل إعجاز الآيات وكشاف أسرار البلاغة هو في معدن البلاغة العربية وليس في مصنع الفلسفة اليونانية"^(٤).

الموازنة النقدية بين ثمرات القرآن والفلسفة:

سمى النورسي هذه المقارنة النقدية "موازنة" لكي يذكرنا بالمبدأ الذي انتهجه وسار عليه واتخذ أداة ووسيلة في نقده للفلاسفة، وهو أن يعرض آرائهم على موازين العقل، فهو هنا يتخذ الميزان ذاته ليعين أي الطريقتين أقرب إلى ما يقتضيه العقل السليم الذي جعله الماديون مقياسهم الأوحده، ولقد كان لاختلاف نظرة الفلسفة إلى الإنسان بالمعنى "الأسمي" ونظرة القرآن إليه بالمعنى "الحرفي" لكل منهما آثار على كافة مجالات المقارنة النقدية وخاصة على الجانب المعرفي وسلوك الإنسان والكون^(٥).

الموازنة النقدية في جانب العلاقات الاجتماعية:

لاحظ النورسي أن العلاقات الاجتماعية التي تنشئها الفلسفة، تختلف عن العلاقات الاجتماعية التي ينشئها القرآن، لاختلاف القيم التي يقوم عليها مجتمع الفلسفة، وتلك التي يقوم عليها مجتمع القرآن.

ولقد لخص النورسي عمل كلا المنظومتين في إطار حركة "مجتمع الفلسفة" و"مجتمع القرآن" وبين آثار كل منهما فيقول "إن حكمة الفلسفة ترى "القوة" نقطة الاستناد في الحياة الاجتماعية وتهدف إلى "المنفعة" في كل شيء وتتخذ "الصراع" دستوراً للحياة وتلتزم "بالعنصرية والقومية السلبية" رابطة للجماعات.

(١) النورسي: الكلمات، ص ١٥١ وفي نفس المصدر، الموازنة بين حكمة القرآن والفلسفة، ص ١٤٠، ١٥١.

(٢) النورسي: المکتوبات، ص ٥٧٠.

(٣) النورسي: المتنوي العربي، ص ٤٠٧.

(٤) النورسي: صيقل الإسلام، ص ٩٤.

(٥) أنظر إلى كل ذلك بتوسع في كتابنا: الحرية والمعرفة عند الإمام بديع الزمان النورسي ١٥٢ - ١٨٠.

أما ثمراتها: فهي إشباع رغبات الأهواء والميول النفسية التي من شأنها تأجيج النفس وإثارة الهوى، ومن المعلوم أن شأن القوة هو "الاعتداء" وشأن "المنفعة هو التزاحم" إذ لا تفي لحاجات الجميع وتلبية رغباتهم، وشأن "الصراع" هو "النزاع والجدال" وشأن "العنصرية" هو "الاعتداء" إذ تكبر بابتلاع غيرها وتتوسع على حساب العناصر الأخرى، ومن هنا تلمس أن اللهات وراء هذه الحكمة - الفلسفة - لا يسلب من جرائها إلا سعادة البشرية.

أما حكمة القرآن الكريم: فهي تقبل "الحق" نقطة استناد في الحياة الاجتماعية بدلاً من "القوة" وتجعل "رضي الله سبحانه" ونيل الفضائل هو الغاية بدلاً من "المنفعة" وتتخذ دستور "التعاون" أساساً في الحياة بدلاً من دستور "الصراع" وتلتزم برابطة "الدين" لربط فئات المجتمع بدلاً من العنصرية والقومية السلبية

وتجعل غايتها الحد من تجاوز النفس الأمارة ودفع الروح إلى معالي الأمور وإشباع مشاعرها السامية تسوق الإنسان نحو الكمال والمثل الإنسانية، وإن شأن "الحق" هو "الاتفاق" وشأن "الفضيلة" هو "التساند" وشأن "دستور التعاون" هو "إغاثة كل للآخر" وشأن "الدين" هو "الأخوة والتكاتف" وشأن "إلجام النفس" وكبح جماحها وإطلاق الروح وحثها نحو كمال هو "سعادة الدارين"^(١).

النورسي ونقده للفلاسفة وبيان موقفه منهم: في البداية نراه يطرح سؤالاً على نفسه ليعين فيه ما قد يخطر بعقول الآخرين، بأنه كيف يهاجم شخص مثله عمالقة وأعلام، ومن يكون هو حتى يناطحهم ويهاجمهم وينتقد أرائهم ويظهر عورها؟ ويرد النورسي على هذا السؤال فقال مجيباً: "وإن قلت" فما تكون أنت حتى تنازل هؤلاء المشاهير أمثال أرسطو وأفلاطون؟ فهل أصبحت نظير ذبابة حتى تتدخل في طيران الصقور؟ أقول لما كان لي أستاذ أزي "وهو القرآن العظيم" فلا أراني مضطراً أن أبالي - ولو بقدر جناح ذبابة - في طريق الحقيقة والمعرفة بأولئك الصقور الذين هم تلاميذ الفلسفة الملوثة بالضلالة والعقل المبتلى بالأوهام، فمهما كنت أدنى درجة إلا أن أستاذهم أدنى بدرجات لا حد لها من استاذي، فبفضل أستاذي وهمته لم تستطع المادة التي أغرقتهم أن تبلل قدمي، نعم أن الجندي البسيط الحامل لأوامر سلطان عظيم وقوانينه يمكنه أن ينجز من الأعمال ما لم ينجزه مشير لدى

(١) النورسي: الكلمات، ص ١٤٦، ١٤٥. وأنظر في نفس المرجع، ص ٤٧٣، ٤٧٢ بتصرف.

ملك صغير" (١).

يرتكز نقد النورسي التصنيفي للفلاسفة على ثلاثة: -

١ - فلاسفة الإسلام.

٢ - الفلاسفة غير الماديين - الذين يسميهم الإشراقيون.

٣ - الفلاسفة الماديون.

فجده يتناول الأوائل "الإسلاميين" تارة بالمدح، كقوله في "ابن سينا": "ولقد فسر" ابن سينا "أفلاطون" فلاسفة الإسلام وشيخ الأطباء وأستاذ الفلاسفة، فسر هذه الآية ﴿يَبْنِيْٓءَادَمَ خُذُوْا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾ (٢) من زاوية نظر الطب فقط بالأبيات التالية:-

جمعت الطب في بيتين جمعاً وحسن القول في قصر الكلام
فقلل إن أكلت وبعد أكل تجنب والشفاء في الإنهضام
وليس على النفوس أشد حالاً من ادخال الطعام على الطعام (٣)

ويتناولهم تارة أخرى باللوم والتفريع، ويضم إليهم بعض المتكلمين، خصوصاً حينما يجدهم قد انساقوا وراء الفلاسفة الماديين بعيداً عن موازين القرآن فيقول: "لم ينل حكماء الإسلام الدهاة أمثال "ابن سينا والفارابي" وغيرهم من الذين أفتتنوا بهذه الفلسفة المنهارة الأسس واغترتوا بها وببريقها، لم ينالوا هؤلاء إلا أدنى درجة من درجات الإيمان عند المؤمن الاعتيادي، بللم يمنحهم الإمام الغزالي وهو حجة الإسلام حتى تلك الدرجة، وكذا أئمة المعتزلة الذين هم من علماء الكلام المتبحرين، فلأنهم افتتنوا بالفلسفة وزينتها وأوثقوا صلتهم بها، وحكموا العقل، لذا لم يظفروا إلا بدرجة المؤمن المبتدع الفاسق، وكذلك أبو العلاء المعري الذي هو من مشاهير شعراء المسلمين والمعروف بتشاؤمه وبأسه وقنوطه، وعمر الخيام المشهور بنحيبه وبكائه ونواحه، لما سلكا طريق الفلسفة وتلذذا بمسلك الهوى والنفس،

(١) النورسي: الكلمات، النص بالهامش، ص ٦٤٨ وأنظر. إحسان قاسم: النورسي نظرة عامة ص ٢١٥.

(٢) سورة الأعراف: آية رقم (٣١).

(٣) النورسي: اللمعات، ص ٢٢٣.

صفعتهما أكف التحقير والإهانة، فأثمتما بالكفر والزندقة والتضليل"^(١).

أما الصنف الثاني:- وهم الفلاسفة غير الماديين "الإشراقيون" فإنه ينتقدهم ويسفه أفكارهم ولكنه يضعهم في مكانة أرقى من الفلاسفة الماديين، من ذلك مثلاً: أنه بعد أن ذكر آراء الفلاسفة القدامى في مسألة "أن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد" وكيف حاولوا أن يفسروا علاقة "الله" بخلقه من خلال ما أسموه "بالعقل"، يقول: "فإن كان الإشراقيون الذين هم أرقى الفلاسفة والحكماء فهماً يتفهون بهذا السخف من الكلام، فكيف يكون يا ترى كلام من هم دونهم في الفلسفة والحكمة من ماديين وطبيين"^(٢).

أما الصنف الثالث:- وهم الفلاسفة الماديون أو الطبيعيون، فهم الذين خصهم النورسي بأكبر قدر من النعوت القدحية، وكانت له معهم وقفات عديدة نقضاً لأدلتهم أو رداً على شبهاتهم، لأن "أهل الضلالة والإلحاد يستندون دائماً على الأسس الفاسدة للفلسفة الطبيعية المادية، فيوهمون بعض المسلمين بأن لهم أسساً علمية يركنون إليها لصد حقائق الإسلام"^(٣).

معالجة النورسي النقدية لعلم الكلام:

لقد تحدث المتكلمون أنفسهم وعبروا عن خيبة أملهم في علم الكلام كمنهج برهاني يقنع الخاصة أو يصل إلى المعرفة اليقينية، ويبعث اليقين والطمأنينة في نفوس العامة، وعدم جدوى الكلام ونفعه، فالشهرستاني يعبر عما شاهده ووصل إليه المشتغلون بالمناهج الكلامية من حيرة فيقول:-

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرقي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

والغزالي في بحثه عن اليقين، وبعد أن خُبر الكلام تعلماً وتعليماً وتأليفاً يؤكد بأنه صادفه علماً وفيماً بمقصوده غير واف بمقصودي، ولا يحصل عن هذا العلم ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق" ويعبر فخر الدين الرازي عن عدم قناعته شخصياً بمنهج

(١) النورسي: الكلمات، ص ٦٤٥، ٦٤٦. وأنظر إحسان قاسم: حياته وآثاره، ص ٢١٥، ٢١٤. بتصرف

(٢) النورسي: الكلمات، ص ٦٤٥.

(٣) إحسان قاسم: النورسي نظره عامه، ص ٢١٢.

المتكلمين، وكيف أنه أضاع عمره سدى في البحث عن اليقين من هذا الطريق فلم يجده، فيقول:-

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عليلاً ولا تروي غليلاً
ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن"

وقد كانت هذه الأقوال والاعترافات وأمثالها عاملاً هاماً من عوامل الشك في قيمة الكلام الإيجابية من حيث تثبيت العقيدة وترسيخ اليقين، كما أن التحديات التي كان يواجهها الفكر الإسلامي لم يعد يفيد معها أسلوب الكلام القديم، بل كانت في حاجة إلى أسلوب جديد منطقي في أساسه، عملي في أدلته، وواقعي في معالجته، ومنسجم مع روح العصر، ومعبّر عنه بأسلوب واضح قريب إلى العقول جميعاً^(١).

ومن أبرز أسباب توجه المعالجة النقدية عند النورسي لعلم الكلام هو:

١- "ان قسماً من مصنفان أغلب العلماء السابقين والكتب القديمة للأولياء الصالحين يبحث عن ثمار الإيمان ونتائجه وفيوضات معرفة الله سبحانه وتعالى، ذلك لأنه لم يكن في عصرهم تحد واضح ولا هجوم سافر لجذور الإيمان وأساسه، إذ كانت تلك الأسس متينة ورصينة، أما الآن فإن هناك هجوماً جماعياً منظماً عنيفاً على أركان الإيمان وجذوره، ولا تستطيع تلك الكتب التي كانت تخاطب المؤمنين فحسب أن تقف أمام هذا التيار القوى ولا أن تقاومه وتصده"^(٢).

٢- هناك فرق بين التوحيد الحقيقي والتوحيد العامي، كما أن المعرفة المستنبطة بدلائل علم الكلام ليست المعرفة الكاملة، ولا تورث الاطمئنان القلبي، في حين أن تلك المعرفة متى ما كانت على نهج القرآن الكريم المعجز، تصبح معرفة تامة، فعلماء الكلام يسلكون مناهج متعددة صعبة ووعرة، ويقطعون سلسلة الأسباب لإثبات

(١) د/أحمد محمد الجلي: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، المؤتمر السادس لبيدع الزمان/ص ٢٣٩-٢٤٠.

(٢) النورسي: الملاحق، ص ١٠.

استحالة الدور والتسلسل في نهاية العالم، ومن بعده يثبتون وجود واجب الوجود، أما المنهج الحقيقي للقرآن الكريم فسهل ميسر وكعصا موسى.

٣- إن الإيمان لا يحصل بالعلم وحده، إذ أن هناك لطائف كثيرة للإنسان لها حظها من الإيمان، فكما أن الأكل إذا دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضو من الأعضاء، كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق العلم إذا ما دخلت معدة العقل والفهم، فإن كل لطيفة من لطائف الجسم - كالروح والقلب والسر والنفس وأمثالها - تأخذ منها وتمصها حسب درجاتها، فالمعرفة الناتجة من علم الكلام التقليدي ناقصة ومبتورة، وتظلم اللطائف وتحرمها.

وفي هذه المعالجة النقدية نلاحظ أن النورسي يرفض التعامل الأحادي مع قضايا العقيدة في إطار عقلي أو قلبي أو ذوقي، بل إنه يرى أن جسد الإنسان بكامل جوارحه ولطائفه له تفاعل فطري أثناء بحثه عن المعرفة اليقينية من خلال السير عبر المنهج القرآني الذي يتلاقى مع فطرة تلك الجوارح واللطائف والمرشد لها، بعيداً عن المذهبية العقلية العلمية التأويلية، أو المشاهدات الذوقية المتسمة في غالبيتها بالخيالية الذاتية، والفاصلة في سيرها المعرفي بين الإنسان وواقعه، وبين الإنسان والكون الذي يعيش فيه.

إذاً فمسعى النورسي النقدي هو إيجاد علم كلام جديد سماته القوة والرصانة والقدرة على الوفاء بمحاجات العقل والقلب فيمزج الفكر بالوجدان تحت إرشاد القرآن الكريم^(١). والمتصفح لرسائل النور يجد أنها توميء إلى إبراز هدف النورسي الأول من بين أهدافه لتجديد علم الكلام أو العقيدة، وهو تفصيل الأهداف القرآنية، وشرح حقائق الإيمان ومعرفة الخالق الصانع، وهي تعبر عن مدرسة حياتية إيمانية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعصر النبوة، حيث كان الوحي في بؤرة الشعور، وكانت الحياة ترجمة له دون مذهبية علمية، ولأن تلك هي رؤية الرسائل، فإن الإصلاح ينصب على كل ما هو إسلامي، ولهذا لم تكتف بشرح حقائق القرآن حسب إدراك واقع العصر وفهمه فقط، بل إنها نهجت بشرح القرآن على ضوء العلوم بضرب الأمثلة على ذلك، وبإيضاح أن كتاب الكون الذي يكون القرآن ترجمته الأزلية يتعلق بمنظومة الحياة والعلوم جمعياً، الذي يعد الإسلام جوهرها.

(١) النورسي: المتنوي العربي، ص ٢٠٦.

ورسائل النور بهذا أثبتت أن الحقائق القرآنية تتطابق مع الحقائق الكونية، ومن ثم فقد حثت الرسائل على قراءة كتاب الكون عندما أشارت إلى أن حروف كتاب الكون وآياته تشكل منابع الحقائق القرآنية.

فالنورسي باعتماده الكامل على القرآن الكريم أثناء معالجته النقدية، قد عمد إلى البساطة والشمول، فخلص علم الكلام من تجريده النظري المعقد الذي لا يفهمه إلا الخواص، فحوله من علم مغلق إلى علم مفتوح، ومن هنا عبر عن حقائق التوحيد ودقائق العقيدة الإسلامية بشكل لا يفهمه المسلم وحسب، بل يعايشه ويعانيه قلباً ووجداناً، لأنها صارت حاضرة ومرئية فوق صفحة الكون، فهو منهج قرآني شامل يبدد الغفلة والظلمة ويظهر أنوار التوحيد باستخدام العلم، وهو بهذا لا يؤسس علماً للكلام فقط، بل ويضع الرؤية الشاملة للوجود ككل^(١).

وبدلاً من الكلام الجدلي، استخدم النورسي أسلوب القرآن في عرض مسائل وجود الله تعالى ووحدانيته، ومسائل النبوة والآخرة والقضاء والقدر بشكل واضح جلي، يخاطب قلب الإنسان وفكره وعقله وخياله، بل جميع لطائفه معاً، ولا يحصر الكلام في العقل أو الذوق، بل ويورد أمثلة مادية من واقع المرء وبيئته، من النباتات والحيوانات والنجوم ومن النفس الإنسانية.

وقد أطلق بعض الدارسين على الطريق الذي أتبعه النورسي بأنه علم كلام جديد أو علم كلام قرآني مبني على القرآن ويستقي من القرآن المنهج والمصطلح، وبهذا المنهج استطاع النورسي أن يحول قضايا العقيدة من جمودها الجدلي إلى قضايا حيية وفاعلة، ينفعل بها المسلم ويتفاعل معها، ويكون لها تأثير على سلوكه ورؤيته للكون وتقييمه للأحداث والمواقف.

معالجة النورسي النقدية للتصوف: لقد أدرك النورسي طبيعة المرحلة التي تمر بها تركيا بخاصة، والأمة الإسلامية بصفة عامة، وما تستدعيه من جهد فكري، لذلك قام بعملية مراجعة كبرى لرصيد الأمة من قضايا العقيدة وفق نظرة شمولية نقدية، فلاحظ النورسي أن التصوف الذي كان قائماً على تربية الروح وتطهير النفس الإنسانية وتجسيد القيم الإسلامية الرفيعة، أصبح في العصور المتأخرة أسرع الميادين في الثقافة الإسلامية تعرضاً للانحلال وعاملاً

(١) د/ عادل محمود بدر: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور، ص ٢٧٦، ٢٧٥.

من عوامل التخلف، بل إن بعض الطرق الصوفية تحولت في أغلب الأحوال إلى مراكز لابتزاز أموال الأتباع والمريدين، وإلى أبواق لمحاربة ما تبقى من العلوم العقلية والعلمية، وهكذا انفصل الفكر عن الواقع.

إن التربية الروحية في فكر النورسي قائمة أساساً على تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في الدعوة إلى بيان سبل الاستقامة والسلوك الموزون في الحياة انطلاقاً من قوله تعالى {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} ^(١) وقوله عليه الصلاة والسلام "هلك المتنطعون إن لبدنك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً" ^(٢)، ^(٣) هذا بالإضافة إلى أن الطرق الصوفية في هذا العصر لا تستطيع أن تقف أمام قوة الهجوم المشكك في الإسلام، لأنها تعتمد على التجربة الذاتية ولا تعتمد في إدراك الحقائق على البراهين المنطقية والحجج العقلية والأدلة العلمية التي هي صفة هذا العصر" ^(٤).

موقفه النقدي من وحدة الوجود: كان النورسي واعياً تمام الوعي بتسرب النظريات الحلولية والاتحادية والإشراقية والغنوصية إلى التصوف الإسلامي النقي الملتزم بكتاب الله وسنة رسوله، فحاول تصحيح مقولاته وفضح اتجاهاته المنافية لروح القرآن والسنة النبوية بغية الوصول بالمجتمع المسلم إلى نظام أخلاقي متكامل ومتوازن" ^(٥) لهذا وجه النورسي نقداً خاصاً لأصحاب وحدة الوجود، وحذر من قراءة كتبهم وإتباع مناهجهم، لأنها مناهج مخالفة لمنهج القرآن، وخص من بينهم "محي الدين بن عربي" الواضح الحقيقي للنظرية في إطارها الإسلامي، ويتمثل نقد النورسي للنظرية وأصحابها فيما يأتي:

إن النظرية تقود إلى إنكار الموجودات، وهو أمر مخالف لتعاليم الإسلام وقيمة، فأبن عربي — كما يقول النورسي — يقول: "لا موجود إلا هو" لأجل الحصول على الحضور القلبي الدائم أمام الله سبحانه وتعالى حتى وصل به الأمر إلى إنكار الموجودات. وهناك آخرون قالوا: لا مشهود إلا هو "وألقوا ستار النسيان المطلق على الكائنات

(١) سورة الشمس: آية رقم (١٩).

(٢) حديث شريف: رواه مسلم في صحيحه، وأبو داود في سننه.

(٣) د/ محمد الصمدي: المرجع السابق، ص ٦٧٦، ٦٧٥.

(٤) المرجع السابق: ص ٦٧٨، ٦٧٧.

(٥) النورسي: المكتوبات، ص ٢٢٤، ٢٢٥.

واتخذوا طوراً عجيباً^(١).

وهذه النظرة لا تخلو من خطر، إذ أن مبادئ الإيمان تقرر موجودات لا بد على المؤمن أن يقول بها، منها وجود الآخرة.. فالإيمان بالآخرة لا يحتمل أن يقال بخيالتها، لذا وجب التحفظ - كما يحذر النورسي - في فهم مسألة وحدة الوجود، ويوصي "صاحب هذا المشرب ألا يصحب معه هذا المشرب، وألا يعمل بمقتضاه عندما يفيق من عالم الاستغراق والنشوة، ثم إن عليه ألا يقلب هذا المشرب القلبي والوجداني والذوقي إلى أسس عقلية وقولية وعلمية، وإلا أوهم نفسه وغيره بالمادية والطبيعية والوقوع في التحلل والابتعاد عن حقيقة الإسلام"^(٢) وبين النورسي أن "هذا المسلك - وحدة الوجود - ليس هو أرفع المراتب الإيمانية، ولا هو بمسلك حقيقي، وإنما هو مشرب أهل السكة والاستغراق وأصحاب الشوق والعشق"^(٣).

كما أن النظرية أو المشرب أو النزعة أو الحال - كما فضل النورسي أن يسميها - مرتبة ناقصة، ولكن لكونها مشربة بلذة وجدانية ونشوة روحية، فإن معظم الذين يحملونها أو يدخلون إليها لا يرغبون في مغادرتها فيبقون فيها، ظانين أنها هي المرتبة الأخيرة التي لا تسمو فوقها مرتبة ولا يطالها أفق"^(٤).

لقد كان النورسي يدرك مخاطر الإغراق في القول بمذهب وحدة الوجود، إذ أدرك المخاطر التي تتوارى خلف هذا المنزع، وكان يسيراً على الطبيعيين الذين ألهوا الطبيعة أن يقتنصوا الأبرياء والسذج ممن تطرقتهم أفكار وحدة الوجود دون فهم أو استيعاب، فيستدرجونهم إلى الوقوع في مطب الشرك، وأن يخاطبهم قائلين: "نحن وأنتم سواء، نحن أيضاً نقول هكذا ونفكر هكذا ونرى في الطبيعية مجلي ألوهيتنا بل حقيقتها"^(٥) علماً أنه لا

(١) أ.د. /أحمد محمد الجلي: المرجع السابق، ص ٢٤٣. بتصرف.

(٢) النورسي: أنوار الحقيقة، ترجمة إحسان قاسم، ص ٧٣، سوزلر - القاهرة، ٢٠٠٦م، وانظر د/عشراتي

سليمان: النورسي في رحاب القرآن: ص ١٤٨، ١٤٩.

(٣) النورسي: اللغات، ص ٦١.

(٤) النورسي: المكتوبات، ص ١٠٥.

(٥) د/عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن: ص ١٤٩ وانظر بديع الزمان النورسي: المكتوبات،

ص ٥٨٠. وانظر ص ١٠٦، ٤٢٥، ٥٧٩.

يوجد مشرب في العالم بعيد عن منهج الماديين وعبدية الطبيعية من مشرب "وحدة الوجود"، ذلك لأن أصحابه يؤمنون بالله إيماناً عميقاً إلى درجة يعدون الكون وجميع الموجودات معدوماً بجانب حقيقة الوجود الإلهي، بينما الماديون يولون الموجودات من الأهمية إلى حد أنهم ينكرون معها وجود الله تعالى، فأين هؤلاء من أولئك^(١)؟

وهنا نلاحظ أن النورسي لم يخرج أصحاب مذهب وحدة الوجود من دائرة الإيمان والرمى بهم في دائرة الكفر، بل تعامل معهم بقدر ما معهم من إيمان حتى لا يكون عوناً للشيطان عليهم، ولهذا نجد أنه يعترف بأيمانهم العميق بالله رغم مآخذة عليهم، بل ويعترف بأن ابن عربي مهتد ومقبول، ولكنه ليس بمرشد ولا هاد أو قدوة في جميع كتاباته، ويعلل بأنه يمضي غالباً دون ميزان في الحقائق، فيخالف القواعد الثابتة لأهل السنة، ويفيد بعض أقواله - ظاهراً - الضلالة، غير أنه بريء من الضلالة، إذ الكلام كفرّاً ظاهره، إلا أن قائله لا يكون كافراً^(٢).

وهنا نلمس أن النورسي رغم اعتراضه ونقده لمذهب وحدة الوجود، فإنه لم يتعرض لواضعه الحقيقي بأي تجريح، بل نراه ينفي عن ابن عربي الكفر، ويرى أنه بريء من الضلالة. ولكن رغم دفاع النورسي وثناؤه المدفوع بأدب العلماء الأتقياء عن ابن عربي فإن هذا لم يثن النورسي أن يعلن: "أن منزلة الإيمان القرآني أعلى وأسنى من منزلة القبس الشهودي، ذلك لأن الانصياع لتقريرات الله عز وجل من خلال منطوق كتابه العزيز أولى من تحسس الإيمان من خلال الاستغراقات الروحية التي قد لا يسلم متعاطيها من زلل، لهذا يقول النورسي: "إن درجة الشهود أوطأ بكثير من درجة الإيمان بالغيب... وميزان جميع الأحوال الروحية والكشفيات والأذواق والمشاهدات إنما هو دساتير الكتاب والسنة السامية، وقوانين الأصفياء والمحققين الحدسية"^(٣).

موقف النورسي النقدي لمفهوم الولاية: إن مفهوم الولاية هذا قد اعتراه انحراف، بلغ ببعض الغلاة من المتصوفة إلى القول بأفضلية الولي على النبي، ولقد سجل أبو حيان في "البحر المحيط" هذا الانحراف بأفضلية الولي على النبي بما جرى لموسى مع الخضر عليهما

(١) النورسي: أنوار الحقيقة ص ٧٥، ٧٦ سوزلر، القاهرة، ٢٠٠٦ م.

(٢) النورسي: اللغات، ص ٤٤٥ وانظر. ص ٥٢ - ٥٦، ٦١ - ٦٥، ٤٣٣ - ٤٤٥.

(٣) النورسي: المكتوبات، ص ١٠٥ وانظر د/عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص ١٤٩.

السلام، على أن الخضر أفضل من موسى، واستدلوا بقول أبي يزيد "خضت بحراً وقف الأنبياء بساحلة" وهذا كله من ثمرات الرعونة والظلمة من النفس، ولما كانت هذه الدعوى ذات صلة وثيقة بالعقيدة، فقد حرص النورسي على أن يكشف عن هذا الانحراف العقدي وما يتطلبه من أدلة مقنعة.

وقد ذكر النورسي في "المكتوب التاسع والعشرين" أن من مزلق بعض الصوفية ممن لا يتبعون السنة النبوية على الوجه الصحيح، هي اعتقادهم بأرجحية الولاية على النبوة^(١). ثم يكشف النورسي أن دعوى بعض سالكي التصوف بأفضلية الولاية على النبوة، مصدرها ومنبعها هو الوهم الذي يستحوذ عليهم، حيث إن "ما يتوهمونه بأن ظلال مقامات الولاية ومناذجها المصغرة كأنها هي المقام الحقيقي والكلي والأصلي"^(٢) ولزوال هذا التوهم، يفرق النورسي بين تلقي النبي للعلوم مباشرة عن الله، وبين انطباع بعض المعارف في قلب الولي، بمثال من يتلقى نور الشمس بواسطة مرآة فيقع له من النور الساقط على المرآة بقدر سعة المرآة^(٣) ويؤكد "في الكلمة الرابعة والعشرين والكلمة الحادية والثلاثين من كتاب الكلمات" سمو النبوة على الولاية، وخفوت ضوء الأخيرة أمام نور النبوة^(٤) وأن مقام النبوة لا يمكن أن يرقى إليه أي ولي من الأولياء مهما كانت قيمته.

موقف النورسي النقدي من إسقاط بعض المتصوفة لأوراد السنة النبوية:

يتفق النورسي مع سائر علماء السنة أن أفضل سبيل موصل إلى الولاية هو سلوك نهج السنة المطهرة فيقول: "إن إتباع السنة النبوية المطهرة هو أجمل وألمع طريق موصلة إلى مرتبة الولاية من بين جميع الطرق، بل أقومها وأغناها، والمريد الحق - في نظره - هو المتبع لما تقرره الشريعة، فيلتزمها بحذافيرها، إذ الإتيان يعني تحري المسلم السنة السنية، وتقليدها في جميع تصرفاته وأعماله، والاستهداء بالأحكام الشرعية في جميع معاملاته وأفعاله"^(٥)

(١) د/ فردوس أبو المعاطي: أعمال مؤتمر العدالة، ص ٦٧٠، ٦٦٩ وأنظر/بديع الزمان: المكتوبات/ ص ٥٨٨.

(٢) النورسي: المكتوبات، ص ٥٨٩. وانظر أنوار الحقيقة، ص ٥٣، ١١٢.

(٣) النورسي: الكلمات، ص ٦٦٩.

(٤) النورسي: المكتوبات، ص ٥٨٨.

(٥) النورسي: المرجع السابق، ص ٥٨١.

"كما أن آداب الشريعة كما سنّها سيد المرسلين، والتي هي ثمرة الوحي، هي أسمى وأعلى من آداب الطريقة التي هي ثمرة الإلهام.. ومن هنا كان أساس الطريقة هو إتباع السنة النبوية"^(١) حيث "أن آداب الطريقة وأوراد التصوف وما يحصل للسالك منهما من أذواق، ينبغي أن تكون مدخلاً لأذواق أحلى وأعلى وأسمى، يحصل عليها هذا السالك من أداء الفرائض والسنن"^(٢).

ويؤكد النورسي بعد ذلك أن إتباع السنة والتمسك بها أفضل عند الله من مئات الأوراد الخاصة كما أن سنة واحدة أفضل ألف مرة من آداب التصوف، فيقول "إن إتباع سنة واحدة من السنة النبوية يكون مقبولاً عند الله أعظم من مائة من الآداب والنوافل الخاصة، إذ كما أن فرضاً واحداً يرجح ألفاً من السنن، فإن سنة واحدة من السنن النبوية ترجح ألفاً من آداب التصوف"^(٣).

ونلاحظ أن نقد النورسي ورفضه لإسقاط بعض المتصوفة لأوراد السنة وعدم تمسكهم بالسنن النبوية مرجعه لأن ذلك مخالف لقول الله تعالى { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ }^(٤).

وبهذا أضحي بعض المتصوفة يتجاوزون المنهج والمفاهيم، فأصبحوا ينزلون مفاهيم الفن الصوفي منزلة مفاهيم الوحي، التي سرعان ما تتحول فيما بعد إلى مفاهيم متأخرة على المفاهيم الصوفية، وهكذا فإنهم:- أنزلوا المجاز منزلة الحقيقة وقدموا المجاز عليها.

- وأنزلوا الولاية منزلة النبوة وقدموا الولاية عليها.
- وأنزلوا الباطن منزلة الظاهر وقدموا الباطن عليه.
- وأنزلوا الأوراد الصوفية منزلة الأذكار السننية وقدموا الأوراد عليها.
- وأنزلوا الإلهام منزلة الوحي وقدموا الإلهام عليه.
- وأنزلوا الكرامات منزلة المعجزة وقدموا الكرامة عليها.

لمثل هذه المواقف وغيرها، انبرى النورسي بالنقد الإيجابي البناء ليرهن على عكسها،

(١) أ.د/عشراتي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ص ١٥٢.

(٢) النورسي: أنوار الحقيقة، ص ٨٣.

(٣) النورسي: المكتوبات، ص ٥٨٨.

(٤) سورة الأحزاب: آية رقم (٢١).

وبيان أوجه الصواب من خلال عرض الفكرة دون التعرض لأسماء أو أشخاص، كما أنه بذل كل مساعيه بأن لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، وذلك من خلال رفضه ونقده لفكرة فناء المرید في الشيخ، وهذا ما جعله يستبعد أن تكون العلاقة بينه وبين طلابه من باب العلاقة بين الشيخ والمرید، لأن الشيخ لا يملك الحق ولا اليقين، وإنما الحق واليقين في البرهان القرآني.

ومن أجل ذلك بنى النورسي منهجاً معرفياً جديداً يتأسس على القرآن والسنة، كي يتحرك الإنسان بخطاهم، وهو منهج يتحد فيه العقل والقلب معاً، ويمثل طريقاً قصيراً وسبيلاً سوياً من أجل الوصول لمعرفة الله، وهو: طريق العجز... الفقر... الشفقة... التفكير^(١).

الختام:

إن الاستنتاج من دراستي للمعالجة النقدية الإيجابية البناءة في فكر النورسي تضع في المقدمة وجوب تصحيح النية والحذر من تركية النفس والتجاوز في الرد والنقد، ووجوب إنصاف المخالف والتعاون معه نصرة للدين وعدم تنقيصه، والالتزام بالعدل وتعظيم حرمان المسلمين، وتوطين النفس على قبول الحق، مع مراعاة القدرات العقلية والأحوال والبيئات، والتعامل مع القول لا مع قائله، وأبرز ما يلفت الانتباه هو انتهاج النورسي في تنقية ذاته من أي تعصب أو أحكام مسبقة عند معالجته النقدية لأي قضية.

(١) النورسي: المثنوي العربي النوري، ص ٤٣١ - ٤٣، وأنظر ذيل الكلمة السادسة والعشرون ص ٥٤٩.

قائمة المراجع:

- ١- بديع الزمان سعيد النورسي: رسائل النور (الكلمات - المكتوبات - اللمعات - الشعاعات - المنشوي العربي النوري - صيقل الإسلام - الملاحق - سيرة ذاتية، ترجمة: احسان قاسم صالح، القاهرة، دار سوزلر للنشر ٢٠٠٤م.
- ٢- النورسي: أنوار الحقيقة، ترجمة إحسان قاسم، سوزلر - القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ٣- إبراهيم الدباغ: مطارحات في المعرفة الإيمانية: ط ١، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٥.
- ٤- إحسان قاسم الصالح: النورسي حياته وأثاره، ط ٣، دار الوفاء بالمنصورة، ١٩٨٨.
- ٥- د/ أحمد محمد الجلي: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق، المؤتمر السادس لبديع الزمان، استانبول.
- ٦- د/ اشرف عبد الرافع الدرفيلي: الحرية والمعرفة، القاهرة، دار الثقافة الدينية، ٢٠١٠م.
- ٧- د/ اشرف عبد الرافع الدرفيلي: نحو التوحد الإسلامي، القاهرة، دار سوزلر، ٢٠١٢م.
- ٨- د/ اشرف عبد الرافع الدرفيلي: البعد الإيماني في فلسفة الحضارة، القاهرة، دار سوزلر ٢٠١٤م.
- ٩- د/ عشراي سليمان: النورسي في رحاب القرآن، ط ١، سوزلر، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ١٠- علماء وزارة الأوقاف: صفحات من سيرة الرسول الكريم، طبعة وزارة الأوقاف، القاهرة، بدون.
- ١١- د/ عادل محمود بدر: أعمال مؤتمر العولمة والأخلاق في ضوء رسائل النور، استانبول.
- ١٢- أ.د/ محمود حمدي زقزوق: مدخل إلى الفلسفة، ط المعهد العالي للدراسات الإسلامية بالقاهرة، ٢٠٠٤م.
- ١٣- أ.د/ فردوس أبو المعاطي: العدالة والتصوف، أعمال مؤتمر العدالة، المؤتمر العالمي الثامن، إستانبول، ٢٠٠٧م.
- ١٤- د/ محمد الصمدى: تجديد التصوف عند النورسي، أعمال مؤتمر العدالة، المؤتمر العالمي الثامن، إستانبول، ٢٠٠٧م.
- ١٥- معجم اللغة العربية/حرف النون (ن، ق) مصر، طبعة وزارة التربية والتعليم، ١٩٩٤م.

هذا وبالله التوفيق..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وعلى الله قصد السبيل.

العقيدة في خطاب النورسي: متركزاتها ووظائفها

بقلم: الأستاذ الدكتور بسام الجمل/تونس
bassemjmal@yahoo.fr

١- العقيدة من منظور علم الاجتماع الديني:

يحسن بنا في مستهلّ عملنا التذكير، بطريقة تأليفيّة، بأهمّ مبادئ علم الاجتماع الديني^(١) - في تعامله مع الظاهرة الدينيّة - باعتباره مبحثا من مباحث علم الاجتماع العامّ. ويعتبر دوركايم Durkheim (ت ١٩١٧) رائدا في وضع مبادئ هذا العلم في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهو ما يتجلّى خاصّة في كتابه المعروف "الأشكال الأولى للحياة الدينيّة: نظام الطوطم بأستراليا" (١٩١٢). فهو يعتبر الدين حقيقة اجتماعيّة. ذلك أنّ الأفراد باجتماعهم وتعايشهم تتولّد منهم عاطفة جيّاشة أو إحساس بالحماس يردّونه إلى قوى خارجة عن ذواتهم هي الإله. وقد اقترح تعريفا للدين يقوم على تقسيم الأشياء إلى مقدّس (Sacré) ودنيوي (profane). وهذا التقسيم يتكفّل به المجتمع. ومن ثمّ فإنّ السبيل إلى دراسة الدّين هو النظر في مظاهر تطوّر المجتمع نفسه من أجل الخلوّص إلى منطق اجتماعيّ يصلح لتعليل أنماط السلوك الديني.

إنّ مهمّة عالم الاجتماع الديني هي تفسير "الفعل الديني" (Le fait religieux) وفهمه ضمن سياقه الاجتماعي^(٢). فقد أشار بعض الدارسين المتخصّصين في علم الاجتماع الديني إلى أنّه بعيدا عن مقالة انسحاب الإله تاركا العالم للبشر ولخصوماتهم حسب ما ذهب إليه دوركايم، فإنّ المجتمعات الحديثة والمعاصرة عرفت تكاثر العقائد، بل قل انتشار مظاهر

(١) للتوسّع: راجع كتاب لطفي الدريدري، مدخل إلى علم الاجتماع الديني، منشورات جامعة الزيتونة بتونس ١٩٩٩.

(٢) يعرف رجب دوبراي (R. Debray) "الفعل الديني" بالقول:

« Nous définirons, en revanche, le « fait religieux » comme un fait de psychologie collective, d'ordre mental, mais ayant acquis en chemin une dimension totalisante, en affectant réellement un espace social, des comportements individuels et des formes d'organisation collective ». Qu'est-ce qu'un fait religieux ? in : Etudes, Tome 397 ; 2002/3 ; p : 174.

جديدة من التدين (religiosité) سواء على الصعيد الفردي أو على الصعيد الجمعي^(١).

أ- في أنّ العقيدة الدينية "فعل اجتماعي":

إنّ ما سلف قوله يساعدنا، في ما نرى، على دراسة العقائد الدينية في حركيتها والقوانين التي تخضع لها من جهة وعلى بيان ما يجعلها تعبيراً عن فعل اجتماعي من جهة أخرى.

إنّ وجود العقيدة الدينية دالّ على مرحلة من مراحل تطوّر الدين وتغلغله في المجتمع وليست هذه العقيدة سوى إنتاج المجتمع الذي فيه ظهرت. بعبارة أخرى لا يمكن للفرد أن يوجد عقيدة حتى وإن كان رجل اختصاص أو مبلغ رسالة (النبي مثلاً). فهذا الفرد هو ثمرة الوجود الاجتماعي، وهو يعبر أيضاً عن ضمير المجتمع فيما ينشده من قيم ومطالب.

وإذا كانت كلمة "عقيدة" (Dogme) في أصلها اليوناني القلم تعني حرفياً "الرأي" (Opinion)^(٢) فإنّها اكتسبت دلالتها الاصطلاحية الدينية مع ظهور الكنيسة المسيحية، فأصبحت تعبر، في إطارها، عن كلّ ما له علاقة بممارسة عقيدة جاءت من فوق ونقلها الحواريون (Les Apôtres). ولم تكن تعني في البدء "قواعد اعتقادية مجردة منفصلة عن كلام الرب" (٣).

ويرى علماء الاجتماع الديني أنّ العقيدة الدينية ظاهرة اجتماعية في المقام الأول. ومن ثمّ فهي تعدّ "فعلاً اجتماعياً" (fait social)^(٤) من مستويات عديدة هي التالية^(٥):

بما أنّ العقيدة، في مفهومها، ليست سوى قاعدة إيمان تقتضي من المؤمن الطاعة

(١) انظر فصل "علم الاجتماع الديني" (بالفرنسية) بقلم أوليفيه بوبينو (O.Bobineau) ضمن:

Encyclopoedia Universalis ; Ed France 2010. (موقع: www.universalis. Fr).

(٢) انظر مادّة (Dogme) في: Dictionnaire encyclopédique Larousse، ص ٤٨٦.

(٣) راجع فصل (عقيدة) بقلم جان بيار جوسوا (J.P.Jossua) في: Encyclopedia Universalis. Ed France

1985 ; Corpus XI ; p : 329.

(٤) عزّف دوركايم "الفعل الاجتماعي" قائلاً:

« On l'emploie couramment pour désigner à peu près tous les phénomènes qui se passent à l'intérieur de la société, pour peu qu'ils présentent, avec une certaine généralité ». Les règles de la méthode

sociologique ; p. 18.

(٥) استفدنا من:

R. Bastide ; Eléments de sociologie religieuse ; pp : 63-64.

والوفاء، فإنّ هذا المنحي الإكراهي، المميّز لها والمعبر في آن عن وجود سلطة إكليروسية (ecclésiastique)، يتفق والخاصية الإكراهية التي تطبع المجتمع.

- إنّ العقيدة الدينية "فعل اجتماعي" لأنّها تحدّد هويّة جماعة المؤمنين. ذلك أنّ الكنيسة المسيحية مثلاً كانت تضع العقائد في كلّ مرّة تفترق فيها الآراء بين أهل الملة. ومن ثمّ فهي (أي العقائد) تنهض بوظيفة إعادة اللحمة بين المؤمنين، وهي الوظيفة ذاتها التي يحرص المجتمع على القيام بها حفاظاً على توازنه واستمراره.

- إنّ العقيدة الدينية فعل اجتماعي من جهة كونها تتحقّق ضمن اجتماع مخصوص وفي إطار ثقافة محدّدة: وهي بذلك تستجيب لقضايا تطرح داخل ذلك الاجتماع وتلك الثقافة. بعبارة أخرى لا سبيل إلى تدبّر العقيدة الدينية إلّا داخل وسطها الاجتماعي والثقافي حيث تتشكّل وتتطوّر.

- وهذه العقيدة الدينية كذلك تعبّر عن فعل اجتماعي بسبب أصولها. فهي من جهة أصلها الفلسفي تُضفي على الإيمان صبغة "عقلانية"، ولكنّها من جهة الممارسة تلتصق بالجموع وما يضطرم في وجدانهم من عواطف جيّاشة ونزعات متناقضة ممّا يجعلها أقرب إلى مجال الثقافة الشعبية منها إلى رجل اللاهوت أو المتكلّم. فالعقيدة، بهذا الفهم، لا تنزل من السماء بل يصنعها الأفراد في اجتماعهم الذي يعبر عمّا يتلجّج في أفئدتهم من مطامح وتطلّعات ورغبات وأشواق.

والمستفاد من ذلك كلّهُ أنّ تاريخ العقائد الدينية من وجهة نظر علم الاجتماع الديني، يوجد في "نقطة تقاطع زمرتين من القوانين هما: قوانين الحياة الروحية والقوانين الاجتماعية"^(١). ولعلّ أهمّ ما ترتّب على هذا التقاطع أنّ منظومات الاعتقاد داخل كلّ دين عرضة للتغيّر والتبدّل بحسب تغيّر حاجات المؤمنين في تعاملهم مع الظواهر الدينية وتفاعلهم معها وعندئذ قد تندثر بعض المقالات الاعتقادية وقد تنشأ مقالات أخرى.

ب- في قوانين تطوّر العقائد الدينية:

يعتقد بعض علماء الاجتماع الديني أنّه بالإمكان الاستئناس بأعمال المؤرّخين المتخصّصين في المسيحية قصد تعيين قوانين تطوّر العقائد الدينية. ولئن كانت هذه القوانين صالحة في حالة المسيحية، فإنّها (أي القوانين) يمكن أن تطبّق بشكل عامّ على البوذية

(١) المرجع السابق، ص ٦٥.

والإسلام وغيرهما من الأديان. وتختزل هذه القوانين في الثالث التالي^(١):

- **أولاً:** قانون العبور من "السلي" إلى "الإيجابي". فالعقائد تولد من "الهرطقات" (Hérésies) في المجال المسيحي أو من "البدع" في المجال الإسلامي. ذلك أنّ العقائد، عند الفحص، خلاصة نقاشات طويلة وجدل كلامي بين أهل العلم. فللكنييسة مثلاً القدرة على تغليب رأي من الآراء الدينية تراه، من وجهة نظرها، منسجماً أكثر من غيره مع طبيعة الإيمان السائد. ويفضّى هذا التغليب إلى تهميش الآراء المخالفة وإقصائها ومحوها من الذاكرة والوجود. وتجدر الإشارة إلى أنّ يوسف شلحد (ت ١٩٩٧) قرأ هذا العبور من "السلي" إلى "الإيجابي" بمعنى "الانتقال من النفي إلى الإثبات"^(٢) من قبيل ما نجده في عقيدة التوحيد الإسلامية التي تحتزلها عبارة "لا إله إلاّ الله". فهذا الحصر ناطق بعبور من وضع أول ساد فيه تعدّد الآلهة إلى وضع ثانٍ أقرّ فيه مبدأ التوحيد. ونحن نرى أنّ هذه القراءة، على ما فيها من طرافة، تحصر قانون العبور في ثنائية ضيقة (النفي والإثبات)، بينما القانون المشار إليه يتحرّك في مجال أوسع قطباه من منظور تجريدي "السلي" و"الإيجابي"، ومن منظور عملي "الهرطقة"^(٣) والأرثودوكسية^(٤) في إطار المسيحية، أو قل "البدعة المذمومة" و"السنة المحمودة" في إطار الفكر

(١) روجيه باستيد، المرجع السابق، ص ٦٦. حسن القرواشي، مدخل إلى تاريخ المسيحية، ص ٨٤.

(٢) راجع كتابه: نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني، ص ٧٣.

(٣) لاحظ عبد المجيد الشرفي أنّ مفهوم "الهرطقة" في المسيحية يمثّل، من منظور البحث الموضوعي، "تيارات لم يكتب لها الدوام أو الانتشار بسبب عوامل كثيرة ما كانت أبعد ما تكون عن الدين ولا شأن فيها للوفاء للعقيدة الخالصة التي جاء بها المسيح". الفكر الإسلامي في الردّ على النصارى. الطبعة الأولى، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ١٩٨٦، ص ٤٠.

(٤) نَبّه المستشرق الألماني يوسف فان آس (J. Van Ess) إلى "أنّ الإسلام قد عرف نوعاً من "الأورثودوكسية" بمدلولها السوسيولوجي الذي يعني وجود نوع من الإجماع المذهبي الذي يبرز من حين إلى آخر في صورة "عقيدة". ومع ذلك يجب أن نساير على القول بأنّ هذه الأرثودوكسية - على أرض الواقع - قد ظلّت في الغالب محلّية ومحدودة بتلك الأوضاع والشروط التي تواجه كلّ إجماع عن جماعة مخصوصة (...). وإذا ما وجد ما يشبه الأرثودوكسية في الإسلام، فإنّ ذلك كان دائماً عبارة عن أرثودوكسية متجدّدة (orthodoxy in progress) كما تمّ التعبير عن ذلك مؤخراً. إنّها أرثودوكسية تتشكّل باستمرار وبالإمكان تعويضها دائماً بنوع آخر من الأرثودوكسية". بدايات الفكر الإسلامي: الأنساق والأبعاد. تعريب: عبد المجيد الصغير. الطبعة الأولى، نشر الفنك، الدار البيضاء ٢٠٠٠، ص ص ١٣٤-١٣٥.

الإسلامي.

- **ثانياً:** قانون الإضافة أو الزيادة (La loi de majoration): ومضمونه أنّ العقيدة الدينية تنزع بلا هوادة إلى نوع من التأليه أو التمجيد. فالبابا في المسيحية كان مجرد مطران روما يذعن لمقررات المجامع ولم يكن يتميز عمّن سواه من المطارنة إلّا بدرجة من الفضل أو الشرف. غير أنّ الإضافات التي طالت العقيدة المسيحية مكنته من اكتساب سلطان العصمة البابوية. ثمّ إنّ العذراء (La Vierge) في المسيحية لم يكن يميّزها شيء عن سائر البشر، ولكنّ الزيادات التي طرأت على العقيدة على امتداد قرون أفضت إلى اعتقاد جديد أعلن عنه البابا بيوس التاسع (Pie IX) سنة ١٨٥٤، وهو "الحبل بلا دنس (Immaculée Conception) الخاصّ بمريم العذراء.

- **ثالثاً:** قانون التعقيد (La loi de complication) والمقصود به أنّ العقائد في أوّل نشأتها ليست سوى مبادئ اعتقاديّة تجنح إلى البساطة في أشكالها ومضامينها. وهي أيضاً ليست سوى تعبير عن حاجة إلى سياسة الشعور الديني سياسة فكريّة. ولما كان هذا التعبير يُجرى في لغة فلسفية تنزع بطبيعتها إلى التطوّر والتعقيد، فإنّ ذلك ينعكس على طرق تناول العقائد، خاصّة في حال وجود صيغ أخرى تتعارض معها. وعادة ما يتكفل علماء الدين بالتوفيق بينها أو ترجيح موقف عمّا سواه من المواقف في المسألة الاعتقاديّة الواحدة. فتاريخ عقيدة التثليث في المسيحية يقوم شاهداً على كثرة النقاشات والمجادلات التي أدّت إلى إقرارها بعد حوالي أربعة قرون من موت المسيح.

أمّا في المجال الإسلامي فقد لوحظ أنّه في المرحلة الأولى من تاريخ العقائد وُجدت "محاولات لتلخيص العقائد الواجب الإيمان بها في صيغ موجزة". فـ "الفقه الأكبر" (لأبي حنيفة) يتجاوز الصيغ الأساسيّة التي تعبّر عن الإيمان (Profession of Faith) أعني النطق بالشهادتين، ويؤجّز في عشر مقالات جملة الحقائق التي يجب الإيمان بها إيماناً لا يقتصر على جعل المؤمن بها عضواً في الجماعة الإسلاميّة (فهذه هي وظيفة الشهادتين)، بل ويجعل صاحبه يأخذ موقفاً إزاء الفرق الضالّة، وهو تصريح بالإيمان لا ذكر فيه لوحدة الله أو لرسالة محمّد. فهما ليستا محلّ شك^(١).

(١) جوزيف شاخت (J. Schacht) وكليفورد بوزورث (C. Bosworth)، تراث الإسلام. الطبعة الثانية، الكويت (سلسلة عالم المعرفة، عدد ٢٣٤)، ١٩٩٨، ج ٢، ص ٥٤-٥٥.

والذي نقدّر صوابه أنّ النظر في قوانين العقيدة الدينيّة ينبغي ألاّ يحجب عنّا حقيقة اجتماعيّة وهي أنّ العقيدة ليست مجرد مقالات لاهوتيّة/كلاميّة منتظمة في أبواب وفصول وموزّعة على أغراض وقضايا فحسب، وإنّما هي قبل كلّ شيء ممارسات اعتقاديّة ينجزها المؤمنون في معاشهم وتعبّدهم وتدلّ على أنماط علاقاتهم مع المقدّس أو المتعالّي في مختلف تجلّياته وأشكاله ومتعلّقاته وفواعله (إله، ملائكة، عناصر الطبيعة، أمكنة مقدّسة، أزمنة مقدّسة، كتب مقدّسة...) من ناحية، وتلبيّ حاجاتهم الروحيّة الناشئة من اجتماعهم من ناحية أخرى.

ومن البديهي، والحال هذه، أن نجد في العقيدة الدينيّة الواحدة أشكالاً شتّى من الاعتقادات تتدخل عوامل عديدة في صوغها من نحو ثقافة علماء الدين وشواغل أهل الإيمان وانتظاراتهم وخصوصيّات السياق الإبتسمي للمعرفة في حقبة تاريخية محدّدة. ففي مجال الفكر الإسلامي تكلم أهل العلم على "اعتقادات فرق المسلمين" على حدّ عبارة فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)^(١) فصيغة الجمع في كلمة "اعتقادات" لم تكن تثير إشكالا لدى علماء أصول الدين ومؤرّخي الفرق الإسلاميّة، بما أنّ الواقع التاريخي ناطق بتعدّد أقاويل الفرق في العقيدة الإسلاميّة.

وفعلاً يكفي أن نلقّي نظرة على مؤلّفات علم الكلام حتّى نقف على تعدّد البيانات الاعتقاديّة واختلاف مضامينها بشكل لافت للانتباه مثل نصّ العقيدة المنسوب إلى أبي حنيفة النعمان (ت ١٥٠هـ/٧٦٧م)^(٢) ونصّ العقيدة المنسوب أيضاً إلى أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م)^(٣) ونصّ "العقيدة الطحاويّة"^(٤) المعروف بـ "بيان عقيدة أهل السنة والجماعة"، ونصّ "العقيدة الواسطية" الذي وضعه ابن تيميّة (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م)^(٥).

(١) راجع كتابه: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. تحقيق: علي سامي النشار. الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت ١٩٨٢.

(٢) انظر الرسالة المنسوبة إليه بعنوان "الفقه الأكبر" الطبعة الثانية، حيدرآباد، الهند ١٩٥٣.

(٣) وصلنا هذا البيان الاعتقادي برواية أبي بكر الخلال. راجع نصّ العقيدة بتحقيق عبد العزيز السيروان. الطبعة الأولى، دار قتيبة دمشق ١٩٨٨.

(٤) نسبة إلى أبي جعفر الطحاوي الحنفي (ت ٣٢١هـ/٩٣٢م)، وطبع نصّ العقيدة مرّات عديدة منها الطبعة الأولى الصادرة عن دار ابن حزم، بيروت ١٩٩٥.

(٥) العقيدة الواسطية، الطبعة الثانية، مكتبة أضواء السلف، الرياض ١٩٩٩.

٢- مرتكزات العقيدة الإسلامية عند النورسي:

لقد حظي مبحث العقيدة الإسلامية باهتمام بالغ ومعتمق من العلامة الكبير النورسي في مواطن عديدة من مجموع "رسائل النور" (خاصة في الجزء الثامن منها). وقد تبين لنا، بعد النظر والاستقصاء، أنّ الشاغل الأساسي عند النورسي ليس تقديم بيان اعتقادي آخر ينضاف إلى البيانات الاعتقادية العديدة التي أنتجها العلماء المسلمون على امتداد التاريخ الإسلامي على نحو ما بيننا ذلك أعلاه، بل إنّ مقصده الأساسي أن يكشف عن العناصر المكوّنة للعقيدة الإسلامية من جهة آثارها الإيجابية على حياة المسلم على الصعيدين الديني والاجتماعي. فالإنسان، حسب النورسي، لا يستطيع أن يعيش بلا عقيدة دينية توجه سلوكه وأعماله، وتنظم علاقاته بأفراد المجتمع ومؤسّساته. ومن ثمّ نراه يشير إلى فكرة مهمة جدًا أصبحت اليوم من حقائق الدرس الأنثروبولوجي المعاصر، ومفادها خوف الإنسان من سلطان الزمن عليه لأنّه ينطق بمعاني الفناء والزوال والمجهول. وهذا ما يجلوه قول النورسي: "نرى الإنسان قد صار بعجزه المزعج وفقره المعجز وعقله الناقل لأحزان الماضي ومخاوف المستقبل إلى رأس الإنسان، أدنى وأخسر من جميع الحيوانات" (رسائل النور، ج ٦، ص ٥٨). وها نحن نرى النورسي يخاطب النفس الإنسانية قائلاً: "فانظري إلى الماضي، إذ هو قبر واسع خرب على رأس كلّ ميّت كان مثلك في دنياه. والمستقبل أيضاً قبر واسع يكون مثله. وأنت الآن بين ضغطة القبرين، كما أنّ أمسّ قبرٌ أبّي، وغدًا قبري، وأنا أيضاً بين ضغطة القبرين. والحاصل أنّ النورسي كان يمتلك حسّاً أنثروبولوجياً رفيعاً من خلال إشارات المتكرّرة إلى أنّ الإنسان، الديني وغير الديني، يخشى هاتين الحقيقتين في وجوده: الزمن والموت. ومن ثمّ عمل الإنسان دوماً ولا يزال يعمل على أن يتصدّى للزمن والموت بوسيلتين هما: مشاركة الزمن في خاصيّته الدورية (cyclique)، واعتبار الموت محطة في وجود الإنسان تفضي إلى ما بعده، وهو ما أسّس لأدبيات ما بعد الموت أو المصير الأخروي.

وأفضى بنا البحث في هذا الباب إلى أنّ العقيدة الإسلامية تقوم على أربعة مرتكزات تتمثّل في ما يلي: التوحيد، النبوة، الإيمان، فعل الإنسان.

أ- التوحيد:

بيّن النورسي أنّ التوحيد عاميّ وحقيقيّ (الرسائل، ج ٦، ص ٤٠ - ٤١)، وأنّ براهينه أربعة أساسية هي التالية: حقيقة محمّد، كتاب الكون، القرآن الكريم، وجدان المسلم وفطرته

(الرسائل، ج ٦، ص: ٤٢٠ . ٤٣٤). فقد أقام الرسول الدليل على وجود الله ووحدانيته عبر ما أتاه من معجزات، فضلا عن تميّز محمد بخاصية الاصطفاء لأنّ الله اختاره من بين جميع الخلق ليكون شاهدا على مبدأ التوحيد في العقيدة الإسلامية. وهنا تساءل النورسي: "تري هل يمكن أن يتسلّل الباطل إلى مثل هذه الحقيقة الباهرة التي تنال هذا القدر من التصديق وتبصرها العيون النافذة في الحقائق، فتراها واضحة جليّة خالصة لا شائبة فيها؟.. كلاً.. ثمّ كلاً" (الرسائل، ج ٦، ص ٤٢٢). ثمّ إنّ الكون شاهد حيّ على وحدانية الله. فكلّ ما في الكون يسير وفق قوانين محدّدة ودقيقة. وهو يتأسّس على دعائميّ التوازن والنظام. ولا شكّ أنّ وراء هذا العمل الجبار خالق حكيم. ومن شأن ذلك أن يزرع الإيمان في النفوس. وهنا طرح النورسي السؤال التالي: "لماذا لا يرى الجميع بعقولهم الخلق العظيم؟" (الرسائل، ج ٦، ص ٤٢٣). ويتلخّص جوابه في قاعدتين متكاملتين هما كمال ظهور الله وانتفاء الضدّ. وبذلك يعبر كتاب الكون عن شكل من أشكال الإعجاز الشامل للموجودات الصغيرة والكبيرة (الميكروسكوبية والماكروسكوبية). وهذا ما يشفّ عنه قول النورسي: "فالذي خلق عين البعوضة إذّا هو خالق الشمس أيضا، والذي نظّم معدة البرغوث هو الذي ينظّم المنظومة الشمسيّة" (الرسائل، ج ٦، ص ٤٢٣). ويقوم القرآن الكريم برهانا ثالثا على التوحيد في العقيدة الإسلامية. فالقرآن الكريم هو احدى "الحجج الكلية" الأساسيّة التي تُعرّف بالله (الرسائل، ج ٦، ص ٥٥). وذكّر النورسي أنّ مقاصد القرآن الأساسيّة أربعة هي التوحيد والرسالة والحشر والعدالة مع العبوديّة (الرسائل، ج ٦، ص ٧٥). فضلا عن ذلك، فإنّ القرآن الكريم هو أولى الأصول الأربع (إلى جانب مناهج المتصوّفة والمتكلّمين والفلاسفة) التي تصلح للعروج إلى عرش الكمالات وهو "معرفة الله". فبالقرآن تُثبت وحدانيّة الله عبر ما سمّاه النورسي بـ "دليل العناية والغاية" (الرسائل، ج ٦، ص ٤٢٨). أمّا الرهان الرابع والأخير على وحدانيّة الله فهو وجدان المسلم وفطرته. ذلك أنّ الإنسان يستند في حياته إلى الفطرة لأنّه لا تكذب، إذا في الوجود شواهد عديدة على ذلك. وهنا ضرب النورسي أمثلة على ذلك من قبيل ميل البذرة إلى النموّ وميل البيضة إلى الحياة (الرسائل، ج ٦، ص ٤٣٠). وهذا يبرهن على أنّ الإنسان يمتلك حواسّا أخرى (إلى جانب الحواس الخمس المعروفة)، من مثل حاسة الشوق أو حاسة السّوق. ثمّ إنّ الإنسان يرى الخالق بوجدانه وليس فقط بعقله. فهو يدرك، عبر الحدس، "العشق الإلهي" (الرسائل، ج ٦، ص ٤٣١) المكرّس لحقيقة التوحيد.

ما نخلص إليه هو أنّ الأسس التي قام عليها التوحيد متكاملة في ما بينها باعتبار أنّ البراهين الأربعة التي ساقها النورسي عن التوحيد جامعة بين مبادئ مهمّة في حياة المؤمن هي التصديق (حقيقة محمد)، والمعانيّة (كتاب الكون)، والتفكير (القرآن الكريم)، والحدس (وجدان المسلم وفطرته). ونعتقد أنّ في فكر النورسي طرعا جديدا وطريفا لمبحث التوحيد نأى به عن المقاربات الكلاسيكيّة المعروفة في التراث الإسلامي على امتداد العصر الوسيط (الاكتفاء بتعريف التوحيد في أغلب الحالات). ذلك أنّ النورسي يتحرّك في أفق معرفي واسع ومغاير، إذا لم يعد التوحيد معبرا عن مفهوم نظري مجرد يخوض فيه المتكلّمون والفلاسفة، بل أضحى مع النورسي مبحثا جديرا بالمنظر والمتابعة النقديّة لأنّه نزله في شواغل المسلم الحديث الدينيّة والدينيّة. فكلّ ما في هذا المبحث يدعو إلى التفكير والتأمّل واستخلاص العبر.

ب- النبوة:

تشكّل النبوة إحدى مرتكزات العقيدة الدينيّة عند النورسي. ومن ثمّ بحث في دلائلها ووظائفها من منظور مغاير لما هو دارج في الفكر الإسلامي قديما. من ذلك أنّ وجود النبوة دليل على أنّ البشريّة تحتاج دوما إلى مُرشد، والدليل عليها رغبة الإنسان في التخلّص من مرتبته الحيوانيّة من خلال العيش مثلا ضمن مجموعة (الرسائل، ج ٨، ص ١٣٥). وقدّر النورسي أنّ دلائل نبوة محمد تنقسم إلى قسمين كبيرين هما:

- "الأوّل: الحالات التي سُمّيت بالإرهاصات، وهي الحوادث الخارقة التي وقعت قبل النبوة ووقت الولادة.

- الثاني: دلائل النبوة الأخرى. وهذا ينقسم إلى قسمين أحدهما الخوارق التي ظهرت بعده (ﷺ) تصديقا لنبوته، وثانيهما: الخوارق التي ظهرت في فترة حياته المباركة (ﷺ)... (الرسائل، ج ٢، ص ١١٦). والحاصل أنّ النورسي يصنّف دلائل النبوة إلى أصناف ثلاثة هي: البشارات (دلائل النبوة قبل الدعوة)، والمعجزات (دلائل النبوة زمن الدعوة)، والكرامات (دلائل النبوة بعد الدعوة). وتبّه المؤلّف إلى أنّه خصّص ثلاثة مؤلّفات لموضوع "دلائل النبوة الأحمديّة"، وهي رسالة بالتركيّة عنوانها "إشعاعات"، وكتاب "اللوامع"، و"إشارات الإعجاز" (الرسائل، ج ٦، ص ٦٩).

ويذكر النورسي بمبدأ مهمّ في النبوة وهو حاجتها إلى سند مادّي معاين يحمل الناس على التصديق بها، وهذا ما تنهض المعجزات المنسوبة إلى الرسول ببيانه. لذلك عيّن المؤلّف

سنة أسس تقوم عليها المعجزات وهي على التوالي:

- إثبات المعجزة ليس ملزما للعقل، إذ الاختيار متاح له (الرسائل، ج ٢، ص ١١٨).
- الرسول هو المبلّغ للرسالة عبر الوحي بنوعيه: الصريح (القرآن) والضمني (الإلهام).
- استناد روايات المعجزات على مبدأ التواتر الذي يفيد اليقين في نقل الأخبار.
- تضمّن المعجزات لأحداث المستقبل، ومن ثمّ فهي تتّصف بالكلّية.
- عدم معرفة الرسول للغيب (للجهل بالغيب وقع أليم جدّا على نفس الإنسان).
- السيرة النبوية المعنوية تثبت حقيقة المعجزات (إلى جانب وجود السيرة النبوية المادية).

والمستفاد ممّا تقدّم، أنّ النبوة ركن مكين من أركان العقيدة الإسلامية، والتصديق بحقيقتها يفرض بالضرورة إلى التصديق بالتوحيد الإسلامي باعتباره أساسا من أسس العقيدة الإسلامية. وهنا احتاج النورسي إلى أن يضبط مسالك أربعة تخصّ نبوة محمّد وهي: صدق محمّد وأمانته أولا، ومعرفته بقصص الأنبياء رغم أميته ثانيا، وقدرته على غرس قيم الإسلام في ضمائر أهل الإيمان ثالثا، ووجود شريعة أسست لنظام وأرست عدالة (الرسائل، ج ٨، ص ١٤٢).

ج- الإيمان:

دفع "الفتنة الكبرى" المسلمين إلى الخوض في قضية الإيمان وعلاقتها بالأعمال وخلصوا إلى مواقف متباينة نذكر أهمّها:

- موقف الجبرية الخالصة: إنّ الجحود في رأي جهم بن صفوان (ت ١٢٨هـ/٧٤٥م) لا ينقص الإيمان ولا يؤدّي إلى الكفر، إذ يكفي أن يتوقّر في العبد شرط المعرفة بالله ورسله وملائكته وكتبه حتّى يكون مؤمنا.
- موقف القدرية الأولى: مثله غيلان الدمشقي (ت ١٠٦هـ/٧٢٤م) عندما اعتبر الإيمان هو الإقرار بالله ورسله وكتبه. ثمّ إنّ الإيمان عنده لا يزيد ولا ينقص.
- موقف أهل السنة: الإيمان عندهم عقد وقول دون البحث في خواصّه من زيادة أو نقصان. ويميّز أهل السنة بين الإيمان والإسلام. ذلك أنّ النطق بالشهادة (وهو مفهوم الإسلام) لا يعني بالضرورة تحقّق الإيمان.
- موقف المرجئة: إنّ ارتكاب الذنوب في رأيهم لا يخرج المؤمن إلى الكفر بما أنّ الإيمان

ثابت لا يتبعُض. واشتهروا بقولهم: "لا تضرّ مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة".

- موقف الخوارج: الإيمان عندهم عقد وقول وعمل. وهم يزيلون اسم المؤمن على مرتكب الكبيرة، وهو عندهم مخلّد في النار.

- موقف المعتزلة: يقوم على الجمع بين الإيمان والعمل. ثمّ إنّ مرتكب الكبيرة عندهم فاسق. والفسق منزلة بين منزلي الإيمان والكفر.

لقد بيّنا بشكل تأليفي، أهمّ آراء الإسلاميين في قضية الإيمان وعلاقتها بالعمل. واتّضح لنا أنّ التطرّق إليها لم يكن بدافع فكري محض، بل بفعل معطيات سياسية وملازمات اجتماعية دقيقة. إنّها قضية متشظية يمكن أن نجد صداها في مسائل كلامية أخرى مثل مسألة أفعال العباد. ويكفي النظر في البنية المعجمية لهذا المبحث حتّى تطالعنا مصطلحات (وهي في الأصل أحكام) متعلّقة بالفعل الإنساني أساسا مثل: المنافق، العاصي، الكافر، الفاسق. وهذه المصطلحات أو الأحكام تطرح أسئلة مدارها على مسؤوليّة الإنسان في الكفر والإيمان، وعلى قدرته على الكفر بعد الإيمان (الردّة) أو على قدرته على العودة إلى الإيمان بعد الكفر (التوبة).

على أنّ النورسي لم يكن يهتمّ التناول الكلامي لقضية الإيمان في علاقتها بالإسلام، أو صلة الإيمان بالجزاء ثوبا أو عقابا، بل كان رهانه حاملا لمعانيّ الجدّة في المقاربة والتأويل معا. وهو لئن تكلم على "إكسير الإيمان" (الرسائل، ج ٦، ص ١٥٨)، فإنّه وجّه اهتمامه إلى بيان دور الإيمان في إثبات التوحيد من ناحية، وإلى التشديد على علاقة الإيمان بالاجتماع والأنسنة (humanisme) من ناحية أخرى. ودوننا شاهدا على ذلك قوله: "اعلم أنّ الفرق بين مدنيّة الكافرين ومدنيّة المؤمنين، أنّ الأولى: وحشيّة مستحالة ظاهرها مزين، باطنها مشوّه، صورتها مأنوسة، سيرتها موحشة. ومدنيّة المؤمنين باطنها أعلى من ظاهرها، معناها أتمّ من صورتها، في جوفها أنسيّة وتحبّب وتعاون. والسّر: أنّ المؤمن يسرّ الإيمان والتوحيد يرى أخوة بين كلّ الكائنات، وأنسيّة وتحبّب بين أجزائها، لاسيّما بين آدميين ولا سيّما بين المؤمنين. ويرى أخوة في الأصل والمبدإ والماضي، وتلاقيا في المنتهى، والنتيجة في المستقبل..." (الرسائل، ج ٦، ص ١٨١). إنّ هذه الرؤية الجديدة للإيمان التي ساقها النورسي تمكّن المؤمن من أن يعقد صلات تواصل وتآلف بين الكائنات والموجودات، وهذا

يدلّ على أنّ الإنسان هو الذي يضيف المعنى على الوجود، وذلك من أجل تفهّمه واستيعابه وجعله ناطقا بأسراره ولطائفه.

د- فعل الإنسان:

إنّ النظر في قضية الفعل الإنساني داخل المنظومة الإسلامية وتردّد مقالات الإسلاميين فيها بين الجبر والاختيار والكسب (أي التوسّط بين الجبر والاختيار) يجعل من تلك القضية فلسفيّة ووجوديّة بامتياز، خاصّة لدى الإنسان الديني (Homo Religiosus). ويتعرّز هذا التوجّه بما وقرّته الأديان التوحيدية وغير التوحيدية والفلسفات الدينية التأملية من محمود الاهتمام لمسألة الفعل الإنساني. فهي قائمة بالأساس على إشكال أنطولوجي يحلوه السؤال التالي: ما حدود مسؤوليّة الإنسان في ما يأتيه من أفعال؟ أي هل إنّ حرّ الإرادة في ما يصدر عنه من تصرّفات وأعمال أم إنّّه خاضع لقوى مفارقة ومتعالية عليه تسطرّ له قدره وتوجّه أفعاله وتتحكّم فيه؟

إنّ مثل هذه الأسئلة كانت حاضرة على ما يبدو في أذهان المتكلّمين المسلمين وهم يخوضون في عقيدة "أفعال العباد" يقلّبونها على مختلف الوجوه وينظرون إليها من زوايا متعدّدة بحسب انتماءاتهم المذهبيّة ومعارفهم الكلاميّة وكفاءاتهم في التحليل والاستدلال وردّ "شبه" المخالفين أو المعارضين لهم.

وإذا ما نظرنا في "رسائل النورسي" تبين لنا أنّ الرجل ربط بشكل عضوي وبنوي في آن معاً بين المصير والجزاء. ومرّد هذا التلازم أنّ الإنسان يتحمّل مسؤوليّة أعماله وذلك حتّى يكون للجزاء معنى ودلالة. فـ "كما لا يمكن سلطان بلا مكافأة للمطيعين وبلا مجازاة للعاصين (...)" كذلك لا يمكن بوجه من الوجوه قطعاً وأصلاً أن يوجد هذا العالم، ولا يوجد ذلك العالم، وأن يبدع الفاطر هذه الكائنات ولا يبدع تلك الكائنات، وأن يخلق الصانع هذه الدنيا ولا يخلق تلك الآخرة، إذ شأن سلطنة الربويّة يقتضي المكافأة والمجازاة" (الرسائل، ج ٦، ص ٩٠).

على أنّ الخوض في قضية أفعال العباد لا تعني البتّة عند النورسي إنكار القدر في حياة الإنسان، ولكن الذي يعترض عليه المؤلّف هو توظيف هذه المقالة حسب أهواء الإنسان ليبرّر بها أعماله ويتنصّل من العقاب. ولذلك نرى النورسي يقول: "اعلم أنّه كثيراً ما أصادف الغافلين وهم يتحجّجون بمسألة القدر، ويتعمّقون في مسألة الجزء الاختياري، وخلق

الأفعال... مع أنهم بلسان غفلتهم ينكرون القدر رأسا ويعطون الأزمّة ليد التصادف، يتوهّمون أنفسهم فاعلين على الإطلاق، ويقسمون مال الله وصنعه على أبناء جنسه وعلى الأسباب" (الرسائل، ج ٦، ص ٣٧٥).

والذي نستنتجه، بعد استيفاء النظر التأليفي في مرتكزات العقيدة الإسلامية الأربعة، أنّ النورسي أسّس لجملة من العلاقات تهم حياة المسلم أو المؤمن عموما، وهي تتمثل في ما يلي من جهة استدعاء تلك المرتكزات:

- التوحيد يؤسّس لعلاقة عموديّة بين الخالق والمخلوق.
 - النبوة تؤسّس لعلاقة تراتبيّة بين الرسول وسائر البشر.
 - الإيمان يؤسّس لعلاقة ذاتية بين المسلم ونفسه.
 - فعل الإنسان يؤسّس لعلاقة أفقيّة بين المؤمن وغيره من الناس في الاجتماع والمعايش.
- وهكذا، استطاع النورسي أن يستوعب كتابات علماء المسلمين في مسألة العقيدة الإسلامية وأن يصوغها صياغة جديدة بشكل يجعل من سؤال العقيدة سؤالاً منغرساً في شواغل المسلم الحديث وهمومه وانتظاراته ورغباته الصريحة والضمنيّة. فقد بثّ النورسي في موضوع العقيدة الروح والحياة مجدداً بعد أن تكسّس وتجمّد على يد الفلاسفة والمتكلّمين بعد انتهاء عصر الرهانات الكلاميّة الكبرى منذ القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد.

٣- وظائف العقيدة الإسلامية عند النورسي:

لئن لم يتعمّق النورسي بشكل مباشر في رصد وظائف العقيدة الإسلامية في حياة أهل الإيمان، فإنّه اعتنى أيّما عناية وفي مواطن شتى من "رسائل النور" بما يمكن أن تنهض به العقيدة من أدوار مهمّة على الأصعدة الاجتماعيّة والدينيّة والنفسية والرمزيّة. وهذا ما يدعونا إلى رصد تلك الوظائف في الرباعي التالية:

أ- الوظيفة الاجتماعيّة

إنّ للعقيدة الإسلامية دوراً مركزياً في تغذية شعور المسلم بالانتماء إلى الجماعة الدينيّة التي يحيى بين ظهرانيها. وقد عبّر النورسي عن هذه الوظيفة بكلمة "التساند" (الرسائل، ج ٦، ص ١٨١)، أي إنّ الرابطة الدينيّة تقوّي انشداد المؤمن إلى أهل الإيمان وتعزّز ما يحتاج إليه من سند معنويّ أو مادّي تستقيم به حياته ويحقّق عبره توازنه الروحي. وعلى الرغم من أنّ الشائع لدى علماء الدين أنّ الديني (le religieux) هو الحاضن للاجتماعي (le social)،

فإنَّ النورسي، من خلال كلامه على "التساند" يمنح للعقيدة الإسلامية وظيفة اجتماعية لا تقلُّ شأنًا عن الوظيفة الدينية التي هي من صميم العقيدة ذاتها، لأنَّ التساند لا يمكن فهم معناه ما لم يكن منغرسا في نسيج المجتمع وفي أحوال المعاش و شؤون الحياة.

ب- الوظيفة الدينية

إنَّ كلامنا السابق عن مرتكزات العقيدة يقيم البرهان على أنَّ للعقيدة دورا كذلك في تثبيت الإيمان. فالإنسان الديني عموما، أو المسلم خصوصا، يحتاج دوما إلى أن يكون صلاته بالدين قائمة ليس فقط على نداء الضمير والنفس فحسب، وإنما أيضا على براهين تثبت أنَّ الدين مكوّن من مكونات هوّيته وشخصيّته وانتمائه الديني. ولذلك قدّر النورسي أنَّ العقيدة الإسلامية تتيح للعقل إمكانات واسعة ورحبة للنظر في الكون وفي ما يحضنه من كائنات وموجودات معبّرة عن وجود الخالق الحكيم. ومن شأن التأمل في الكون أن يثبّت الإيمان في النفوس ويجعلها راسخة فيها. فالإيمان يتطلّب في الوقت ذاته انصياعا واقتناعا، أي انصياعا لنداء النفس الباطني واقتناعا بحجّة العقل والتدبّر. فهما مترافقان ومتعالقان، ولعلَّ المجاورة أوجدتهما للمحاورّة.

ج- الوظيفة النفسية

يحقّق المرء عبر الاعتقاد الديني الذي يتبنّاه توازنه النفسي. وآية ذلك أنَّ المنظومة الاعتقادية الإسلامية، بما تقوم عليه من مقدّمات وأدوات استدلال ومقاصد دينية ورهانات معرفية، توقّر للمسلم إجابات عن أسئلة عديدة مدوّخة تتصل بمقالات البدايات (أصل الكون والحياة والخلق...) وبمقالات النهايات (المصير وما بعد الموت...). والملاحظ أن الإنسان الديني عموما يبحث دوما عن إجابات مطمئنة، وهذا ما توقّره العقيدة الدينية. وهذه القاعدة تنطبق على العقيدة الإسلامية وعلى حياة المسلمين. وفضلا عن ذلك تضيف العقيدة على الوجود الإنساني معنى، فلا تغدو أعمال المؤمن لغوا أو عبثا أو خارج معايير الأخلاق أو منظومات القيم الاجتماعية أو الدينية.

د- الوظيفة الرمزية

حينما أشرنا أعلاه إلى أنَّ النورسي عقد صلة بين النبوة (باعتبارها مرتكزا من مرتكزات العقيدة) والمعجزات، فإنَّ الرهان المرجو من ذلك ليس مجرد التسليم بحقيقة المعجزات النبوية في الواقع التاريخي فحسب عن المؤمنين بها، وإنما أيضا التفكّر في ما يمكن أن تنطق به من

دلالات عبر تأويل رمزيّ للمعجزات. فهي أداة من الأدوات التي تُصطنع للتعبير عن معاني القدرة الإلهيّة غير المحدودة، ولبيان أيضا أنّ المتخيّل الدينيّ مكوّن من مكوّنات كلّ إنسان ديني. فهذا الأخير يعيش على التمثّلات الدينيّة الجمعيّة التي لا يخلو منها أيّ دين من الأديان، وخاصّة منها الأديان الكونيّة الراقية. وفي هذا السياق ينبغي أن ننزّل حديث النورسي الموسّع على معجزات النبيّ، إذ ليس مقصده أن يسرد على قارئه تلك المعجزات، بل مقصده أن ينزّلها في سياقاتها التاريخيّة والمعرفيّة. فحينما عرّج مثلا على معجزة تكثير الطعام (الرسائل، ج ٢، ص ١٤٨)، فإنّه ربطها مع معجزات تكثير الطعام والماء بالوسط الطبيعيّ للجزيرة العربيّة. فنُدرة الماء هناك يجعل تكثيره معجزة بامتياز (الرسائل، ج ٦، ص ١٥٦).

على سبيل الخاتمة:

لقد تبينّ لنا إسهام النورسي المهمّ في صياغة مشروع رؤية جديدة للعقيدة الإسلاميّة تمثّل بحقّ عملا إيجابيا في حياة المسلم الحديث والمعاصر. ولذلك اقترح علينا تصوّرا جديدا وطريفا وغير مسبوق للمركزات التي تتأسّس عليها العقيدة الإسلاميّة، وهي مركزات متكاملة في ما بينها من حيث ما تؤدّيه من وظائف وما تشفّ عنه من دلالات. وأفضى بنا النظر بعد ذلك إلى رصد أهمّ الأدوار التي يمكن أن تؤدّيها العقيدة الإسلاميّة على مستويات شتى: اجتماعيّة ودينيّة ونفسيّة ورمزيّة.

ولعلّ الجدير بالذكر، ههنا، هو عدول النورسي عمّا كان شائعا في عصره وقبله بخصوص مقارنة موضوع العقيدة، فقد أثر السير في مسالك مغايرة تحمله روح المغامرة في البحث إلى استقصاء الجديد في تناول سؤال العقيدة الدينيّة أو ما سواها من الأسئلة، وتلك لعمري موطن التميّز ومربط الإبداع في فكر النورسي. فكان بحقّ مجدّدا في عديد قضايا الفكر الإسلامي، وهو ما عطف قلوب القرّاء وعقولهم على مؤلّفاته يمعنون النظر فيها بما تميّز به طرحه من عمق الفكرة وبلاغة العبارة وروحة النقدية العالية وحسّه المتيقّظ على الدوام.

المصدر:

بديع الزمان النورسي، كليات رسائل النور، ترجمة: إحسان قاسم الصالحى. الطبعة الأولى، شركة سولرز للنشر، القاهرة ١٩٩٢.

المراجع:

- لطفي الدريدري، مدخل إلى علم الاجتماع الديني، منشورات جامعة الزيتونة بتونس ١٩٩٩.
- حسن القرواشي، مدخل إلى تاريخ المسيحية، منشورات جامعة الزيتونة بتونس، ١٩٩٨.
- يوسف شلحد، نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني، ط ١، دار الفارابي بيروت ٢٠٠٣.
- عبد المجيد الشرفي، الفكر الإسلامي في الردّ على النصارى. الطبعة الأولى، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ١٩٨٦.
- يوسف فون آس، بدايات الفكر الإسلامي: الأنساق والأبعاد. تعريب: عبد المجيد الصغير. الطبعة الأولى، نشر الفنك، الدار البيضاء ٢٠٠٠.
- جوزيف شاخت (J. Schacht) وكليفورد بوزورث (C.Bosworth)، تراث الإسلام. الطبعة الثانية، الكويت (سلسلة عالم المعرفة، عدد ٢٣٤)، ١٩٩٨.
- فخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. تحقيق: علي سامي النشار. الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت ١٩٨٢.
- أبو حنيفة النعمان، الفقه الأكبر، الطبعة الثانية، حيدرآباد، الهند ١٩٥٣.
- أحمد بن حنبل، العقيدة، تحقيق عبد العزيز السيروان. الطبعة الأولى، دار قتيبة دمشق ١٩٨٨.
- أبو جعفر الطحاوي الحنفي (ت ٣٢١هـ/٩٣٢م)، العقيدة الطحاوية، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت ١٩٩٥.
- ابن تيمية، العقيدة الواسطية، الطبعة الثانية، مكتبة أضواء السلف، الرياض ١٩٩٩.

Régis DEBRAY , Qu'est-ce qu'un fait religieux ? in : Etudes, Tome 397 ; 2002/3.

Encyclopédia Universalis , éd France 1985.

Dictionnaire encyclopédique Larousse.

Emile DURKHEIM, Les règles de la méthode sociologique, (www.uqac.ca).

Roger BASTIDE ; Eléments de sociologie religieuse, éd Stock, Paris 1997.

العدالة والسعادة البشرية كما تتجلى في كتابات الإمام بديع الزمان سعيد النورسي

الدكتور عبيد الرحمن طيب^(١)

التمهيد: العدالة مظهر من مظاهر أسماء الله الحسنى وقوام الكون ومداره فالكائنات والجمادات والحيوانات والنباتات حتى جسم حضرة الإنسان تعمل وتسير بفضل العدالة الإلهية الكائنة فيها وهي غاية من غايات بعثة الأنبياء والرسل ومقصد من مقاصد القرآن الكريم وعليها تعتمد السعادة البشرية في هذه الدنيا والآخرة وهي نعمة من نعم الله التي يكرم بها على عباده الصالحين ويعاقب بها المنكرين فيدخلهم في جنات النعيم أو في نار جهنم خالدين.

كرّس الإمام بديع الزمان النورسي حياته على خدمة القرآن الكريم وتوضيح مبادئه وشرح نظرياته وجاء بأعاجيب حيث أتى بشرح واف منطقي فلسفي معاصر يشفي غليل الظمآن ويدحض مزاعم الماديين المتغربين. وتتميز شروحه وتفسيره بالوضوح والثقة بالنفس والشمولية والجامعية التي قلما توجد في مكان آخر. وهذه الورقة تتناول العدالة بمختلف أنواعها والسعادة البشرية الحقيقية في هذه الدنيا وما بعدها على ضوء كتاباته.

العدل والعدالة لغة واصطلاحاً: العدل والعدالة نفس الشيء فالعدل اسم وفعل والعدالة مصدر له ويستخدم كاسم ويعطي معاني إضافية إذ إضيفت إليها صفة. ففي قاموس المعاني: "١- العدل - اسم من أسماء الله الحسنى، الذي لا يظلم ولا يجور وهو وصف بالمصدر على سبيل المبالغة. ٢- الإنصاف، وهو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه. ٣- العدل - العادل، ويقال للواحد وغيره. ويقال امرأة عدل، وعدلة أيضاً. ٤- العدل في الحكم: لزوم الحق وعدم الجور"^(٢).
ويستخدم العدل كفعل: عدلاً وعدولاً وعدالة ومعدلة فهو عادل والمفعول معدول - للمتعدّي. وعدل بين المتخاصمين: أنصف بينهما وتجنب الظلم والجور، أعطى كل ذي حق

(١) الأستاذ المشارك بمركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية اللغات، جامعة جواهر لال نهرو - نيودلهي (الهند).

(٢) قاموس المعاني عربي - عربي آون لائن، المادة: ع د ل.

حقه، وعدل في أحكامه: أنصف، كان عادلاً. وعدل يعدل: عدالة وعدولة فهو عدل وعادل. وعدل القاضي: كان منصفاً متجنباً للظلم والجور مرضي الحكم عكسه ظلم^(١).

فالعدل والعدالة لهما نفس المعاني إلا أن العدالة إذا تستخدم في حقل خاص فيطراً على معانيها تغير خفيف ففي قاموس المعاني "العدالة في الفلسفة: إحدى الفضائل الأربع التي سلم بها الفلاسفة من قدم وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة. والعدالة الاجتماعية (الاقتصاد) نظام اقتصادي يعمل على إزالة الفوارق الاقتصادية الكبيرة بين طبقات المجتمع. والعدالة (الحديث) لفظ جامع للشروط التي يجب توافرها في راوي الحديث وهي أن يكون مسلماً، بالغاً، عاقلاً، سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة. والعدالة (عامة) تشكل العدالة معنى الحياد التام وعدم التحيز ويقوم على إعطاء ذي حق حقه وعدم الاعتداء على الآخرين"^(٢).

فاتضح لنا مما سبق أن العدل والعدالة نفس الشيء وتستخدم العدالة في عدة معاني في مختلف الحقول ففي الاجتماع يعني إزالة الفوارق الاقتصادية وفي الفلسفة يعني توازن كل شيء في الكون وبقاء العالم على دعائم العدل وفي الحديث يعني ثقافة الرواة ونزاهتهم إيماناً وصدقاً. وفي عامة الأحوال يعني الحياد التام وإعطاء كل ذي حق حقه. ويرى الإمام النورسي أن نظام الكون كله يقوم على العدل الإلهي فالعالم مظهر من مظاهر العدالة الإلهية فالكائنات كلها قائمة عليها وتسير بها بدون خلل أو نقص ويجري نظام العدالة في كافة الكائنات والموجودات والنباتات والجمادات حتى الجسم الانساني والكون كله والدين والشرعية أرسلت إلى البشرية ليقوم الناس بالقسط فالمطلوب من الإنسان من خالقه العادل الحكيم أن يقضي حياته منسجمة مع نظام العدل الإلهي وبما أنه أعطي حرية كاملة لقضاء حياة حسب رضاه فقد قال عز وجل ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: ١٠) وقال عز وجل ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ تُطْفَةِ أُمِّشَاجٍ نَبْتْلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢) ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٢-٣) فمن البديهي أن الذين يجعلون حياتهم منسجمة مع نظام هذا الكون ويتبعون خالق هذا الكون سوف يجزون جزاءً حسناً ومن يخالف نظامه ويتبع هواه وينكر خالق هذا الكون يجب أن يعاقب لأنه يرتكب ظلماً شنيعاً في حق خالقه. فالسعادة البشرية لن تتحقق إلا أن تكون منسجمة مع نظام الكون وإلا تكن

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

فسادا وخرابا ودمارا للأنفس والأرواح ويعم الظلم والجور في الدنيا فيخسر البشر السعادة الدنيوية وبالتالي السعادة الأبدية في الآخرة.

العدالة مظهر من مظاهر أسماء الله الحسنى: العدل والعدالة كما قيل سابقا نفس الشيء والعدل هو من أسماء الله الحسنى وهذا الكون جارٍ وسارٍ بإسمه الأعظم ألا هو العدل. ويكتب الإمام النورسي قائلا: "ثم انظر من خلف التجلي الأعظم لإسم "الحكم" إلى التجلي الأعظم لإسم "العدل"، تره يدبر جميع الكائنات بموجوداتها ضمن فعاليات دائمة بموازينه الدقيقة ومقاييسه الحساسة ومكائيله العادلة بحيث يجعل العقول في حيرة وإعجاب، فلو فقد نجم من الأجرام السماوية توازنه لثانية واحدة أي إذا انفلت من تجلي اسم "العدل" لحلّ الهرج والمرج في النجوم كلها ولأدّى - لا محالة - إلى حدوث القيامة"^(١).

وتفسيرا لـ بسم الله الرحمن الرحيم يكتب: "وفي الرحمن تلميح إلى نظام العدالة والإحسان وفي الرحيم إيماء إلى الحشر. وكذلك يوضح الحمد لله رب العالمين ففي رب العالمين إيماء إلى العدالة والنبوة أيضا"^(٢).

نظام الكون قائم على العدالة الإلهية: هذا الكون العظيم الهائل منذ البداية حتى الآن لا يزال قائما وسائرا وفق نظام كائن فيه بدون توقف وفشل وذلك بفضل العدالة الإلهية التي يعتمد عليها كل ما في هذا الكون من الكواكب والأجرام والجمادات والنباتات والحيوانات وغيرها. وقد أوضح الإمام النورسي هذه النقطة بأسلوب رائع. فيشرح قائلا: "فإن شئت فأنعم النظر في الموجودات كلها، ابتداء من حجيرات الجسم إلى الكريات الحمر والبيض في الدم، ومن تحولات الذرات إلى التناسب والانسجام بين أجهزة الجسم، ومن واردات البحار ومصاريفها إلى موارد المياه الجوفية وصرفياتها، ومن تولدات الحيوانات والنباتات ووفياتها إلى تخريبات الخريف وتعميرات الربيع، ومن وظائف العناصر وحركات النجوم إلى تبدل الموت والحياة، ومن تصادم النور والظلام إلى تعارض الحرارة والبرودة. وما شابهها من أمور، كي ترى أن الكل: يوزن ويقدر بميزان خارق الحساسية، وأن الجميع يكتال بمكيال غاية في الدقة، بحيث يعجز عقل الإنسان أن يرى إسرافا حقيقيا في مكان وعبثا في جزء...".

(١) اللغات ص: ٥٣٨-٥٣٩.

(٢) إشارات الإعجاز ص: ٢٣.

وإن العدالة العامة الجارية في الكون النابعة من التجلي الأعظم لإسم "العدل" إنما تدير موازنة عموم الأشياء، وتأمّر البشرية بإقامة العدل. وإن ذكر الميزان أربع مرات في سورة الرحمن إشارة إلى أربعة أنواع من الموازين في أربع مراتب وبيان لأهمية الميزان البالغة ولقيمتها العظمى في الكون. وذلك في قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: ٧-٩)^(١).

"وهل تريد برهانا على إنجاز الأعمال بالعدل والميزان؟ إن منح كل شيء وجودا بموازين حساسة، ومقاييس خاصة، وإلباسه صورة معينة، ووضعه في موضع ملائم.. يبين بوضوح أن الأمور تسير وفق عدالة وميزان مطلقين"^(٢).

العدالة هي غاية بعثة الأنبياء والرسول: أرسل الله الأنبياء والرسل لهداية البشرية وإقامة العدل بين الناس وذكر ذلك القرآن الكريم بمناسبات عديدة فقد قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾ (النحل: ٩٠) وصرّح غايات ومقاصد بعثة الأنبياء والرسول قائلا: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾ (الحديد: ٢٥). وكذلك غايات وأهداف البعثة المحمدية ﷺ إقامة العدل والقسط بين الناس. وهذا ما يدل عليه الآيات القرآنية والسنة النبوية ﷺ. إقامة العدل فريضة من فرائض الاسلام ودعامة من دعائمه لم يتنازل عنها قط. بل أولى بها اهتماما أكثر حتى أصبحت ميزة لا يتنافس فيها أي ديانة ولا نظام حياة ولا حكومة. وجعل العدل والقسط أساسا ومبدأ لا يجوز تركه ولا يجوز المصالحة عليه بل حتى أعطى الإسلام تعليمات أنه لا يجوز الظلم والجور وعدم القسط مع من لا يؤمن به ولا يجوز الميل إلى المسلمين وعدم الانصاف مع غير المسلمين فيقول عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨). فلا الشفقة ولا الليونة والمرونة للأقرباء والأعزاء في شأن إقامة العدل والقسط حيث قال النبي ﷺ: "وأيّم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"^(٣) وقد أوضح أصحاب النبي ﷺ وأتباعه وعلماء الإسلام هذا المبدأ بصورة جلية وقدموا نماذج حية لها. فلما حضر

(١) اللمعات ص: ٤٧٥-٤٧٨.

(٢) الكلمات ص: ٦٩-٧٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق، الحديث رقم: ١٦٨٨.

سفراء الإسلام إلى بلاط رستم ويزدجرد أعلنوا أننا جئنا لنخرج الناس من جور الأديان إلى عدل الإسلام. وقد قال الصحابي الجليل ربيعي بن عامر في بلاط كسرى: إن الله قد ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل وسماحة الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة". ويكتب الإمام النورسي: "فصاروا (أي جماعة الصحابة) في زمن يسير أساتذة مرشدين وسياسيين وحكاما عادلين لأرقى الأمم حضارة واجتماعا وسياسة فحكموا العالم شرقا وغربا ورفرفت رايات عدالتهم براً وبحراً"^(١).

العدالة هي من مقاصد القرآن: يكتب الإمام النورسي ضمن تفسير هذه الآيات: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾ (الرحمن: ١-٤) "أن المقاصد الأساسية من القرآن وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد، والنبوة، والحشر والعدالة"^(٢).

وتفسيرا ل بسم الله الرحمن الرحيم يكتب "وفي الرحمن تلميح إلى نظام العدالة والإحسان وفي الرحيم إيماء إلى الحشر. "وكذلك يوضح الحمد لله رب العالمين ففي رب العالمين إيماء إلى العدالة والنبوة أيضا"^(٣).

وفي تفسير آيات سورة البقرة يكتب: "وأیضا فيها أحكام ضمنية: كالإشارة إلى التوحيد والنبوة والحشر والعدل. أعنى المقاصد الأربعة المشهورة، مع أن في أكثر السور يكون المقصود بالذات واحدا منها، والباقي استطراديا"^(٤).

وفي تفسير الآية القرآنية ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ...﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فاعلم أن المقصد الأصلي في القرآن إرشاد الجمهور إلى أربعة أساسيات هي إثبات الصانع الواحد والنبوة، والحشر والعدالة..."^(٥).

الشريعة هي العدالة الإلهية: إن الله سبحانه وتعالى هو الخالق والرازق ويبيده مفاتيح خزائن الأرض والسموات. وهو الذي ينزل من السماء ماء فيخرج به الثمرات فيجب أن

(١) الشعاعات ص: ١٦٣.

(٢) إشارات الإعجاز ص: ٢٢.

(٣) إشارات الإعجاز ص: ٢٣.

(٤) إشارات الإعجاز ص: ٣٨.

(٥) إشارات الإعجاز ص: ١٧٢.

توزع على الناس بالعدل والقسط ولكن الناس خلقوا بعقول منفردة ومواهب وطاقات مختلفة فكيف يمكن أن توزع خزائن الكون وثمارها بعدالة؟ يقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٦٠﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١-٢٢). ويكتب الإمام النورسي في تفسير هذه الآية: "تحتاج الجماعة إلى العدالة في تبادل ثمرات السعي.. ثم لأن عقل كل أحد لا يكفي في درك العدالة احتاج النوع إلى عقل كلي للعدالة يستفيد منه عقل العموم. وما ذلك العقل إلا قانون كلي، وما هو إلا الشريعة... ثم لمحافظة تأثير تلك الشريعة وجريانها لا بد من مقنن وصاحب ومبلغ ومرجع، وما هو إلا النبي ﷺ....^(١) وفحوى الكلام أن الشريعة هي مظهر من عدالة الله سبحانه وتعالى وهي العدالة بذاتها.

العدالة المحضة والعدالة الإضافية: قسم الإمام النورسي العدالة إلى عدالة محضة وعدالة إضافية وأوضح ما هو الفرق بين الاثنين قائلاً: "أما إيضاح الفرق بين العدالة المحضة والعدالة الإضافية فهو : إن حق الشيخ البرئ الواحد لا يبطل لأجل الناس جميعاً، أي أن حقه محفوظ، وهذا المعنى هو الذي تشير الآية الكريمة: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢) فلا يضحى بفرد واحد لأجل الحفاظ على سلامة الجميع، إذ الحق هو حق ضمن إطار الرحمة الإلهية، فلا ينظر إلى كونه صغيراً أو كبيراً، لذا لا يفدى بالصغير لأجل الكبير، ولا بحياة فرد وحقه لأجل سلامة جماعة والحفاظ عليها، إن لم يكن له رضى في الأمر. أما إذا كانت التضحية برضاه ورغبة منه فهي مسألة أخرى. أما العدالة الإضافية فهي أن الجزء يضحى لأجل سلامة الجميع، فهذه العدالة لا تأخذ حق الفرد بنظر الاعتبار لأجل الجماعة، وإنما تحاول القيام بنوع من عدالة إضافية من حيث الشر الأهم. ولكن إذا كانت العدالة المحضة قابلة للتطبيق فلا يصر إلى العدالة الإضافية، وإن صار إليها فقد وقع الظلم. فالإمام علي عليه السلام قال: إن العدالة المحضة قابلة للتطبيق، كما كان عليه في عهد الشيخين. لذا حاول بناء الخلافة الإسلامية على تلك القاعدة من العدالة المحضة، بينما معارضوه كانوا يقولون إن هذه العدالة المحضة غير قابلة

(١) إشارات الإعجاز ص: ١٤٤-١٤٥.

للتطبيق، حيث هناك عوائق ومشكلات كثيرة تظهر أثناء تطبيقها، فصار اجتهادهم إلى العدالة المحضة^(١).

العنصرية والقومية العمياء ضد العدالة: الإسلام دين إلهي أرسل إلى البشرية كافة ولجميع الأزمان والعصور والعدالة الإلهية تعم الجميع ويمنع كل ما يعارض العدالة الإلهية ويحرم الإنسانية منها ويعرضها للظلم والتعدي على بني نوعه ومنها العنصرية والقومية وقد ندد القرآن الدعوة إلى العصبية العنصرية والقومية وسماها الحمية الجاهلية فقد قال عز وجل: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الفتح: ٢٦).

وقد شهد التاريخ أنه لما نسي أبناء الاسلام مبادئ العدالة الإسلامية وهولوا وراء القومية والعصبية الجاهلية فبدأ التقاتل والتناحر بينهم مما أدى إلى خسارة الأنفس والأموال الحسيمة وحرمان البشرية من العدل الإسلامي وقد شرح الإمام النورسي أحداث ما جرى في تاريخ الإسلام قائلا: أما مقاومة الحسن والحسين رضي الله عنهما للأمويين فهي في حقيقتها صراع بين الدين والقومية، إذ اعتمد الأمويون على جنس العرب في تقوية الدولة الإسلامية، وقدّموهم على غيرهم، أي فضّلوا رابطة القومية على رابطة الإسلام فأضروا من جهتين: الأولى: آذوا الأقوام الأخرى بنظرهم هذه، فولدوا فيهم الكراهية والنفور. والثانية: إن الأسس المتبعة في القومية والعنصرية أسس ظالمة لا تتبع العدالة ولا توافق الحق، إذ لا تسير تلك الأسس على وفق العدالة، لأن الحاكم العنصري يفضل من هم بنو جنسه على غيرهم، فأنى له أن يبلغ العدالة! بينما (الاسلام يجب ما قبل) من عصبية جاهلية، لا فرق بين عبد حبشي وسيد قرشي إذا أسلما. فلا يمكن إقامة رابطة القومية بدلا من رابطة الدين في ضوء هذا الأمر الجازم. إذ لا تكون هناك عدالة قط وإنما تهدر الحقوق ويضيع الانصاف. وهكذا فإن سيدنا الحسين عليه السلام قد تمسك برابطة الدين، وهو محق في ذلك، لذا قاوم الأمويين حتى رزق مرتبة الشهادة^(١).

(١) المكتوبات ص: ٦٦-٦٧.

(١) المكتوبات ص: ٦٨.

وعلى مستوى العالم شهد تاريخ البشرية ما أتت به العصبية القومية والحمية الجاهلية من مظالم وهلاك ودمار شامل على أبناء آدم. فوضع الحكام المستبدون والحكومات الظالمة أسسا بل حيويا وذرائع لأجل تطمين العالم وإشباع أنانيتهم حيث قالوا: "إنه يضحى بالفرد لأجل الجماعة، ولا ينظر إلى الحقوق الجزئية من أجل سلامة الأمة. وقد فتح هذا الدستور ميدان مظالم شنيعة لا ير مثلهما حتى في القرون الأولى. بينما العدالة الحقيقية للقرآن المبين أنه لا يفدى بحق الفرد لأجل الحفاظ على الجماعة، فالحق حق، لا ينظر إلى كثيره وقليله"^(١).

ويضيف الشيخ النورسي قائلا: "إن القانون الأساس للسياسة البشرية هو: أنه يضحى بالأفراد من أجل سلامة الأمة، ويفدى بالأشخاص حفاظا على الجماعة، ويرخص كل شيء في سبيل حماية الوطن"^(٢).

ويصور الإمام النورسي جرائم وفضائح ارتكبت تحت ذريعة مثل هذه القواعد والأسس: "إن الحريين العالميتين قد نشبتا من سوء استعمال هذا القانون البشري الأساس، فأبادت نهائيا ما توصلت إليه البشرية من رقي منذ ألف سنة. كما سمح هذا القانون بأخذ تسعين بريثا بجريرة عشرة من الجناة، وأفتى بإبادتهم، كما سمح بتدمير قضية كاملة لجرمة مجرم واحد لأغراض شخصية مستترة تحت اسم المصلحة العامة"^(٣).

مقابل تلك القاعدة والعنصرية والقومية العمياء يقدم الشيخ قاعدة أساسيا ومبدأ هاما إنسانيا عادلا ويقول: وهكذا، ولقد وجدت عوضا عن هذا القانون البشري الأساس الغادر، القانون الأساس للقرآن العظيم النازل من العرش الأعظم، وذلك في الآيتين الآتيتين: ﴿وَلَا تُزْرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٤)، ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا... فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢)، فهاتان الآيتان تعلمان القاعدة الجلييلة الآتية: "لا يؤخذ أحد بجريرة شخص آخر. ثم إن البرئ لا يضحى به - حتى من أجل جميع الناس - دون رضاه، ولكن لو ضحى بنفسه بإرادته وبرضاه فتلك مرتبة الشهادة". هذه القاعدة الجلييلة هي التي ترسي العدالة الحققة في البشرية"^(١).

(١) الملاحق ص: ١٦٢.

(٢) الملاحق ص: ١٦٢.

(٣) الملاحق ص: ٣٥٧.

(١) الملاحق ص: ٣٥٧.

العدالة الاجتماعية

ادعت الشيوعية إقامة العدالة الاجتماعية والمساواة بين جميع أفراد المجتمع حيث توزع الثروات على الناس على السواء ولن تكون للفرد ملكية بل كل ثروات البلاد تكون ملكية للدولة- وكان الغرض منه إزالة الفوارق الاجتماعية بين الأغنياء والفقراء ومحو الحواجز بين المؤسرين والمعوزين حيث لا تبقى في المجتمع طبقات اجتماعية عليا ووسطى وأدنى. وكذلك يقضي كل فرد حياة سعيدة بدون أي هموم للمسكن والمأكل والوظيفة أي المستقبل ويعمل بكل هدوء واطمئنان ويعيش حياة مطمئنة رغدة إذ عليه أن يعمل وعلى الدولة أن توفر كل ما يحتاج إليه. ولكن شهد تاريخ البشرية في أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات أن دول الاتحاد السوفياتي تساقطت واحدة تلو أخرى. وظهرت للعالم نتائج ادعاءات الشيوعية أن الناس يجوعون لقطعة خبز ويتحاربون عليها. ومن جانب آخر شهد العالم رئيس تشيكوسلوواكيا يتمتع بعشرات القصور الفخمة المؤثثة بكل أدوات الزينة والترفيه. وفشلت الشيوعية في كل ادعاءاتها فشلا ذريعا وكادت أن تموت في عقر دارها لولا أنها أجرت تعديلات جذرية على نظامها وإدارتها. ورغم ذلك لا تزال تحتضر فيها.

وأما الرأسمالية فهي لا تزال تسود على العالم تحت زعامة القوى الغربية التي تقر بملكية الأفراد والمجموعات ولكنها أحدثت فجوة عميقة بين الأثرياء والفقراء فأصحاب الأموال والثروات يزدادون ثروة ومالا كل يوم باستغلال العمال والأجراء فهم يكدون ويجدون ولا يجدون ما يسد به احتياجاتهم والأغنياء يكتسبون بفضل أموالهم أضعافا مضاعفة فاليوم في عصر العلوم والتكنولوجيا والعولمة يؤلف أصحاب الأموال والشركات مئات وألوف من الناس ويكتسبون بعرق جبينهم ويشيدون قصورا لأنفسهم ولأجيالهم القادمة بينما الأجراء والعمال والموظفون الذين يحتاجون إلى لقمة العيش لأنفسهم ولذرائعهم يعملون ويكسبون لهم وهكذا يستعبدون الناس بأموالهم وبما ييسطون نفوذهم في الطبقات الحاكمة ويحصلون مزايا وتراخيص ويستمررون في استغلال عامة الناس.

جاء الاسلام ليقوم العدل والقسط بين الناس ويضمن العدالة في المجتمع لكي لا يعتدى أحد على أحد وكذلك الحكام والحكومات أن تقيم العدل بين الناس وتوفر بيئة صالحة لتنمية وتطور الأفراد والمجموعات بدون تمييز. وأرسى قواعد محكمة وأعطى مبادئ ثابتة لمحو كافة أنواع التمييز وعوامل التفريق بين الناس فأولا صرح أن كل بني آدم خلق لله

الواحد القهار وهم من أب واحد خلقه من طين لازب وما من أناس أو مجموعة خلقت مفضلة محبة دون غيرهم أو غيرها. كما أعلن أن الفضيلة والشرف والكمال يكمن في صالح الأعمال وليس في الحسب والنسب والعرق والنسل واللون والمكان الجغرافي حيث قال عز وجل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾ (الحجرات: ١٣) فالناس كلهم عباد الله وأولاد آدم أي من أسرة واحدة. وكذلك محا الفوارق التمييزية من اللون والمكان الجغرافي فقد أعلن النبي ﷺ بمناسبة حجة الوداع: يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى^(١). وفي رواية أخرى قال ﷺ: "لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، والناس من آدم وآدم من تراب"^(٢).

المساواة أمام القضاء والقانون: يضمن الاسلام العدالة بين جميع أبناء آدم ويوفر لها مبادئ وأسس صارمة للمساواة أمام القانون والقضاء إذ العدالة ليست بعدالة إذ لا توفر المساواة وقرر أن كل شخص أيما كان، يكون سواء أمام القانون والقضاء وعلى الجميع أن يمثل للقاضي ويمثل أوامره بغض النظر عن أنه حاكم أم محكوم، صاحب القصر أم صاحب الكوخ. ويطبق قانون الدولة على جميع الناس على السواء حيث قال النبي ﷺ لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"^(٣) وكذلك الإمام علي عليه السلام قدم أسوة عظيمة خلال حكمه حيث وقف بين يدي القاضي مثل رجل عادي وكان خليفة للمسلمين آنذاك. والمدعى عليه كان من غير المسلمين أي يهوديا ولكن عومل معاملة متساوية مع خليفة المسلمين. الأمر الذي يدل بوضوح على أن كل شخص سواء كان خليفة وحاكما أو مسلما عاديا أو غير مسلم متساو أمام القانون والقضاء.

الفرص المتساوية للجميع: الاسلام يوفر فرص متساوية للجميع لكي يتطور كل فرد وجماعة بغض النظر عن انتماءاته العرقية والدينية وميوله المذهبية والاجتماعية ونظرياته السياسية. ويضمن عاليا مواهب ومؤهلات كل فرد ويشجعه على استغلالها في صالح ذاته

(١) رواه أحمد في مسنده.

(٢) الراوي: جابر بن عبد الله، المصدر: غاية المرام للألباني الرقم: ٣١٣.

(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم.

ومجتمعه. وليس معنى ذلك أن الذي يعمل ويكد والذي لا يعمل ولا يجتهد سيان وكذلك لن يكون عالم وغير عالم سواء ويعاملان نفس المعاملة بل يوفران الفرص حسب مؤهلاتهم وطاقاتهم ويشجعان على العمل بصدق وإخلاص لتنمية مواهبهم وخدمة مجتمعهم. حيث قال عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩). وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ (١١) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ... ﴿٢١-٢٠﴾ (فاطر: ٢١-٢٠). وقال سبحانه: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ...﴾ (المائدة: ١٠٠). وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ...﴾ (ص: ٢٨).

فالاسلام دين الفطرة لا يساوي بين عالم وجاهل وبين ذكي وغبي بل يضع كل شيء في مكانه المناسب ويتيح الفرص والأجور حسب المؤهلات والطاقات البشرية ولن يكون من العدالة أن الذي يعمل والذي لا يعمل يكونان متساويين في المكانة والمكافأة. وإلا يتسبب في الكسل وعدم تشجيع واستغلال الطاقات البشرية مما تؤول إلى حرمان المجتمع الإنساني من إبداعات وإنتاجات المؤهلين. أما ثمار ونتائج العلماء والمثقفين فيأمر أن يشاركوا فيها الناس جميعا بدون أي تمييز وتحفظ.

وينتقد الإمام النورسي بشدة بالطبقات التي تستغل الناس قائلا: "نعم، إنني من حيث النسب ونمط معيشة الحياة من طبقة العوام، ومن الراضين بالمساواة في الحقوق فكرا ومشربا، ومن العاملين على رفض سيطرة طبقة الخواص المسمين بالبرجوازيين واستبدادهم منذ السابق وذلك بمقتضى الرحمة وبموجب العدالة الناشئة من الإسلام. لذا فأنا بكل ما أوتيت من قوة بجانب العدالة التامة، وضد الظلم والسيطرة والتحكم والاستبداد. بيد أن فطرة النوع البشري وحكمة خلقه تخالفان قانون المساواة المطلقة، إذ الفاطر الحكيم سبحانه كما يستحل من شيء قليل محاصيل كثيرة، ويكتب في صحيفة واحدة كتباً كثيرة، ويجري بشيء واحد وظائف جمة، كذلك ينجز بنوع البشر وظائف ألوف الأنواع، وذلك إظهاراً لقدرته الكاملة وحكمته التامة"^(١).

الإتلاف والإسراف والاقتصاد: لا يجوز الإسراف والإتلاف في كتاب الشريعة

(١) اللغات ص: ٢٣٧-٢٣٨.

الإسلامية. وعلى الفرد والجماعات والحكومات أن تقدر كيف تحصل الأموال وكيف يكد الناس ويجدون؟ والشعور بأن كل شيء أمانة من الله سبحانه وتعالى وهو المالك الحقيقي له ولا يجوز ادخار الأشياء الضرورية في مكان لأن يشتد الغلاء فيضطر الناس إلى شراءها بأثمان باهظة. ولا يجوز كذلك إتلاف شيء وتضييعه أو تدميره بحيلة أو أخرى بل إذا يكون زائدا عن ضرورات سكان منطقة ترسل إلى الناس يعيشون في أي مكان آخر وهم يحتاجون إلى ذلك. ولكن الحكومات الآن تضيع إنتاجاتها وغلاتها للحفاظ على أسعار قياسية ولو يجوع الناس في مكان آخر ويموتون لقوت يوم. كما لا يجوز انفاق أو استهلاك شيء إلا بقدر الحاجة ولا يجوز الإسراف والتبذير فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (الإسراء: ٢٧). وليس معنى ذلك أن ييخل أحد بنفسه أو عائلته أو أقرابه أو مجتمعه وكذلك الحكومات برعيتها بل يجب أن ينتهج طريقا وسطا حيث قال عز وجل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء: ٢٩).

وقد شرح الإمام النورسي الإسراف والاقتصاد والعمل والسعي ضمن تفسير هذه الآية: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف: ٣١)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩). فقد أشارت تلك الرسائل - مستضيئة بنور الآيتين المذكورتين - إلى أن سعادة حياة البشرية منوطة بالاقتصاد وعدم الاسراف، وعلى إثارة الهمم للسعي والعمل والكد... وأنه بهذين الشرطين يتم التآلف والوئام بين طبقتي البشرية، الخواص والعوام^(١).

ويضيف قائلا: إن المدنية الغربية الحاضرة لا تلقي السمع كليا إلى الأديان السماوية، لذا أوقعت البشرية في فقر مدقع، وضاعفت من حاجاتها ومتطلباتها، وهي تتمادى في تهيج نار الإسراف والحرص والطمع عندها بعد أن قوّضت أساس الاقتصاد والقناعة، وفتحت أمامها سبل الظلم وارتكاب المحرمات. زد على ذلك فقد ألفت - بذلك - الإنسان المحتاج المسكين في أحضان الكسل والتعطيل المدمر، بعد أن شجعتة على وسائل السفاهة. وهكذا بددت الشوق لديه إلى السعي والعمل، فأضاع الإنسان عمره الثمين سدى باتباعه هوى المدنية الحاضرة وبسيره وراء سفاهتها وهوها.

(١) الملاحق ص: ٣٥٨.

زد على ذلك فقد ولدت المدنية في ذلك الانسان المعوز العاقل أمراضا وأسقاما وعلا، إذ أصبحت وسيلة، إلى انتشار مئات من الأوبئة والأمراض في أرجاء المعمورة، بثتها في الأوساط بسوء الاستعمال والإسراف"^(١).

والمطلوب من كل أفراد المجتمع الإسلامي والحكومة أن تنتهج طريقا وسطا في الإنفاق فلا تُصرف أموالا وثروات خاصة أو حكومية إلا في أماكن مسموح بها وكذلك قدر الحاجة فحسب وهذا هو الطريق الذي أشار إليه النبي الكريم ﷺ: "وما عال من اقتصد". فإن المرء لن يكون محتاجا إلى غيره بل مكتفيا بذاته لو سلك طريقا وسطا في الإنفاق في حياته العامة والخاصة. ولو يقدر المسلمون قول الرسول ص هذا وعضوا عليه بالنواجذ كمبدأ لحياتهم ستحل جميع مشاكل المسلمين الاقتصادية عبر العالم.

العدالة مع المرأة: يدعى الإسلام أنه يقوم بالعدل مع جميع أفراد المجتمع بغض النظر عن انتماءاته الدينية والمذهبية والجنسية وغيرها فكيف الأمر بالنسبة للمرأة حيث يعطى الرجل حظين مقابل حظ واحد للمرأة إذا يظلم الإسلام المرأة وقد أجاب الإمام النورسي قائلا:

"فإذا ما أخذت الأنثى الثلث من أبيها (أي نصف ما أخذه الزوج من أبيه) فإن زوجها سيسد حاجتها. بينما إذا أخذ الرجل حظين من أبيه فإنه سينفق قسطا منه على زوجته، وبذلك تحصل المساواة، ويكون الرجل مساويا لأخته. وهكذا تقتضى العدالة القرآنية".

وبالنسبة للزواج والطلاق فأعطى الإسلام المرأة حقا كاملا لأن تختار زوجها لها وبدون رضاها لن ينعقد الزواج. كما سمح للزوجين أن يتفرقا إن يصعب عليهما التعايش بسرور وأمن ويمكن للمرء أن يطلق زوجته بعد محاولات مكثفة للتصالح وكذلك للمرأة أن يطلب الخلع من زوجها إذا لم تتمكن من قضاء حياة آمنة مطمئنة.

العدالة الاقتصادية

أعطى الإسلام مبادئ وأسساً هامة لاقامة العدالة الاقتصادية حيث وضع نظرية أن الملك لله الواحد القهار وهو مالك كل شيء وكل ما بيد الإنسان هو أمانة ووديعة وليس بملكه. وجعل نظام الإرث وفرض الزكاة والصدقات على الناس وحبب الإنفاق في سبيل الله وأعلن أن هذه الدنيا فانية والباقية هي الآخرة وهي مزرعة المؤمن.

(١) الملاحق ص: ٣٥٩-٣٦٠.

الرزق بيد الله: يعلن الله سبحانه وتعالى أنه هو الخالق والرازق لجميع المخلوقات من الجن والإنس والحيوانات والنباتات والجمادات وأعطى ضمانا لكل شخص قائلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٨). وهذا الضمان ليس بمقتصر على حضرة الانسان بل يشمل جميع المخلوقات حيث صرح: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: ٦). وبناء على وعده وضمانه حرّم القتل والهلاك خشية قلة الأرزاق والأقوات وندد وأد البنات مخافة إملاق وجعله من الجرائم البشعة النكراء حيث قال عز وجل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ مِّنَ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَرِزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ (الأنعام: ١٥١). وقال في مكان آخر: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٣١).

خلق الله الناس بمواهب شتى وطاقات منفردة وعقول فذة. وكسب الأرزاق وتوزيع المكاسب لا يعتمد على العقول والمواهب بل يتوقف تماما على مشيئة الله عز وجل فيفتح لمن يشاء باب الرزق على مصراعيه ويضيق لمن يشاء وقد قال شاعر:

ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا هلكن إذا من جهلهن البهائم

كما قال عز وجل ﴿وَاللَّهُ يَرِزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (البقرة: ٢١٢). وكذلك قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ...﴾ (الإسراء: ٣٠). فالله سبحانه وتعالى هو الذي يعطي من يشاء وما يشاء. وإلى جانب ذلك لا يريد الله أن تكون الثروات والأموال محتكرة بأيدي عدة ولذا وضع نظاما خاصا لتوزيعها وجعل نظام الإرث والزكاة والإنفاق وبين حقوق الأقرباء والأعزاء والجيران والمجتمع كله.

العمل والسعي: العمل في الاسلام فرض عين على كل مسلم ومسلمة. وليس من العدل أن يكون المسلم عاطلا كسلان لا يجد ولا يكد بل جعل الاسلام العمل فريضة من الفرائض الدينية حيث ذكر العمل جنبا إلى جنب الإيمان في كثير من الأماكن فقد قال عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧). وقد حث النبي أصحابه وأتباعه على العمل والجد والكد ورغبهم في العمل باليد وكسب الحلال. فعن المقدم عليه السلام عن رسول الله ﷺ قال ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل

من عمل يده"^(١). وقال أبو هريرة رضي الله عنه إن النبي ﷺ قال لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه"^(٢). وعن حكيم ابن حزام رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ "اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وخير الصدقة عن ظهر غنى ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغني يغنه الله"^(٣).

توزيع الثروات: هو من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية وتحقيقاً لها وضع نظام الإرث ونظام الزكاة والصدقات والإنفاق في سبيل الله. وألا تكون الأموال والثروات محتكرة بأيادي عدة تتمتع برغد الحياة وانتاجات البشرية ويحرم منها الأغلبية العظمى وأن تدور على الناس جميعاً، اتخذ خطوات عديدة لتوزيع الثروات ومنها:

نظام الإرث: فقد قام الشارع المطلق بتحديد نصيب كل شخص في الميراث حيث قال: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا...﴾ (النساء: ٧). فالإسلام لم يترك الأمر على المورث ولا على الوارثين أن يتصرفوا كيفما يشاؤون بل وضع له نظاماً عادلاً وحدد لكل منهم فرائض وواجبات وجعل لكل منهم حقا أو نصيباً محدداً. وبين حكيمته وسره قائلاً: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (الحشر: ٧) وقام بإيجاد سبل أخرى لتوزيعها ما سوى الزكاة حيث جعل حقوق الأقرباء والأعزاء والجيران في الأموال وقد أوعد النبي ﷺ بمن يشبع وجاره بيت جوعان. وجعل ذلك جزءاً من الإيمان وأنذره بعواقب وخيمة حيث قال النبي ﷺ: والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قالوا وما ذاك يا رسول الله؟ قال: الجار لا يأمن بوائقه، قالوا يا رسول الله! وما بوائقه؟ قال شره.^(٤) ولم يكتف بذلك بل يُمنع من الدخول في الجنة إذا لم يؤد حقوق جاره فقال النبي ﷺ: "لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه"^(٥).

وفي الحضارة الغربية ونظام الرأسمالية يعيش المرء لنفسه ويدخر إلى أقصى درجة ممكنة ولو يجوع الناس ويموتون حيث يقال: إن شبت فلا علي أن يموت غيري... وفي الاسلام لا

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٥) رواه مسلم.

يقبل الله من رجل صرفا ولا عدلا إن كان هو شبعان وجاره جوعان فعن عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي ﷺ: (ليس بالمؤمن الذي يبيت شبعانا وجاره جائع إلى جنبه)^(١). وقد شرح هذه النقطة الإمام النورسي بصورة جذابة وبعبارة قصيرة يجب أن تكتب بماء الذهب. "لو تأملت في مساوئ جميعة البشر لرأيت: أس أساس جميع اختلالاتها وفسادها، ومنبع كل الأخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية، كلمتين فقط: إحداهما: إن شبعْتُ فلا عليَّ أن يموت غيري من الجوع. والثانية: اكتسب أنت لآكل أنا، وأتعب أنت لأستريح أنا"^(٢).

نظام الزكاة والصدقات والانفاق في سبيل الله: وضع الإسلام نظام الزكاة وقدر فيه حصصا ونصبا لكل شريحة من شرائح المجتمع وفيه حق للسائل والمحروم، وجعل القرآن البنود التي تنفق فيها أموال الزكاة والصدقات: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٦٠). ولم يكتف بذلك بل حث الناس على الإنفاق في سبيل الله أي تطوعا وابتغاء مرضاة الله وفيه آيات كثيرة ﴿لَن نَّأَلُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢). ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩). وكذلك ذم الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقون في سبيل الله حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣٤) يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكُوتُ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٤-٣٥). وشرحا لمصالح الزكاة ومنافعها للبشرية يُعتبر نظام الزكاة قنطرة الاسلام.

كما حرم الله سبحانه الربا (ومنه "الفوائد" المصطلح المستخدم حاليا) إذ أن الزكاة تتسبب في البركة والنمو في المال والمواشي والتجارة. والربا وسيلة لامتنعاص دماء العمال والأجراء ويقطع صلة التراحم والتعاطف والتضامن بين مختلف أعضاء المجتمع. ويزيد طمع الأغنياء في المال وحبه وجمعه وادخاره فالإسلام يريد أن يستأصل جذور الطمع في المال من قلوب الناس ويغرس فيهم حب الإنسانية والكرم والجود. وهذا مما يتسبب في عدم تجمع

(١) المستدرك للحاكم.

(٢) المكتوبات ص: ٦٠٤-٦٠٥.

الأموال في أيادي عدة واحتكارهم إياها وازدياد الأغنياء غنى والفقراء فقرا. فالصلاة رمز عن حقوق الله والزكوة عن حقوق العباد والهدف منها إزالة الفجوة الاقتصادية من المجتمع وأن يجعلها عاملا للتنافس في الخير والسعي لحصول مرضاة الله ويعم بها روح الأخوة والتعاون والتساند في ما بين الناس. وتفسيرا للآية ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ (البقرة: ٣) يشرح الإمام النورسي هذا المبدأ: "وفيها إدامة تصور عظمة الصانع في القلوب وتوجيه العقول إليها لتأسيس إطاعة قانون العدالة الإلهية، وامتنال النظام الرباني، والإنسان يحتاج إلى تلك الإدامة من حيث هو إنسان لأنه مدني بالطبع... فيا ويل من تركها! ويا خسارة من تكاسل فيها! ويا جهالة من لم يعرف قيمتها! فسحقاً وبعداً وأفاً وتفاً لنفس من لم يستحسنها"^(١).

﴿وَمِمَّا زَكَّاهُمْ يُفْقُونَ﴾ (البقرة: ٣) وجه النظم: أنه كما أن الصلاة عماد الدين وبها قوامه، كذلك الزكاة قنطرة الإسلام وبها التعاون بين أهله. ثم إن في الحديث الصحيح "الزكاة قنطرة الاسلام" أي الزكاة جسر يغيث المسلم أخاه المسلم بالعبور عليها إذ هي الواسطة للتعاون المأمور به، بل هي الصراط في نظام الهيئة الاجتماعية لنوع البشر، وهي الرابطة لجريان مادة الحياة بينهم، بل هي الترياق للسموم الواقعة في ترقيات البشر^(٢).

منع الربا ومصالحه: قال عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (البقرة: ٢٧٥-٢٧٩). وقال عز وجل: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (آل عمران: ١٣٠-١٣١). وقال تعالى: ﴿وَمَا أَتَيْتُمْ مِنْ رَبِّالْيَرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ

(١) إشارات الإعجاز ص: ٥٠.

(٢) إشارات الإعجاز ص: ٥٠-٥١.

اللَّهِ وَمَاءٍ أَنْيَمَ مَنْ ذَكَوهُ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ (الروم: ٣٩).

وقد منع النبي ﷺ بشدة عن الربا وحذر الناس من سوء عواقبه. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ الشَّرْكُ بِاللَّهِ وَالسَّحَرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْعَافِلَاتِ^(١). وعن جابر قَالَ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ^(٢). وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ وَعَلَى وَسْطِ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ فَجَعَلَ كُلُّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ فَقُلْتُ مَا هَذَا فَقَالَ الَّذِي رَأَيْتُهُ فِي النَّهْرِ أَكِلُ الرِّبَا^(٣).

فالآيات القرآنية بينة وواضحة في تحريم الربا ولا تحب الشريعة الإسلامية أن يتفشى الربا في المجتمع الإسلامي بل الزكاة والانفاق في سبيل الله. ولم يكتف الشارح بحظر الربا بل أعلن حرباً على من يأخذ ويعطي الربا. وفي الأحاديث النبوية الكريمة أوضح النبي ص المبدأ القرآني أن الله يحب الزكاة وينمي النظام الاقتصادي المبني على الزكاة ويمحق الربا والنظام المبني على الربا ويعلن الحرب ضده. فأوضح بشاعة هذا الربا بمثال أنه رأى في نار جهنم رجلاً كان يحاول أن يخرج منها فما كان أن يخرج منها ولعن الآخذ والمعطى حتى الشاهدين والكتابين. ولما شاهد الإمام النورسي العالم الإسلامي وسوء أحواله والإقتصاد الغربي المتألئ الذي يكن في طيه جميع أنواع الشرور والمآثم وأنه يسعى لأن يتسرب إلى المجتمع الإسلامي بوسائل شتى وتحت مسميات جذابة دعا بكل قوة إلى تجنبه وتركه والتمسك بنظام الزكاة الذي يحب الله ورسوله. فيكتب الإمام النورسي بهذا الصدد "نعم، في وجوب الزكاة وحرمة الربا حكمة عظيمة ومصلحة عالية، ورحمة واسعة، إذ لما أمعنت النظر في صحيفة العالم نظراً تاريخياً وتأملت في مساوي جمعية البشر لرأيت أسس أساس جميع اختلالاتها وفسادها ومنبع كل الأخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية كلمتين فقط: إحداهما: إن شبعت فلا علي أن يموت

(١) البخاري و مسلم والنسائي وأبو داود.

(٢) رواه مسلم وأحمد.

(٣) البخاري ومسلم والترمذي وأحمد.

غيري من الجوع. والثانية : اكتسب أنتَ لآكل أنا واتعب أنتَ لأستريح أنا". فالكلمة الأولى الغدارة النهمة الشنعاء هي التي زلزلت العالم الإسلامي فأشرف على الخراب. والقاطع لعرق تلك الكلمة ليس إلا الرّكاة. والكلمة الثانية الحريصة الشوهاء هي التي هارت بترقيات البشر فأوشك أن تنهار بها في نار المهرج والمرج والمستأصل والداوء لتلك الكلمة ليس إلا حرمة الربا فتأمل!"^(١).

ويضيف قائلاً: "إن عدالة القرآن تقف على باب العالم وتصيح في الربا: ممنوع، لا يحق لك الدخول! إن البشرية لما لم تصغ إلى هذا الكلام تلقت صفة قوية. وعليها أن تصغي إليها قبل أن تتلقى صفة أقوى وأمر"^(٢).

السعادة البشرية

ما هي السعادة البشرية وكيف يمكن تحقيقها. ففي كتاب الغرب تحقيق كل ما يسر المرء ويسد به حاجاته ويتمتع بها في هذه الدنيا هي السعادة وتنحصر عموماً على حصول الكرامة والمكانة في المجتمع والملبس والمأكل والمأوى (البيت) وغيرها من أسباب الزينة في هذه الحياة الدنيوية. ويقول المثل السائر بالفارسية "بابر بعيش كوش كه عالم دوباره نيست" يعني تمتعوا في هذه الدنيا إلى أقصى درجة ممكنة إذ لن يقوم يوم القيامة ". إلا أن الإسلام جعل هذه الدنيا مزرعة الآخرة حيث ينال المرء السعادة الحقيقية ولكن لا ينكر السعادة الدنيوية إلا أنه يفضل السعادة الأخروية وهي السرمدية وغير المتناهية حيث يجد كل شخص ما تشتهي الأنفس وما تلذ به الأعين. وقد أوضح الإمام النورسي هذا المبدأ بعبارات مختلفة منتشرة في كليات رسائل النور ويكتب: "أمن الممكن لخالق ذي جلال أظهر سلطان ربوبيته بتدبير قانون الوجود ابتداء من الذرات وانتهاء بالجمرات، بغاية الحكمة والنظام وبمنتهى العدالة والميزان.. أن لا يعامل بالإحسان من احتموا بتلك الربوبية وانقادوا لتلك الحكمة والعدالة، وأن لا يجازي أولئك الذين عصوا بكفرهم وطغيانهم تلك الحكمة والعدالة؟

بينما الإنسان لا يلقي ما يستحقه من الثواب أو العقاب في هذه الحياة الفانية على وجه يليق بتلك الحكمة وتلك العدالة إلا نادراً بل يؤخر، إذ يرحل أغلب أهل الضلالة دون

(١) إشارات الإعجاز ص: ٥٠-٥٢.

(٢) المكتوبات ص: ٦٠٤-٦٠٥.

أن يلقوا عقابهم، ويذهب أكثر أهل الهداية دون أن ينالوا ثوابهم. فلا بد من أن تناط القضية بمحكمة عادلة، وبلقاء آيل إلى سعادة عظمى"^(١).

وفي مكان آخر يشرح نفس المبدأ "هكذا فإن إحدى غايات قضاء الحياة - الشخصية والاجتماعية - في فترة قصيرة في هذه الدنيا هي أخذ الصور وتركيبها، وحفظ نتائج الأعمال، ليحاسب أمام الجميع الأكبر، وليعرض أمام العرض الأعظم، وليهيأ استعداداً ومواهبه للسعادة العظمى، فالحديث الشريف الدنيا مزرعة الآخرة يعبر عن هذه الحقيقة. وحيث أن الدنيا موجودة فعلاً، وفيها الآثار الظاهرة للحكمة والعناية والرحمة والعدالة فالآخرة موجودة حتماً وثابتة بقطعية ثبوت هذه الدنيا. وكما أن الأجل والقبر ينتظران الإنسان، فإن الجنة والنار كذلك تنتظرانه وتترصدانه"^(٢).

الجنة والنار من مظاهر العدالة الإلهية: وما دام الرب سبحانه - كما في هذه الحقيقة - يحب الإنسان ويحب نفسه إليه، وهو باق وله عوالم باقية، ويجري الأمور وفق عدالته، ويعمل كل شئ وفق حكمته، وأن عظمة سلطان هذا الخالق الأزلي وسرمدية حاكميته لا تحصرهما هذه الدنيا القصيرة، ولا يكفيهما عمر الإنسان القصير جداً، ولا عمر هذه الأرض المؤقتة الفانية، حيث يظل الإنسان دون جزاء في هذه الدنيا لما يرتكبه من وقائع الظلم، وما يقتطفه من إنكار وكفر وعصيان، تجاه مولاه الذي أنعم عليه ورباه برأفة كاملة وشفقة تامة، مما ينافي نظام الكون المنسق، ويخالف العدالة والموازنة الكاملة التي فيها، ويخالف جماله وحسنه، إذ يقضي الظالم القاسي حياته براحة، بينما المظلوم البائس يقضيها بشظف من العيش، فلا شك أن ماهية تلك العدالة المطلقة - التي يشاهد آثارها في الكائنات - لا تقبل أبداً، ولا ترضى مطلقاً، عدم بعث الظالمين العتاة مع المظلومين البائسين يتساوون معاً أمام الموت"^(٣).

ويكتب شرحاً للآية {وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري...خلدون} (البقرة: ٢٥). أما نظم جملها بعض مع بعض، فاعلم أن السلك الذي نظم فيه جواهر جمل هذه الآية وسلسلتها هي: أن السعادة الأبدية قسمان: الأول رضا الله

(١) الكلمات ص: ٦٨.

(٢) الكلمات ص: ٩٢-٩٣.

(٣) الشعاعات ص: ٢٢٢.

تعالى وتلطيفه وتجليه وقربته. والثاني السعادة الجسمانية وهي بالمسكن والمأكل والمنكح ومتممها ومكملها جميعا هو الدوام والخلود"^(١).

سؤال: كيف يكون البقاء في سجن جهنم بقاءً خالداً جزاءً عادلا لكفر في زمن قصير؟ **الجواب:** إن القتل الذي يحصل في دقيقة واحدة يعاقب عليه بسبع ملايين وثمانمائة وأربع وثمانين ألفا من الدقائق - على اعتبار السنة ثلاثمائة وخمسة وستون يوما- فإن كان هذا قانونا عادلا، فالذي يقضي عشرين سنة من عمره في أحضان الكفر ويموت عليه يستحق جزاءً بمقتضى هذا القانون العادل للبشر سجننا يدوم سبعة وخمسين ترليوناً وواحداً ومائتي مليار ومائتي مليون من السنين، باعتبار أن دقيقة من الكفر تعادل ألف قتل ويمكن أن يفهم من هذا الانسجام مع عدالة قوله تعالى «خالدين فيها»^(٢).

إن سر العلاقة بين العددين المتباعدين جدا بعضهما عن بعض، هو أن الكفر والقتل تخريب وتعدّ على الآخرين، ولهما تأثير في الآخرين، فالقتل الذي يحصل في دقيقة واحدة يسلب خمس عشرة سنة في الأقل من حياة المقتول، حسب ظاهر الحال، لذا يسجن القاتل بدلا منه، فدقيقة واحدة في الكفر الذي هو إنكار لألف اسم واسم من الأسماء الحسنى وتزييف لنقوشها البديعة... واعتداء على حقوق الكائنات.. وإنكار لكمالاتها... وتكذيب لدلائل الوحدانية التي لا تحد ورد لشهاداتها.. تلقي بالكافر في أسفل سافلين لأكثر من ألف سنة، فتسجنه في قوله تعالى "خالدين"^(٣).

إن قلت إن معصية الكفر كانت في زمان قليل والجزاء أبدي غير متناه فكيف ينطبق هذا الجزاء على العدالة الاجتماعية الإلهية؟ وإن سلّم فكيف يوافق الحكمة الأزلية؟ وإن سلم فكيف تساعد المرحمة الربانية.

قليل لك: مع تسليم عد تناهي الجزاء، إن الكفر في زمان متناه وجناية غير متناهية بست جهات.... فمن مزج هذه الجهات الست يستنتج أن الجزاء الغير المتناهي إنما هو في مقابلة الجناية الغير المتناهية وما هو إلا عين العدالة^(١).

(١) إشارات الإعجاز: ٩٠-٩١.

(٢) البينة: ٦.

(٣) اللمعات ص: ٤١٢.

(١) إشارات الإعجاز ص: ٨٣-٨٤.

وخلاصة القول إن هذا الكون قائم على العدالة الإلهية وسائرة بموجب العدل الإلهي والمطلوب من حضرة الإنسان أن تقضي حياته منسجمة مع نظامه وقيم العدل في حياته وفي مجتمعه ليتمتع بمرضاة خالق هذا الكون الحكيم العدل ويسعى لتحقيق حياة سعيدة ويجعل هم الأول والوحيد السعادة الأخروية رجاء أن ينعم عليه سبحانه وتعالى ويدخله في جناته النعيم.

المراجع والمصادر:

- البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل،: صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٢م.
- النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري،: صحيح مسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط/١، ٢٠٠٦م.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب،: المفردات في غريب القرآن، (تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني) دارالمعرفة، بيروت، لبنان (عام الطباعة غير مذكور).
- سيد قطب،: العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، القاهرة، مصر، عام ١٩٩٥م.
- النورسي، بديع الزمان سعيد،: اللغات، ترجمة: احسان قاسم الصالحي، دار سولزر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة، ٢٠١٣م.
- النورسي، بديع الزمان سعيد،: إشارات الإعجاز في مظان القرآن، تحقيق: احسان قاسم الصالحي، شركة سولزر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة السادسة، ٢٠١١م،
- النورسي، بديع الزمان سعيد،: الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سولزر للنشر - القاهرة، مصر، الطبعة السابعة، ٢٠١٣م.
- النورسي، بديع الزمان سعيد،: الكلمات، دار سولزر للنشر - استانبول، الطبعة الثالثة: ١٩٩٨م.
- النورسي، بديع الزمان سعيد،: المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سولزر للنشر - استانبول، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- النورسي، بديع الزمان سعيد،: الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سولزر للنشر - القاهرة، مصر، الطبعة السابعة، ٢٠١٣م.
- النورسي، بديع الزمان سعيد،: سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سولزر للنشر - القاهرة، مصر، الطبعة السابعة، ٢٠١٣م.
- النورسي، بديع الزمان سعيد،: صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سولزر للنشر - القاهرة، مصر، الطبعة السابعة، ٢٠١٣م.

أسس وشروط العمل الإيجابي البناء من خلال "رسائل النور" للعلامة بديع الزمان سعيد النورسي

د.علي الصوّلي

المعهد العالي لأصول الدين / جامعة الزيتونة - تونس

تمهيد:

إنّ العمل الإيجابي لا يتحقّق إلا من خلال تفكير إيجابي اختمر في الذهن وترسّخ في الوجدان، فيسعى صاحبه إلى تجسيده في الواقع الجامد أو المتردّي. وهو في حقيقة الأمر من أؤكد الواجبات والمهام التي أمرنا الله بتنفيذها لإرساء تلك القناعات الفكرية وتجسيدها قصد تغيير أوضاعنا المتردية نحو الأفضل. فلا قيمة للعلم في الفكر الإسلامي وفي العقيدة الإسلامية إلّا بتنزيله على أرض الواقع ليحدث التغيير المنشود وإلّا أصبح المسلم تحت طائلة قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٣).

والتفكير الإيجابي هو المنطلق والإطار للشروع في طريق العمل الإيجابي النافع للفرد والمجتمع، وبالتالي فإنّه نمط فكر قادر على أن يساهم في حلّ المشاكل التي يواجهها الإنسان وتقديم البدائل الممكنة واللازمة للانتقال من حال سيء إلى آخر أفضل عبر العبارات والأسلوب الراقي. وهو ما يؤدي في مرحلة مواءمة إلى تحديد الأهداف المرجوة بكل وضوح وترتيبها حسب الأولوية، مع اختيار أفضل السبل لتحقيقها.

ولا شك أنّ هذا التفكير الإيجابي يتّسم بالمنهج العلمي - العقلائي والاجتهادي الذي حتّنا عليه ديننا الإسلامي الحنيف. ولتنزيله على أرض الواقع فهو بحاجة إلى خطة عملية لإحداث التغيير المنشود.

وقد استهلّ العلامة النورسي رسالته الجلييلة الموسومة بـ: "الطلمات الرأفة وصفعات الرحمة" بالآية الثلاثين من سورة آل عمران التي بيّنت الحكمة الإلهية من وجود الإنسان الكائن الجامع بين العمل الصالح - الإيجابي والعمل السيئ الحائل بينه وبين رضا الله، وهو تحذير له قبل فوات فرصة وجوده في هذه الدنيا الفانية.. ولن يتحقّق ذلك إلّا باستباق فعل

الخيرات بنية خالصة خدمة للإسلام والمسلمين، وهو ما أشار إليه الرسول ﷺ بقوله: "هلك الناس إلا العاملون وهلك العاملون إلا العاملون، وهلك العاملون إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم" .. فهذا هو المنطلق وهذا هو سبيل الحق.

وقد أوضح النورسي أنّ "الرزق الحلال يأتي حسب العجز والافتقار لا بالاعتدال والاختيار..".

والحاصل في نظره أنّ الإسراف ناجم عن غياب القناعة المتأنية من ضعف الإيمان والتكالب على المادة وانسداد الأفق الروحي والإنساني، وهذا السلوك يخبث وهيج التطلع إلى العمل ويجرّ الإنسان إلى الكسل والتقاعس، وبالتالي يفتح لصاحبه أبواب الشكوى والحسرة في حياته ولا ينعم بما لديه من نعم الله التي لا تحصى ولا تعد.. كما يؤدي هذا السلوك آليا إلى الرياء والحرمان من القناعة التي تفرز العزّة. ولا شك أنّ باب القناعة يفتح باب الشكر ويوصل باب الشكوى، وهو ما يرشّح الإنسان المؤمن القنوع إلى مرتبة العبد الشكور ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سورة سبأ، الآية ١٣) كما جاء في القرآن الكريم. وهذه الميزة - التي لا يتلقاها إلا من وصل إلى مرتبة الإيمان التي تؤدي في نهاية المطاف إلى باب "الإخلاص" وهي مرتبة إيمانية يحصل عليها المؤمن الصادق المخلص، حيث استثنى القرآن الكريم أصحاب هذه المرتبة بقوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١٥٩) ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (سورة الصافات، الآية ١٦٠).

فهذا التسلسل المنطقي الإيماني الذي رسمه صاحب "رسائل النور" نحت لنا فلسفة "العمل الإيجابي البناء" وخصائصه وميزاته وشروطه على الفرد والمجتمع.

❖ مكونات العمل الإيجابي:

يمكننا أن نختزل مفهوم العمل في الإسلام بأنه مصداق الإيمان الذي وقر في القلب، وهو في الآن نفسه معيار الثواب والعقاب الذي أشار إليه الوحي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، حيث قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (٣٩) ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ (٤٠) ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ (١).

والتأمل في التعاليم الإسلامية والأثر والفكر الإسلامي عموما يتبيّن له أنّ للعمل في الإسلام مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة إلى درجة أنه قُورن بالجهاد في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ

(١) النجم: ٣٩ - ٤١.

يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاخْرُؤْنَ يُقْنِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١﴾.

ومن هذا المنطلق جعل الإسلام العمل من أقدس الواجبات التي تبرهن على صدق الإيمان، فقد وردت كلمة "العمل" ومشتقاتها في القرآن الكريم نحو ثلاث مائة وستين مرة، كما وردت مائة وتسعين مرة بصيغة "الفعل"، بل اعتبر الإسلام أنّ الإجهاد من البذل والعمل من مكفّرات الخطايا والذنوب. ألم يقل الرسول عليه الصلاة والسلام: "من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له" ^(٢)، كما ذكر القرآن في قصص الأنبياء إلى أنّ العمل سنة أنبياء الله ورسله، فبالرغم من انشغالهم بالدعوة إلى الله وتبليغ رسالته فقد كانوا يعملون كبقية البشر ويحتّون الناس على الرزق الحلال عن طريق العمل ولا ينتظرون العطايا أو الهدايا، وذلك مثل ما جاء في قوله تعالى مخاطبا الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ ^(٣)، بمعنى يتبعون المعاش في الدنيا.. كما جاء في تفسير الإمام القرطبي.

وقد أثبتت الدراسات الحديثة أنّ العمل يمنح الإنسان شعورا بالثقة وإحساسا بالقدرة على الإبداع والابتكار كما يمنحه أيضا مكانة اجتماعية محترمة.

بل أكثر من ذلك، فإنّ العمل يضفي معنى وغاية لحياته ويجرّه من الشعور السلبي بالعدمية واللامعنى. فالعمل يعطي للإنسان إحساسا بقدرته على صنع مصيره والمشاركة في نخته بالإنجازات التي يحققها عبر العمل وبالتالي فإنّ العلاقة وطيدة بل جدلية بين النشاط الروحي والنشاط الجسدي الذي يمثله العمل في طلب الرزق، قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ ^(٤). والآيات القرآنية وكذلك الأحاديث النبوية التي حثّت على عمارة الأرض بالعمل والكد فهي كثيرة تأكيداً على قيمة العمل في المنظور الإسلامي. كما يوفّر العمل إشباع الحاجات المادية للإنسان، فإنّه يوفّر أيضا إشباع الحاجات النفسية كالحاجة إلى الاحترام وإثبات الذات في المجتمع والحاجة إلى الاطمئنان النفسي الذي يحقق توازن الإنسان ويصنع الإرادة القوية وتحديّ المصاعب ويحفظ

(١) المزمل: ٢٠.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط.

(٣) الفرقان: ٢٠.

(٤) الجمعة: ١٠.

له كرامته ويبيعه عن ذلّ السؤال.. فكلّ عمل هو عنوان شرف وتقدير ما لم يكن محرّما في الشريعة شكلا ومضمونا وأسلوبا..

إنّ كلّ عمل إيجابي لن يترسّخ في عقلية الفرد والمجتمع إلّا بعد تحصينه بمجموعة من المكونات تضمن الإنجاز المرجو، كما تضمن له الاستمرارية والتّرقى. ولعلّ أبرز مكوّن ضروري وموجّه لبقية المكونات هو التفكير الإيجابي الذي يسبق مسار العمل الإيجابي ويهيئ له الأرضية الضرورية للنجاح، لأنّ الكثير يهرعون إلى إنجاز عمل ما دون أن يؤطّر فكر طموح وثاقب يوازي بين التخطيط السليم وغرس الشحنة النفسية القادرة على إعطاء الفرد والمجموعة الشجاعة لمواجهة المشكلات الطارئة واتخاذ القرارات الحازمة والتأقلم مع التغيرات التي قد تحدث من حين إلى آخر.

ولكن هناك مكوّنا ضروريا لا يمكن فصله عن المكون الأول، بل يعتبر الموجّه والمحرّك لبقية المكونات التي تصنع العمل الإيجابي ألا وهو الحرص على غرس ما يعرف بـ: "أخلاقيات العمل"، وبالتالي تأصيل الالتزام الأخلاقي باعتباره أهم هدف استراتيجي يحقق استمرارية نجاحه.. فغرس القيم الإيجابية في العمل يضمن المحافظة على مبادئ العمل الإيجابي كالإخلاص والعمل والمعاملة الإنسانية للعاملين المنتجين في الحقول المهنية أو الفكرية أو المعنوية، وكذلك التحكم في النفس والأمانة وتحمل المسؤولية المنوطة بعهدة كل فرد أو مجموعة، إضافة إلى الحرص على إبراز العمل الجماعي وروح التعاون، والتقوى التي تضمن المراقبة الذاتية سواء للعَمال أو الموظّفين أو الإطارات المكلفة بمهمة ما..

فكلّ هذه العوامل من شأنها أن تساعد على إنشاء بيئة سليمة للعمل الإيجابي القادر على الإنتاج والإنتاجية بشكل راق تصاعدي قادر على تحقيق المنافسة والتطور.

وإذا ما تأملنا في شريعتنا السمحاء وتراثنا الأخلاقي الأصيل سوف ندرك أنّ هذه القيم وهذه المكونات نصّت عليها مقاصد الشريعة الإسلامية، وما علينا إلّا أن نفعلها ونلتزم بها قبل أن ننهر بقيم غيرنا أو نستمد نظريات أخلاقية من بيئات أخرى أفرزتها ظروف حضارية أو مصلحة مؤقتة أو معاملات قسرية أملتها سياسات قهرية سرعان ما تنهار وتتلاشى بمجرد تغيّر تلك السياسات أو القناعات أو الظروف التي حقّت بها، بخلاف ما نجده في القيم الإسلامية التي تقنع العقل وتستجيب لحاجات الروح..

وبالتالي يمكن القول أنّ تلك المكوّنات المستمدة من قيمنا هي أكبر ضامن لنجاح أي عمل، وذلك من خلال القدوة الحسنة المتمسكة بأخلاقيات العمل الإيجابي، و يصبح كل فرد أو مسؤول عن مجموعة قدوة حسنة يؤثّر بصورة جدلية تفاعلية في أوساط المجتمع من خلال تطبيقه لتلك القيم المساعدة على بناء بيئة عمل إيجابية وفعالة قادرة على تحدي الصعوبات وتحقيق النجاحات في ظلّ المتغيرات الأخلاقية التي نعيشها اليوم.

وقد بيّنت العديد من الأمثلة قديما وحديثا أنّ للقدوة الملتزمة بهذه القيم وبهذا التماسي دور كبير ومؤثر في تحسين وتطوير الأداء في العمل مهما كان صنفه. وهذا المكوّن الرئيسي أشار إليه القرآن الكريم حينما أمرنا أن نتخذ الرسول ﷺ المثل الأعلى والأسوة الحسنة باتّباع سنّته الشريفة في كلّ الأمور واقتفاء نهجه في أيّ عمل نقوم به، تنفيذا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١).

ولا شكّ أنّ الواقع والدراسات العلمية دلّت على أنّ نمط التفكير الإيجابي المتّجه نحو هذا المنحنى والمدرّك لقيمة هذا المسلك وما سيفرزه من عمل إيجابي، على أنّ الناجحين في أعمالهم هم الذين يفكرون بطريقة إيجابية، وأنّ من يفكّرون بطريقة سلبية هم الفاشلون الذين يتخبّطون في مشاكل تزيد أوضاعهم سوءا وتحلّفا وتعقيدا وبالتالي يصبحون غير قادرين على تأسيس مستقبل زاهر لهم ولحيطتهم ولا يهيئون أرضية إيجابية للأجيال القادمة، ذلك أنّ الفشل والنجاح يتبعان آليا نمط التفكير والأخلاق المؤسسة لنشاطهم وأعمالهم. وعليه فإنّ الشخص الطامح للنجاح في عمله - مهما كانت مهامه ونوع نشاطه أو اختصاصه يجب عليه أن يبعد عن ذهنه أيّة أفكار سلبية وفي الآن نفسه يقوم بتجنب الأشخاص السلبيين الذين يفكرون بطريقة سلبية تزيد من تعقيد الأمور وتتوقّف لأبسط الصعوبات، وبالتالي يحصل العجز ولا يقع الاهتمام والالتفات إلى القدرات ومواطن القوّة التي يتمتّع الفرد أو المجموعة التي يعمل معها، وفي المقابل نركّز على ضعفنا معتقدين أنّه حتمي، وما يحصل هو التركيز على الوجه المظلم للأشياء والعجز عن رؤية الجانب المشرق منها.

وقد نبّه العلامة "بديع الزمان سعيّد النورسي" إلى هذا الأمر الخطير في "الدرس الأخير" قبل وفاته رحمه الله، حول "العمل الإيجابي البناء" بقوله: "إنّ وظيفتنا هي العمل

(١) الأحزاب: ٢١.

الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدام، والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضا الإلهي..^(١)، مذكراً بأنّ المسلم مكلف بالصبر الجميل وأن يكون دائماً عبداً شكوراً مهما كانت الصعاب وأنواع الابتلاء والمشقة التي تعترضه

في مسيرة حياته، ديدنه في ذلك القيام بما سَمَّاه بـ"الخدمة الإيمانية البناءة" التي ستثمر أجلاً أم عاجلاً الأمن والتأخي والاستقرار وتجنّب الفتن التي يستغلّها ويوظّفها أعداء الإسلام والمسلمين في بثّ الفرقة والدمار والضعف..

في هذا السياق الفكري أوصى الأستاذ العلامة النورسي بتجنّب الهجوم على المخطئين في حق الإسلام من المسلمين الذي نعتهم بـ"المخطئين المساكين" حيث يجب معاملتهم طبق مكوّنات ومبادئ العمل الإيجابي بالمعاملة اللطيفة ومحاولة إقناعهم تدريجياً بالحسنى لإرجاعهم إلى الصواب، بل يذهب أكثر من ذلك باستعماله مصطلحاً جديداً يعزّز عن بعد نظر وعمق في التحليل وهو مصطلح "الجهاد المعنوي".. وهو كما عرّفه "العمل ضد التخريب المعنوي، وإنّه ليس مادياً قط، وإنّما يستوجب القيام بخدمات معنوية من شأنها أن تليّن القلوب وتستدرجها لفهم مقاصد الإسلام ومبادئه السامية.

فالمعاملة اللينة والأخلاق الإسلامية التي أوصت بها شريعتنا السمحاء هي مفتاح التواصل مع الآخرين وإقناعهم، وهو ركن أساسي من أركان العقيدة الإسلامية نظراً لكونه ضرورة إنسانية لبناء أرضية التعاون في البرّ والتقوى، وهي بالتالي جوهر الإسلام وروحه التي طبعت جميع جوانبه.

من هذا المنطلق اهتمّ الإسلام أيضاً بأخلاق العمل حتّى يثمر خيراً وبركة للجميع، وذلك من خلال القيم والمبادئ التي شرّعها وأمر بتجسيدها على أرض الواقع أثناء أداء أيّ عمل من الأعمال التي تحقّق الكسب الحلال. كما حرص ديننا الحنيف على حفظ حقوق العامل أو الموظّف لضمان تحقيق العدل بين كلّ الأطراف المعنية بذلك العمل، مع التزام الجميع بتلك القيم الأخلاقية التي دعا إليها الإسلام والتي يمكن تلخيصها في الأمانة والإخلاص المتأبّيان من الإيمان الخالص والتقوى.

(١) بديع الزمان النورسي، السيرة الذاتية، الباب الثاني، الطبعة الثانية ٢٠١١، ص ٥٠٥.

❖ شروط العمل الإيجابي وركائزه:

إذا أراد الفرد أو المجموعة تحقيق ما يعرف بلغة العصر بالتقدم ويطمح إلى التميّز، فلا بدّ أن يتقن العمل المنوط بعهدته، وهو ما اصطلح عليه الشرع بـ "الإحسان" عموماً - ولو أنّ هناك علاقة وطيدة بينه وبين الإتقان - بل إنّ البعض اعتبر "الإحسان" أمثلاً دلالة من "الإتقان" لأنّ هذا الأخير - أي الإتقان - هو عمل يتعلّق بالمهارات التي يكتسبها الإنسان بالتعلّم والخبرة في تقنية أو اختصاص معيّن، بينما الإحسان هو في حقيقة الأمر تربية راقية ناجمة عن وعي عميق ومجاهدة وقناعة إيمانية راسخة نتيجة المرور بمقامات "الإسلام" للوصول إلى مرتبة "الإيمان" .. وقد حرص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على بلوغ هذه الدرجة الرفيعة. ومن هذا المفهوم يصبح الإحسان مرادفاً للمراقبة الصارمة والمستمرة، وبالتالي هو إحساس ووعي كبير بقيمة العمل وكذلك شرعته لإدراجه في أفضل العبادات وأرقى سلوكيات المسلم باعتبار أنّ هذه المرتبة - أي الإحسان - هي دعوة وطموح لتربية المسلم على عادة الإتقان في أيّ عمل أو معاملة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾^(١) بمعنى أيكم أفضل وأنقن وأجود عملاً. ولا شك أنّ المقصود به هو العمل الصالح وإتقانه.

كما أخبرنا نبيّ الإسلام عليه أفضل السلام بـ "أنّ الله كتب الإحسان على كل شيء" أي فرضه علينا، وبالتالي فإنّ الإحسان - أي الإتقان - يكون بالمنظور الإسلامي قيمة إسلامية كبرى ثابتة لأنّ العبرة في الآخرة هي بقيمة الأعمال ووزنها لا بكثرتها، ومن هنا يصبح الإتقان من أرقى السلوكيات المطلوبة التي يجب أن تلازم المسلم في كل أعماله اليومية.. وإذا كان ذلك كذلك فإنّ الإتقان سوف يؤدي إلى "الإخلاص" في العمل ويغرس في النفس "تقوى المراقبة الداخلية" ويحرّر العمل من كل مظاهر الرياء والنفاق والطمع الزائل، ويرتقي إلى بعد أخروي يتجاوز الآني وينعكس على ثمراته على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة.. تلك هي فلسفة "العمل الإيجابي" الذي أرستها التعاليم الإسلامية التي أمرت كل مسلم بأن يجتسده في الواقع مع نفسه ومع الآخرين حتى يصبح "الإخلاص" سمة وصفة تطبع شخصية المسلم في كل عمل سواء كان تعبدياً - طقسياً أو سلوكياً - اجتماعياً أو

(١) الملك: ٢.

معاشيا - اقتصاديا بنىّ العبادة حتى يقبل عند الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١).

- الإيمان نور وقوة:

في تحليل مقارن بين العلامة بديع الزمان سعيد النورسي أنّ الكفر ظلام يؤدي إلى العدم والمجهول، في حين أنّ الإيمان نور يسمو بنوره الإنسان "إلى أعلى عليين، فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقا بالجنة، بينما يتردى بظلمة الكفر إلى أسفل سافلين، فيكون في وضع يؤهله لنار جهنّم" (٢).

لذا تميّز "النورسي" بفكر عميق وبعد نظر واسع الآفاق، غير متنطّع، وهو ما جعل فكره الإصلاحية يتمحور حول المجال التربوي أي تربية الجماعة من خلال تربية الفرد التي أساسها "الإيمان" حتى يكون الإنسان إيجابيا واضح المعالم متفائلا ومؤمنًا أشدّ الإيمان بما جاء في الوحي الذي أنار له معالم الطريق من خلال البشائر والنذر، وهو ما يدفع الإنسان المؤمن إلى العيش في حركية فكرية ونفسية وجسدية بناءً ومتوازنة تؤهله للعطاء الدائم والتّرقى نحو الأفضل بنماء القدرات الإبداعية في العمل عبر الفكر والممارسة وذلك من خلال حركية مستمرة لا تنقطع، رافعا الشعار القرآني الجليل "واستبقوا الخيرات". فالعمل بهذا المفهوم الإيماني هو عطاء ثمّ بناء ثمّ تراكم وتنافس في الخيرات، بعيدا عن كلّ فكر سلبي.

لذا اعتبر العلامة النورسي أنّ كل عمل إيجابي بناء هو نتيجة التربية الإيمانية الصحيحة التي ترتقي بالإنسان إلى أعلى المراتب في الدنيا والآخرة، وهي حقيقة يذكرنا القرآن الكريم بها في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ (وهم الذين بعدوا عن الإيمان)، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (ثم استثنى الله تعالى فئة المؤمنين الصادقين الذين ترجموا ذلك الإيمان إلى أفعال وأعمال صالحة أهلتهم للفوز بجنة الخلد) ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٣).

فبالإيمان يكسب الإنسان "قيمة سامية من حيث تجلّي الصنعة الإلهية فيه، وظهور

(١) الأنعام: ١٦٢-٣٦٣.

(٢) كتاب الكلمات، الكلمة الثالثة والعشرون.

(٣) التين: ٤ - ٦.

آيات نقوش الأسماء الربانية على صفحة وجوده"^(١). وفي المقابل فإنّ الكفر "يقطع تلك النسبة وذلك الانتساب، وتغشى ظلمته الصنعة الربانية وتطمس على معالمها"^(٢)، فتتضاءل قيمة الإنسان وتنحصر نظرتة ووعيه وعمله في أفق ضيق لا يتجاوز المادة الفانية، بل - كما أشار رحمه الله في "نوى الحقائق"^(٣) أنّ "الذين يبحثون عن كلّ شيء في المادة، عقولهم في عيوتهم، والعين لا تبصر المعنويات"^(٤). موضّحاً أنّ قيمة المادة لا يعتدّ بها فهي في حكم المعدوم لكونها فانية، زائلة، وحياتها حياة حيوانية مؤقتة..^(٥)

فالنور الإيماني هو انتساب إلى الصانع سبحانه وتعالى الذي يقوم بإظهار جميع آثار صنعته الكامنة في الإنسان.. وقد وصفه الإمام النورسي بـ"القوة" بل هو الذي يعطي أعظم قوة للإنسان المؤمن وأكبر دفع معنوي وروحي يحزّره من الضعف والتردد والغموض في الرؤية والمواقف، إلى جانب الحصانة الكاملة التي تمنحه كمال الأمان والسلام.

والإنسان الذي يمتلك الإيمان الحقيقي الذي لا لبس فيه يصبح قادراً على تحدي الصعاب والعراقيل وأنواع الابتلاء الداخلي والخارجي "فيحرق متفرباً على سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية.. قائلاً بكلّ ثقة وإيمان قوي: "توكّلت على الله. بعد الأخذ ما في وسعه من الأسباب الممكنة - ويسلم أعباءه الثقيلة إلى يد القدرة للتقدير المطلق.. مطمئن البال في سهولة وراحة"^(٦).

ومن المنطقي أنّ هذه المرتبة من الإيمان السامي تقتضي الوصول إلى التوحيد الخالص، وهذه المرتبة الإيمانية القصوى تقود بدورها إلى التسليم المطلق للخالق الواحد الأحد الصمد الذي سنّ قوانين هذا الوجود ومسك بنظامه العجيب. ومن خلال هذا التسليم الطوعي يتمّ تحقيق التوكّل الميسّر إلى الصراط المستقيم المؤدي بدوره إلى الظفر بالسعادة في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وفي هذا السياق أشار النورسي إلى أنّ التوكّل على الله تعالى لا يعني رفض الأسباب

(١) الكلمات، الكلمة الثالثة والعشرون، ص، ٣٤٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ذيل المکتوب التاسع والعشرون، ص، ٥٦٩.

(٤) المکتوبات، ص، ٥٧٦.

(٥) المصدر السابق.

(٦) الكلمات، الكلمة الثالثة والعشرون، النقطة الثالثة، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص، ٣٤٩.

وردّها كلياً، بل اعتبرها "نوعاً من الدعاء الفعلي" موضحاً أنّ "طلب المسببات إذن وترقّب النتائج لا يكون إلّا من الحق سبحانه وتعالى، وأنّ المنّة والحمد والثناء لا ترجع إلّا إليه وحده"^(١).

والمتموكل على الله تعالى المانح القدير يتحرّر من الحاجة والتسوّل من الكائنات، ويشعر بالأمان والاطمئنان القلبي والقدرة على تحدي المصاعب والابتلاءات، وفي الآن نفسه يساعده هذا التوكل على الابتعاد عن الرياء والاستهزاء، وبالتالي يغرس في نفسه التواضع ويجنبه الغرور ويشفيه من عدّة أمراض تبعده عن التقوى ومحاسبة النفس الأمّارة بالسوء، وعدم اللهث وراء الشهوات والنهل منها بلا رقيب، والتحرّر من أوهام الأطماع الزائلة سواء كانت مادية أو معنوية مثل الشهرة الزائفة والمناصب من أجل توظيفها لأغراض دنيوية ضيقة تبعده عن شاطئ الأمان وبرّ السعادة الحقيقية في الدارين..

وبذلك يكون الإيمان القوي المرتكز على التوحيد الخالص والأخذ بالأسباب المشروعة مع التوكل على الحي الرقيب الذي لا يعتريه الفناء ولا تأخذه سنّة ولا نوم، هو أكبر ضمان لتجنّب كلّ الانحرافات والمغريات الشيطانية في أيّ عمل مادي أو معنوي أو سلوكي يقوم به الإنسان.. معتمداً - بعد الإيمان - على الدعاء الذي هو أساس العبادة ومحّها - كما جاء في الحديث النبوي - ليكون أملاً مفتوحاً في رجاء الخالق للاستعاذة بربّ الناس من شرّ العباد والوسواس أثناء خوضنا غمار الحياة المليئة بالمغريات والمخاطر وأنواع البلايا.. فالله يدعو الإنسان إلى الأمر نفسه في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْشُرُ أَكْثَرُ رِيٍّ لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(٢)، وفي آية أخرى يأمرنا سبحانه بالدعاء الصادق الذي يقتضيه الإيمان الصادق ويتّخذ وسيلة قاطعة ووساطة بين المؤمن وربّه كشرط للاستجابة: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٣). وقد اعتبر العلامة النورسي "الدعاء" ضرباً من العبودية.

ويطنب الأستاذ النورسي في شرح معنى الدعاء وأنواعه وغاياته وأوقاته التي تجعل منه عبادة من أرقى العبادات والمناجاة نحو الذنوب وإنزال البركة في أيّ عمل يقوم به المؤمن بنية

(١) المصدر السابق، ص، ٣٥٠.

(٢) الفرقان: ٧٧.

(٣) غافر: ٦٠.

خالصة، فهو في نهاية الأمر "مفتاح خزينة رحمة واسعة ومصدر قوة متينة.." ^(١) ليرتقي به الإنسان إلى أعلى المراتب الإنسانية ويجعل الداعي الصادق عبداً كلياً ووكيلاً عاماً بقوله تعالى "وإياك نستعين" حتى يكون في أحسن تقويم لهذا الكون كما خلقه الله وأراده ليكون من أرقى خلقه بالإيمان والأعمال الصالحة..

- أثر الإخلاص في تحقيق العمل الإيجابي:

إنّ الإخلاص يحتاج إلى مجاهدة قبل العمل وأثناءه وبعده.. لذا يرشدنا العلامة النورسي إلى الحرص على احتقار كل عمل صالح نقوم به، بل يجب أن نكون خائفين من عدم قبوله، ولقد كان من دعاء السلف الصالح: "اللهم إنّنا نسألك العمل الصالح وحفظه.."، وعدم العجب والفخر به بل يبقى الخوف من عدم قبوله معلقاً، يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَبَتْ أَتَخَذُونَ آيْمَنَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ^(٢)، قال ابن كثير في تفسيره: "أي يعطون العطاء وهم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم لخوفهم أن يكونوا قد قصرُوا في القيام بشرط العطاء".

فكلما استتر العمل مما يشرع فيه الإخفاء كان أرجى في القبول وأعرّ في الإخلاص. والمخلص الصادق يجب إخفاء حسناته كما يجب إخفاء سيئاته لقوله عليه الصلاة والسلام: "سبعة يظلمهم الله يوم لا ظلّ إلا ظله.. وذكر منهم رجل تصدّق بصدقة وأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه" (متفق عليه).. ولعلّ في دعاء الصحابي الجليل عمر بن خطّاب أبلغ معنى للإخلاص الصادق: "اللهم اجعل عملي كلّهُ صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيء".

كما أنّ من دوافع الإخلاص ووسائله: الدعاء بأن يهدينا ويعيننا على الإخلاص في أعمالنا، والمحاولة قدر المستطاع إخفاء العمل الصالح إلّا إذا كان المقصد من عدم إخفاءه هو لغرض القدوة وتوجيه الناس لفعل الخيرات والحث عليها..، وكذلك عدم النظر إلى أعمالنا بعين العجب والفخر، بل الخوف من عدم قبوله، حتى يزيدنا تقوى وحثاً على مزيد فعل

(١) الكلمة الثالثة والعشرون، ص، ٣٥٥.

(٢) النحل: ٩٢.

الخيرات والإخلاص في أعمالنا.

ولا شك أنّ الإخلاص هو من أعمال القلوب التي لا تظهر أمام الناس، فلا يستطيع أيّ إنسان أن يزكي نفسه بل يسعى إلى تصفية نيته لله جل وعلا، دون أن يشهد لنفسه بذلك، مع القناعة بأنّ كل أعمالنا - التي نرجو من الله قبولها - هي بتوفيقه لنا تعالى وفضله..

ويمكن القول بأنّ "الإخلاص" أولاً وقبل كلّ شيء هو حقيقة الدّين والمضمون الأساسي لدعوة كافة الرسل والأنبياء بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً﴾^(١) بل ذهب الفضيل بن عياض (ت ١٨٧هـ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾^(٢) بأنّ أحسن العمل هو "أخلصه وأصوبه.. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنّة"^(٣).

يرى العلامة النورسي أنّ "الإخلاص في العمل" هو مرآة الإيمان الذي يعكس صدق هذا الإيمان ومدى درجته عند الله سبحانه وتعالى.

وإذا كان الإيمان - كما أسلفنا - نور وقوة يهتدي به المؤمن في عالم البلاء والابتلاء، فإنّ الإخلاص هو روح كلّ عمل إيجابي، وأنّ رضا الله لا ينال إلّا بالإخلاص، ولو كان العمل قليلاً. فيكفي المؤمن نيّة الإخلاص مع الأخذ بالأسباب حتى يفوز بقبول عمله عند الله تعالى، فرضا سبحانه ليس بكثرة التابعين ولا باطراد النجاح والتوفيق، ذلك لأنّ تكثير التابعين والتوفيق في الأعمال هو ما يتولاه الله سبحانه بفضله وكرمه، فلا يسأل ولا يطلب بل يؤتيه الله سبحانه ما يشاء"^(٤)، موضّحاً في ذلك بأنّ "رُبّ كلمة واحدة تكون سبباً في النجاة من النار وتصبح موضع رضا الله سبحانه، ورُبّ إرشاد شخص واحد يكون موضع رضا الله سبحانه بقدر إرشاد ألف من الناس. فلا ينبغي أن تأخذ الكمية كثيراً بنظر الاعتبار"^(٥).

(١) البينة: ٥.

(٢) الملك: ٢.

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٦، ص ٢١٧.

(٤) كتاب اللمعات، اللعة العشرون، ص ٢٣٠.

(٥) المصدر السابق.

والمؤمن الصادق الذي يبذل قصارى جهده لفعل الخيرات ونفع الناس، لا ينتظر جزاء ولا شكورا منهم رافعا شعار الإخلاص في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ سِرْدَ لِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾.

فالمؤمن الذي وصل إلى هذه القناعة وهذه الدرجة من الإخلاص لا ينتظر أجرا على عمله من الناس ولا شكرا ولا مديحا ولا حتى نتائج ذلك العمل بل ينضوي تحت قول الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَاقُ الْمُبِينِ﴾ (٢)، لأنه يدرك تمام الإدراك "أن استحسان الناس كلامه وحسن تأثيره فيهم ونيل توجهم إليه هو مما يتولاه الله سبحانه وتعالى من إحسانه وفضله وحده، وليس داخلا ضمن وظيفته التي هي منحصرة في التبليغ فحسب. بل لا يلزمه ذلك ولا هو مكلف به أصلا" (٣). فمن أكرمه الله بهذا المقام الراقى سوف يجد لذة الإخلاص وسعادة روحية قصوى تزيد إيمانا على إيمانه واطمئنانا بأن الله رضي الله عنه وقبل عمله، فإذا حصل شيء من هذا القبيل فليعدّه إحسانا إلهيا محضا وكرما ربّانيا، ويصبح بالتالي في غنى عن سؤال الناس والرضا بما قسمه الله من رزق والقناعة به.. وعندها يظفر بدرجة الإخلاص التي هي روح العمل الإيجابي وميزان درجة الإيمان، ولا يعرف ذلك إلا "بصدق الرغبة في إفادة المسلمين عامة أيّا كان مصدر الاستفادة ومن أي شخص صدر.." (٤).

ويطالب النورسي - من يريد المزيد من الثواب الأخروي - بأن يستمسك بالإخلاص باتخاذها أساسا لعمله، ومن ثمّ جعل مرضاة الله هي وحدها الهدف والغاية في كلّ الأعمال.

والله وليّ التوفيق

(١) الإنسان: ٩-١١.

(٢) النور: ٥٤.

(٣) اللمعة العشرون، ص ٢٢٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٣٠.

قواعد الأخذ عند النورسي

وتطبيقاتها في العمل الإيجابي

-دراسة تأصيلية مقاصدية-

د. فرهاد إبراهيم أكبر الشواني
مدرس التفسير والدراسات القرآنية بكلية العلوم الإسلامية
بجامعة صلاح الدين/ أربيل - العراق
Email: farhad976@yahoo.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،
أما بعد:

فلو تأملنا هنية في عصرنا الحاضر لالتمسنا وقائع مريرة، وحقائق مؤلمة، ومشاهد
مفرعة، يسوده جهلٌ مطبق، وفقْرٌ مدقع، وسياساتٌ استبداديةٌ كذّابةٌ مسخّتِ الحقَّ
والحقيقة، حتى انتفش الفسادُ وتنمّر أهلُها، ونُصبت للإلحاد بيارق ترفرف على الآفاق،
فأصبح العالمُ راقصاً على نغماتِ الباطلِ وأهازيجِ الضلالِ في محافلِ الأوهامِ باسمِ الإنسانيةِ
والمدينةِ، فلا يكاد يُسمَعُ إلّا نقيق الضفادع وفحيح الأفاعي في المستنقعات الآسنة تلبساً
للحقائق وتدليسا، وأمست البشرية سائحة في سراب المادية، وتائهة في دهاليز الحرية المزيفة،
تسوقها الأعاصير الهوجاء نحو السفاهة والبلادة، وأصبح الظلم معتمرا قلنسوة العدالة،
ولبست الخيانة رداء الحمية، وتبادلت الأضداد صورها.

ومما زاد الطين بلةً، والمرض علةً، والأمر سوءاً وتعقيداً أن المسلمين باتوا في سبات لا
يشعرون بما يحدث بهم من مخاطر، ولا يدركون ما يحيط بهم من شرور، فالكل يغني على
ليلاه، حتى أضحوا فريسة للأجانب يمزّقونهم شرّ مُمزّق.

فأمراض العصر هي نفسها أمراض الماضي، ووصفتها الطبية اتباع القرآن الكريم كما
خلص إلى هذا السرّ الإمام النورسي في رسائله النورانية مبيناً الأسس الرصينة، والقواعد

الشرعية الدقيقة المستوحاة من عموميات الأدلة من الكتاب والسنة والشريعة، مثل قاعدة: (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَرَ)، وقاعدة: (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ)، وقاعدة: (الْأَخْذُ بِالْأَحْوِطِ).

فهذه القواعد الحكيمة الثلاث، والتي تبدأ بلفظ (خُذْ)، تعدُّ من أبرز القواعد الجامعة لمختلف الأعمال الإيجابية، وتطبيقها في الحياة كفيلة بجعل الإنسانية تسمو نحو الكمال والرفعة، فتستعيد بحجتها وسعادتها؛ ولأجل ذلك كان من الضرورة بمكان أن أستعرض تلکم القواعد الجليلة شرحاً وتأصيلاً، وأبيّن مقاصدها العظيمة وما تنطوي عليها من تطبيقات في العمل الإيجابي البناء من خلال دراسة متأنية، وقراءة واعية لرسائل النور، وعليه فقد كان عنوان البحث هو: (قواعد الأخذ عند النورسي وتطبيقاتها في العمل الإيجابي - دراسة تأصيلية مقاصدية-).

مشكلة البحث: نظراً لكثرة العوائق التي تقف أمام العمل الإيجابي، فإن هناك توجه يتصور صعوبة مواجهة هذه العوائق في هذا العصر على الخصوص مما يجعل الإنسان في تشاؤم وتراخ، بحيث يقف مكتوفي الأيدي أمامها.

هدف البحث: الوقوف عند قواعد مهمة في العمل الإيجابي، والسير في ظلال هذه القواعد للوصول إلى معالم العمل الإيجابي، وترسيخ دعائمه من حيث الفرد والمجتمع، وإبراز أهمية هذه القواعد وتأثيرها على العمل الإيجابي في علوم مختلفة، من: (أصول الفقه، والفقه، والسلوك)، وتحويل النظرة التشاؤمية إلى التفاؤلية الإيجابية من خلال هذه القواعد.

خطة البحث: قد اقتضت طبيعة البحث والمادة العلمية تقسيمها إلى مقدمة أردفتها بثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمد الباحث عليها، فخصصت المبحث الأول للحديث عن قاعدة (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَرَ) من حيث تأصيلها، وبيان مقاصدها وتطبيقاتها في العمل الإيجابي وذلك في مطلبين، وأفردت ثانيه لبيان قاعدة (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ) مؤصلاً لها، وموضحاً مقاصدها في العمل الإيجابي، وركزت في ثالثه على قاعدة (الْأَخْذُ بِالْأَحْوِطِ) مبيناً أصلها ومقاصدها، وختمت البحث بأهم النتائج والتوصيات آملاً أن أقطع شوطاً من خلال هذه النافذة العلمية في سبيل ترسيخ ونشر العمل الإيجابي البناء، ومدلوله في علوم متنوعة.

وفي الختام فإني أعتذر بسبب تجاوز صفحات البحث الحدّ المسموح، لأن التحول في رياض رسائل النور يزيد الإنسان حرصاً على اقتطاف ما يمكنه من ثمرات تلك الحديقة

الغناء، وشمّ أزاهيرها الفواحة العبقّة.

فرسائل النور مدرسة ربانية لتربية الإنسان وتنميته من جديد، فكل عبارة منها بمثابة قاعدة كلية تستند على أصول قرآنية ونبوية تظم جزئيات كثيرة، ولأجل هذا السبب لم استطع في البحث اختزال الكلام.

ووصيتي للباحثين بعد الاعتذار منهم أن ينصبّ اهتمامهم على القواعد والدساتير الواردة في رسائل النور بالبحث والتأصيل والبيان والتحقيق؛ ليكونوا شركاء في الأجر والثواب - أجز خدمة القرآن الكريم - بخدمة رسائل النور. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

قاعدة: (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَرَ) تأصيلها ومقاصدها

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول

تأصيل قاعدة (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَرَ)

تعدّ عبارة (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَرَ) من الأمثال السائر^(١) والحكم البليغة، وقد استعملها العلماء في أقوالهم وأشعارهم ومصنفاتهم^(٢)، ونظراً لعمق مفاهيمها وتشعب فروعها المعرفية وصفها الإمام النورسي - رحمه الله - بأنها قاعدة، بيد أن الفقهاء والأصوليين لم يدرجوها ضمن قواعدهم، وهذا لا يعني أنها غير جامعة للمقاصد الشرعية أو لا تندرج تحتها فروع فقهية، فالنورسي كما هو معروف لدى الجميع قد حاز شرف العلوم الشرعية والدنيوية بشهادة التاريخ، لذا يمكن أن يقال بأن هذه القاعدة هي قاعدة سلوكية تتضمن مقاصد شرعية.

(١) ينظر: المستقصى في أمثال العرب، للزمخشري ٧٢/٢، معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ١٦٤/٥، ولسان العرب، لابن منظور ١٣٤/٥.

(٢) أمثال: الغزالي في الإحياء ١٨٥/٢، وابن الجوزي في التبصرة ١٦٥/٢، والملا علي القاري في مرقاة المفاتيح ١٨٤/٩، وغيرهم.

خُذْ مِنْ خَلِيلِكَ مَا صَفَا وَدَعْ الَّذِي فِيهِ الْكَدْرُ^(١)

وقد استشهد به الغزالي فقال:

وقد أنشد الأديب الغزي^(٢) قصيدة يقول في مطلعها:
خُذْ مَا صَفَا لَكَ فَالْحَيَاءُ غُرُورٌ وَالذَّهْرُ يَغْدِلُ تَارَةً وَيَجُورُ
لَا تَعْتَبِرَنَّ عَلَى الزَّمَانِ، فَإِنَّهُ فَلَكَ عَلَى قُطْبِ اللَّجَاجِ يَدُورُ
فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ فَالسَّلَامَةُ نُهْرَةٌ وَزَمَانُهَا ضَافِي الْجَنَاحِ يَطِيرُ^(٣)

وأما ما يتعلق بتأصيل القاعدة فإنها مستلهمة من القرآن الكريم والسنة النبوية، إذ لو دققنا النظر في عموم الأماكن والمواضع التي استشهد بها الإمام النورسي، أو في دلالاتها والأحداث والإرشادات التي جاءت بصددتها، لعلمنا أن لها أصولها الشرعية، كما سيتضح عند الحديث عن مقاصدها وتطبيقاتها في العمل الإيجابي في المطلب القادم، ومع ذلك نذكر بعض النصوص الشرعية التي تتضمن معاني هذه القاعدة:

أولاً: من القرآن الكريم.

- ١ - قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۖ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (سورة النحل، الآية ١٢٧).
- ٢ - قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (سورة النمل، الآية ٧٠).
- ٣ - قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٨) ﴿إِنْ يَمْسِكُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٣٩-١٤٠).
- ٤ - قال تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الحجر، الآية ٨٨).

(١) احياء علوم الدين ٢/١٨٥.

(٢) الأديب الغزي (٤٤١ - ٥٣٤هـ) إبراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي الاشهي الغزي، أبو إسحاق: شاعر مجيد، من أهل غزة بفلسطين. ولد بها سنة (٤٤١هـ)، وتوفي بخراسان سنة (٥٣٤هـ)، ودفن ببلخ. له ديوان شعر يقع في خمسة آلاف بيت. وكان قد باع في خراسان وكرمان نحو عشرة من مسودات شعره، قبيل وفاته، ينظر: الأعلام للزركلي ١/٥٠.

(٣) تاريخ ابن الوردي ٢/٣٥، خريدة القصر وجريدة العصر ١/٣٠٢.

٥ - قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْنَلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (سورة الأنعام، من الآية ١٥١).

ثانياً: من السنة النبوية

وأدّل حديث جامع لمعاني هذه القاعدة هو ما جاء عن عبد الله ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فَقَالَ: {يَا غُلَامُ، أَوْ يَا غُلِيمُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟} فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: "احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفْ إِلَهَهُ فِي الرَّحَاءِ، يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا^(١).

ووجه الاستدلال بهذه الآيات الكريمة والحديث الشريف هو: أن الله تعالى لما كان مالكا للكون ومدبرا لشؤونه، ومقاليده في يده، وإليه يرجع الأمر كله علانيته وسره، فلا ينبغي للمؤمن أن يجزع من سوء أصابه أو سيصيبه، وأن لا يخشى من فقر يداهم، بل يستوجب عليه الرضا والشكر والاحتساب والصبر، إذ ما دام قد عرف جهة البلاء استقر القلب راضيا واطمئن العقل خاضعا لحكم الله تعالى، فيغنى المؤمن حينها صفاء الفكر وهناء الروح.

المطلب الثاني

مقاصد قاعدة (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَرَ) وتطبيقاتها في العمل الإيجابي

لقد وظف الأستاذ النورسي هذه القاعدة لتكون نقطة استناد للإنسان بحيث يجعل أعماله كلها على صعيد واحدٍ من الإيجابية، فشمر عنها محاسنٌ تزيد من كمال دنياه، ورفعته في الآخرة، فتطبيق هذه القاعدة يمنحه قوة معنوية تكون له مدار بهجة وسلوان، وفيما يأتي بيان لأبرز التطبيقات في العمل الإيجابي المستوحاة من هذه القاعدة العظيمة:

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٩/٥، برقم (٢٨٠٣)، وصححه محقق الكتاب.

أولاً: التسليم لقضاء الله وقدره والتوكل عليه في كل حال.

إن الإمام النورسي يجعل هذه القاعدة دستوراً سامياً لتذكير الإنسان بربه ومالكة الحقيقي، فما دام الوجود بأكمله هو ملك لله تعالى، ومقاليد الأمور بيده، وحكمه ماض فيه، وقضاؤه عدل، فلا ينبغي للإنسان أن يجزع من بلاء يصيبه، أو من فاقة تداهيه، أو من خوف ينتابه، فيقول ما نصّه: "إنَّ المثلَّك كُلُّه له، دون استثناء.. وأنت أيضاً ملكه، كما أنك عبده ومملوكه، وأنت عامل في ملكه. فهذه الكلمة تفوح أملاً وتقطر بشري شافية، وتقول: أيها الإنسان! لا تحسب أنك مالك نفسك، كلا؛ لأنك لا تقدر على أن تدير أمور نفسك.. وذلك حملٌ ثقيل، وعبء كبير، ولا يمكنك أن تحافظ عليها، فتنجيها من البلايا والرزايا، وتوقّر لها لوازم حياتك، فلا تجرّع نفسك إذن الآلام سدىً، فتلقي بها في أحضان القلق والاضطراب دون جدوى، فالمملك ليس لك، وإنما لغيرك، وذلك المالكُ قادرٌ، وهو رحيم. فاستند إلى قدرته، ولا تتهم رحمته، **دع ما كدر، خذ ما صفا**، انبذ الصعاب والأوصاب وتنقّس الصعداء، وحُز على الهناء والسعادة"^(١).

فالنظر إلى الحياة الدنيا عند تطبيق هذه القاعدة يكون بمنظار اختيار ما هو الأسلم، والتحري عن ما هو أفضل وأجمل، فما دامت الحياة تنطوي على الخير والشر، والطيب والخبيث، والظاهر والقدر معاً، فالعاقل هو مَنْ يعمل بقاعدة: (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَّرَ)، فيسير مع سلامة القلب واطمئنان الوجدان^(٢). فالتعويل على هذه القاعدة والاستناد عليها في الحياة العملية تعطي ثماراً يانعة تنفع الفرد لتجعله ينعم بهناء البال، وراحة الفكر، وسعادة الروح، وإليك بعض المقاصد المرجوة من وراء هذه القاعدة كما استخلصناها من رسائل النور:

١- صفاء الفكر، واستمداد القوة عند الابتلاء بالأمراض والأسقام، فمضى حصلت القناعة وترسخ الإيمان في قلب المريض ولبّه بأن من ابتلاه بذلك هو نفسه القادر على أن يرسل الشفاء العاجل، ويذهب البأس عنه، وأن حكمته أوسع من أن يحاط بها، ورحمته لا حدّ

(١) المكتوبات، المكتوب العشرون ٢٧٦.

(٢) ينظر: الكلمات، الكلمة الثامنة ٣٧.

لها أصبح المرض بالنسبة إليه مكرمة وسلواناً، وصار مثله كمثل الخليل إبراهيم - عليه السلام - لما قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ بَشِيفٌ﴾ (سورة الشعراء، الآية ٨٠).

يقول النورسي: "أيها المريض الذي لا يطيق! إنَّ الإنسان لم يأت إلى هذه الدنيا للتمتع والتلذذ، والشاهد على ذلك: رحيل كل آتٍ، وتشيب الشباب، وتدرج الجميع في دوامة الزوال والفراق. وبينما ترى الإنسان أكمل الأحياء وأسمها وأغناها أجهزاً بل هو السيد عليها جميعاً، إذا به بالتفكير في لذات الماضي وبلايا المستقبل، يقضي حياته في كدٍ ومشقة هاوياً بنفسه إلى دركاتٍ أدنى من الحيوان، فالإنسان إذن لم يأت إلى هذه الدنيا لقضاء عيش ناعم جميل مغمور بنسمات الراحة والصفاء، بل جاء إلى هنا ليغنم سعادةً حياةً أبديةً دائمة بما يُسرَّ له من سبل التجارة برأس ماله العظيم الذي هو العمر، فإذا انعدم المرضُ وقع الإنسان في الغفلة نتيجة الصحة والعافية، وبدت الدنيا في عينيه حلوةً خضرةً لذيدة، فيصيبه عندئذ مرضٌ نسيان الآخرة، فيرغب عن ذكر الموت والقبر، ويهدر رأسَ مال عمره الثمين هباءً منشوراً، في حين أن المرض سرعان ما يوقظه مفتحاً عينيه، قائلاً له: "أنت لست خالداً ولست سائباً، بل أنت مسخرٌ لوظيفة، دع عنك الغرور، اذكر خالقك، واعلم بأنك ماضٍ إلى القبر، وهبى نفسك وجهزها هكذا". فالمرض إذن يقوم بدورٍ مرشدٍ ناصحٍ أمينٍ موقظٍ، فلا داعي بعدُ إلى الشكوى منه، بل يجب التفيؤ في ظلال الشكر - من هذه الناحية - وإذا ما اشتدت وطأته كثيراً فعليك بطلب الصبر منه تعالى" (١).

٢- الشعور براحة البال وسكينة الروح عند الابتلاء بضيق المعيشة وقلة الرزق، فالمبتلى بهذا الأمر إذا ما نظر إلى الجهة الحقيقة التي يأتي منها الرزق وهو الله الرزاق الذي لا تنفذ خزائنه تولدت في أعماق أحاسيسه الشعور بالرضا والطمأنينة، فما هو محدود اليوم يكون في الغد مبسوط ولا ممسك لرحمته جلّ وعلا، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (سورة الذاريات، الآية ٥٨)، وقال: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة العنكبوت، الآية ٦٠)، فالإمام النورسي قد وضح بأن: "الحقيقة التي تفيدها الآيات الكريمة... حقيقة ذات كرم ينطق بها وينادى بلسان حال جميع المخلوقات المتنوعة من الأحياء. وليس الشيوخ الأقرباء وحدهم يأتيهم رزقهم رغداً بصورة بركة بل رزق حتى بعض المخلوقات التي وهبت

(١) اللمعات، اللمة الخامسة والعشرون ٢٩١.

لمصاحبة الإنسان وصادقته كأمثال القطط. فان ارزاقها ترسل ضمن رزق الانسان، وتأتي بصورة بركة ايضاً. ومما يؤيد هذا، ما شاهدته بنفسى من مثال، هو: كانت لي حصة من الغذاء كل يوم- كما يعلم احبائي القريون- قبل سنتين أو ثلاث وهي نصف رغيف، وكان رغيف تلك القرية صغيراً، وكثيراً ما كان لا يكفيني، ثم جاءني أربع قطط ضيوفاً، وقد كفاني ذلك الغذاء وكفاهم، بل غالباً كانت تبقى منه فضلة وزيادة، هذه الحالة قد تكررت عندي بحيث اعطيتني قناعة تامة من أنني أنا الذي كنت استفيد من بركات تلك القطط! وأنا أعلن إعلاناً قاطعاً الآن أن تلك القطط ما كانت حملاً ولا عبئاً عليّ ولم تكن تبقى تحت منتي، وانما انا الذي كنت ابقى تحت منتهـا" (١).

ومن جانب آخر فإن العمل بمقتضى هذه القاعدة في مسألة الإيمان والتسليم بأن الرزق مقسوم، يكون سبباً للنجاة من الحرص على الدنيا واللهات وراء متاعها، إذ أن الحرص بذاته سبب الخيبة والخذلان، وداء وبيل، ومهانة وذلة، وهو الذي يجلب الحرمان والدناءة، كما يقول الإمام النورسي (٢).

٣- مجاهدة المصائب ومقارعة الفتن، والتيقن بأن النصر حليف الصابرين، كما تعهد الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٥٥-١٥٦).

ولقد ترجم النورسي الآية الكريمة في أفعاله وأقواله مرشداً طلاب النور التبسم في وجه البلاء بالحمد والشكر، لتكتسب أرواحهم وأفكارهم صفاءً وهناءً، فيقول: "دع الصراخ يا مسكين، وتوكل على الله في بلواك. إنما الشكوى بلاء. بل بلاء في بلاء، وأثام في أثام في بلاء. إذا وجدت من ابتلاك، عاد البلاء عطاءً في عطاء، وصفاء في صفاء، ووفاء في بلاء. دع الشكوى، واغنم الشكر كالبلابل؛ فالأزهار تبتسم من بهجة عاشقها البلبل. فبغير الله دنياك آلام وعذاب، وفناء وزوال، وهباء في بلاء. فتعال، توكل عليه في بلواك! ما لك تصرخ من بلية صغيرة، وانت مثقلٌ ببلايا تسع الدنيا. تبسم بالتوكل في وجه البلاء، ليتسم البلاء. فكلما تبسم صغر وتضاءل حتى يزول" (٣). فعبارة النورسي: "إذا وجدت من ابتلاك، عاد

(١) المكتوبات، المكتوب الحادي والعشرون ٣٢١.

(٢) ينظر: المكتوبات، المكتوب الثاني والعشرين ٣٣٦.

(٣) الكلمات، الكلمة السابعة عشرة ٢٢٤، والمكتوبات، المكتوب السادس ٣١.

البلاء عطاء في عطاء، وصفاء في صفاء، ووفاء في بلاء"، هي حقيقة عظيمة وتطبيق حي لروح قاعدة: (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَّرَ)، فالذي ينبغي أن يعلمه الإنسان أنه مهما كان فاعلاً ذا اختيار، إلا أن المشيئة الإلهية هي الأصل، والقدر الإلهي حاكم مهيم، والمشية الإلهية ترد المشيئة الانسانية، بمضمون قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ﴾ (سورة الإنسان، من الآية ٣٠)، وكما ورد في الأثر: {إذا جاء القدر عمي البصر} (١)، فينفذ حكمه، وإذا ما تكلم القدر تسكت القدرة البشرية، ويصمت الاختيار الجزئي (٢).

نعم إن ما يذكرنا بأهمية هذه القاعدة العظيمة في سكون الروح، ودعة الضمير والبال من حيث إسناد الأمر إلى من بيده الأمر والحكم، هو الإمام الشافعي لما قال منشدًا:
دَعِ الْأَيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ وطب نفساً إذا حكم القضاء
وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ الْيَالِي فما لحواذئ الدنيا بقاء
وَرِزْقُكَ لَيْسَ يُنْقِصُهُ التَّائِي وليس يزيد في الرزق العناء
وَلَا حُزْنٌ يَدُومُ وَلَا سُـرُورٌ ولا يؤس عليك ولا رخاء (٣)

والجدير بالذكر أن الإمام النورسي قد شرع في توظيف هذه القاعدة للتهوين من الحزن والألم واليأس الذي يصيب المسجونين، فلو أنعمنا النظر في معظم الدروس التي ألقاها عليهم في فترات سجنه، نرى أنها مستوحاة من هذه القاعدة، فها هو يدعوهم أن ينسوا آلام الماضي؛ لأن في تذكرها ألم وحرقة، وكذا يوصيهم أن لا ينشغلوا بهموم المستقبل وما يخفيه من بلايا، فهو في حكم المعدوم، كي لا يصابوا باليأس فيتشتت صبرهم، بل يستوجب عليهم أن يفكروا في يومهم الذي يعيشون فيه، ويسخروا كل طاقاتهم في إداء الفرائض والتوبة من الذنوب، والتوجه إليه سبحانه بالشكر صابرين محتسبين (٤).

(١) ورد بهذا اللفظ كقول للترمذي في شعب الإيمان للبيهقي ٤٠٤/١، برقم (٢٤٨). وورد بلفظ: (إن القدر إذا جاء حال دون البصر) عند البيهقي أيضاً والحاكم كقول لابن عباس (رضي الله عنهما)، كما في مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس. ينظر: شعب الإيمان: ٤٠٤.٤٠٣/١ برقم ٢٤٧-٢٤٨، والحاكم في المستدرک: ٤٤٠/٢ برقم ٣٥٢٦، وقال: هو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) ينظر: المكتوبات، المكتوب الخامس عشر ٦٧.

(٣) ديوان الإمام الشافعي ٢٢.

(٤) ينظر: الكلمات، الكلمة الثالثة عشرة ١٦٥-١٦٦.

ومما ينبغي التأكيد عليه هو: أن المؤمن المبتلى لا بدّ له أن يفكر في النعمة المندرجة ضمن كل مصيبة، ويدع الآلام التي تسببها، اذ كما توجد درجة حرارة في كلّ شيء، ففي كلّ مصيبة توجد درجة من النعمة. فيقول النورسي: "شاهد درجة النعمة هذه في البلية الصغرى، وفكر بالعظمى واشكر ربك الرحيم. وإلاّ فكلما استعظمتها جفّلت منها، لأنك إذا ما تأسفت عليها تستعظم وتكبر حتى تتضخم ويصيبك الرعب منها. وإذا ما زدت بالقلق والأوهام، تتوأمّت بعد ان كانت واحدة، لأن صورتها الوهمية التي في القلب تنقلب إلى حقيقة ثم تعود تُنزل بضرباتها الموجعة على القلب"^(١).

ثانياً: الاستفادة من إيجابيات المدنية الحديثة ونبذ سلبياتها.

ترشدنا رسائل النور إلى ضرورة الاستفادة من جميع الأمور الدائرة في الدنيا بشكل إيجابي؛ ليستطيع الفرد بما يمتلكه من دراية كاملة، وخبرة فائقة أن يجعل حياته رغيدة ومليئة بالبهجة والسرور والراحة لا يكدر صفوها شيء، فيعود على نفسه بالخير وعلى من حوله بالنفع، فيكون مثله كمثّل النحلة التي لا تقع إلاّ على الأزاهير والثمار المفيدة، تاركة المضرة منها؛ لذا كان عسلها دواء ناجعاً لأمراض شتى، كما جاء عن النبي (ﷺ) أنه قال: ﴿وَالَّذِي نَفْسٌ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّحْلَةِ أَكَلَتْ طَيِّبًا وَوَضَعَتْ طَيِّبًا وَوَقَعَتْ فَلَمْ تُكْسَرْ وَلَمْ تَفْسُدْ﴾^(٢).

ومن هنا كانت هذه القاعدة منهاجاً للذين يرغبون تحصيل الفائدة العلمية، وانتقاء ما هو أفضل وأحسن فيقول النورسي: "إذا ما دخلتُ بستاناً فلا أجني إلاّ الأجودَ من الثمرات، حتى إذا ما تعبْتُ في قطفها أجد المتعة واللذة، ولو وقع نظري على الفاسدة منها، أصرفه عنها، آخذاً بالقاعدة: «خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدُرَ»... هكذا أنا، فأرجو أن يكون قرائي أيضاً مثلي"^(٣).

(١) ينظر: الكلمات، اللوامع ٨٥٦.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث طويل عن عبدالله بن عمرو بن العاص ٤٥٧/١١، برقم (٦٨٧٢)، وقال الهيثمي: "ورجاله رجال الصحيح غير أبي سبرة وقد وثقه ابن حبان" ينظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٥٢٨/١٠، برقم (١٨١٢١)، وصححه الألباني أيضاً في السلسلة الصحيحة ٣٦٠/٥، برقم (٢٢٨٨).

(٣) المثنوي العربي النوري ٤١٠.

وبناءً على ما سبق يلفت النورسي أنظار المسلمين قاطبة إلى ضرورة الاستفادة من التطور العلمي الذي انتجته المدنية الحديثة، ومحاولة استيراد النافع من العلوم الإيجابية لتوظيفها في خدمة الأمة الإسلامية وتقوية معالمها العمرانية والصناعية، ومن جانب آخر يؤكد ضرورة عدم الاقتداء بها، أو الانتفاع بما هو مخالف للأحكام الشرعية من عادات سيئة وأخلاق نابية، فيقول النورسي: "وبناءً على ما سبق لا ينبغي أن ننخدع، بل علينا أن نجعل القاعدة الآتية دستور عمل لنا وهي: **"خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَّرْ"**، وفي ضوءها سنأخذ من الأجانب - مشكورين - كل ما يُعِينُ على الرقي المدني من علوم وصناعات، أما العادات والأخلاق السيئة، فهي ذنوب المدنية ومساوئها التي لا يتبين قبحها كثيراً لكونها محاطة بمحاسن المدنية الكثيرة....، حاصل الكلام: سمنع بسيف الشريعة مساوئ المدنية وذنوبها من الدخول إلى حدود حريتنا ومدنيتنا حفاظاً على فتوة مدنيتنا وشبابها بزال عين حياة الشريعة، ينبغي لنا الاقتداء باليابانيين في المدنية؛ لأنهم حافظوا على تقاليدهم القومية التي هي قوام بقائهم وأخذوا بمحاسن المدنية من أوروبا، وحيث إن عاداتنا القومية ناشئة من الإسلام وتزدهر به فالضرورة تقتضي الاعتصام بالإسلام"^(١).

ثالثاً: الشروع في الدعوة إلى الله تعالى وتسليم النتائج إليه سبحانه.

لقد ربي الاستاذ النورسي تلاميذه على هذه الخاصية العظيمة التي هي من أساسيات العمل الدعوي المتأصل من آيات القرآن الكريم، فعمل الداعية بهذه القاعدة تجعله في حركة مستمرة ونشاط دائم لتبليغ ما وُكِّلَ إليه من مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد الناس إلى السبيل الحق كما أمره الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة يوسف، الآية ١٠٨)، من دون أن ينشغل بالنتائج ومدى استجابة المدعو إلى دعوته، موكلاً الأمر إلى الله المتفرد بالهداية، فيغنى الداعي بذلك راحة البال، وصفاء الفكر تاركاً ما يعكّر مزاجه مستنداً على قاعدة: (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَّرْ) المترشحة من فيض القرآن الكريم، وفي ذلك يقول النورسي: "أنه ينبغي ألا يفكر الإنسان - بما لديه من الجزء الاختياري- بالنتائج التي يتولّاها الله سبحانه، فمثلاً: يزداد حماس بعض الاخوة وشوقهم إلى رسائل النور باستجابة الناس لها، فينشطون أكثر، ولكن

(١) صيقل الإسلام، المحكمة العسكرية العرفية ٤٤٠، السيرة الذاتية ١١٠.

عندما لا يستجيب لها الناس، تفتر قوة الضعفاء المعنوية وتنطفئ جذوة شوقهم. والحال ان سيدنا الرسول الأعظم - ﷺ - وهو الاستاذ الأعظم ومقتدي الكل والرائد الاعلى قد اتخذ الامر الإلهي: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (سورة العنكبوت، من الآية ١٨)، دليلاً ومرشداً له، فكلما أعرض الناس عن الاصغاء وتولوا عنه ازداد جهاداً وسعيّاً في سبيل التبليغ؛ لأنه علم يقيناً أن جعل الناس يصغون ويهتدون إنما هو من شؤون الله سبحانه، وفق الآية الكريمة: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (سورة القصص، من الآية ٥٦)، فما كان يتدخل (ﷺ) في شؤونه سبحانه. لذا فيا إخواني! لا تتدخلوا في أعمال وشؤون لا تعود إليكم، ولا تبنوا عليها اعمالكم، ولا تتخذوا طور الاختبار تجاه خالقكم" (١).

فالنورسي يوقظ في الداعية همّة الدعوة، لينهض بأعباء مهامه لإتمام هذا الواجب، حتى إذا ما أصيب الداعية بانتكاسة عدم الاستجابة له، لم تؤثر فيه فتشبط همته، أو تخور عزيمته؛ لأن الآية الكريمة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة المائدة، الآية ١٠٥) تقرر أن ضلال الآخرين لا يضر هدايتكم، فلا تنشغلوا بها. وينبها الإمام إلى الدستور المهم الذي يقول: (الراضي بالضرر لا ينظر له). أي: لا ينظر بعين العطف والشفقة لمن رضي لنفسه بالضرر، رغبةً وعلماً، فما دامت الآية الكريمة والدستور القويم يمنعاننا من العطف على الراضين. عن علم. بالضرر. فلا بد ان نحصر أوقاتنا وجميع قوتنا واهتمامنا في وظيفتنا المقدسة (٢)، وقد مثل الإمام لتوضيح ذلك بتصرفات السكران المختار في سُكره، إذ يعتد بتصرفاته وهو معاقب في ذلك؛ لأنه اختار الضرر لنفسه وبفسه، فلا تشمله أحكام الرخص، ولا تباح لأجلها المحظورات (٣). وذكر في موضع آخر مؤكداً هذه المعاني: "إن وظيفتنا العمل للإيمان والقرآن بإخلاص، أما إحراز التوفيق وحمل الناس على القبول ودفع المعارضين، فهو مما يتولاه الله سبحانه، نحن لا نتدخل فيما هو موكول إلى الله، حتى إذا غلبنا فلا يؤثر هذا في قوانا المعنوية وخدماتنا، وينبغي القياس وفق هذه النقطة، فقد قيل لجلال الدين خوارزم شاه وهو القائد العظيم في عهده: ستنصر على جنكيز خان. فقال: (إن مهمتنا الجهاد، أما جعلنا غاليين أو مغلوبين

(١) اللمعات، اللمعة السابعة عشرة ١٨٣.

(٢) الملاحق، ملحق أميرداغ ١/٢٣٤.

(٣) ينظر: الكلمات، الكلمة السابعة والعشرون ٥٥٦-٥٥٧.

فهذا ما يتولاه الله سبحانه، ولا أتدخل أنا فيه)، فأنتم يا إخواني قد اقتديتم بهذا البطل، فتستمرون في العمل بإخلاص دون أن ينال منكم الضعف والوهن شيئاً^(١).

رابعاً: إرساء دعائم المحبة والإخاء بين المتخاصمين

إن من طبيعة الإنسان وسجيته بسبب ما يمتلكه من أنانية وحب للذات أن يضمّر العدا للخصم له، أو للذين قابلوه بالخصومة، فتراه يتلظى حقداً وكراهية، وقد بات يزفر من الغضب، وينفت من الغيظ مُقلباً مقلتيه علّه يشفي غليله من خصمه فينقض عليه منتقماً منه، فلا يبقى له أثراً ولا ظلاً. نعم! إن حرص الإنسان على الانتقام يجعله في كدر وهم، فلا بهجة ولا سرور، ولا راحة للبال إلا بأخذ الثأر، فتكون الحياة بالنسبة إليه جحيماً عاجلاً، وللحيلولة دون الوقوع في ذلك العذاب واللوعة، هو العمل بهذا الدستور السامي: (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَرَ) لينقذ نفسه من آلام الانتقام، ونار الغضب الذي يحرق حياته، ويسلب منه صفاء عيشه.

فمن مقاصد العمل بهذه القاعدة، ومن تطبيقاتها في إرساء دعائم المحبة والإخاء بين المتخاصمين نورد أمودجين على ذلك:

١ - التأليف بين قلوب أولياء المقتول وأولياء القاتل عملاً بالآية القرآنية: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (سورة النساء، من الآية ١٢٨)، لأن في الصلح راحة ودعة وسكينة، وبخلاف ذلك ستكون حياة كلا الطرفين في قلق وخوف مستمرين، فضلاً عن الشقاء والتعب من جراء الحرص على أخذ الثأر، وفي ذلك يقول النورسي: "لقد أخطر لقلبي أن أبين لكم حقيقة مهمة تنقذكم بإذن الله من عذاب الدنيا والآخرة وهي كما أوضحها بمثال: إن أحداً قد قتل شقيق شخص آخر أو أحد أقربائه، فهذا القتل الناجم من لذة غرور الانتقام التي لا تستغرق دقيقة واحدة تورثه مقاساة ملايين الدقائق من ضيق القلب وآلام السجن، وفي الوقت نفسه يظل أقرباء المقتول أيضاً في قلق دائم وتحين الفرص لأخذ الثأر، كلما فكروا بالقاتل ورأوا ذويه، فتضيع منهم لذة العمر ومتعة الحياة بما يكابدون من عذاب الخوف والقلق والحقد والغضب، ولا علاج لهذا الأمر ولا دواء له إلا الصلح والمصالحة بينهما، وذلك الذي يأمر به القرآن الكريم، ويدعو إليه الحق

(١) الملاحق، ملحق أميرداغ ٣٢٧/٢، والسيرة الذاتية ٥٩٣.

والحقيقة، وفيه مصلحة الطرفين، وتقتضيه الإنسانية، ويحث عليه الإسلام. نعم، إن المصلحة والحقيقة في الصلح، والصلح خير؛ لأن الأجل واحد لا يتغير، فذلك المقتول على كل حال ما كان ليظل على قيد الحياة ما دام أجله قد جاء. أما ذلك القاتل فقد أصبح وسيلة لذلك القضاء الإلهي، فإن لم يحل بينهما الصلح فسيظلان يعانيان الخوف وعذاب الانتقام مدة مديدة؛... فيلزم الصلح فوراً؛ لأنه لولا الصلح لعظمت تلك المصيبة الجزئية ودامت، بينما إذا ما تصالح الطرفان وتاب القاتل عن ذنبه، واستمر على الدعاء للمقتول، فإن الطرفين يكسبان الكثير، حيث يدبُّ الحبُّ والتآلفُ بينهما، فيصفح هذا عن عدوه ويعفو عنه واجداً أمامه إخوة أتقياء أبراراً بدلاً من شقيق واحد راحل، ويستسلمان معاً لقضاء الله وقدره، - ولا سيما - الذين استمعوا إلى دروس النور، فهم مدعوون لهجر كل ما يفسد بين اثنين، إذ الأخوة التي تربطهم ضمن نطاق النور، والمصلحة العامة، وراحة البال وسلامة الصدر التي يستوجبها الإيمان، تقتضي كلها نبذ الخلافات، وإحلال الوفاق والوئام^(١).

٢- التأليف بين المختلفين في الآراء، واختيار الأنسب الأجمع من الأقوال، عملاً بالقاعدة الفقهية: (الخروج من الخلاف مستحب)^(٢)، فعندها تتقوض وتيرة العنف والعداء بين المتخاصمين، فما دام الجميع يدورون حول الحقيقة، ويبغون الوصول إلى الحق، فلا داعي أن يكون هناك عداء ومخافة، فلا بدَّ أن ينصب الاهتمام في جمع الشمل ووحدنة الكلمة، وينحصر التفكير في رأب الصدع، وجبر الكسر، وإنقاذ الأمة من التششت والتفرق، فيقول الأستاذ ما نصُّه: "ليكن كلامك كله صدقاً ولتكن أحكامك كلها حقاً، ولكن عليك أن تدرك هذا: أنه لا حقَّ لك أن تبوح بالصدق كله. اتخذ هذه القاعدة دستوراً لك: (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَّرَ)، فانظر بحُسن وشاهد بحُسن، ليكون فكرك حسناً، وظنُّ ظناً حسناً، وفكرٌ حسناً لتجد الحياة اللذيذة الهانئة، إن الأمل المندرج في حسن الظن ينفخ الحياة في الحياة، بينما اليأس المحبوء في سوء الظن ينخر سعادة الإنسان ويقتل الحياة"^(٣).

(١) الكلمات، الكلمة الثالثة عشرة ١٦٧، والشعاعات، الشعاع الرابع عشر ٥٠٤.

(٢) الأشباه والنظائر، للسيوطي ١٣٦.

(٣) (١) الكلمات، اللوامع ٨٣٩.

فالنورسي بوساطة هذه القاعدة يعلمنا درساً في الصدق وحسن الظن وأدب التعامل مع الخصوم؛ لأن الصدق لا يشمر إلاّ راحة البال والنجاة^(١)، إذ هو منبع الحق والحقيقة، وكذا فإن حسن الظن يبعث الثقة في النفوس والراحة للقلب، فينجو الإنسان من شرّ الحقنة والغضب وتوهج الكراهية والحقد، فينام قرير العين صافي الذهن مرتاح الخاطر، وقد نجا من إثم سوء الظن.

ولقد حاول النورسي عملاً بهذه القاعدة توجيه طلابه إلى اعتماد حسن الظن دائماً مع منتقديهم، وأن لا ينشغلوا بما يؤول بهم إلى أن يصابوا بنوع من الكدر سداً لباب المحرمات، وحداً للأهواء والانفلات من الحدود الشرعية، فيقول ما نصّه: "إنه لا أهمية قطعاً لانتقادات خفيفة يوجهها إلينا بعض المتصوفة...، وعليهم ألاّ يتألموا منها، ولا يقابلوهم بالمثل بأيّ وجه من الوجوه. لأنّي أعدّ تلك الانتقادات نوعاً من النصيحة وضرباً من الالتفاتة والتكريم، حيث إنها واردة من أهل الإيمان، - ولا سيما - من أهل الطرق الصوفية - ولا سيما - ما كانت تمسّ شخصي بالذات، فأنا أسأحهم وأعفو عنهم، فتجاه الاضرار الرهيبة التي ينزلها بنا أهل الاتحاد حالياً أعدّ تلك الانتقادات الطفيفة من إخواننا أهل الإيمان والتي تمسّ شخصي، توصية صديق شبيهه بالتذكير والتنبيه لأخذ الحذر"^(٢).

خامساً: دفع وساوس الشيطان، وغلق جميع مداخله.

إن من مقاصد قاعدة: (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَّرَ) ومن فوائدها عند التطبيق هو: غلق جميع مداخل الشيطان، والقضاء على جميع منابع الوسوسة التي تعصف بالمؤمن، فتوظيف هذه القاعدة من أجل تحقيق هذا المقصد يكون بعدم الخوف والانشغال بها، أو بالتحري عن السبب، وإلاّ فإن الشيطان يدخل في النفس عن طريق الوسوسة، ومن فقه الإمام النورسي إيجاد وجه الارتباط بين العلوم المختلفة في المفردات العملية، كما هو عليه النهج القرآني، فهنا نقف عند مسألة الوسوسة وأبعادها في علمي الفقه والعقائد الإسلامية، إذ من المسائل المختلف فيها بين أهل السنة والجماعة والمعتزلة من الفرق الكلامية مبحث الحسن والقبح بين

(١) يروى عن النبي (ﷺ) أنه قال: {...، فَإِنَّ الصُّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رَيْبَةٌ}. أخرجه الترمذي في سننه من حديث الحسن بن علي (رضي الله عنهما) ٦٦٨/٤، صفة القيامة والرقائق والورع - برقم (٢٥١٨)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

(٢) الملاحق، ملحق أميرداغ ٣٢٠/٢.

العقلي والذاتي، أو الشرعي، فقد ذهب إلى الأول المعتزلة، وإلى الثاني أهل السنة والجماعة، والإمام النورسي وظّف هذا الموضوع ورّجّح الصواب بين الرأيين بمسألة فقهية، وهي نتيجة سؤال يوجهه القائم بالعبادات لنفسه، وهو يقول: ثرى هل صحّ عملي الذي قمتُ به؟ ويقول الإمام النورسي في تحليل السؤال وجوابه: "إعلم، إنّ أمثال هذه الوسوس لا تليق إلّا بالمعتزلة الذين يقولون: «إنّ أفعال المكلفين من حيث الجزاء الأخروي حسنة أو قبيحة في ذات نفسها، ثم يأتي الشرع فيقرر أنّ هذا حسن وهذا قبيح. أي: إنّ الحُسن والقُبْح أمران ذاتيان موجودان في طبيعة الأشياء - حسب الجزاء الأخروي-، أمّا الأوامر والنّواهي فهي تابعة لذلك وإلّا قرارها». ولذلك فإنّ طبيعة هذا المذهب تؤدي بالإنسان إلى أن يستفسر دائماً عن أعماله: «ثرى هل تمّ عملي على الوجه الأكمل المرضي كما هو في ذاته أم لا؟».. أمّا أصحاب الحقّ، وهم أهل السنة والجماعة فيقولون: «إنّ الله سبحانه وتعالى يأمر بشيء، فيكون حسناً، وينهى عن شيء فيكون قبيحاً» فبالأمر والنهي يتحقق الحُسن والقبح. أي: أن الحُسن والقبح يتقرران من وجهة نظر المكلف، ويتعلقان بحسب خواتيمهما في الآخرة دون النظر إليها في الدنيا، مثال ذلك: لو توضأت أو صليت، وكان هناك شيء ما خفي عليك يفسد صلاتك أو وضوئك، ولم تطلع عليه. فصلاتك ووضوئك في هذه الحالة صحيحان وحسان في آن واحد. وعند المعتزلة: أنهما قبيحان وفسدان حقيقةً، ولكنهما مقبولان منك لجهلك، إذ الجهل عذر"^(١).

ويقول في موضع آخر، وهو يبيّن سذاجة الفكرة في الوسوسة: "أيها المبتلى المسكين! لا تخف ولا تضطرب؛ لأن ما مرّ أمام مرآة ذهنك ليس شتماً ولا سبّاً، وإنما هو مجرد صورٍ وخيالاتٍ تمرّ مروراً أمام مرآة ذهنك وحيث إنّ تخيل الكفر ليس كفراً، فإنّ تخيل الشتم أيضاً ليس شتماً، إذ من المعلوم في البديهية المنطقية: أن التخيل ليس بحكم بينما الشتم حُكْمٌ، فضلاً عن هذا فإنّ تلك الكلمات غير اللائقة لم تكن قد صدرت من ذات قلبك، حيث إنّ قلبك يتحسر منها ويتألم، ولعلها آتية من لمة شيطانية قريبة من القلب، لذا فإنّ ضرر الوسوسة إنّما هو في توهم الضرر، أي أن ضرره على القلب هو ما نتوهمه نحن من أضرارها؛ لأن المرء يتوهم تخيلاً - لا أساس له - كأنه حقيقة، ثم ينسب إليه من أعمال الشيطان ما

(١) الكلمات، الكلمة الحادية والعشرون ٣٠٧-٣٠٨.

هو برئ منه، فيظن أن همزات الشيطان هي من خواطر قلبه هو، ويتصور أضرارها فيقع فيها، وهذا هو ما يريده الشيطان منه بالذات" (١).

المبحث الثاني

قاعدة: (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ) تأصيلها ومقاصدها

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول

تأصيل قاعدة (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ)

تعد هذه القاعدة من الآثار الجليلة لبعض من الصحابة الكرام - رضوان الله تعالى عليهم-، فقد روي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال: { العلم أكثر من أن يحصى، فخذوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ } (٢)، وبمثله يروى عن ابن عباس (٣)، وعبدالله بن مسعود (٤) - رضي الله عنهما-، وكذا عن عامر بن شراحيل الشعبي (٥)، ومحمد بن سيرين (٦) وهما من كبار التابعين وأعلامهم.

هذا وقد استشهد بها الكثير من العلماء في أمثالهم وأشعارهم كالإمام والشافعي (٧) الغزالي (٨).

وجاء عن أحد الحكماء أنه قال: "أخذت من كل شيء أحسنه حتى انتهى بي الأمر إلى الكلب والهرة والخنزير والغراب، ففيل له: ما أخذت من الكلب؟ قال: إلفه لأهله وذبه عن صاحبه. ففيل له: ما أخذت من الهرة؟ قال: حسن تأنيها وتلقاها عن المسألة. ففيل: ما

(١) الكلمات، الكلمة الحادية والعشرون ٣٠٥.

(٢) الرسائل، للجاحظ ١٠٣.

(٣) ينظر: أدب الدين والدنيا، للماوردي ٥١، والبيان والتبيين، للجاحظ ٢٠٩.

(٤) الإعجاز والإيجاز، للشعالبي ٣٧.

(٥) ينظر: حلية الأولياء ٣١٤/٤، وتهذيب الكمال ٣٨/١٤.

(٦) ينظر: العقد الفريد ١٥٧/١.

(٧) ديوان الإمام الشافعي ١١٨.

(٨) ينظر: أحياء علوم الدين ٥٢/١.

أخذت من الخنزير؟ قال: بكوره من حوائجه. فقليل: ما أخذت من الغراب؟ قال: شدة حذره" (١).

وأما يتعلق بأصل القاعدة، فإن عمادها قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر، الآية ١٨)، فضلاً عن آيات كريمة أخرى تعدُّ أصلاً لهذه القاعدة، ومركز استمداد لها كما سنبين ذلك في المطلب الثاني خشية الإطالة والتكرار.

المطلب الثاني

مقاصد قاعدة (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ) وتطبيقاتها في العمل الإيجابي

إنَّ مضمون هذه القاعدة الجليلة تعبرُ عن جمالية الأخلاق التي تهدف رسائل النور ترسيخها، من حيث كونها تراثاً مترشحاً من بحر القرآن الكريم ومن فيوضاته العلية، إذ أن هذا الدستور العظيم لا يدع مجالاً للشك أن الدرس الإيماني الذي يؤخذ من رسائل النور بأمانة التطبيق العملي لمؤلفه، والترجمة الفعلية لطلابه الميامين المخلصين قد أضفت الحسن والبهاء على ربوع الديار التركية آنذاك بعد أن سعى المفسدون إلى اجتثاث القيم والأخلاق والمعتقدات الإسلامية من قلوب أهلها الذين طالما كانوا حماة لهذا الدين الحنيف، وحراس حوزته.

ليت شعري أي ترياق في الكون، وأي مؤلف يمكنه أن يمنح الإنسانية مثل هذه الطمأنينة والسكينة مثلما تمنحها رسائل النور؟ وأي دستور يمكنه أن يعيد البهجة والسرور والرفاهية إلى البشرية مثلما تعيدها الدساتير القرآنية المتجلية أنوارها على رسائل النور؟

حقاً، فإن الحسن النابع من تلك القاعدة والتطبيق الحي لها من قبل طلاب النور يجلب الاهتمام للتفتيش عن المقاصد الجليلة، والحكم الرشيدة التي تشعها أنوار هذه القاعدة، فالبحث في رسائل النور وإمعان النظر في سطورها يكشف لنا مجموعة من المقاصد الحيوية والتطبيقات الجوهرية في العمل الإيجابي التي يمكن أن تستنبط من تلك القاعدة لتكون مدرسة إيمانية تعلم حقائق الإسلام وقيمه النبيلة، وفيما يأتي بيان لأهم المقاصد والتطبيقات الإيجابية المستخلصة من هذه القاعدة:

(١) زهرة الأكم في الأمثال والحكم ١٨٦.

أولاً: النظر إلى محاسن الأشياء وصرف النظر عن سلبياتها.

تشارك هذه القاعدة مع قاعدة (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَّرَ) في هذا المقصد الإيجابي، فهو وسيلة لصفاء الفكر، والخلاص من المنغصات والكدر، فمعطيات القاعدة هي: النظر إلى جميع الأمور بما فيها من آلام وأحزان، بل وحتى الأفراح والمسرات بأنها من تقدير الله العزيز الحكيم، وأن ما يعرض للإنسان من مصائب في جسده أو ماله أو ولده ما هو إلا امتحان في دار الدنيا ليعرف الصابر من الساخط، وليتميز الشاكر من الكافر، فضلاً عن كونها تجربة نافعة يمكن أن يستفاد منها المُبتلى في بناء ذاته وإعادة كيانه والنهوض بما يروم إليه من خير، ومن جانب آخر فإن تلك المصائب كفارات للذنوب، ماحيات للخطايا، رافعات للدرجات والمقامات.

واستناداً على ما ذكرنا، حاول بديع الزمان أن يوظف هذه القاعدة في إعادة تأهيل المساجين مرشداً لهم بقوله: "بمضمون: (من آمن بالقدر أمن من الكدر) وكذا حسب القاعدة الحكيمة: (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ)، وكذا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر، الآية ١٨). فحسب هذه الآية الجليلة والقواعد السابقة علينا أن ننظر إلى الجهة الحسنة من كل شيء والوجه الجميل المبشّر منه لكي لا تشغل قلوبنا بما لا يعني من الحالات القبيحة العابرة التي لا حاجة لنا إليها، بل هي مضرّة تورث الضيق والانقباض. ولقد ذكر في (الكلمة الثامنة): رجلان يدخل أحدهما الحديقة بينما يغادرها الآخر، فالحظوظ السعيد هو الذي ينظر إلى الأزاهير وما شابهها من الأشياء الجميلة في الحديقة، فينشرح ويرتاح ويهنا، بينما الآخر الشقي يحصر نظره في الأمور القذرة الفاسدة لعجزه عن التنظيف، فينتابه الغثيان ويتضايق بدلاً من أن ينسّر في الحديقة، ويتركها هكذا^(١)، هذا وإن صفحات الحياة الاجتماعية البشرية الحالية ولاسيما "المدرسة اليوسفية" هي بمثابة حديقة، فيها أشياء قبيحة وحسنة معاً وفيها أمور محزنة ومفرحة جنباً إلى جنب، فالكيس من أشغل نفسه بالأمور الجميلة من دون

(١) ينظر: الكلمات، الكلمة الثامنة ٣٤، وفيه يقول النورسي: "أما هذا الأخ فعملاً بقاعدة "انظر إلى الأحسن من كل شيء" فقد أهمل الجيف ولم يلتفت إليها مطلقاً، بل استفاد مما في البستان من الأشياء والفواكه. وبعدما استراح فيه الراحة التامة مضى إلى سبيله".

أن يعبأ بالقبيحة والفاصلة منها، فيشكر ربّه وينسّر في موضع الشكوى والقلق^(١). فخلاصة القول: أن النورسي يعلّمنا درساً في الإيجابية اختصره في العبارة الآتية: "أن من أحسن رؤيته حسنت رؤيته وتفكيره، فتحسّن رؤياه، ويستمتع بحياته"^(٢).

ثانياً: أدب الحوار مع المخالفين، والاعتراف بالآخر.

استطاع النورسي من خلال دعوته الإيمانية استقطاب كثير من الناس ومن كافة الطبقات والتوجهات المتباينة، وما ذلك إلا بفضل اتخاذه لقاعدة: (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ)، فالتأمل في رسائل النور يجد أن معظم خطاباتهما قد تأسست على هذا الأصل العظيم الذي يتضمن اتخاذ الأحسن من الطرق وأصوبه في الحوار مع المخالفين، على وفق اعتماد الحكمة، والموعظة الحسنة، والأدب الرفيع، ومن دون تجريح للمقابل، أو استهانة بكرامته، كما أمر الله تعالى بذلك: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل، من الآية ١٢٥).

وتعكس لغة رسائل النور تحليلات هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات القرآنية في خطاباتهما، فيقول النورسي: "ومن هنا فيأني أخال أن سبباً من أسباب عدم تأثير نصيحة الناصحين في هذا الزمان هو: أنهم يقولون لسيئي الخلق: لا تحسّدوا. لا تحرصوا. لا تعادوا. لا تعاندوا. لا تحبّوا الدنيا، بمعنى أنهم يقولون لهم غيّرُوا فطرتكم. وهو تكليف لا يطيقونه في الظاهر، ولكن لو يقولون لهم: اصرفوا وجوه هذه الصفات إلى أمور الخير، غيّرُوا مجراها، فعندئذ تجدي النصيحة وتؤثر في النفوس، وتكون ضمن نطاق إرادة الإنسان واختياره"^(٣).

وحرري بالذكر أن الإمام النورسي لا يريد طرح المسائل الإيمانية والفرعية. على طريق المناقشة؛ لأنه غالباً ما لا تتوفر الشروط العلمية في مناخ مناقشة المسائل الإيمانية - على الخصوص-، وبالتالي تحكمها الأهواء ولا تفي بنتيجة جيدة، ثم الإيمان موضعه القلب، والقلب يريد الحوار الهادئ، وينفر من الضغط والإجبار والإكراه، بل يثير الإكراه فيه عرق التعصب والتزمّت والحمية، فلا يترسخ الإيمان إلا في جو يسوده الهدوء والسكينة، والحاكم فيه العقل والمنطق السليم والدليل، فلذلك لا بدّ أن نعامل الخصم على أساس

(١) الشعاعات، الشعاع الرابع عشر ٥٣٠، وينظر: الشهود الأواخر، شهادة محمد قايهان ٢٦٩.

(٢) صيقل الإسلام، المناظرات ٣٧٥.

(٣) المكتوبات، المكتوب التاسع ٤٢.

الصداقة، ونبيّن له أننا نطلب العلم والحقيقة ونريدهما، وإذا كانت المناقشة لا بدّ، فهي مقبولة بجملة من الشروط، جمعها في قوله: "لا يجوز بحث المسائل الإيمانية الدقيقة... بشكل مناقشات جدلية من دون ميزان، ولا أمام جماعة من الناس، إذ تتحول الأدوية عندئذ إلى سموم؛ لأنها دون ميزان، فتضر المتكلمين والمستمعين معاً، وإنما يجوز ذلك عند : فراغ البال، وسكون القلب، وتوقّر الإنصاف عند الباحثين، وتداولاً فكرياً ليس إلّا"^(١). وكما سبق، فالأستاذ لا يريد المناقشة حتى في الفروع الاجتهادية الفقهية، فهو يريد منا أن لا نتعصب لرأي دون آخر، فيقول: "فالضلالة والزندقة تستغل الاختلاف في هذا العصر، حتى إن هناك تيارات قوية تجعل أهل الإيمان في حيرة من أمرهم...، لذا لا ينبغي فتح باب المناقشة في الأمور الفرعية الجزئية التي تسبب الاختلاف..."^(٢).

بل ويجعل النورسي حسن الخطاب أساساً لإقناع الخصوم وليس بالضغط والإجبار، وإن تحريّ الحقيقة لا يكون إلّا بالحبّة، بينما الخصومة تكون إزاء الوحشية والتعصب^(٣)، فاستطاع بفيض من القرآن الكريم مداواة جراحاتهم بأنجع دواء وفق دساتير قرآنية عظيمة مثل قول الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (سورة الإسراء، الآية ٥٣)، وقوله عزّ وجل: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (سورة البقرة، من الآية ٨٣)، وقول تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٦٣). فهذا هو يقول -رحمه الله-: "إن الواقع يشهد: أن مخاطبة الفاسد بقولك له: "إنك صالح، إنك فاضل...". ربما يدفعه إلى الصلاح، وكذا مخاطبة الصالح: "إنك طالح، إنك فاسد...". ربما يسوقه إلى الفساد، لذا استمع بأذن القلب إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (سورة الفرقان، الآية ٧٢)، ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة التغابن، الآية ١٤)، وأمثالها من الدساتير القرآنية المقدسة، ففيها التوفيق والنجاح والسعادة والأمان"^(٤).

(١) المكتوبات، المكتوب الثاني عشر ٥٧.

(٢) الملاحق، ملحق أميرداغ ٢٨٠/١.

(٣) ينظر: صيقل الإسلام، المحكمة العسكرية العرفية ٤١٨، والسيرة الذاتية ١٢٠.

(٤) المكتوبات، المكتوب الثاني والعشرون ٣٢٨.

فالطابع الخطابي الحكيم الذي تميزت به رسائل النور من حيث اعتمادها الأحسن في المحاورة، والأفضل في المحاجة قد آتت أكلها وأينعت ثمارها بفضل الله على كثير من المتعصبين، بل وحتى على الملحنين والنصارى بأن دخلوا في دائرة رسائل النور، فيقول الأستاذ النورسي: "ولما كانت حقيقة الاخلاص محفوظة فيه حفظاً تاماً يستطيع اي نوع من أنواع أهل الإسلام الدخول في دائرة رسائل النور، فالمتعصب في تشيعه، والمغالي في وهابيته، وأشد الفلاسفة مادية وعمقاً في العلم، وأكثر العلماء أنانية وتزمتاً، قد بدأوا بالدخول معاً في دائرة النور ويعيش قسم منهم الآن إخوة متحابين في تلك الدائرة، حتى أن هناك أمارات بدخول مبشرين نصارى من الروحانيين الحقيقيين في تلك الدائرة، لما يشعرون بضرورة الترابط والمصالحة، طارحين مواد المناقشة والمنازعة جانباً"^(١).

ثالثاً: اختيار الرفيق الأمثل المعين على تحقيق الحاجات الدينية والدنيوية

إن قاعدة (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ) عامة في جميع ما يعود على الإنسان من خير في الدين والدنيا معاً، فمقاصد القاعدة تتعدى إلى جوانب كثيرة استعرضها النورسي في رسائله وإن لم يدلل عليها بذكر القاعدة في كل مرة، ولكن بعد البحث في مضامين رسائل النور نلتمس تطبيقات كثيرة عليها، وهي تركز على ضرورة اختيار رفيق أمثل، وصاحب أكمل يكون للإنسان في الدنيا معيناً وعلى آخرته حفيظاً، وفيما يأتي بيان لأنموذجين على هذا التطبيق:

١ - اختيار زوجة صالحة أو زوج صالح يكون كل منهما مدار سلوان للآخر، يتشاطران الهموم والأحزان والأفراح والمسرات بينهما، ويكون كل واحدٍ منهما للآخر حفيظاً على دينه وأميناً على سعادة آخرته، فالحياة العائلية في نظر النورسي تعد مركز تجمع الحياة الدنيوية ولولبها، وهي جنة سعادتها وقلعتها الحصينة وملجأها الأمين، وأن بيت كل فرد هو عالمه ودنياه الخاصة^(٢)، ولأهمية هذا الأمر نجد أن النورسي قد أكد على ضرورة اختيار الرجل أو المرأة للشريك الأمثل، تحقيقاً للمقاصد الدينية والدنيوية، فقاعدة (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ) تقتضي أن تكون مرتكزاً لتحقيق هذا المقصد

(١) الملاحق، ملحق أميرداغ / ١ / ٢٨٦.

(٢) ينظر: الكلمات، الكلمة العاشرة ١٠٣، والشعاعات، الشعاع التاسع ٢١٥.

وهو الزواج على أساس الكفاءة، فيقول: "إن ما هو مطلوب شرعاً: أن يكون الزوج كفوءاً للمرأة، وهذا يعني ملائمة الواحد للآخر ومماثلتهما، وأهم ما في الكفاءة هذه هي كفاءة الدين كما هو معلوم. فما أسعد ذلك الزوج الذي يلاحظ تدين زوجته ويقوم بتقليدها، ويصبح ذا دين، لئلا يفقد صاحبته الوفية في حياة أبدية خالدة! وكم هي محظوظة تلك المرأة التي تلاحظ تدين زوجها وتخشى أن تفرط برفيق حياتها الأمين في حياة خالدة، فتتمسك بالإيمان والتقوى. الويل ثم الويل لذلك الرجل الذي ينغمس في سفاهة تفقده زوجته الطيبة الصالحة. ويا لتعاسة تلك المرأة التي لا تقلد زوجها التقى الورع، فتخسر رفيقها الكريم الأبدى السعيد، والويل والشبور لذینك الزوجين الشقيين اللذين يقلدان بعضهما البعض الآخر في الفسوق والفحشاء، فيتسابقان في دفع أحدهما الآخر في النار"^(١).

ولقد اقتطف النورسي كلامه هذا من ثمار السنة النبوية الیانة الطيبة، كقول النبي الكريم - ﷺ -: {تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْزِيعِ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِحِمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ} ^(٢). ولقوله - ﷺ - فيما روته عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها: {تَحَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ، وَأَنْكِحُوا الْأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ} ^(٣).

وبناءً على قاعدة (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ) المستلهمة من نصوص السنة النبوية الشريفة، يرشد النورسي طلابه ضرورة اتخاذ المرأة الصالحة زوجة لهم، فيقول: "وإذا ما وجد الزوجة التي تعينه على خدمة القرآن والإيمان فبها ونعمت. إذ لا يضر هذا الزواج بخدمته وعمله للقرآن، والله الحمد والمنة ففي صفوف طلاب النور كثيرون من أمثال هؤلاء، وزوجاتهم لا يقصرن عنهم في خدمة القرآن والإيمان، بل قد يفقنهم ويسبقنهم لما فطرن عليه من

(١) اللمعات، اللمعة الرابعة والعشرون ٢٧٦.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري ١٩٥٨/٥ - كتاب النكاح - باب الأكفاء في الدين، برقم (٤٨٠٢)، وأخرجه مسلم ١٧٥/٤، كتاب الرضاع - باب استحباب نكاح ذات الدين، برقم (٣٧٠٨)، وكلاهما من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه)، واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه ٦٣٣/١، كتاب النكاح - باب الأكفاء، برقم (١٩٦٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٥٦، برقم (١٠٦٧).

الشفقة التي لا تتطلب عوضاً فيؤدين العمل بهذه البطولة الموهوبة لمن بإخلاص تام" (١).
ولقد فضّل النورسي في وصيته لطالبات النور اختيار حياة العزوبة إذا لم يتيسر لمن إيجاد الزوج الصالح، كي لا يقعن أسيرات لدى الأزواج الفاسدين فيضيع إيمانهن شيئاً فشيئاً ويغرقن في وحل العُري والفواحش، فيقول ما نصّه: "أخاطب بناتي من طالبات النور اللائي يرغبن في حياة العزوبة، ويفضلن البقاء باكرات، فأقول: يجب ألاّ يعن أنفسهن رخصات سافرات كاشفات عندما لا يجدن الزوج المؤمن الصالح ذا الأخلاق الحسنة الملائم لمن تماماً، بل عليهن البقاء في حياة العزوبة إن لم يجدن ذلك الزوج الكفء، كما هو حال بعض طلاب النور الأبطال، حتى يتقدم لطلبها من يلائمها ممن تربى بتربية الإسلام، وله وجدان حي، ليكون رفيق حياة أبدية يليق بها؛ وذلك لئلا تفسد سعادتها الأخروية لأجل لذة دنيوية طارئة فتغرق في سيئات المدنية" (٢).

ومن هنا كان اختيار الزوج الصالح من مقاصد هذه القاعدة العظيمة المستوحاة من نصوص القرآن الكريم والسنة والنبوية، ومثال ذلك ما قام به شعيب (عليه السلام) لما اختار لأحدى ابنتيه زوجاً صالحاً وهو موسى (عليه السلام) بعد ما علم أمانته وعفته، كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (٣٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ وَنَكُونَ لَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴿٣٧﴾ (سورة القصص، الآية ٢٦-٢٧).
ولقد جاء عن النبي - ﷺ - أنه قال: {إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَرُجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِضٌ} (٣).

٢- اختيار صحبة صالحة مقصد آخر مهم من مقاصد قاعدة (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ)، إذ ينبغي على الإنسان أن يصطفي لنفسه أصدقاءً مخلصين وأخلاءً صادقين يكونون عوناً له وظهيراً على ما أملت عليه تراتيب الحياة، وإزراراً له وسنداً في تحصيل الآداب الرفيعة، والأخلاق الرزينة، والعادات الحميدة، وخيرُ الصحب من ذكر بلقاء

(١) الملاحق، ملحق أميرداغ ٣٨٢/٢. والسيرة الذاتية ٥٥٩.

(٢) الملاحق، ملحق أميرداغ ٣٢٤/٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٩٤/٣، كتاب النكاح-باب إذا جاءكم من ترضون دينه وفروجه، برقم (١٠٨٤)، وابن ماجه ٦٣٢/١، كتاب النكاح-باب الأكفاء، برقم (١٩٦٧) وكلاهما من حديث أبي هريرة، واللفظ لابن ماجه، وحسنه الألباني.

الله، وساهم في إنقاذ إيمان المرء.

ومن هنا نجد أن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد أوجبت مصاحبة أناس صالحين وقرناء خيِّرين، كما قال تعالى آمراً حبيبه - عليه الصلاة والسلام - بذلك: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (سورة الكهف، الآية ٢٨).

وكذلك ما جاء عن النبي - ﷺ - أنه قال: {المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل} ^(١)، فالآية الكريمة والحديث النبوي يدلان ضرورة اختيار نخبة صالحة من الناس وملازمتهم وهذا ما تدعوا إليه قاعدة (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ)، فالصديق الحسن هو أنفـس شيء في الوجود، إذ هو حبل للوصول إلى الحق سبحانه؛ لأن الإنسان يتأثر أكثر ما يتأثر بصاحبه، لذا قالت العرب: "الصاحب ساحب، والطبع سراق"، ولهذا السبب أكد النورسي على هذه النقطة الجوهرية في أقواله وفي أفعاله، فيقول: "إن لقاء الأصدقاء ومجالسة الأخوان منبعٌ ثرٌّ للسلوان، لما يعاني منه الإنسان من سرعة تبدل هذه الحياة الدنيا، ومن زوالها وفسادها، ومن فنائها وفناء متعتها التي لا تجدي شيئاً، ومن صفعات الفراق والافتراق التي تنزلها بالإنسان. نعم! قد يقطع إنسان مسافة عشرين يوماً ويصرف مائة ليرة لأجل لقاء أخيه لساعات معدودة، ففي هذا الزمان العجيب الذي قلما يوجد فيه صديق صدوق، لا تعد هذه المشقات والمصاعب التي نزلت بنا مع ضياع الأموال ذات أهمية تذكر إزاء رؤية أربعين أو خمسين من الأصدقاء الصادقين والأخوة المخلصين دفعة واحدة طوال شهرين من الزمان، ومجالستهم ومحاورتهم في سبيل الله، والتسلي بهم وتسليتهم تسلية حقيقية، فأنا شخصياً كنت أَرْضَى بهذه المصاعب والمشقات رجاء رؤية واحد من اخوتي هنا فحسب بعد فراقهم عنهم عشر سنوات" ^(٢).

ولأهمية الصحبة الصالحة في حياة النورسي كانت دعوته في نشر رسائل النور تركز على هذه الدعامـة الصلدة، فقد استطاع بتوفيق من الله تعالى أن يجمع من حوله ثلة من الرجال جالوا في البلاد وصالوا ذائدين عن الهدى، فاستطاعوا بما يمتازون به من رباطة الجأش

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه من حديث أبي هريرة ١٨٩/٤، كتاب البر والصلة-برقم ٧٣٢٠، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) الشعاعات، الشعاع الثالث عشره ٣٤، والسير الذاتية ٤٠١.

أن ينشروا رسائل النور وينتشلوا الناس من حضيض السفاهة ودرك الجهالة والبلاهة، حتى أصبح التاريخ يتغنى بأسمائهم تنشد اسم (عبد الرحمن، وخلوصي، وصبري، وزبير، والحافظ علي، وخسرو) وغيرهم الكثير، فيقول النورسي في وصفهم: "إن الله سبحانه وتعالى قد أنعم عليّ بإخوة أقوياء جادّين، مخلصين، غيورين، مضحين، لهم أqlام كالسيوف الأمامية، ودفعهم ليعاونوا شخصاً مثلي لا يجيد الكتابة، نصف أُمي في ديار الغربة مهجور ممنوع عن الاختلاط بالناس، وحمل سبحانه كواهلهم القوية ما أثقل ظهري الضعيف العاجز من ثقل الخدمة القرآنية، فخفف بفضله وكرمه سبحانه حملي الثقيل"^(١).

٣- مسألة اختيار البيئة الصالحة لنشر الدعوة، وهذه من إحدى المقاصد العظمى لقاعدة (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ)، كما يتضح ذلك من خلا سيرة النبي - ﷺ - لما اختار يشرب مكاناً لأنشاء مدينته التي انعكس منها شعاع الإسلام واستضاءت بنوره المعمورة.

ولقد استطاع النورسي - أيضاً - أن يستغل فرصة وجوده . ولو مبعّداً ومرحلاً عن وطنه . في ولايتي إسبارطة وقسطموني . مركزاً لانتشار رسائل النور، وكان أهلها خير معينين له على ذلك^(٢)، ولأجل ذلك كان النورسي يتمنى أن يمكث في إسبارطة لشغفه حباً بها وبأهلها الكرام، فيقول: "إن أمنيّ الكبيرة هي أن أقضي نهاية حياتي في إسبارطة وحواليها. فقد قلت كما قال بطل النور: إن اسبارطة مباركة بالنسبة لي بقضها وقضيضها بترابها وحجرها. حتى انني متى ما اعتزاني الغضب والحدة على الإهانة والتعذيب الذي ألقاه من الحكومات السابقة منذ خمس وعشرين سنة، ما كنت اغضب على حكومة إسبارطة والمسؤولين فيها، بل كنت أنسى بقية المسؤولين لأجل تلك البقعة الطيبة، فما كنت أدعو عليهم"^(٣).

رابعاً: اغتنام الأوقات المباركة للدعاء والعبادة، واختيار أنسب الأوقات والأذكار النبوية.

انطلاقاً من قاعدة (خُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ) فإن رسائل النور ترشدنا أن ننتهز الأوقات المباركة والأيام العظيمة التي يستجاب فيها الدعاء ويتضاعف فيها الأجر، واعتماد

(١) المكتوبات، المكتوب الثامن والعشرون ٤٧٠.

(٢) ينظر: الملاحق، ملحق قسطموني ١٠٣.

(٣) الملاحق، ملحق أميرداغ ٣١٧/٢.

المأثور من الأدعية والأذكار، والأصل في هذا الإرشاد ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من تفضيل بعض الأيام والأوقات على غيرها، كليلة القدر التي قال الله تعالى فيها: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (سورة القدر، من الآية ٣)، فيقول الأستاذ مجيباً عن سؤال حول أفضل دعاء يدعو المؤمن لأخيه: "يجب ان يكون ضمن دائرة أسباب القبول؛ لأن الدعاء يكون مستجاباً ومقبولاً ضمن بعض الشروط، وتزداد الاستجابة كلما اجتمعت شروط القبول. فمنها: الطهور المعنوي، أي: الاستغفار عند الشروع بالدعاء، ثم ذكر الصلاة على الرسول - ﷺ -، وهي الدعاء المستجاب، وجعلها شفيعة للدعاء، وذكر الصلاة على الرسول - ﷺ - أيضاً في الختام؛ لأن دعاءً وسط دعائين مستجابين يكون مستجاباً، وأن يدعو بظهر الغيب، وأن يدعو بالمأثور من ادعية الرسول - ﷺ -، وما ورد في القرآن الكريم من أدعية، وأن يدعو بخلوص النية وخشوع القلب وحضوره. وأن يدعو دبر الصلوات - ولا سيما - دبر صلاة الفجر. وأن يدعو في الأماكن المباركة، ولا سيما في المساجد، وفي أيام الجمع - ولا سيما - في ساعة الاجابة، وفي الأشهر المباركة ولا سيما في الليالي المشهورة، وفي شهر رمضان ولا سيما في ليلة القدر. فإن الدعاء بهذه الشروط يرجى من رحمته تعالى أن يكون مقروناً بالاستجابة، فذلك الدعاء المستجاب إما أن يُرى أثره بعينه في الدنيا أو يستجاب لآخره المدعو له وحياته الخالدة" (١).

خامساً: أخذ ما يلزم من الحاجات الضرورية وترك الثانوية منها.

تعلمنا هذه القاعدة أمثلة كثيرة في مراعاة فقه الأولويات في حياتنا العملية، كي لا تختلط علينا الأمور، فنقدّم ما حقه التأخير، ونؤخّر ما حقه التعجيل به، ومن ذلك ما ذكره العلماء في مسألة التعلم والتعليم، فالذي ينبغي على طالب العلم كما يقول الإمام الغزالي: "أن لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة، بل يراعى الترتيب، ويتدبّر بالأهم، فإن العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالخزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه..." (٢).

والنورسي حدّثنا من اختلاط غير الضروري بالضروري وتقديمه عليه في حياتنا الدينية والدينية على أثر اتباع الهوى والتقليد الأعمى الذي نعاني منه في هذا العصر، حيث يقول: "إنّ هذا العصر العجيب الذي أثقل كاهل الإنسان بالحياة الدنيوية بما كثر عليه من متطلبات الحياة، وضيق عليه مواردها، وحول حاجاته غير الضرورية إلى ضرورة، بما ابتلاه من تقليد

(١) المكتوبات، المكتوب الثالث والعشرون ٣٤٦.

(٢) إحياء علوم الدين ١/٥٢.

الناس بعضهم بعضاً، ومن التمسك بعادات مستحكمة فيهم، حتى جعل الحياة والمعاش هي الغاية القصوى والمقصد الأعظم للإنسان في كل وقت. فهذا العصر العجيب أسدل بهذه الأمور حجاباً دون الحياة الدينية والأخروية والأبدية، أو في الأقل جعلها أمراً ثانوياً أو ثالثياً بالنسبة له، لذا جوزي الإنسان على خطئه هذا بلطمة قوية شديدة حوّلت دنياه جحيماً لا تطاق، وهكذا يتورط المتدينون أيضاً في هذه المصيبة الرهيبة، ولا يشعر قسم منهم أنهم قد وقعوا في الورطة"^(١).

ومن تطبيقات هذه القاعدة هو الاستفادة من إيجابيات المدنية الحديثة في الأمور التي لا تتعارض مع الأحكام الشرعية والمقاصد الدينية، وقد تطرقنا إلى هذا ذلك عند الحديث عن مقاصد قاعدة (خُذْ مَا صَفَا، دَعْ مَا كَدَّرَ) ولا داعي للتكرار.

المبحث الثالث

قاعدة: (الْأَخْذُ بِالْأَحْوِطِ) تَأْصِيلُهَا وَمَقَاصِدُهَا

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول

تأصيل قاعدة (الْأَخْذُ بِالْأَحْوِطِ)

تعتبر قاعدة الاحتياط من القواعد الشرعية التي تضافرت نصوص الشريعة على اعتبارها والأخذ بها؛ لأنها تقوم على مبدأ الورع الذي هو عماد الإسلام. قال الإمام البخاري الورع بأنه: "الأخذ بالأحوط في شأن الدين والحلال والحرام"^(٢). وقال الإمام السرخسي: "والأخذ بالاحتياط أصل في الشرع"^(٣)، ويقول الإمام الشاطبي: "والشريعة مبنية على الاحتياط، والأخذ بالحزم، والتحرز مما عسى أن يكون طريقاً إلى مفسدة"^(٤). وعرف المناوي الاحتياط بأنه: "الأخذ بالأوثق من جميع الجهات ومنه قولهم افعل الأحوط، يعني افعل ما هو أجمع لأصول الأحكام وأبعد عن شوائب التأويل"^(٥).

(١) الملاحق، ملحق قسطنطيني ١٣٨.

(٢) صحيح البخاري ٧٢٣/٢.

(٣) أصول السرخسي ٢١/٢.

(٤) الموافقات ٨٥/٣.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف ٣٩.

ولقد دأب العلماء وأئمة المذاهب في العمل بمضمون هذه القاعدة، - ولا سيما - الإمام الشافعي الذي يرى تقسيم الأحوط؛ لأنه أقرب إلى مقصود الشارع^(١). ولقد سار النورسي على نهج مذهبه فكان أحوط الناس وأوثقهم في مسائل كثيرة؛ خشية الوقوع في مخالفات شرعية تضُرُّ بصفاء دينه ودعوته، لذا أدرج - همه الله - ضمن رسائله مجموعة من القواعد الأصولية والفقهية تدخل ضمن قاعدة (الأخذ بالأحوط)، فمن تلك القواعد: قاعدة (درء المفسد أولى من جلب المنافع)^(٢)، وقاعدة (من محاسن الشريعة سدّ ابواب الفتن)^(٣)، فضلاً عن قواعد أخرى لم يذكرها صراحة، إلا أن التطبيقات الإيجابية التي أوصى بها تشير إليها، كقاعدة (الخروج من الخلاف مستحب)، وقاعدة (إذا اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام).

وجميع هذه القواعد التي عمل بها النورسي في دعوته تستند على أصول قرآنية ونبوية. فمن القرآن الكريم نكتفي بذكر آية واحدة خشية الإطالة والتكرار، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتَنُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (سورة الحجرات، من الآية ١٢). قال الفخر الرازي: "وقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ إشارة إلى الأخذ بالأحوط".

وأما أصل القاعدة من السنة النبوية الشريفة، فقد روي عن النبي - ﷺ - قال: {إِنَّ الْحَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ} ^(٤). وكذا ما روي عنه - ﷺ - أنه قال: {دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ، فَإِنَّ الصَّدَقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رَيْبَةٌ} ^(٥).

وجاء في السيرة الذاتية عن زهد بديع الزمان النورسي وورعه أنه قد: "اتخذ القاعدة

(١) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي ٤/٤٧٠.

(٢) ينظر: الملاحق، ملحق قسطنطيني ١٦٠.

(٣) ينظر: الملاحق، ملحق أميرداغ ١/٢٨٤.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري ٢/٧٢٣، كتاب البيوع - باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات، برقم (١٩٤٦)، ومسلم ٥/٥، كتاب المساقاة - باب أخذ الحلال وترك الشُّبُهَاتِ، برقم (٤١٧٨)،

وكلاهما أخرجاه من حديث النعمان بشير، واللفظ لمسلم

(٥) تقدم تخريجه.

النبوية الجليلة {دَعَّ مَا يَرْيُبُكَ إِلَى مَا لَا يَرْيُبُكَ} دستوراً لحياته من زاوية التصوف الذي وصفه الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، فترك كل ما فيه شبهة، حتى بدأ يقتات على الأعشاب، إلى أن وصل بتليس^(١).

المطلب الثاني

مقاصد قاعدة (الأخذ بالأحوط) وتطبيقاتها في العمل الإيجابي

لو استقرنا رسائل النور لتبين لنا أن قاعدة (الأخذ بالأحوط) لم ترد فيها إلا مرة واحدة^(٢)، إلا أن مضمون هذه القاعدة ومقاصدها قد أخذت حيزاً كبيراً من الرسائل، وشغلت جانباً عظيماً حياة الإمام النورسي وسيرته، بل نستطيع أن نقول: بأن جميع ما في رسائل النور من دعوة وإرشاد، تستند على هذا الأصل الجليل الذي يعد لبنة أساسية في الإسلام بدلالات من القرآن الكريم والسنة النبوية، فضلاً عن دلالات من القواعد الأصولية والفقهية الأخرى المتضمنة مقاصد هذه القاعدة، ومن هنا كان من الضرورة بمكان أن نستعرض نماذج من التطبيقات في العمل الإيجابي المتمخضة عنها، وبيان ذلك كالآتي:

أولاً: ترك السياسة الحاضرة^(٣) وهجرها.

إن رسائل النور قد وضحت لقارئها أن النورسي قد نفّر من السياسة الحاضرة مستعيذاً منها مرّات بقوله: "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة"^(٤)، بل أوجب تركها وعدم الخوض فيها، معتمداً على قاعدة سد الذريعة والأخذ بالأحوط^(٥) وتجنباً من أمور كثير منها:

١- تجنباً من المشاركة في الآثم والمعاونة على الباطل؛ لأن السياسة الحاضرة تقوم على مبدأ الخداع والتضليل والتزييف وتشويه الحقائق فضلاً عن كونها وسيلة قمع بيد الأنظمة

(١) السيرة الذاتية ٦٩.

(٢) ينظر: اللمعات، اللمعة السادسة عشرة ١٤٨.

(٣) يقول الأستاذ إحسان قاسم الصالحي: "لا شك أن السياسة بمفهومها الشرعي يزاوها المسلم بمواقفه من الأحداث اليومية؛ بيد أن السياسة التي خبرها الأستاذ النورسي وعرف عدم جدواها بل ضررها بالإخلاص والعمل الإسلامي، هي السياسة الميكيفيلية الحاضرة والتي وصفها بالوحش الكاسر فاستعاذ بالله منها" ينظر: هامش السيرة الذاتية ٢٣٧.

(٤) صيقل الإسلام، السانحات ٣٤٠، والسيرة الذاتية ٢٣٧.

(٥) لو تأملنا في هذه القاعدة لوجدناها تشترك مع القاعدتين السابقتين في الغاية والهدف، إذ أن الاحتياط في الأمور يضمن السلامة من الوقوع في المخطورات والمنهيات فيكسب المرء من خلال ذلك صفاء البال وسكينة الروح وراحة الفكر وهذا هو المطلوب.

المستبدة التي تعيث في الأرض فساداً وطغياناً، فيقول: "لقد خاض سعيد القديم غمار السياسة ما يقارب العشر سنوات علّه يخدم الدين والعلم عن طريقها، فذهبت محاولته ادراج الرياح، إذ رأى أن تلك الطريق ذات مشاكل، ومشكوك فيها. وأن التدخل فيها فضول - بالنسبة إليّ - فهي تحول بيني وبين القيام بأهم واجب. وهي ذات خطورة. وأن أغلبها خداع وأكاذيب. وهناك احتمال أن يكون الشخص آلة بيد الأجنبي دون إن يشعر، وكذا فالذي يخوض غمار السياسة إما أن يكون موافقاً لسياسة الدولة أو معارضاً لها، فإن كنت موافقاً فالتدخل فيها بالنسبة إليّ فضول ولا يعني بشيء، حيث إنني لست موظفاً في الدولة ولا نائباً في برلمانها، فلا معنى - عندئذٍ - لممارستي الأمور السياسية وهم ليسوا بحاجة إليّ لتدخل فيها. وإذا دخلت ضمن المعارضة أو السياسة المخالفة للدولة، فلا بد أن أتدخل إما عن طريق الفكر أو عن طريق القوة. فإن كان التدخل فكرياً فليس هناك حاجة إليّ أيضاً، لأن الأمور واضحة جداً، والجميع يعرفون المسائل مثلي، فلا داعي إلى الثرثرة، وإن كان التدخل بالقوة، أي بأن أظهر المعارضة بأحداث المشاكل لأجل الوصول إلى هدف مشكوك فيه، فهناك احتمال الولوج في آلاف من الآثام والاوزار، حيث يتتلى الكثيرون بجريرة شخص واحد، فلا يرضى وجداني الولوج في الآثام والقضاء الأبرياء فيها بناء على احتمال أو احتمالين من بين عشرة احتمالات؛ لأجل هذا فقد ترك سعيد القديم السياسة ومجالسها الدنيوية وقراءة الجرائد مع تركه السجارة"^(١).

٢- تجنباً من الموالاتة لجهة معينة تفضي إلى الدفاع عنها ولو كانت على الباطل، فيقول النورسي: "وقد مرت عليّ حادثة جدية بالملاحظة: رأيت ذات يوم رجلاً عليه سيماء العلم يقده بعالم فاضل، بانحياز مغرض حتى بلغ به الأمر إلى حد تكفيره، وذلك لخلاف بينهما حول أمور سياسية، بينما رأيته قد أثنى في الوقت نفسه على منافق يوافقه في الرأي السياسي! فأصابتني من هذه الحادثة رعدة شديدة، واستعدت بالله مما

(١) المكتوبات، المكتوب السادس عشر ٧٩، والسيرة الذاتية ٢٤١.

آلت إليه السياسة وقلت: «اعوذ بالله من الشيطان والسياسة». ومنذئذٍ انسحبت من ميدان الحياة السياسية^(١).

٣- الخوف من اقحام رسائل النور في الأمور الدنيوية وجعلها أداة للدنيا، فتسقط الحقائق في نظر أهلها، فيقول النورسي: "إن رسائل النور- ونحن الذين نتلقى الدرس منها درساً كاملاً- لن نجعلها أداةً للدنيا قاطبة ناهيك عن سياستها، ونحن لا نتدخل بدنيا أهل الدنيا...، إن القرآن الكريم قد منعنا من السياسة، لئلا تسقط في نظر أهل الدنيا الحقائق التي هي بنفاسة الألباس إلى مستوى القطع الزجاجية التافهة^(٢)."

وقد شهد طلاب النور لأستاذهم النورسي بأنه لم يستغل الدين كأداة للسياسة طوال حياته التي استغرقت أكثر من ربع قرن، وفي مؤلفاته ورسائله التي تربو على مئة وثلاثين رسالة، والتي دقت بإمعان من قبل خبراء مئات المحاكم بل حتى في أحلك الظروف التي تلجئه إلى السياسة لشدة مضايقات الظلمة المرتدين والمنافقين، بل حتى عندما أصدر أمر اعدامه سراً، لم يجد أحدٌ منهم أية أمانة كانت عليه حول استغلاله الدين لأجل السياسة، وقد عدّ طلاب النور ذلك دليلاً على الاخلاص الحقيقي ضمن دائرة رسائل النور^(٣).

٤- الخوف من خسارة السعادة الأخروية حين الاشتغال بالسياسة، فيقول النورسي مجيباً عن سؤال وجه إليه حول سبب تجنُّبه السياسة: "لئلا يضحي بسعيه وفوزه لأكثر من مليارات من السنين لحياة خالدة، من جراء تدخل فضولي لا يستغرق سنة أو سنتين من حياة دنيوية مشكوك فيها، ثم إنه يفرُّ فراراً شديداً من السياسة، خدمةً للقرآن والايمن والتي هي أجلّ خدمة وألزمها وأخلصها وأحقّها. لأنه يقول: إنني أتقدم في الشيب، ولا علم لي كم سأعيش بعد هذا العمر، لذا فالأولى لي العمل لحياة أبدية، وهذا هو الألزم، وحيث إن الايمان وسيلة الفوز بالحياة الأبدية ومفتاح السعادة الخالدة، فينبغي إذا السعي لأجله، بيد أني عالم ديني، مكلف شرعاً بإفادة الناس، لذا أريد أن أخدمهم من هذه الناحية أيضاً^(١)."

(١) المكتوبات، المکتوب الثاني والعشرين ٣٣١، والملاحق، ملحق أميرداغ ١/٣٠٠، والسيرة الذاتية ٢٣٧.

(٢) الملاحق، ملحق قسطنطيني ٢٠١.

(٣) ينظر: هامش صيقل الإسلام، الخطبة الشامية ٤٧٦.

(١) المكتوبات، المکتوب السادس عشر ٨٠، والسيرة الذاتية ٢٣٩.

٥- الخوف من التفرق والانشقاق وتفشي روح المنافسد والحسد والبغض بين أهل الحق بسبب السياسة، فيقول النورسي: "حذار.. حذار.. أيها الإخوة من أن تقذفكم التيارات الدنيوية -ولاسيما- السياسية منها، - ولاسيما- التيارات التي تلفت الأنظار نحو الخارج، إلى التفرقة، إذ تجعلكم بعد ذلك عاجزين ضعفاء أمام الفرق الضالة المتحدة، فحذار أن يجري فيكم حكم ذلك الدستور الشيطاني والعياذ بالله: "الحب في السياسة والبغض في السياسة" بدلا من الدستور الرحماني {الحب في الله والبغض في الله} إذ عندها تعادون أحبا لكم هو في الحقيقة كالملاك، وتولون الحب لرفيق في السياسة وهو كالخناس، وتبدون الرضا لظلمه، وتشاركونه في جنايته ضمنا"^(١).

ثانياً: عدم المشاركة في الثورات والمظاهرات حقناً للدماء وحفاظاً على أمن البلاد واستقراره

تستند دعوة النورسي من خلال رسائله النورانية على قاعدة (الْأَخْذُ بِالْأَحْوَطِ)، وعلى الدساتير القرآنية المتجسدة في هذه القاعدة، فتفرض دعوته المباركة ممارسة أي عمل سلمي مضر بأمن البلاد واستقراره، فالثورات والمظاهرات في نظر النورسي نتائجها وخيمة، لا تثمر إلا العنف والدمار والقتل والتشريد والجوع والفقر، فضلاً عن تدخل الأجنبي في شؤون البلاد؛ لذا رفض - رحمه الله - المشاركة في كثير من الثورات التي دُعي إليها، كالثورة التي قامت بها العشائر الكردية في تركيا بقيادة الشيخ (سعيد بيران) ضد سياسة مصطفى كمال، لعدم رغبته في إهراق دماء الأبرياء من المسلمين في ثورة لا أمل فيها فضلاً عن السلب والنهب الذي سيطول أموال الناس^(٢).

وعملاً بهذه القاعدة يرى بديع الزمان أن "المسألة الأساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي، وإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة. نعم، إن في مسلكتنا قوة، إلا أننا لم نقم باستعمالها إلا في تأمين الأمن الداخلي، لذا قمت طوال حياتي بتحقيق الأمن الداخلي اتباعاً لدستور الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (سورة الإسراء، من الآية ١٥) أي لا يجوز معاقبة إنسان بجريرة أخيه أو أحبائه، إن هذه

(١) الملاحق، ملحق قسطنطين ١٤٤.

(٢) ينظر: السيرة الذاتية، ونظرة عامة عن حياة بديع الزمان ٤٣-٤٤.

القوة لا يمكن استعمالها إلاّ ضد الهجمات الخارجية، إن وظيفتنا -وفق دستور الآية الكريمة المذكورة- هي الإعانة على ضمان الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة، لهذا السبب لم تشتعل نار الحروب الداخلية المحلّة بنظام الأمن الداخلي في العالم الإسلامي إلاّ بنسبة واحد من الألف"^(١).

ومن جانب آخر ومن باب الأخذ بالأخوطة يرى النورسي أن تترك الخلافات الداخلية مغبة الانقسام والتشردم والتفرق وسيطرة الأعداء الخارجيين، ولا بُدَّ من السعي إلى توحيد الجهود في مواجهة أي اعتداء أجنبي، ومحاولة لَمّ الشمل ورأب الصدع، فيقول: "فيا أهل الحق! ويا أهل الشريعة والحقيقة والطريقة! ويا من تنشدون الحق لأجل الحق! أسعوا في دفع هذا المرض الرهيب، مرض الاختلاف بتأديبكم بالأدب الفرقاني العظيم، ألا وهو: ﴿وَلِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (سورة الفرقان، الآية ٧٢)، فاعفوا عن هفوات اخوانكم واصفحوا عن تقصيراتهم، وغضوا ابصاركم عن عيوب بعضهم البعض الآخر، ودعوا المناقشات الداخلية جانباً، فالأعداء الخارجيون يغيرون عليكم من كل صوب، واجعلوا إنقاذ أهل الحق من السقوط والذلة من أهم واجباتكم الأخروية وأولاهها بالاهتمام، وامثلوا بما تأمركم به مئات الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة من التآخي والتحابب والتعاون، واستمسكوا بكل مشاعركم بعري الاتفاق والوفاق مع إخوانكم في الدين ونهج الحق المبين بأشد مما يستمسك به الدنيويون الغافلون، واحذروا دائماً من الوقوع في شباك الاختلاف"^(٢).

ثالثاً: الابتعاد عن فتح باب النقاش مع العلماء ومجادلتهم، والعفو قدر المستطاع عن المسيئين.

ومن مقاصد هذه القاعدة أن لا يفتح باب النقاش والمجادلة مع العلماء، احتياطاً، وتحزراً من الإضرار برسائل النور من جهة وبوحدة الصف من جهة أخرى، فيقول النورسي: "اخوتي! عليكم بمنتهى الحيطة والحذر، وإياكم وإياكم أن تفتحوا باب النقاش مع العلماء، بل يجب التعامل معهم بالحسنى والمصالحة على قدر الإمكان، فلا تتعرضوا لغرورهم العلمي حتى لو كان أحدهم ميّالاً إلى البدع ومستحدثات الأمور؛ لأنّ الزندقة الرهيبة تجاهنا، فيجب عدم

(١) الملاحق، ملحق أميرداغ ٢/٤٠٠، والسيرة الذاتية ٥٣٢.

(٢) اللغات، اللعة العشرون ٢١٦..

دفع هؤلاء المبتدعين إلى صف الملحدين، وإذا ما صادفتم علماء رسميين أرسلوا إليكم خاصة، فلا تفتحوا باب النزاع معهم؛ لأن اعتراضاتهم باسم العلم سيكون مستنداً بيد المنافقين...^(١).

وحفاظاً على دعوته الإيمانية من الضرر جعله يوصي طلابه بالعفو والتجاوز عن المخطئين، وعدم الولوج معهم في خصومة طويلة، فيقول: "فعلى إخوتي في الآخرة أن يتجاوزوا عن المجهوم على أخطاء بعض المخطئين المساكين، وليعدّوها من قبيل أهون الشرين؛ وليقوموا بالعمل الإيجابي دائماً، لأن العمل السلبي ليس من وظيفتنا، ولأن العمل السلبي في الداخل لا يُغتفر، ومادام قسم من السياسيين لا يلحقون الضرر برسائل النور، بل مسامحون قليلاً؛ لذا انظروا إليهم كأهون الشرين، ومن أجل التخلص من أعظم الشر فلا تمسوهم بضرر، بل حاولوا أن تنفعوهم"^(٢).

رابعاً: عدم الدّعاء على الظالمين رحمة بذريتهم.

ومن مقاصد قاعدة الأخذ بالأخوطة يعلمنا النورسي درساً بليغاً في الشفقة والرحمة، فهو يرى من باب الاحتياط عدم الدّعاء على الظالمين رأفة ورحمة بعائلاتهم من زوجات وبنات وبنين لكيلا يتضرروا من فقد آبائهم بسبب استجابة ذلك الدّعاء، فيقول: "لما كانت الشفقة" دستور حياتي منذ ثلاثين سنة، وأساس مسلكي ومسلك "رسائل النور"، فإنني لا أجنّب التعرض للمجرمين الذين ظلموني وحدّهم بل لا أستطيع حتى مقابلتهم بالدّعاء عليهم؛ وذلك لكي لا أتسبب في إلحاق الضرر بأي شخص بريء، بل إنّ هذه الشفقة هي التي منعتني من أن أتعرض، أو حتى أن أدعو على بعض الفساق بل الظالمين اللادينيين الذين اندفعوا بحقد شديد في ظلمي، ذلك لكي لا أتسبب في ضرر مادي يلحق بالشيوخ والعجائز المساكين من أمثال والد ذلك الظالم أو والدته، أو في الإضرار بأنفس بريئة مثل أولاده، لذا فمن أجل أربع أو خمس من الأنفس البريئة لا أستطيع التعرّض لذلك الظالم الغدار، بل أعفو عنهم أحياناً"^(١).

(١) الملاحق، ملحق أميرداغ ١/٢٦٦.

(٢) الملاحق، ملحق أميرداغ ٢/٤٠٤، والسيرة الذاتية ٥٣٦.

(١) الشعاعات، الشعاع الرابع عشر ٤١

خامساً: الانشغال بالدعوة إلى الله تعالى فحسب وبذل الوسع في انقاذ إيمان

الناس

لأجل هذه الغاية السامية ضحى النورسي بسعاده الدنيوية تاركاً المباح والرخص الشرعية وأخذاً بالعزيمة في الأحكام وما ذلك إلا من باب الاحتياط كي لا تتضرر دعوته في خدمة القرآن والإيمان، ومن تلك المباحات والرخص التي عزف عنها أخذاً بنظرية الاحتياط ما يأتي:

١- البقاء عزياً من دون زواج. فالزواج في الشريعة الإسلامية ترد عليه الأحكام الفقهية المختلفة، من وجوب وندب وحرمة وكراهة وإباحة، وذلك حسب حالة الشخص وما يحيط به^(١)، فالإمام النورسي ترك الزواج من باب فقه الأولويات، ثم أخذاً منه بالأحوط، وكذا تقديماً لمقصد الدين على المقاصد الشرعية الأخرى، شأنه في ذلك شأن كثير من أهل العلم الذين آثروا العلم وخدمته على الزواج^(٢).

يقول النورسي: "في الوقت الذي يلزم لصدم هجوم زندقة رهيبة تُغير منذ أربعين سنة، فدائيون يضخون بكل ما لديهم، قررت أن اضحي لحقيقة القرآن الكريم لا بسعادي الدنيوية وحدها، بل إذا استدعى الأمر بسعادي الأخرى كذلك، فلأجل أن أتمكن من القيام بخدمة القرآن على وجهها الصحيح بإخلاص حقيقي ما كان لي بد من ترك زواج الدنيا الوقي - مع علمي بأنه سنة نبوية - بل لو وُهب لي عشر من الحور العين في هذه الدنيا، لوجدت نفسي مضطرة إلى التخلي عنهن جميعاً، لأجل تلك الحقيقة، حقيقة القرآن؛ لأن هذه المنظومات الملحدة الرهيبة تشن هجمات عنيفة، وتدبر مكاييد خبيثة، فلا بد لصدها من منتهى التضحية وغاية الفداء، وجعل جميع الأعمال في سبيل نشر الدين خالصة لوجه الله وحده، من دون أن تكون وسيلة لشيء مهما كان...، ولقد افترى علماء منكوبون، وناس أتقياء، لصالح البدع، أو ظهروا بمظهر الموالين لهم، من جراء هموم عيش أولادهم وأهليهم، فيقتضى منتهى التضحية والفداء، ومنتهى الثبات والصلابة وغاية الاستغناء عن الناس، وعن

(١) ينظر للتفصيل: بدائع الصنائع، للكاساني: ٢/٢٢٨، وبداية المجتهد: ٢/٢، ومغني المحتاج، للخطيب الشيريني: ٤/٢٠٣. والمغني، لان قدامة: ٩/٣٤٠. والفقه الإسلامي وأدلته: ٩/٦٤٩١.

(٢) وقد جمع الشيخ عبد الفتاح أبو غدة هذه المواقف وأعلامها في رسالته: العلماء العزباء الذين آثروا العلم على الزواج.

كل شيء، تجاه المحجوم المرعب العنيف على الدين، - ولا سيما - بعد الغاء دروس الدين في المدارس وتبديل الأذان الشرعي ومنع الحجاب بقوة القانون؛ لذا تركت عادة الزواج الذي أعلم أنها سنة نبوية؛ لئلا أُلج في محرمات كثيرة، ولكي أتمكن من القيام بكثير من الواجبات واداء الفرائض، إذ لا يمكن أن تقترب محرمات كثيرة لأجل أداء سُنَّة واحدة^(١). فحمل الأمر الوارد بالزواج في القرآن والسنة على الاستحباب، وبين أنه متوقف على توفر الشروط، وعند تعذر تحقيق هذه الشروط لا يبقى الحكم على ما كان عليه^(٢).

٢- رفض المناصب الدنيوية، والتخلي عنها وعن الصيت والشهرة، لمصلحة راجحة، وأخذاً بالأحوط، ونياً لمقصد أسمى وأهم وأولى، وهو الإخلاص وحفظ الدين والنفس من المهالك، ودفعاً للضرر، فالمعلوم من حياة الإمام النورسي أن رئيس الجمهورية "مصطفى كمال" استدعاه إلى أنقرة وعرض عليه منصب الواعظ العام لجميع الولايات الشرقية لتركيا، وراتب وزيري مغري، بعد أن قرأ بإعجاب رسالته "الخطوات الست" الموجهة لصدّ الاحتلال الإنجليزي وسياساتهم العدائية تجاه الخلافة الإسلامية في اسطنبول، إلا أن الإمام النورسي رفضه، ورجّح الخدمة الإيمانية على المصالح الأخرى، بعد أن رأى أن التفاهم مع أهل السلطة في أنقرة غير ممكن، ولا يجدي هذا المنصب نفعاً راجحاً للمسلمين^(٣)، وقد دار الزمان وتبيّن رجاحة ما رآه الإمام.

يقول النورسي: "عازم على ألا أضحي بالمناصب الدنيوية وأمجادها الزائفة وحدها، بل لو أسند إليّ - فرضاً - مقامات معنوية عظيمة، فإنني أضحي بها أيضاً لخدمتي للإيمان والقرآن خشية اختلاط حظوظ نفسي بإخلاصي في الخدمة، وقد قمت بهذا فعلاً"^(٤).

٣- رفض الهدايا والامتناع عن قبولها، احتياطاً وحفاظاً على الإخلاص، وصيانة لدعوته ولرسائل النور، يقول النورسي: "انني لا أقبل الصدقات والمعونات، كما لا أكون

(١) الملاحق، ملحق أميرداغ ٣٨١/٢، والسيرة الذاتية ٥٥٨

(٢) ينظر: الملاحق، ملحق أميرداغ ٣٨١/٢-٣٨٢.

(٣) ينظر: الشعاعات، الشعاع الثاني عشر ٣٢٤، والملاحق، ملحق أميرداغ ٣٠٢/١، والسيرة الذاتية ٢٢٠.

(٤) الشعاعات، الشعاع الرابع عشر ٤٤٤.

وسيلة لأمثالها من المساعدات، لذا أبيع ملابسي الخاصة وحاجياتي الضرورية، لأبتاع بئمنها - من اخوتي - كتيبي التي استنسخوها وذلك لأحول دون دخول منافع دنيوية في إخلاص رسائل النور؛ لئلا يصيبها ضرر، وليعتبر من ذلك الأخوة الآخرون، فلا يجعلوا الرسائل وسيلة لأي شيء كان"^(١). ودليل النورسي هو ما جاء في مذهبه، فيقول: "إن السبب المهم للاستغناء عن الناس هو ما يقوله ابن حجر الموثوق حسب مذهبنا (الشافعي): يحرم قبول ما يوهب لك بنية الصلاح، إن لم تكن صالحاً، نعم إن إنسان هذا العصر يبيع هديته البخسة بئمن باهظ، لحرصه وطمعه، فيتصور شخصاً مذنباً عاجزاً مثلي ولياً صالحاً، ثم يعطيني رغيفاً هديّة، فإذا اعتقدت أنني صالح - حاش لله - فهذا علامة الغرور، ودليل على عدم الصلاح، وإن لم اعتقد صلاحي، فقبول ذلك المال غير جائز لي، وايضاً إن أخذ الصدقة والهدية مقابل الأعمال المتوجهة للآخرة يعني قطف ثمرات خالدة للآخرة، بصورة فانية في الدنيا"^(٢).

٤- عدم اطلاق اللحية من باب الأخذ بالأحوط صيانة للدين وحفاظاً على سلامة الدعوة، وقطع دابر المستهزئين، وفعل النورسي كان من قبيل الموازنة بين ما هو الأهم والمهم، فيقول: "إن إطلاق اللحية سنة نبوية، وليست خاصة بالعلماء، وقد نشأت منذ صغري عدم اللحية وعشت في وسط اناس تسعين بالمئة منهم لا يطلقون لحاهم، هذا وأن الأعداء يغيرون علينا دائماً وقد حلقوا لحي بعض احبابي، فأدركت عندها حكمة عدم اطلاق اللحية، وأنه عناية ربانية، إذ لو كنت مطلقاً اللحية وحلقت، لكانت رسائل النور تتضرر ضرراً بالغاً، حيث كنت لا تحمل ذلك فأموت، ولقد قال بعض العلماء: لا يجوز حلق اللحية، وهم يقصدون عدم حلقها بعد إطلاقها، لأن حلقها بعد إطلاقها حرام، أما إذا لم يطلقها فيكون تاركاً لسنة نبوية"^(٣).

ويضيف النورسي علّة أخرى تمنعه من إطلاق اللحية فيقول: "إن سبب عدم عملي بهذه السنة النبوية هو: إن لي أكثر من مليون من الطلاب، فإن أطلقت اللحية فهم يطلقونها شيباً وشباباً، وستكون لحيه الشباب موضع استهزاء لدى أقرانهم، ولهذا أجّلت اتباع هذه

(١) الملاحق، ملحق أميرداغ/١/٣٠٠.

(٢) المكتوبات، المكتوب الثاني/١٧.

(٣) الملاحق، ملحق أميرداغ/١/٢٣٦.

السنة النبوية"^(١).

ومن يتأمل كلام النورسي يرى أن حلق اللحية كان لضرف مؤقت حيث اشتد فيه الحرب على الإسلام، وسعى الملحدون من كل جانب مسخ الدين وتشويه حقائقه واجتثاثه من قلوب أهلها، فالضرورة الدينية هي التي أجبرت النورسي على مخالفة هذه السنة النبوية الشريفة، ويرى أنه متى زالت هذه الضرورة فإن الواجب يقتضي أعفاء اللحية وتحريم حلقها امتثالاً للسنة المطهرة، وقد صوّب رأيه هذا في عصره علماء مشهورون، من أمثال المفتي والعالم الجليل السيد "علي رضا"، وهو من أكبر علماء إسطنبول وأكثرهم تحريماً وبحثاً، والذي تولى في أغلب الأوقات منصب مفتي الأنام، وكان لفترة أميناً للفتوى أيضاً^(٢).

سادساً: الابتعاد عن الاختلاط بالنساء من غير ضرورة شرعية

فمن باب الأخذ بالأحوط يرى النورسي تجنب الاختلاط بالنساء من غير ضرورة شرعية أو حاجة ملحة تجنباً من الوقوع في عواقب وخيمة منها:

١- يرى النورسي أن التبرج والاختلاط يثيران هوى النفس، ويطلق الشهوات من عقالها، ويؤدي هذا حتماً إلى الإفراط وتجاوز الحدود وإلى ضعف النسل وانهايار القوى، حيث إن الرجل الذي يمكنه أن يقضي وطره الفطري في شهر أو في عشرين يوماً يظن نفسه مضطراً إلى دفعه كل بضعة أيام، وحيث إن هناك عوارض فطرية - كالحيض - تجنبه عن أهله وقد تطول خمسة عشر يوماً، تراه ينساق إلى الفحش إن كان مغلوباً لنفسه^(٣).

٢- ويرى النورسي أيضاً أنه: "كلما دخلت امرأة حسناء في مجلس من مجالس الإخوان تنبّه عرق الرياء والحسد والمنافسة. ففي تكشف النساء تكشف عن الأخلاق السيئة في الإنسان المتحضر"^(١).

٣- ويرى النورسي أن هناك حقيقة أخرى تتعلق بالنتائج والآثار السيكولوجية المترتبة على وضع الاختلاط والعري المبدول، فالرغبة الشهوية أو الفحولة الرجالية تنكسر على

(١) ينظر: السيرة الذاتية ٥٦٠، والشهود الأواخر، شهادة حلمي آريجي ٢٢٩/٢.

(٢) ينظر: الملاحق، ملحق قسطنطيني ١٨٧.

(٣) ينظر: اللمعات، اللمعة الرابعة والعشرون ٢٧٩.

(١) المكتوبات، نوى الحقائق ٦٠٣.

إيقاع تَوَطُّد ظاهرة التعري الأنثوي، الأمر الذي ينعكس بالسلب على عملية الإنجاب والإنسال^(١).

فالتحذير من المخالطة بين الرجال والنساء هي لسد باب الفتنة، وهذه المسألة قد أجمع عليها العلماء وأئمة المذاهب، فالكتب الفقهية زاخرة بالفروع والجزئيات التي تشدد على ضرورة عدم المخالطة بين الجنسين لما فيها من مفسد وعواقب وخيمة، يقول ابن القيم الجوزية (ت ٧١٥هـ): "أن ولي الأمر يجب عليه أن يمنع اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق والفرج ومجامع الرجال...، وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - النساء من المشي في طريق الرجال والاختلاط بهم في الطريق، فعلى ولي الأمر أن يقتدى به في ذلك...، ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة...، فمن أعظم أسباب الموت العام كثرة الزنا بسبب تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال والمشي بينهم متبرجات متجملات، ولو علم أولياء الأمر ما في ذلك من فساد الدنيا والرعية قبل الدين لكانوا أشد شيء منعاً لذلك".

سابعاً: إحسان الظن بالناس

يرى النورسي عملاً بنظرية الاحتياط وجوب إحسان الظن بالناس خوفاً من الوقوع في الإثم إذا كان الظن في غير موقعه الصحيح عملاً بالدستور القرآني: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (سورة الحجرات، من الآية ١٢).

ويذكر أحد طلابه بأن الأستاذ لم يكن يقبل أن يغتاب أحد أمامه، فإذا ما قلنا في مجلسه: يا أستاذنا أن فلاناً قال كذا وكذا...، يجيبنا بقوله: أنتم على خطأ، إنه صديق حميم لي، وهو من قراء رسائل النور، وشخص مثله لا يقول ما تذكرونه عنه، كأنكم تريدون أن تقطعوا ما بيننا من علاقات ووشائج، وأحياناً كانت تردده رسالة أو يقول له أحدهم: إن العالم الفلاني يعادي الأستاذ ورسائل النور، ويقول الأستاذ: إن هذا الرجل هو من أهل العلم فهو صديقنا، فيضطر القائل أن يسكت، وكان دائماً يحاول أن يؤول الأمور بحسن الظن،

(١) ينظر: النورسي في رحاب القرآن، لسليمان عشاري ٤١١.

ويبحثنا على ذلك ويقول: نحن مكلفون بحسن الظن^(١).

ثامناً: الابتعاد عن تكفير المسلمين أو لعنهم

ربى النورسي طلابه على مبدأ الشفقة والرحمة في التعامل مع جميع الناس، حتى أننا نلتمس هذه الحقيقة من طلابها عند لقائنا بهم فضلاً عما هو مكتوب في رسائل النور ومدون في صفحاتها، فالنورسي أرشد طلابه ضرورة التثبت والتحرز من تكفير المسلمين أو لعنهم، ما داموا مؤمنين، ولم يظهر منهم كفراً بواحاً وإن كانوا مخالفين له ولدعوته، وهذا من قبيل الأخذ بالأخوطة، فقد يُكفّر شخصٌ وليس فيه ما يستوجب كفره فتعود إلى مَنْ كَفَرَهُ، كما جاء في الحديث الشريف: {يَمَّا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ. فَقَدْ بَاءَ بِمَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعْتَ عَلَيْهِ} (٢).

يقول النورسي: "لأجل إثارة الموظفين المسلمين ضدي، يشيعون أن سعيداً يقول: أنهم لا إيمان لهم ولا دين. وثراً ذلك بصورة رسمية في المحكمة....، أقول الآن أمام هذه الحالة: أولاً: نظراً لما جُبِلْتُ عليه فطرياً، من شفقة ورحمة، فقد عُرف عني ابتعادي عن التكفير خلافاً لبقية علماء الدين. ثانياً: رغم أن المذهب الحنفي يعتبر العديد من المواد كُفْراً، فإن المذهب الشافعي لا يعتبر تلك الحالات كفراً. وإنما من الكبائر، ومع أنني شافعي المذهب، إلا أنني أتردد في الحكم بالكفر إن كان للتأويل مجال. ولأني أرى التكفير أمر ثقيل جداً. فلا يُحكم بالكفر إلا إذا ظهر كفر بواح. ثالثاً: إنني أقصد في أقوالي بكلمات مثل (بدون دين) أو (زنديق)، تلك الجهات التي لم يسبق لي معرفتها، والتي تقوم منذ أربعين عاماً بمحاربة الإسلام والإيمان في هذه الأمة، تلك الهيئة التي جذورها في أوروبا. إنني أسامح الكثيرين من الذين يعذبوني ويظلموني، من أجل المظلومين. ولكن أحياناً تأتيني حالات من العصبية والحدة، أقول عنهم: إنهم من أهل الضلالة. أي إنهم بأعمالهم وحركاتهم يقعون في دائرة الفسق والضلالة والظلم. وهذا لا يعني وقوعهم في الكفر. رابعاً: إن التحدث عن أناس غير محددين أو مذكورين بالاسم كالقول: إن من يعمل هذا العمل هو منافق، أو بلا دين، أو

(١) ينظر: السيرة الذاتية ٥٩٥.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه ٢٢٦٣/٥، كتاب الأدب - باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، برقم (٥٧٥٢)، وأخرجه مسلم ٥٦/١، كتاب الإيمان - باب بَيَانِ خَالِ إِيْمَانٍ مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمُ يَا كَافِرُ، برقم (٢٢٥) وكلاهما من حديث عبدالله ابن عمر، واللفظ لمسلم.

كافر لا يُعتبر حتى بحكم الغيبة والنميمة. كما يذكر القرآن الكريم عبارات شديدة حول أناس غير محددين. إلا أن المدعي العام يحاول التلميح أن المقصود أشخاص محددون. وهو بذلك يُكفّر نفسه بنفسه. ومحاولته إلصاقها بي إجراء غير قانوني تماماً وكلياً^(١).

أما في مسألة اللعن - ولا سيما - فيما يتعلق بلعن يزيد وأمثاله من الظالمين كالحجاج والوليد، فإن النورسي قد مأل إلى رأي السيد شريف الجرجاني، فيقول: "حتى أن سعد الدين التفتازاني وهو من أئمة علم الكلام وأهل السنة الذي جَوّز تلعين يزيد والوليد وتضليلهما، قد انبرى له السيد الشريف الجرجاني وهو من أجلة علماء أهل السنة قائلاً: "مع أن يزيد والوليد فاجران وظالمان غداران إلا أن العلم بانهما قد رحلا إلى الآخرة على غير الايمان من أمور الغيب. ولأن هذا غيب ولا يُعلم به علماً قاطعاً بأنهم قد تركوا الدنيا على غير الايمان وليس لنا دليل قطعي ولا نص جازم على ذلك، وهناك احتمال التوبة وذهابهما من الدنيا على الايمان، فلأجل هذا لا تجوز اللعنة بمثل هذا التخصيص والتلعين الشخصي، وإنما تجوز اللعنة إذا كانت عامة كأن يقول: لعنة الله على الظالمين والمنافقين. والأ فلا ضرورة لغير هذا النوع من اللعنة ولا لزوم لها بل لها ضرر"^(٢).

وخلاصة الأمر: إنّ الإمام النورسي دأبه الحفاظ على وحدة المسلمين وجمع كلمتهم، لذا كان يوصي طلابه من باب الحيطة والحذر بعدم الخوض في مسائل النزاع، حفاظاً على راحة جماعته وصيانة لعدم زعزعتهم^(٣).

تاسعاً: معاملة غير المسلمين ولا سيما أهل الكتاب بالحسنى وعدم جرح مشاعرهم

فالنورسي - رحمه الله - واستناداً على قاعدة (الْأَخْذُ بِالْأَخْوَطِ) المستلزمة من فيض القرآن الكريم، ودفعاً للضرر الأشد، وسداً لباب الوقوع في المحرمات، والتزاماً بفضائل الأخلاق، يرشدنا ضرورة احترام الناس وإن كانوا غير مسلمين، ولم يجز تحقيرهم أو التعرض لهم بكلمات جارحة، حفاظاً على منهجية الدعوة المتسمة بالرحمة والتوقير، فضلاً عن ذلك فإن فيه تحاشياً وتلافياً لأن يتطاولوا على الإسلام وحقائقه بكلمات نابية وألفاظ سيئة، كأن

(١) الشهود الأواخر، شهادة محمد قايها ٢٧١-٢٧٢.

(٢) الملاحق، ملحق أميرداغ ٢٨٤/١.

(٣) ينظر: الملاحق، ملحق قسطنطيني ٢٠٤.

يسبوا الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة الأنعام، الآية ١٠٨).

ففي معرض الجواب عن أسئلة وجهتها العشائر الكردية للنورسي تتوضح لنا حكمة الآية: "سؤال: إن قسماً من أفراد (جون تورك) يقولون: لا تخاطبوا النصارى ب: (يا كافر) استهانةً بهم، فهم أهل كتاب!.. لماذا لا نخاطب الكافر ب (أيها الكافر)؟!". الجواب: مثلما لا تقولون للأعور: أيها الأعور! لئلا يتأذى، فهناك نهي عن آذاهم...، وثانياً للكافر معنيان: فالأول: وهو المتبادر إلى الذهن عرفاً وهو: المنكر للخالق سبحانه والملحد الذي لا دين له، فهذا المعنى ليس لنا الحق في إطلاقه على أهل الكتاب. وثانيه: هو المنكر لرسولنا الأعظم - ﷺ - وللإسلام، فهذا المعنى، لنا الحق أن نطلقه عليهم، وهم راضون به كذلك، ولكن لما كان المعنى الأول هو الذي يتبادر إلى الذهن مباشرة، صارت تلك الكلمة، كلمة تحقير واهانة واذى...^(١).

عاشراً: الاتفاق مع الروحانيين المتدينين من النصارى

يرى النورسي أن الضرورة والاحتياط تقتضيان الاتفاق مع الروحانيين المتدينين من النصارى وترك جميع ما يثير الخلافات والمناقشات؛ دعواً لعدوهم المشترك المتعدي؛ لأن الكفر المطلق يشن هجوماً عنيفاً^(٢)، وتوجيه النورسي مطابق لما أمر به الله تعالى قائلاً: ﴿قُلْ يَتَاهَلْ أَلْكُتِبُ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَزُ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا شُرَكَ لَهُ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران، الآية ٦٤).

حادية عشرة: اغتنام أوقات الفراغ والصحة والغنى والشباب في الطاعة والحاجات النافعة.

تعلمنا رسائل النور في أغلب صفحاتها أن الإنسان موظف مأمور، وأنه لم يخلق سدى حتى يتصرف في عمره كيفما يشاء، وأن هناك حياة أبدية في انتظاره؛ لذا يستوجب عليه أن يغتنم حياته الدنيوية في الطاعة والعبادة وما هو نافع لنفسه وللعباد من بعده، حتى يضمن

(١) صيقل الإسلام، المناظرات ٣٧٤.

(٢) ينظر: هامش اللغات، اللعة العشرون ٢١٠، والملاحق، ملحق أميرداغ ٢٨٣/١.

لنفسه سعادة خالدة في الآخرة، فمن باب الاحتياط يستلزم على الإنسان استثمار جميع أوقاته من فراغ أو صحة أو غنى أو شباب في تحقيق هذا المقصد، كما أمر النبي (ﷺ) بذلك قائلاً: {اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ} ^(١). يقول النورسي: "اعلمي أيتها النفس! إن الأمس قد فاتك. أما الغد فلم يأت بعد، وليس لديك عهد أنك ستملكينه، لهذا فاحسبي عمرك الحقيقي هو هذا اليوم. وأقل القليل أن تلقي ساعة منه في صندوق الادّخار الأخروي، وهو المسجد أو السجادة لتضميني المستقبل الحقيقي الخالد" ^(٢).

الخاتمة

توصل الباحث بعد الغوص في التفاصيل المستفادة من رسائل النور إلى جملة من النتائج أبرزها:

- ١- إن تطبيق تلكم القواعد قميّة بإحداث التوازن والاستقرار في المجتمعات البشرية، وجديرة بأن تكون دعامة في ترسيخ معالم الحضارة الإنسانية، وإبراز حسناتها وجمالها وكماها، فهذه القواعد تكتنف في أحضانها مقاصد سامية مدعاة إلى تكوين مدينة قرآنية تلي جميع احتياجات الإنسان المادية منها والروحية، لدرجة يشعر معها أن الدنيا قد انزوت له فينطلق في جنباتها؛ ليؤدي مهامه التي وكلّ بها، وينجز وظائفه التي فيها صلاح معاشه ومعاده.
- ٢- العمل الإيجابي أساس جميع الفضائل، وهو مبدأ عام، ومفاده أن يعمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم اصلاً.
- ٣- إن رسائل النور تستعرض في طياتها مسيرة الإنسان في آفاق الكون ليجد إجابات عن أسئلة يفرضها عليه عقله تدور حول حقيقته هو كإنسان مكرم مؤهل لمسك زمام المسؤولية الآنية الدنيوية؛ لاستحصال خلود دائم أخروي، ووصال أبدي في رحاب الرحمن وفي دار ضيافة صمدانية قدسية، فالظفر والفوز بهذا النعيم المقيم لا يكون

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس (رضي الله عنه) ٣٤١/٤، كتاب الرقاق، برقم (٧٨٤٦)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) الكلمات، الكلمة الحادية والعشرون ٣٠٢.

بمجرد التمني أو بالاستغراق في الآمال من دون تعب وكدٍّ، بل لا بد من تشمير ساعد الجد والعزيمة، والأخذ بمقتضى الدساتير القرآنية وقواعدها وتطبيقها في الواقع، ورسم المستقبل الآتي على وفقها، وتصحيح أخطاء الماضي بالاستعانة بما تحويه من حكم رشيدة.

٤ - معرفة الإنسان بأن الله تعالى هو الذي يبتليه بالخير والشر، والصحة والمرض، والغنى والفقر تجعله في حالة من السكينة والقرار، فيطمئن بما هو عليه حاله، فيصفو باله، ويهدأ فكره، وتستقر روحه في هناء، فيتمكن الفرد أن يعيد بناء نفسه من جديد، ويباشر أعماله التي كلف بها من دون تذكر لآلام الماضي، أو الخوف مما هو آت، فيكون ابن يومه لا غده.

٥ - لا بد أن يوازن الإنسان بما أنعم الله تعالى عليه من عقل، فضلاً عما تفضل عليه من شريعة وبين ما هو ضروري وبين ما هو تكميلي، آخذاً بالضروريات من باب الأهم ثم المهم؛ ليتدارك حاجاته الأساسية، بدلاً من الوقوع في دوامة الفوضى المعيشية.

٦ - نظرة الإنسان إلى الكون لا بد أن تكون من زاوية المصلحة الشرعية لا من زاوية المصلحة الأنانية؛ لأن نظرتَه إليه من الزاوية الأولى تعطي قيمة حقيقة للحياة الدنيوية باعتبارها أساساً لحياة أخروية دائمة، فيستوعب جمالها، بما أودع الله تعالى فيها من العجائب والحكم، فيغدو ذلك الإنسان فياضاً بالخير، وجواداً بالكرم على مخلوقات الله تعالى، أما إذا نظر إليها من الزاوية الثانية -زاوية المصلحة الأنانية- تكون الحياة بالنسبة إليه محصورة في متاع فانٍ، ويرى الكون جميلاً إذا ما وافق مصلحته، وعبوساً قمطيراً إذا ما خالفها.

٧ - إن مهمة الإنسان في الأرض استعمارها وفق شرع الله تعالى وترسيخ أحكامه، ولا يكون ذلك إلا على بصيرة ومعرفة، ودراية وخبرة، وأن يكتسب النافع من العلوم التي تعينه على تحقيق هدفه.

٨ - إن الدعوة إلى الله تعالى وظيفة كل مؤمن بحسب موقعه ونوع عمله، ولا بد أن يحرص نظره في التبليغ والإرشاد، ولا يلتفت إلى نتائج دعوته وثمارها، فإنها مختصة بالله تعالى إذ التوفيق والهداية بيده جلّ جلاله.

٩ - قوام الحياة هي المحبة والإخاء، ومن دونهما يكون طعم العيش مرّاً علقماً.

- ١٠- الصدق لا يثمر عنه إلا راحة البال والنجاة، إذ هو منبع الحق والحقيقة، بخلاف الكذب الذي يستخدمه الكافر لستر الحقائق والتدليس على طالبيه.
- ١١- إن حسن الظن يبعث الثقة في النفوس، والراحة للقلب؛ فينجو الإنسان من شرّ الحفنة والغضب وتوهج الكراهية والحقد، فينام قريح العين، صافي الذهن، مرتاح خاطر، وقد نجا من إثم سوء الظن.
- ١٢- إن ضرر الوسوسة إنما هو في توهم الضرر، أي إن ضرره على القلب هو ما نتوهمه نحن من أضرارها.
- ١٣- إن مَنْ أَحْسَنَ رُؤْيَاهُ حَسُنَتْ رُؤْيَاهُ وتفكيره، فتحسُّ رؤياه، ويستمتع بحياته.
- ١٤- إن حُسْنَ الخطاب أساسٌ لإقناع الخصوم وليس بالضغط والإجبار، وإن تحرّي الحقيقة لا يكون إلاّ بالحبّة، بينما الخصومة تكون إزاء الوحشية والتعصب.
- ١٥- الحياة العائلية مركز تجمع الحياة الدنيوية ولولبها، وهي جنة سعادتها وقلعتها الحصينة وملجأها الأمين. وأن بيت كل فرد هو عالمه وديناه الخاصة، وأن سعادة الرجل والمرأة لا تتحقق إلاّ باجتماعهما في سماء الحياة الزوجية المرتكزة على الحقائق الإيمانية.
- ١٦- إن الصديق الحسن هو أنفـس شيء في الوجود، إذ هو حبل للوصول إلى الحق سبحانه، ومنبر للعروج نحو الكمال.
- ١٧- إن السياسة الحاضرة تقوم على مبدأ الخداع والتضليل والتزييف وتشويه الحقائق، فضلاً عن كونها وسيلة قمع بيد الأنظمة المستبدّة التي تعيث في الأرض فساداً وطغياناً، فتركها واجب وأولى.
- ١٨- إن الولاء لا يكون إلاّ لله تعالى، وأن الانشغال بالسياسة يثير في الإنسان عرق الموالاة لجهة معينة؛ فيكون شريكاً في الظلم الذي ترتكبه هذه الجهة.
- ١٩- من محاسن الشريعة سد أبواب الفتن، فلا ينبغي الخوض في مسائل تاريخية، وأحداث ماضية وقعت إلاّ بالقدر الذي يستوحى منها التشجيع على العمل الإيجابي، ولا الخوض في مسائل اجتهادية مختلف فيها، أو في قضايا فرعية، وينبغي ترك النقاش والجدال، ومحاولة الحفاظ على وحدة الصف والكلمة، كي لا يحصل النزاع والتخاصم؛ فيعم البلاد العنف والفوضى؛ فتراق فيها دماء الأبرياء، ويتدخل في شؤونها الأعداء.
- ٢٠- إن تكفير المسلمين أمر في غاية الخطورة، إذ الحيلة تلتزم أن لا يُكفّر مؤمن إلاّ إذا

- ظهر منه كفراً بواحاً، وإلاً عاد الكفر إلى من ألصق تهمة الكفر.
- ٢١- معاملة الناس بالحسنى -ولا سيما - مع غير المسلمين واجبة، ومن مقتضياتها عدم جرح مشاعرهم، وتلافي خدش كرامتهم، والحذر من الاستهزاء بمقدساتهم، كي لا يسلفوا المسلمين باللسنة حداد نابية، ويتناولوا على مقدساتهم.
- ٢٢- ضرورة دخول المسلمين مع الروحانيين المتدينين من النصارى في صلح على أساس القاسم الإيماني المشترك، وتوحيد الجهود في مواجهة جبهة الإلحاد الذي يمثل الكفر المطلق.

قائمة المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم
- ١- إحياء علوم الدين: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت-لبنان.
- ٢- أدب الدنيا والدين: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٣- الأشباه والنظائر: للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١١هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٤- أصول السرخسي: للسرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (ت ٤٨٣هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٥- الإعجاز والإيجاز: أبو منصور عبد الملك عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النعالي، دار الغصون، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، بيروت-لبنان.
- ٦- الأعلام: لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (المتوفى : ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة ١٥، ٢٠٠٢ م
- ٧- البحر المحيط في أصول الفقه: لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٨- بداية المجتهد و نهاية المقتصد: لابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت ٥٩٥هـ)، ط ٤، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٣٩٥هـ. ١٩٧٥م.
- ٩- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: الكاساني، علاء الدين (ت ٥٨٧ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت. لبنان ١٩٨٢م.
- ١٠- البيان والتبيين: لأبي عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.
- ١١- تاريخ ابن الوردي: لزين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي (٧٤٩هـ)، دار الكتب العلمية،

- ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، لبنان - بيروت.
- ١٢- التبصرة: لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، ط ١، ١٩٨٥م، بيروت.
- ١٣- تهذيب الكمال: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة ١، ١٩٨٠م.
- ١٤- التوقيف على مهمات التعاريف: لمحمد عبد الرؤوف زين الدين المناوي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، ودار الفكر - بيروت، دمشق، ط ١، ١٤١٠هـ.
- ١٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٤، ١٤٠٥هـ.
- ١٦- خريدة القصر وجريدة العصر: لعماد الأصبهاني، من دون طبعة.
- ١٧- ديوان الإمام الشافعي، لمحمد بن إدريس الشافعي، ط ١، ١٩٩٦م.
- ١٨- الرسائل: لأبي عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ، لبنان-بيروت، الطبعة ١.
- ١٩- زهرة الأكم في الأمثال والحكم: لأبي علي الحسن بن مسعود بن محمد نور الدين اليوسي (ت ١١٠٢هـ)، المطبعة الوطنية، ١٩٧٦.
- ٢٠- السلسلة الصحيحة: لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف - الرياض.
- ٢١- سنن ابن ماجة: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.
- ٢٢- سنن الترمذي (الجامع الصحيح): لأبي عيسى محمد بن عيسى السلمي الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٣- السيرة الذاتية: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالح، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط ٦، ٢٠١١م.
- ٢٤- الشعاعات: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالح، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط ٦، ٢٠١١م.
- ٢٥- شعب الإيمان: البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني (ت ٤٥٨هـ)، حققه: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريره أحاديثه: مختار أحمد الندوي، ط ١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- ٢٦- الشهود الأواخر: لنجم الدين شاهينر، ترجمة: مأمون رشيد عاكف، دار سوزلر للنشر، ط ١، ٢٠١٢م، مصر-القاهرة.
- ٢٧- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر): لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

- ٢٨- صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٩- صيقل الإسلام: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالح، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط ٦، ٢٠١١م.
- ٣٠- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مطبعة المدني - القاهرة.
- ٣١- العقد الفريد: لابن عبد ربه الأندلسي، دار صادر، ط ١.
- ٣٢- الفقه الإسلامي وأدلته: أ. د. الزحيلي، وهبة بن مصطفى (ت ١٤٣٧هـ)، ط ١٢، دار الفكر - سورية - دمشق.
- ٣٣- الكلمات: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالح، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط ٦، ٢٠١١م.
- ٣٤- لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط ١.
- ٣٥- اللغات: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالح، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط ٦، ٢٠١١م.
- ٣٦- المتنوي العربي النوري: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالح، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط ٦، ٢٠١١م.
- ٣٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ.
- ٣٨- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن سلطان محمد القاري (ت ١٠١٤هـ)، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٣٩- المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٥٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٤٠- المستقصى في أمثال العرب: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة ٢، ١٩٨٧م.
- ٤١- مسند الإمام أحمد بن حنبل: لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٤٢- معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٤٣- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: للخطيب الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الشافعي

- (ت ٩٧٧هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٤٤ - المغني: لابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد (ت ٦٢٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، ط ٣، عالم الكتب، الرياض - السعودية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٤٥ - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٤٦ - المكتوبات: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالح، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط ٦، ٢٠١١م.
- ٤٧ - الملاحق: لبديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالح، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط ٦، ٢٠١١م.
- ٤٨ - الموافقات: الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللحيمي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط ١، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ٤٩ - نظرة عامة عن حياة بيع الزمان سعيد النورسي: لإحسان قاسم الصالح، ار سوزلر للنشر، ١٠، ٢٠١٠م - مصر - القاهرة.
- ٥٠ - النورسي في رحاب القرآن: لسليمان عشراي، نسخة موجودة بصيغة وورد.

العمل الإيجابي البناء.. مركزية التربية الروحية وفعاليتها في فكر بديع الزمان سعيد النورسي

د. محمد حلمي عبد الوهاب (*)

"نعم، إن لي - ولله الحمد - طريقاً سوياً رفيعاً هو الإسلام، ولي منهل عظيم أنهل منه هو مشرب العجز والفقر إلى الله، وأقندي بقائدي جليل هو سيّد المرسلين الرسول الكريم ﷺ، وأسترشدُ بمرشدٍ عظيم هو القرآن المبين، وأسلكُ مسلكاً قيماً يُلْغِي الولايةَ لله في دقيقة واحدة - كما هو لدى الجنديّ المرباط في الثغر-؛ فقد علّمني أستاذي - كما علّم كلّ ذي عقلٍ - أنَّ الزَّمانَ زمانٌ إنقاذ الإيمان لا سلوكِ الطَّريقة الصُّوفيَّة، فقال: أدِّ حقَّ الصَّلَاةِ خمسَ أوقاتٍ في اليوم، واعمل بالأذكار عقبها، واتَّبِعِ السُّنَّةَ الشَّرِيفَةَ، واجتنب الكبائر السَّبع. فاستجبتُ بكلِّ ما أمليكَ من روح وقلب" (١).

ليس من قبيل المصادفة أن يكون الدرس الأخير، الذي ألقاه الأستاذ النورسي قبيل وفاته على طلبة الثور، يحمل عنوان: "حول العمل الإيجابي البناء" (٢). فقد قضى صاحب الدرس حياته كلّها في سبيل غاية كبرى تُعدُّ برأيه غاية الغايات؛ ألا وهي: "العمل الإيجابي البناء" في مقابل سعي الآخرين "للعمل السلبي الهدّام"! وكأنه بذلك يُشدّد على "مركزية" هذا المسعى باعتباره "الكلمة الأخيرة"، بعد أن أتمّ رسالته التربوية الروحية التزكوية على أكمل وجه (٣).

(*) المعهد الألماني للأبحاث الشرقية (بيروت - القاهرة).

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، **كليات رسائل النور: الملاحق**، ترجمة إحسان قاسم الصالح، الطبعة الثانية، (القاهرة: دار النيل للطباعة والنشر، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، ملحق بارلا، ص ٢٠ - ٢١. وتجدر الإشارة إلى أننا سنعوّل على هذه الطبعة الجامعة في كل ما يرد لاحقاً من مصادر للأستاذ النورسي.

(٢) **الملاحق، ملحق أميرداغ - ٢**، ص ٣٨٤ - ٣٩١.

(٣) وهو ما أكدّه في رسالته الأخيرة وشدد عليه بالقول: "إن واجبنا القيام بأعمال إيجابية بناءة وليست تخريبية سلبية، بل القيام بوظيفة الإيمان ابتغاء مرضاة الله وحده لا غير ومن دون التدخل في أمور

وضمن هذا المسلك تتوضَّح قواسم مُشتركة تُعدُّ بمثابة منظومةٍ للقيم العُلَيا التي يتعيَّن على "سالِك النُّور" أن يتغيَّها في نفسه وسلوكه؛ امتثالاً لمبادئ الدُّستور القرآنيِّ من ناحية، وتأسّيًا بنهج الشَّيخ/الأستاذ في التَّربية الرُّوحيَّة من ناحية أخرى. فمن جهة أولى هناك الثبات على المبادئ، والوقوف ضدَّ كلِّ مظاهر التَّحكُّم والتَّسلُّط والاستبداد. ومن جهة أخرى هناك التَّخلُّق بفضائل العفو، والرَّحمة، والتَّسامح؛ قياما "بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرِّضى الإلهيِّ" أولاً؛ وأخذاً بعين الاعتبار "أنَّ المسألة الأساسيّة في هذا الزَّمان [إنَّما تتعلَّق] بالجهاد المعنويِّ، وإقامة السَّدِّ المنيع أمام التَّخريبات المعنويّة، وإعانة الأمن الدَّاخلي بكلِّ ما نملك من قوَّة؛ اتباعاً لدستور الآية الكريمة: ﴿وَلَا نَزْرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: جزء من الآية ١٦٤)"^(١) ثانياً.

وإذا كنا بصدد دراسة مفهوم "العمل الإيجابي البناء" في رسائل النُّور؛ فإنَّه يتعيَّن علينا أن نُقارب - من هذه الزَّاوية تحديداً - مسارَ ومسيرَة الأستاذ النُّورسي في حياته العمليّة؛ بوصفها تجلّيّاً أمثليّاً لَتَعْيُن وتَشكُّل هذا المفهوم/المبدأ في شخصه، وسلوكه، ومواقفه العمليّة التي رسمت للسَّالِكين سُبُل "التَّحليِّ" عن ضروب الأنانيّة، والطَّمع، وحبِّ النَّفس، كما رسمت لهم معالم "التَّحليِّ" بأخلاق التَّضحية، والتَّفاني، والإخلاص الحقيقيِّ لله عزَّ وجلَّ. لذلك، فسوف نركِّز في دراستنا هذه على مُقاربة موضوع "مركزيّة التَّربية الرُّوحيّة وفاعليَّتها"، في فكر الأستاذ النُّورسي من خلال العناصر الثلاثة التالية:

أولاً: العمل الإيجابي البناء في مسيرة الأستاذ النُّورسي.

ثانياً: التَّربية الرُّوحيّة وآفاقها المعنويّة في رسائل النُّور.

ثالثاً: أخلاق التَّسامح والرَّحمة والإخلاص؛ بوصفها دستوراً نورانيّاً، وركائز إيمانيّة، للعمل الإيجابي البناء.

العمل - لا الأقوال - مرآة الفرد والأثر هو مقياسُ رُتَبَةِ الرِّجال^(٢)

موكولة إليه تعالى. فنحن مكلفون أن نصمد صابرين على كل المضايقات لأجل إحلال النظام واستتباب الأمن في ربوع البلاد". الملاحق، ملحق أميرداغ - ٢، ص ٣٨٤.

(١) الملاحق، ملحق أميرداغ - ٢، ص ٣٨٥.

(٢) بيت من الشعر للشاعر المرحوم ضيا باشا أورده الأستاذ إحسان قاسم الصالحي - مترجم كليات رسائل النور - في تقديمه لكتاب: سيرة ذاتية، ص ٤٥.

أولاً: العمل الإيجابي البناء في مسيرة الأستاذ النورسي

يُعرّف الأستاذ النورسي مفهوم "العمل الإيجابي البناء" بأنه: "عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التّهوين من شأنهم؛ أي لا ينشغل بهم أصلاً، بل عليه أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام - مهما كان نوعها- والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها، فيتفق معها، واتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومُرشدًا"^(١).

وهذا التحرر من رقّ الأغيار - بحسب لغة المتصوفة - ترجمه النورسي عملياً في حياته من خلال استغنائه التام عن الخلق بالخالق، وبعدم انشغاله بالآخرين أو التعرض لهم، وبانكفائه على خدمة القرآن بوصفها أفضل عمل، "فاستغنى بكل موجوديته وسعة روجه وشخصيته عما سوى الله استغناء تاماً، ولذا إلى كنف رب العالمين واختسب بسعة خزائن رحمته التي لا تعرف النفاذ، واتخذ الاستغناء - ليس عادة له فحسب؛ بل مشرباً ومسلماً ومذهباً ينتهجه عبر سني عمره -... واللافت للنظر أن هذا المسلك لم ينحصر في شخصه، بل انتقل إلى طلابه وأصبح مناهجهم وغايتهم المقدسة في الحياة"^(٢).

ومما له أكبر دلالة على أهمية مفهوم "العمل الإيجابي البناء" في فكر الأستاذ النورسي أنه أورده في سياق حديثه عن وسائل الظفر بالإخلاص، وجعله بمثابة النقطة - أو الوسيلة - الأولى من ضمن النقاط التسع التي تتضمن - إلى جانب ما سبق - كلاً من: "العلم بأن الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي... والحفاظ على الحق والعدل... وإنقاذ الحق من صولة الباطل... وترك غرور النفس وحفظها، وترك دواعي الحسد والمنافسة... فهذه النقاط التسع يُظفر بالإخلاص ويؤي الإنسان وظيفته حق الوفاء، ويؤديها على الوجه المطلوب"^(٣).

فالإيجابية في الحركة قاعدة إرشادية من قواعد رسائل النور "تتركز على العلم، والمعرفة، والتبليغ، والإقناع، والود، والشفقة. وعلى طريق هذا النهج يلتقي ويتشارك المجددون كافة...

(١) اللمعات، اللمعة العشرون، ص ٢٠٧.

(٢) سيرة ذاتية، ص ٤٢.

(٣) اللمعات، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

فالإمام الغزالي، والإمام الرباني، والشيخ عبد القادر الجيلاني، ومولانا جلال الدين الرومي، وأمثالهم من العظام جميعاً، قد سلكوا الطريق نفسها، وكانت غايتهم المشتركة جميعاً جذب الناس نحو حدود مرضاة رب العالمين، وأن يكونوا وسيلةً لسعادتهم الأبدية^(١).

وفي واقع الأمر فإنه ليس بمقدورنا أن نُقارب مفهوم "العمل الإيجابي البناء" في مسيرة النورسي: فكراً وحياءً، من دون أن نتوقف - ولو قليلاً - عند حدود الطابع العملي المميز الذي وسّم به كلاً من حياته وكتاباتة، وجعله بمثابة المعيار الذي نقيس به أثر كل قول أو عمل؛ وهو ما عبّر عنه بالقول: "من المعلوم أنّ دقيقة واحدة تكون ذات أهمية تقابل ساعة كاملة وأنها تُثمر من النتائج ما تُنتجه تلك الساعة، وربما ما يُنتجه يوم كامل، بل قد تكون بمثابة سنين. ويحدث أحياناً أن تكون ساعة واحدة لها من الأهمية وتُعطي من النتائج ما لسنة من العمر؛ بل العمر كله"^(٢).

وإذا قمنا بتطبيق هذا المعيار على "رسائل النور" فسنجد أنّها - وإن استغرقت وقتاً قصيراً بمقياس الزمن العام - إلا أنّها تركت من الأثر ما يفوق الزمن الذي أُجِزَتْ فيه، فحاربت اليأس بالأمل، وغرست بذور الإيجابية في كل قول أو عمل، وأعادت الروح إلى حياة المسلم المعاصر في زمن ترعّزَتْ فيه قلاع الإيمان التقليدية، وتصدّعت فيه "القيم الروحية" أمام هجمات العصر، ونأى الإيمان عن الناس وتسرّر واحتجب، ففي عمق هذا "الظلام الروحي" انبثقت "رسائل النور" كيما تؤدّي هذه الوظيفة العظيمة، وتقوم بهذه المهمة الخطيرة؛ مهمّة "التزكية والتربية الروحية" في ظلّ ظغيان المادّة، وفي أحلك الظروف وأشدّها رهبةً، وفي أحوج الأوقات وأحرجها، فأثبتت "أعمق حقائق القرآن والإيمان وأخفاها ببراهين قوية، حتّى أصبح كل طالب نورٍ وفيّ صادقٍ يحمل في قلبه الإيمان التحقيقي كأنه فُطِبَ مخفي من أقطاب الأولياء وركيزة معنوية للمؤمنين... يبعث مدداً معنوياً إلى قلوب أهل الإيمان فيبث فيهم وينفخ روح الحماس والشّجاعة"^(٣).

(١) علاء الدين باشار، العمل الإيجابي القاعدة الثابتة لعمر مديد، ضمن: تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين وبيدع الزمان سعيد النورسي، أعمال المؤتمر العلمي الثالث لبيدع الزمان سعيد النورسي الذي عقد في اتانبول في الفترة ٢٤ - ٢٦ أيلول/سبتمبر ١٩٩٥.

(٢) سيرة ذاتية، ص ٧.

(٣) سيرة ذاتية، ص ٧. وينقل النورسي نبوءة أحد الأولياء بشأن ذبوع رسائل النور فيقول: "سمعت من أحد الأولياء أنه قد استخرج من الإشارات الغيبية لأولياء سابقين ما أورثه القناعة بأن نورا سيظهر من جهة الشرق ويبدد ظلمات البدع. ولقد انتظرت طويلاً ظهور مثل هذا النور، وما زلت منتظراً له.

وإلى جانب معيار الأثر الذي يزنُ به التَّورسِي قيمة كلِّ عملٍ إيجابيّ ببناءٍ ثمّة معيار آخر يتعلّق في فهمه بكلِّ من مصطلحي "النَّفع العامّ" و "المصلحة العامّة". فمن أجل ذلك انسحب من عالم السِّياسة، مُوقِنًا أنّه "عالمٌ دينيّ مُكلَّفٌ شرعًا بإفادة النَّاس... لذا تخلّيتُ عن هذه الجهة وفضّلتُ عليها العملَ في خدمة الإيمان التي هي أهمُّ خدمةٍ وألزمها وأسلمها، وقد تركتُ الباب مفتوحًا ليصل إلى الآخرين ما كسبته لنفسِي من حقائق الإيمان، وما جرّنتُهُ في نفسي من أدويةٍ معنوية".^(١)

لا يتوقّف مفهوم "العمل الإيجابيّ البناء" في فهم التَّورسِي إذن عند حدود "المعاملات" فحسب؛ وإنما يتعدّاها أيضًا إلى فضاء "العبادات". وليس أدل على ذلك من ربطه العبقري ما بين "الدُّعاء" من جهة، وضرورة "الأخذ بالأسباب" من جهةٍ أخرى. فإذا كان الدُّعاء هو "معُ العبادة ورُوحها"، فإنّه يكون على أنواعٍ ثلاثة:

النوع الأول: دعاءٌ بلسان الاستعداد والقابلية المودعة في الشّيء. وثمّة دعاءٌ من هذا النوع - أي بلسان الاستعداد - هو عبارة عن "اجتماع الأسباب"، فاجتماع الأسباب دعاءٌ لإيجاد المسبّب؛ أي أن الأسباب تتخذ وضعًا معينًا وحالةً خاصّة بحيث تكون كلسان حالٍ يطلبُ المسبّب من التقدير ذي الجلال، فاجتماع الأسباب إذن إنّما هو نوعٌ من الدُّعاء.

النوع الثاني: الدُّعاء الذي يُسألُ بلسان "حاجة الفِطْرة"، فالكائنات الحيّة جميعها تسألُ حاجتها الخارجة عن طوقها واختيارها من خالقها. وإغداقُ هذا "الإحسان" والإنعام ما هو إلا استجابةٌ لدعاءٍ فِطْرِيّ.

النوع الثالث: الدُّعاء الذي يسأله ذوو الشُّعور لتلبية حاجاتهم، ويكون على ضربين: فدُعاءُ المضطرّ مُستجابٌ، والدُّعاء الثاني المعروف: إما فِعْلِيٌّ أو قَوْلِيٌّ "فمثلا حرثُ الأرض نوعٌ من الدُّعاء الفِعْلِيّ؛ يطلب الإنسان الرِّزق من رازقه الحكيم، يطلبه منه لا من الثُّراب، فالثُّراب بابٌ لخزينة رحمته الواسعة ليس إلّا، يطرقة الإنسان بالخرّاث"^(٢).

بيد أن الأزاهير تتفتح في الربيع فينبغي تهيئة السبل لمثل هذه الأزاهير المقدسة، وأدركنا أننا بخدمتنا هذه إنما نمهد هذه السبل لأولئك الكرام النورانيين". المصدر نفسه، ص ١٤ - ١٥.

(١) المكتوبات، المكتوب السادس عشر، ص ٨٠.

(٢) قارن بما ورد بصفة خاصة في: المكتوبات، المكتوب الرابع والعشرون، الذيل الأول، ص ٣٦٣ - ٣٦٥.

ويُشدّد النورسي - ضمن هذا السياق - على ضرورة "الأخذ بأسباب العمل الإيجابي البناء" في ضوء ظروف العصر ومقتضياته، وأحوال العالم الحديث التي تزداد تردّياً، فيقول: "إنّ الحياة البشرية ما هي إلا كركبٍ وقافلةٍ تمضي، وقد رأيتُ بنور القرآن الكريم في هذا الزّمان، أنّ طريق تلك القافلة الماضية أدّت بهم إلى مُستَنقِعٍ آسنٍ، فالبشرية تتعثّر في سيرها فهي لا تكادُ تقوم حتّى تقع في أحوالٍ مُلَوّثةٍ مُنْتِنَةٍ. لكنّ قسماً منها يمضي في طريقٍ آمنةٍ، وقسمٌ آخر قد وجد بعض الوسائل لتُنْجيه - قدر المستطاع - من الوخل والمستنقِع، وقسمٌ آخر - وهم الأغلبية - يَمْضُون في ظلامٍ دامسٍ في ذلك المستنقِع الموحِل المتسخ" (١).

ثم يمضي الأستاذ في توزيع نسبٍ كلّ فريق منهم، فيقول: "فالعشرون في المئة من هؤلاء يُلطّحون وجوههم وأعينهم بذلك الوخل ظناً منهم أنّه المسك والعنبر... أمّا الثمانون في المئة، فهم يعلمون حقيقة المستنقِع ويتحسّسون عفونته وقذارته إلا أنّهم حائرون، إذ يعجزون عن رؤية الطريق الآمنة!" وإزاء وضع كهذا يقترح النورسي علاجين رئيسيين، أولهما: إيقاظُ العشرين منهم المخمورين بالمطرقة. وثانيهما: إزاءه طريق الأمان والخلاص للحائرين؛ بإظهار النور لهم؛ أي بالإرشاد (٢).

كما يستخدم مفهومًا مقارياً لمفهوم "العمل الإيجابي البناء" في سياق تبريره الانسحاب من الحياة السياسية، والرّد على من اعتبر أنّ الاختلاف في السياسة هو من قبيل الرحمة المشار إليها في الحديث النبويّ الشريف: «اختلافُ أُمّتي رحمة» (شرح صحيح مسلم ٩١/١١). فيقول: "إنّ الاختلاف الوارد في الحديث هو الاختلافُ الإيجابيُّ البناء، ومعناه: أن يَسعى كلّ واحد لترويج مسلكه وإظهار صحّة وجهته وصواب نظريته دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسلكهم، بل يكون سعيه لإكمال النقص ورأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلاً. أمّا الاختلافُ السَلبيُّ فهو: محاولة كلّ واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، وهذا النوع من الاختلاف مردودٌ أصلاً في نظر الحديث، حيث المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأيّ عملٍ إيجابيٍّ بناءٍ" (٣).

من جهة أخرى يربط الأستاذ النورسي فهمه للعمل الإيجابي البناء بحركة الوجود ككل؛

(١) المکتوبات، المکتوب الثالث عشر، ص ٦١.

(٢) المصدر السابق، ص ٦١ - ٦٢.

(٣) المکتوبات، المکتوب الثاني والعشرون، ص ٣٢٦.

فيؤكد "أنَّ لأضخم الموجودات وأكثرها سعةً وشمولاً تسبيحاً خاصاً مُنْسَجِماً مع عظمته وكلّيته، إذ السَّمَاوَاتُ الشَّاسِعَةُ مُسَبِّحَةٌ لِلَّهِ، وكلما تُها التَّسْبِيحِيَّةُ هي الشُّمُوسُ والأَقْمَارُ والنُّجُوم... بمعنى أنَّ لكلِّ شجرةٍ ولكلِّ نجم، تسبيحاته الخاصة به، مثلما أنَّ للأرض برمتها تسبيحاتها الخاصة بها. فهي تسبيحاتٌ كَلِيَّةٌ تضمُّ تسبيحاتِ كُلِّ جزءٍ وقطعةٍ منها؛ بل كُلِّ وادٍ وجبلٍ وكلِّ بحرٍ وبرٍّ فيها... ثمَّ إِنَّه سبحانه مع كبريائه المطلق، لا يدعُ أخفَّ الأشياء وأكثرها جزئيةً وحسَّةً خارج إتقانه! هذه الحقيقةُ القرآنية يشهد لها جريانُ الانتظام الأَكْمَلُ في الموجودات وبسهولة مُطلقة" (١).

وفي السِّياق ذاته أيضاً يسوقُ مثالين لأجل بلوغ الاطمئنان القلبي؛ ردًّا على التَّساوُلِ الذي طرحه حول أساس الحكمة التي تُبنى عليها الرُّوَاجر والتَّهديدات والشُّكاوى القرآنية الصَّادرة من عظمته الجليلة تجاه هذا الإنسان الضَّعيف، وكيف يتم الانسجام والتوفيق بينهما؟! المثال الأول يتعلَّق بعاملٍ في بُسْتانٍ مُكَلَّف بفتح المنفذ الذي يجري منه الماء إلى البُستان لكنَّه "تكاسل عن أداء مهمَّته ولم يفتح المنفذ، فلم يجز الماء. بمعنى أنَّه أخلَّ بكلِّ ما في البستان أو تسبَّب في جفافه" (٢). فالعاملُ هنا كناية عن القلب الذي يتسرَّب منه النور الرِّبانيُّ إلى بقية الرُّوح.

أمَّا المثال الثاني؛ فيتعلَّق بعاملٍ آخر في سفينة السُّلطان، ورغم أنَّ وظيفته بسيطة وجزئية إلَّا أنَّ تركه لها سوف يؤدِّي إلى إخلال نتائج جميع العاملين بها وإهدارها. "ومن هنا غدا التَّخريب أسهل من التَّعمير دستوراً مُتعارفاً عليه لدى النَّاس. ولما كانت أُسس الكفر والضَّلال والطُّغيان والمعصية؛ إنكاراً ورفضاً وتركاً للعمل وعدم قبول، فصورُها الظَّاهرية مهمَّما بدتْ إيجابيّة وذات وجود، إلَّا أنَّها في حقيقتها انتفاءٌ وعدم... فهذه الأمور مثلما تُخلُّ بنتائج أعمال الموجودات كافَّة، فإنَّها تُسَدِّل ستاراً أمام التَّجليات الجمالية للأسماء الحسنى وتحجبُها عن الأنظار" (٣). ولا شكَّ أنَّ الإنسان يُماثل الكون في كونه جزءاً من العالم الأكبر، وكما أنَّ الكون برمته ينتظم في تَرَاتِبِيَّة إلهية تضمن له سيرورة الحركة فكذلك الإنسان ذو "العمل الإيجابيِّ البَناء"، حامل الأمانة، يؤدِّي دوره في الوجود بحسب ما كُلِّف به من جهة، وبحسب

(١) الكلمات، ص ١٨٥-١٨٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨٨.

(٣) نفسه، ص ١٨٩.

ما اشترطه على نفسه في حمل الأمانة من جهة أخرى^(١).

ثانياً: التربية الروحية وآفاقها المعنوية في رسائل النور

لا شك أن الأستاذ النورسي قد وجه جزءاً كبيراً من عنايته إلى مسألة "التربية الروحية"؛ أو بالأحرى "التزكية"، كيف لا؟ وهي مفتاح الفهم لكل عملية تربوية تتغيّ إخراج جيل قرآنيّ ربانيّ يساهم من خلال "العمل الإيجابيّ البناء" في خلافة الأرض وعمارتها، والقيام بمسؤوليات الأمانة الملقاة على عاتقه بحكم اختياره وحمله لها؟! "لقد وجد العارف بالله الأستاذ النورسي الحقّ والحقيقة منذ صغره، أيام لجوئه إلى المغارات للاستماع إلى أنين قلبه وآهاته، وإنابة روحه ومناجاتها، حتى ذاق طعم الطاعة ورشف رحيق العبادة واستشَم طيب التفكّر، واستفاض في التربية الروحية والنفسيّة فوصل إلى الطمأنينة والسكينة"^(٢).

وبفضل "التربية الروحية" وما تضمنته من مجاهداتٍ تشبّع النورسي بالحقائق المكنونة في القرآن حتّى أنه وصف كتابه "الكلمات" بأنّه كتابٌ "يبحث في علم الحقيقة؛ حقيقة الشريعة، حكمة القرآن الكريم"^(٣) الحكمة التي كانت بالنسبة له دليلاً ومرشداً، فأعلن على رؤوس الأشهاد: "لأبرهننّ للعالم بأنّ القرآن شمسٌ معنويّة لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء

(١) يشدّد الأستاذ النورسي على تأكيد انتظام الكون، والإنسان بالتالي، ضمن الإرادة الإلهية العامة، وهو يخاطب النفس بالقول: "ولا تطنيّ نفسك سارحةً مفلّنة الزّمام، ذلك لأنّك إذا ما نظرت إلى دار ضيافة الدّنيا هذه نظر الحكمة والرّويّة فلن تجدي شيئاً بلا نظام ولا غاية، فكيف تبقيّن إذن وحدك بلا نظام ولا غاية؟! المصدر السابق، ص ١٩١.

(٢) سيرة ذاتية، ص ٤١ (من تقديم الشاعر التركي علي علوي قوروجو).

(٣) الكلمات، ص ٥٤٧. وضمن هذا السياق يؤكّد الشيخ ميزة أخرى في الطريق المختصر الذي اختطه للسالكين، تتعلّق بكونه "أسلم من غيره، لأنّه ليس للنفس فيه شطحات أو ادعاءات فوق طاقتها؛ إذ المرء لا يجد في نفسه غير العجز، والفقر، والتقصير، فيتجاوز حدّه". ص ٥٤٨. ولعلّ هذا الملمح كثير الشّبه بفلسفة ابن عطاء الله السّكندري ومدرسة أبي الحسن الشاذليّ الصّوفيّة؛ خاصة في كتاب ابن عطاء الله "التنوير في إسقاط التدبير"، ذلك أنّ معنى التدبير الذي عناه صاحب التنوير هو تدبير الدّنيا للدّنيا، أي أن يدبّر الإنسان في أسباب جمّعها افتخاراً بها واستكثاراً، وكلّما ازداد فيها شيئاً ازداد غفلةً واغتراراً. أمّا تدبير الدّنيا للاحرة: كأن يدبّر الإنسان المتاجر والمكاسب، ليأكل منها حالاً ولينعم بها على ذوي الفاقة أفضالاً وليصون بها وجهه عن النّاس إجمالاً؛ فذلك هو التدبير المحمود الذي يحبّه الله ورسوله.

نورها" (١).

وانطلاقاً من القرآن الكريم الذي حثَّ في الكثير من آياته على ضرورة التَّزَكِّيَّة، واتِّساقاً مع تركيز الأستاذ النُّورسي على الجانب العمليِّ في التَّربية الرُّوحِيَّة، أكَّدَ بديع الزَّمان أنَّ الطَّرائق إلى الخالق عزَّ وجلَّ كثيرة ومتعدِّدة، لكنَّ مرادَّها جميعاً إلى القرآن الكريم، ويُتابع قائلاً: "وقد استفدتُ من فيض القرآن الكريم طريقاً قصيراً وسبيلاً سويّاً هو: طريق العجز، الفقر، الشَّفَقَة، التَّفَكُّر" (٢).

ويدلُّ النُّورسي على طريقه المختصر للسَّالِّكين بمنطق الثنائيات فـ "العجزُ كالعشق طريقٌ مُوصِّلٌ إلى الله؛ بل أقرب وأسلم، إذ هو يُوصِّلُ إلى المحبوبة بطريق العبوديَّة. والفقر مثله يُوصِّلُ إلى اسم الله (الرَّحْمَن)، وكذلك الشَّفَقَة كالعشق مُوصِّلَةٌ إلى الله إلَّا أنَّها أنفدُ منه في السَّير وأوسعُ منه مدى؛ إذ هي تُوصِّلُ إلى اسم الله (الرَّحِيم). والتَّفَكُّر أيضاً كالعشق إلَّا أنَّه أغنى منه وأسطع نوراً وأرحب سبيلاً؛ إذ هو يُوصِّلُ السَّالِّك إلى اسم الله (الحَكِيم)" (٣). لا يقتصر الأمرُ إذن على الاختصار فحسب؛ وإنَّما يتجاوزُه إلى شرف هذه المراحل الأربعة مقارنةً بمثيلاتها في مسالك الآخرين من جهة، وارتباط تحقُّقها في نفس السَّالِّك بالوقوف على أسرار وتجليات "أسماء الله الحسنى" من جهة أخرى. فإذا كانت طرق "الخفاء" ذات خطوات عشر - كاللطائف العشر - وإذا كانت طرق "الجهر" ذات خطوات سبع - بحسب النفوس السبعة - فإنَّ الطَّريق المختصر الذي اخطته الأستاذ النُّورسي "عبارة عن أربع خطوات فحسب؛ وهو (حقيقةٌ شرعية) أكثر مما هو (طريقةٌ صوفية)... فالمقصود بالعجز والفقر والتقصير إنما هو إظهار ذلك كلِّه أمام الله سبحانه، وليس إظهاره أمام النَّاس" (٤).

(١) سيرة ذاتية، ص ٨٢.

(٢) الكلمات، ص ٥٤٥. وللتفكُّر قيمة كبرى في مسلك النُّورسي بعد تحوُّله إلى "سعيد الجديد"؛ وهو ما يعبرُ عنه بالقول: "وعندما انقلب سعيد القلم إلى سعيد الجديد، سالكاً مسلك التَّفَكُّر، بحثُ عن سرٍّ ((تفكُّر ساعةٍ خيرٌ من عبادةٍ سنة))، وفي كلِّ عام أو عامين كان ذلك السَّرُّ يغيِّر من شكله فيُنتج إمَّا رسالةً عربيَّة أو رسالةً تركيَّة. وقد دامت تلك الحقيقة وهي تتلبَّس الأشكال المختلفة ابتداءً من رسالة (قطرة) العربيَّة، وانتهاءً إلى رسالة (الآية الكبرى)، حتى أخذت شكلها الدائم في (الحزب النوري)". سيرة ذاتية، ص ١٩٧.

(٣) الكلمات، ص ٥٤٥.

(٤) الموضوع نفسه. وقارن أيضاً بما ورد في الكلمة الرابعة والعشرون، الغصن الثاني، ص ٣٧٧ - ٣٨٢.

وتأكيداً على "مركزية التزكية" في منهج الأستاذ النورسي التربوي العملي نراه يشدد - في أكثر من موضع - على ضرورة التزكية بوصفها تمثل المنبع الأول للطريق الصوفي الصحيح. يقول في ذلك: "أما منابع هذه الخطوات [الأربعة] من القرآن الكريم فهي: [١] ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (النجم: ٣٢). تشير إلى الخطوة الأولى [العجز]. [٢] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ (الحشر: ١٩). تشير إلى الخطوة الثانية [الفقر]. [٣] ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ (النساء: ٧٩). تشير إلى الخطوة الثالثة [الشفقة]. ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨). تشير إلى الخطوة الرابعة [التفكر]"^(١).

أما وجوب عدم تركية النفس - أي المبالغة في تعظيمها والافتخار بأعمالها وعدم رؤية تقصيرها - فذلك "لأنَّ الإنسان حسب جبلته، وبمقتضى فطرته، مُجِبٌّ لنفسه بالذات، بل لا يحبُّ إلا ذاته في المقدِّمة. ويُضْحِي بكلِّ شيء من أجل نفسه، ويمدح نفسه مدحا لا يليق إلا بالمعبود وحده... بل لا يقبلُ التَّقصيرَ لنفسه أصلاً، ويُدافع عنها دفاعاً قوياً بما يُشْبِهُ العبادة... فيصبيه وصف الآية الكريمة: ﴿مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (الفرقان: ٤٣، والجاثية: ٢٣).... فلا بدَّ إذن من تركيتها. فتزكيتها في هذه الخطوة وتطهيرها هي بعدم تركيتها"^(٢).

وكما أنَّ التزكية - بهذا المعنى - ضرورة في الخطوة الأولى؛ فإنَّها ضرورية وواجبة أيضاً في الخطوة الثانية المتعلقة بالفقر؛ "إذ مُقتضى النفس الأمَّارة أنَّها تذكُر ذاتها في مقام أخذ الأجرة والحظوظ وتلتزم بها بشدَّة، بينما تتناسى ذاتها في مقام الخدمة والعمل والتَّكليف. فتزكيتها وتطهيرها وتربيتها في هذه الخطوة هي العملُ بعكس هذه الحالة؛ أي عدم النسيان في عين النسيان؛ أي نسيانُ النفس في الحظوظ والأجرة، والتَّفكُّر فيها عند الخدمات والموت"^(٣). والأمر ذاته فيما يتعلَّق بالخطوة الثالثة "الشفقة"؛ "فتزكية النفس في هذه المرتبة هي في سرِّ هذه الآية ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس: ٩)؛ وهي أن تعلم بأنَّ كمالها في عدم كمالها، وقُدْرَتها في عجزها أمام الله، وغناها في فقرها إليه"^(٤).

(١) المصدر السابق، ص ٥٤٥-٥٤٦.

(٢) نفسه، ص ٥٤٦.

(٣) الموضع نفسه.

(٤) نفسه، ص ٥٤٧.

أخيراً يُشدّد النورسي على ضرورة وأهمية التَّزْكِيَّة في الخطوة الرَّابِعة [التَّفَكُّر]؛ "فتزكيتها في هذه الخطوة هي معرفة أنَّ عدمها في وجودها ووجودها في عدمها؛ أي إذا رأت ذاتها وأعطت لوجودها وجوداً، فإنَّها تغرق في ظلمات عدم يسع الكائنات كلها... كأنَّها اليراعة في ضيائها الفرديِّ الباهت في ظلمات الليل البهيم. ولكنَّ عندما تترك الأنانية والغرور ترى نفسها حقاً أنَّها لا شيء بالذَّات؛ وإنَّما هي مرآة تعكس تجليات مُوجدها الحقيقي، فتظفر بوجود غير متناهٍ، وتربح وجود جميع المخلوقات"^(١). أضف إلى ذلك أيضاً أنَّ "مركزة التَّربية الروحيَّة" في فكر الأستاذ النورسي تتحلَّى - في وجهة نظرنا - في عنصرين رئيسين؛ أولهما: بواعث التَّزْكِيَّة. وثانيهما: سبُل وطرائق التَّزْكِيَّة. ففيما يتعلَّق بالعنصر الأوَّل يُشدّد النورسي - في غير ما موضع من رسائل النور - على ضرورة التَّزْكِيَّة والحاجة الماسَّة إلى التَّربية الرُّوحية، وذلك من خلال التَّركيز على مادِّية العصر وكشف مظاهر التَّخلف التي أصابت الأُمَّة، والتَّشديد على أنَّ مردَّ ذلك كلِّه إنَّما يعود إلى "تَرَدُّد في الأخلاق، وانحطاط في القيم"^(٢). وفيما يتعلَّق بالعنصر الثاني "سبُل وطرائق التَّزْكِيَّة"؛ يمكننا من خلال "رسائل النور" أن نلخِّصها في النِّقاط التَّالية:

- النِّيَّة الخالصة، والتَّجرُّد من الدُّنيا، والعزوف عن حظوظ النَّفس: فالحقُّ والحقيقة - بحسب النورسي - لا يُقيَّدان بشيء ولا ينحصران في مكانٍ ولا زمانٍ معيّنين، وكذلك الحقائق الإيمانية والأسس القرآنية "لا تُفحمان في المعاملات الدُّنيوية، ولا تُحصران في مؤسَّسة رسميَّة يُودَّي فيها العمل بالأجرة؛ بل إنَّ تلك الأسرار والفيوضات - التي هي موهبة إلهيَّة - لا تتأتَّى إلَّا بوساطة النِّيَّة الخالصة، والتَّجرُّد من الدُّنيا، والعزوف عن حظوظ النَّفس"^(٣).

- تربية وتهذيب النَّفس الأَمَّارة بالسُّوء: فأعظمُّ خطر يتهدَّد الإيمان والمسلمين في هذا الزَّمان "هو فسادُ القلوب وتزعزُع الإيمان، وإنَّ العلاج الوحيد لإصلاح القلب وإنقاذ الإيمان إنَّما هو النُّور وراءه النُّور"^(١). وهذا النُّور لا يحصل في القلب إلَّا عن طريق

(١) الموضع نفسه.

(٢) المکتوبات، المکتوب الثاني والعشرون، ص ٣٣٤.

(٣) المکتوبات، المکتوب السادس عشر، ص ٨٩ - ٩٠.

(١) اللّمعات، اللّمة السادسة عشرة، ص ١٤٢.

التَّهْذِيب والتَّزْيِين، وهو ما يَضْرِبُ له الأستاذُ مثلاً بواقعةٍ حدثت له مع مديرٍ مسؤولٍ تناوله في غيابه بالتَّحْقِيرِ والإِهَانَةِ فتألم الأستاذُ لذلك "ما يَقْرُبُ من ساعةٍ بأحاسيس (سعيد القلسم)، ثم قلتُ لنفسي: إنَّ كان تحقيره وما أوردته من نقائص تخصُّ شخصي ونفسي بالذَّات، فليَرْضَ اللهُ عنه إذ أطلعتني على عيوب نفسي. فإنَّ كان صادقا، فسوف يسوِّفني اعتراضه إلى تربية نفسي الأمانة بالسُّوء وتأديبها، فهو إذن يُعاونني في النِّجاة من الغرور. وإنَّ كان كاذبا، فهو عونٌ لي أيضا للخلاص من الرِّياء، ومن الشُّهرة الكاذبة التي هي أساس الرِّياء. نعم إنَّني لم أٌصالح نفسي قط؛ لأنَّني لم أُرْجأ، فإنَّ نَبَهني أحدٌ على وجود عُقْرٍ في أي جزءٍ من جسمي، عليَّ أنْ أَرْضَى عنه، لا [أن] أمتنعُ منه" (١).

■ أن تسير أفعال المسلم وفق الدساتير السَّامية: فلكي تتحقَّق التَّربية والتَّزكية يتعيَّن أن يكون ثمة دستوراً حاكماً لها حتَّى لا تخرج عن أهدافها "إنَّ لم تكن تصوِّفات المؤمن وحركاته وفق الدساتير السَّامية التي وضعها الحديث الشَّريف: «الحُبُّ في الله والبُغْض في الله» (مسند ابن حنبل ١٤٦/٥)، والاحتكام إلى أمر الله في الأمور كلّها، فالْتِفَاق والشُّفاق يسودان. نعم إنَّ الذي لا يستهدي بتلك الدساتير يكون مُقْتَرِفاً ظلماً في الوقت الذي يروم العدالة" (٢).

■ المداومة على الإخلاص فهو واسِطةُ الخلاص: يقول الأستاذ مُشَدِّداً على ضرورة الإخلاص "إنَّ الإخلاص واسِطةُ الخلاص ووسيلةُ النِّجاة من العذاب، فالعداء والعناد يُزَعِّجان حياة المؤمن المعنوية فتتأدَّى سلامةُ عبوديته لله، إذ يضيغُ الإخلاص! ذلك لأنَّ المعاند الذي ينحازُ إلى رأيه وجماعته يروم التفوُّق على خصمه حتَّى في أعمال البرِّ التي يُزاولها، فلا يُوفِّق توفيقاً كاملاً إلى عملٍ خالصٍ لوجه الله. ثمَّ إنَّه لا يُوفِّق أيضاً إلى العدالة، إذ يُرَجِّحُ الموالينَ لرأيه الموافقينَ له في أحكامه ومعاملاته على غيرهم، وهكذا يضيغُ أساسان مهمَّان لبناء البرِّ (الإخلاص والعدالة) بالخِصام والعداء" (٣).

ولذلك أشاد الأستاذ - في معرض حديثه عن الإخلاص - بشيوخ الطُّرق الصُّوفية في

(١) المكتوبات، المکتوب السادس عشر، ص ٨٢.

(٢) المكتوبات، المکتوب الثاني والعشرون، ص ٣٢٧.

(٣) المكتوبات، المکتوب الثاني والعشرون، ص ٣٢٩.

اسباطة "فلا يبدو بين من فيها من المتقين والصالحين وأهل الطرق الصوفية والعلماء اختلاف مشوب بالحسد، حتى لو ظهر فهو أخف بكثير مما هو عليه في سائر المناطق. وعلى الرغم من أن المحبة الخالصة والاتفاق الثام غير موجودين كما ينبغي؛ فإن الاختلاف المضّر والحسد الممقوت مفقودان أيضا بالنسبة للمناطق الأخرى"^(١). وهو يرد أسباب الاختلاف بين علماء الدين وأرباب الطرق الصوفية إلى سبعة أسباب؛ هي:

(١) أن اختلافهم غير نابع من فقدان الحقيقة، كما أن اتفاق أهل الغفلة ليس نابعاً من ركوبهم إلى الحقيقة؛ وإنما وظيفة أهل الدين وأصحاب العلم وأرباب الطرق الصوفية متوجهة إلى الجميع، وأجرتهم العاجلة غير متعينة ولا مخصصة، كما أن حظهم من المقام الاجتماعي وتوجه الناس إليهم والرضى عنهم لم يتخصص أيضاً، ومن هنا تنشأ المزاخمة والمنافسة.

(٢) أن اختلافهم نابع من عزهم، على عكس اختلاف أهل الضلال النابع من ذلتهم.

(٣) أن اختلافهم ليس ناشئاً عن الوضاعة وفقدان الهمة؛ وإنما هو نابع من سوء استعمال علو الهمة.

(٤) أن اختلافهم ليس كائناً من عدم التفكير في مصيرهم، ولا من قصر نظرهم؛ وإنما هو ناتج عن عجز أهل الهداية عن الثبات على الاستقامة في السير.

(٥) أن اختلاف أهل الضلالة ليس نابعاً من ضعفهم؛ بل إن عدم اتفاق أهل الهداية ناجم عن عدم شعورهم بالحاجة إلى القوة لما يمدّهم به إيمانهم الكامل من متركز قوي.

(٦) أن اختلاف أهل الحق ليس ناشئاً من فقدان الشهامة، ولا من انحطاط الهمة وانعدام الحمية؛ وإنما وجهوا نظرهم إلى ثواب الآخرة فتوزع ما لديهم من حمية إليه.

(٧) أن اختلافهم ليس ناشئاً من الغيرة فيما بينهم، ولا من الحرص على حطام الدنيا؛ بل لأنهم لم يتمكنوا من الحفاظ على الفضائل والمكارم التي يحصلون عليها من تمسكهم بالحقيقة"^(١).

(١) اللمعات، اللمعة العشرون، (تحقق الإخلاص)، ص ٢٠٤.

(١) قارن بما ورد في اللمعة العشرين، ص ٢٠٥ - ٢١٨. وفي السياق ذاته يخصص الأستاذ اللمعة الحادية والشرين للحديث عن موانع الإخلاص، وقد أوصى بقراءتها كل خمسة عشر يوماً على الأقل، وبدأها

■ **المجاهدات:** فالمتأمل لحياة الأستاذ النورسي يلاحظ أنه قطع خلالها الطريق الشاق لأكثر من نصف قرن بجهاده المقدس قولاً وعملاً، وأنه اجتاز - بفضل مجاهداته - آلاف العوائق والأخطار التي كانت تنهض على طول الطريق. لقد كان النموذج الأمثل للآية القرآنية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩). فكأنها بمثابة المرشد النوراني في تحليل شخصيته وسيرته.

فالإنسان - بحسب النورسي - مليئٌ بالاستعدادات الفطرية الكامنة فيه، والتي تؤهله لبلوغ أعلى المراتب والدرجات "ولكي تظهر هذه الاستعدادات وتنبسط لا بد لها من حركة، ولا بد لها من تفاعل وتعامل. فحركة لولب الرقي ونابض السموّ في ذلك التّعامل هي (المجاهدة). ولا تحصيل هذه (المجاهدة) إلا بوجود الشّياطين والأشياء المضرة، إذ لولا تلك (المجاهدة) لظلت مرتبة الإنسان ثابتة كالملائكة، وعندها ما كانت لتظهر تلك الأصناف السامية من الناس" (١).

هذا وتنوّع صور وأنماط "المجاهدات الرّوحية" التي تهدف في جوهرها إلى تهذيب النّفس: فمنها ما يدخل في باب "العبادات" - كالصلاة، والزكاة، والصّيام -، ومنها ما

بوضع أربعة دساتير لأجل الظفر بالإخلاص، وللحفاظ عليه، ولدفع الموانع وإزالتها، وهي:

- ١ - ابتغاء مرضاة الله في العمل.
- ٢ - عدم انتقاد العاملين في الخدمة القرآنية وعدم إثارة نوازع الحسد.
- ٣ - العلم بأن الإخلاص والحق هما مصدر القوة.
- ٤ - الافتخار بمزايا الإخوان وتصورها في النفس وعدّ فضائلهم في الذات حيث يدعو إلى "الفناء في الإخوان" باعتباره دستوراً يناسب مسلكه ومنهجه على غرار "الفناء في الله أو الرسول أو الشيخ" عند الصوفية.

ثم يتحدّث عن ثلاثة موانع تخل بالإخلاص وتسوق إلى الرّياء وتدفع إليه، وهي:

- ١ - الحسد الناشئ من المنافع المادية، حيث يفسد الإخلاص تدريجياً، ويشوّه نتائج الأعمال.
- ٢ - منح النفس الأمانة بالسوء الأسباب التي تداعب وتغدي أنانيته، وما تستشرفه من منزلة ومكانة، فكما أن هذا داء روحي وبيل، فهو باب إلى "الشرك الخفي" الذي هو الرياء والإعجاب بالنفس الماحق للإخلاص أيضاً.
- ٣ - الخوف والطمع، على نحو ما بيّن في الدسيّة الثانية في القسم السادس من المكتوب التاسع والعشرين (المكتوبات، ص ٥٠٨ - ٥١٢). قارن بـ **اللمعات**، اللمعة الحادية والعشرون، ص ٢١٩ - ٢٢٩.

(١) **اللمعات**، اللمعة الثالثة عشرة، ص ٩٩ - ١٠٠.

يندرج ضمن "الأحوال والمقامات" - كالصبر، والرضا، والشكر -، ومنها ما يكون في دنيا "المعاملات" - كالصدق، والأمانة، والشفقة على الخلق -، ومنها ما هو أدخل في باب "السمات الشخصية، أو تكوين الذات" - كالاعتزاز بالنفس، ورفض الظلم، والثبات على الحق -.

فإذا كانت أكثر الحِكَم المتمخضة عن الصَّيام تتوجّه إلى إظهار ربوبية الحقّ تبارك وتعالى، فإنّها "تتوجّه إلى حياة الإنسان الاجتماعية وإلى حياته الشخصية، وتتوجّه أيضا إلى تربية النفس وتركيتها، وإلى القيام بالشكر تجاه النعم الإلهية"^(١). وبعد أن يأتي الأستاذ على ذكر الحِكَم الماثلة في الجانبين الأولين - إظهار الربوبية، وأثر الصَّيام في الحياة الاجتماعية - يُعدّد الحِكَم المتمخضة عن الصَّيام في جانب تربية النفس وتركيتها؛ فيقول: "إنّ صوم رمضان يحوي من جهة تربية النفس البشرية حِكَمًا عدّة، إحداهما أنّ النفس بطبيعتها ترغب الانفلات من عقابها حرّة طليقة، وتتلقّى ذاتها هكذا. حتّى إنّها تطلب لنفسها ربوبية موهومة، وحركة طليقة كيفما تشاء، فهي لا تريد أن تفكر في كونها تنمو وترعرع وتُربى بنعم إلهية لا حدّ لها، وبخاصة إذا كانت صاحبة ثروة واقتدار في الدنيا، والغفلة تُساندها وتعاونها... ولكن تبدأ نفس كلّ شخص بالتفطّن في ذاتها في رمضان المبارك، فتدرك بأنّها ليست مالكة، بل هي مملوكة، وليست حرّة طليقة، بل هي عبدة مأمورة، فلا تستطيع أن تمدّد يدها إلى أدنى عمل من غير أمر، بل حتى لا تستطيع أن تمدّها إلى ماء، وبهذا ينكسر غرور ربوبيتها الموهومة، فتتقلّد ربة العبودية لله تعالى، وتدخل ضمن وظيفتها الأساس؛ وهي الشكر"^(٢).

كما أنّ النفس الإنسانية "تنسى ذاتها بالغفلة، ولا ترى ما في ماهيتها من عجز غير محدود، ومن فقر لا يتناهى، ومن تقصيرات بالغة، بل لا تريد أن ترى هذه الأمور الكامنة في ماهيتها... ولكنّ صوم رمضان يُشعر أشدّ النَّاس غفلة وأعتاهم تمرّدًا بضعفهم وعجزهم وفقرهم، فبوساطة الجوع يفكر كلّ منهم في نفسه... فيتدكّر ضعفه، ومدى حاجته إلى الرّحمة الإلهية ورأفتها، فيشعر في أعماقه توجّعًا إلى طَرَق باب المغفرة الربّانية بعجز كامل وفقر ظاهر مُتخلّصًا عن فرعنة النفس، مُتهيئًا بذلك لطَرَق باب الرّحمة الإلهية بيد الشكر المعنوي؛ إن لم تُفسد الغفلة بصيرته"^(٣).

■ التوكّل: يتأسّس التوكّل في رأي الثورسي وفق قاعدة جليّة توضّحها الآية القرآنية

(١) المکتوبات، المکتوب التاسع والعشرون، ص ٤٨٥.

(٢) المکتوبات، ص ٤٨٧ - ٤٨٨.

(٣) المکتوبات، ص ٤٨٨.

الكرامة: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣). إذ يُدرك السالك بها أنه يستند "بهيوة الانتساب الإيماني إلى سلطان عظيم ذي قدرة مُطلقة، بحيث يُجهز بانتظام تام في كل موسم ربيع على سطح الأرض جميع جيوش النباتات والحيوانات المتشكّلة من أربع مئة ألف نوع من الأمم والطوائف بالأعتدة والأجهزة اللازمة لها... فما دمت قد ظفرت بنقطة استناد مثل هذه بهوية الانتساب الإيماني، يُمكنك إذن الاستناد والاعتماد على قوة عظيمة وقدرة مُطلقة. وحقًا لقد كنتُ أحسُّ بقوة معنوية هائلة كلما كنت أتلقي ذلك الدرس من تلك الآية الكريمة، فكنت أشعر أنني أملك من الاقتدار ما يُمكنني من أن أتحدّى بها جميع أعدائي في العالم، وليس الماثلين أمامي وحدهم" (١).

وحبّ الحصيد؛ إنّ الطّريق الذي ارتضاه النُّورسي ليعكس عن شخصيته المؤمنة الرّاسخة في العلم بالكتاب والسُّنة، كما يكشف عن تمسّكه بمنحى التّصوف السُّني؛ إنّ "طريق" على نهج القرآن ينظر إلى الكائنات على أنّها مُسَخَّرَةٌ لفاطرها الجليل وخادمة في سبيله، وأنّها مظاهرٌ لتجليات الأسماء الحسنى كأنّها مرايا تعكس تلك التّجليات... إنّ هذا الطّريق لا ينظر إلى الموجودات بالمعنى الإسمي؛ أي لا ينظر إليها [على اعتبار] أنّها مُسَخَّرَةٌ لنفسها ولذا أنّها، بل يعزّها من هذا [التفوق على الذات] ويُقلّدها وظيفة أنّها مُسَخَّرَةٌ لله سبحانه (٢). وهذا المنحى يبدو واضحاً ضمن تضاعيف حياة النُّورسي نفسه، وفي مراحل تطوّره الفكري على اختلافها، ويكفي أن نطالع "رسائل النُّور" حتى نتبيّن أنّه ليس ثمّة "فارق" جوهري بين ما انتهجه بديع الزّمان سعيد النُّورسي من الصّراط النُّوراني والتّصوف الحقيقي الذي لا شائبة فيه. فكلاهما يُؤدّيان إلى رضا الباري... وبناء عليه يستطيع أيّ من إخواننا المتصوّفين الذين يستهدفون تلك الغاية النبيلة الأصيلّة قراءة كُليّات رسائل النُّور... بل إنّ رسائل النُّور قد وسّعت دائرة مراقبة التّصوف بالصّراط القرآني، وأضافت إليها وظيفة التّفكّر بمثابة وَرْدٍ مُهِمٍّ (٣).

وهذه المسحّة الصّوفية النُّورانيّة لم تكن أبداً وليدة الصدفة؛ وإنّما أسهم في تكوينها عدّة عوامل رئيسة؛ في مقدّماتها: الاستعدادُ النَّفسي لبديع الزّمان النُّورسي، ومحيطه العائليّ المفعم بالروح الصّوفية، والبيئة السياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة وما اتّسمت به من مُغالاة في التّواحي

(١) الشعاعات، الشعاع الرابع، ص ٦٩ - ٧٠.

(٢) الكلمات، ص ٥٤٨.

(٣) سيرة ذاتية، ص ٤٧ (من مقدمة المترجم).

المادّية. أمّا "الاستعدادُ النَّفسيُّ والقابليّةُ الرُّوحيةُ"؛ فكانا بسبب مُطالعتِه لكتب التصوف؛ حيث استوقفتُه عبارةٌ وردت في كتاب "فتوح الغيب" للشيخ عبد القادر الكيلاني يقول فيها: "أنت في دار الحُكْمَة، فاطلب طبيبًا يُداوي قلبك!"

ومن العجيب حقًا أنَّ النُّورسي كان مُعيَّنًا بالفعل في دار الحكمة الإسلامية بُعيد عودته من الأسر، فأخذ يقول: "ياللعجب! وكأُتَمَّا جئتُ إليها لأداوي جروح الأُمّة الإسلامية، والحال أنِّي كنتُ أشدُّ مرضًا وأحوج إلى العلاج من أي شخص آخر، فالأوّل للمريض أن يُداوي نفسه قبل أن يُداوي الآخرين"^(١). وقد تردّد صدى الجملة الأخيرة في مُناسبة أخرى حين اتهم النُّورسي بالجنون وأودع المصحّة فلما جاءه الطبيب المعالج قال له: "إن كنت طبيبًا حاذقًا، فداوِ نفسك قبل أن تُداويني"^(٢).

والحال أنّه كان للشيخ عبد القادر الكيلاني التّأثير الأكبر على شخصية بديع الزّمان النُّورسي؛ فعلى الرّغم من انتمائه إلى الطّريقة النّقشبندية عن طريق جهاتٍ ثلاثة (والديه وأستاذه)؛ إلا أنّه كان على خلافهم شديد التّأثر بالشيخ الكيلاني الذي أمّده بدعائه وهَمِّه ألف مرّة^(٣). ويكفي للتّدليل على ذلك ما ذكره النُّورسي - في سياق الحديث عن تنشّته الصُّوفيّة - أنّه ما قرأ "أورادًا وأذكارًا طوال حياتي إلّا وأهديتها أولًا إلى حضرة الرّسول الأعظم (ﷺ) ثمّ إلى الشيخ الجيلاني. وعلى الرّغم من أني مُنْتَسِبٌ إلى الطّريقة النّقشبندية؛ فإنّ محبّة

(١) وقد تکرّر الأمر ذاته عندما طالع النورسي كتاب "مكتوبات" للإمام الزّباني السّرهندي صادف عبارة "ميرزا بديع الزّمان": "فأخسّستُ كأنّه يُخاطبني باسمي، إذ كان اسم أبي ميرزا، وكلتا الرّسالتين كانتا موجّهتين إلى ميرزا بديع الزّمان، فقلت: يا سبحان الله! إنّ هذا ليُخاطبني أنا بالذّات... والإمام الزّباني يُوصي مؤكّدًا في هاتين الرّسالتين: (وحدّ القبلة)؛ أي: اتّبع إمامًا ومُرشدًا واحدًا ولا تنشغل بغيره!... وحينما كنتُ أتقلّب في هذه الحيرة الشّديدة، إذا بخاطر رَحْمانيّ من الله سبحانه وتعالى يُخطّر على قلبي ويهتف بي: إنّ بداية هذه الطّرق جميعها، ومنبع هذه الجدّاول كلّها، وشمس هذه الكواكب السّيّارة؛ إنّما هو القرآن الكريم... ومنذ ذلك اليوم أقبلتُ على القرآن واعتصمتُ به واستمددتُ منه".

(٢) سيرة ذاتية، ص ٩١.

(٣) سيرة ذاتية، ص ٥٧. وإلى جانب هذه الكرامة هناك العديد من الكرامات المتمثلة في "الرؤيا الصّالحة"؛ كتلك المتعلّقة برؤية الشيخ محمد الكفروي، قدّس سرّه، يُخاطبه: "يا ملاّ سعيد تعالَ لزيارتي، فإنّي سأرحل"، وعندما انتبه من نومه سمع نداء النّعي في الصّباح يتصاعد من بيت الشيخ. المصدر نفسه، ص ٧٨.

الطريقة القادرية ومشرّبها يجري في حكمه دون اختيارٍ مني، إلا أن الانشغال بالعلم كان يُعيق الانشغال بالطريقة"^(١).

ولهذا السبب أيضا تظهر شخصية الكيلاني في المنعطفات الكبرى لحياة بديع الزمان النورسي؛ إذ يأتيه الشيخ عبد القادر في المنام سنة ١٨٩٤م/١٣١١هـ ليأمره بالذهاب إلى رئيس عشيرة ميران مصطفى باشا بهدف دعوته إلى الهداية والرشاد، والإقلاع عن الظلم، وهو ما فعله النورسي بالفعل وكاد أن يتسبّب في مقتله!^(٢) وحين مرّ بديع الزمان بأزمةٍ روحيةٍ حادةٍ سنة ١٣٣٩هـ، لم يجد سوى الاستنجاد بالشيخ عبد القادر الذي استمدّ منه مددًا قويًا جدًا: "فأمدني بهيمته وبكتابه "فتوح الغيب" حتى جاوزت ذلك القلق والاضطراب"^(٣). وعندما نقرّ من الحياة الاجتماعية في اسطنبول وعاد إلى قريته رغبةً في العزلة والانزواء قرأ قصيدة "الأسماء الحسنى" للشيخ الكيلاني وكتب على غرارها مُناجاة بعنوان: "هو الباقي"^(٤). أمّا منشؤه الصوفي في محيطه العائلي، فقد كان والده "الصوفي ميرزا" ورعًا يُضربُ به المثل، وكان يتحرّى الحلال حتّى أنّه كان إذا ما عاد بمواشيه من المراعي شدّ أفواهها لئلا تأكل من مزارع الآخرين. وعندما سُئِلت والدته: ما طريقتك في تربية أولادك حتى حازوا هذا الذكاء الخارق؟ أجابت: لم أفارق صلاة التهجّد طوال حياتي إلّا الأيام المعذورة شرعا، ولم أُرْضِعْ أولادي إلّا على طهور ووضوء"^(٥). كما كان أخاه الملا عبد الله من خواصّ الشيخ ضياء الدين "قدّس الله سرّه؛ وهو من الأولياء الصالحين"^(٦). وبالإضافة إلى كلّ من والديه كان أستاذه أيضا متصوفاً على مشرب السادة النقشبندية^(٧)، كما أن ابن أخيه عبد الرحمن

(١) سيرة ذاتية، ص ٥٧.

(٢) سيرة ذاتية، ص ٧١ - ٧٤.

(٣) سيرة ذاتية، ص ١٨١.

(٤) قارن بما ورد في ص ١٩٤-١٩٥.

(٥) سيرة ذاتية، ص ٥١.

(٦) قارن بالمحاورة الدقيقة التي جرت بينه وبين أخيه بخصوص شيخ الأخير ومظاهر بعض المغالاة في تقديسه، ص ٦٤ - ٦٥.

(٧) يتحدث النورسي عن إعجابه وتأثره الشديد بالدروس التي كان يلقيها الشيخ عبد الرحمن تاغي الملقب بـ "سيد" في ناحية إسباريت التابعة لقضاء خيزان، وهو يصف الجمع الذي كان يتلمذ على يديه آنذاك بالقول: "كنت أشعر بينهم أيضا ضمن تلك المناظرات العالية والهمة العالية والدائرة

أَغَانَتْهُ هِمَّةُ الْقُرْآنِ وَمَدَدُهُ، وَأَدَّتْ "رِسَالَةُ الْحَشْرِ" دَوْرَهَا فِي تَطْهِيرِهِ مِنْ لُوثَاتٍ مَعْنَوِيَةٍ وَكُدُورَاتِ الْأَوْهَامِ وَالشُّبُهَاتِ وَالْغَفْلَةِ، فَارْتَفَعَ إِلَى مَا يُشْبِهُ مَرْتَبَةَ الْوَلَايَةِ، وَأَظْهَرَ لِلنُّورِيِّ ثَلَاثَ كِرَامَاتٍ فِي رِسَالَتِهِ الَّتِي كَتَبَهَا إِلَيْهِ قَبْلَ وَفَاتِهِ^(١). أَيْضًا يُعَدُّ النُّورِيُّ نَفْسَهُ ابْنًا مَعْنَوِيًّا لِلْإِمَامِ عَلِيِّ - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ -، حَيْثُ يَقُولُ: "وَتَلَقَّيْتُ دَرْسَ الْحَقِيقَةِ مِنْهُ"^(٢).

كَمَا أَنَّ فِي سِيرَةِ النُّورِيِّ لِحَاتٍ عَدِيدَةً مَتَفَرِّقَةً حَوْلَ اسْتِمَاعِهِ لِمُنَاقِبِ الْأَوْلِيَاءِ وَهُوَ بَعْدُ صَغِيرٌ لَمْ يَتَجَاوَزْ سَنَ الْعَاشِرَةِ^(٣)، إِلَى جَانِبِ التَّزَامَةِ الصَّمْتِ أَغْلِبَ الْوَقْتُ وَمَلَازِمَتِهِ ضَرِيحِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْخَانِي؛ سَالِكًا مَسْلَكَ الزُّهَّادِ^(٤)، وَتَزْيِيهِ بَزِيِّ الدَّرَاوِيشِ^(٥) وَقَطْعَ الْجِبَالِ الْوَعْرَةِ وَالْغَابَاتِ الْكَثِيفَةِ، وَمَزَاوِلَةَ الرِّيَاضَةِ الرُّوحِيَّةِ وَمُمَارَسَةِ التَّزَهُدِ حَتَّى هَزُلَ جَسْمُهُ وَنَحَلَ؛ إِذْ كَانَ يَكْتَفِي بِقِطْعَةٍ مِنَ الْخُبْزِ طَوَالَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ^(٦).

كَمَا كَانَتْ لَهُ قَدَمٌ رَاسِخَةٌ فِي مُحَاسِبَةِ النَّفْسِ وَالْمُجَاهَدَةِ، فَلَمْ يُحَقِّقْ رَغْبَاتَ نَفْسِهِ

الْوَاسِعَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالصُّوفِيَّةِ، كَأَنَّ أَوْلَئِكَ الْعُلَمَاءَ سَيَفْتَحُونَ الْأَرْضَ كُلَّهَا. فَكُنْتُ أَسْتَمِعُ - وَأَنَا لَمْ أَتَجَاوَزْ الْعَاشِرَةَ مِنْ عُمْرِي - إِلَى مَنَاقِبِ الْعُلَمَاءِ الْقَدَامِيِّ الْمَشْهُورِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ الْعِظَامِ وَالسَّادَةِ الْأَقْطَابِ، وَيَرِدُ إِلَى قَلْبِي: أَنَّ هَؤُلَاءِ الطَّلَابِ الْعُلَمَاءَ سَيَفْتَحُونَ آفَاقًا عَظِيمَةً فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ... وَكَانَ بَيْنَ شَبَوَاحِ الطَّرِيقِ الصُّوفِيَّةِ وَضَمْنِ دَائِرَتِهِمْ فِي نَاحِيَّتِنَا وَقَضَائِنَا وَوَلَايَتِنَا مَسَابِقَةٌ [فِي الْمُنَاطَرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ] تُثِيرُ الْحَيْرَةَ... فَإِنَّ شَيْئًا فَادْهَبَ بِخَيَالِكَ إِلَى مَجْلِسِ "سَيِّدَا" قَدَّسَ سِرَّهُ فِي قَرْيَةِ نَوْرَشِينِ، وَمَا أَظْهَرَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِصَحْبَتِهِ الْقُدْسِيَّةِ، تَرَفُّ فِيهَا مَلُوكًا فِي زِيِّ الْفُقَرَاءِ، وَمَلَائِكَةً فِي زِيِّ الْإِنَاسِيِّ".

سِيرَةٌ ذَاتِيَّةٌ، ص ٥٨-٥٩.

(١) الْمَكْتُوبَاتُ، الْمَكْتُوبُ الثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ، الْمَسْأَلَةُ الثَّلَاثَةُ، النِّقْطَةُ الْخَامِسَةُ، ص ٤٣٣.

(٢) سِيرَةٌ ذَاتِيَّةٌ، ص ٥٦.

(٣) سِيرَةٌ ذَاتِيَّةٌ، ص ٥٨.

(٤) سِيرَةٌ ذَاتِيَّةٌ، ص ٦٣.

(٥) يَذْكُرُ النُّورِيُّ أَنَّهُ كَانَ فِي بَتْلَيْسَ عِنْدَمَا تَوَجَّهَ إِلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ أَمِينٍ أَفَنْدِي، وَكَلَّفَهُ الشَّيْخُ أَنْ يَلْبِسَ زِيَّ الْعُلَمَاءِ "الْجَبَّةَ" وَيَدْعَ زِيَّ "الدَّرَاوِيشِ"، وَلَكِنَّهُ رَدَّ تَكْلِيفَهُ قَائِلًا: "إِنِّي لَمْ أَبْلُغْ بَعْدَ الْحُلُمِ، فَلَا أَجِدُنِي لَائِقًا بِلِبْسِ مَلَابِسِ الْعُلَمَاءِ، وَكَيْفَ أَكُونُ عَالِمًا وَأَنَا مَا زِلْتُ صَبِيًّا". سِيرَةٌ ذَاتِيَّةٌ، ص ٦٤.

(١) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص ٦٣. وَمِنْ مَظَاهِيرِ تَزَهُدِهِ أَيْضًا أَنَّهُ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنَ الْأَسْرِ سَنَةَ ١٩١٨مَ عُيِّنَ فِي دَارِ الْحِكْمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ حَوْلِي ثَلَاثَ سِنَوَاتٍ دُونَ رِضَاهِ "فَمَا كَانَ يَأْخُذُ مِنَ الْمُرْتَبِ الْمَخْصَّصِ لَهُ سِوَى مَا يَقِيمُ أَوْدَهُ، وَعِنْدَمَا يُسْتَفْسَرُ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ كَانَ يَقُولُ: أَرِيدُ أَنْ أَعِيشَ كَالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ، فَهَمُّ يَتَدَارَكُونُ مَعِيشَتَهُمْ بِهَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْمُبْلَغِ، وَلَا أَرِيدُ أَنْ أَتَّبِعَ الْأَقْلِيَّةَ الْمُسْرِفَةَ". نَفْسُهُ، ص ١٥٢-١٥٣.

وحظوظها "حتى أنه ما كان يأكل إلا ما يسد الرمق، ولا ينام إلا قليلا، ويقضي الليل في عبادة خاشعة تلفت الأنظار، وكان هذا دأبه مهما تبدلت المواسم" ^(١). ونتيجة لذلك كله "بدأ الناس يوقرونه كتوقيرهم لولي من الصالحين" ^(٢). وبما أن حصول الكرامة من مظاهر تحقق الولاية فسرعان ما نالها فيما عُرف بـ "كرامة الصلاة" حيث رفض الجنود فك قيده ليؤدي الصلاة "فككهما بيسر كمن يفك منديلا"، فقال الجنود، متوسلين راجين: "كنّا حُرّاسك إلى الآن، أمّا بعد الآن فنحن خُدّامك"! وحينما كان يُسأل: كيف انحلت القيود؟ كان يكتفي بالقول: وأنا كذلك لا أعلم، إنّ هي إلا كرامته الصلاة ليس إلا! ^(٣) ولعلّ ذلك كان سببا قويا في اكتسابه تلك القدرة الفريدة المتعلقة بتحويل "الحزن" العديدة التي مرّ بها إبان مختلف أطوار حياته إلى "منح" إلهية، وصولا إلى تحوُّله هو شخصا من "سعيد القديم" إلى "سعيد الجديد"، وما رافق ذلك من منطوق الثنائيات الحاكم لمسار حياته:

- فمن مهمة إنقاذ الخلافة إلى مهمة إنقاذ الإيمان ^(٤).
- ومن مسئلك الزُّهد إلى خدمة القرآن ^(٥).
- ومن الصَّحوة الروحية بعد الوقوع في الأسر إلى انزوائه في تلّ يوشع وتحوُّله إلى "سعيد الجديد" ^(١) بانكشاف روحاني وانقلاب قلبي وفكري ^(٢).
- ومن مسلك التّفكّر والتّأمّل إلى ثلاثية: العجز، والفقر، والشفقة ^(٣).
- ومن مخايل الشُّبوغ في عهد الصِّبا وتلقُّيه ببدیع الزّمان إلى حصول الانقلاب الفكري

(١) سيرة ذاتية، ص ١٦ (من تقديم السيد مصطفى صونغور).

(٢) سيرة ذاتية، ص ٦٨.

(٣) سيرة ذاتية، ص ٧٥.

(٤) قارن بما ورد في سيرة ذاتية، ص ٩٤ - ٩٧، ١٦٩.

(٥) قارن بـ سيرة ذاتية، ص ٨٣.

(١) يذكر النورسي ثلاث حكايات تشبيهية بشأن تحوله إلى "سعيد الجديد"، قارن بما ورد في: الكلمات، الكلمة الثالثة والعشرون، المبحث الثاني، ص ٣٦٠ - ٣٦٦. وأيضا سيرة ذاتية، ص ١٩٥ - ١٩٧.

(٢) قارن بما ورد في سيرة ذاتية، ص ٣١، ١٤٦ - ١٥١، ١٩٢ - ١٩٣.

(٣) قارن بما ورد في ص ١٦٩.

وأنَّهامه بالجنون وإيداعه مستشفى المجانين^(١).

- ومن الاشتغال بالعلوم العقلية "الكسبيّة" إلى حصول المعرفة الإلهيّة "الدّنيّة"^(٢).
- ومن الظّلام الرّوحي الناتج عن الاشتغال بالفلسفة إلى تحقّق الاستنارة عن طريق القرآن وإزالة العوائق عن طريق القلب^(٣)، ورحلة النّفس في البحث والتّحري عن أذواقٍ معنويّة بدلا عمّا افتُتنت به من أذواقٍ^(٤).

والحال أنّه يُمكننا اختصارُ مراحل السّير والطلّاب نحو "سعيد الجديد" - فيما يتعلق بموضوعنا - في النّقاط الأربع التالية:

- (١) التّخلّص من أسقام الاشتغال بالفلسفة.
 - (٢) الإقرار بأنّ القرآن هو الأستاذ الحقيقيّ.
 - (٣) الاقتران ببعض عظماء أهل الحقيقة انتهاءً بالجمع بين الطّريقة والحقيقة ببركة فيض القرآن الكريم وإرشاده.
 - (٤) الإيمان بفعالية دوره في الوعظ والإرشاد وخدمة الإيمان، وأنّه "عالمٌ دينيٌّ، مكلفٌ شرعاً بإفادة الناس"^(٥).
 - (٥) قَطْعُ المقامات على طريقة الإمام الغزالي، والإمام الرّباني^(١)، وجلال الدّين الرّومي "ساعيا بالقلب تحت نظارة العقل، وبالعقل في حماية القلب... فبادرَ إلى ضماد جراحات قلبه وروحه، وخلّص نفسه من الوسوس والأوهام، وبخلاصه منها انقلب سعيد القاسم إلى سعيد الجديد"^(٢).
- يقول النّورسي مُعبّراً عن حاله الجديد، وما لازمه فيه من ثلاثيّة: العناية الأزليّة، والهداية

(١) قارن بما ورد في ص ٥٦، ٨١، ٨٦-٩١.

(٢) قارن بما ورد في ص ٨٥، ٨٨.

(٣) قارن بما ورد في ص ١٧٠ - ١٧٢.

(٤) قارن بما ورد في ص ١٩٢.

(٥) المكتوبات، المكتوب السادس عشر، ص ٨٠.

(١) أحمد بن عبد الأحد السرهندي (٩٧١ - ١٠٣٤هـ)، الملقب بمجدد الألف الثاني. برع في علوم عصره، وجمع معها تربية الروح وتهذيب النفس والإخلاص لله وحضور القلب. له مؤلفات عديدة أشهرها "مكتوبات" ترجمها إلى اللغة العربية محمد مراد في مجلدين. اللّمعات، ص ٥٥٧.

(٢) قارن بصورة خاصة ما ورد في الصفحات ١٨٩ - ١٩١.

القرآنيّة، وغوث الرّحمة الإلهيّة: "إنيّ قد ساقني القدرُ الإلهيُّ إلى طريقٍ عجيب، صادفتُ في سيرِي فيه مهالكٌ ومصائبٌ وأعداءَ هائلةً، فالتجأتُ بعجزِي إلى ربِّي فأخذتُ العنايةَ الأزليّةَ بيدي، وعلمني القرآنُ رُشدي، وأغاثني الرّحمَةُ فحلّصتني من تلك المهالك" (١).

ثالثاً: أخلاق التّسامح والرّحمة والإخلاص؛ بوصفها دستوراً نورانياً، وركائزَ إيمانيّةً، للعمل الإيجابي البناء

يرتبط مفهوم "العمل الإيجابي البناء" في حياة بديع الزّمان بعلامة مميزة لهذا المنحى في مختلف أطوارها وتقلباتها العديدة. وهذه العلامة التي نُلحِح إليها تتعلّق بقدرة الإنسان الإيجابي على تحويل "الحن" إلى "منح" عن طريق خلق "الرّحمة". ولعلّ أبلغ مثال على ذلك هو نموذج حرمانه المبكّر من أمّه - منذ أن كان في التاسعة من عمره -، ومن مشاهدة أخواته الثلاث - منذ أن كان في الخامسة عشرة من عمره -، ومن الأولاد - حيث قضى حياته أعزباً فلم ينجب -؛ فقد حوّل الشّيخ بفضل طاقته الإيجابية كلّ هذا الحرمان إلى نقيضه تماماً؛ وهو ما عبّر عنه بالقول: "فبتّ محروماً من كثير من ألطاف الرّحمة والاحترام التي تشيع في أجواء الجلسات الأخوية الطّيبة اللذيذة في الدُّنيا... ومن السُّرور المنبثق من الأخوة الودودة والشفقة العطوفة في مُجالسة أولئك الأعزّاء المتّقين العلماء [إخوته]... ومن مذاقات محبّتهم [الأبناء] البريئة ومن ابتهاجهم وانسراحهم. ومع كلّ هذا ما كنتُ أشعرُ بهذا النقص قطّ، حيث أنعم سبحانه وتعالى عليّ في هذا اليوم معنيّ في مُنتهى الدّوق واللذة فضمّد جراحاتي الأربعة المذكورة من جهاتٍ ثلاث (١):

[الأولى]: أنّه عوّضاً عن اللذة الآتية من العطف الخاصّ لوالديّ، أحسن الرّحيم سبحانه وتعالى عليّ ألّوفاً من الوالدات اللائي يستفيدن من "رسائل النور" استفادةً تفوق المعتاد، ويتذوقن منها أذواقاً روحيّةً خالصة.

[الثانية]: وعوّضاً عن السُّرور والبهجة والعطف الأخويّ النَّاشيء من مُجالسة أخواتي الثلاث - رحمهنّ الله - أحسن المولى الكريم عليّ بالألوف من السيّدات والشّابات، وجعلهنّ في موضع أخوات لي، فأستفيد من دعواتهنّ وتعلّقهنّ بـ "رسائل النور" ألّوفاً من الفوائد

(١) ص ١٩١.

(١) هكذا ورد في الأصل لكنه في الحقيقة عدّ أربعة جهات على نحو ما يبدو هنا.

والثمرات المعنوية والمسرات الروحية.

[الثالثة]: وعوضاً عن حرمانني من العون المادي والمعنوي الذي كان يمُدُّني به في الدنيا أخوأي المرحومان، ومن عطفهما ورأفتهما، فقد أحسن سبحانه وتعالى برحمته عليّ بمئات الألوف من إخوة حقيقيين مُصَحِّين في خدمة "رسائل النور" يحملون عطفًا خالصًا، ويمدُّون إليّ يد العون؛ بل يفدُّون رأسمال حياتهم الدنيوية.

[الرابعة]: وعوضاً عن حرمانني من أذواق العطف والحنان النابعة من الأولاد - حيث لا أولاد لي في الدنيا- أنعم سبحانه وتعالى عليّ بمئات الألوف من الأولاد الأبرياء من حيث استفادتهم من "رسائل النور" مستقبلاً، فحوّل سبحانه وتعالى هذه العواطف الثلاث والشفقة الرؤوفة الجزئية إلى مئات الألوف منها^(١).

وفي السياق ذاته يقول مُعبِّراً عن تحويل المولى عزَّ وجل "محنة النَّفي" إلى "رحمة للتدبُّر":
"بينما كنتُ مُنعزلاً في مغارة أحد الجبال، وقد طَلَقْتُ السِّيَاسَةَ وتجرَّدْتُ عن الدُّنْيَا مُنْشَغِلاً بأمرٍ آخَرٍ، أَخْرَجَنِي أَهْلُ الدُّنْيَا مِنْ هُنَاكَ وَنَفَوْنِي ظُلْماً وَعَدَوَاناً. فجعل الخالق الرَّحِيمُ الحكيم هذا النَّفْيَ لي رَحْمَةً، إِذْ حَوَّلَ ذَلِكَ الْانْزَوَاءَ فِي الْجَبَلِ الَّذِي كَانَ مُعْرِضاً لِعَوَامِلِ نُحُلٍ بِالْإِخْلَاصِ وَالْأَمَانِ إِلَى خُلُوعٍ فِي جِبَالٍ (بارلا) يُحِيطُ بِهَا الْأَمْنُ وَالْإِطْمِنَانُ وَالْإِخْلَاصُ"^(٢).
ففي محيط هذه الغربة التي تحوَّلت بفضل الله تعالى وبنقة الثُّورسي إلى مِنَّةٍ وَنِعْمَةٍ سَطَّرَ الْأَسْتَاذُ بِكَلِمَاتٍ مِنْ نَوْرِ كِتَابِهِ "الكلمات" الذي يصفه بـ "الأنوار القرآنية"^(٣). فالنُّورُ والرَّحْمَةُ عنده سواء:
"إنَّ أَمَّ حَقِيقَةٍ فِي الْكَوْنِ وَأَثْمَنُ مَا هِيَ فِيهِ هِيَ: الْوُجُودُ، الْحَيَاةُ، النُّورُ، الرَّحْمَةُ. وإنَّ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ مُتَوَجِّهَةٌ مُبَاشَرَةً وَدُونَ وَسَائِلَ وَحُجُبٍ إِلَى الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَمَشِئَتِهَا الْخَاصَّةِ، بَيْنَمَا تُحْجَبُ الْأَسْبَابُ الظَّاهِرَةُ فِي الْمَصْنُوعَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْآخَرَى تَصَرُّفَ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَتَسْتَرُّ الْقَوَانِيْنُ الْمَطْرُودَةَ وَالْقَوَاعِدُ الثَّابِتَةُ - إِلَى حَدِّ مَا - الْإِرَادَةُ الْإِلَهِيَّةَ وَمَشِئَتِهَا، إِلَّا أَنْ تَلْكَ الْحُجُبَ وَالْأَسْتَارَ لَمْ

(١) قارن بما ورد في: كليات رسائل النور: الملاحق، ملحق أميرداغ-٢، ص ٣٦٢ - ٣٦٤. وسيرة ذاتية، ص ٥٢ - ٥٤.

(٢) المكتوبات، ص ٥٨. كما خصَّص المسألتيْن الأولى والثانية من الشعاع الحادي عشر للحديث عن ثمار تجربة السجن في دنيزلي، وتحوَّله إلى "مدرسة يوسُفِيَّة" باعتبار أن يرُسُف عليه السلام هو "قدوة المسجونين". قارن بـ الشعاعات، ص ٢٢٦ - ٢٣٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٩.

توضع أمام: الحياة، والنور، والرحمة؛ لعدم جريان حكمة وجودها في تلك الأمور^(١).
 فالحياة والرحمة أهم حقيقتين في الوجود، كما أن الغيث منشأ الحياة مدار الرحمة؛ بل هو عين الرحمة لأن مصدره "الرحمة الإلهية الخاصة بمشيئتها الخاصة". لذا "تتوجه تلك الحقيقة الحياتية الجامعة بجميع دقائقها ولطائفها إلى إرادة الله الخاصة، ورحمته الخاصة، ومشيئته الخاصة"^(٢). وإذا كانت مسالك "التربية الروحية"، أو الترقّي في مدارج السالكين، محصورة - بحسب النورسي - في خطوات أو طرق أربعة هي: العجز - الشكر - الشفقة - التفكر، والتي استفادها من فيض القرآن الكريم؛ فإنّ "الرحمة" تعدّ بمثابة المدار بالنسبة لهذه المسالك الأربعة، فجميعها توصّل إلى أسماء الله الحسنى: "الرحمن"، "الرحيم"، "الحكيم":

■ فالعجز كالعشق طريق موصل إلى الله، بل هو أقرب وأسلم إذ يوصل إلى "المحبة" بطريق "العبودية". والفقر مثله يوصل إلى اسم الله "الرحمن"، وكذلك الشفقة توصّل إلى اسم الله "الرحيم". أمّا التفكر فيوصل السالك إلى اسم الله "الحكيم". وقد كان للنورسي في حياته حظاً من تجليات "أسماء الله الحسنى" حيث نال "من خزينة حقائق القرآن الكريم حقائق عظيمة ومعارف جليّة، بحظوته بتجليات اسم الله "النور"، واسم الله "الحكيم"، وأظهر تلك الحقائق القرآنية إلى أنظار البشرية؛ تحدّثاً بنعمة الله عليه. وقد تخلّق بالأخلاق الحمديّة متجاوزاً برازخ النفس والهوى، حتّى برز في هذا العصر مثالا فريداً مجسّماً لمكارم الأخلاق"^(٣).

■ أمّا الفقر؛ فيشعر الإنسان في نفسه "قصوراً بلا نهاية، وعجزاً بلا غاية، وفقرًا بلا انتهاء، واحتياجاً بلا حدّ، وآمالاً بلا عدّ، فكما أودع فيها الجوع والعطش لمعرفة لذة نعمته تعالى، كذلك رُكبت من القصور والفقر والعجز والاحتياج؛ لتنظر بمرصاد قصورها إلى سُرَادِقَات كماله سبحانه، وبمقياس فقرها إلى غناه ورحمته"^(٤). فالرحمة الإلهية الربانية الواسعة مقرونة في رأي النورسي بأنّ "يُظهِر العبد حاجاته الخاصة، وحاجات جميع المخلوقات وفقرها بلسان السؤال والدعاء، وأن يُعلن إحسان ربّه وآلائه العميمة

(١) اللغات، اللعة السادسة عشرة، ص ١٥١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٣.

(٣) سيرة ذاتية، ص ١٥ (من تقلّم الأستاذ مصطفى صونغور).

(٤) المشوي العربي النوري، ص ٣٦٠.

بالشُّكر والتَّناء والحمد بقوله: الحمدُ لله^(١).

■ أمَّا الشَّفقة؛ فهي ألطفُ تجلّيات الرِّحمة الإلهية وأجملها وأطيبها وأحلاها، كما أنّها "أكسيرٌ نورانيٌّ"، وهي أنفذُ من العشق بكثير، وهي أسرعُ وسيلةٍ للوصول إلى الحقِّ تبارك وتعالى... تربطُ القلبَ بالله سبحانه ليوصلَ صاحبه إلى الله جلَّ وعلا بأقصر طريقٍ وأصفى شكلٍ^(٢). ولهذا كله ربط النورسي بينها وبين كل من: المحبة والرَّحمة، حيث قال: "فهناك شفقةٌ مقدَّسةٌ مُطلقةٌ، ومحبةٌ مقدَّسةٌ مُطلقةٌ تليقان به سبحانه، وثلاثمان غناه المطلق وتعالیه وتقدهسه، وثوافتان كماله المطلق. ثمَّ إنّ هناك شوقاً مقدَّساً مُطلقاً يليق به آتٍ من تلك الشَّفقة المقدَّسة والمحبة المقدَّسة... ثمَّ إنّ الرِّحمة المطلقة النابعة من تلك اللذة المقدَّسة، وما ينشأ من المخلوقات قاطبة من رضى عام وكمالٍ شامل من انطلاق استعداداتها من القوّة إلى الفعل وتكاملها ضمن فعالية القدرة، فما ينشأ من كلّ هذا... يليق ويخصُّ الرِّحمن الرِّحيم سبحانه"^(٣). كما طالع اسم "الرَّحيم" بواسطتها: "وإذا بالإيمان يمنحني نظّارة شاهدتُ من خلالها طلوعَ اسم (الرَّحيم) من برج الشَّفقة، ينشر أضواءه الزَّاهية الجميلة، حتّى حوّل ذلك العالم المخزّن إلى عالمٍ بهيج"^(٤).

وبالعودة إلى الحديث عن مفهوم "العمل الإيجابي البناء"، فإننا نلاحظ تأكيد النورسي على هذا المنحى من خلال ربطه بشبكة "المفاهيم المفتاحية" الدّالة على "مركزيّة التَّربية الرُّوحية" في فكره. وليس أدلّ على ذلك مما قاله عند تفسيره للآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣): من أنّ الشعور "الإيجابيّ" ينتعش بنمو الشَّفقة على بني الجنس التي تدفع إلى التَّعاون والتَّعارف. أمّا السَّلي فهو الذي ينشأ من الحرص... الذي يُسبِّب التَّنكر والتَّعاند. والإسلامُ يرفضُ هذا الأخير^(١).

(١) الكلمات، الكلمة التاسعة، ص ٣٩.

(٢) المکتوبات، المکتوب السابع عشر، ص ١٠١.

(٣) المکتوبات، المکتوب الثامن عشر، ص ١١١.

(٤) صقيل الإسلام، الخطبة الشامية، ص ٤٥٤. كما يعد الشفقة من بين القوى الخمسة التي تتمركز في قلب الشخصية المعنوية للعالم الإسلامي، ويدعوها بـ "الشهامة الإيمانية المجهزة بالشفقة والرأفة".

نفسه، ص ٤٦٨.

(١) صقيل الإسلام، السانحات، ص ٣١٠ - ٣١١.

كما يطلب منا جميعاً أن ننظر إلى ألطاف آثار الرحمة الإلهية؛ ويُقصدُ بها كلاً من: المحبة، والشفقة، والعشق، وكيف أن الهجران الأبدي لا يُعادلُ المحبة ولا يُوازِيها. ^(١) ومن ثمَّ، فإنَّ رحمة الله تُعدُّ بنظره أعظم وسيلة تتولَّد منها مظاهرُ شفقة الإنسان على بني جنسه، وأنَّ أبلغ مثال لها، وأفضل مَنْ يُمثِّلُها هو الذي سُمِّيَ في القرآن الكريم ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). وما بين دائرتي الرُّبُوبِيَّة والنُّبُوَّة يتحرَّك مقصدُ "التَّفَكُّر الإيماني" الموصِّل إلى معرفة الله تعالى والذي امتزج فيه التُّورسي بقلبه وعقله طيلة حياته وصولاً إلى تجلِّي اسم "الحكيم" فيه روحاً، وقلباً، وعقلاً. وهكذا يقوِّد العجزُ السَّالِك إلى المحبوبيَّة بطريق العبوديَّة، ويقوِّد الفقرُ المريد إلى اسم الله "الرَّحْمَن"، كما تُوصِّلُه الشَّفقةُ إلى اسم الله "الرَّحِيم"، وأخيراً يصلُّ بواسطة التَّفَكُّر إلى اسم الله "الحكيم". وكلُّ ذلك ليس مقصوداً على السَّالِك أو المريد في حدود نفسه وحسب، وليس مُنفصلاً عن الأبعاد الوظيفية الاجتماعية التي تُرافق مسيرة التَّرقِّي الرُّوحي، وتكون ثماراً لها.

وهذه الخطوات الأربعة: العجزُ، والفقرُ، والشفقة، والتَّفَكُّر، تصدر عن منابع قرآنية أربعة ^(٢): أُولها قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ (النجم: ٣٢)، وثانيها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ (الحشر: ١٩)، وثالثها قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ (النساء: ٧٩)، وأخراها قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨).

(١) صقيل الإسلام، محاكمات عقلية، ص ١٥٠.

(٢) قارن بما ورد في: المكتوبات، المكتوب التاسع والعشرون، ص ٥٦٤ - ٥٦٦.

العمل الإيجابي من حيث العلوم الإسلامية في ضوء رسائل النور

الدكتور محمد مسيح الرحمن الندوي
أستاذ مشارك ورئيس قسم اللغة العربية وآدابه
الجامعة العالية كولكاتا، الهند

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن الإنسان لا يزال يحاول أن تكون حياته وحياته من يعيش حوله مليئة بالسعادة والخير والنجاح المتواصل في جميع مجالات الحياة، لذا عليه أن يمارس ليحصل على الخير والمصالح المادية والمعنوية، وأن يدفع عنه الاضرار والمفاسد، وذلك يمكن بتبني منهج فكري سليم عن نفسه وعن مجتمعه وعن الحياة بصفة عامة، وأن يدرب نفسه على التخلي عن الأفكار السلبية التي تحد من قدراته، والتي تضعع جهوده في سبيل تحقيق ما يصبو إليه من أهداف في حياته، وذلك لا يمكن إلا إذا اخذت المناهج الفكرية الإيجابية وبها يمكن صيانة النفس والمجتمع عن الأقدار وسوء الاخلاق، ويتدرب ليتخلى عن الافكار والأعمال السلبية التي تفتر همتة وقوته وتضعع جهوده سدى في سبيل الرقي والإزدهار والنمو والحضارة. "ومن هنا تدرك أهمية التفكير الإيجابي فالإنسان يستطيع أن يقرر طريقة تفكيره فإذا اخترت أن تفكر بإيجابية تستطيع أن تزيل الكثير من المشاعر الغير مرغوب بها و التي ربما تعيقك من تحقيق الأفضل لنفسك"^(١).

فيلزم بنا أن نقف على التغيرات التي تحدث في داخلنا، وفي سبيلنا للتفكير والوعي وبها

(١) تنظيم وتفعيل الذات، كيت كينان ص: ٥١.

تحدث ثورات عقلية، وتميز بها الحياة هل تكون سعيدة أو شقية.

ويجدر بنا أن نتعرف على الإيجابية: الإيجابية هي المحافظة على التوازن السليم في إدراك مختلف المشكلات، وهي: أسلوب متكامل في الحياة، ويعني التركيز على الإيجابيات في أي موقف بدلاً من التركيز على السلبيات، إنه يعني أن تحسن ظنك بذاتك، وأن تظن خيراً في الآخرين، وأن تتبنى الأسلوب الأمثل في الحياة^(١).

وكذلك الإيجابية هي وسيلة عظيمة لتنهض بها الأقوام و الأمم مع أن السلبية داهية كبرى، وآفة عظيمة للفرد والمجتمع، والحقيقة الناصعة هي أن نحوض الأمم وهبوطها منوط بأفراد وأشخاص إيجابيين أو سلبيين فالذين يحملون الفكرة العالية والإرادة الكبيرة وهم مصلحون لمجتمعهم وبيئتهم فلا يمكن الدمار والخراب لمثل هذا المجتمع و البيئة يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾^(٢) ولم يقل صالحون إنما قال مصلحون، وهناك فارق بين صالح ومصلح فالصالح صلاحه بينه وبين ربه، وأما المصلح فانه يقوم بإصلاح نفسه ودعوة غيره.

وللإيجابية فوائد جمة في حياة الفرد والمجتمع والدولة، الفرد المسلم الإيجابي دائماً يفكر في حل المشاكل والمصائب عندما تعرضت له وهو على يقين تام بأن لكل مشكلة حل، وأما الشخص الذي دائماً يفكر لذاته ونفسه وله فكرة سلبية فيرى أن لكل مشكلة ليس لها حل، بل في كل حل يجد مشاكل ومصائب، المسلم الإيجابي يرى في العمل والجد أملاً لحل مشاكله، والشخص السلبي يرى في العمل آلاماً ومصيبة والمسلم الإيجابي ينظر إلى المستقبل والسلبي يخاف من المستقبل.

قسمت الموضوع إلى المحاور الآتية:

المحور الأول: المقدمة:

المحور الثاني: العمل الإيجابي في تعليمات القرآن الكريم:

المحور الثالث: العمل الإيجابي في إرشادات الرسول ﷺ:

المحور الرابع: نظرية الإمام النورسي حول العمل الإيجابي:

المحور الخامس: خلاصة البحث:

(١) التفكير الإيجابي، ضمن سلسلة مهارات الحياة المثلي ص: ٦.

(٢) سورة الهود: ١١٧.

المحور الثاني: العمل الإيجابي في تعليمات القرآن الكريم:

أود أن أشير إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَفْضَلُ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(١) فهذه الآية تخبرنا بأن المؤمن يفرح برحمة الله تعالى دائماً، هذا الفرح هو نوع من أنواع السلوك الإيجابي وهو نوع من أنواع التفاؤل الذي يمنح المؤمن السعادة وطول العمر ويزيد من مناعة جسده ضد الأمراض.

يقول الدكتور جلين أوستير رئيس فريق البحث: أعتقد أن هناك علاقة بين العقل والجسم حيث أن أفكارنا وسلوكنا ومشاعرنا تؤثر على الوظائف البدنية وعلى الصحة بشكل عام، إما عن طرق آليات مباشرة مثل وظائف جهاز المناعة، أو عن طريق آليات غير مباشرة مثل شبكات الدعم الاجتماعية.

وقد أدرك العلماء المعاصرون أهمية الصبر بأنه سلوك إيجابي عظيم ولكن الله تعالى جعل جزاءه دخول الجنة بغير حساب، وانظر إلى هذا الوعد الإلهي الرائع: ﴿إِنَّمَا يَوْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢).

وكذلك فإن القرآن يخبرنا بأن المؤمن لا يحزن أبداً لأن الحزن سلوك سلبي، ولو تأملنا كلمة (تحزن) في القرآن وجدناها مسبقة بكلمة (لا) دائماً، وهذا يدل على أن المؤمن لا يحزن، انظر إلى هذه الكلمات النبوية التي جاءت في أصعب الظروف التي مر بها النبي الأعظم ﷺ وهو في الغار، يقول تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٣) انظر كيف علم النبي سيدنا أبا بكر ﷺ ألا يحزن، والله إن هذا الكلام لا يصدر إلا من نبي صادق يعلم أنه مرسل من خالق الكون سبحانه وتعالى.

وهناك آية أخرى تمنع المؤمنين عن الحزن والهم والأسى وتبعث في قلوبهم الثقة بالنفس والإيجابية يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٤). إنها آية تحث المؤمن على السلوك الإيجابي في عدم الوهن وعدم الحزن، ويقول العلماء إن إحساس الإنسان بالوهن يضعف من جهاز المناعة لديه، كذلك شعور الإنسان بالحزن الدائم لديه

(١) سورة يونس: ٥٨.

(٢) سورة الزمر: ١٠.

(٣) سورة التوبة: ٤٠.

(٤) سورة آل عمران: ١٣٩.

يسبب له الاضطرابات النفسية المختلفة.

وهذا يعني أن العامل النفسي أهم بكثير من العامل الفيزيولوجي، بمعنى آخر فإن التعاليم الإيجابية التي يتلقاها الإنسان ويمارسها لها أثر كبير على سعادته وطول عمره أكثر من تأثير الدواء والعناية الطبية! ولذلك فإن القرآن مليء بالتعاليم الإيجابية والتي لا يتسع لها هذا البحث، لكن كمثال على ذلك نتأمل قوله تعالى: "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم"^(١) إنها آية مفعمة بالرحمة، ومليئة بالتفاؤل وعدم اليأس، وهذا يذكرني بقصة سيدنا يعقوب بعدما فقد ابنه يوسف وأخاه، فلم ييأس من رحمة الله، فتأمل كيف خاطب أبناءه: "يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون"^(٢) فلنتدبر كيف ذكر القرآن أن اليأس هو كفر بالله تعالى! لماذا ليعطينا رسالة قوية بأن اليأس من رحمة الله محرم في الإسلام، وهذا ما مارسه المسلمون الأوائل فمنحهم القوة وفتحوا به الدنيا!

إن كل ما سبق تلخصه لنا آية عظيمة خاطب بها الله نبيه وليعلمنا كيف نسلك سلوكاً إيجابياً في حياتنا، يقول تعالى: "واصبر و ما صبرك إلا بالله و لا تحزن عليهم و لا تك في ضيق مما يمكرون"^(٣). الصبر وعدم الحزن وعدم التذمر والضيق، كل هذا له نتيجة و لكن ما هي؟ هذا ما نجد الجواب عنه في الآية التالية: "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون"^(٤) فهل هناك أجمل من أن يكون الله معك دائماً؟!

المحور الثالث العمل الإيجابي في إرشادات الرسول ﷺ:

واهتم الرسول ﷺ بإختيار المواقف الإيجابية البناءة التي يتخذها أناس غير مسلمين في عصره، فكان يرغب إختيارها ويحث عليها الآخرين لاتخاذ تلك المواقف، ويؤكد على المسلمين بأن يبادروا إتخاذ المواقف والأعمال الإيجابية مصدرها أيا كان، مثل حادث حلف الفضول إهتم بمناسبته إغاثة الملهوفين وإعانة المظلومين، ورد الأعداء والظالمين، وبهذه المناسبة

(١) سورة الزمر: ٥٣.

(٢) سورة يوسف: ٨٧.

(٣) سورة النحل: ١٢٧.

(٤) سورة النحل: ١٢٨.

قال النبي ﷺ: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي حمر النعم و لو أدعي به في الإسلام لأجبت"^(١).

وكان من صفات النبي ﷺ أن ينفع الناس دائماً حتى قبل البعثة ودائماً كان يفكر في إصلاح الناس ولذلك لقبوه الناس بالأمين الصادق، فحينما جاء عليه الوحي أول مرة خاف على نفسه واضطر اضطراراً شديداً فطمأنه زوجته خديجة قائلة: "كلا و الله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"^(٢).

ومعنى "تحمل الكلّ" يدخل في هذا الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك و هو من الكلال و هو الإعياء، أما قولها "وتكسب المعدوم" تكسب لغيرك المال المعدوم أو تعطيه إياه تبرعاً. "تقري الضيف" تكرمه يقال للطعام المقدم للضيف قرا. "وتعين على نوائب الحق" جمع نائبة و هي الحادثة ما يحدث في الناس من المصائب.

وكما في قصة مساعدة النبي ﷺ لبدوي غير مسلم ليسترجع ديناً له من أبي جهل رأس الكفر، فلم يمنع عدم إسلام الطرفين من بذل الجهد في عمل إيجابي وليست المسألة مقتصرة على من تعرف أو من يتفق في المبدأ، بل كان توجيه رسول الله ﷺ: "الخلق كلهم عيال الله، وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله" (رواه الطبراني) قول الحسن البصري رحمه الله: "لأن أقضى حاجة لأخ أحب إليّ من أن أصلي ألف ركعة، ولأن أقضى حاجة لأخ أحب إليّ من أن أعتكف شهرين"^(٣).

لذلك جاءت الأحاديث الشريفة لترسيخ الهوية الإيجابية وربطت كثيراً من أعمال الإنسان بها فمن ذلك قوله ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"^(٤).

ويرسخ النبي ﷺ الهوية الإيجابية عند النفس المؤمنة من خلال ما يصدر عنها من أفعال ينبغي أن تطابق ما دلت عليه الهوية التي يحملها المؤمن فعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله

(١) رواه البيهقي: رقم الحديث: ١٢١١٠

(٢) رواه مسلم باب بدء الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. ١٦٠

(٣) قضاء الحوائج، ابن أبي الدنيا ص: ٤٨

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ١٠ و مسلم في صحيحه رقم ٤١

واليوم الآخر فليكرم ضيفه" (١).

ويذهب النبي ﷺ إلى ترسيخ الهوية الإيجابية في أدنى درجاتها ولذلك بحثه لأتباعه من المسلمين بأن يكف الواحد منهم شره عن الناس (السلوك السلبي) إذا لم يكن قادراً على عمل الخير لنفسه أو لغيره (السلوك الإيجابي) فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الأعمال أفضل؟ قال: "الإيمان بالله، والجهاد في سبيله، قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً، قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعاً أو تصنع لأخرق، قال: قلت: يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك" (٢).

فجعل النبي ﷺ الكف عن السلوك السلبي في حال عدم القدرة على السلوك الإيجابي من أفضل الأعمال. وفي سبيل ترسيخ أدنى هذه المراتب يقول ﷺ: "ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت" (٣).

قال النووي في شرح الحديث: "أنه إذا أراد أن يتكلم فإن كان يتكلم به خيراً محققاً يثاب عليه واجباً أو مندوباً فليتكلم وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه فليمسك عن الكلام سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوي الطرفين فعلى هذا يكون الكلام مأموراً بتركه مندوباً إلى الإمساك عنه مخافة من إنجراره إلى المحرم أو المكروه وهذا يقع في العادة كثيراً أو غالباً" (٤).

نجد أن النبي ﷺ دائماً يمنع أتباعه وصحابته باتخاذ السلوكيات والأعمال السلبية وينبهم إنها تنافي كمال إستحقاق الهوية الإيجابية البناءة، وفيها قول النبي ﷺ: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه" (٥) (بوائقه أي غوائله ومضاره، مشارق النور ١/٧٥).

وهناك تذكر حديثاً نبوياً رائعاً وملئاً بالتحاليم الإيجابية يقول ﷺ: "المؤمن القوي خير

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٥٦٧٢ و مسلم في صحيحه رقم ٤٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم ٨٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٥٦٧٢ و مسلم في صحيحه رقم ٤٨.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١٩/٢.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٥٦٧٠.

وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير"^(١). فهذا يحث المؤمن على أن يكون قوياً ليس في جسده فقط بل في إيمانه وثقافته وأخلاقه وصبره. ويقول علماء الصحة أن الفكرة الإيجابية والطبيعة البناءة تقبل في الشيخوخة عمليات كثيرة ذات طابع فيزيولوجية كخفض ضغط الدم والكوليسترول، وبها يحصل الإطمئنان القلبي و الفكري فيعيش الإنسان بطمانيئة القلب والنفس أكثر من السلبية. هكذا جعل الرسول ﷺ السلوك السلي منافعاً للهوية الإيجابية للمؤمن الصادق في إيمانه.

وتوضح السنة النبوية أن دائرة تأثير الاسم إيجابياً أو سلبياً تتوسع حتى تشمل القبيلة بأسرها فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال على المنبر: "غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله، وعصية عصت الله ورسوله"^(٢) قال المناوي في شرح الحديث: ومن تأمل معاني السنة وجد معاني الأسماء مرتبطة بمسمياتها حتى كأن معانيها مأخوذة منها وكأن الأسماء مشتقة منها"^(٣).

وجاءت عدة أحاديث قام النبي ﷺ فيها بتغيير الأسماء ذات الدلالات السلبية إلى أسماء ذات دلالات إيجابية و من ذلك ما جاء عن عبد الله بن عمر: "أن رسول الله ﷺ غير اسم عاصية و قال: أنت جميلة"^(٤).

وكذلك حث النبي ﷺ إلى التسمي بأسماء ذات دلالات إيجابية يعزز التسمي بها ويرسخ الهوية الإيجابية لمن يتسمى بها فقال ﷺ: "أحب الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها: حارث وهمام"^(٥).

قال ابن القيم: "وهذا لأن التعلق الذي بين العبد وبين الله إنما هو العبودية المحضة والتعلق الذي بين الله وبين العبد بالرحمة المحضة فبرحمته كان وجوده وكمال وجوده والغاية

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر-٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٣٣٢٢، ومسلم في صحيحه رقم ٩٧٩.

(٣) قيس القدير ٢٣٧/١.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه رقم ٢١٣٩.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه رقم ٤٩٥٠، والإمام أحمد في مسنده رقم ١٩٠٥٤، والبخاري في الأدب المفرد رقم ٨١٤، وقال الألباني: صحيح، صحيح الكلم الطيب رقم ٢١٨.

التي أوجده لأجلها أن يتأله له وحده محبةً وخوفاً ورجاءً وإجلالاً وتعظيماً فيكون عبداً لله وقد عبده لما في إسم الله من معنى الإلهية التي يستحيل أن تكون لغيره ولما غلبت رحمته غضبه وكانت الرحمة أحب إليه من الغضب كان عبد الرحمن أحب إليه... ولما كان كل عبد متحركاً بالإرادة، والهـم مبدأ الإرادة ويترتب على إرادته حركته وكسبه كان أصدق الإسماء إسم همام وإسم حارث إذ لا ينفك مسماهما عن حقيقة معناه^(١).

إننا نحن المسلمين علينا أن نتمسك بالإيجابية البناءة ونستفيد من التجارب التي وجدناها في سنة النبي ﷺ. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "يقول الله تعالى: "أنا عند ظن عبدي بي"^(٢) وفي رواية أخرى للحديث: "إن الله عز وجل قال: "أنا عند ظن عبدي بي إن ظن بي خيراً فله، وإن ظن شراً فله"، قال ابن حجر: "أي قادر على أن أعمل به ما ظن أي عامل به"^(٣).

فمن هنا ينبغي على المسلم أن يطور في ذاته قانون التوقع الإيجابي للأمور وأن يحسن ظنه بربه حتى ولو كانت الظروف المحيطة به في غاية الصعوبة و السوء ولا تحمل في طياتها من النظرة الأولى أية بشائر خير أو انفراج في أزمة يمر بها الإنسان ولنا في نبي الرحمة أسوة حسنة فعندما ضاقت به الأرض من تكذيب الناس له وردهم لدعوته لم تؤثر عليه تلك الظروف الصعبة أو تلجئه لأن يسلك سبيل الظن السيئ بهم أو السير في متاهات التوقع السلبي للأمور في مستقبل الأيام بل كان حسن الظن بربه، واستخدم التوقع الإيجابي لمستقبل من كذبه وطرده وآذاه، وقد تحقق توقعه الإيجابي بعد مدة من الزمن فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: "هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على بن عبد يـا ليل بن عبد كلال فلم يجيني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلنتني فنظرت فإذا فيها جبرئيل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال

(١) زاد المعاد ٢/٣٠٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٦٩٧٠، ومسلم في صحيحه رقم ٢٦٧٥.

(٣) فتح الباري ١٣/٣٨٥.

فسلم علي، ثم قال: يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً" (١).

فالأستاذ النورسي قد واجه بابتسامة مؤلمة لا غير كل ما لاقى من التعذيب والظلم، وما كيد له من المكائد الشيطانية لأجل دفعه إلى القيام بحركة سلبية. وقد استكمل مسيرته السامية لأجل إنقاذ إيمان البشرية جمعاء، وحتى الذين ظلموه، قابلهم بضبط النفس والأناة، ودون أن يتزعزع ويتصرف بعداء وشحناء.

المحور الرابع نظرية الإمام النورسي حول العمل الإيجابي:

وكان للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي مكانة مرموقة بين العلماء العظام الذين أصبحوا مظهرًا للحديث النبوي الشريف "العلماء ورثة الأنبياء" (٢) بكل معنى الكلمة. درس الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في الجهاد الداخلي له حقيقة ووزن حيث يقول الأستاذ: "يصد التعدي الخارجي بالقوة، لأن أموال الأعداء وأبناءهم غنيمة، أما في الداخل فليس كذلك، بل هو عمل إيجابي معنوي ببناء يعمر بالإخلاص ما هدم، فالجهاد الخارجي يختلف تمامًا عن الجهاد الداخلي" (٣).

وقد تحمل الإمام الشدائد والمصائب في سبيل دعوة الإيمان هي من سنة رسول الله ﷺ، وطبق هذه السنة بأكمل وجه. فلقد قذف الرسول ﷺ الذي أرسل رحمة للعالمين يوم طائف بالحجارة حتى جرح من مئة وأربعة عشر موضعاً، ولم يدعو على أحد ممن قذفه بالسوء، بل قال "يأربي إنيهم أناس لا يعلمون" ودعا لهم بالهداية، وقد سار وارثه الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في هذا العصر العصيب المفجع على ما سار عليه الرسول الكريم ﷺ، وقال في حق كل من ظلمه وأبغض حقه "لما كانت "الشفقة" دستور حياتي منذ ثلاثين سنة، وأساس مسلكي ومسلك رسائل النور، فإنني لا أتجنب التعرض للمجرمين الذين ظلموني وحدهم بل أستطيع حتى مقابلتهم بالدعاء عليهم" (٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم ٣٠٥٩، ومسلم في صحيحه رقم ١٧٩٥.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، وابن ماجه، وابو داود، والدارمي.

(٣) سيرة ذاتية ص ٤٧٠.

(٤) سيرة ذاتية، ص ٣٦١.

وكان الإمام أدى دوراً هاماً في سبيل وحدة المسلمين العالمين في مجال الخدمة الإسلامية بمناهج متعددة وأساليب متنوعة في أنحاء العالم كله، وقد وقف حول هذه النقطة المهمة وأكد تأكيداً بالغاً، وسعى ليمنع تحول اختلاف المشارب والمناهج الدعوية إلى العداء والتخاصم، أود نقل النقاط الثلاثة الأوائل من الأمور البالغ عددها تسعة أمور كالآتي:

النقطة الأولى: العمل الإيجابي البناء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً.

النقطة الثانية: بل عليه أن يتحرى روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام- مهما كان نوعها- والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفق فيما بينها فيتفق معها.

النقطة الثالثة: واتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً، وهو أن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: "إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، و لكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي فحسب" أو "إن الحسن والجمال في مسلكي وحده" الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها^(١).
كان العمل الإيجابي آخر ما تحدث فيه بديع الزمان سعيد النورسي قبل وفاته على طلبة النور:

إخواني الأعزاء!

إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء و ليس السعي للعمل السلبي الهدام. والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله. أننا مكلفون بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي.

أقول متخذاً من نفسي مثلاً: إنني لم أنحن تجاه التحكم والتسلط منذ القدم. وهذا ثابت بكثير من الحوادث. فمثلاً: عدم قيامي للقائد العام الروسي، وكما أنني لم أعر آية أهمية على أسئلة الباشوات في ديوان المحكمة العسكرية العرفية الذي كان يهددني بالشنق و

(١) المكتوب الثاني والعشرون، ص ٣٤٢.

الإعدام. وطوري هذا تجاه القواد الأربعة تبين عدم قبولي للتحكم والتسلط. إلا أنني قابلت المعاملات الشائنة بحقي منذ ثلاثين سنة الأخيرة بالرضى و القبول، ذلك من أجل السعي للعمل الإيجابي والاجتناب عن السعي للعمل السلبي لأجل ألا أ تدخل بما هو موكول أمره إلى الله. بل قابلتها بالرضى والصبر الجميل اقتداءً بنبي الله جرجيس عليه السلام وبالصحب الكرام الذين قاسوا كثيراً في غزوة بدر وغزوة أحد^(١).

فهذا الأستاذ العظيم الذي حمل على عاتقه معنىً وظيفته التبليغ والإرشاد للوقوف حيال حركات الإفساد التي لم تشاهد لها مثيل في التاريخ ألقى دروساً قيمة لدفع الشبهات، ورفع إيمان المؤمنين من التقليد إلى مستوى التحقيق من ناحية ومن ناحية أخرى بين للمسلمين كيفية السير في دروب وعرة، مليئة بالألغام والأشواك والدواهي من خلال ما سطر من الرسائل والملاحق.

إخواني!

إن مرضي قد اشتد كثيراً. ولعلي أتوفى قريباً، أو أ منع من المكالمة كلياً- كما كنت أ منع أحياناً منها- لذا فعلي إحتوي في الآخرة أن يتجاوز عن الهجوم على أخطاء بعض المخطئين المساكين، و ليعدوها من قبيل أهون الشرين. و ليقوموا بالعمل الإيجابي دائماً، لأن العمل السلبي ليس من وظيفتنا، ولأن العمل السلبي في الداخل لا يغتفر، ومادام قسم من السياسيين لا يلحقون الضرر برسائل النور، بل مسامحون قليلاً لذا انظروا إليهم كاهون الشرين، ومن أجل التخلص من أعظم الشر فلا تمسوهم بضرر بل حاولوا أن تنفعوهم. وكذا إن الجهاد المعنوي في الداخل هو العمل ضد التخريبات المعنوية وإنه ليس مادياً قط، وإنما يستوجب القيام بخدمات معنوية لذا فكما لم ن تدخل بأمر أهل السياسة، فلا يحق لأهل السياسة أن ينشغلوا بنا.

لقد أرسى بديع الزمان مسلكه على أسس صلبة، فالطريق الذي اختطه طريق حكيم وملائم للفطرة، فقد بدأ بالزم شيء للإنسان، فدعا البشر إلى "التوحيد". وبعد أن جعل متنسبي طريقه يمرون من مراحل انتقاله في الفكر والقلب والروح، جعلهم يتجولون في الآفاق الرحبة للفكر والتأمل، فتشكلت منهم جماعة حصينة وكاملة، واستخدم الحكمة والكلمة

(١) سيرة ذاتية ص ٤٦٩.

الليونة واللسان العذب في تبليغ دعوته، وم يلتفت أو يتهم أبدا بالأسلوب الخشن الحاد وبالأسلوب الهدام المخرب، واستمر في دعوته بصبر وجلد، وتحمل كل الآلام دون خوف ودون استسلام ودون التخلي عن أسلوبه الإيجابي في التصرف.

فإنه من الواضح في وقتنا الحاضر تلك الأصوات التي تنادي بضرورة التعايش السلمي وتحديد الخطاب الديني لإيجاد حوار حقيقي بين الحضارات والأديان والمذاهب، وتحديد العلاقة بين الحضارات واستغلال التنوع الثقافي باعتباره قوة محركة للتنمية والتعايش السلمي بين الأمم.

إن الحضارة الإسلامية اتسمت بتعاملها الإيجابي مع التعدد والتنوع في الدولة الإسلامية، حيث عمل المسلمون على وحدة قائمة على التنوع والقبول به باعتباره فطرة إنسانية، وخلق إسلامي ومظهر إيجابي من مظاهر الإسلام الذي يؤكد على قيم الحوار وأدب الخلاف، لما في ذلك من إنصاف للخصم واحترام للرأي الآخر و تفضيل لأسس التنوع الثقافي^(١).

المحور الخامس خلاصة البحث:

بعد هذه الدراسة والتحقيق والبحث عن الآيات القرآنية وأحاديث النبي ﷺ ومقاربة رسائل النور للإمام النورسي، أرى أن التفكير الإيجابي يحمل في طيه أهمية كبرى وبه يمكن الفراغ الهائل في المجتمع باتخاذ العملية الإيجابية حينما كثرت السلبيات، والفرد المسلم خاصة يحتاج إلى اتخاذ هذه المواقف النقط الفكرية والنظرات البناءة السليمة، وأخرجت خلال دراسة هذا البحث عدة نقاط أود أن أذكرها في السطور التالية:

- (١) ترسيخ لدى اليقين بأن الخير كل الخير في ما جاء به القرآن الكريم وحديث الرسول ﷺ.
- (٢) أن كل جهد بشري للارتقاء بالإنسان في فكره أو سلوكه له أصل في كتاب الله وسنة النبي ﷺ.

- (٣) أن العمل الإيجابي رافد مهم من روافد تطوير شخصية الفرد المسلم.

(١) سيرة ذاتية ص ٤٧٣.

٤) أرى أن تتبنى مؤسسات علمية العمل على تأصيل هذه العلوم الوافدة، حتى يمكن للدعاة و المصلحين أن يخاطبوا الناس بلغة عصرهم، كما خاطب الإمام النورسي في تعامله بواسطة رسائل النور.

٥) تأكد أن التغيير الإيجابي البناء الذي تجريه داخل نفسك سوف يكون له الأثر النافع في شخصيتك وفي كافة نشاطاتك.

٦) إن هذه الإيجابيات في عقولنا ومشاعرنا تصنع في حياتنا الإيجابية، والتفاؤل والطاقة والقدرة على الدفاع عن النفس، وصد الهجوم الذي يصدر إلينا من شياطين الأنس والجن، وأكبر منهما حديث النفس.

٧) عندما نفكر بطريقة إيجابية تنجذب إلينا المواقف الإيجابية، والعكس يحدث عندما نفكر بطريقة سلبية فإننا نحذب إلينا الموقف السلبية.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، الطبعة الأولى، (١٤١٤هـ)، المكتبة السلفية، القاهرة.
٣. صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤. السنن لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ) تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
٥. سنن ابن ماجه: حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف، دار الجليل، بيروت.
٦. المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ت (٢٤١هـ)، طبعة المكتب الإسلامي.
٧. سنن الدارمي: تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع.
٨. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت (٨٥٢هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، (١٣٨٠هـ) الطبعة السلفية، القاهرة.
٩. ابن حبان: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي.
١٠. شرح صحيح مسلم، ليحيى بن شرف النووي ت (٦٧٦هـ)، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.
١١. صحيح الكلم الطيب: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.
١٢. زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، سيرة نبوية، دار ابن حزم.
١٣. قيض القدير: مكتبة الرشدن بيروت.
١٤. السنن الكبرى للبيهقي: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة.
١٥. ابن أبي الدنيا: أبو بكر ابن أبي الدنيا، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٣.
١٦. الإنسان والتفكير الإيجابي، د. عيسى الملا، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.
١٧. التفكير الإيجابي، فيرا بيفر، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، مكتبة جرير، الرياض.
١٨. تنظيم وتفعيل الذات، كيت كينان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، الدار العربية للعلوم، بيروت.
١٩. الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت (٢٥٦هـ) الطبعة الثالثة (١٤٠٩هـ). دار البشائر الإسلامية بيروت.

٢٠. سيرة ذاتية، تم النشر قبل 14, October, 2012

٢١. المكتوب الثاني والعشرون

٢٢. الكلمات، مقدمة رسالة المعجزات القرآنية النورسي، بديع الزمان سعيد، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول ١٩٩٢. مقدمة رسالة المعجزات القرآنية.

٢٣. المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، استانبول ١٩٩٢.

٢٤. الشعاعات النورسي، بديع الزمان سعيد، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، استانبول ١٩٩٣. (بتصرف يسير).

المحور الرابع

العمل الإيجابي البناء والممارسة
العملية

مفهوم الجهاد وموقف بديع الزمان سعيد النورسي منه . رحمه الله .

إعداد

أ.م.د. إسماعيل محمد جلال
العراق / جامعة السليمانية -
كلية العلوم الإسلامية - قسم الدراسات.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين، و على آله وأصحابه و أتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

من أكثر المصطلحات الإسلامية التي تعرضت للتحريف والتشويه بفعل وسائل الإعلام الأجنبية - خاصة بعد ١١ سبتمبر - مصطلح (الجهاد).. فقد عمد الأعداء إلى تصوير (الجهاد) على أنه مرادف للإرهاب!

وفي الشرع، أو في اصطلاح القرآن والسنة، يأتي بمعنى أعم وأشمل، يشمل الدّين كله؛ وحينئذ تتسع مساحته فتشمل الحياة كلها بسائر مجالاتها، ولهذا يُسمى حينئذ : الجهاد الأكبر. وله معنى خاص هو القتال لإعلاء كلمة الله، وهذا يشغل مساحة أصغر من الأولى، ولهذا سُمّيَ (الجهاد الأصغر).

ولذلك فإن تسمية الأول بـ (الجهاد الأكبر) صحيح المعنى، تدل عليه نصوص الكتاب والسنة، وإن لم يصح الحديث الوارد فيه بخصوصه.

فالعامل السلبي أي استخدام القوة في السعي إلى الإصلاح الداخلي في المجتمع، يؤدي إلى وقوع الأذى على من لا ذنب له، ويؤدي إلى إيقاد نار الفتنة في المجتمع وزعزعة الأمن الداخلي وما ينتج عن ذلك من الآثار السلبية المدمرة من قتل أو تخريب. وهذا مانراه اليوم

بأم أعيننا بعد مضي أكثر من خمسين سنة على وفاة المجدد بديع الزمان سعيد النورسي، ونعيش في فوضى وتخريب البنية الفوقية والتحتية في شتى بلاد المسلمين وقتل الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال والركع السجود وسفك دمائهم بغير حق، بسبب فعل الجماعات المتطرفة الساذجة باسم الجهاد وما هو بجهاد بل هم يهلكون الحرث والنسل والله لا يجب الفساد، ولا حول ولا قوة الا بالله. بينما أتباع وطلاب الاستاذ النورسي سائرون وماضون وصامدون على نهج وخطى أستاذهم، ينوّرون الناس ويعمرون الأوطان ويسجلون أروع الحضارات عابرين القارات بأنوارهم ويخدمون البشرية جمعاء بمدارسهم الإيمانية والتربوية والتعليمية بإخلاص وإتقان لا يخافون لومة لائم، ويُرحبون بهم أينما كانوا، فأنبت أستاذهم نباتاً حسناً، والله المستعان.

ويأتي هذا الموقف انطلاقاً من فكره في وجوب جهاد النفس أولاً، ثم الدعوة إلى تنوير الأفكار، وقد نادت الجماعة بإصلاح القلوب وعدم الدخول في معارك داخلية مع المخالفين المسلمين سواء كانوا حكاماً، أو محكومين، والتزام طريق الدعوة السلمية، والتطور التدريجي، ولا يلجأ إلى الجهاد المسلح إلا ضد العدو الخارجي من الكفار، والزنادقة، وأنه موكول إلى الإمام (رئيس الدولة) وهذا ما أباحت القوانين الدولية والشرائع السماوية والأرضية.

أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا البحث في النقاط الآتية:

- ١- تحديد مفهوم الجهاد بمعناه الشامل الواسع كما جاء في القرآن والسنة الصحيحة لا حصره بمعناه الضيق (القتال) فقط.
- ٢- إبراز موقف بديع الزمان سعيد النورسي من أنواع الجهاد الداخلي والخارجي والمادي والمعنوي وغيره.
- ٣- التزام طريق الدعوة السلمية، والتطور التدريجي والعمل الإيجابي البناء، بعيداً عن العمل السلبي و المصادمات.
- ٤- إن بديع الزمان هو أحد أبرز رجالات العلم، وفطاحل الفكر، ورموز الإصلاح والتجديد في العصر الحديث له مكان ومكانة، لقد أراد أن يضع رؤية للكون والحياة. تتمحور حول الذات الإلهية بإعتبار أن الله هو خالق الكون وموجد الحياة رؤية

مطلوبة لا للمسلمين فحسب بل للإنسانية جمعاء أراد النورسي أن يصوغ رؤية علمية في طريق صحيح بفراسته ونظره الثاقب والعميق والواسع لمعاني القرآن المجيد.

أسباب اختيار الموضوع

أما فيما يخص أسباب اختيار الموضوع فيرجع للأمور الآتية:

- ١ - رغبتى المسبقة في معرفة دور هذا الرجل التاريخي المؤثر والداعم للدعوة السلمية قاصدا سعادة المسلمين خاصة والإنسانية عامة، وأتباعه المنتشرين في دول العالم.
- ٢ - إن هذا الداعي المجدد مجاور لنا وكان يتكلم بألسنتنا ومن أبناء جلدتنا لذلك حقه علينا أن نشارك في إظهار دوره الإيجابي والبناء.

منهج البحث

- الرجوع إلى المصادر الأصلية لبديع الزمان النورسي من سيرة ذاتية وصيقل الاسلام وغيرهما ومصادر أخرى على صلة بالموضوع.
- اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي والامانة في النقل بارجاع كل معلومة إلى مصادرها وآتيا بالخاتمة فيها ملخص البحث مراعيًا الدقة والموضوعية.
- قد حرصت على الإختصار و البيان لأن من طبيعة المؤتمرات ان البحوث يقدم فيها بأوراق محدودة.
- خرجت الأحاديث الواردة في البحث مبينًا درجته.

خطة البحث:

لقد قمت بتقسيم البحث إلى مبحثين يسبقها مقدمة ويتبعهما خاتمة واستنتاجات وتوصيات على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم الجهاد.

المبحث الثاني: موقف بيع الزمان سعيد النورسي من مفهوم الجهاد.

الخاتمة: ذكرت فيها ملخص البحث.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات. الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم.

الباحث

المبحث الأول

مفهوم الجهاد

أولاً/ الجهاد في اللغة:

مصدر جاهد يجاهد جهادا و مجاهدة وهي مشتقة من مادة: جَهَدَ يَجْهَدُ جَهْدًا^(١) "

ثانياً/ معنى الجهاد في القرآن:

إن حصر مفهوم (الجهاد) في القتال خطأ في فهم الكتاب والسنة، فإن الجهاد فيهما جاء بمعنى القتال، وجاء بمعنى أكبر من ذلك وأشمل:

قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٢).

قال ابن عباس رضى الله عنهما: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أى القرآن^(٢). أي وجاهدكم بالقرآن وحججه جهادا كبيرا.

فالجهاد الكبير هنا ليس هو القتال، وإنما هو الدعوة والبيان بالحجة والبرهان، وأعظم حجة وبيان هو هذا القرآن، إنه حجة الله على خلقه، ومعه تفسيره وبيانه الذى هو السنة. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (سورة التوبة: ٧٣، وسورة التحريم: ٩).

في هذه الآية ليس المراد بجهاد المنافقين القتال، لأن المنافقين يظهرون الإسلام ويتخذونه جنة، والنبي ﷺ لم يقاتلهم بل عاملهم بطواهرهم، وحتى من انكشف كفره منهم كعبد الله بن أبي بن سلول لم يقتله سياسة منه، ﷺ وقال: (لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)^(٣). ولكن جهاد المنافقين يكون بالوسائل الأخرى، مثل كشف أسرارهم ودواخلهم وأهدافهم الخبيثة، وتحذير المجتمع منهم، كما جاء في القرآن.

(١) مختار الصحاح لأبي بكر الرازي، بيروت مكتبة لبنان، ١٩٨٨، ص ٤٨.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت-٦٧١هـ)، تح: د. عبد الله بن محسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٦م (١٥/٤٥٠)، وتفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت-٧٧٤هـ)، تح: مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة (١٠/٣١٤).

(٣) ينظر: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: يقولون لنن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل، رقم الحديث (٤٦٢٤) وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظلما أو مظلوما، دار الخير ١٩٩٦م، رقم الحديث (٢٥٨٤).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾
(العنكبوت: ٦٩).

ولاشك أن المراد بالجهاد هنا مفهومه الشامل المتضمن نوعيه الأكبر والأصغر، نقل ابن كثير عن ابن أبي حاتم بإسناده عن ابن عباس، قال في تفسير هذه الآية: "الذين يعملون بما يعلمون يهديهم الله لما لا يعلمون"^(١) فتفسير الآية إذن: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ أى جاهدوا في ذات الله أنفسهم وشهواتهم وأهواءهم وجاهدوا العراقيل والعوائق وجاهدوا الشياطين، وجاهدوا العدو من الكفار المحاربين، فالملقود: الجهاد في معترك الحياة كلها، وفي حلبة الصراع الشامل.

وأكثر ماورد الجهاد في القرآن: يراد به: بذل الوسع في نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عنها^(٢).

ثالثاً/ معناه عند الفقهاء:

وخص عند الفقهاء شرعاً بأنه: قتال الكفار. وقال بعض الفقهاء: بذل الجهد في قتال الكفار أو البغاة^(٣).

وعرفه بعضهم بأنه: بذل الوسع والطاقة في القتال في سبيل الله بالنفس، أو معاونة بمال، أو رأي، أو لسان، أو تكثير سواد، أو غير ذلك^(٤).

ويمكن ان نقول: أن الجهاد يعني: بذل المسلم جهده ووسعه في مقاومة الشر ومطاردة الباطل، بدءاً بجهاد الشر داخل نفسه بإغراء شيطانه، وتثنية بمقاومة الشر داخل المجتمع من

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠/٥٣٠).

(٢) المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم: الدكتور عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط٣، ٢٠٠٠م، (٤/٣٧٢).

(٣) ينظر: فقه الجهاد للإمام يوسف القرضاوي، دارالكتب المصرية، مصر- القاهرة، ٢٠١٠م، (١/٦٧).

(٤) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع الإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني (ت-٥٨٧هـ،

تح: الشيخان: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود، دارالكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢،

٢٠٠٣م، (٩/٣٧٩). حيث قال: "وفي عرف الشرع: يستعمل في بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل

الله - عز وجل - بالنفس والمال واللسان، أو غير ذلك، أو المبالغة في ذلك".

حواله، منتها بمطاردة الشر حيثما كان بقدر طاقته. ومقصوده إعلاء كلمة الله - عز وجل -
(١).

رابعاً/ أنواع الجهاد و مراتبه:

قسم ابن القيم الجوزية الجهاد أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفر والمنافقين، وجهاد في مواجهة الظلم والبدع.
وقد فصل كل مرتبة حتى بلغ عدد مراتب الجهاد التي صنفها ثلاثة عشرة مرتبة، يمثل الجهاد باليد (القتال) واحدة منها^(٢).

أنواع الجهاد

أولاً: جهاد الكفار، وهو نوعان: جهاد الطلب، وجهاد الدفع.

ثانياً: جهاد المنافقين والمرتدين.

ثالثاً: جهاد البغاة، وهم الذين يخرجون على الإمام إمام المسلمين الحق.

مراتب الجهاد

قال العلماء: إن الجهاد له أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار والمنافقين، وأصحاب الظلم والبدع والمنكرات.

المرتبة الأولى: جهاد النفس:

إن جهاد النفس له أربعة أنواع:

النوع الأول: جهاد في بذل العلم وتعلم أمور الدين والهدى والذي لا فلاح للنفس ولا سعادة لا في المعاش ولا في المعاد إلا بتحصيله، لا نريد أن تكون الأمة كلها عالمة، إنما المفروض على كل مسلم نوع من العلم فرض عين، فعليه أن يبذل جهده لتحصيل العلم الذي هو فرض عين في حقه، وهو: أصول الدين وقواعده كالصلاة وأحكامها، والوضوء وأحكامه، حقوق الوالدين، يعرف المعاملات التي يمارسها في حياته.

(١) ينظر: فقه الجهاد للإمام القرضاوي: (٦٧/١).

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (٦٩١-٧٥١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط ٣ (بيروت-لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨)، (٣/٩-٤).

النوع الثاني: جهاد العمل، بمعنى بذل الجهد في الأعمال الصالحة، ولهذا سميت أحكام الشرع تكاليف شرعية لأنها لا تكون إلا ببذل جهد وكلفة، والله - سبحانه وتعالى - قال لنا: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (سورة البقرة: الآية ٢٨٦)، فالله يكلفنا لكنه لم يكلفنا إلا قدر طاقتنا، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (سورة التغابن: الآية ١٦) ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (سورة البقرة: الآية ٢٣٣)، فبذل الجهد للعمل جهاد، ولهذا قال أهل العلم: جهادها - أي النفس - على العمل به بعد العلم. فلا يكون العمل صحيحاً إلا بعلم، لذا بوب البخاري باب "العلم قبل القول والعمل".

النوع الثالث: جهاد الدعوة إلى الله على بصيرة^(١)، والدعوة بابها واسع كما جاء في عموم قوله - ﷺ - «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(٢)، فالمسلم مكلف بدعوة أهل بيته، والقيام على أولاده، والقيام على من تحت يده، ولا سيما إذا كنت مسئولاً على من تحت يدك من العمال أو الموظفين، كمدير مدرسة، ومدير عمل، مدير مصنع، فلا بد أن تجاهد في دعوتهم وإصلاحهم بقدر ما عندك من علم وصلاحيات، وما عليك من مسئوليات.

النوع الرابع: الصبر على مشاق الدعوة.

المرتبة الثانية: جهاد الشيطان

قال العلماء: إن له مرتبتين:

المرتبة الأولى: جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان، فالمسلم إذا كان في ديار الإسلام وعند أهل العلم يكون سليم القلب بإذن الله، إلا إذا أقحم نفسه في أمور علمية لم يبلغها فإنه قد يقع في شبهة، لكن عامة المسلمين والذين هم قرييون من العلم إن شاء الله يسلمون من مداخل الشيطان.

وجهاد الشيطان على دفع ما يلقي من الشبهات والشكوك تكون للذين يقتحمون أنواع بعض العلوم والمعارف وهم لم يحصلوا الآلة الكافية.

المرتبة الثانية: جهاد الشهوات، والشهوات مدخل للشيطان عريض، ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ

(١) الجهاد في الإسلام - كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟: د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط ١١، ٢٠١٦م، ص ١٩ وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٧٥/٣، رقم (٣٢٧٤).

السَّعِيرِ ﴿سورة فاطر: الآية ٦﴾، ولا شك أن الشهوات كثيرة وجاذبة، قال تعالى: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ (سورة آل عمران: الآية ١٤)، فالشّهوات سواء في المأكولات، في المشروبات، في النساء، زينة الأموال، زينة المراكب، متاع الدنيا بكل أنواعه، لا شك أن للشيطان فيه على النفس مدخلا عظيما، ومن أعظم ما يجاهد به الإنسان نفسه هو جهاد الشهوات.

المرتبة الثالثة: جهاد الكفار والمنافقين

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَادَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ (سورة التوبة: الآية ٧٣) وقد لا يكون جهاد المنافقين بالقتال بقدر ما يكون باللسان، والقلب، والمال، واليد.

هذا في الحملة فيما يتعلق بمراتب الجهاد وأقسامه.

وجهاد الكفار يكون على نوعين هما:

جهاد الطلب

جهاد الطلب هو: تطلب الكفار في عقر دارهم، بمعنى أن المسلمين يقاتلون الكفار ليس لإجبارهم على الدخول في الدين فالله - عز وجل - يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (سورة البقرة: الآية ٢٥٦)، وإنما من أجل أن تفتح الأبواب أمام الدعوة، وليسمع الناس دين الله - عز وجل -، ولهذا قال سبحانه في جهاد الطلب كما يسميه العلماء: ﴿فَإِذَا أُنْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُوا لَهُمْ وَأَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة التوبة: الآية ٥).

جهاد الدفع

جهاد الدفع يكون فرض عين، بينما جهاد الطلب فرض كفاية، يتعلق بالإمام ومسئوليته في ذلك^(١)، فجهاد الدفع هو حين يقتحم الكفار ديار المسلمين، أو شيء من ديار المسلمين، فيكون حينئذ المدافعة والمقاومة، وتكون فرض عين متدرجة على من كانوا

(١) كشف القناع عن متن الإقناع: منصور بن يونس البهوتي، دار الفكر، د. ط، ١٩٨٢م، (٤١/٣)، هذا نصه (أمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده. لأنه أعرف بحال الناس وبحال العدو ونكايتهم وقربهم وبعدهم).

متلصقين بالكفار، ثم من يليهم، وهكذا، ومن ذلك قول الله - عز وجل -: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ (سورة البقرة: الآية ١٩٠) وقال: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (سورة النساء: الآية ٧٥).

الجهاد يكون فرض عين إذا حضر المسلم المكلف القتال، والتقى الزحفان، وتقابل الصفان، وإذا حضر العدو بلدًا من بلدان المسلمين تَعَيَّنَ على أهل البلد قتاله وطرده، وهو جهاد الدفع، واستنفرَ إمام المسلمين الناس وطلب منهم ذلك، لأنه سبحانه قال: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا﴾ (سورة التوبة: الآية ٤١)، يعني إذا استنفركم الإمام، وكما قال النبي - ﷺ -: «وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ، فَانْفِرُوا»^(١).

المرتبة الرابعة: جهاد البدع والمنكرات

هذا النوع من الجهاد يكون باليد، واللسان، والقلب، حسب المراتب التي بينها النبي - ﷺ - في قوله: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٢).

وهناك نوع آخر من الجهاد لم يذكره ابن القيم في المراتب الثلاث عشرة للجهاد في (الهدى النبوي)، ولكنه جهاد تقوم عليه الأدلة الشرعية من القرآن والسنة، كما يستند إلى مقاصد الشريعة ألا وهو (الجهاد المدني) والمقصود به: الجهاد الذي يُلَبِّي حاجات المجتمع المختلفة، ويعالج مشكلاته المتنوعة، ويُغَطِّي مطالبه المادية والمعنوية، وينهض به في سائر المجالات، حتى يتبوأ مكانه اللائقة به، وهو يشمل مجالات عدة: المجال العلمي أو الثقافي، والمجال الاجتماعي، والمجال الاقتصادي، والمجال العلمي والتربوي، والمجال الصحي والطبي، والمجال البيئي، والمجال الحضاري بصفة عامة^(٣).

المبحث الثاني

-
- (١) أخرجه البخاري (٦٥١/٢)، رقم (١٧٣٧)، ومسلم (٩٨٦/٢)، رقم (١٣٥٣).
 لمزيد تفصيل موضوع جهاد الطلب والدفع راجع فقه الجهاد للإمام القرضاوي (١/٤٢٩ وما بعدها).
 (٢) أخرجه مسلم (٦٩/١)، رقم (٤٩).
 (٣) فقه الجهاد للإمام القرضاوي: ٢٣٢ / ١.

موقف بديع الزمان سعيد النورسي من مفهوم الجهاد

أولاً/الرؤيا المقاصدية للأحكام:

قد تحقق في مشروع النورسي حقيقة ان القرآن الكريم هو النور الخالد المطلق وآمن هذا الرجل إيماناً جازماً ان القضية هي أن نفهم عن الله من خلال كلامه المبين ذكره الحكيم مقاصد هذا النور والغايات التي يريد من البشرية ان تتوجه إليها و الحكم التي ينبغي أن تضبط حركتها في الحياة. وعلى هذا الاساس كان سعي النورسي الى تقليص الهوة والفجوة والمسافة بين الفقه المعهود والواقع المعيش، وتجاوز القراءة النصية التجزيئية لآيات الأحكام والتي تظل قاصرة عن إدراك كليات الشريعة ومقاصد القرآن الكريم. وفي مقابل ذلك كان نظر النورسي نظراً مقاصدياً صادراً عن عقلية أصولية محددة تستكشف المصالح خلف الأحكام، وتعتمد على الكليات التشريعية وتجعل منها حكماً في فهم النصوص، فتراه يرد الجزئي الى الكلي والفرع الى الأصل، ويميز بين المقاصد الاصلية والمقاصد التبعية، لاتستغرقه الجزئيات ولا تستهويه الاشكالات، وانما يغوص غوص العارف المتقن فيتبين الحكم والغايات، والمقاصد والجواهر، ويجعل الآيات تنطق بأسرارها^(١).

لذلك نجد ان البديع الزمان سعيد النورسي نظر الى الجهاد برؤيا مقاصدية واقعية شمولية كلية وانه مارس مفهوم الجهاد في كل مراحل حياته بشكل يؤدي دوره دوراً إيجابياً وعملاً بناءً للانسانية والمجتمع، لاهداما

فيخسر الجميع كما نراه اليوم على وجه الكرة الارضية يمارس بعض الجماعات بمسميات مختلفة الجهاد بمعناه الضيق (القتال) فقط، تاركا اثنا عشرة نوعاً وقسماً آخر منه.

ويمكن أن نبحت الجهاد عنده رحمه الله حسب مراحل تاريخ حياته. فقد عاش في هذه الدنيا الفانية (٨٧) سنة يمكن تجزئتها فيما يخص جهاده إلى أربعة مراحل^(٢):

المرحلة الأولى: سعيد الشاب: (١٨٩٢-١٩٠٧)م.

(١) ينظر: مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، السنة الخامسة، يناير ٢٠١٤/العدد: ٩ (أساسيات منهج الفكر المقاصدي عند النورسي) ذ. عبد العزيز البطيوي.

(٢) مقتبس من (الجهاد في فكر النورسي)، أ.د. الشريف بن علي الكتاني، رئيس جامعة بن رشد الاسلامية، قرطبة، الأندلس، إسبانيا، زر موقعه الالكتروني، (www.alikettani.info) كنت زرتة في تاريخ (٢٠١٦/٦/١).

المرحلة الثانية: سعيد القديم: (١٩٠٧-١٩٢٦) م.

المرحلة الثالثة: سعيد الجديد: (١٩٢٦-١٩٤٩) م.

المرحلة الرابعة: سعيد الثالث: (١٩٤٩-١٩٦٠) م.

ولنبداً ونرى كل مرحلة من هذه المراحل الأربعة:

المرحلة الأولى: سعيد الشاب: (١٨٩٢-١٩٠٧).

في سنة (١٨٩٢م)، عندما أصبح سعيد النورسي يافعاً، وعمره لا يتجاوز التاسع عشرة، اكتمل عوده وتكونت شخصيته، استعد لتلقي العلوم لعامة المسلمين وخاصتهم. إذ رأى أن الجهاد الأمثل في ذلك الحين هو محاربة الجهل بين المسلمين بنور العلم. فانتقل إلى مدينة "ماردين" وأخذ يلقي دروساً في جامعها. لكن تجمع الناس حول هذا الشاب، ومصلحة حكام الفساد في تجهيل الشعب، جعلت والي المدينة يأمر بطرد سعيد النورسي مخفورياً مغلول اليدين من "ماردين" وإرساله إلى "بتليس".

وفي "وان" قرأ بديع الزمان سعيد النورسي خبراً هز مشاعره، ونقله من نوع جهاد إلى نوع جهاد آخر. وذلك أن وزير المستعمرات البريطاني خطب في مجلس العموم ببلاده وبيده نسخة من القرآن الكريم، وقال: "ما دام هذا القرآن بيد المسلمين، فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به" فقرر بديع الزمان النورسي حينذاك أن الجهاد الأول هو: إظهار إعجاز القرآن الكريم، وربط المسلمين به. وصمم على تكريس حياته لذلك. فقرر إنشاء جامعة إسلامية في شرق الأنضول، وأراد تسميتها: "مدرسة الزهراء". فرحل إلى إستانبول أول مرة، وبقي بها سنة ونصفاً محاولاً جهده إقناع المسؤولين بذلك، ولكن بدون جدوى، فرجع إلى "وان" مدرسا ودارسا.

المرحلة الثانية: سعيد القديم: (١٩٠٧-١٩٢٦)^(١).

وفي سنة ١٩٠٧، قرر بديع الزمان الرجوع إلى إستانبول، واستقر بمنطقة "الفتاح" بخان الشكرجي. وعمل هناك على إجابة الناس على أسئلتهم وتعليمهم ما علمه الله من شؤون

(١) سيرة ذاتية، بديع الزمان سعيد النورسي، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالح، دارسوزلر للنشر، إستانبول، ط ١، ١٩٩٨، ص ٦٧ وما بعدها.

دينهم، فقصدته كبار القوم من العلماء والأساتذة والطلاب.

وفي هذه السنة ابتدأت المرحلة الثانية من جهاد بديع الزمان، التي سماها هو نفسه بـ: "أيام سعيد القديم". وفي هذه المرحلة رأى سعيد النورسي أن أولوية الجهاد هي: في الدخول في الحياة السياسية ومحاربة التيار المعادي للإسلام بالقول والعمل، ونصح أولي الأمر، خاصة السلطان عبد الحميد، وذلك بكتابة المقالات وتكوين التجمعات.

وفي إستانبول تابع جهاده، خاصة بعد إعلان "المشروطة الثانية" في الدولة العثمانية سنة ١٩٠٧. فنصح خاصة القوم وعامتهم عبر كتابة المقالات، وإلقاء الخطب، موضحاً مفهوم الحرية في الإسلام، ومطالباً بتحكيم شرع الله، كما ساند بخطبه تشكيل جمعية "الاتحاد المحمدي" سنة ١٩٠٩.

وفي إستانبول تابع جهاده، خاصة بعد إعلان "المشروطة الثانية" في الدولة العثمانية سنة ١٩٠٧. فنصح خاصة القوم وعامتهم عبر كتابة المقالات، وإلقاء الخطب، موضحاً مفهوم الحرية في الإسلام، ومطالباً بتحكيم شرع الله، كما ساند بخطبه تشكيل جمعية "الاتحاد المحمدي" سنة ١٩٠٩.

وفي نفس الشهر من سنة ١٩٠٩ (نيسان)، ثارت الكتيبة التي أرسلها الاتحاديون من "سلانك" إلى استنبول لحماية المشروطة، مطالبين بالرجوع إلى الشريعة الإسلامية. فقضى الجيش على هذه الثورة، وعزل السلطان عبد الحميد، وأعلنت الأحكام العرفية، وشكلت محكمة لمحاكمة المسؤولين عن الثورة، فأنقذ الله بديع الزمان من الحكم عليه بالإعدام، رغم شجاعة موقفه، وبريء من التهم التي ألصقت به.

فقرر بديع الزمان الرجوع إلى شرق الأناضول، واستقر بمدينة "وان" سنة ١٩١٠م، وجعلها مركز تجواله في المدن والقرى المجاورة، مرشداً ومحاضراً وداعياً، كما عمل على الكتابة والتأليف، فألف كتاب "المناظرات" الذي طبع في استنبول سنة ١٩١٣م.

وفي شتاء سنة ١٩١١، زار مدينة دمشق، وخطب للمسلمين في الجامع الأموي بها، مبيناً العوامل التي أدت إلى انحطاط الأمة، ولخصها في ستة عوامل؛ وهي: اليأس، والكذب، والشقاق، وضعف الرباط الإسلامي، واستبداد ذوي الأمر، والتهافت على المصالح الشخصية على حساب المصلحة العامة. ثم زار بيروت ومنها رجع إلى استنبول بحراً.

وفي استنبول عمل بديع الزمان مرة أخرى على إقناع السلطان محمد رشاد على إنشاء جامعة الزهراء. ووعده السلطان بالاستجابة لرغبته، لكن الحرب العالمية الأولى قتلت المشروع في المهد.

فنقل جهاد بديع الزمان من المهم - وهو الجهاد السياسي بالقلم والكلمة - إلى ما أصبح الأهم؛ وهو الجهاد بالسلاح ضد العدو.

ففي سنة ١٩١٢ عين بديع الزمان قائدا للقوات الفدائية المكونة من المتطوعين المسلمين القادمين من شرق الأناضول. وقبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، سنة ١٩١٤، أصبح بديع الزمان عضوا في "التشكيلات الخاصة" التي شكلها السلطان كمؤسسة عسكرية سرية لمحاربة أعداء الأمة، والمحافظة على وحدة التراب الوطني، وكان في هذه المؤسسة عدد من علماء الإسلام الذين نشروا مع بديع الزمان فتوى بوجوب الجهاد. ورغم أن بديع الزمان كان يعارض فكرة دخول الدولة العثمانية الحرب، غير أنه عندما وقع ما وقع قام بواجبه بكل قوة وشجاعة وإيمان.

ورجع بديع الزمان إلى "وان" حيث كون فرقا جهادية من طلابه، درهم على السلاح، فأبلاوا البلاء الحسن في الدفاع عن المسلمين من عصابات الأرمن التي كانت تود طردهم من المنطقة. وقاد سعيد النورسي في المعركة طلابه ضد جيوش روسيا الغازية، خاصة بعد أن دخل العدو مدينة "أرضروم". وفي نفس الوقت كتب بديع الزمان كتابه المسمى: "إشارات الإعجاز في مكان الإيجاز" باللغة العربية.

وعندما دخل الجيش الروسي مدينة "بتليس"، دافع عنها بديع الزمان مع طلابه دفاعا شديدا، فجرح، وأسره الروس وأرسلوه إلى شرق روسيا، وبقي بديع الزمان في الأسر سنتين وأربعة أشهر كاملة محتسبا الله فيما ابتلي به، محافظا على كرامته وعزته، مما كاد يؤدي بحياته، فلم يهن. وقد يسر الله له الخروج من الأسر بعد الثورة البلشفية، فهرب من سجنه ملتحقا ب: "وارسو"، ثم فيينا، فإستنبول. ويعد خروجه من براثن العدو بهذه الصفة، كرامة له من الكرامات التي من الله عز وجل عليه بها، استجابة لدعائه وتضرعه. وفي استانبول، وجد نفسه قد عين عضوا في "دار الحكمة الإسلامية" التي كانت بمثابة أكاديمية العلوم التي تجمع كبار علماء الدولة، فاستعمل المرتب الذي كان يتقاضاه ليطلع كتبه. ثم يوزعها مجانا على المسلمين ابتغاء وجه الله.

وكانت سنوات عصيبة، انهارت فيها دولة المسلمين، وأخذ العدو أطرافها، بل احتلت القوات الإنجليزية مدينة استانبول سنة ١٩٢٠، فرجع بديع الزمان إلى الجهاد بالقلم، إذ ألف كتابه: "الخطوات الست"، وأخذ يوزعه سرا عبر محبيه وطلابه على عامة المسلمين. يهاجم بديع الزمان في هذا الكتاب العدو الإنجليزي، ويقوي معنويات المسلمين، ويرد على الشبهات التي أثارها العدو حول الإسلام، وبصفة عامة؛ يحارب اليأس في النفوس، ويستنهض الهمم.

وفي هذه الأثناء تابع بديع الزمان جهاده بالنشر والتأليف، إذ نشر كتاب "إشارات الإعجاز"، ثم في سنة ١٩٢٢ كتاب "قزيل إعجاز في المنطق". وكتاب "السنوحات". وفي سنة ١٩٢٣، نشر عددا من الرسائل، كما ألف عدة كتب في أنقرة. وفي كل هذه الرسائل، يركز بديع الزمان على عقيدة لا إله إلا الله محمد رسول الله. متصديا بذلك لموجة الكفر والإلحاد والمروق عن الدين التي أصبحت تتحكم في البلاد.

وصادف أن اندلعت ثورة عارمة في الأقاليم الشرقية من تركيا بقيادة الشيخ سعيد بيران، أحد كبار الوجهاء والعلماء الكردية، وكانت هذه الثورة معارضة للاتجاه الجديد في الدولة، الرامي إلى الابتعاد عن الاسلام وشعائره. ولم يوافق بديع الزمان على هذه الثورة، تحاشيا لإراقة دم المسلمين. ولكن رغم ذلك لم ينج بديع الزمان من انتقام الدولة. ففي سنة ١٩٢٥، اعتقل الشيخ، ونقل إلى استنبول، ومنها إلى بلدة "بوردور"، ثم "اسبارطة"، ثم نقل إلى "بارلا" النائبة حيث قرروا نفيه، وخصص لإقامته بيت صغير.

وكانت تلك الأيام من سنة ١٩٢٦ من أسوأ أيام تركيا المسلمة، حيث انتشر العداء الصريح للإسلام وأهله. وهناك ابتدأت مرحلة جديدة مؤلمة في حياة بديع الزمان النورسي، رافقتها مرحلة جديدة من جهاده رحمه الله.

المرحلة الثالثة: سعيد الجديد: (١٩٢٦-١٩٤٩)^(١).

أطلق الأستاذ سعيد النورسي نفسه على هذه المرحلة اسم: مرحلة سعيد الجديدة. أصبح الجهاد السياسي في هذه المرحلة مستحيلا، لما أصاب المسلمين من اضطهاد، ولتسلط أعداء الإسلام في كل مجال، حتى أصبح بديع الزمان يقول ويكرر: "أعوذ بالله من الشيطان

(١) سيرة ذاتية، ص ١٤٩ وما بعدها.

ومن السياسة". فكرس جهاده في الدرجة الأولى على "إنقاذ الإيمان" في نفوس الأجيال الصاعدة. ومر الأستاذ في كل هذه الحقبة من "مدرسة يوسفية" إلى أخرى، وهو الذي أطلق هذا الاسم على السجون التي كان يزج فيها ظلما وعدوانا. وركز على كتابة "رسائل النور" في ظروف صعبة جدا، وهي رسائل تهتم قبل كل شيء بالنواحي الإيمانية والقضايا الاعتقادية.

قضى الأستاذ بديع الزمان في منفاه ببارلا، من أعمال "سبارتا"، ثمان سنوات ونصف، أي إلى سنة ١٩٣٤، منقطعا عن الخلق، معتل الصحة، مراقبا في حركاته وسكناته، فلم تضعف إرادته. فتابع جهاده هذه المرة بالقلم. وكفى الأستاذ أن يكتسب من بين الأهالي تلميذا واحدا اسمه سليمان، استطاع أن يكسر جدار الخوف ويتصل بالأستاذ، فتلمذ عليه، وأصبح حلقة وصل بينه وبين الآخرين. وصرف الأستاذ وقته في كتابة "رسائل النور"، التي كانت هي بداية اتساع حلقة تلاميذه الذين يستنسخونها وينشرونها في أنحاء تركيا، متحملي كل المخاطر من متابعة ومطاردة. فكان الأستاذ يملئ رسائله على أحد طلابه، فتداول النسخة الأصلية بين التلاميذ، فيستنسخونها ويرجعونها للأستاذ لتدقيقها وتصحيحها. وكان الأستاذ يملئ من ذاكرته ووجدانه، إذ لم تكن له كتب ولا مراجع في ذلك المنفى النائي.

ومكث الأستاذ منفيا في قسطنطونة سبع سنين أخرى، تابع فيها كتابة "رسائل النور" ومراسلة طلابه بشتى الوسائل السرية، فتتقل رسائله سرا من قسطنطونة إلى المدن والقرى، وتنسخ مئات الآلاف منها، حتى انتشرت في أنحاء البلاد. ولم ينج الأستاذ من مضايقات ولاية قسطنطونة بسبب لباسه، خاصة العمامة التي كانت منعت بقانون سنة ١٩٢٥.

وتابع بديع الزمان جهاده في السجن بالكتابة، وهدى الله على يديه أعداد كبيرة من الخلق. وأخرج من هذا السجن في ٢٠ / ٩ / ١٩٤٩.

وبخروج الأستاذ من سجن "أفيون"، فتحت له آفاق دعوية جديدة، وذلك لتغير الوضع في تركيا تغيرا جذريا.

المرحلة الرابعة والأخيرة: سعيد الثالث: (١٩٤٩-١٩٦٠).

وأطلق الأستاذ على هذه المرحلة اسم: "مرحلة سعيد الثالث". وتتميز هذه المرحلة بعودة الأحزاب السياسية إلى البلاد، وإقصاء "حزب الشعب الجمهوري" عن الحكم بإرادة شعبية، وهو الحزب المعادي بدون عوادة للإسلام وأهله، والذي يتحمل المسؤولية العظمى في الدنيا والآخرة في ملاحقة أهل الله ومطاردتهم وتعذيبهم وتقتيلهم، وسجنهم ونفيهم. ومن

أعظمهم جهادا وإيمانا: بديع الزمان النورسي. ففاز في الانتخابات "الحزب الديمقراطي" المعارض، فرجعت للبلاد بعض الحريات التي قضى عليها الحزب المنهزم. فأصبح بإمكان سعيد النورسي القيام بنوع جديد وفعال من الجهاد؛ وهو: التدريس الجماعي لرسائل النور، ونصح أهل السياسة والحكم، ودعوتهم إلى طريق الإسلام السوي. فبعد خروج بديع الزمان من سجن أفيون، مكث بها في الإقامة الجبرية المحروسة شهرين، وبقي معه بعض طلبته لخدمته. وفي تلك السنة راجت "رسائل النور" راجا كبيرا، إذ سمح بطبعها، فانتشرت في المدن والقرى والمداشر ناشرة الإيمان في قلوب المؤمنين.

وفي انتخابات سنة ١٩٥٧ العامة، ساند الأستاذ وطلابه الحزب الديمقراطي ضد منافسه حزب الشعب الذي ذاقت الأمة تحت حكمه الشدائد.

ثم استقر الأستاذ في مدينة اسبارطة ومعه عدد من طلابه، مجاهدا بالقلم واللسان، معلما ومدرسا وواعظا ومنذرا، يزور أحيانا بارلا، وأحيانا أمير داغ. ويمكث في الفراش أياما بسبب تقدمه في السن. وقد تألم لاعتقال كل من كان في خدمته من طلابه في أنقرة واستانبول واسبارطة، وذلك سنة ١٩٥٨.

وفي آخر سنة من حياته؛ قام الأستاذ بزيارة أنقرة وأمير داغ، وقونيه، واستنبول، وابارطة، وكأنه يود توديع طلابه. فقامت الجرائد المعادية للخير بشن حملة ضده بسبب هذه الرحلات، وقد ازداد عليه المرض، فطلب من طلابه أن ينقلوه إلى أورفة رغم مرضه، وكأنه أراد أن يكون مثواه الأخير بها، ففعلوا بعد تردد.

وعندما وصل الأستاذ إلى أورفة، قامت السلطات بأمره بالخروج عنها وهو يحتضر، وأراد الله عز وجل أن يرفع من درجاته، إذ امتحن بالمطاردة حتى وهو على فراش الموت. فانتقل إلى الرفيق الأعلى يوم ٢٥ رمضان عام ١٣٧٩ هـ (موافق ٢٣/٣/١٩٦٠)، رحمه الله رحمة واسعة، وألحقه بالرسول المختار والصحابة الكرام، والنبين والصديقين، وجزاه الله خير جزاء على جهاده من أجل إعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ثانياً/الجهاد المعنوي والجهاد المادي:

الجهاد المعنوي يبدأ من النفس بأن تكون على منهج الله متجردة من أنانيتها، ثم بعد ذلك ناشرة للخير لدى غيرها.

إن العمل الإيجابي البناء كما يحدده الأستاذ النورسي يعني: الجهاد المعنوي أي قيام الإنسان بما هو مطلوب منه من الدعوة التي يسميها الأستاذ الخدمة، وأن يدع تحقيق النتائج

لرب العالمين الذي تكفل بها. وفي تسمية الدعوة بالخدمة إشارة إلى أن الأستاذ مستخدم لدى ربه، يعمل لنشر دينه، ونيل رضاهن والله الامر من قبل ومن بعد، ومثله من سار على منهجه من طلاب النور^(١)، يقول الاستاذ: "إن أعظم شرط من شروط الجهاد المعنوي هو عدم التدخل بالوظيفة الإلهية، أي بما هو موكول إلى الله، بمعنى أن وظيفتنا الخدمة فحسب، بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين، وإننا مكلفون ومرغمون في الإيفاء بوظيفتنا^(٢)."

فالعامل السلبي أي استخدام القوة في السعي إلى الإصلاح الداخلي في المجتمع، يؤدي إلى وقوع الأذى على من لا ذنب له، ويؤدي إلى إيقاد نار الفتنة في المجتمع وزعزعة الأمن الداخلي وما ينتج عن ذلك من الآثار السلبية المدمرة من قتل أو تخريب. وهذا ما نراه اليوم بأم أعيننا بعد مضي أكثر من خمسين سنة على وفاة المجدد بديع الزمان سعيد النورسي، ونعيش في فوضى وتخريب البنية الفوقية والتحتية في شتى بلاد المسلمين وقتل الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال والركع السجود وسفك دمائهم بغير حق، بسبب فعل الجماعات المتطرفة الساذجة باسم الجهاد وما هو بجهاد بل هم يهلكون الحرث والنسل والله لا يحب الفساد، ولا حول ولا قوة الا بالله. بينما أتباع وطلاب الاستاذ النورسي سائرون وماضون وصامدون على نهج وخطى أستاذهم، ينثرون الناس ويعمرون الأوطان ويسجلون أروع الحضارات عابرين القارات بأنوارهم ويخدمون البشرية جميعا بمدارسهم الإيمانية والتربوية والتعليمية بإخلاص وإتقان لا يخافون لومة لائم، ويرحبون بهم أينما كانوا، فأثبت أستاذهم نباتا حسنا، والله المستعان.

والجهاد المادي بالقوة واليد كان بديع الزمان يؤمن به ومارسه في مرحلة من مراحل حياته عندما طلبته الظروف - أي في مواجهة العدوان الخارجي أساسا - فلقد كان واحدا من أشد المقاتلين الأبطال في الدفاع عن وطنه، فالمليشيات التي كونها في شرقي الأناضول والتي سميت أصحاب القبعات اللباد كانوا مقاتلين أشداء ضد الثوار الأرمن وكذلك ضد الروس.

ثالثاً/الجهاد الداخلي والجهاد الخارجي:

(١) العمل الإيجابي ومنزلته في دعوة النور، د. مأمون فريز جزار، بحث مقدم الى المؤتمر الدولي (فكر الامام بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في وحدة الأمة الاسلامية في ٢٠١٣ في القاهرة. تحت رعاية الأزهر الشريف ومؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم.

(٢) سيرة ذاتية لبديع الزمان سعيد النورسي، ص ٤٧٠.

وقد نادى الجماعة بإصلاح القلوب وعدم الدخول في معارك داخلية مع المخالفين المسلمين سواء كانوا حكاماً، أو محكومين، والتزام طريق الدعوة السلمية، والتطور التدريجي، ولا يلجأ إلى الجهاد المسلح إلا ضد العدو الخارجي من الكفار، والزنادقة.

يقول الأستاذ موجهها كلامه لطلابه "إن في مسلكتنا قوة إلا أننا لم نقم باستعمالها إلا في تأمين الأمن الداخلي اتباعاً لدستور الآية الكريمة ﴿وَلَا تُزْرُ وَأَزْرَةٌ وَزَرْ أُخْرَى﴾ أي لا يجوز معاقبة إنسان بجريرة غيره أو أحبائه، إن هذه القوة لا يمكن استعمالها إلا ضد الهجمات الخارجية، إن وظيفتنا - وفق دستور الآية الكريمة هي الإعانة على ضمان الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة، أجل يستوجب مجابهة الهجمات الخارجية بالقوة، أما في الداخل فالأمر ليس كذلك، ففي الداخل ينبغي الوقوف أمام التخريبات المعنوية بشكل إيجابي بناء، وبالإخلاص التام، إن الجهاد في الخارج يختلف عما هو بالداخل وقد أحسن إلي المولى بملايين من الطلاب الحقيقيين فنحن نقوم بالعمل الإيجابي البناء بكل ما نملك من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي، فالفرق عظيم بين الجهاد الداخلي والخارجي في الوقت الحاضر"^(١).

رابعاً/هدف الجهاد في رسائل النور:

أكد الإمام النورسي أن الهدف الأكبر للجهاد المفروض على كل المسلمين هو إعلاء كلمة الله، وأن السبيل إلى ذلك هو التقدم المادي، يقول: "في زمننا هذا يتوقف إعلاء كلمة الله على التقدم المادي والدخول في مضمار المدنية الحقيقية، ولا ريب أن شخصية العالم الاسلامي المعنوية سوف تدرك و تحقق في المستقبل تحقيقاً تاماً ما يطلبه الإيمان من الحفاظ على عزة الاسلام.. وكما رقي الاسلام وتقدمه في الماضي كان بالقضاء على تعصب العدو وتمزيق عناده ودفع اعتداءاته..وقد تم ذلك بقوة السلاح والسيف..فسوف تغلب الأعداء ويشتت شملهم بالسيوف المعنوية -بدلاً من المادية- للمدنية الحقيقية والرقى المادي والحق والحقيقة"^(٢)، ويقول: "كل مؤمن مكلف بإعلاء كلمة الله - يعني الجهاد- وأعظم وسيلة

(١) سيرة ذاتية لبديع الزمان سعيد النورسي، ص ٤٧٠.

(٢) صيقل الاسلام: بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصالح، شركة سوزلر للنشر، ط ٥، ٢٠٠٨م، ص ٥٠٠.

لإعلاء كلمة الله في زمننا هذا هو الرقي المادي إذ الاجانب يسحقوننا تحت حكمهم المعنوي بسلاح العلوم والصنائع ونحن سنجاهد بسلاح العلم والتقنية الجهل والفقر والخلاف الذي هو ألد أعداء إعلاء كلمة الله، اما الجهاد الخارجي فنحيله إلى السيوف الالماسية للبراهين القاطعة للشريعة الغراء لأن الغلبة على المدنيين إنما هو بالإقناع وليس بالإكراه كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئاً^(١)، وقد أضاف بديع الزمان سعيد النورسي بعداً آخر جديداً لمصطلح الجهاد^(٢) وذلك بقوله: "الظهور على المدنيين المثقفين إنما هو بالاقتناع وليس بالضغط والإجبار"^(٣).

ويقول: "إن الظهور على الأعداء والغلبة عليهم لا يقتصر على الجهاد المادي.. وإياكم والظن بأن الجهاد هو جهاد مادي فحسب"^(٤)، "لو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الاسلام وكمال حقائق الإيمان لدخل أتباع الأديان الأخرى في الاسلام جماعات وأفواجاً، بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للاسلام، إن البشرية التي أخذت تصحو وتتيقظ بنتائج العلوم والفنون الحديثة، أدركت كنه الانسانية وماهيتها، وتيقنت أنه لا يمكنها أن تعيش هملاً بغير دين"^(٥).

وصلى الله على سيدنا ونبينا الأكرم وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والحمد لله رب العالمين.

الهوامش والمصادر

-
- (١) صيقل الاسلام لبديع الزمان سعيد النورسي، ص ٥٢٧.
 - (٢) روح الجهاد وحقيقته في الاسلام، محمد فتح الله كولن، ترجمة إحسان قاسم الصالح، ص ١٤-١٥.
 - (٣) سيرة ذاتية لبديع الزمان سعيد النورسي، ص ٩٥.
 - (٤) سيرة ذاتية لبديع الزمان سعيد النورسي، ص ٥٢٩.
 - (٥) صيقل الاسلام لبديع الزمان سعيد النورسي، ص ٤٩٤.

التساند وروح العمل الإيجابي من معالم المدينة الفاضلة في رسائل النور

بقلم
إيمان علي لاغا
طرابلس - لبنان

المدينة الفاضلة ليست خيالاً يرتجى بل واقعاً مفقوداً:
كتمهيد لا بد منه لما نحن بصدد نورد تعريفاً مبسطاً وحديثاً لعبارة المدينة الفاضلة
جاءت به موسوعة ويكيبيديا الالكترونية ويختصر بما يلي:
"لقد تم التعارف عليها على أنها إحدى أحلام الفيلسوف المشهور أفلاطون، وهي
مدينة يجد فيها المواطن والمقيم والزائر أرقى وأكمل أنواع الخدمات بأسلوب حضاري بعيداً
عن التعقيد وبعيداً عن الروتين وبعيداً عن سوء المعاملة، المدينة الفاضلة مقترح لمدينة تختلف
عن مدننا في المستوى الحضاري والسكاني والأداء الحكومي والخاص، المدينة الفاضلة مقترح
لمدينة أساسها الانسان نفسه، بكل ما تحمله كلمة الفاضلة من معان سامية" انتهى
التعريف.

مما يلاحظ من هذا التعريف ومما هو في بطون أمهات الكتب لا سيما الحديث منها
أن مصطلح المدينة الفاضلة لا يزال حتى يومنا هذا مجرد مثاليات حلم بها أفلاطون وتغنى بها
الفلاسفة من بعده كونها خيالات لا يمكن للبشرية أن تعرف لها واقعاً وإنما تمثل منتهى السمو
والرقي الذي تهدف له البشرية في ظل حكم الفلاسفة العقلاء، ولا يزال يُتحدث عنها وكأنها
المدينة الخيالية في تعنت متعمد أو جهل مثير للشفقة أغفل بنياناً خاصاً لمدينة فاضلة أخرى
حقيقية واقعية، عرفت الحضارة الإسلامية في مختلف اطوارها، ومورست فيها حالات التفاعل
مع المحيط والعلاقات الإنسانية البينية في أسمى معانيها، بدءاً من إمطة الأذى عن الطريق
صدقة، ومروراً بلا تزر وازرة وزر أخرى وليس انتهاءً بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو عثرت
بغلة في العراق لسألني الله عنها لما لم تصلح لها الطريق يا عمر، فحاز شهادة عدوه:

"حكمت فعدلت فأمنت فنمت".

ولا يسعنا سوى الأسف عند القول بأن نجم هذه المدينة قد أفل بعزوف أهلها عن مقومات الفضيلة فيها، فاهتز الهيكل وتداعى حوض الأمة المعنوي الذي يشكل جسارتها ويصون عرضها وتجتمع فيه قوتها، وانهارت خزينتها المعنوية التي تضمن منافعها العامة^(١). والتوصيف هذا هو لبديع الزمان سعيد النورسي، أراد منه أن يحدد حال الأمة عند انخيارها، وفردة توصيف حالة الانخيار يصحبها أيضاً فردة توصيف حالة البناء، وهذا هو الموضوع المتوخى من ورقة البحث هذه:

"جمع لبنات أساس المدينة الفاضلة المفقودة اليوم استرشاداً بما في رسائل النور من قبسات نورانية تعرض لما ورد في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد ﷺ".

ورقة البحث هذه هي محاولة لرسم دار من دور تلك المدينة الفاضلة التي تتراص كلها لتشكّل مجتمعاً عمرانياً استعاد فيه بديع الزمان سعيد النورسي معالم عصر النبوة وحاكى فيه أفعال الصحابة الكرام، وما العمل إلا الملمة لهذه الشذرات الذهبية من حنايا رسائل النور في عرض أشبه بعمل المهندس المعمار، يحدد المفهوم ويرسي القاعدة ويرفع البنيان ويحكم السقف ويسلم الدار لساكنيه، ولنبدأ معه ورشة البناء خطوة بخطوة:

١- المفهوم والتصميم أساس فكرة الكيان:

هذه الدار المعنوية النموذجية، يكاد ينفرد سعيد النورسي من بين المحدثين في تحديد مفهوم تصميمها، فهي صورة عن الانسان ذاته، هذا الكائن المعجز الذي قال فيه رب العزة في معرض الحديث عن إعجاز الخلق: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ^(٢).

إن العالم هو إنسان مكبر يظهر من آثار الحياة مع ما تتضمن من منظومات الكائنات ما يظهره الجسد بين أعضائه وأجزائه، كالتساند والتجاوب والتعاون^(٣).

قال رسول الله ﷺ: "إنما المؤمنون في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى

(١) صيقل الإسلام ص ٤١٣.

(٢) سورة الذاريات، آية رقم ٢١.

(٣) صيقل الإسلام ص ٣٣٦.

منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى" (١).

هذا التساند والترابط حسب بديع الزمان سعيد النورسي هو سر مستتر في الكائنات كلها، ومنتشر فيها مثله مثل روح التجاوب في كل جانب... حيث يدل هذا التجاوب والتساند على أن الكل تحت أمر مدبر واحد ومرجعهم رب واحد القابض على النظام، هو الله لا إله إلا هو (٢). وبالتالي فإن التوحيد والعبودية لله الواحد الأحد والتسليم بالأمر هو أساس مفهوم التصميم القائم على وجوب أداء الوظيفة المناطة بالإنسان في هذه الحياة الدنيا والالتزام بما فرضه الله علينا من سير على الطريق المستقيم.

فعلى الإنسان العمل ثم العمل ثم العمل، والله يتكفل بالنتائج.

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (٣).

وما ذلك السعي لتحقيق هذه العبودية، إلا جهاد معنوي من أعظم شروطه عدم التدخل في الوظيفة الإلهية، أي بما هو موكول إلى الله. "بمعنى أن وظيفتنا الخدمة فحسب، بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين وإننا مكلفون ومرغمون في الإيفاء بوظيفتنا" (٤).

فالتعاون والتساند والتجاوب والتعانق إنما هي أختام كبرى وبصمات ساطعة للتوحيد (٥).

وهذا العمل في جوهره تفاعل بين البشر كل حسب وظيفته، ليتكامل الجميع في نظام واحد يدعم بعضه بعضاً، ومن هنا مبدأ التساند وروح الإيجابية في العمل. وانطلاقاً من هذا المفهوم يتحدد التصميم.

٢- قاعدة البناء ونقطة الاستناد:

يحرص المهندس البناء على جعل أساس الدار ثابتاً راسخاً قادراً على استيعاب الأحمال والاوزان التي ستلقي بثقلها عليه، وجاهزاً للتفاعل مع كافة العوامل المحيطة به، وبالتالي تتراصف مكونات هذا الأساس ويشتد بعضها ببعض لتشكيل وحدة متكاملة يحمل قوتها

(١) حديث شريف.

(٢) المشوي العربي، ص ١١٠ بتصرف.

(٣) سورة التوبة أية ١٠٥.

(٤) السيرة الذاتية ص ٤٧٠.

(٥) اللمعات ص ٥٤٠.

الضعيف.

يقول بديع الزمان سعيد النورسي: "إن الأجزاء والأحجار في البناء المتساند يستند كل واحد بقوة الكل، ويزول ضعف الكل بتساند الكل، كأن الكل عوناً لكل واحد ومساميره"^(١).

وهذا لعمري درس بليغ في الترابط والثبات والتفاعل مع الآخر لحد الذوبان في بوتقة واحدة تتحد فيها المكونات لتشكل مكوناً واحداً صامداً أمام عاتيات الزمان.

يقول النورسي لطلابه متحدثاً عن كيف لفئة قليلة أن تمتلك قوة فئة كبيرة: "إذا ما عملوا متساندين بأخوة حقيقة، مفتخرين كل منهم بفضائل الآخرين، حتى يبلغوا سر الفناء في الاخوة، أن يكون أحدهم هو الآخر نفسه، فإن قيمة أولئك الأشخاص الأربعة تكون بمثابة أربع مائة شخص"^(٢).

ويعيدهم إلى الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُخْزِعَكُمْ﴾^(٣)، فيقول: "تشير هذه الآية إلى التساند والترابط إذا اختل، تفقد الجماعة مذاقها"^(٤).

"نعم إنه ينبغي التساند الحقيقي والترابط الذي هو أقوى مرتكز ونقطة استناد لنا، مع غض البصر عن أخطاء بعضنا البعض، حذار... حذار... اعملوا فوراً على رأب الصدع في ترابطكم الوثيق الفولاذي"^(٥).

ثم ينتقل النورسي ليعين لطلابه أن هذه الدعوة إلى التساند إنما هي للمنفعة العامة وليس الخاصة، فيقول:

"إخوتي الأعزاء الأوفياء:

إن سبب اهتمامي البالغ بتساندكم وترابطكم لا ينحصر في منفعته التي تكسب رسائل النور، وإنما لغوام المؤمنين ممن ليسوا ضمن الإيمان الحقيقي، فهم أحوج ما يكونون إلى نقطة استناد وإلى حقيقة ثابتة عضت عليها جماعة بالنواجذ... فمن يشاهد ترابطكم المتين

(١) المشنوي العربي ص ١٧٦.

(٢) الملاحق، ملحق بارلا ص ٥٩.

(٣) سورة الأنفال، أية رقم ٤٦.

(٤) الشعاعات ص ٥٤٦.

(٥) الشعاعات ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

وتساندكم القوي يطمئن قلبه" (١).

"اعلموا يا اخوتي أن أهم أساس لقوتنا ونقطة استنادنا هي التساند، وإياكم النظر إلى تقصيرات بعضكم البعض..." (٢).

يخلص هذا الدرس إلى أن أساس القاعدة يلحظ القوة والصلابة والمتانة ويتوخى المنعة بالتساند ويحذر من الفرقة والتشقق الذي يؤدي بالأساس إلى التزعزع وبالبناء إلى الانهيار. وعلى مثل هذه القاعدة الثابتة ينطلق المهندسون لرفع البنيان وشبك الجسور ونصب الاعمدة التي تحمل جدران البنيان المرصوص.

وأعمدة وجسور أبنية المدينة الفاضلة هي لطائف الأخوة والتعاون والشفقة.

٣- البنيان المرصوص: شدة لبناته بلطائف الأخوة والتعاون والشفقة:

إن الإنسان بسر التوحيد صاحب كمال عظيم بين جميع المخلوقات وهو أتمن ثمرات الكون، وأسعد ذوي الحياة ومخاطب رب العالمين وأهل ليكون خليله ومحبيه (٣)، سجدت له الملائكة بأمر من رب العالمين وعلمه الله الأسماء كلها، واستخلفه في هذه الأرض لعمارها وأمره بعبادته والعمل ضمن هذا السياق حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهذه القيمة الغالية للإنسان المؤمن العابد لربه تستدعي سكنه في دار تتفوق على سواها ببنيان مرصوص تشابكت أعمدته وجسور حجارة جدرانها بفن ومهارة تحميه من قساوة الخارج، وتلقي به في دفء السعادة والحنان والهناء. وهذه المشاعر يولدها لدى المؤمنين شعور بإخوة لطيفة وصداقة قوية تربط فيما بينهم، بينما المحرومون من هذه الروابط يقاسون دائماً عذاباً مريعاً من ظلمات أليمة (٤).

إن الفرق بين مدينة الكافرين ومدينة المؤمنين أن الأولى وحشة مستحالة ظاهرها مزين، باطنها قسوة، صورتها مأنوسة سيرتها موحشة.... ومدينة المؤمنين (مدينة بديع الزمان الفاضلة)، باطنها أعلى من ظاهرها، معناها أتم من صورتها، في جوفها أنس وتحب وتعاون،

(١) الشعاعات ص ٣٦٤.

(٢) الشعاعات ص ٣٦٤.

(٣) الشعاعات ص ١٨.

(٤) الشعاعات ص ٧٩.

والسر: أن المؤمن يرى أخوة بين الكائنات وأنساً وتحبباً بين أجزائها^(١).
الأخوة والاخوة الإيمانية، تكاد تكون أكثر الكلمات تردداً في رسائل النور، متبوعة بكلمة المحبة والشفقة والإيمان، وبات مصطلح الأخوة الإيمانية رديفاً للوحدة حيث أن الأخوة الإيمانية تشكل حلقات الربط وجسور المحبة التي تشد البناء المرتفع، فوق قاعدة التساند الثابتة.

وكأني ببديع الزمان يقف فينا خطيباً ويردد:

أيها المؤمنون:

إن كنتم تريدون حقاً الحياة العزيزة، وترفضون الرضوخ لانهلال الذل والهوان...! ادخلوا القلعة الحصينة المقدسة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢)، وحصنوا أنفسكم بها.

يا معشر أهل الإيمان:

إن قوتكم تذهب أدراج الرياح من جراء أغراضكم الشخصية وأنايتكم... استشهدوا بالدستور النبوي العظيم: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)^(٣).
وعندها فقط تسلمون من ذل الدنيا وتنجون من شقاء الآخرة^(٤).

فيا أهل الحق،

امثلوا بما تأمركم به مئات الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة من التأخي والتحاب والتعاون واستمسكوا بكل مشاعركم بعري الوفاق مع إخوانكم^(٥).

هذه الأخوة تولد التعاون والاجتماع. وفيها سر عجيب حيث ترى كل صاحب كمال وصاحب جمال يرى في نفسه ميلاً فطرياً إلى أن ينضم إلى مثيله ويأخذ بيد نظيره ليزداد حسناً إلى حسنه، حتى أن الحجر، إذا خرج من يد المعتقد الباني في السقف المحذب يميل ويخضع رأسه ليماس رأس أخيه ليماسكا عن السقوط، فالإنسان الذي لا يدرك سر التعاون

(١) المشنوي العربي، ص ٨١.

(٢) الحجرات آية ١٠.

(٣) أخرجه البخاري برقم ٤٨١.

(٤) المكتوبات ص ٣٥٠.

(٥) اللغات ص ٢٣٥.

لهو أجمل من الحجر، إذ من الحجر من يتقوس لمعاونة أخيه^(١).
 والتعاون حقيقة كما يراه بديع الزمان سعيد النورسي مشاهد في الكون كله، ويضرب
 الأمثال لذلك بدءاً من عناصر إمداد الأحياء حتى معاونة الحيوانات للإنسان، وما شابهها
 من أمثلة غزيرة تظهر حقيقة التعاون الجارية بالتسخير الرباني، وتوضح بجلاء ربوبية رب
 العالمين وتشهد على وحدانيته^(٢).
 وبذلك نرى تحقق المفهوم الذي هو الأساس في تصميم المدينة الفاضلة: التوحيد
 والعبودية لله حيث يتكامل النظام ويتوازن بقوة رب ذي جلال وبرحمة رحيم وبأمر حكيم.
 وكمثال تطبيقي آخر عن التعاون يورد سعيد النورسي الزكاة واصفاً إياها بقنطرة
 الإسلام وبها يتم التعاون بين أهله^(٣).
 كذلك القومية الإيجابية المضادة للقومية السلبية، حيث يعتبرها بديع الزمان سعيد
 النورسي نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية وهي سبب للتعاون والتساند وتحقق قوة
 نافعة للمجتمع وتكون وسيلة إسناد أكبر للأخوة الإسلامية^(٤).
 فنمو الشعور القومي في الشخص إما أن يكون إيجابياً أو سلبياً، فالإيجابي ينتعش
 بالشفقة على بني الجنس التي تدفع إلى التعاون والتعارف، أما السلبي فهو الذي ينشأ من
 الحرص على العرق والجنس الذي يسبب التناكر والتعاند. والاسلام يرفض هذا الأخير^(٥).
 فالشفقة هي دون ريب لمسة الحنان والحب والرأفة التي تغلف هذا البنيان المرصوص
 وتلين من قساوته وتبعث فيه لذة روحانية تدعو كل انسان إلى الاشفاق على الضعفاء
 والعجز والمعوزين الذين يغشى الظلام عالمهم الأليم فتحول الشفقة عالمهم المحزن إلى عالم
 بهيج وتقلب عبرات الشكوى والألم والتعاسة إلى دموع الفرح والشكر والامتنان^(٦).
 وفي حديثه عن هذه اللطيفة يتوجه سعيد النورسي إلى فئة خاصة من البشر وهن

(١) إشارات الإيجاز ص ٤٩.

(٢) الشعاعات ص ١٨٥ اقتباس مختصر.

(٣) إشارات الإعجاز ص ٥٣.

(٤) المكتوبات ص ٤١٥.

(٥) صيقل الاسلام ص ٣٣٤.

(٦) صيقل الاسلام ٤٨٥ بتصرف.

النساء، مثبتاً صراحة حقيقة تكامل الجنسين في بناء مدينته الفاضلة فيقول: "لما كان أهم اساس من اساس رسائل النور هو الشفقة، وإن النساء هن رائدات الشفقة وبطلات الحنان... ولقد غدت التضحية التي تنطوي عليها الشفقة والحنان ذات أهمية عظيمة في زماننا هذا، يفتح بديع الزمان عند هذه النقطة نافذة على التربية الاسلامية ودور الأم والزوجة والابنة والاخت في إرساء الاسرة السليمة البعيدة عن الضلال القائمة على التضحية، فالشفقة والحنان الكامنين في الأمومة المغلفة بالإخلاص هي ألزم شيء وأهم أساس في التربية الاسلامية، وتلك البطولة القائمة في الشفقة تضم بين جوانحها الاخلاص الحقيقي^(١).

أما الزوج الرشيد فهو لا يبني محبته لزوجته على جمال ظاهري زائل لا يدوم عشر سنوات، بل عليه أن يبني مودته لها على شفقتها التي هي أجمل محاسن النساء، وأدومه، كي تدوم محبته لها كلما شابث تلك الزوجة الضعيفة، إذ هي ليست صاحبة ورفيقته في حياة دنيوية مؤقتة وإنما هي رفيقته المحبوبة في حياة أبدية خالدة^(٢).

فتأمل معي أخي أي حياة أسرية ستضمها بيوت مدينتنا الفاضلة وأي جيل سعيد سيخرج من هذه البيوت التي تحضنها الشفقة والحنان!!!

وأخيراً ها قد ارتفع البناء وتحضر المهندس المعمار لوضع السقف وحماية داخل الدار.

٤ - سقف الإخلاص يظل البناء.

جاء في الحديث الشريف: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)^(٣).

يقول بديع الزمان سعيد النورسي: إن النظر والنية يغيران ماهيات الاشياء، فيقلبان السيئات حسنات، وكذلك تقلب النية الحركات العادية عبادات^(٤).
فالنية روح وروحها الإخلاص، فلا خلاص إلا بالإخلاص^(٥).

(١) اللغات ٣٠٦-٣٠٩ بتصرف.

(٢) اللغات ٣١.

(٣) أخرجه البخاري.

(٤) المشنوي العربي ص ١٠٥.

(٥) المشنوي العربي ص ١٥٩.

والإخلاص في اللغة مشتق من فعل خلص الثلاثي ومعناه صفاً، وزالت عنه الشوائب، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(١). جاء في شرح رياض الصالحين، أي مخلصين له العمل وإخلاص العمل لله أي أن لا يبتغي الإنسان شيئاً بعمله سوى الله عز وجل^(٢).

ولعظم أهمية الإخلاص أفرد له بديع الزمان سعيد النورسي لمعة خاصة به وأوصى بقراءتها كل خمسة عشر يوماً على الأقل. فتصفية النية بالإخلاص في العمل يعيدنا إلى مفهوم التوحيد والعبودية لله التي رسمت وفق تصاميمها مدينتنا الفاضلة.

إن الإخلاص واسطة الخلاص، ووسيلة النجاة من العذاب، فالعداء والعناد، يزعرعان حياة المؤمن المعنوية فتتأذى سلامة عبوديته لله، إذ يضع الإخلاص!^(٣). والسكن في بناء مع خلل في المفهوم وسقف ضائع كمن يبيت في العراء تنهشه وحوش الفلاة.

في هذا العصر العصيب، يقول النورسي: لا مناص لنا إلا بذل كل ما في وسعنا من جهد و طاقة كي نظفر بالإخلاص، فنحن مضطرون إليه، بل مكلفون به تكليفاً وأحوج ما نكون إلى ترسيخ سر الإخلاص في ذواتنا. وإذا أخللنا بالإخلاص نكون أفسدنا السعادة الأبدية لإرضاء منافع شخصية تافهة أمثال الرياء ونكون أيضاً من المتجاوزين حقوق إخواننا. ويتابع النورسي محذراً تلاميذه من موانع الإخلاص: فيذكر الحسد والرياء والانانية والنفس الامارة بالسوء والطمع، ويختتم بدعائه:

اللهم بحق سورة الإخلاص اجعلنا من عبادك المخلصين، المخلصين. آمين^(٤). وبعد أن اطمأن المهندس المعمار وارتاح باله لجهة متانة السقف، فخصلة الإخلاص هي سبب الصلابة والمتانة، وقف أمام باب داره والمفتاح في يده وصاحب الدار ينتظر المعمار ليسلمه المفتاح ويطابق المواصفات ويتفاهمان على المرحلة الختامية.

(١) سورة البينة آية ٥.

(٢) البوابة الالكترونية للمكتبة الشاملة shamela.ws.

(٣) المكتوبات ص ٣٥٠.

(٤) مقتبس باختصار من اللعة ٢١ - لمعة الإخلاص.

٥ - مطابقة النتيجة مع البداية:

المعمار أمام دار فريدة من نوعها، والمالك متلهف للدخول اليها، ودون ذلك شروط. فدار صممت على العبودية وأسست على التساند وسورت بالأخوة والتعاون والشفقة، وسقفت بالإخلاص، لا يدخلها إلا عبد من عباد الله المخلصين، تفتحت عيناه على الحقائق الايمانية، وتوكل على الله وأدرك الحكمة من قول رسول الله ﷺ: (خير الناس أنفعهم للناس)^(١)، وقوله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخي ما يحب لنفسه)^(٢).

ساكن هذا البناء فرد في المدينة الفاضلة، يحميها بأعلى ما عنده، ويخفض جناحه لإخوانه، يكون هدفه الاتحاد ومسلكه المحبة وشعاره ترك حب الذات والانانية، يقدم على العمل الايجابي البناء بدءاً من التبسم في وجه أخيه وليس انتهاءً بالتسامح والحفاظ على الامن والامان.

يقول بديع الزمان سعيد النورسي: "إن واجبنا القيام بأعمال إيجابية بناءة وليست تخريبية سلبية، بل القيام بوظيفة الايمان ابتغاء مرضاة الله وحده لا غير، من دون التدخل في أمور موكولة إليه تعالى، فنحن مكلفون أن نصمد صابرين على كل المضايقات لأجل إحلال النظام واستتباب الأمن في ربوع البلاد"^(٣).

وبذلك تتحقق مقاصد الشريعة القائمة على حفظ الحرث والنسل، فهذه الروح السامية التي خلقها الله ورفع من شأنها، تستحق الحفظ والحماية.

أخيراً وليس آخراً:

قام مهندسنا المعمار بإرساء دار من دور المدينة الفاضلة المفقودة، ودورها كثيرة أخرى تقوم على مثل العدل والشورى والاقتصاد والعمران لا تزال شذراتها الأخرى منشورة في رسائل النور.

(١) حديث حسن، ورد في صيقل الاسلام - المناظرات ص ٤٠٣.

(٢) رواه مسلم في كتاب الايمان ٧١.

(٣) الملاحق ص ٢٣٩.

مفاهيم العلاقات الإيجابية أنموذج مقاربات رسائل النور دراسة وصفية

د/ حسن عبد المجيد متقوبيا
جامعة ماكيري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل في كتبه العزيز: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (سورة الحجرات، الآية: ١٠).

والصلاة والسلام على من بُعثَ رحمةً للعالمين سيدنا محمد صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم،
وبعد.. ،

فهذه الورقة المعنون بـ(مفاهيم العلاقات الإيجابية: أنموذج مقاربات النورسي، دراسة وصفية" في ضوء رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي وذلك في بناء عالم أفضل تستعرض بعض القيم الأخلاقية التي تُعد من المرتكزات الأساسية التي بدأ بها الرسول ﷺ في بناء المجتمع وتهذيبه بغية العيش مسالماً، ثم تأدية مراد الخالق وهو عبادته سبحانه وتعالى وحده ففي الحديث "المسلم أخو المسلم..." وفي حديث آخر: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (متفق عليه). وقد بُعث الرسول ﷺ في الوقت الذي كان ينقصه التعايش السلمي وينتشر فيه الغل الاجتماعي لا شفقةً ولا رحمةً فيما بينهم، يقول الواحد:

نبي جاء بالرحمة وبالقرآن والحكمة
أشاع العدل في الأمة فقامت دولة الأحرار

وهذا البيت يصور لنا حالة المجتمع قبل الرسالة السماوية، وكذا الأجيال الخلاعة، فحديث دخلت المرأة النار لأجل قطعة حبستها دون أن يطعمها يؤكد هذه الصورة. وبعد الحرب العالمية الأولى والثانية المدمرتين واللذان شهدتا الكثير من سفك الدماء

وفقدان الممتلكات القيمة اجتمع قادة العالم في ذلك الوقت بحثاً عن الحلول ووقعوا على العديد من الاتفاقيات والبروتوكولات تعهدوا من خلالها -بالإضافة إلى الجيل الذي سيأتي من بعدهم- بالألّا يخوضوا الحروب ظلماً، وكذا السعي لتعزيز السلام بقدر الإمكان. وينبغي إجراء الحوار والمناقشات حول مائدة مستديرة عند حدوث أي نزاع وذلك بهدف الوصول إلى تسوية النزاعات سلمياً.

إن العالم الذي نعيشه اليوم هو في غاية الفوضى وقد اجتاحت حروباً عنيفة مدمرة، حيث قامت الدول ضد الأخرى، وكذا القبائل ثارت ضد بعضها بعضٍ لدرجة أن بعض علماء الدين والمثقفين من يكتب ويعطى الكراهية والانتقام مما أدى إلى المزيد من الارتباك، كما شهد العالم الإسلامي على وجه الخصوص العديد من التحديات الهائلة مثل: الجهل، والطغيان، والاستبداد، والمادية، والقومية، والفاشية، والتمييز، وغيرها كثيرة، فبينما الحال كذلك؛ والله الحمد والمنة، فقد برز في الوقت نفسه بعض المسلمين البارزين امن أهل الله الذين يدعون المسلمين إلى العودة إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية والتمسك بهما قولاً وعملاً؛ ومن هؤلاء يُذكر: الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي والذي يُعدُّ أحد المجتهدين المعاصرين. قال تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا بِدِيلًا﴾ (سورة الأحزاب، الآية: ٢٣).

وقد وصف النورسي الأخوة الإسلامية بقوله: إنها السلاح البتار والخندق الأمين والقلعة الحصينة ضد دوائر الأعداء المحيطة بالإسلام ومصائب الدنيا وأحوالها المضطربة (انظر: من كليات رسائل النور "الإخلاص والأخوة" ص ٥٠) ويبين أن الإخلاص واسطة الخلاص ووسيلة النجاة من العذاب، ثم يدعو إلى العودة إلى الرشd والدخول في القلعة الحصينة المقدسة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠).

نعم؛ وضعت الحضارة الإسلامية منذ عقود عديدة أساساً متيناً لتعزيز الأخوة الإنسانية، والمحبة والرحمة، والتضامن، وقد وردت هذه القيم في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بشكل واضح.

وعندما جاء الرسول ﷺ هذَّب المجتمع أولاً؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ؛ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا

يَكْرَهُ أَنْ يُقْدَفَ فِي النَّارِ. رواه مسلم، والترمذي والنسائي وغيرهم في كتاب الإيمان. فحقائق الإيمان شيء، وحلاوة الإيمان شيء آخر؛ حقائق الإيمان يكتسبها الإنسان من خلال المدارس (أي العمل الإيجابي)، وحلاوة الإيمان تتأتى للمؤمن من خلال المجاهدة، وحقائق الإيمان إن لم يُعمل بها تستقر في الذاكرة، ولا تسمو بالإنسان ولا تسعده؛ بينما حلاوة الإيمان ثمرة يانعة من ثمرات مجاهدة النفس والهوى، تنبع من القلب، وتستقر به، وتسمو بالإنسان وتسعده، ولا يشد الإنسان إلى الدين حقائق الإيمان. وحدها. بل حلاوة الإيمان، التي تدفعه إلى بذل الغالي والرخيص، والنفس والنفيس، حقائق الإيمان أن تطلع على خارطة لقصر منيف، بينما حلاوة الإيمان أن تسكن ذلك القصر، حقائق الإيمان أن تتلفظ بكلمة ألف مليون، بينما حلاوة الإيمان أن تملكها، لأن حقائق الإيمان يدركها الإنسان بالعقل، فيقنع بها، وقد تغلبه نفسه فيخالفها، وحلاوة الإيمان يتذوقها القلب، فتجعله كالمرجل، تدفعه إلى أجل الأعمال، وأعظم البطولات. فالمريض يجد طعم العسل مرّاً، والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه، وكلما نقصت الصحة نقصاً ما، نقص تذوق الحلاوة بقدر ذلك، وكذلك الإنسان يذوق حلاوة الإيمان، بقدر طاعته للواحد الديان. وقد عبّر النبي ﷺ عن هذه الحالة بالحلاوة لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة.

الشفقة: تميز الإسلام بمظاهر الحضارة الإسلامية الشاملة القيم النبيلة كلها، وقد سبق الحضارات في التعرض لهذه المظاهر والقيم، فالرحمة شملت الشفقة بالإنسان فهي أمرٌ إلهي على لسان نبينا محمد ﷺ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" (رواه أبو داود والترمذي).

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل يقتصر هذا الأمر على الإنسان فحسب؟ فالجواب السريع هو بالنفي، فقد تضمن هذا الأمر حتى الحيوان بكلمة الرفق به، فلا ينبغي على المسلم أن يكون قاسياً مع الحيوان الذي وهبه الله له وسخره لخدمته وإسعاده بشكل أو بآخر، ففي حديث النبي ﷺ ذكر أن امرأة دخلت النار بسبب الإساءة إلى حيوان. عن النبي ﷺ قال: "دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشائش الأرض" (صحيح البخاري) فكيف بمن لا يرحم البشر ولا يشفق عليهم ولا يعمل على إعاتتهم وإغاثتهم؟

والثابت أنه في السنوات الأولى التي بدأ فيها الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي تحركاته أبرز حقيقة وجود التواصل والرحمة بين الإنسان وغيره من المخلوقات الحية عندما قَدَّم له الغذاء، ومن ثم جمع كل الفتات، وقَدَّمها للنمل بعد أن لاحظ بأن النمل تعيش حياة اجتماعية وتعيش في الوحدة الأمر الذي يستحق التقدير ويستدعي لكامل الإعجاب. ويؤكد بديع الزمان أنه قد حان الوقت بالنسبة للإنسان أن يتدبر ويبنى مثل هذا النوع من الأخوة والرحمة.

وفي أعماله، فقد ذهب الأستاذ بديع الزمان إلى أبعد من ذلك ليربط الإنسان بالمخلوقات الأخرى، ويعلم الناس أنه لا ينبغي أن تكون هنالك عمليات القتل غير الضرورية. وبالتالي فإن الإنسان يتعلم من هذا كله أهمية التعاطف والرحمة والشفقة والتي من الممكن أن تجعله يتصل بإخوته البشر جميعاً كإحدى السبل لبناء الأخوة الإنسانية.

الصبر: وهو من الفضائل الخلقية والروحية التي يعتصم بها المرء كلما نزلت به الخطوب، أو أَلَمَتْ به الشداد، وهو قارب النجاة الذي ينتشله من بين أمواج الأسى والكروب، فيعيد إليه الثقة بالله والنفس، ويضيء في ظلمات قلبه شعاع الأمل والرجاء، ولولاه لانهارت النفوس تحت وطأة البلايا والمصائب، وسيطر اليأس والقنوط عليها، وأصبح الموت خيراً لها من الحياة، إذ "لا معنى للحياة مع اليأس".

ويعُدُّ الصبر فاصلاً بين الحياة الروحية والحياة المادية، وليس من فضيلة إلا وهي محتاجة إليه، فالشجاعة هي الصبر على كل مكاره الجهاد، والعفاف هو الصبر على ميل الشهوات، والحلم هو الصبر على ما يستفز ويغضبه، ولذا جعله الله سبحانه وتعالى من أحسن الفضائل ووعد الصابرين خير الجزاء فقال: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: الآية ١٠).

وهذا الكلام يعكس لنا الوقت الذي وُلد فيه الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي حيث كانت تركيا هي مقر الحضارة الإسلامية وقلبها في ظل الإمبراطورية العثمانية قبل الانهيار والاضمحلال، ولقد صبر على تعلم العلوم الإسلامية وعكف عليها، ثم قام بالوعظ وتطبيق ما كان يعتقد بأنه هو التوجيه الصحيح، وفكَّر أيضاً في نقل هذه الفكرة إلى بقية العالم، وقد عُرِفَت جميع أعماله العلمية التي ألفها ثم جمعت فيما بعد باسم رسائل النور.

شعرت السلطات في ذلك الوقت كأنها مهددة، ووضعت الوسائل التي من خلالها أنها يمكن تخطيطه بل تخطيط كل الذين وقفوا معه جميعاً.

والحقيقة هو أن بديع الزمان وضع أساساً لنهج آخر بحيث قدّم الإسلام على حقيقته المطلقة في حل المشكلات الإنسانية المعقدة والذي اختلف تماماً عن نهج علماء الدين الآخرين.

ومن يقرأ الدرس الأخير حول العمل الإيجابي البناء الذي ألقاه الأستاذ النورسي قبل وفاته على طلبة النور يجد أنه كان مثلاً يحتذى بحيث كان يطبق ما يقوله على نفسه أولاً، ثم يحبّب لجميع الناس أن يمتثلوا لما يدرّسه وليس في منظور المذهب، ولكن بحسبانه منهجاً إلهياً فمثلاً يقول: إننا مكلفون بالتحمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي، بل يقابل المضايقات وألوان المشكلات بالرضى والصبر الجميل.

وَاسْتَعْمِلِ الصَّبْرَ إِنْ نَابَتْكَ نَائِبَةٌ لَا قَارَ مَنْ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ قَدْ جَزَعَا
فَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي عُسْرِ يَتَنَبَّهُ إِذْ جَاءَهُ الْيُسْرُ مِنْ مَوْلَاهُ مُنْدَفِعَا
يَا رَبَّنَا يَسِّرْ لَنَا خَيْرًا يَدُومُ وَهَبْ لَنَا سَبِيلَ سُلُوكِ الشَّعْرِ مُتَّسِعَا

الحفاظ على الأمن العام

إن الإسلام دين الأمن والسلام الذي ينعم به كل شيء في ظله بالأمان والسلامة. تساءل أستاذنا بديع الزمان سعيد النورسي سؤالاً مهماً مثيراً للدهشة: لماذا يختلف أصحاب الدين والعلماء وأرباب الطرق الصوفية وهم أهل حق ووفاء ووئام بالتنافس والتراحم في حين يتفق أهل الدنيا والغفلة، بل أهل الضلالة والنفاق من دون مزاحمة ولا حسد فيما بينهم مع الاتفاق هو من شأن أهل الوفاق والوئام، والخلاف ملازم لأهل النفاق والشقاق، فكيف استبدل الحق والباطل مكانهما؛ فأصبح الحق بجانب هؤلاء والباطل بجانب أولئك؟

من يتمعن في هذا السؤال ويقرأ أسباب الاختلاف، يتفق معه بالطبع، ثم يتضح له باختصار أن الأصناف المذكورة الذين اختاروا اليسار وهم أحق باليمين أنهم لم يفعلوا هذا إلا طمعاً في الدنيا وحرصاً على خيراتهم وعدم الزهد فيها، وقد قدم لنا سبعة من الأسباب بالعديدة جواباً على هذا المرض الفتاك، وكلها مهمة ومفيدة، ولكنه في السبب الثاني يبين لنا تسعة أمور بحسبانها الحل الوحيد لحالة اتفاق أهل الضلالة والذي ينبع من ذلتهم، بينما اختلف أهل الهداية نابع من عزتهم، بحيث ينادي إلى الميل نحو العمل الإيجابي البناء كالنقطة الأولى، وهذه الأمور هي:

- ١- العمل بشكل إيجابي للبناء، وهذا هو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب من دون أن يرد إلى تفكيره، أو أن يتدخل في علمه عداء الآخرين، أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً.
 - ٢- أن يتحرى الإنسان روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الإسلام - مهما كان نوعها- والتي ستكون منابع محبة ووسائل أخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها (أن تتم الوحدة داخل حظيرة الإسلام، بقطع النظر عن النظرة المعينة، مع ذكر تلك العلاقات العديدة الخاصة بالوحدة والتي تثير المحبة والأخوة والوئام).
 - ٣- اتخاذ دستور الإنصاف دليلاً ومرشداً وهو: أن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: "إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي فحسب" أو "إن الحسن والجمال في مسلكي وحده" الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها.
 - ٤- العلم بأن الاتفاق والوحدة مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي وأحد منابع العزة الإسلامية.
 - ٥- الحفاظ على الحق والعدل بإيجاد شخص معنوي؛ وذلك بالاتفاق مع أهل الحق للوقوف تجاه أهل الضلال والباطل الذين أخذوا يغيرون بدهاء شخص معنوي قوي في صورة جماعية على أهل الحق - بما يتمتعون به من تساند واتفاق- ثم الإدراك بأن أية مقاومة فردية - مهما كانت قوية- مغلوبة على أمرها تجاه ذلك الشخص المعنوي للضلالة.
 - ٦- لأجل إنقاذ الحق من صولة الباطل.
 - ٧- ترك غرور النفس وحفظها (التخلي عن الذات والأنانية).
 - ٨- ترك ما يتصور خطأ أنه من العزة والكرامة (التخلي عن مفهوم خاطئ للفخر الذاتي).
 - ٩- ترك دواعي الحسد والمنافسة والأحاسيس النفسانية (التخلي عن كل مشاعر تافهة التي أثارها التنافس).
- إذا تم الالتزام بهذه الأمور التسعة فسيتم الحفاظ على الإخلاص والأخوة وسوف تتحقق وظائفهما بشكلٍ ممتازٍ.

الاتفاق: من أسباب الاستقرار والتقدم والتنمية: الاختلاف والتكالب في مصالح الدنيا، لذا يحث الإسلام بالوحدة والاتفاق بغية الحفاظ على الأمن العام وذلك عن طريق القناعة والسعي للعمل البناء.

والثابت أن الأستاذ بديع الزمان يعترف بحق أن الكون ككتاب وأن كل صفحة من صفحاته يتضمن العديد من الكتب الأخرى، وكل كلمة من كلماته تحتوي على كتاب، وكل رسالة من رسائلها تحتوي على قصيدة وشعر، ووجه الأرض ما هو إلا صفحة واحدة في كتاب الكون، إذن، انظر كم عدد الكتب الذي يحتوي عليها، وكل ثمرة رسالة، وكل بذرة من البذور عبارة عن نقطة، وفي داخل هذه النقطة ترد كل شجرة في اتساع لها.

يبين الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي من خلال التحليل النقدي الذي قدمه بأنه من الممكن أن يعرف الرجل خالقه بسهولة من خلال التدبر في الكون وجميع المخلوقات المحيطة به بأنها مترابطة مع بعضها بعض، وأنها على اتصال حسن بخالقها الله سبحانه وتعالى، وهذا هو جوهر الأخوة والوحدة والاتفاق. إذن، فالسبيل إلى معرفة الله تعالى وصفاته يكمن في الفكر والاعتبار بحكمه وآياته، وهو الذي أوجد الكائنات لحكمة، وأرسل الرسل فضلاً منه ورحمة.

يذهب أيضاً ليوضح في شكل دائرة أن "السحاب تساعد المملكة النباتية، والمملكة النباتية تساعد مملكة الحيوان، وعالم الحيوان يساعد مملكة الإنسان". وهي كلها مظاهر الرحمن الرحيم، الكريم الحكيم (Staff of Moses). قال الواحد:

تَأْمَلْ فِي رِيَاضِ الْأَرْضِ وَانْظُرْ إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِكُ
عَمُونَ مِنْ جُحَيْنٍ شَانَعَاتٍ عَلَى وَرَقِ كَمَا الذَّهَبُ السَّبِيكُ
عَلَى قُضْبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٍ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

يمتد بنا حديث رسائل النور القول: إنها تُعنى بدعوة الناس إلى العلم والإيمان، إلى التساند والاتفاق... فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها، وسبحانه الذي أظهر لنا هذه الشواهد الكونية التي تخاطب كل فطرة سليمة.. تخاطبها خطاباً هامساً وجاهراً، باطنياً وظاهراً، لإقرار بوجود خالق لهذا الكون. ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (يوسف، الآية: ١٠٥).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ (الحجرات: ١٣).

فسر الأستاذ بديع الزمان هذه الآية قائلاً: إن الله يخبرنا بأنه أنا خلقتكم كالناس والأمم وقبائل لتعارفوا والعلاقات فيما بينكم في الحياة الاجتماعية ومساعدة بعضكم بعضاً، وليس ذلك من شأنه أنكم سوف ينظر بعضكم إلى بعض كالغرباء، وعدم الاعتراف ببعضكم بعض وتعزير العداة والعداوة.

وإذا كانت الأمم المتقدمة تتميز بوجود ضوابط وعادات حسنة تضبط العلاقات فيما بين أفرادها، فالدين الإسلامي الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والذي بعث متمماً لمكارم الأخلاق لم يترك كبيرة ولا صغيرة في الإصلاح المجتمعي إلا وتناولها بالتعظيم، وأوجب على المسلمين اتباعها، واعتبرها من علامات الإيمان، ووعد الملتزمين بها بالثواب العظيم وبجياة في الدنيا يسودها الحب والإخاء والمودة والعطف والشفقة وحسن الجوار أي الاتفاق. جاء في ملحق قسطنطيني، ص: ١٦٤: إن أجزاء رسائل النور التي ليست سوى علوم إيمانية، تؤسس الأمن والنظام، ذلك لأن الإيمان الذي هو منبع الخلق الحسن والحصل الحميدة ومنشؤها، لن يخل بالأمن بل يحققه ويضمنه. أما ما يخل بالأمن فهو عدم الإيمان بسوء خلقه وسجيته.

خاتمة، تظل الأخلاق الفاضلة غاية النفوس العظيمة والقلوب الإنسانية الكبيرة التي تسعى إلى بناء الحياة وإسعاد البشرية يحدوها في ذلك أمل في المستقبل وإيمان بأن الحق لا بد أن ينتصر طال الزمان أو قصر.

وتبقى الشريعة السمحة سوراً يحمي هذه الأخلاق ونوراً يضيء الطريقة المؤدية إليها بالرغم من العوائق والعقبات والمغريات التي يهفو إليها ضعاف النفوس أو يتراجعون أمام تحدياتها.

ويقوم العمل الإيجابي في رسائل النور بدور مشرق في ترسيخ القيم الأخلاقية التي تبني كيان الإنسان السوي وتحفظه إيماناً منه بأن بناء المجتمع القوي يعتمد على وجود الفرد القوي السليم الذي يؤمن بالقيم والمثل السماوية قولاً وعملاً.

ولا أظن أنني قد أعطيت هذه القيم السماوية حقها من البحث والمناقشة وذلك لضيق المقام، لكنني أمل أن أكون في هذا البحث المتواضع قد أضأت شمعة على الطريق، وأن كل ما ذكرت فيه هو مجرد رشفة من بحار معانيها، فمن ادعى قصراً فمن قصوره أو زعم أنه أتى

بكثيرٍ فمن قلّة نوره.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛؛

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الله إلهنا الموجد، د. عبد الله عبد الحميد سويد.
- من كليات رسائل النور: الإخلاص والأخوة، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة، ٢٠١٢م.
- المنبر، مجلة فصلية تصدرها الهيئة العامة للأوقاف وشؤون الزكاة بليبيا، العدد الخامس، ٢٠٠٦م.

آليات الاختلاف ودورها في العمل الإيجابي في فكر الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي

الدكتورة: سعاد دوفاني
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة - الجزائر -

المقدمة:

ما يزال العالم الإسلامي يعاني مخلفات المحجمة الاستعمارية عليه وأبرزها الغزو الثقافي والفكري، ما جعلها تعطي قراءتها الخاصة لكثير من المفاهيم التي فرضت علسها بدءا من احتكاكها الفكري والثقافي والعسكري والسياسي بالغرب في القرن الماضي.

وشكلت هذه المصطلحات الوافدة أسئلة طرحت تحديا كبيرا أمام الفكر الإسلامي، ووضعت على المحك، لاسيما وأن استعارة مفاهيم من نسق حضاري مختلف له خصائصه وأصوله وقواعده المغايرة دون أن نسقط من اعتبارنا أن هذه المفاهيم عادة ما تكون مشحونة بحملة من الأفكار المتصلة بقواعد متعددة، ومؤدية إلى آثار مختلفة في جوانب الحياة، مع أن هذه المفاهيم قد تكون أفرغت من محتواها الأصيل بعدما اجتثت من محيطها الذي أكسبها معاني مرتبطة به ارتباط كينونة ووجود.

من هذه المصطلحات مصطلح الاختلاف والذي ينصرف معناه الإسلامي الأصيل إلى التنوع والثراء وما يتبعه من معاني تعطيه بعدا هاما في البناء الفكري، وحيزا مهما في العلاقات الإنسانية من حيث الثراء والمساحة.

ومن أهم آليات الاختلاف، التعايش والتسامح اللذان جاء بهما الإسلام لتستظل الإنسانية بهما في كنف العدالة الإلهية والفيوضات القرآنية التي سمت بالإنسان نحو الجمال والجلال الرباني، وجعلتهما أساسا مهما من أسس الإصلاح الذي اعتمده المصلحون منذ زمن بعيد، كل حسب منطلقاته وحسب رؤيته الخاصة.

١ - الحركة الإيجابية ومنهج الإصلاح عند النورسي:

وباعتباره أحد المصلحين، سلك الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله مسلكا خاصا به في منهج الإصلاح، خالف به من سبقوه إذ لم يكتف بالتفكير والتنظير من برج مستقل، ومخاطبة أهل الاختصاص دون سواهم ومحاولة توضيح موقف نظري إيديولوجي يقدر أنه صالح للتطبيق مبرزا طروحاته الفلسفية والتميز بها، بل كانت كتاباته البديعة قطعة من الروح أحيا بها موات الأفكار، واحتضن بها تحديات الواقع المرير بحلول وعلاجات من طبيب خبر حقيقة الوجود، والنفس، وتمثل ببصيرة المؤمن بتحليلات حقائق القرآن الكريم وكنوزه وإشعاعات السنة المطهرة وذرها، فراح يسقطها على واقع الأمة نورا في رسائل، ورسائل من فيوضات القرآن الكريم، فكان بحق مجددا بما تحتمله كلمة التجديد من معاني.

لقد غاص الأستاذ النورسي في أعماق الحياة وأعماق الإنسان ليسبر أغوارها، ويسمو بالإنسان نحو الفضيلة، وبشرت روحه وقلبه ألفة ورحمة وجنوحا إلى السلم والطمأنينة، والتطلع نحو الخلود الذي تحن إليه، بسلوك منهج الفضيلة والعدل والعفو وسائر أخلاق القرآن الكريم، لا سيما والإنسانية اليوم أكثر تعطشا لها من ذي قبل، في عالم معولم، كفر الإنسان فيه بكل ما يخالف المادية، وغرق في أحوال الظلم والقهر، وما جناه من حقد وصراع، وإرهاب، وحروب وعنف...لأنه غاب عن الإنسان المفهوم الحقيقي لاختلاف والآلية الناجحة لإدارته وهي الحوار.

٢- بديع الزمان النورسي والحوار:

الحوار: هو منح الفرصة للطرف الآخر حتى يعبر عن آرائه وأهوائه^(١) في جو من الحرية والقبول حت تتواصل الأفكار والرؤى ويظهر صحيحها من فاسدها وفق ميزان الحق، كما قد تكون أوجه متنوعة متعددة للحق الواحد، يقول بديع الزمان سعيد النورسي "أنظر إلى ذوي الحياة المتجولة في خصم هذه الكائنات السيالة، وبين هذه الموجودات السيارة، ترى أن على كل كائن حي، أختاما كثيرة، وضعها الحي القيوم"^(٢) وكذلك جهود الفكر قد تتنوع وتنشعب لكنّها في النهاية تدل على الحق.

وكان النورسي -رحمه الله- يرى أن الخلاف والجهل من ألد أعداء الأمة إذ يقول:

(١) سلمان العودة، كيف نختلف، ط ١ ١٤٣٣هـ، مؤسسة الإسلام اليوم للنشر والرياض، ص ١٢٨.

(٢) الكلمات، ص ٣٢٩.

"سنجاهد بسلاح العلم والتقنية، الجهل والفقر والخلاف الذي هو ألد أعداء إعلاء كلمة الله. أما الجهاد الخارجي فنحيله إلى السيوف الأمامية للبراهين القاطعة للشريعة الغراء لأن الغلبة على المدنيين إنما هي بالإقناع وليس بالإكراه كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئاً"^(١) ليكون الحوار تعليم للأطراف المتحاورين والتي هي كما الجميع في حاجة ماسة إلى استجلاء الحق والإذعان له، وأن يكون شعار كل طرف وكل إنسان وجماعة: رأبي صواب يحتمل الخطأ ورأيك خط يحتمل الصواب خاصة القرآن الكريم كثيراً ما عرض علينا قصص التحاور والتي يبدو فيها أن أطراف الحوار على تباين مللها وأفكارها واختلاف قناعاتها تسمع وترد بما تراه قناعة راسخة عندها، سواء أدى هذا الحوار إلى نتيجة أم لا، فمثلاً قصة أول صراع بشري بين ابني آدم يعرضها القرآن بطريقة توضع المواقف، وتستجلي الحقائق بإعجاز فريد، يفتح المسالك التي تؤدي إلى حسن التلقي والاعتبار، وإذ يعرض علينا الله تعالى هذه القصة والتي تحاور فيها أخوان، واحد يؤمن بالحوار واللاعنف طريقاً لحل المشاكل والخلافات، والآخر يخالفه في الطرح والرؤية مقتنع بأنه لا سبيل لحل الإشكال إلا العنف والمتمثل في القتل و لتأمل الآية حيث يقول تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠)﴾^(٢) والملاحظ في هذه القصة، محاولة الطرف المسالم مواجهة الموقف بحكمة، واجتناب العنف الذي يكون فيه الرابح خاسراً، أمام إصرار الطرف المعاند على مجانبة الصواب والحكمة وإنهاء الموقف بالخسران والندم. والقرآن في هذا يعلمنا أن الحكمة والتعقل هي الأسلوب الحضاري الذي يستحقه ويلتزم به الإنسان المكرم على سائر المخلوقات، لأن الحوار والإقناع طريق إلى الفوز والفلاح في جميع الأحوال، وهو مظهر من مظاهر الرقي الذي تشوق إليه روحه باعتباره تجلياً للرحمة الإلهية وفي ذلك يقول الأستاذ النورسي "إن الإنسان

(١) صيقل الإسلام، الخطبة الشامية ص ٥٢٧.

(٢) سورة المائدة، الآيات: (٢٨-٢٩-٣٠).

هو الثمرة النهائية لشجرة الخلقة، ومن المعلوم أن الثمرة هي أبعد أجزاء الشجرة، وأجمعها وألطفها، لذا فإن الإنسان هو ثمرة العالم، وأجمع وأبدع مصنوعات القدرة الربانية وأكثرها عجزاً وضعفاً ولطفاً^(١) ثم يواصل قائلاً "وخلقه الباري مظهرها لجميع تجليات أسمائه الحسنى وجعله مداراً لجميع نقوشه البديعة جلت عظمتها، وصيّرهُ مثلاً مصغراً ونموذجاً للكائنات بأسرها"^(٢) وهو ما يترتب على الإنسان مسؤولية الاجتهاد والرقى نحو الكمال، والسمو نحو الفضائل ليستحق المنزلة الكريمة التي وضعتها القدرة الإلهية فيها، بشرط أن يدرك المفهوم الرسالي للقرآن وهو لبيان والتربية والتوجيه نحو الحق والخير والذي أدركه الأستاذ النورسي حين قال "الوظيفة الأساسية للقرآن هي تعليم شؤون دائرة الربوبية وكمالاتها ووظائف دائرة العبودية وأحوالها"^(٣)، وقد لمسنا ذلك في الحكمة من قصة ابني آدم، إذ يعلمنا القرآن منها، قيمة الصبر والتسامي عن العنف والحسد والبغض كما يعلمنا عاقبة التهور واتخاذ العنف سبيلاً لحل المشاكل، ويربيننا على التحمل والروية، وقبول آراء الآخرين ليكون الهدف الوصول إلى الحق واتباعه.

٣- شروط الحوار:

كي يكون الحوار بناءً أو نافعا لا بد أن تتوفر فيه جملة من الشروط منها:

أ- الحوار من منطلق التسوية:

بين الطرفين المتحاورين والتسليم بأن الحقيقة ليست حكراً على أفراد أو جماعات أو أمم، بل لا خلاف على أن إدراك الناس لها يتعدد مع نسبيته بتعدد فهمهم وتفسيراتهم بناء على اختلاف وتنوع هذه التفسيرات وتلك المدارك لأسباب قد تكون ذاتية كما تكون موضوعية، وما دام الأمر كذلك فلا بد أن يكون إقبال كل طرف على محاوره الآخر، ضمن رؤية تستوعب الخصوصيات وتدمجها بالمكاسب المستفادة من حياة الآخر ونظراته إلى الحق، لتكون منها رؤية مغايرة ومتطورة، فيتهيا كل منهما إلى السعي نحو كشف الحق وإزالة اللبس عنه، بما لديه من أدلة وحجج واضعا نصب عينيه احتمال صواب رأيه أو خطأه، وساعياً إلى الخير والإيجابية والفعل مبتعداً عن الشر والسلبية والتخريب لأنه في نهاية المطاف يسعى

(١) بديع الزمان النورسي، الكلمات، الكلمة الخامسة عشرة، ص ٢٠٤.

(٢) المرجع نفسه، الكلمة الثالثة والعشرون، ص ٣٤٩.

(٣) المرجع نفسه، الكلمة العشرون، ص ٢٩٣.

إلى السمو ونحو الجلال الالاهي مبتغيا مرضاة الله في الدنيا والآخرة، وفي ذلك يصور الأستاذ النورسي هذه الأهداف النبيلة بقوله "أن السمو والرقى الحقيقي إنما هو بتوجيه القلب والسر والروح والعقل وحتى الخيال وسائر القوى الممنوحة للإنسان إلى الحياة الأبدية الباقية، واشتغال كل منها بما يخصها ويناسبها من وظائف العبودية"^(١)، ومتى اقتنع الإنسان بأن سعيه لا بد أن يسمو نحو الحق فإنه ينظر إلى محاوره نظرة احترام وقبول لعله يكون مفتاحه إلى غايته، ويكون الحوار حينئذ عدة قيم نحو التوصل إلى الحق وتلمس طريقه.

ب- التأسيس لتكافؤ الأدلة:

وهو ما يحفظ للحوار توازنه، حيث يتحاور كل طرف على أساس معرفي، يضمن له امتلاك الحجة الملزمة، وعدة توصله إلى الحق كما يضمن له عدم الوقوف موقف العاجز المنهزم، ولو كان صاحب الحق، لأن الحق يحتاج إلى قوة الموقف وصلابة صاحبه حت يظهره، بما لا يدع مجالاً للتشكيك فيه من طرف المحاور المخالف، ولا حاجة للمسلم أن يبحث عن هذا الزاد خارج نصوص الوحي من قرآن كريم وسنة صحيحة، وما عليه إلا ضبط وتوضيح مستويات الخطاب القرآني ليتمكن من تجاوز التراكمات التاريخية، ويصل إلى إنشاء معالجة علمية لكل أسباب الخلاف والاختلاف بين الأفراد أو الأمم أو الحضارات أو الأديان، ومن ثم التوصل إلى القواعد والمقومات الخاصة التي تسمح بالمقارنة بينها ثم استجلاء أقربها إلى الحق، وهو الأمر الذي سيدفع بطرفي الحوار إلى بذل الوسع في تدعيم كل رأي أو طرح بالأدلة التي يملكها، فاسحاً المجال أمام العقل المستنير للموازنة والمقارنة، وإثبات أقوى الآراء وأقربها إلى الصواب في مساواة تامة أو كما عبر عنها الأستاذ بديع الزمان النورسي قائلاً "ما الذي يؤدي إلى وحدة الأمة غير رفع الامتياز"^(٢) وكذلك الذي يؤدي إلى وحدة الآراء واتحادها حول الحق في رفع الامتياز عن أي طرف محاور، كما يوصي الأستاذ النورسي حملة الدعوة والمدافعين عن الحق بالتسلح العقلي قائلاً "يجب أن تصنعوا أسلحتكم من العلم والصناعة ومن التساند و من جوهر الحكمة القرآنية"^(٣) لأن القرآن يزودنا بكل ما نحتاجه من سلاح الحق وأساليب المحاججة الصحيحة العاقلة ولنا في قصة إبراهيم الخليل - عليه السلام - مع الطاغية النمرود الذي حاجه في الله، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ

(١) الكلمات، ص ٣٦٣.

(٢) بديع الزمان النورسي، ديوان الحرب العربي، ص ٤١.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٤.

عَاتَهُ اللَّهُ الْمَلَكُ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ والتي تعلمنا أن العلم بموضوع الحوار، والتسلح بالحق، واتقان البرهنة والدفاع عنه يجعل المحاور يقف على أرض صلبة في ثبات واستعداد لإظهار الحق والوصول إلى إقناع محاوريه بما عنده، دونما حاجة إلى تعصب للرأي ورغبة في الظهور والغلبة، بل بالعكس سعيه كله لأجل إظهار الحق ووصوله إلى الناس ليهتدوا، وهو دأب إبراهيم - عليه السلام - ودأب الأنبياء جميعا - عليهم السلام - إذ كانت غايتهم تعبيد الخلق للخالق، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ورغم أنهم أصحاب الحق ومؤيدون بالوحي إلا أنهم ينزلون أنفسهم منزلة محاوريتهم، ويريدون أن يعطي كل طرف أحسن ما عنده، وهم على يقين أن الحق أحق بالظهور في النهاية.

بل وأكثر من ذلك نجد القرآن الكريم يلوم محوري الأنبياء ويبين لهم أنهم يفشلون لاستعلائهم على الحق، وعدم اكتراثهم لمحاوريتهم "فالقرآن الكريم يأخذ على كل هؤلاء الذين يخاصمون النبوات والرسالات السماوية أنهم يدخلون معركة الحوار دون سلاح، لأنهم لا يملكون علما أو حجة، أو إحاطة بالموضوع الذي يرفضونه ما يجعل من جدالهم ورفضهم قضية مزاج، وعقدة نفسية تتحكم بهم، فتدفعهم إلى اللف والدوران تارة وإلى التكذيب بلا مبررات تارة أخرى، الأمر الذي لا يؤدي إلى أية نتيجة لحساب المعرفة أو المصلحة الحق"^(٢) وفي القرآن الكريم أمثلة عديدة لحوارات في مستويات مختلفة، تبين أسلوب المقارعة بالحجة، وحاجة المحاور إلى البراهين والأدلة الدامغة لإظهار الحق وإيصاله إلى الناس.

ج- أن يكون منطلق الحوار إبداعيا لا دفاعيا:

إذ لا ينبغي أن يكون المتحاور مدافعا عن أفكاره وآرائه بل وأحكامه المسبقة لأن ذلك يبعده عن الموضوعية، ولا أن يكون دوره في الحوار تعبير عن أحواله النفسية ما يجعل خطابه وجدانيا يعبر عن مجرد انفعالات تختلج في نفسه إزاء موضوع الحوار، وهو ما نلاحظه في معظم حوارات المسلم مع غير المسلم إذ يلجأ المسلم غالبا إلى الانفعال والاستنجاد بالمشيريات الوجدانية، ويستعمل التعبيرات الخطابية الأدبية التي تفتقر إلى الرزانة وامتلاك سلاح الحجة

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٥٨).

(٢) محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن الكريم، ط٦، دار الملاك، بيروت ٢٠١١، ص ٨١.

والبرهان وهو ما يلح عليه ويؤكدده الأستاذ النورسي في قوله "إن سبيل هذا الاتحاد هو المحبة وخصومته موجهة للجهل والبؤس والنفاق، وليكن غيلا المسلمين مطمئنين وواثقين بأن اتحادنا هذا ضد هذه الصفات الثلاثة وأسلوبنا مع غير المسلمين قائم على الإقناع ذلك لأننا نعف أنهم أشخاص مدنيون لذا يجب إظهار الإسلام بشكل محبوب وبشكل سام"^(١) لأننا ونحن أصحاب الحق حريّ بنا أن نكون الأهدأ والأثبت في الحوارات ما دمنا على يقين أن محاورينا من أهل الباطل، ومن الطبيعي أن لا يغلب الحق من طرف الباطل إلا إذا كان أهل الباطل أقوىاء مع باطلهم وأهل الحق ضعفاء مع الحق الذي يملكون، ومن الابتلاءات لأصحاب الحق أن يظهروا قدرتهم على الانتصار به كمن يحمل سلاحا قويا، فإن كان يحسن استعماله ظهرت قوة السلاح ونجاعته وأن كانوا يجهلون استعماله فإنه وقضييب الخشب في أيديهم سواء.

ومنه فلا بد أن يكون خطاب المحاور الناجح عقليا توليديا يؤسس لتحول جذري في المواجهة القائمة على العلم والنقد البناء، وعرض الأدلة انطلاقا من موضوع الحوار وانتهاء إليه، والوصول في النهاية إلى ابداع أنساق معرفية جديدة، والتأثير في الطرف المحاور بفسح المجال أمام عرض المنظومة القيمية المعرفية الواسعة ذات المرجعية الإسلامية التوحيدية، والتي كانت ثمرة قراءة استنباطية للنصوص، لا قراءة تراثية استرجاعية، لا تزيد إلى الفهم شيئا جديدا بل تجعلنا نتجمد على ما فهمه الأسلاف، لنضيع حينئذ التدفق النوراني للقرآن في العقول والقلوب ونقضي على صلاحية القرآن لكل زمان ومكان، ونحن على يقين أن المستقبل للقرآن الكريم لأن الحق أحق أن يسود ويحكم البشرية مهما طال ظلامها.

د- أن ينطلق الحوار من المشترك:

إن أهم أسباب نجاح الحوار أن يتقاسم أطرافه حيزا مشتركا، والمحاور الناجح هو الذي ينطلق من النقاط المشتركة بينه وبين محاوريه تمهيدا لفتح آفاق التلقي والقبول، وتضييق فجوة الخلاف بينه وبينهم لإبعاد التصادم والخلاف.

ونرى المسلمين يغفلون هذا الشرط في حواراتهم، والذي نراه كفيلا يجعل أطراف الحوار تسع إلى تضييق المشترك الجامع ليطفو الخلاف والنزاع، ما سينسف الحوار من أساسه، وبه

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، آثار بديعية، ص ٣٧٩.

تنصرف اهتمامات المتحاورين إلى الردود والتراشق بالتهمة، ومن ثم البحث عن السلبات لعرضها طلباً للغلبة والتفوق، وهو ما يحدنا منه القرآن الكريم إذ يعلمنا الأسلوب الراقي والحضاري للحوار، ضمن منهجية توسع مجال المتفق عليه، في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(١) فيتضح لنا من هذا الأسلوب أن الله تعالى يأمرهم بما يعرفون ويقرون به من مسلمات، ثم خلص إلى نهيهم عن الشرك بالله، واتخاذ الأنداد، واشراكهم معه في العبودية، وهو ذاته الأسلوب الذي اتبعه المصطفى عليه الصلاة والسلام وهو يعلم أمته كيف تصدع بالحق وتوصله إلى العالمين عن طريق الحوار، وتوسيع دائرة المشترك، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزل قول الله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢) خرج رسول الله ﷺ حت صعد الصفا فهتف "يا صباحاه، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قالك فلاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد..."^(٣) وهو بهذا يعلمنا أننا عندما نناقش غيرنا لا نبدأ بالأشياء التي نختلف عليها، بل يجب أن نبدأ بالأشياء التي نتفق عليها لأن الحق يحتاج في بيانه إلى جمع الفرقاء على أكبر قدر ممكن من المشترك المتفق عليه، ليتم إيصال الحق ويتحقق البلاغ المبين، وفي ذلك يقرر الأستاذ النورسي بأن أول قاعدة لتدبير الخلاف هي جعله خلافاً إيجابياً مثبتاً بناءً، ويقابله الخلاف السلبي عندما يحاول كل مخالف إبطال مذهب مخالفه والتفرد بالحق والصواب، ومبعثه الحق والعداوة والضغينة وهذا النوع مردود غير معتبر لأن البحث عن الحقيقة فيه لأجل أغراض شخصية، وللتسلط والاستعلاء ونيل الشهرة وحب الظهور^(٤).

هـ- الرجوع إلى الحق متى ظهر:

أي أن يمتلك المتحاور الشجاعة التي تجعله يقر بخطئه ويعترف بمجانبته للصواب، وفي ذلك تقويم للنفس وحماتها من العزة بالخطأ، وإقرار بأن الإنسان كثير الخطأ وأن خير

(١) سورة البقرة، الآيتان: (٢١-٢٢).

(٢) سورة الشعراء، الآية: (٢١٤).

(٣) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: وأنذر عشيرتك الأقربين، ح رقم ٤٤٩٢.

(٤) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص ٣٤٧.

الخطائين التوابون والتوابون هم الراجعون إلى الحق والعدول عن الخطأ، من جهة كما فيه مساعدة وحمل للمحامر الآخر باستعداده للاعتراف بخطئه وهو أيضا إن بدا له ذلك في نهاية الحوار، وإقامة الحجة، ويكون في هذه الحالة من اليسير إظهار الخطأ فتكون معالجته أيسر، وهي سمة العاقل وخلافها التعصب للرأي الذي يدفع صاحبه إلى رفض آراء غيره ودفعه الحقيقي هو الجهل بما عنده من جهة والجهل بما عند غيره من جهة أخرى، فلو كان يعلم ما عنده حقيقة لاحتمل الصواب فيه، وهو سلوك سيتسبب في فشل الحوار، وفي تأخير ظهور الحق، وما يتبعه من خسارة لفرض التفاهم والتعايش بين البشر، وفي ذلك يقول الأستاذ النورسي: "فالحياة الاجتماعية المؤقتة للمجتمع البشري والحضارة الإنسانية، يوجد فيها الخير والشر، والطيب والخبيث والطاهر والقذر معا، فالعاقل هو من يعمل على قاعدة: خذ ما صفا دع ما كدر، فسيرى مع سلامة القلب واطمئنان الوجدان"^(١) ولا غرابة في موقف الأستاذ وهو القائل "إن مذهبي هو إبداء الحب للمحبة وإظهار الخصام للعداء أي أن أحب شيء لدي في الدنيا هي المحبة وأبغض شيء عندي هو الخصام والعداء"^(٢) وهو دأب من يريد الحق ويسعى إلى إظهاره في كل مسلك من مسلكه دعوته إلى الله تعالى.

٤- آداب الحوار:

بعد التعرض لبعض شروط كي يكون نافعا وإيجابيا بل وناجحا، سنذكر بعض الآداب التي تزين الحوار وتكسي المتحاورين حلة الاحترام والتقدير، ولعل أبرزها:

أ- الكلمة الطيبة:

ما دام الحوار مسلکا لإظهار الحق، فلا أسلم ولا أصوب من أن تستعمل الكلمة الطيبة سحرها في إيصاله إلى القلوب وفتح مغاليقها، فتتهيا به الأجواء لقبول الحق في جو يسوده القبول والاحترام المتبادل، وموجهنا في ذلك القرآن الكريم حيث يقول تعالى ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾^(٣) وتبلغ توجيهات القرآن الكريم للمتحاورين قمتهما في قوله تعالى ﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِمَا أَتَيْتَا فِي

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص ٣٦.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص ٤٢٣.

(٣) سورة الاسراء، الآية (٥٣).

ذَكَرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٢﴾ مع ما تستلزمه الكلمة الطيبة من رحابة صدر، وصبر وكظم للغیظ، وقد أمر الله تعالى نبيه بالكلمة الطيبة حين قال ﴿٤٢﴾ أَذْغُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ وينهانا عن الفضاضة والغلظة في مجادلة أهل الكتاب حيث يقول ﴿٤٣﴾ وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾ كما لهذا الأسلوب اللين من أثر في ترقيق القلوب وتهيئة النفوس إلى السماع، وهي أولى خطوات نجاح الحوار.

ب- الاحترام المتبادل:

لأن الاختلاف في الآراء تنوع يتحقق به التكامل، وما يضمن له ذلك هو احترام كل طرف لمخاوريه، ولآرائهم ولعقداهم، فالموضوع أكبر من مجرد خلاف بسبب الاختلاف والهدف أسمى من مجرد أن تكون غاية كل طرف هي الخروج منتصرا بهزيمة الطرف الآخر أو الأطراف الأخرى، والمسلم مطالب بالاجتماع مع غيره على البر والخير، واحترام المخالف ما دام الأساس هو الاختلاف في الرأي، لأن العقول مفطورة على هذا التنوع، وأنها لو اتفقت لضاع معنى التنافس على الخير، وإيصال الحق إلى الناس، بل وستتميز الحياة بالركود، وينتهي الإبداع والتوليد المثمر، إذ يجب على طرف أن يسعى إلى إظهار ما عنده من حق لكن على اعتبار أن ما عند غيره أيضا يحتاج منه الإصغاء واحتمال الصواب فيه، وفي ذلك يقول الأستاذ النورسي: "وتدبير الخلاف يقتضي أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته، وصواب نظرتة، دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإيصال مسلكهم، بل ويكون سعيه لإكمال النقص و رأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلا" (٤).

ج- البيان والإيجاز:

(١) سورة طه، الآيتان، (٤٢-٤٣).

(٢) سورة النحل، الآية: (١٢٥).

(٣) سورة العنكبوت، الآية: (٤٦).

(٤) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص ٣٤٧.

واختصر هذا العنصر في الاستشهاد بخطبة حجة الوداع التي كانت في أول وآخر حجة له عليه الصلاة والسلام والتي جاءت بعد اكتمال الدين و تمام التشريع في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١) في مشهد تاريخي مهيب، يقف فيه الرسول عليه الصلاة والسلام على جبل الحمة مخاطبا أمته بعد الفتح المبين وعودته إلى مكة التي طُرد منها خائفا وحيدا مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه وعاد بعد الفتح لتدين له مكة كلها وما حولها وتحول من الكفر إلى التوحيد، وتشرّب الأعناق إلى ما سيقوله الرسول عليه الصلاة والسلام في خير الأيام وخير المواقف، وإذا به يلخص الدين كله في كلمات موجزة، بسيطة، واضحة ومختصرة لكنها شملت الدين الخاتم والرسالة الخالدة، وضمنها توجيهاته لأمته على مر العصور ليعطينا درسا بليغا في أن قيمة الكلام في قلته، ووضوحه، وبساطته حت يصل بسهولة إلى سامعيه، دون أن يشعرهم بالملل والسأم.

د- التبسم وطلاقة الوجه:

إن من دواعي القبول في النفوس أن تلقى الناس بوجه طلق، وكما قال عليه الصلاة والسلام "وابتسامتك في وجه أخيك صدقة" وما أحوج المسلم أن يعرض دينه، ورأيه وأن يحاور مخالفه ويقبل عليهم بوجه طلق، يبعث الطمأنينة في نفوسهم فيطرحون الأفكار على أساس من القبول والراحة، ولا يخفي على أحد سحر الابتسامة التي هي أكثر وسائل الاتصال بين البشر وهي لغة لا تحتاج إلى ترجمة وقد اعتبرها الرسول عليه الصلاة والسلام من المعروف فقال: "لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق"^(٢) والله تعالى وصف وجوه المؤمنين الفائزين يوم القيامة بالنضارة فقال ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٣) والابتسامة في أوجه الناس عامة والمحاورين خاصة تجذب القلوب وتؤثر فيها، ويكون بها الإنسان سفير أمان وسلام واطمئنان إلى القلوب.

هكذا تتبين لنا أهمية الحوار كآلية ناجحة من آليات الاختلاف والتي يتحول بها الخلاف تنوعا وتتوصل بها الأطراف إلى استجلاء الحقيقة وبيانها للناس، ورأينا عبر العناصر

(١) سورة المائدة، الآية: (٠٣).

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر، باب استحباب طلاقة الوجه وحسن البشر، حديث رقم ١٩٧٠، ج ٣، ص ٣٤٧.

(٣) سورة القيامة، الآيتان، (٢٢-٢٣).

المختلفة كيف يكون آلية من آليات العمل الإيجابي النافع، الذي هو واجب كل مؤمن يحمل هم دينه وهم أمته ويحمل الحق الذي سيخرج البشرية من ضياعها وتيهها كما نادى به وتمثله الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي وهو لم يكف يوما عن جعل العمل الإيجابي طريقة للعمل على نشر الحق والنور الذي ملأ نفسه، وجعله يسامح من ظلموه، ويرى في المآسي التي مر بها والمضايقات التي تعرض لها وسيلة للخلاص حيث يقول: "لقد ساهمت عن جميع حقوقي وعفوت عن حزب من الأحزاب السياسية رغم مقاساتي منه ألوفا من المضايقات والسجون منذ ثلاثين سنة، فقد أصبحت جميع تلك المشقات والمضايقات وسيلة لخلاص خمس وتسعين بالمئة من المساكين في أن يسقطوا في مضايقات ومظالم واعتراضات".

الإتقان في ممارسة العمل الوظيفي "المؤسسي" في ضوء معطيات رسائل النور: تأسيساته ومحدداته وتطبيقاتها".

الأستاذ الدكتور عدنان خطاطبة
كلية الشريعة-جامعة اليرموك-الأردن

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

إن المتأمل في رسائل النور ضمن سياقاتها المفاهيمية والثقافية والواقعية يتأكد له كلما جدّد هذا النظر في تلك الرسائل أنها تتضمن ثروة حقيقة من الأفكار القابلة للتطبيق المعاصر، وجملة وافرة من المعطيات العلمية والحضارية التي تفتح الآفاق لكل فرد أو مؤسسة أو دولة يحمل همّاً صادقاً لإحداث تغيير إيجابي على صعيد الإنسان أو السلوك الاجتماعي أو البناء المدني، ذلك باعتبار إن رسائل النور هي مشاريع إصلاحية شمولية تتجه إلى كافة مناحي الحياة. ويأتي في هذا السياق تلك المعطيات التي تقدمها رسائل النور في مجال العمل الإيجابي: تصوراً وممارسةً، من خلال ما تقدمه من مفاهيم ومبادئ ورؤى مفصلة أحياناً، ومجملية أخرى، يمكن توظيفها في تحسين أداء العمل وتجويد مخرجاته، بناءً على تأسيس متميز تقدمه رسائل النور يجمع بين المنطلقات الإيمانية والمهارات الحياتية لتشكّل بمجموعها النجاح في الإنتاج المفيد والتحقق بالإيمان النافع. ومن هنا، تولّدت فكرة هذا البحث التي قامت على مراعاة الأطر المتقدمة والنظر في سلسلة رسائل النور والدراسات ذات الصلة بها، حيث حدد الباحث عنوان فكرة البحث لتكون: الإتقان في ممارسة العمل الوظيفي "المؤسسي" في ضوء معطيات رسائل النور: تأسيساته ومحدداته وتطبيقاتها. في محاولة جادة منه لتوظيف معطيات رسائل النور في خدمة الدنيا تأسيساً على الإيمان، وفي إظهار فاعلية أفكار الإمام النورسي في توجيه العمل الدنيوي ليحقق مراتب الإحسان والإتقان التي طلبها الشرع أساساً، وهي ما يعرف في عصرنا بمطلب "الجودة". ليدل ذلك وبكل تأكيد على استمرارية العطاء الفكري المتجدد لرسائل النور وإمكانية تفعيله في واقعنا المعاصر على مختلف الأصعدة.

وتكونت الدراسة من مبحثين رئيسيين، هما: المبحث الأول: التأسيس المفاهيمي

لمطلب الإتقان في ممارسة العمل الوظيفي "المؤسسي" في ضوء معطيات رسائل النور. والمبحث الثاني: من أبرز محددات الإتقان في ممارسة العمل الوظيفي "المؤسسي" وتطبيقاتها في ضوء معطيات رسائل النور. واستخدم الباحث المنهج الاستنباطي في بحث فكرة العنوان من خلال تتبع عناصرها في رسائل النور مع مراعاة الربط بين ذلك كله وبين الواقع المعاصر قدر الممكن. ويرجو الباحث من الله تعالى التوفيق والسداد.

المبحث الأول: التأسيس المفاهيمي لمطلب الإتقان في ممارسة العمل الوظيفي "المؤسسي" في ضوء معطيات رسائل النور.

يسعى الباحث في هذا المبحث إلى تقديم دلالة المفاهيم الأساسية المكونة لفكرة هذه الدراسة في ضوء معطيات رسائل النور. وسيكون التركيز على تقديم دلالة المفهوم الأقوى والأكثر أهمية والذي يشكل العمود الفقري في الجهاز المفاهيمي للدراسة كلها وهذا المفهوم هو: مفهوم الإتقان، ثم الانتهاء بتقديم رؤية كلية لمفهوم الإتقان في ممارسة العمل الوظيفي "المؤسسي" في ضوء معطيات رسائل النور.

بداية، لا بد من التأكيد فيما يتعلق بطبيعة عملية بحث مثل هذه الموضوعات في رسائل النور، من أن على الناظر في رسائل النور والمتفقه في حقائقها أن يدرك أنه أمام نسق معرفي عظيم البنية متصل الفكرة عميق المرامي متسع المدارك تأتي فيه الأفكار بصورة ممتزجة متحدة متواصلة الأجزاء رغم أنها تحمل تعددا في الموضوعات، وهذا هو شأن إمام كبير مبدع مثل النورسي، وهذا يعني أن عملية البحث عن تحديدات مفاهيمية وفكرية معينة لا ينبغي أن تتم بطريقة تقليدية شأنها شأن المؤلفات الجامعية وغيرها التي تضع عشرات العناوين التفصيلية، وهذا الإدراك في التعامل مع رسائل النور غاية في الأهمية؛ لأن أفكارها ليست جزرا متقطعة بل هي محيطات متصلة حاملة لعشرات الموضوعات ومئات الأفكار وآلاف المفاهيم، وإن الوصول إليها يجب أن يتم من خلال قراءات متتابعة وشمولية لمختلف السياقات التي انتشرت في طياتها. وهذا هو تماما ما ينطبق على أفكار هذه الدراسة وهو ما وعاه الباحث وراعاه وطبقه خلال عملية بناء أفكار الدراسة التي أخذت قراءات متوسعة ومطولة لرسائل النور فيما يتعلق بمباحث الدراسة. وعليه، فإن الباحث يمكنه التأسيس لمفهوم الإتقان في هذا الإطار من الوعي بفقهاء قراءة رسائل النور ومعطياتها المتعلقة بهذا المفهوم تحديدا من خلال ما يأتي:

- استخدام مصطلح الإتيقان وتعدد المصطلحات الدالة عليه: يجد الناظر في رسائل النور أن هناك استخداماً واضحاً لمصطلح الإتيقان^(١)، وأن هناك عدة مصطلحات تتقارب في استخداماتها الدلالية على الإتيقان، كان من أبرزها: الإحسان، والحسن، والجمال والإبداع ومشتقاتها الدالة عليها^(٢). وهذا أمر مهم جداً في التوصل لرؤية رسائل النور لعملية الإتيقان.

- الإطار المفاهيمي الإيماني لمفهوم الإتيقان المادي (الإنساني): وجد الباحث من خلال تتبعه لمفهوم الإتيقان وما يتصل به أن رسائل النور تركز بالأساس على مفهوم الإتيقان الإيماني الذي ينسب الإتيقان للخالق الحكيم سبحانه باعتباره من أعظم أفعال الله تعالى في هذا الوجود ومظاهر خلقتة الحكيم، والنورسي إذ يقدم رؤيته لمفهوم الإتيقان المادي والإنساني فإنه يضيف عليه الأبعاد الرئيسة المكونة لمفهوم الإتيقان الإيماني ويجعله يتحرك من خلاله دون أن يضاهيه أو يماثله ولا حتى يقاربه، ولكن هذه هي معطيات رسائل النور وتحديداتها في بناء المفاهيم الحياتية التي تمثل إطاراً إسلامياً صحيحاً. فمثلاً، فمما ذكرته رسائل النور حول مفهوم الإتيقان الإيماني وما يحمله من دلالات عامة لا بد أن تكون في الإتيقان المادي والإنساني: أن الجمال الظاهر في المخلوقات من جمال الخالق^(٣)، وأن كل شيء في الكون فيه جمال وحسن^(٤)، ومما جاء في رسائل النور فيما يعطي مفهوم الإتيقان إطاره المفاهيمي الإيماني ويضعه في سياقه، قول النورسي: "لما كانت الحياة تبين نقوش الأسماء الحسنى، فكل ما ينزل بالحياة إذن جميل وحسن. فمثلاً: إن صانعاً ثرياً ماهراً يكلف رجلاً فقيراً لقاء أجره معينة ليقوم له في ظرف ساعة بدور النموذج (موديل)؛ لأجل إظهار آثار صنعته الجميلة وإبراز مدى ثرواته القيمة فيلبسه ما نسجه من حلة قشبية في غاية الجمال والإبداع، يجري عليه أعمالاً ويظهر أوضاعاً وأشكالاً شتى لإظهار خوارق صنائعه وبدائع مهاراته، فيقصّ ويبدّل

(١) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ١١٣.

(٢) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٩٣، و ٥٦٠، و ٣٣٣، و النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٦٨، و ٢٥٠.

(٣) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٣٩٣.

(٤) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٥٦٠.

ويطوّل ويقصر، وهكذا، تُرى أيجق لذلك الفقير الأجير أن يقول لذلك الصانع الماهر: إنك تتعني وترهقني بطلبك مّتي الانحاء مرة والاعتدال أخرى، وأنك تشوّه بقصّك وتقصيرك هذا القميص الذي يجمّلي ويزيني؟ ترى أيقدر أن يقول له: لقد ظلمت وما أنصفت؟^(١)، والمقصود أنه من تلك الدلالات المفاهيمية تؤخذ الصورة المتكاملة لمفهوم الإتيقان في فكر النورسي وأفكار رسائله.

- مفهوم الإتيقان في ضوء فكر النورسي: بعد تتبع عشرات المواضع ذات الصلة بمفهوم الإتيقان عموماً وما يتصل به من مفاهيم أخرى وفي الإطار المفاهيمي الإيمان للإتيقان كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فإن الباحث استطاع أن يكون نسقاً مفاهيمياً يمثل رؤية النورسي في رسائل النور لمفهوم الإتيقان، مع التأكيد على أن جميع المفردات الأساسية الشارحة قد وردت في رسائل النور وهو كما يأتي: مفهوم الإتيقان في ضوء فكر النورسي:

هو حسن صنعة الشيء^(٢) ودقته^(٣)، والإبداع في تكوينه^(٤)، وتناسق عناصره^(٥)، وانتظام أجزائه^(٦)، وإبراز جماله وزينته وروعته^(٧).

وعليه، فمفهوم الإتيقان في ضوء رسائل النور وكما يقدمه النورسي لا يعني عملية إيجاد للشيء فقط: صناعةً أو بناءً أو أداءً أو زراعة أو غيرها من عمليات التنشئة، بل هي تتجاوز ذلك لتكون عملية تجويد للشيء وتحسين وتجميل وإبداع، وانتظام متناسق متناغم لأجزائه، يحقق الغرض الذي سيق لأجله بأقصى درجات السهولة والسرعة. ومما لا شك فيه أن هذا الإتيقان يصدق على الأشياء المادية والمعنوية، والمجالات الدنيوية والدينية.

(١) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٥٥٣-٥٥٤.

(٢) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٥٠ و ٧٢٣، واللمعات، ص ٩١ و ٩٢.

(٣) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٨٠ و ٨١ و ١١٩ و ٥٨٥.

(٤) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٦٨ و ٧٩٩.

(٥) النورسي، بديع الزمان، ص ٦٨ كلمات ص ٦٤٤ كلمات.

(٦) النورسي، بديع الزمان، ص ٦٤٤ كلمات ص ٥٣٧ كلمات.

(٧) النورسي، بديع الزمان، ص ٧٩٩ كلمات، و ٦٧٤، واللمعات، ص ٩١.

- أبعاد نفسية وعملية ونسبية لمفهوم الإتيقان: تعطي رسائل النور مفهوم الإتيقان جملة من الأبعاد التي تضيف عليه حيوية وفاعلية، منها البعد النفسي والمتمثل بحب النفس الإنسانية للشيء المتقن وافتتانها بمظهره إعجابا وتقديرا، ومنها البعد العملي والمتمثل بكون الإتيقان فعل إنساني، بمعنى لا بد فيه من القيام بإجراءات عملية صحيحة لتحقيقه، والبعد النسبي المرتبط بدرجة الإتيقان، ومما يدعم هذه الفكرة قول النورسي في سياقات متعددة حول فكرة الإتيقان والإحسان: "الفطرة البشرية تكن حبا للجمال وودا للكمال (بعد نفسي)، وافتنانا بالإحسان (بعد إعجاب) وتزايد تلك المحبة بحسب درجات (بعد نسبي) الجمال والكمال والإحسان"^(١) وقوله في ذات السياق حول الإتيقان: "فعل تحسين (بعد عملي) في منتهى الجمال، وفعل تزيين (بعد عملي) في منتهى الروعة"^(٢).

- التأسيس الشرعي والفكري والتطبيقي لفكرة الإتيقان: مما اعتمدت عليه رسائل النور في التأسيس الشرعي لفكرة الإتيقان، قول الله تعالى: ﴿وَقَرَىٰ لِّجِبَالٍ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ (السجدة: ٧). وهما أدلة شرعية أساسية في الدلالة على مفهوم الإتيقان والإحسان في التصور الإسلامي. ولعل من المناسب أن يتم ذكر كلام أهل التفسير حول هاتين الآيتين، فحول الدليل الأول: يقول القرطبي: "الَّذِي أَنْتَنَ كُلَّ شَيْءٍ" أي أحكمه، وقال قتادة: معناه أحسن كل شيء والإتيقان: الأحكام، يقال رجل تقن أي حاذق بالأشياء"^(٣) ويقول ابن عاشور: "وَالصُّنْعُ. قَالَ الرَّاعِبُ: إِجَادَةُ الْفِعْلِ فَكُلُّ صُنْعٍ فِعْلٌ وَلَيْسَ كُلُّ فِعْلٍ صُنْعًا، يُقَالُ لِلْحَاذِقِ الْمُجِيدِ: صَنَعَ، وَلِلْحَاذِقَةِ الْمُجِيدَةِ: صَنَاعٌ. وَاعْلَمْ أَنَّ الصُّنْعَ يُطْلَقُ عَلَى الْعَمَلِ الْمُتَّقَنِ فِي الْخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ، وَوَصَفُ اللَّهِ بِ الَّذِي أَنْتَنَ كُلَّ شَيْءٍ تَعْمِيمٌ، قَصْدُ بِهِ التَّذْيِيلِ، أَيْ مَا هَذَا الصُّنْعُ الْعَجِيبُ إِلَّا مُمَاتِلٌ لِأَمْثَالِهِ مِنَ الصَّنَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ الدَّقِيقَةِ الصُّنْعِ"^(٤).

(١) النورسي، بديع الزمان، اللمعات، ص ٩١،

(٢) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٦٧٤.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٣/٢٤٤.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١/٢١٦.

وبالنسبة لمفهوم العمل عند النورسي فهو مفهوم شمولي يتسع للعمل المادي في مختلف شؤون الحياة الدنيا وللعمل الإيماني بمفهومه القرآني الواسع^(١).

وعليه، فمما تقدم ذكره، يكون المقصود بالإتقان في ممارسة العمل الوظيفي "المؤسسي" في ضوء معطيات رسائل النور: هو إحسان المسلم في أداء عمله الوظيفي ودقته فيه، وسعيه الجاد للإبداع فيه، وإبراز جمالياته، وانتظامه مع سائر مكونات وظيفته ومؤسسته.

ولعلّ في قول النورسي: "إنّ وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدام"^(٢) ما يشير لمضمون ما تقدم من توصيف مفاهيمي لعلاقة الإتقان بالعمل، كما أن فيه إشارة بليغة لحمل رسائل النور للفكرة ذاتها والتأسيس لها والالتزام بها ميدانياً.

المبحث الثاني: من أبرز محدّدات الإتقان في ممارسة العمل الوظيفي "المؤسسي" وتطبيقاتها في ضوء معطيات رسائل النور.

يعنى هذا المبحث بالكشف عن جملة من محدّدات الإتقان في ممارسة العمل الوظيفي "المؤسسي" وتطبيقاتها في ضوء معطيات رسائل النور، ويقصد بها الباحث إجرائياً: محاولته لاستجلاء ما أمكن من العوامل والموجهات والقيم الضابطة والبنائية لعملية إتقان المسلم لعمله الوظيفي في مؤسسته التي يعمل فيها وذلك من خلال تتبع أفكار النورسي في رسائله ذات الصلة بالموضوع وجمع شتاتها ووضعها في أنساق معرفية تشكل في تكويناتها النهائية ما أطلق عليه الباحث محدّدات إتقان العمل، مع الإشارة إلى ما يمكن الاستفادة منه من تطبيقات هذه المحدّدات يمكن أن يستفيد منها المسلم المعاصر في إتقان عمله الوظيفي المؤسسي، ذلك أنّ النورسي في رسائله يقدم أفكاراً حاملة لكثير من التطبيقات الحياتية المتجددة يستفيد منها من يحسن قراءة أفكار رسائل النور وما وراء هذه الأفكار. وقد اجتهد الباحث بعد نظر في الرسائل في التوصل إلى جملة من هذه المحدّدات صنفها وفقاً للنموذج الآتي:

أولاً: محدّد التعبّد لله بالعمل الوظيفي وتطبيقاته:

يقصد بهذا المحدّد وفقاً لمعطيات رسائل النور أن على المسلم أن يدرك أن عمله الوظيفي داخل مؤسسته ودرجات إتقانه للأعمال المطلوبة منه يقع في دائرة الإيمان والعبادة

(١) ينظر: النورسي، بديع الزمان، سيرة ذاتية، ص ٤٦٩، والكلمات، ص ٨٤٢، واللمعات ص ٢٦١، والمكتوبات، ص ٨٨.

(٢) النورسي، بديع الزمان، سيرة ذاتية، ص ٤٦٩.

الله تعالى إذا ما هو أخلص لله تعالى.

وتحمل رسائل النور تأسيسات وتوجيهات عدة في التقعيد لهذا المحدّد وتوضيح أبعاده، من ذلك: أن رسائل النور وكما تقدم في المبحث الأول تضع فكرة الإتقان في إطار شمولي يتمثل بملاحظة المسلم لإتقان خالقه في أفعاله في الكون والحياة التي هي تجليات لأسمائه الحسنى^(١)، وهذا بحد ذاته نوع من العبادة لله تعالى، ومن التطبيقات التي يمكن على سبيل المثال أن يفعلها المسلم المهندس في عمله الوظيفي المؤسسي، أن يلاحظ بعض أسماء الله الحسنى فيما يبدعه من أعمال هندسية وفيما ينتجه من نواتج صناعية متقنة فيحقق بذلك صورة من صور التعبد لله تعالى، يقول النورسي موضحاً ذلك علة سبيل المثال: "فالهندسة مثلاً علم من العلوم حقيقتها وغايتها الوصول إلى اسم الله العدل والمقدر ومشاهدة تجلياتها في مرآة علم الهندسة"^(٢)، وكذلك يضرب مثلاً آخر للمسلم الطبيب ومؤسسة الطب نفسها وكيف أن ما يتقنونه من فنون الطب لا بد لهم من ملاحظة أسماء الله الحسنى فيه: مثل: اسم الله الشافي^(٣). وكل هذا ربط لعمل المسلم وإتقانه له بدائرة التعبد لله تعالى.

ومن أوجه التقعيد العلمي لهذا المحدّد في ضوء رسائل النور، أن يتوجه المسلم في عمله الوظيفي للاستعانة بالله تعالى وطلب المدد منه سبحانه ليعينه ويفتح عليه في إنجاز أعماله وإتقانها؛ لأن الإنسان يعتريه الضعف والقصور والله سبحانه هو المعين وهو القوي المتصف بالكمال، يقول النورسي: "حالما يشعر (المسلم) بضعف ينبغي إلى ربه ويستمد منه القوة"^(٤)، وتتم رسائل النور بقيمة "التوفيق الإلهي" للمسلم وكيف أنه بحاجة ماسة إليها، يقول النورسي: "التوفيق في الأعمال هو مما يتولاه الله"^(٥)، من هنا فإن من تطبيقات ذلك أن على الموظف المسلم أن يطلب التوفيق من الله تعالى باستمرار لإنجاز عمله على الوجه التقني والفني المطلوب منه بأقصى درجات الإحسان.

والعبادة مفهومها واسع وفقاً لطرح رسائل النور وفقه النورسي لها وهذا لا يحتاج

(١) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٥٥٣-٥٥٤.

(٢) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٨٩.

(٣) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٨٩.

(٤) النورسي، بديع الزمان، اللمعات، ص ٢٢٨.

(٥) النورسي، بديع الزمان، اللمعات، ص ٢٢٣.

لجدال^(١)، ومن هنا يمكن للموظف المسلم في مختلف دوائر عمله أن يجعل من سلوكه الوظيفي وحرصه على إتقان عمله عبادة بتعبد الله تعالى بها ويؤجر عليها من خلال إخلاصه لله تعالى في عمله، يقول النورسي: "كما تصبح العادات المحبة بالنية عبادات كذلك العلوم الكونية"^(٢)، ومن خلال مشروعية العمل المتقن نفسه ومدى موافقته لقواعد الإسلام، يقول النورسي: "فإن أعماله اليومية- المسلم- ومعاملاته العرفية وتصرفاته الفطرية الاعتيادية تأخذ بهذا الاتباع- للسنة- شكل العبادة"^(٣).

وتضع رسائل النور أمام كل مسلم في عمله الوظيفي وجهده الإلتقاني والإبداعي فيه عدة توجيهات ومحاذير لضبط سلامة مسيرة العامل المسلم والعمل المنتج والمتقن في خط الإيمان وبقائه في دائرة التبعيد، من خلال تذكير المسلم بأنه في النهاية مرجعه إلى الله تعالى وإلى الدار الآخرة وهناك تكون المسؤولية عن أعماله الدنيوية "فالدار الدنيا، للتجارة وإنجاز الوظائف سيرجعون إلى الخالق بعد أن أدّوا وظائفهم"^(٤)، وهذا بلا شك يحثه على الإلتقان، كما تحذره من أن يتحول في عمله الوظيفي من عامل مسلم متقن لعمله تعبدا لله تعالى إلى عامل مسلم عابد لوظيفته المادية منبهر بها ومنغمر بما يقدمه فيها^(٥)، فهذا من عمل الشيطان، يقول النورسي: "إياكم أن تتبعوا الشيطان في ريقكم وتقدمكم فيكون ذريعة ترديكم من سماوات الحكمة الإلهية إلى ضلالة المادة الطبيعية"^(٦). والواجب على المسلم كما ترى رسائل النور أن يدرك الحقيقة الكبرى من وجوده ومن سعيه، وهي حقيقة التبعيد لله تعالى في كل مناشط الحياة، يقول النورسي: "المقصد من خلق الكون قيامك بالعبودية والغاية من خلقك بلوغ تلك العبودية بالعلوم والكمالات"^(٧). ومن هنا فالمسلم في عمله الوظيفي المؤسسي عليه أن يضع كل أنشطته وممارساته وإبداعاته ومستويات إتقانه في دائرة التبعيد لله

(١) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٠٠.

(٢) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٨٤٨.

(٣) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٨٤٨.

(٤) النورسي، بديع الزمان، المكتوبات، ص ٢٩٦.

(٥) ينظر: النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٨٣٨ و ٨٥٧.

(٦) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٨٨.

(٧) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٩٠.

تعالى، إقامة لحق العبودية الذي أوجبه الله تعالى عليه مادام حيًا عاقلًا.

ثانياً: محدّد الاتصال الإيجابي (التعاون) وتطبيقاته

تعطي رسائل النور قيمة عالية لمحدّد الاتصال الإيجابي والتعاون بين العاملين في المؤسسات من خلال جعل ذلك المحدّد مطلباً شرعياً، ومبدأً إسلامياً، جاءت النصوص الشرعية العامة دالة عليه في إطار العمل الجماعي الذي يرقى بالمجتمع المسلم وبإنجازاته، يقول النورسي: "وامتثلوا بما تأمركم به مئات الآيات والأحاديث من التحاب والتعاون واستمسكوا بعرى الاتفاق"^(١)، ومن القيم التي تؤسس لمحدّد الاتصال الإيجابي بين الموظفين العاملين في مؤسسات المجتمع المسلم: قيمة رابطة الأخوة ومشاعر المودة والمحبة^(٢)، يقول النورسي: "فبفضل هذه الرابطة المقدسة التي تشد الأمة الإسلامية بعضها ببعض، يصبح المسلمون كافة كعشيرة واحدة. فترتبط طوائف الإسلام برباط الأخوة، كما يرتبط أفراد العشيرة الواحدة، ويمدّ بعضهم بعضاً معنوياً، وإذا اقتضى الأمر فمادياً، وكأن الطوائف الإسلامية تنتظم جميعها كحلقات سلسلة نورانية"^(٣). وفي هذا تطبيق عملي لقول النبي ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(٤). وينظر النورسي بنظرة عميقة إلى ما وراء هذا الارتباط الرحيم، وإلى ثمار هذه الألفة، وإذا بما زاخرة بالعطاء ووفرة بالثمار في شتى المجالات ومنها الوظيفية، يقول في ذلك: "اعلم، أن سرّ تساند المؤمنين في عباداتهم، ودعواتهم في جماعاتهم سرّ عظيم، وأمر جسيم، له شأن فخيم؛ إذ يصير به كل فرد كالحجر المحصّوس، في البناء، يستفيد من إخوانه في الإيمان بألوف ألف ما يستفيد من عمل نفسه. فإذا نظمهم سلك الإيمان، يصير كلٌّ لكلّ، وللكلّ شفيعاً، وداعياً، ومسترحماً، وراجياً، ومادحاً، ومزكياً"^(٥). وتحذر رسائل النور كذلك من مضادات الاتصال الإيجابي، كالخلاف والخصام والجدال والتنافس المذمومة

(١) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٢٣٥.

(٢) النورسي، بديع الزمان، المثني العربي، ص ١٥٨.

(٣) النورسي، بديع الزمان، صيقل الإسلام ص ٥١١.

(٤) مسلم، الصحيح، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ح رقم (٦٧٥١).

(٥) النورسي، بديع الزمان، المثني العربي، ص ٤٠٧.

والحسد^(١)، وخاصة العناد والتنافر والتفرقة والأنانية^(٢) وغيرها من نوازع الشر التي تعدّ معيقا شديداً للتأثير أمام إنجاز العمل الوظيفي وإتقانه وتحقيق المؤسسة لأهدافها النمائية؛ لأنها تسحب الأفكار الإبداعية وتطفئ جذوة الإلتقان وتشيع السلبية والأحادية والتهرب من المسؤولية ومحاولة إفشال الآخر. وإن من شأن المؤسسات التي ينشأ فيها هذا الوضع السلبي الفردي وأمراضه التي تعكّر صفو العلاقات بين الموظفين وتجمّد اتجاهات العمل الجماعي المشترك أن تفسح المجال أمام حفنة قليلة من أفراد المؤسسة للاستئثار بمقدرات المؤسسة واستغلالها لمصالحهم الخاصة، وهذا ما تحذر منه عموماً رسائل النور^(٣) حينما يدبّ الخلاف وسط جماعة تحمل أفكار طيبة فيأتي أهل الفساد القلة مستغلين ذلك لتحقيق مآربهم الخاصة بهم.

وتشير رسائل النور إلى فكرة اقتصادية أساسية في إنجاز الأعمال وإتقانها، تتمثل في كون العمل الذي يتم إنجازه وإتقانه من خلال مجموعة منظمة ومتعاونة من الأيدي العاملة هو أكثر كميّة وأسلم نوعية من ذلك المنجز بطريقة فردية عشوائية، يقول النورسي في: "وإذا انتسب أحد إلى السلطان والجنديّة أو بالوظيفة الحكومية فإنه يتمكن أن ينجز من الأمور والأعمال أضعاف أضعاف ما يمكنه إنجازها بقدرته الشخصية"^(٤). وكلما كانت عملية الاتصال الإيجابي متعاظمة ومتساندة بين أفراد المشروع المزمع القيام به، فإن مهمة إنجازها تكون أكثر سلاسة، وأريح جهداً للجميع، وهو ما يثمر درجة ايجابية من الإلتقان، يقول النورسي فيما يتضمن إشارة لذلك: "كمثل التعاون الحاصل في رفع صخرة عظيمة فكلمّا تكاثرت الأيدي عليها سهل رفعها أكثر حيث يستمد كل منهم القوة من الآخر"^(٥). ومن هنا فإن على المؤسسات أن تحرص على إنجاز أعمالها وإنتاج منتجاتها بمستوى من الإبداع والإلتقان من خلال تبنيها استراتيجيات الاتصال والتعاون بين الموظفين وتشكيل الفرق التعاونية للعمل بشكل جماعي منظم بما يختصر الوقت ويسهل العمل ويسرع الإنتاج ويوصل

(١) ينظر: النورسي، بديع الزمان، اللمعات ص ٢٣٥، والكلمات، ص ٨٧٣ و ٨٣٥.

(٢) ينظر: النورسي، بديع الزمان، مكتوبات ص ٣٤٧، و سيرة ذاتية، ص ٤٧٥.

(٣) ينظر: النورسي، بديع الزمان، اللمعات ١٣١.

(٤) النورسي، بديع الزمان، اللمعات، ص ٢٨٧.

(٥) النورسي، بديع الزمان، اللمعات، ص ١٨٦.

إلى تكامل الأفكار في تحقيق درجات الإتقان والإبداع بدلا من العمل الفردي المبعثر. وترى رسائل النور أن على الموظف المسلم أن يحرص في إنجاز مهام إتقان عمله على التواصل الإيجابي مع فئة الموظفين من أصحاب القيم الصحية والأخلاق العالية وذلك من نعم الله عليه؛ لأن هؤلاء هم ضمانات العون الإلهي والسمعة الطيبة والإنتاج المادي السليم، يقول النورسي: "الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي"^(١). ومن هنا يجب على المؤسسات أن تعمل تقييما أخلاقيا للموظفين لتنفيذ من خلاله إلى المحافظة على العينات الإيجابية والتخلص من الأفراد السلبيين لأنهم يشكلون معوقات للإتقان الوظيفي. ومن القيم التي تؤسس لمحدد الاتصال الإيجابي بين الموظفين العاملين في مؤسسات المجتمع المسلم: قيمة رابطة الأخوة ومشاعر المودة والمحبة^(٢)، يقول النورسي: "فبفضل هذه الرابطة المقدسة التي تشد الأمة الإسلامية بعضها ببعض، يصبح المسلمون كافة كعشيرة واحدة. فترتبط طوائف الإسلام برباط الأخوة، كما يرتبط أفراد العشيرة الواحدة، ويمد بعضهم بعضاً معنوياً، وإذا اقتضى الأمر فمادياً، وكأن الطوائف الإسلامية تنتظم جميعها كحلقات سلسلة نورانية"^(٣).

إنّ التزام مؤسسات العمل في المجتمع المسلم بالقيم الإيجابية التي تضمنتها رسائل النور في مئات المواضع يجعلها تقوم على "أساس علاقات إنتاجية تعاونية في إطار من الضوابط والمحددات، ومن خلال الصيغ التي تؤدي بها العمليات الإنتاجية، بحيث تتم بعيداً عن العلاقات الإنتاجية التنافرية، وبحيث لا تتضمن الصراع بين أطراف العملية الإنتاجية"^(٤)، وفي ذلك نجاح لمؤسسة العمل وتحقيقاً لأهدافها التي رسمتها^(٥)، والتي من بينها الإنتاج المتقن، والعمل المبدع، والخدمات المتميزة.

ومن جماليات تفعيل القيم الإسلامية الإيجابية في محدّد الاتصال والتعاون الإيجابي في العمل الوظيفي والمؤسسي، أنها تبنية بين العاملين على أساسٍ إيماني وروحي قبل أن يكون

(١) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٢٢٩.

(٢) النورسي، بديع الزمان، المثنوي العربي، ص ١٥٨.

(٣) النورسي، بديع الزمان، صيقل الإسلام، ص ٥١١.

(٤) خلف، فليح، النظم الاقتصادية، ص ٣٤٣.

(٥) العجمي، محمد، الاتجاهات الحديثة في القيادة والإدارة، ص ١١٤.

مصلحياً ومنفعياً. وهذا المستوى من بناء علاقات الاتصال تفتقده مؤسسات العمل ذات التوجهات العلمانية؛ لأنها تتعامل مع الموظف تعاملاً آلياً ومادياً، وهو أمر "يتطلب تأكيد قادة النظم وإداريها على أهمية تبصّر الحاسية العاطفية والوجدانية والأخلاقية لمدخلاتهم البشرية"^(١)، إذ تؤكد الدراسات أنّ أكثر ما يعني العامل من رئيسه هو معاملته له بمودة وإحساس بمشاعره، وأنّ ذلك يؤدّي إلى زيادة الإنتاج والعمل بروح الفريق المبدع^(٢)، وأنّ سيادة العلاقات المادية والسلطوية والآلية، يؤدّي إلى شعور العامل بالإحباط واللامبالاة، وعدم الانتماء لمؤسسة العمل^(٣)، وبالتالي يضعف مستوى الإنتاج والإتقان فيه.

ثالثاً: محدّد "الأخذ بالأسباب المادية وبذل الجهد" وتطبيقاته:

يُقصد بهذا المحدّد، أن إتقان الموظف لعمله الوظيفي داخل مؤسسته على المستوى الفردي وتحقيق المؤسسة ذاتها لأهدافها الوظيفية وإتقانها لمخرجاتها ومنتجاتها على المستوى الجماعي لا بد أن تكون ضمن عملية منظمة مقصودة تأخذ بالأسباب المادية والمعنوية اللازمة لذلك.

ولذلك جعلت رسائل النور فكرة الأسباب الجالبة للخير والموصلة للسعادة والارتقاء، مكوناً أساسياً من بنيتها الفكرية وطريقتها المنهجية ومقاصدها الرسالية، انطلاقاً من مرجعيتها الإسلامية التي تقر بالأسباب وانسجاماً مع عقل الإنسان وتركيبته التي خلقه الله تعالى عليها وجعله بها سبباً لإعمار الأرض وإقامة مشروع الاستخلاف فيها. ومما يشير في الرسائل لعموم هذه الفكرة، ما جاء في سيرة ذاتية من "أن أجزاء رسائل النور التي ليست سوى علوم إيمانية، تؤسس الأمن والنظام، ذلك لأن الإيمان الذي هو منبع الخلق الحسن والخصال الحميدة ومنشؤها، لن يخلّ بالأمن بل يحققه ويضمّنه"^(٤). وجاء في الملاحق ما نصه: "فقد أشارت تلك الرسائل مستضيئة بنور الآيتين المذكورتين إلى أن سعادة حياة البشرية منوطة بالاقتصاد وعدم الإسراف، وعلى إثارة الهمم للسعي والعمل والكد"^(٥).

(١) الطويل، هاني، أبدال في إدارة النظم التربوية وقيادتها (الإدارة بالإيمان)، ص ٢٤٠.

(٢) الصعب، محمد، قيم العمل وعلاقتها بالتوافق المهني، ص ٥٧.

(٣) مقابلة، كمال، العمل والأجور في الإسلام، ص ١٣٤.

(٤) النورسي، بديع الزمان، سيرة ذاتية، ص ٢٥٨.

(٥) النورسي، بديع الزمان، الملاحق، ص ٣٧٨.

وتشير معطيات هذا كله إلى عمق فكرة الأخذ بالأسباب الصحيحة للوصول للغايات النبيلة، وعليه تبني فكرة الأخذ بالأسباب وبذل الجهود والتنظيم في سبيل تحقيق عمل وظيفي متقن مبني على أسبابه الناجعة.

وبما أن رسائل النور هي مشروع متجدد في سبيل بناء حضارة أمة مؤسسة على الإيمان، فإنها تطرح قضية الأسباب في إطارها العقدي الصحيح، بعيدا عن الاتجاهات المادية الصرفة والعلمانية في النظرة للأسباب، فتقرر رسائل النور أن الأسباب هي من خلق الله تعالى، وأن الخالق الحكيم هو من جعل الوسائط الأسباب المادية^(١) في الوجود، وأن على المسلم في عمله الوظيفي أن لا ينسى تلك الحقيقة العقدية وهو يتعامل مع الأسباب المادية في سبيل تحقيق عمله المتقن أو تقديم منجز وظيفي مبدع، من أن كل سبب حوله قد ساعده في عمله هو من تسخير الله تعالى له، بل وفاعلية السبب نفسه من إرادة الله تعالى لذلك، يقول النورسي: "إن الصانع ذا الجلال والإكرام وهو القادر على كل شيء هو نفسه خالق الأسباب وخالق المسببات وهو الذي يربط المسببات بالأسباب بحكمته سبحانه"^(٢)، ويقول كذلك: "إن الأسباب نفسها لا يمكن أن توجد شيئا بحد ذاتها قط"^(٣). وبالتالي فإن رسائل النور تؤسس لعمل متقن من قبل الموظف الفرد أو المؤسسة في إطار عقدي صحيح، يأخذ بالأسباب الظاهرة ويرى فيها وفي أثرها خالق الأسباب سبحانه وتعالى، لتجعل من عملية الإتيان الوظيفي عملية فريدة في تصورها النظري وتطبيقها العملي، تجمع بين العلم والإيمان. ورسائل النور وهي تؤسس لمحدد الأسباب في تطبيقات عملية الإتيان، فإنها تنظر إلى فكرة الأسباب نظرة واقعية وشمولية ومتكاملة، فكل شيء يحدث سببه، ولكل ما يصيب الإنسان حكمته^(٤)، وأنه في العمل المزعم إنجازه وإتيانه لا بد أن تجتمع فيه الأسباب^(٥) اللازمة كلها، كما أنها تؤكد على حضور الأسباب المادية أو الطبيعية^(١) وأنها جزء أصيل من

(١) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ١٢٧.

(٢) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٢٨٦.

(٣) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٥٦١.

(٤) النورسي، بديع الزمان، المكتوبات، ص ٥٨.

(٥) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٢٦٩ و ٢٧٠.

(١) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ١٦٧ و ٢٧٠ و ٢٩٥ و ٥٢٣ و ٥٧٨.

أعمال حياتنا وإنتاجنا الفردي والوظيفي والمؤسسي، وأن الأسباب فيها من الكثرة والتنوع^(١) وليست مقتصرة على آحاد معينة وانه لا بد للمسلم في حركته الحياتية والحضارية والإيمانية والإنتاجية من التنوع بالأسباب بما يحقق له مطلبه، يقول النورسي: "إن السبب الداعية إلى الدنيا كثيرة والوسائل السائقة إليها وفيرة"^(٢)، ويقول في موضع آخر: "فكل شيء متوجه إلى سبب وصادر منه فالثمرة تؤخذ بطبيعتها من الشجرة والحبوب تطلب من التراب"^(٣)، والمقصود هنا الإشارة إلى واقعية فكرة الأسباب المادية المنتجة للأشياء، وأن رسائل النور توجه الشخص المسلم لكي تكون علمية في تعاطيها للأسباب التي من شأنها أن تحقق له نجاحاً وإتقاناً وإبداعاً في عمله الوظيفي داخل مؤسسته وخارجها.

ومن معطيات رسائل النور في هندسة تفعيل الأسباب، أن على قيادة مؤسسة العمل أن تستخدم ما أطلق عليه الباحث استنتاجاً من رسائل النور مصطلح "شبكة الأسباب" بمعنى أن يدرك العاملون في إنتاج معين سعيًا منهم لإتقانه أن شغلهم هذا يقع ضمن شبكة من الأسباب منتظمة متداخلة كل منها يؤثر بالآخر سلباً وإيجاباً، وأنه يتوجب على الكل مراعاة "جزء السبب" الذي يخصه وأن يتقنه بمهارة عالية ويحافظ على فعاليته بالمقياس المحدد له لئلا يضرب خطوط الإنتاج الأخرى، وفي سبيل توضيح هذه الفكرة التي استمدتها الباحثة من رسائل النور فإنه يسوق المثال ذاته الذي استمدت منه الفكرة وهو يحمل توضيحاً لها، وفي ذلك يقول النورسي مفترضاً وجود: "سفينة عظيمة للسلطان، إن ترك فيها عاملٌ بسيط وظيفته الجزئية، فسيؤدي تركه هذا إلى إخلال نتائج أعمال جميع العاملين في السفينة وإهدارها؛ لأجل ذلك فإن صاحب السفينة، وهو السلطان العظيم، سيهدد ذلك المقصر تهديداً شديداً باسم جميع العاملين في السفينة، في حين لا يقدر ذلك المقصر على القول: مَنْ أنا حتى استحق كل هذا التهديد المروع، وما عملي إلاَّ إهمال تافه جزئي! ذلك لأنَّ عدماً واحداً يؤدي إلى ما لا يتناهى من أنواع العدم، بينما الوجود يشمر ثمرات حسب نوعه، لأنَّ وجود الشيء يتوقف على وجود جميع الأسباب والشروط، بينما انعدام ذلك الشيء وانتفاؤه من حيث النتيجة إنما هو بانتفاء شرط واحد فقط وبانعدام جزء منه. ومن

(١) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ١٨٧.

(٢) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ١٨٧.

(٣) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٣٦٨.

هنا غدا التخريب أسهل من التعمير دستورا متعارفاً لدى الناس"^(١). ومن هنا على الموظف المسلم أن يعي أنه حينما يقوم بعمله داخل مؤسسة ما فإنه يعمل ضمن شبكية من الأسباب المتعاضدة لتحقيق المنتجات ذات الدرجة المطلوبة من الإتقان، وأنه يتوجب عليه التنبيه المستمر لضمانة مجموعة الأسباب الخاصة به وأن لا يفرط بأي منها لأن ذلك سيكون عامل إفشال للعلاقات السببية المتصلة بعمله من قبل الآخرين.

ومن هنا، فإن معطيات رسائل النور تحذر من خطورة وجود موظفين سلبيين في مؤسسات العمل، تسند لهم أعمال معينة ليقوموا بها ويتقنوا أداءها، وإذا بهم يهملونها، ويتعيبون عن مواقعهم الوظيفية مما يتسبب بخلل وضرر في عمليات إنتاج المؤسسة للخدمات أو للسلع ذات المواصفات الدقيقة. وقد ضرب النورسي لتلك الفكرة مثالا شارحا لها، فيقول: "بستان عظيم جداً يحوى مالا يعد ولا يحصى من الأثمار الياضعة والأزاهير الجميلة، عُيّن عدد كبير من العاملين والموظفين للقيام بخدمات تلك الحديقة الزاهرة، إلا أن المكلف بفتح المنفذ الذي يجري منه الماء للشرب وسقي البستان، تكاسل عن أداء مهمته ولم يفتح المنفذ، فلم يجر الماء؛ بمعنى أنه أحل بكل ما في البستان أو سبب في جفافه! وعندها فان لجميع العاملين في البستان حق الشكوى من ذلك العامل المتقاعس عن العمل، فضلاً عن شكاوى ما أبدعه الرب الجليل والخالق الكريم وما هو تحت نظر شهوده العظيم، بل حتى للتراب والهواء والضيء حق الشكوى من ذلك العامل الكسلان، لما سبب من بوار مهماتهم وعقم خدماتهم أو إخلال بها في الأقل!"^(٢)، ويقول النورسي في موضع آخر بما يتضمن إشارة إلى أن الموظف قد يقتل الفكرة والإبداع في العمل، بل والعمل نفسه في حال تفریطه بأسباب النجاح: "إن الذي لا يفتح مجرى الساقية المؤدية إلى الحديقة يصبح سببا وعلة لجفاف الحديقة ووسيلة لموتها"^(٣).

وبدلاً من هذه الحالة السلبية التي قد تصدر من المسلم في عمله، فإن معطيات رسائل النور تتجاوز هذه الوضعية السلبية بعد التحذير منها لتضع عملية إنجاز العمل الوظيفي وإتقانه والإبداع فيه ضمن منطق الشرع والعقل، فتشير إلى لفكرة أن عالم الأسباب لا يعمل

(١) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ١٩١.

(٢) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص: ١٩٠ و ١٩١.

(٣) النورسي، بديع الزمان، اللمعات، ص ٢٠٣.

وحده، وأنه لا بد من بذل الجهد واستفراغ الفكر والتخطيط إذا ما أردنا عملاً متقناً ومنتجاً مميزاً، حيث تفيد رسائل النور من خلال النظر في دلالات الألفاظ الشارحة لمفهوم الإتقان وما يتصل به إلى ضرورة توافر جملة من العناصر والشروط، وقد أخذها الباحث من أفكار النورسي و صنفها ورتبها ضمن القائمة الآتية:

- وجود الإرادة عند العامل نفسه^(١).
- وجود نظام يسير عليه ويلتزم به^(٢).
- السهولة والسرعة والكثرة في العمل والمنتج^(٣).
- كون مطلب التزيين والإحسان والإتقان مقصوداً ومراداً^(٤).
- انتظام القدر في الشكل والصورة والدقة في النسب والعلاقات والانسجام بينها^(٥).
- القدرة والعلم والذهن الحسن^(٦).

- برنامج عمل واضح^(٧) وأهداف معينة^(٨).

- مهارات فائقة وإبداعات صناعية^(٩).

والمقصود، أن إتقان العمل الوظيفي المؤسسي لا يأتي بالمجان، ولا بالارتجال، بل لا بد من برنامج عمل واضح الأهداف وفريق عمل على درجة من الكفاءة، بذلك يمكن تحصيل الإتقان والإبداع في منتجات العمل الوظيفي المؤسسي، يقول النورسي: "الصنائع الموزونة المنتظمة الجميلة تستند إلى برنامج في غاية الحسن والبرنامج يستند إلى علم وإلى ذهن حسن

(١) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢١٣.

(٢) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٥٣٧.

(٣) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢١٣.

(٤) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٥٠.

(٥) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٦٤٤.

(٦) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٧٢٣.

(٧) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٧٧٣.

(٨) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٨٠.

(٩) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ١٢٧.

وإلى قابلية روحية"^(١)، فإتقان العمل الوظيفي إذن هو عملية تنموية مقصودة مخطط لها، ولا بد أن تقوم على الكفاءة التي أساسها العدل، فيوضع العامل المناسب ضمن المهمة المناسبة له، وهذه العدالة الوظيفية شرط أساسي من شروط نجاح المؤسسة في تقديم أعمال تتصف بالإتقان والإبداع، وفي الاحتفاظ بموظفين يتميزون بالكفاءة والمهارة والخبرة بحيث يقودون المؤسسة للارتقاء والإبداع. ومن هنا كانت رسائل النور حافلة بالتركيز على قيمة العدل، ورفض سيطرة فئة محدودة على مؤسسات مجتمعية عامة، وواجهت كل أشكال الاستبداد التي تتناقض مع قيمة العدل^(٢)، يقول النورسي: "والعدالة العامة في الكون تأمر البشرية بإقامة العدل. إن العدالة والاقتصاد من حقائق القرآن وأشدها إيغالا في أعماق الحياة الاجتماعية"^(٣)، ولذلك كان من فقه الأسباب العدل الوظيفي؛ لأنه يشكل رافعة اقتصادية لكل المؤسسات التي تسعى لتطوير منتجاتها وخدماتها على أساس الكفاءة التي بها يكون الإتقان والإبداع.

رابعا: محدّد "الفروق الفردية" في الاستعدادات والقدرات وتطبيقاته:

تشير رسائل النور إلى كون الإنسان يمتلك- بما وهبه الله تعالى إياه- استعدادات تمكنه من أداء مهامه في الحياة الدنيا بدرجة عالية من الإتقان إذا ما أراد الإنسان نفسه أن يكون صاحب مهمة عالية، يقول النورسي: "الفطرة البشرية تملك استعدادات غير محدودة تجاه الإحسان والجمال والكمال"^(٤)، كما يتمتع هذا الإنسان برغبات وحواس^(٥)، وقوى عدة، مثل: القوة الغضبية والقوة الشهوية والقوة العقلية^(٦)، والقوة الحافظة والقوة الخيالية المفكرة في دماغ الإنسان^(٧)، وهو يفوق بذلك غيره من المخلوقات الحيوانية، يقول النورسي: "خلق سبحانه الإنسان على فطرة جامعة لها من القدرة ما يثمر ألوف سنابل الأنواع وما يعطي

(١) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٧٧٣

(٢) ينظر: النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٢٥٨ و ٢٢٩، والشعاعات، ص ٤٢١.

(٣) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٥٢٦.

(٤) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٩١.

(٥) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٣٦٤.

(٦) النورسي، بديع الزمان، الشعاعات، ص ٦٥٠.

(٧) النورسي، بديع الزمان، الشعاعات، ص ٦٨١.

طبقات كثيرة بعدد أنواع سائر الحيوانات، إذ لم يحدد سبحانه قوى الإنسان ولطائفه ومشاعره، بل أطلقها وأهبها له استعدادات يتمكن به من السياحة والجولان ضمن مقامات لا تحدّ"^(١).

وفي هذا الإطار تحدد رسائل النور مقومات أساسية إزاء هذه الاستعدادات والقوى التي يمتلكها الإنسان، من ذلك: امتلاكه لإرادة وحرية هي الوسع من بين المخلوقات^(٢)، ولا شك أنه لولا هذه الإرادة والحرية المبنية على وجود عقل مفكر، وتسخير موجودات الكون لما استطاع المسلم أن يقوم بأعباء الخلافة في الأرض^(٣)، ولا إنجاز الأعمال والوظائف المنوطة به، ولا القدرة على تجويدها وإتقانها، ومن ذلك دعوته لاستخدام أفضل الأساليب القويمة لتحقيق ذلك^(٤)، ومن ذلك ضرورة استخدام الإنسان كل ما وهبه الله إليه وما اكتسبه في دائرة القيم الإيمانية^(٥)، بعيدا عن الاعتداد بالنفس والغرور بالدنيا، وبذلك تبني رسائل النور شخصية المسلم الموظف على رؤية ذاتية للنفس وما وهبها خالقها في إطار إيماني يمكنها من الإنتاج والإبداع والارتقاء بشكل ينسجم مع مهمة الاستخلاف في الأرض والسير على منهج الله في إعمار الحياة.

وتشير رسائل النور إلى أساس مهم في فهم استعدادات الإنسان وقواه يتمثل بوجود فروق فردية بين الناس في استعداداتهم وقواهم واجتهاداتهم، يقول النورسي: "الناس خلقوا على صور متباينة من حيث المعيشة"^(٦)، وأن الإنسان يمتلك قدرات إبداعية تؤهله للوصول إلى مستويات عالية من الارتقاء، يقول النورسي: "الإنسان مؤهل لما لا يجد من الرقي"^(٧)، وهذا يعني أن لا مبرر أمام ذلك الموظف المتكاسل الذي لا يتقن عمله ولا يسعى لتطوير نفسه.

(١) النورسي، بديع الزمان، الشعاعات، ص ٦٨١.

(٢) النورسي، بديع الزمان، اللمعات، ص ١٨٠.

(٣) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٨٢ و ٢٨٥.

(٤) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٨٣.

(٥) النورسي، بديع الزمان، المكتوبات، ص ٤١، واللمعات، ص ٢٣٠.

(٦) النورسي، بديع الزمان، المكتوبات، ص ٤١، واللمعات، ص ٢٣٠.

(٧) النورسي، بديع الزمان، المكتوبات، ص ٣٩٦.

ويمكن للباحث أن يعرف "الفروق الفردية في إتقان العمل" تحديداً، بأنها "تفاوت مستوى الموظفين والعاملين في أداء أعمالهم وإتقانها والإبداع فيها تبعاً لاختلافهم في سماتهم الشخصية، وقدراتهم العقلية، وطاقاتهم الجسدية، وميولهم النفسية".

ومن التطبيقات المهمة لمحدد الفروق الفردية في استعدادات الإنسان وقدراته، أن على المؤسسة عدم المساواة بين جميع الموظفين في مطالباتها لهم بنفس قوة ودرجة إتقان العمل والوظيفة أو نوع المهمة المتعلقة به؛ لأن هناك فروقا فردية بين الموظفين، فما قد يبدع فيه موظف في جانب قد يخفق في آخر، وما يتقنه موظف لا يتقنه غيره، فهناك ميولات وتخصصات واختلافات في القدرات والمهارات لا بد من مراعاتها، يقول النورسي فيما يشير لعموم هذه الفكرة: "فالسالكون لهذا الطريق يقطعونه على درجات متفاوتة كل حسب عمله"^(١)، وهذا قد يستفاد منه الفروق الفردية الزمنية بين الموظفين في إنجاز أعمالهم، من أن بعضهم قد ينجز عمله المتقن في وقت أقل من الآخر.

ومن تطبيقات مؤسسات العمل لمحدد الفروق الفردية في مجال إتقان العمل الوظيفي: تكليف العامل ما يطيقه من الأعمال. فالله سبحانه وتعالى قد جعل الناس متفاوتين في قدراتهم البدنية، وطاقاتهم الجسدية، وهذا من الفروق الفردية التي يجب على مؤسسات العمل في المجتمع المسلم مراعاتها، استجابة لمنطق الشرع، ولا شك أن رسائل النور قد أعطت موضوع الرحمة والشفقة والعدل عناية كفاية. ومما يشير لجوهر فكرة هذا التطبيق المثال الآتي الذي أورده النورسي حول توزيع الأعمال: "يحصل الصناعيون وأهل الحرف على الإنتاج الوفير وعلى ثروة هائلة نتيجة اتباعهم قاعدة المشاركة في الصنعة والمهارة. وإليك مثال ذلك: قام عشرة من صناعي أبر الخياطة بعملهم، كل على إنفراد فكانت النتيجة ثلاث أبر فقط لكل منهم في اليوم الواحد، ثم اتفق هؤلاء الأشخاص حسب قاعدة توحيد المساعي وتوزيع الأعمال - فأتى أحدهم بالحديد والآخر بالنار وقام الثالث بثقب الأبرة والآخر أدخلها النار بدأ يحدّها وهكذا. فلم يذهب وقت أحد سدى، حيث انصرف كل منهم إلى عمل معين وأنجزه بسرعة لأنه عمل جزئي بسيط أولا ولاكتسابه الخبرة والمهارة فيه ثانيا، وحينما وزعوا

(١) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ١١٦.

حصيلة جهودهم رأوا أن نصيب كل منهم في يوم واحد ثلاثمائة إبرة بدلا من ثلاثة أبر^(١)، وهذا المثال يتضمن كيف أن توزيع الأعمال في المؤسسة على الموظفين والعاملين مع مراعاة الفروق الفردية لكل منهما من شأنه تنمية العمل المؤسسي وإتقانه واحترام دور الجميع.

قائمة المراجع

- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس (د.ط).
- خلف، فليح، النظم الاقتصادية، جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- الصعب، محمد بن عبيد، قيم العمل وعلاقتها بالتوافق المهني لدى عينة من المرشدين بتعليم الليث والقنفذة، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم قري، ١٤٣٠ هـ.
- الطويل، هاني عبد الرحمن، أبدال في إدارة النظم التربوية وقيادتها "الإدارة بالإيمان"، الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي، ط ١، ٢٠٠٦ م.
- العجمي، محمد حسين، الاتجاهات الحديثة في القيادة الإدارية، دار المسيرة، ط ١، ٢٠٠٨ م.
- القرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، ط ٢، ٢٠٠٤ م.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، الصحيح، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ط).
- مقابلة، كمال أرشيد، العمل والأجور في الإسلام، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩١.
- النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، دار النيل، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨ م.
- النورسي، بديع الزمان، سيرة ذاتية، ترجمة: إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤ م.
- النورسي، بديع الزمان، الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة: إحسان صالح، سوزلر، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤ م.
- النورسي، بديع الزمان، الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤ م.
- النورسي، بديع الزمان، المثنوي العربي الثوري، تحقيق: إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٣ م.
- النورسي، بديع الزمان سعيد، صيقل الإسلام (آثار سعيد القديم)، ترجمة: إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤ م.
- النورسي، بديع الزمان، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤ م.
- النورسي، بديع الزمان سعيد، اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤ م.

(١) النورسي، بديع الزمان، اللمعات، ص ٢٤٩.

العمل الإيجابي البناء ومتطلباته

أ.د. عمّار جيدل

يتذكر الإنسان إذا أزف أجله رأس ما يشغل باله وأهم ما يتوجّس منه خيفة في الحاضر والقبال، ويتخوّف تأثير إهماله على حاضر المبادئ التي أفنى حياته في بثها ونشرها بين الناس. وإذا كان الإنسان في موقع التوجيه وكان مسكونا بخدمة مجتمعه، فإنّه يتخوّف من ضياع المبادئ عند المنتظر منهم حملها إلى الناس لأجل إنقاذهم وإنقاذ آخرتهم بإنقاذ حياتهم، انصب جهد الأستاذ في الدرس الأخير وبحرص شديد على العمل الإيجابي البناء، ولا يتأتى التركيز عليه بمعزل عن إحداثيات المكان والزمان محليا ودوليا.

يستشف من وصية الدرس الأخير وصف حال الوسط الذي تتحرّك فيه تلك المبادئ وجملة ما يمكن أن يشوّش عليها، لهذا يركّز في الوصف على جملة العناصر التي تؤثر سلبا على حياة المبادئ في النفوس ثم حياتها في واقع الناس، من هنا تلاحظ في درسه تشخيصا دقيقا للواقع، متوقّفا عند جملة المكونات ذات الأثر السلبي على مستقبل الفكرة والمسلك، كما ترى في الوصية خطة طريق لمستقبل العمل للإسلام في عصرنا، وذلك من خلال عرضه لمستقبل الرسائل التي شغلته ليلا ونهارا، وهيمنت على عقله وقلبه؛ بل كلّ حياته بأنفاسها الدقيقة، ولا يتأتى وضع خطة بغير التنبيه الدائم لحاملي مشروعها إلى الخطر الذي يتهدد مستقبل المبادئ التي بذلوا لأجل حمايتها الغالي والنفيس.

مدار الوصية على العمل الإيجابي البناء، وهذا يفرض بيان المراد به في أدبيات الأستاذ، ذلك أنّها أهم مسألة شغلته ونظّر لها وقدّم الشواهد على تبنيتها، من هنا كان بيان المراد بها أول ما نعتني به، ونردفه بما تمس الحاجة إليه من تحليل، واخترت لبيان ذلك الخطة الآتية:

أولا: بيان المراد بالعمل الإيجابي البناء.

ثانيا: حال الوسط المستقبلي للفكرة داخليا وخارجيا، وهل ما زال هذا التحليل صحيحا قابلا للتفعيل؟

ثالثا: المبادئ الباعثة على العمل الإيجابي البناء.

رابعاً: المهمة المستعجلة في ظل الظروف المشار إليها.
خامساً: صفات أصحاب المهمة الذي يقومون بهذه المهمة.

أولاً: بيان المراد بالعمل الإيجابي البناء.

ركّز الأستاذ النورسي على بيان أهمّ ما يتعيّن العناية به في عصرنا الحاضر، فذكر أنّ وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء، يشهد لهذا المعنى قوله في المستهل: "إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدام. والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضا الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله. إننا مكلفون بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي"^(١)، ويوضح المراد بها في سياق آخر بقوله: "العمل الإيجابي البناء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً"^(٢).

ويكفي صريح أقوال الأستاذ لاستبعاد جملة التفسيرات التي حملت "العمل الإيجابي" على الإيجابية كما أرادها بعض المصنفين، فلا يمكن أن نشرح نصاً بما يعارض مضمونه ويحمله على نوع تأويلات بعيدة تكون أقرب إلى التقويلات، فالمصطلح له مفهومه ومعناه الخاص الذي لا يسوغ حمله على معنى الإيجابية في التصرفات أو الإيجابية في المواقف، أو النظر المنهجي، فيبيّن أنّ "العمل الإيجابي" له مدلوله الخاص في أدبيات الأستاذ، وهو ما يتعيّن استصحابه بوصفه تعريفاً إجرائياً أساسياً في فهم متطلبات العمل الإيجابي.

العمل الإيجابي وعي بمهمة وجودية ومسالك عيشها والعيش بها في شعاب الحياة، وتتطلب هذه المهمة أن يكون المقبل عليها مسكوناً بخدمة الإنسانية والأمة، فمن غير حبّ للمتوجّه إليهم بهذا العمل لا ينتظر منه القيام بالواجب تجاههم، يسعى لذلك لأجل نيل مرضاة الله، ومقتضى ذلك أن لا يكون مشغول البال بالناقدين أو الناقمين أو المهوّلين أو المهوّلين، فيكون مصروف النظر عن عداوة الأعداء وتهويلاتهم، من هنا جعل الأستاذ العمل

(١) السيرة الذاتية ٤٦٨.

(٢) اللغات ٢٢٨.

الإيجابي مؤسسا على ما يأتي:

١ - محبة هذا المسلك (العمل الإيجابي):

محبة الشيء تطير بالحب إلى بذل الغالي والنفيس انتصارا له، فما لم تكن النفوس مسكونة بحب هذا المسلك فستثقله، وتستصعب عيشه فضلا عن العيش به، لهذا يتطلب المسلك "العمل الإيجابي" محبته في شوق لبذل المهج خدمة له، ذلك أنّ الحب يخفف تعمّل أعباء الطريق ويسترخص أغلى ما تتعلّق به نفوس الخلائق، ومأتى هذه المحبة من المحبة المتعلّقة بهم، فهي أولا تعبير صادق عن محبة الله ثم محبة من تخدمهم طلبا لمرضاة الله.

٢ - محبة الخلق والسعي إلى خدمتهم:

محبة الحق سبحانه وتعالى لها تجليات ظاهرة رأسها محبة الخلق، ثم خدمة الخلق والتشوّف إلى خدمتهم طلبا لمرضاة الحق سبحانه وتعالى، فمن غير محبة الخلق والرغبة الأكيدة في خدمتهم تكون محبة الخلق مجرد دعوى لا دليل عليها، طلب مرضاة الله في الخلق ليس له من معنى غير خدمتهم والسعي نحو إسعافهم لإخراجهم من دوامة الشهوات والأنانية القاتلة المدمّرة.

٣ - إهمال معاداة المعاندين وتهويلاتهم أو تهويناتهم من حيث أصل التوجّه إلى

الخدمة الإيمانية الإنسانية:

لا ينتظر العامل على خدمة الخلق مرضاة للحق قياما منه بوظيفة العمل الإيجابي البناء من المتوجّه إليه بالخدمة جزاء ولا شكورا، فضلا عن يكون معتنيا بتهويلاتهم أو تهويناتهم، لأنّه لو أعار لها بالا لمالّ ضرورة عن العمل الإيجابي البناء، فيجعل لموقف من شخصه معيارا للإقبال على خدمتهم أو الميل عنها، ومن جعل شخصه معيارا، فقد مال عن جعل الحق معيارا وقانونا يكون به الإقبال والإدبار، بل إهمال مواقفهم منك أو من مبادئك في بلدك وبين أمتك ومجتمعك يكون في الغالب عنوانا ناطقا بإخلاصك للفكرة أو عدم إخلاصك لها، فيتناسب الإخلاص لله بتبني العلم الإيجابي البناء مع استحضار غلبة النفوس والزهو بالانتصارات الشخصية والعنتريات الفارغة أو المغنم الوقتية المعنوية والمادية، فكلّما مال عنها الإنسان كان في أكثر صدقا في تبني العمل الإيجابي البناء، والعكس، ينقص رصيده منها بقدر تغوّل الأنانية والتحرّك بحسب التهويل أو التهوين، أو أن ينشط بالمدح ويجمد بالذم.

٤- الإخلاص الباعث الأصلي:

يُيسّر للإنسان المتحلّي بالإخلاص القيام بمهمّة وظيفة العلم الإيجابي البناء بناء على إخلاصه لله تعالى، فبغير إخلاصه لله تعالى لا يتصوّر حبّه لهذا المسلك، وبغير محبة هذا المسلك لا يتصوّر محبته للذين تعلّق بهم خدمة الخلق مرضاة للحق، ومن أحب أن يحمّد لقيامه بوظيفة العلم الإيجابي البناء، ما ذاق ريحها، وما اقترب من حياضها، أما من يثنيه الذم أو يعطلّ مهمته التهويل أو التهوين، فهو بحاجة إلى إعادة نظر في صلته بهذه المبادئ، فضلا عن ضرورة مراجعته لصدقه مع المبادئ المشار إليها، إنّ من متطلبات العمل الإيجابي البناء الفعّال أن يكون الباعث عليه الإخلاص التام.

الإخلاص لله تعالى من مقتضياته المباشرة ترك الأنانية، وتركها يكون الإنسان مُطعّمًا ضد الغرور مستشعرا للمهمّة التي ينتظر منه القيام بها، لهذا قال الأستاذ: "إنّ إحسانا إلهيا مهمّا هو عدم إحساس من لم يدع أنانيته بإحسانه، كيلا يصيبه الغرور والعُجب"^(١).

إنّ محبة مسلك العمل الإيجابي البناء هو عنوان محبة الخلق والسعي لخدمتهم، ومأثى فعالية هذا الاستشعار عدم الاعتناء أصلا بالمادحين أو الدامين المهوّلين أو المهوّنين، وهو دليل الإخلاص التام لله تعالى.

ثانيا: حال الوسط المستقبل للفكرة داخليا وخارجيا، وهل ما زال هذا

التحليل صحيحا قابلا للتفعيل؟

يصف الأستاذ في الدرس الأخير واقع العالم بما فيه العالم الإسلامي، ويذكر فيه أهمّ الأمراض التي أصابت هذا العالم، مركزا جهده على بيان مآلات الخطط وحال المسلمين معنويا وماديا، وأهمية العمل الإيجابي في ظل الوضع الراهن.

١- مراد القوى الغربية المهيمنة:

يريد العالم "المتقدّم المتحضّر" تخريب البلاد الشرقية بأيدي أبنائها، وقد اتّخذ هذا التخريب أشكالا متنوّعة؛ فضلا عن التخريب المادي سعى إلى نشر التخريب المعنوي في البلاد المسلمين، وقد يكون بعض أبناء المسلمين عن حسن نية أو خبث طوية وسائل نشر مثل هذه التخريبات، لهذا يحرص الأستاذ على التنبيه المستمر إلى خطورة المخربين الدوليين

(١) الشعاعات ٣٧٤.

والمحليين المستعملين للتحريش بين أبناء البلد الواحد، ذلك أنه يريد أن يقوم أهل البلد بالإجهاز على مقدراتهم بأنفسهم، فيحرّض بعض المجتمع على البعض الآخر، فجهز المجتمع على نفسه بلده وأمته نيابة عن أعدائه، فقد انتشر الغرور والغفلة بشكل لافت للانتباه، مما كان سببا في تيسير مرور التحريض والتحريش بين أبناء الأمة الواحدة، تلك هي السمة العامة لهذا العصر، فقد سرى فينا -بإيعاز من غيرنا بقبول منا- غرور رهيب ناشئ من الغفلة وحب الدنيا، فجرى حكمه في هذا الزمان^(١) على كلّ المجتمعات بما فيها المجتمعات الشرقية، ومما زاد الوضع سوءًا انتشار بعض أمراض معنوية خطيرة.

٢- الصراع السياسي في البلاد الإسلامية:

اقتحام أتون السياسة في الوقت الراهن (وفق معطيات العالم الإسلامي) والخوض فيها يؤدي إلى وقوع الأبرياء في بلايا ومصائب عديدة، والذي اختار هذا المسلك من غير تهيؤ المجتمع لتحمل هذه الأعباء يكون ظالما، ذلك أنّ سقوط الضحايا غير مأمون، وخاصة في ظل وضع سياسي دولي ومحلي سيء للغاية، فقد كان لانتشار العصبية والديكتاتوريات العسكرية دور وخيم في انتشار الظلم بشكل مريع، ولا نأمن مع هؤلاء الظلمة تعريض المجتمعات للتخريب، إنّه على قول الأستاذ عصر عاصف من مدنية غادرة، يشهد لهذه المعاني قول الأستاذ: "إنّه بسبب التعصب العنصري والأناية التي نشأت في هذا العصر العاصف من المدنية الغادرة، والديكتاتورية العسكرية التي أعقبت الحرب العالمية، وما أفرزته الضلالة من القسوة وعدم الرحمة، ساد أشد أنواع الظلم وأشد أنواع الاستبداد"، في مثل هذا الوضع ليس من الحكمة المخاطرة بالمستضعفين، ذلك أنّه "لو قام أهل الحق بالدفاع عن حقوقهم بالقوة لأصاب الكثير من الأبرياء والضعفاء أشد الظلم نتيجة الحيدة عن العدل، فيبقى هؤلاء مغلوبين على أمرهم يقاسون أشد أنواع الظلم"، ومرد ذلك إلى أن "الظالمين الذين تدفعهم النوازع المذكورة آنفاً لا يترددون أبداً في مدّ يد الأذى والبطش والظلم بعشرين أو ثلاثين من الأبرياء ويؤاخذونهم بجريرة أو خطأ شخص أو شخصين بأسباب واهية ومعاذير شتى. فلو قام أهل الحق بضرب ذلك الموضع في سبيل الحق والعدل لأعطوا خسارة بمعدل ثلاثين إلى واحد. ولو قاموا

(١) راجع الشعاعات ٣٧٦.

بإتباع القاعدة الظالمة المتمثلة بالمقابلة بالمثل وبطشوا بعشرين أو ثلاثين شخصاً مأخوذين بجريرة واحد أو اثنين من الظالمين لاقتربوا - باسم الحق وتحت شعاره - ظلماً عظيماً وشنيعاً^(١).

وبهذا نكون قد أعطينا الفرصة للمستترين - من الزنادقة ومن لفّ لفهم - المستغلين للحكم والسياسة ومؤسساتها للإضرار بالبلاد والعباد ومقدّرات المجتمع المدنية والعسكرية والمعنوية، لأنّ كلّ ما في الأمر "أنّ بعض الزنادقة المستترين استطاعوا بشيطنتهم وبالتعصب الزنديقي الناجم عن الكفر المطلق (الذي يعد طاعوناً بشرياً وتنتاج الفلسفة المادية والذي لا توجد هناك في الدنيا أية حكومة تدافع عنه ولا أي شخص عاقل يأنس به).. استطاعوا بهذه الشيطنة أن يخدعوا بعض موظفي الدولة ويلقوا إليهم بأوهام وبمخاوف لكي يوجسوا منا خيفة وبذلك دفعوهم ضدنا"^(٢).

الحل الأمثل في ظل هذا الوضع الاشتغال بالدعوة إلى الإخلاص لله تعالى وتهئية الظروف لقومة كلّية، وهذا يفرض في ظل الأوضاع الراهنة تلطّفاً كبيراً، والابتعاد عن مواطن الشبهة قدر الطاقة البشرية، ولا أظن أنّ أيامنا الحاضرة ببعيدة عن هذا التشخيص، ذلك أنّ القوى الكبرى تريد تسليط بعض المسلمين على البعض الآخر، وفي ظل ضمور أو قلة العناية بالإخلاص تولّد في المجتمع إمكان استغلال البعض ضد البعض الآخر خدمة للمخالف الملي للأسف الشديد، ولو نظرنا بعين الموازنات، لكنّا أميل إلى السعي المتين والدءوب لنشر الإخلاص والتعرّف الجيّد على موازين القوى في العالم عموماً والبلاد الشرقية على الخصوص، لأنّ الظرف لم يختلف كثيراً. التعصّب سيّد الموقف، والدكتاتوريات العسكرية أو المغلفة بغلاف مدني (مقابل العسكري) هي بدورها ما زال سوقها رائجا، من هنا ينتظر أن يكون المشروع القابل أكثر اقتصاداً في الطاقات والخصومات يسعى لسد باب الاختلال في النظر إلى المسألة السياسية وخطة التغيير.

٣- الأمراض المزمنة التي أصابت الإنسانية والأمة الإسلامية:

أ- الأنانية وحب النفس

(١) الشعاعات ٣٤٦.

(٢) الشعاعات ٣٤٧.

تجعل الأنانية وحب النفس المتّصف بها مستعداً لقبول الذل والهوان والتواطؤ ضد مصالح مجتمعه لأجل حظوظ تافهة، وفي ذلك قال الأستاذ: "إن لهذا العصر مرضاً داهماً. وهو الأنانية وحب النفس"، وقد ذكر الأستاذ ذلك بصيغة الإجمال في هذا السياق، وفصل القول فيها في سياقات أخرى، إذ أرجع أغلب المشاكل التي يتخبط فيها العالم بما فيها بلاد المسلمين إلا شيوع الأنانية وحب النفس، فالعالم الغربي لأنانيته استأثر بمقدّرات العالم دون المستضعفين، بل الأدهى أنّهم يبنون سعادتهم على شقاء الآخرين، وهل من سبب لها غير الأنانية وحب النفس، ويكون هذا سبباً في اغتيال التفكير في المجتمع أو المجموع فضلاً عن الإنسانية، ويتجلى هذا المرض الحبيث في العلاقات بين الدول والمجتمعات والجماعات بل ودخل الأسرة الواحدة، وقد أبدع الأستاذ في الكتابة عن خطورة هذا المرض في جملة ما كتب، ومن ذلك قوله: "إن لم تكن للجماعة غاية وهدف فالأنانية تقوى، إن لم يكن لفكر الجماعة غاية وهدف مثالي، أو نُسيت تلك الغاية، أو تنوسيت، تحولت الأذهان إلى أنانيات الأفراد وحامت حولها. أي: يتقوى "أنا" كل فرد، وقد يتحدد ويتصلب حتى لا يمكن خرقه ليصبح "نحن" فالذين يحبون "أنا" أنفسهم لا يحبون الآخرين حباً حقيقياً".

إنّ الأنانية معدن جميع أنواع الاضطرابات والقلقل والفساد وأصلها، وإن محرك جميع أنواع السيئات والأخلاق الدنيئة ومنبعها كلمتان اثنتان أو جملتان هما من أهمّ مظاهر تغلب الأنانية، الكلمة الأولى: إذا شبعنا أنا فمالى إن مات غيري من الجوع. والكلمة الثانية: تحمّل أنت المشاق لأجل راحتي، اعمل أنت لأكل أنا. لك المشقة وعليّ الأكل.

ومن النتائج المباشرة لشيوع الأنانية انقطاع صلة الرحم بين الخواص والعوام، وقد ترتّب عليها ظهور صدى الاضطرابات عند العوام وصرخاتهم، ونفثت في نفوسهم الحسد والحقد والرغبة في الانتقام، وعامل الخاصة العوام باحتقار وظلم وإهانة والتكبر واستهانة كبيرة^(١).

هل من سبب موضوعي لتفسير قبول الإضرار بمصالح المسلمين غير الأنانية وحب النفس، وهل من سبب موضوعي لتفسير انتشار التخريب الداخلي على أيدي "المقدّمين" في الفكر والسياسة والتربية والثقافة غير الأنانية وحب النفس على حساب مصالح المجتمع والأمة

(١) راجع الكلمات ٨٥١ - بتصرف.

ومن ثمّ الدين والملة، ذلك أنّ وجود الأنانية عدم^(١)، وهي منبع باعث على الإعدام لكلّ جميل جماعي، فالأنانية تضيق الواسع وتحرب الدار العامرة لعدم إيمان أهلها بالآخرة^(٢)، ومن كان هذا شأنه فهو من أبعد الخلق عن العناية بالعمل الإيجابي البناء.

ب- اشتهاه قضاء حياة جميلة في ظل مباحج وزخارف المدنية الجذابة:

ترتب على اشتهاه قضاء حياة جميلة في ظل مباحج وزخارف المدنية الجذابة التوسّع في الأمور المادية جدا ولّد قراءة الضرورات قراءة غير صحيحة، تحمل بين طيّاتها كثيرا من المخاطرة بالحياة المعنوية للمجتمعات، وقد عبّر عن ذلك الأستاذ بقوله: "وهناك مسألة أخرى في غاية الأهمية. وهي أن متطلبات المدنية الدنية (الدنية بالنسبة لأحكام القرآن الكريم) في يومنا هذا قد زِيدت الحاجات الضرورية من الأربعة إلى العشرين. فجعلت الحاجات غير الضرورية بمثابة الحاجات الضرورية بالإدمان والاعتیاد والتقليد. فتجد من يفضل الدنيا على الآخرة رغم إيمانه بما لا يهتمه بالأمور المعاشية والدينية ظناً منه أنّها ضرورة"، وبعنوان الضرورات تبيح المحظورات وقع المجتمع وأفراده في المحذور لعدم تقديرهم الأمر بشكل صارم واضح، ومن ذلك قول بعض العلماء والسياسيين للأستاذ: "نحن الآن مضطرون. أي إنّنا مضطرون في تقليد بعض الأصول الأوروبية وموجبات المدنية حسب القاعدة المعروفة: إنّ الضرورات تبيح المحظورات"؛ فقال لهم الأستاذ: "إنكم منخدعون تماماً؛ لأن الضرورة النابعة من سوء الاختيار لا تبيح المحظورات. فلا يجعل الحرام بمثابة الحلال. بينما إن لم تنبع من سوء الاختيار، أي إن لم تأت الضرورة عن طريق الحرام فلا ضير، ثم انتقل النورسي للتمثيل لأجل زيادة في البيان؛ فقال: "إذا سكر شخص بسوء اختياره بشربه الحرام، ثم اقترف جريمة وهو سكران، فإنّ الحكم يجري عليه ولا يكون بريئاً بل يعاقب. ولكن إذا قام طفل مختل العقل بقتل شخص ما - وهو في حالة الاختلال - فهو معذور ولا يعاقب. لأنه لم يقترف الجريمة بإرادته. وهكذا قلت للقواد والأئمة: أي الأمور تُعد ضرورية مما سوى الأكل والعيش؟. فالأعمال النابعة من سوء الاختيار والميول غير المشروعة لا تكون عذراً لجعل الحرام حلالاً. فإذا أدمن الإنسان نفسه على شيء كمتابعته للأفلام في السينما وارتياحه المسرح

(١) راجع الشعاعات ٩٤.

(٢) راجع الشعاعات ٢٨٣.

والرقص بكثرة، وهذه الأمور ليست ضرورية قطعاً، بل نابعة من سوء الاختيار، لذا لا تكون كافية لجعل الحرام حلالاً"، وهذا ليس خاصاً بالمسلمين وحدهم بل "حتى القانون الإنساني قد أخذ هذه الأمور بنظر الاعتبار، وميّز بين الضرورة القاطعة غير الداخلة ضمن إطار الاختيار والأحكام الناشئة من سوء الاختيار. إلا أنّ القانون الإلهي قد فرق بينهما بشكل أساس وثابت راسخ ومحكم"^(١).

إنّ اشتهاء قضاء حياة جميلة في ظل مباهج وزخارف المدنية العصرية الجذابة ميل بصاحبه عن العمل الإيجابي البناء، ويدعه هذا الاشتهاء لقمة سائغة للشهوات تتهدّد إنسانية ورسالته في الوجود، فلا مطعم له في غير الأكل والشرب والمركب المريح والمنزل الواسع، عليه مدار حياته وعليه يوالي وعليه يعادي.

ج- ضياع الأمن والاستقرار.

مهما كانت قوّته المادية والمعنوية لا تستعمل في غير تأمين الأمن الداخلي للمجتمع والبلاد والعباد، إنّ وظيفتنا هي الإعانة على ضمان الأمن الداخلي بكلّ ما نملك من قوة مادية ومعنوية، وبهذا نفوّت الفرصة على اشتعال الحروب الداخلية المخلة بنظام الأمن والاستقرار الداخلي للعالم الإسلامي، ومبعث تبني هذا المسلك الثقة بأنّ "أعظم شرط في الاجتهاد المعنوي هو عدم التدخّل بالوظيفة الإلهية، أي بما هو موكول إلى الله. بمعنى أن وظيفتنا الخدمة فحسب. بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين، وإنّا مكلفون ومرغمون في الإيفاء بوظيفتنا". وذلك مصداقاً لقول "مولانا جلال الدين خوارزم شاه: إن وظيفتي الخدمة الإيمانية، أما النصر أو الهزيمة فمن الله سبحانه. وإنني قد تلقيت درس التقليد بالإخلاص التام من القرآن الكريم"^(٢).

ولا يفهم مما سبق ذكره الخنوع في مجابهة الهجمات الخارجية بالقوة، بل القصد أن نقف في الداخل يداً واحدة أمام التخريبات المعنوية بشكل إيجابي بناء، بالإخلاص التام. إنّ الجهاد في الخارج يختلف عما هو في الداخل"، ومن إحسان الله بقوم أن يقوموا بالعمل الإيجابي البناء بكل ما يملكون من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي. مميّزين بشكل جليّ بين الجهاد

(١) السيرة الذاتية ٤٧٠-٤٧١.

(٢) السيرة الذاتية ٤٦٩-٤٧٠.

الداخلي والخارجي في الوقت الحاضر^(١). المائل عن مسلك العمل الإيجابي غير مسكون بتوفير الأمن والاستقرار اقتصادا في الطاقات النفسية والمعنوية واقتصادا في الطاقات البشرية ويُعدا عن الخصومات التافهة في قضايا مَيّنة مميّنة.

د- شيوع التخريبات الخارجية والداخلية

تسعى المدنية الدنية حاليا لنشر الكفر المطلق تيسيرا لنشر جهنم معنوي رهيب، يسعون لتحقيق ذلك بطريق قسم الضلالة من العلم والفلسفة (غير المتوافق مع القرآن الكريم والمنحرف عن الصراط السوي)، فقام بذلك بعض المنتسبين للتيارات الفكرية المعاصرة من شيوعيين وأمثالهم، فطعموا "أفكارهم المولدة للفوضى والإرهاب ونشرها بوساطة المنافقين والزنادقة وبوساطة قسم من السياسيين الكفرة".

يقطع العمل الإيجابي هذا الداء من الأساس بسر القرآن الكريم لأنّ الحياة لا يمكن أن تسير بدون دين. ولا حياة لأمة بلا دين، إذ لا يمكن العيش - في حقيقة الحال - بالكفر المطلق.

التشبيث بهذا السر القرآني والسير في طريق العمل الإيجابي البناء بثقة في الله يجعل طالب القرآن الكريم سداً أمام الكفر المطلق والإرهاب في هذا القرن. قال الأستاذ: "إنّ هذا الدرس القرآني هو الذي وقانا من هذا التيار الجارف الذي استولى على الصين ونصف أوروبا ودول البلقان وأقام سداً أمام هذا الهجوم. وهكذا وُجد حل سليم أمام هذا الخطر الداهم".

ونظرا لقوّة تأثير القرآن الكريم وعظيم سلطانه على النفوس السويّة أنّ المسلم إنّ خرج عن الإسلام لا يتنصّر أو يتهود أو يتبلشف... "لأنّ النصراني إذا أسلم فإنّ حبه لعيسى عليه السلام يزداد أكثر. واليهودي كذلك يزداد حبه لموسى عليه السلام بعد دخوله للإسلام. ولكن المسلم إذا ارتد وحلّ ريقته من سلسلة الرسول محمد ﷺ وتخلّى عن الدين الحنيف فلا يمكن له أن يدخل أي دين آخر بل يكون إرهابياً. ولا يبقى في روحه أي نوع من الكمالات. بل يتفسخ وجدانه، ويكون بمثابة سم قاتل للحياة الاجتماعية"^(٢).

(١) راجع السيرة الذاتية ٤٧٠.

(٢) السيرة الذاتية ٤٧٢.

إنّ درس القرآن الكريم وجعله أستاذًا ينقذ الشرق والغرب والإنسانية من الكفر المطلق الذي يمثّل منبع التخريبات الكونية المعنوية والمادية، ومن ثمّ كانت رسائل النور وسيلة لإنقاذ الإنسانية من الإرهاب، ومنبعًا للتآخي والوحدة بين الأخوين الجليلين للإسلام وهما العرب والترك^(١)، إنّنا بهذا المسعى نقطع الطريق على وقوع الكفر المطلق، ونسعف الإنسان بتطعيمه ضد الوقوع في "جهنّم معنوي يفوق عذاب جهنم نفسه عشرات المرات"، ذلك أنّ "من وقع في الكفر المطلق أو ساند الكفر المطلق، فانه يفكر في الموت أنه إعدام أبدي له ولأحبائه الذين مضوا والآتين معاً. لأنّ كل شخص كما يكون سعيداً بسعادة أحبائه، يتعذب بعذابه. فالذي يكفر بوجود الله تمحى عنده جميع تلك السعادات، وتحل الأعدية محلها. لذا هناك حل وحيد في هذا العصر ليزيل هذا الجحيم المعنوي من قلب الإنسان؛ ألا وهو القرآن الحكيم. وأجزاء رسائل النور التي هي المعجزة المعنوية للقرآن الكريم والتي كتبت وفق أفهام أبناء هذا العصر"^(٢).

لا يتصوّر الكفر تخريباً للعقول والنفوس والأفراد والمجتمعات والدول إلّا من استقر في نفسه أنّ الكفر عدم، يعدم كثيراً من الأشياء الجميلة وخاصة تلك التي هي مبعث إنسانيته وفق ما أرادها خالقها، لهذا فهو يعتبر الكفر منبع التخريبات المعنوية ثم المادية، وهو بالفعل جهنّم معنوي يجعل الموت إعداماً ومنبعاً لتعاسة لا مثيل لها، يعد العمل الإيجابي البناء باعثاً مهمّاً على منع التخريبات الداخلية والخارجية بوسائل لطيفة منبعها التقلّد بالإخلاص والشكر والشفقة، القوى المتنفّذة في العالم تنشر هذه الترهات والتخريبات بعنوان العلم، ولا يتأتى مرورها بغير إضاعة الجهل في البلاد الشرقية، منعاً لها من نهضة معنوية ومن ثمّ مادية، وقد كان لعدم تحكّم المسلمين في ناصية العلم والمعرفة وتطبيقاتها أهم مداخل شيوع التخريبات، وكانت هي نفسها انتشار الضعف المادي والضعف المعنوي، لهذا كان أهم ما يتعيّن الاشتغال به في العصر الحديث الجهاد المعنوي، ومقتضاه التحكّم في تدفقات العلم والمعرفة وتطبيقاتها بما ينفع المجتمعات الإسلامية والإنسانية.

ثالثاً: المبادئ الباعثة على العمل الإيجابي البناء.

(١) السيرة الذاتية ٤٧٢.

(٢) السيرة الذاتية ٤٧٣.

١- الإخلاص التام:

إذا لم يتحرر الإنسان بالإخلاص التام لله تعالى فلا مطمع لتخليصه من أدران نفسه أو أسر عادات معرفية مكتسبة والتي قد تكون مستندة إلى الشريعة ونصوصها أحياناً، الإخلاص التام هو أن تستقبل بكلّ مرضاة الله في السرّ والعلن، لا طمع لك في غيرها لا غلبة أو زهو بها أو إذلال لخصم تنتشي به، عندما تكون مسكوناً بالإخلاص التام، تيسر لنفسك بإذن الله الانخراط في وظيفة الخدمة المؤسسة للأمن النفسي والمعنوية على ضمان الأمن الداخلي بكل ما تملك من قوة. وبهذا تكون سداً منيعاً دون اشتعال نار الحروب الداخلية المخلة بنظام الأمن والمفضية إلى ضياع الاستقرار الذي لا يخدم غير من صارعك أو من وظّفهم من أعداء أمتك.

قال الأستاذ: "إن أعظم شرط من شروط الجهاد المعنوي هو عدم التدخل بالوظيفة الإلهية. أي بما هو موكول إلى الله. بمعنى إن وظيفتنا الخدمة فحسب. بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين، وإننا مكلفون ومرغمون في الإيفاء بوظيفتنا"^(١).

إن الإخلاص التام يدفع التوترات قدر الطاقة البشرية ويقلّصها إلى نسبة ضئيلة تكاد تقول إلى الصفر أي أنّها بمعدّل واحد من الألف، ذلك أنّ رأس البلاء في العالم الإسلامي أنّ المتخاصمين يدخلون حلبة الصراع أو يورطون في ولوجه من غير نظر في مآلات هذه الاختيارات، ولو أنّهم دققوا النظر في المآلات لاقتصدوا في كلّ ذلك، ولرضوا أن يظلموا على أن يكونوا ظالمين، و نعلم يقيناً أنّه لا يقوى على هذا الجهاد المعنوي إلّا موفق يرى بأنّ وظيفته الخدمة فحسب أما النتيجة فتعود إلى ربّ العالمين"^(٢).

٢- توحيد القبلة:

يعد توحيد القبلة باعثاً على استجماع كلّ عناصر القوى المعنوية والمادية والتوجّه بها إلى الله خالصة لوجهه الكريم، ورأس ما يركّز عليه الأستاذ في استشراف الموحّد القبلة الواحدة الموحّدة "درس القرآن ومدارسته"، لأنّه عند الأستاذ سداً منيعاً يمنع التخريبات المادية والمعنوية الداخلية والخارجية، فالقرآن الكريم المعجز وتفسيره برسائل النور ينقذ هذا العصر والإنسانية

(١) سيرة ذاتية - ص: ٤٧٠.

(٢) راجع سيرة ذاتية ٤٦٩ - ٤٧٠.

من الارهاب، وهي وسيلة للتآخي والوحدة بين الأخوين الجليلين للإسلام وهما العرب والترك، وكذلك أصبحت وسيلة لنشر الاحكام الأساسية للقران الكريم حتى بتصديق اعدائها^(١).

٣- الإيمان بالآخرة:

ليس الإيمان بالآخرة كلاماً أجوفاً بل هي معنى ينطبع في النفس فيغيّر السلوك، إنّه تصوّر وتصديق لا قيمه له يغير تحقّق وتحقيق تجلياته في شعاب الحياة، لهذا ما أن يحل "الإيمان بالآخرة" في القلب أو البيت حتى ينور أرجاءه مباشرة ويستضيء، لأنّ علاقة القرى والرأفة والمحبة التي تربطهم لا تقاس عندئذ ضمن زمن قصير جداً، بل تقاس على وفق علاقات تمتد إلى خلودهم وبقائهم في دار الآخرة والسعادة الأبدية فيقوم - عندئذ - كل فرد باحترام خالص تجاه الآخرين، ويوليهم محبة صافية، ويظهر رأفة صادقة، ويدي صداقة وفيّة، صارفاً النظر عن التقصيرات. فتتعالى الأخلاق وتسمو، وتبدأ السعادة الانسانية الحقّة بالتألق في ذلك البيت، ثمّ تتوسّع لتشمل "المدينة" ذلك أنّ "الإيمان بالآخرة" إذا هيمن على أفراد عائلة استأصل من نفوسهم الحقد ومنع والاحتيايل والأنانية والتكلف والرياء والرشوة والخداع، ورشد المنافع الشخصية، وإذا استحکم الإيمان بالآخرة واستبد بالنفوس فإنّه سيمكن لأسس الاخلاق الحميدة التي هي الإخلاص والمروءة والفضيلة والمحبة والتضحية ورضى الله والثواب الأخروي. يعتبر طلب هذه الخلال والتمكين لها أولوية ملحّة في ظل الإرهاب والفوضى والوحشية الحاكمة والمسيطرّة، بعنوان النظام والأمن والإنسانية التي يتظاهرون بها، إنّ المدينة التي تسيطر عليها معاني السلبية مدينة متسمّمة، يتصف الاطفال فيها بالوقاحة والإهمال، والشباب بالسُّكر والعريضة، والأقوياء بالظلم والتجاوز، والشيوخ بالبكاء والأنين. ويذكر الأستاذ أنّ الإيمان بالآخرة يهتف بأولئك الأطفال قائلاً لهم: "دعوا الوقاحة والإهمال فقدمكم جنة النعيم فلا تشغلوا أنفسكم عنها بالألاعيب". فيمكن الأخلاق عندهم بإرشاد القرآن الكريم^(٢).

٤- الحذر من الغرور:

يقدم الأستاذ في كثير من الأحيان تحليلاً رائداً للغرور الرهيب وأهمّ الأسباب الباعثة

(١) راجع سيرة ذاتية ٤٧٠.

(٢) الشعاعات ٢٨٣.

عليه، فيرى أن الغرور الرهيب ينشأ عن الغفلة وحب الدنيا، وأهل الحق مطالبون بالتحرّر من هذه الأمراض المعنوية الفتّاكة، وخاصة في ظروف هيمن فيها الغرور الرهيب على عقول وقلوب وقرارات القوى المهيمنة على العالم، تلاحظ هذه المعاني في قول الأستاذ: "إنّ غروراً رهيباً ناشئاً من الغفلة وحب الدنيا، يجري حكمه في هذا الزمان، فعلى أهل الحق ترك الغرور والأنانية وقصد المنافع حتى لو كان في طريق مشروع أيضاً"، وفي هذا السياق ينصح بالنسج على وفق مسلك طلاب رسائل النور الحقيقيين الذين أذابوا أنانيتهم الشبيهة بقطعة ثلج في الشخص المعنوي والحوض المشترك للجماعة، لا يتزعزعون بإذن الله في غمرة هذه العواصف والأعاصير^(١).

رابعاً: المهمة المستعجلة في ظل الظروف المشار إليها.

حدّد الأستاذ بناء على التشخيص السابق المهامّ المستعجلة، والتي يمكن أن نلخصها في ضوء رسائل النور ومن الرسائل نفسها، وقد لخصه قول الأستاذ: إنّ مسلكنا ترك الأنانية والغرور والالتزام بالأخوة، وتحقيق هذه الخلال في الواقع يمنع جملة من الأمراض المعنوية ويمكن بنقائضها من الخصال الطيّبة، فيمكن من خلالها تحقيق جملة من النتائج منها:

١- استعادة صلة الرحم بين مكوّنات المجتمع:

إنّ الأنانية رأس البلاء الاجتماعي فهي السبب في قطع صلة الرحم بين طبقة الخواص والعوام، ومن نتائجها المباشرة أن يكون العوام مصدراً للاضطرابات وصرخات الانتقام، وتنفث في النفوس الحسد والحقد، فيكون ردّ فعل الخواص سلبياً في حق العوام، ويُصلّوهم نار الظلم والإهانة والتكبر ودواعي التحكم، إنّ تمكّنا من استئصال الأنانية والالتزام بمتطلبات الأخوة يدفع العوام إلى الطاعة والتودد والاحترام والإنقياد، ويعاملهم الخواص بناء على ذلك بالإحسان والرحمة والشفقة والتربية^(٢).

٢- تكوين سدّ منيع ضد التخريبات :

ترفع فلسفة العمل الإيجابي الوعي بمتطلبات اللحظة التي نتحرّك فيها، الأمر المستعجل في الوقت الراهن منع التخريبات الداخلية في العالم الإسلامي، لأجل منع انتشار التخريب

(١) راجع الشعاعات ٣٧٦: بتصرف.

(٢) راجع الشعاعات ٣٩٨-٣٩٩.

الدولي في بلداننا، وهذا يستوجب مجابهة الهجمات الخارجية بالقوة، ينبغي داخلها الوقوف أمام التحريبات المعنوية بشكل ايجابي بناء، وطريقه الرئيس الإخلاص التام. ولهذا قال الأستاذ: "نحن نقوم بالعمل الايجابي البناء بكل ما نملك من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي. فالفرق عظيم بين الجهاد الداخلي والخارجي في الوقت الحاضر".

٣- التحرر من أسر الدنيا:

المبالغة في الالتفات الدنيا وجعلها أكبر هم ومبلغ القوتين المادية والمعنوية، مانع قوي من تفعيل "العمل الايجابي" ذلك أنّ الالتفات إلى الدنيا يخرج عن الجادة، وكلّما تحرّر الإنسان المسلم منها تيسّر لنا التعامل، وانطباع العمل الإيجابي في النفس يدفع إلى التعاون على تأمين الأمن بشكل ايجابي. وبسبب هذه الحقائق وأمثاله يمكن أن نطمح في مساهمة الظالمين.

٤- الحذر من مهاجمة العلماء المخالفين:

يعمل العمل الإيجابي الممكّن من النفس على استحضار متطلبات الواجب الوقي والمتمثّل في الامتناع عن مهاجمة العلماء المخالفين أو المخطئين، ولهذا ينصح الأستاذ بعدم مهاجمة بعض العلماء الذين خرجوا عن الجادة بتقديرهم لبعض إلقاءات العصر أنّها ضرورة، وركنوا إلى البدع، فقال: "لا تصادموا هؤلاء المساكين الذين ظنوا الأمر ضرورة، بدون علم وعملوا وفقها. ولهذا فنحن لا نقوم باستعمال قوتنا في الداخل. فلا تتحرشوا بهم وإن كان المعارضون لنا من العلماء الأئمة. إنّني قد تحملت وحدي المعارضات كافة، ولم افتر مقدار ذرة قط. ووقّفت في تلك الخدمة الإيمانية بإذن الله. فالآن رغم وجود ملايين من طلبة النور، فإنني أسعى بالعمل الايجابي وتحمل جميع مظالمهم وإهاناتهم وإثاراتهم"، فتلاحظ أنّ العمل الإيجابي دفع الأستاذ إلى تحمّل المظالم والإهانات، وهو ما يريد أن يكون التحقق به سببا في تحمّل مثلتها من قبل طلبة النور، وكلّ من قرأ رسائل النور اقتنع بالعمل الإيجابي.

٥- تعاون الجميع على مساندة الدين:

تحقق القلب بالعمل الايجابي، ييسّر التعاون بين مختلف مكوّنات المجتمع، لهذا فإنّ رسائل النور أورث قناعة تامة بأنّ الديمقراطيين يساندون الدين ولا يخالفونه. لذا فإنّ التعرض للرسائل يمنع خيرا عميما بالحد من التمكين للعمل الإيجابي، ويكون في ذلك ضرر كبير

للوطن والملة، ومن باب التعاون على الخير ثمن الأستاذ تعاون عموم الناس على الخير بفضل الله الذي يسر للناس استيعاب ووعي مهمّة رسائل النور، قال الأستاذ: "نحن الآن نشكر الله عز وجل. إذ قد شعر - إلى حد ما - أحد الأحزاب السياسية هذا الأمر فلم يقم بمنع هذه المؤلفات. ولم يمنع نشر رسائل النور التي تثبت بان الحقائق الإيمانية تذيب أهل الإيمان جنة معنوية في هذه الدنيا. بل سمح على نشرها وتخلي عن مضايقة ناشريها".

خامساً: صفات أصحاب الهمة الذي يقومون بهذه المهمة:

١ - التحلي بالإخلاص التام: التحلي عن الانانية وحب النفس. حتى يتم إنقاذ الإيمان بالتقلى بالإخلاص الحقيقي. ولله الحمد والمنة، مادام الإخلاص التام هو مسلكنا. فبمقتضى الإخلاص التام لابد من التضحية والفداء ليس بالأنانية فحسب، بل لو منحت سلطنة الدنيا يستوجب تفضيل مسألة إيمانية واحدة باقية على تلك السلطنة. لذا فقد فضل نكتة دقيقة قرآنية في آية واحدة أو في حرف منها في الحرب، وفي الخط الامامي بين قنابل مدافع الأعداء فامر طالبه المسمى ب حبيب: اخرج الدفتر فأملى عليه تلك النكتة وهو يمتطي صهوة جواده. أي انه لم يترك حرفاً واحداً ونكتةً واحدة من القرآن الكريم مقابل قنابل الأعداء بل يفضلها على إنقاذ حياته.

٢ - المسكونية بالخدمة الإيمانية: القيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله. إننا مكلفون بالتحمل بالصبر والتقلى بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي.

٣ - عدم قبول التحكّم والتسلّط.

٤ - القدرة على تحمّل الصعاب لأجل الأمن والإستقرار.

٥ - الحفاظ على الأمن والاستقرار.

٦ - الثقة بأنّ النصر والهزيمة أمر إلهي.

٧ - العمل قبل القول، ولا يكون القول مقبولا إلاّ إذا كان عملاً أو طريقاً للعمل، لأنّ

"العمل الايجابي البناء، وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عدااء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً"^(١).

٨ - تحري روابط الوحدة الكثيرة التي تربط المشارب المعروضة في ساحة الاسلام - مهما كان نوعها - والتي ستكون منابع محبة ووسائل اخوة واتفاق فيما بينها فيتفق معها^(٢).

٩ - التحلي بالإنصاف وتقدير موضوعي لأولويات: اتخاذ دستور الانصاف دليلاً ومرشداً علامة صحية، ويقدم في هذا سياق توجيهها مفاده أن لكل صاحب مسلك حق يستطيع القول: "إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل" من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: "الحق هو مسلكي فحسب" أو "أن الحسن والجمال في مسلكي وحده" الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها.

١٠ - العلم بأن الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي وأحد منابع العزة الاسلامية.

١١ - الحفاظ على الحق والعدل بايجاد شخص معنوي، وذلك بالاتفاق مع اهل الحق للوقوف تجاه اهل الضلالة والباطل الذين اخذوا يغيرون بدهاء شخص معنوي قوي في صورة جماعة على اهل الحق - بما يتمتعون به من تساند واتفاق - ثم الادراك بان اية مقاومة فردية - مهما كانت قوية - مغلوبة على امرها تجاه ذلك الشخص المعنوي للضلالة.

١٢ - الشجاعة على إنقاذ الحق من صولة الباطل.

١٣ - ترك غرور النفس وحفظها.

(١) اللمعة العشرون - ص: ٢٢٨.

(٢) اللمعة العشرون - ص: ٢٢٩.

١٤ - وترك ما يُتصور خطأً انه من العزة والكرامة.

١٥ - وترك دواعي الحسد والمنافسة والأحاسيس النفسانية التافهة.

وبهذا نطمح في أن نظفر بالإخلاص ويوفي الإنسان وظيفته حق الوفاء ويؤديها على الوجه المطلوب^(١).

الخاتمة

تبنى الأستاذ في آخر درس له العمل الإيجابي البناء مسلكا أساسيا في مواجهة أحداث العصر، وأكدنا في البحث بأنّ "العمل الإيجابي" غير ما حلمه عليه كثير من الباحثين، فهو معنى خاص له أبعاده الوظيفية والمعرفية، يفرض محبة هذا المسلك، ومحبة الخلق والسعي إلى خدمتهم، وإهمال معاداة المعاندين وتهويلاتهم أو تهويناتهم من حيث أصل التوجه إلى الخدمة الإيمانية الإنسانية، ومبناه الباعث الأصلي الذي هو الإخلاص.

وتحرّك الأستاذ في التأكيد على هذا المبدأ بناء على معرفته الدقيقة بحال الوسط المستقبل للفكرة داخليا وخارجيا، وقد خلّصنا إلى أنّ هذا التحليل ما زال صحيحا قابلا للتفعيل، وقد أسس ذلك بناء على معرفته بمبراد القوى الغربية المهيمنة، وتنبهه على أثر الصراع السياسي في البلاد الإسلامية، محدّرا من الأمراض المزمنة التي أصابت الإنسانية والأمة الإسلامية، وخاصة الأنانية وحب النفس، واشتهاء قضاء حياة جميلة في ظل مباهج وزخارف المدنية الجذابة، وضياح الأمن والاستقرار، وشيوع التخريبات الخارجية والداخلية، وهذا يفرض التحلي بالمبادئ الباعثة على العمل الإيجابي البناء، رأسها الإخلاص التام، وتوحيد القبلة، والإيمان بالآخرة، والحذر من الغرور، وبما أنّ حركتنا في واقع له معطياته المخصوصة حدّد الأستاذ المهمة المستعجلة في ظل الظروف المشار إليها، عمدتها استعادة صلة الرحم بين مكوّنات المجتمع، ووضع سدّ منيع ضد التخريبات، والتحرّز من أسر الدنيا، والحذر من مهاجمة العلماء المخالفين، وتعاون الجميع على مساندة الدين، وهذا لا يقوم به إلاّ من تحلى بصفات أصحاب الهمة الذي يقومون بهذه المهمة، قلبها التحلي بالإخلاص التام، والمسكونية بالخدمة الإيمانية، وعدم قبول التحكّم والتسلّط، وتحمل الصعاب، والحفاظ على الأمن والاستقرار، وترك دواعي الحسد والمنافسة والأحاسيس النفسانية التافهة.

(١) اللمعة العشرون ص: ٢٢٩.

العمل الإيجابي البناء لإعلاء كلمة الله أو الجهاد المعنوي في رسائل النور

د. محمد عبد اللطيف عيد حامد

تقديم:- عند دراسة حياة النورسي نلاحظ أن حياته كلها كانت جهادا سواء في مرحلة سعيد القديم أو سعيد الجديد هذا على المستوى العملي وعلى المستوى الفكري نجد بديع الزمان يؤكد على أن الجهاد واجب بغرض إعلاء كلمة الله.. ويحذر النورسي من ترك الجهاد اعتقادا في السبب وخوفا من الدول والجيوش القوية يقول النورسي لكل ضعيف جبان: "أيها الخائف الضعيف! إن خوفك وضعفك يذهبان سدى، لا طائل وراءه بل يكونان عليك لا لك. لأنهما يشجعان الآخرين ويثيران شهيتهم لافتراسك إن الله أن يختبر عبده وليس للعبد أن يختبر ربه. أيها المرتاب إن مصلحة محققة لا يضحي بها في سبيل مضرة موهومة فعليك بالسعى والنتيجة موكولة إلى الله تعالى"^(١) كما يثمن النورسي مفاهيم: الفتوة.. والقوة في خدمة الحق.. والتدافع مع الباطل لتخليص الحق وإظهاره يقول: (إن ظل حق كامنا في طور القوة _أى لم يخرج إلى طور الفعل المشاهد - او كان مشوبا بشيء آخر أو مغشوشا وتطلب الأمر كشف الحق وتزويده بقوة جديدة وجعله خالصا زكيا يسلط عليه مؤقتا باطل حتى يخلص الحق - نتيجة التدافع - من كل درن فيكون طيبا. ولتظهر مدى قيمة سبيكة الحق الثمينة جدا)^(٢). وينبه النورسي الى الأهمية الكبرى للجهاد المعنوي في عصرنا هذا خصوصا إزاء القوى الهدامة: (من المعلوم أن عشرين شخصا في عشرين يوما لا يستطيعون بناء عمارة واحدة في حين يستطيع أن يهدمها شخص واحد في يوم واحد. لذا فالذى يقوم بالهدم والدمار ينبغي أن يقابل بعشرين ممن يبنون ويعمرون)^(٣).

الجهاد المادى بالقوة واليد في رسائل النور: يؤيد النورسي الجهاد المادى باليد عندما تدعو الحاجة إليه - أى في مواجهة العدوان الخارجى أساسا - فلقد كان واحدا من أشد المقاتلين الأبطال في الدفاع عن وطنه فالمليشيات التي كونها في شرقى الأناضول والتي سميت أصحاب القبعات اللباد كانوا مقاتلين أشداء ضد الثوار الأرمن وكذلك ضد الروس.

وهناك أمر يجب عدم إغفاله كذلك وهو أن بديع الزمان لم يترك قلمه عندما كان يقاتل ضد العدوان الروسى وكان يترفع عن النزول إلى الخندق حتى تحت القصف المدفعى الروسى المكثف واستمر فى تفسير أسرار القرآن وهو يملئ على كاتب أثناء امتطائه لجواده. وعندما بدأ القائد الانجليزى الذى احتل استانبول فى بذر بذور الخلاف بين المسلمين والوقية بين العلماء قام النورسى بتأليف كتابه الخطوات الست ضد الانجليز وضد اليونانيين مما ساعد على إبطال خططهم الجهنمية وما إن علم القائد الإنجليزى بذلك حتى قرر إعدام النورسى ولكن تخلى عن هذا القرار خوفا من إثارة الرأى العام ضده. فلما دعاه قادة التحرير فى الأناضول لتكريمه إثر علمهم بذلك رفض الدعوة قائلا: إننى أريد أن أجاهد فى أكثر الأماكن خطرا وليس من وراء الخنادق وأرى أن مكافئ هذا أخطر من الأناضول^(٤). ويقول: (إن التودد إلى وحش جائع لا يثير شفقتة بل يثير شهيته فضلا عن أنه يطالب بأجرة أنيابه وأظفاره)^(٥).

هدف الجهاد فى رسائل النور: أكد النورسى أن الهدف الأكبر للجهاد المفروض على كل المسلمين هو إعلاء كلمة الله وأن السبيل إلى ذلك هو التقدم المادى. يقول: فى زماننا هذا يتوقف إعلاء كلمة الله على التقدم المادى والدخول فى مضمار المدنية الحقيقية. ولاريب أن شخصية العالم الاسلامى المعنوية سوف تدرك وتحقق فى المستقبل تحقيقا تاما ما يتطلبه الإيمان من الحفاظ على عزة الإسلام.. وكما أن رقى الإسلام وتقدمه فى الماضى كان بالقضاء على تعصب العدو وتمزيق عناده ودفع اعتداءاته.. وقد تم ذلك بقوة السلاح والسيف.. فسوف تغلب الأعداء ويشنت شملهم بالسيوف المعنوية - بدلا من المادية - للمدنية الحقيقية والرقى المادى والحق والحقيقة^(٦). ويقول: كل مؤمن مكلف بإعلاء كلمة الله - يعنى الجهاد- وأعظم وسيلة لإعلاء كلمة الله فى زماننا هذا هو الرقى المادى إذ الأجانب يسحقوننا تحت تحكمهم المعنوى بسلاح العلوم والصنائع ونحن سنجاهد بسلاح العلم والتقنية الجهل والفقر والخلاف الذى هو ألد أعداء إعلاء كلمة الله. أما الجهاد الخارجى فنحيله إلى السيوف الأمامية للبراهين القاطعة للشريعة الغراء لأن الغلبة على المدنيين إنما هى بالإقناع وليس بالإكراه كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئا^(٧). ويقول (إن الظهور على الأعداء والغلبة عليهم لا يقتصر على الجهاد المادى..... وإياكم والظن بأن الجهاد هو جهاد مادى فحسب)^(٨) (لو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال

حقائق الإيمان لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجا. بل لربما رضخت دول العالم وقاراته للإسلام. إن البشرية التي أخذت تصحو وتتيقظ بنتائج العلوم والفنون الحديثة، أدركت كنه الإنسانية وماهيتها، وتيقنت أنه لا يمكنها أن تعيش هملاً بغير دين^(٩).

الجهاد المعنوي: يضع النورسي مصطلح الجهاد المعنوي الذي يعنى: (العمل الإيجابي البناء وليس السعى السلبي الهدام. والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله إننا مكلفون بالتجمل بالصبر والتقلد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي)^(١٠) ويدعو النورسي إلى عدم الإقلال من شأن الجهاد المعنوي وعد مسأله- التي ربما هي على جانب عظيم من الأهمية - جزئية وبسيطة: (فكما أن مرابطة جندى في ثغر من الثغور الإسلامية - ضمن شرائط خاصة مهمة - لساعة من الوقت قد تكون بمثابة سنة من العبادة فإن يومك الثمين هذا الذي تصرفه في مسألة جزئية من مسائل الجهاد المعنوي ولا سيما في هذا الوقت العصيب الذي غلب أهل الحق فيه على أمرهم أقول إن يومك هذا ربما يأخذ حكم ساعة من مرابطة ذلك الجندى، أى يكون ثوابه عظيماً بل ربما يكون يومك هذا كآلف يوم إذ ما دام العمل لوجه الله وفي سبيله فلا ينظر إلى صغره وكبره ولا إلى سموه وتفاوته فالذرة في سبيل رضاه سبحانه مع الإخلاص تصبح نجمة متأللة فلا تؤخذ ماهية الوسيلة بنظر الاعتبار وإنما العبرة في النتيجة والغاية وحيث أنها رضى الله سبحانه وأن أساس العمل هو الإخلاص فلن تكون تلك المسألة اذن مسألة صغيرة بل هي كبيرة وعظيمة)^(١١) (إن في مسلكنا قوة إلا أننا لم نقم باستعمالها إلا في تأمين الأمن الداخلي اتباعاً لدستور الآية الكريمة ﴿وَلَا تُزْرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾^(١٢) أى لا يجوز معاقبة انسان بجريرة غيره أو أحبائه. إن هذه القوة لا يمكن استعمالها إلا ضد الهجمات الخارجية. إن وظيفتنا - وفق دستور الآية المذكورة هي الإعانة على ضمان الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة) (أجل يستوجب مجابهة الهجمات الخارجية بالقوة) (أما في الداخل فالأمر ليس كذلك. ففي الداخل ينبغي الوقوف أمام التخريبات المعنوية بشكل إيجابي بناء، وبالإخلاص التام. إن الجهاد في الخارج يختلف عما هو في الداخل. وقد أحسن إلى المولى بملايين من الطلاب الحقيقيين فنحن نقوم بالعمل الإيجابي البناء بكل ما نملك من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي. فالفرق عظيم بين الجهاد الداخلي والخارجي في الوقت الحاضر)^(١٣) (إخواني

لا تهاجموا بعض العلماء الذين ظنوا بعض إلهاءات العصر ضرورة، وركنوا إلى البدع. لا تصادموا هؤلاء المساكين الذين ظنوا الأمر ضرورة بدون علم وعملوا وفقها. فنحن لا نقوم باستعمال قوتنا في الداخل. فلا تتحرشوا بهم وإن كان المعارضون لنا من العلماء الأئمة إنني قد تحملت وحدي المعارضات كافة، ولم أفتر مقدار ذرة قط. ووفقت في تلك الخدمة الإيمانية بإذن الله. فالآن رغم وجود الملايين من طلبة النور، فإنني أسعى بالعمل الإيجابي وأتحمل جميع مظالمهم وإهاناتهم وإتارتهم. إننا لا نلتفت إلى الدنيا، فإذا ما نظرنا إليها فنحن لا نسعى سوى معاونتهم فيها. فنحن نعاونهم في تأمين الأمن بشكل إيجابي. وبسبب هذه الحقائق وأمثالها نحن نسامحهم حتى لو عاملونا بالظلم^(١٤) (على إخواني في الآخرة أن يتجاوزوا عن المحجوم على أخطاء بعض المخطئين المساكين، وليعدوها من قبيل أهون الشرين. وليقوموا بالعمل الإيجابي دائما. لأن العمل السلبي ليس من وظيفتنا. ولأن العمل السلبي في الداخل لا يغتفر. وما دام قسم من السياسيين لا يلحقون الضرر برسائل النور، بل مسامحون قليلا. لذا انظروا إليهم كـ "أهون الشرين" ومن أجل التخلص من الشر الأعظم فلا تمسوهم بسوء بل حاولوا أن تنفعوهم. وكذا إن الجهاد المعنوي في الداخل هو العمل ضد التخريبات المعنوية وإنه ليس ماديا قط.. وإنما يستوجب القيام بخدمات معنوية. لذا فكما لم نتدخل بأمر أهل السياسة فلا يحق لأهل السياسة أن ينشغلوا بنا)^(١٥).

- حينما يرسل شيخ الإسلام مصطفى صبري - آخر شيوخ الإسلام بالدولة العثمانية - أحد تلامذته إلى الشيخ النورسي عند عودته من مصر إلى استانبول - وكان يدرس بالأزهر - أرسل تلميذه هذا سائلا النورسي: ما عدد طلابكم؟ أجاب النورسي: لي خمسمائة ألف طالب وخادم للقرآن. يقول الشيخ مصطفى صبري - على لسان تلميذه-: إذن ماذا ينتظر؟ ولماذا لا يبدأ بجهاد إسلامي مع هذا العدد من طلابه؟ يقول النورسي: بلغ سلامي له أولا ثم قل له: "إن دعوتنا هي الإيمان، والجهاد يلي الإيمان، وإن زماننا هذا هو زمان خدمة الإيمان ووظيفتنا هي الإيمان وخدمتنا تنحصر في الإيمان..". ولما رجع التلميذ إلى مصر وبلغ الشيخ مصطفى صبري بالرد قال: حقا إن الأستاذ النورسي هو المحق، نعم إن ما قاله صدق وصواب، فقد وفقه الله في مسعاه أما نحن فقد أخطأنا حيث ثبت هو في البلاد ونحن غادرناها^(١٦).

الإخلاص ودوره فى الجهاد: يؤكد النورسى على الإخلاص فى الجهاد المعنوى يقول: (ما دام الإخلاص التام هو مسلكنا فبمقتضى الإخلاص التام لابد من التضحية والفداء ليس بالأنانية فحسب بل لو منحت سلطنة الدنيا يستوجب تفضيل مسألة إيمانية واحدة باقية على تلك السلطنة لذا فقد فضل نكتة دقيقة قرآنية فى آية واحدة أو فى حرف منها فى الحرب وفى الخط الأمامى بين قتابل مدافع العداة فأمر طالبه المسمى حبيب: "أخرج الدفتر" فأملى عليه تلك النكتة وهو يمتطى صهوة جواده. أى أنه لم يترك حرفا واحدا ونكتة واحدة من القرآن الكريم مقابل قتابل الأعداء بل يفضلها على إنقاذ حياته)^(١٧) ويقول: (أخى ليس هناك إنسان لا يفتح الله قلبه للإسلام ، فعلى الذين يعملون فى خدمة الإسلام أن يكونوا ناهمين واعين، إذ الانسان يشبه قصرا ذا مائة باب ولا بد أن هناك بابا يدخل منه إلى ذلك القصر، ثم تفتح الأبواب كلها. بيد أن منافقى آسيا وزنادقة أوروبا منذ ألف سنة يعملون بالمكر والدسائس حتى أعموا عيون أبناء هذا الوطن وحجروا على عقولهم فصدوا تسعة وتسعين بابا أمام الإسلام إلا باب الفطرة فهو مفتوح دائما. فالمؤمن بفراسته يمكن أن يكشف الباب المفتوح وعند الدخول من هذا الباب للإسلام سوف تفتح الأبواب المسدودة الأخرى لأجل الإسلام فإذا ما غذى الإنسان بموازين رسائل النور الملائمة لفطرته ولم يستعجل الأمور وأخذ بالإخلاص وتمسك به فسينشرح بإذن الله قلب الشخص المقابل للإسلام. أما إذا بنى الإنسان عمله على الإستعجال ومناقشة الأمور الجانبية واتهام الشخص المقابل فهذا يعنى أنه يتوجه إلى الأبواب المسدودة فيتسبب فى غلق الباب المفتوح كذلك)^(١٨).

- ينبه الأستاذ على عدم الانخداع بالكمية - فى الجهاد المعنوى- يقول أحد تلامذته: "كان الأستاذ يطلب منا دائما أن نكون صادقين وصبورين ومضحين وثابتين فى الخدمة القرآنية. قال لى ذات مرة: يا ترى كم عدد الطلاب الذين يقرأون رسائل النور فى مدرستكم؟ فأجبت: سبعون طالبا. رد قائلا: ياللعجب، كنت أظن أن فى تلك المدرسة طالبا واحدا يقرأ رسائل النور ولكنك تقول بأنهم سبعون شخصا ومضى قائلا: - أخى إن الكمية تخدع الإنسان ولكن الأهم هو النوعية فلئن أصبحت وسيلة لإنقاذ إيمان شخصين اثنين فقد أنجزت وظيفتك طوال حياتك الدراسية، فالإخلاص ليس فى

الكمية بل في النوعية، وهذه هي الخدمة القرآنية... ثم حدثت أمور لم يبق منهم فعلا إلا طالب واحد....! (١٩).

ينبه النورسي إلى أهمية التقوى واتخاذها أساسا في الأعمال كلها في الجهاد المعنوي - حسب وصفه - فيدعو النورسي إلى: (اتخاذ التقوى أساسا في الأعمال كلها ثم التحرك وفقها أمام تيار الدمار الرهيب المهاجم والآثام المحيطة بهم، إذ يواجه الإنسان ضمن أنماط الحياة الاجتماعية الحاضرة مئات من الخطايا في كل دقيقة فالتقوى هي التي تجعل - دون ريب- الإنسان كأنه يقوم بمئات من الأعمال الصالحة وذلك باجتنابه تلك المحرمات). (لذا فالجهاد المعنوي ضد هذا التيار الجارف يعد بإذن الله جهادا عظيما الثواب إذ فيه قبس من جهاد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الذين يثابون بعمل قليل ثوابا عظيما) (٢٠).

- **المحبة بدل العداوة:** يدعو النورسي إلى التخلي عن الصراع والجدال والعداء - عداء الانسان لأخيه الانسان - قائلا: (إن العداء ظلم شنيع يفسد حياة البشر الشخصية والاجتماعية والمعنوية بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة. ويذكر النورسي عدة أوجه من وجوه هذه الحقيقة منها:

أ- أن عداء الانسان لأخيه الانسان ظلم في نظر الحقيقة: لأنه لا يجوز عداء المؤمن لمجرد صفة مجرمة فيه مع أنه قد يتحلى بتسع صفات بريئة.

ب- العداء ظلم في نظر الحكمة إذ العداء والمحبة نقيضان فهما كالنور والظلام لا يجتمعان معا بمعنهما الحقيقي أبدا فإذا ما اجتمعت دواعي المحبة وترجحت أسبابها فأرست أسسها في القلب استحالت العداوة إلى عداء صوري بل انقلبت إلى صورة العطف والإشفاق على من تعاديه. إن الإيمان يرشدك إلى أن خالقكما واحد معبودكما واحد رازقكما واحد وهكذا فلئن كان هناك هذا القدر من الروابط التي تستدعي الوحدة والوفاق والاتفاق والمحبة فما أظلم من يعرض عنها جميعا ويفضل عليها أسبابا واهية تلك التي تولد الشقاق والنفاق والحقد والعداء) (٢١).

ج- من هذا المنطلق ورغبة في التعاون بين كل المؤمنين نظر النورسي بارتياح كبير إلى اتفاقية بغداد المتوصل اليها في عام ١٩٥٥ والمشارك فيها كل من تركيا والعراق وايران وباكستان وبريطانيا العظمى لأنها منحت للأتراك أربعمئة مليون أخ من المسلمين وأكسبتهم صداقة ثمانمئة مليون نصراني.

(إن أجدر شيء بالمحبة هو المحبة نفسها وأجدر صفة بالخصومة هي الخصومة نفسها. أى أن صفة المحبة التي هي ضمان الحياة الاجتماعية البشرية والتي تدفع إلى تحقيق السعادة هي أليق للمحبة وإن صفة العداوة والبغضاء التي هي عامل تدمير الحياة الاجتماعية وهدمها هي أقبح صفة وأضرها وأجدر أن تتجنب وتنفّر منها. لقد انتهى عهد العداوة والخصام. ولقد أظهرت الحريان العالميتان مدى ما في روح العداوة من ظلم فظيع ودمار مريع. وتبين أن لا فائدة منها البتة. وعليه فلا ينبغي أن تجلب سيئات أعدائنا - بشرط عدم التجاوز - عداوتنا، فحسبهم العذاب الإلهي ونار جهنم. إن غرور الإنسان وحبه لنفسه قد يقودان أحيانا إلى عداة إخوانه المؤمنين ظلما ومن دون شعور منه فيظن المرء نفسه محقا. مع أن مثل هذه العداوة تعد استخفافا بالوشائج والأسباب التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض - كالإيمان والإسلام والإنسانية - وخطا من شأنها وهي أشبه ما يكون بحماقة من يرجح أسبابا تافهة للعداوة كالحصيات على أسباب بحسامة الجبال الراسيات للود والمحبة. فمادامت المحبة مضادة للعداوة ومنافية لها فلا تجتمعان قطعا كما لا تجتمع الظلمة والنور، فالذى تتغلب أسبابه على الآخر هو الذى يجد موضعه في القلب بحقيقته. أما ضده فلا يكون بحقيقته. فمثلا إذا وجدت المحبة بحقيقتها في القلب فإن العداوة تنقلب حينئذ إلى الرأفة والشفقة. وهذا هو الوضع تجاه أهل الإيمان^(٢٣).

حينما يسئل النورسى: كيف تشير إلينا بمحبة اليهود والنصارى مع أن القرآن الكريم ينهى عن ذلك بقوله تعالى ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾^(٢٣)؟ يجب قائلا: أولا: كما يلزم أن يكون الدليل قطعى المتن يلزم كذلك أن يكون قطعى الدلالة، مع أن للتأويل والاحتمال مجالا، لأن النهى القرآنى ليس بعام بل مطلق، والمطلق قد يقيد، والزمان مفسر عظيم، فإذا ما أظهر قيده فلا اعتراض عليه. وأيضا إن كان الحكم قائما على المشتق فإنه يفيد علية مأخذ الاشتقاق للحكم. فإذا المنهى عنه في هذه الآية الكريمة هو محبتهم من حيث ديانتهم اليهودية والنصرانية. وأيضا لا يكون المرء محبوبا لذاته، بل لصفته وصنعتة لذا فكما لا يلزم أن تكون كل صفة من صفات المسلم مسلمة كذلك لا يلزم أن تكون جميع صفات الكافر وصنعتة كافرة أيضا: فعلى هذا لم لا يجوز اقتباس ما استحسانه من صفة مسلمة أو صنعة مسلمة فيه؟ فإذا كانت لك زوجة كتابية، لا شك أنك تحبها. ثانيا: لقد حدث انقلاب ديني عظيم في العصر النبوى السعيد، وجه كل الأفكار والأذهان نحو الدين،

فارتبطت بالدين جميع الحسيات والمشاعر فكانت العداوة والمحبة تدوران حول ذلك المحور (الدين) لهذا كانت تشتم رائحة النفاق من المحبة لغير المسلم. ولكن الانقلاب الحاضر العجيب في هذا العالم هو انقلاب مدني وديني فالمدينة والرقى الديني يجذبان العقول كلها ويشغلانها ويشدان بهما جميع الأذهان فضلا عن أن معظم غير المسلمين ليسوا ملتزمين التزاما جادا بدينهم أساسا. فعلى هذا فإن محبتنا لهم ما هي إلا لإقتباس ما استحسانه من مدنيتهم وتقدمهم ولأجل المحافظة على نظام البلاد وأمنها الذي يعد أساس سعادة الدنيا، فهذه الصداقة لا تدخل قطعا ضمن النهي القرآني^(٢٤). وفي موضع آخر يقول النورسي: "نحن نقبل يد المعاونة ولا نقبل يد المعادة فهما شيئان متغايران لأن كل صفة من صفات الكافر ليست بكافرة أو ناشئة من كفره، لذا لا مشاحة في مصافحة يد الكافر الذي مدها لمعاونة الإسلام. وذلك لدفع عدو الإسلام المعتدى العريق بل قبولها إنما هو خدمة للإسلام أما انت أيها الكافر الملعون فتمد يد الخصومة التي لا تهدأ وتريد منا تقبيلها مع الإستسلام ونحن نعلم أن مسها فضلا عن تقبيلها جناية على الإسلام وعداء له"^(٢٥).

التعاون والعمل الجماعي في الجهاد المعنوي في العصر الحالي:- على

عكس ماقرره فلاسفة المدنية الغربية- أمثال فوكوياما- من قيام الحضارة الحديثة على الصراع والبقاء للأقوى لا للأصلح وأنه لا بد من وجود عدو وأن العدو- المفترض- بعد القضاء على الدولة الشيوعية هو الإسلام على عكس ذلك يقرر الإسلام إن قيام الحياة على التعاون: (إن مما يدل على أن دستور الحياة هو التعاون دون الجدال كما توهمته الفلاسفة الضالة المضلة عدم مقاومة التراب الصلب ولا الحجر الصلد لسريان لطائف رقائق عروق النباتات اللينة اللطيفة، بل يشق الحجر قلبه القاسى بتماس حديد أصابع بنات النباتات، ويفتح التراب صدره المصمت لسريان رائد النباتات. نعم تجاوب أعضاء الكائنات بشمسها وقمرها لمنفعة الحيوانات، وتسارع النباتات لإمداد أرزاق الحيوانات البدن دليل قاطع على أن الدستور العام هو التعاون وما الجدال إلا دستور جزئي بين قسم من وتسابق مواد التغذية لترزيق الثمرات وتزين الثمرات لجلب أنظار المرتزقات وتعاون الذرات في الامداد لغذاء حجيرات الحيوانات الظالمة)^(٢٦).

- يذكر النورسي أن: "في التعاون والاجتماع سرا عجيبا. لأنه إذا اجتمع حسن ثلاثة أشياء صار كخمسة وخمسة كعشرة وعشرة كأربعين بسر الإنعكاس. إذ في كل شيء

نوع من الإنعكاس ودرجة من التمثيل. كما إذا جمعت بين مرأتين تتراءى فيهما مرايا كثيرة أو نورتهما بالمصباح يزداد ضياء كل بإنعكاس الأشعة فكذلك اجتماع النكت والنقاط. ومن هذا السر والحكمة ترى كل صاحب كمال وصاحب جمال يرى من نفسه ميلا فطريا إلى أن ينضم إلى مثيله ويأخذ بيد نظيره ليزداد حسنا إلى حسنه. حتى إن الحجر مع حجرته إذا خرج من يد المعقد الباني في السقف المحذب يميل ويخضع رأسه ليماس رأس أخيه ليماسكا عن السقوط. فالإنسان الذى لا يدرك سر التعاون لهو أجمد من الحجر. إذ من الحجر من يتقوس لمعاونة أخيه" (٢٧).

- يثمن النورسى قيمة التعاون والتكامل في الجهاد المعنوى: (في مثل هذه الاوقات العصيبة وأمام هذه الأحداث الجسام فإن أعظم قوة لدينا - بعد قوة الإخلاص- هى قوة الإشتراك في الأعمال الأخروية إذ يكتب كل منكم في دفتر أعمال إخوته حسنات كثيرة مثلما يرسل بلسانه الإمداد والعون إلى قلعة التقوى وخنادقها) (٢٨).
- يؤكد النورسى في مواضع عديدة بالرسائل أن عصرنا هو عصر العمل الجماعى والمؤسسات وليس عصر العمل الفردى كما كان سابقا. ويؤكد على أهمية تشكيل جبهة موحدة من المؤمنين للعمل معا ضد عدوهم الأكبر المشترك وهو الإلحاد والزندقة والكفر والفقر والمرض. يقول: (إن هذا الزمان - لأهل الحقيقة- زمان الجماعة وليس زمان الشخصية الفردية وإظهار الفردية والأنانية. فالشخص المعنوى الناشئ من الجماعة ينفذ حكمه ويصمد تجاه الأعاصير. فلأجل الحصول على حوض عظيم ينبغى للفرد إلقاء شخصيته وأنانيته التى هى كقطعة ثلج فى ذلك الحوض وإذابتها فيه. وإلاستدوب حتما تلك القطعة من الثلج وتذهب هباءا وتفتت الفرصة من الإستفادة من ذلك الحوض أيضا. إنه لمن العجب وموضع الأسف إذ بينما يضيع أهل الحق والحقيقة القوة العظمى فى الإتفاق بالإختلاف فيما بينهم يتفق أهل الضلالة للحصول على القوة المهمة فيه -رغم اختلاف مشاربهم- فيغلبون تسعين بالمائة من أهل الحقيقة مع أنهم لا يتجاوزون العشرة بالمائة) (٢٩).

- حينما أسست جمعية باسم الإتحاد المحمدى سنة ١٩٠٩ م أثيرت أوهام وشبه رد عليها النورسى ردودا نحن فى حاجة شديدة إليها بعد كل هذا الوقت: (عندما نقول الإتحاد المحمدى الذى هو اتحاد الإسلام فالمراد هو الاتحاد الموجود الثابت بين جميع المؤمنين

بالقوة أو بالفعل. وليس المراد جماعة في استانبول أو في الاناضول إذ أن قطرة من ماء تحمل صفة الماء فلا أحد خارج هذا الاتحاد ولا يخصص هذا العنوان بأحد. وتعريفه الحقيقي هو: أن أساس هذا الاتحاد يمتد من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال.. ومركزه: الحرمين الشريفان.. وجهة وحدته: التوحيد الإلهي.. عهده وقسمه: الإيمان... نظامه الداخلي: السنة النبوية الشريفة.. قوانينه: الأوامر والنواهي الشرعية.. مقر اجتماعاته: جميع المدارس والمساجد والزوايا.. ناشر أفكار تلك الجماعة نشرًا خالدا إلى الأبد: جميع الكتب الإسلامية وفي المقدمة القرآن الكريم وتفسيره (ورسائل النور أحد تلك التفاسير في زماننا هذا) وجميع الصحف الدينية والجرائد النزيهة التي تهدف إلى إعلاء كلمة الله.. ومنتسبوه: جميع المؤمنين.. رئيسه: فخر العالمين ﷺ. والآن لنقف عند الصدد وهو: تيقظ المؤمنين وإقبالهم نحو الإسلام ولا ينكر ما للرأى العام من تأثير.. وهدف الاتحاد وقصده: إعلاء كلمة الله.. ومسلكه: الجهاد الأكبر للنفس وإرشاد الآخرين.. وهمة هذه الهيئة المباركة مصروفة بنسبة تسع وتسعين بالمائة إلى غير السياسة من تهذيب الأخلاق واستقامة السلوك وما شابهها من الفضائل والمقاصد المشروعة إذ إن الجمعيات المتوجهة إلى مثل هذه المقاصد نادرة علما أن أهميتها جليلة. وهناك واحد بالمائة من المقاصد يتعلق بالسياسة وهو إرشاد السياسيين.. سيوفهم: البراهين القاطعة.. مشربهم: المحبة وانماء المحبة المندمجة في بذرة الأخوة الموجودة بين المؤمنين لتصبح شجرة طوبى مباركة). (إننا نتحد مع الجماعات المتشكلة بدافع محبة الدين وخدمته وذلك على وفق شرطين اثنين: الشرط الأول: المحافظة على النظام العام للبلاد والحرية الشرعية. الشرط الثاني: انتهاج نهج المحبة، وعدم محاولة إظهار مزايا لها بانتقاص الجمعيات الأخرى بل الأولى مراجعة مفتي الأمة وجماعة العلماء فيما إذا ظهر خطأ). (إن الجماعة التي تهدف إلى إعلاء كلمة الله لن تكون وسيلة لأى غرض مهما كان وإذا تشبثت بالأغراض فلا يحالفها التوفيق قطعا لأنه نفاق، فشأن الحق عال وسام لا يضحى به من أجل أى شىء كان. كيف تكون نجوم الثريا مكانس، أو كيف تؤكل كعناقيد عنب؟ إن الذى يريد أن يطفىء شمس الحقيقة بالنفخ إنما يدل على بلاهته وجنونه. أيتها الصحف الدينية! إن قصدنا وهدفنا هو اتحاد الجماعات الدينية في

الهدف. اذ كما لا يمكن الاتحاد في المسالك والمشارب فلا يجوز أيضا، لأن التقليد يشق طريقه ويؤدي إلى القول: "مالى وما على فليفكر غيرى" (٣٠).

- في شرح النورسى لمعانى الدجال وعلامات الساعة يذكر: (لقد ثبت في الحديث الصحيح أن المتدينين الحقيقيين من النصارى سيتفقون في آخر الزمان مستندين إلى أهل القرآن للوقوف مع اتجاه عدوهم المشترك، لذا فأهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون أيضا إلى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى، فيتركوا مؤقتا كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعا لعدوهم المشترك الملحد المتعدى) ويشرح النورسى في موضع آخر معنى الرواية الصحيحة للحديث الشريف: (أن عيسى عليه السلام يقتل الدجال الأكبر) يقول إن أحد معانيه هو: أن الذى سيقتل الشخصية المعنوية لشخص الدجال - المقتول بسيف عيسى عليه السلام - ويبيد كيان الإلحاد الهائل والمادية الرهيبة التى كوئها، ويفنى ما يدعو إليه من الكفر بإنكار الألوهية، هم الروحانيون النصارى، فهؤلاء الروحانيون يهلكونه - ويقتلونه معنى - بقوة نابعة من مزجهم حقيقة النصرانية مع حقائق الإسلام. حتى إن ما ورد بأن عيسى عليه السلام سينزل ويقتدى بالمهدى فى الصلاة. يشير إلى هذا الاتفاق وإلى ريادة الحقيقة القرآنية وهيمنتها) (٣١).

- يوسع النورسى دائرة أهل النجاة استنادا إلى القرآن والحديث. فحينما يسئل عن كفاية "لا اله الا الله فحسب"؟ يجيب: (إن كلمتى الشهادة لا تنفك إحداها عن الاخرى ولا تفترقان بل تثبت إحداها الاخرى وتتضمنها فلا تكون إحداها إلا بالأخرى) (وكذا قالوا: إن كل الطرق مسدودة إلا المنهاج المحمدى. ولكن قد يكون أحيانا أن بعضهم يسلكون الجادة الأحمديّة ولكنهم لا يعلمون أنها جادة أحمديّة أو أنها داخلية ضمنها. وقد يكون أحيانا أنهم لا يعرفون النبى ولكن الطريق التى يسلكونها هى جزء من الجادة الأحمديّة). (إن عدم القبول شىء وقبول العدم شىء آخر فإن أمثال هؤلاء ممن لم يسمع أو لا يعلم وأمثالهم ممن لا يعرفون النبى أو لا يتفكرون فيه ليقبلوه ويرضوا به فإنهم يظلون جاهلين فى تلك النقطة ولا يعرفون غير "لا إله إلا الله" فى معرفة الله فهؤلاء ربما يكونون من أهل النجاة ولكن الذين سمعوا بالنبى وعرفوا دعوته إن لم يصدقوه يكونون من الذين يعرفون الله ولا يؤمنون به) (٣٢). وهناك كثيرون من أمثال هؤلاء فى الوقت

الحالى من أهل الكتاب خصيصا وصلتهم معلومات خاطئة عن النبي وافتراءات لا يعرف عنه غيرها فهؤلاء لا يعرفونه وربما يكونون من أهل النجاة ونحن مدعوون شرعا إلى تعريفهم حقيقة النبي والإسلام والإتحاد معهم بخلق شخص معنوى - على حد تعبير النورسى - ضد العدو المشترك: الإلحاد والكفر والفقر والمرض.

الفعالية والإيجابية وعدم اليأس والثقة بالله فى العمل للجهاد المعنوى:

يشمن النورسى قاعدة هامة: (ما لا يدرك كله لا يترك جله) وهو ما يعنى الفعالية المطلقة فى العمل وتحصيل أى نسبة ممكنة من الهدف الأساس وعدم اليأس مطلقا. يعد الأمل أى الأمل فى الرحمة الإلهية والثقة بها وشدة الإعتماد عليها أحد الأسس الهامة للنهوض بالأمم والشعوب الضعيفة. إن أشد ما يدفع دولنا الإسلامية فى علاقاتها الخارجية إلى الرضوخ والإذعان هو اليأس والسلبية. يقول النورسى: (إن اليأس داء قاتل وقد دب فى صميم قلب العالم الإسلامى. فهذا اليأس هو الذى أوقعنا صرعى - كالأموات - حتى تمكنت دولة غربية لا يبلغ تعدادها مليونى نسمة من التحكم فى دولة شرقية مسلمة ذات العشرين مليون نسمة فتستعمرها وتسخرها فى خدمتها. وهذا اليأس هو الذى قتل فىنا الخصال الحميدة وصرف أنظارنا عن النفع العام وحصرها فى المنافع الشخصية. وهذا اليأس هو الذى أمارت فىنا الروح المعنوية التى بها استطاع المسلمون أن يسيطروا سلطانهم على مشارق الأرض ومغاربها بقوة ضئيلة، ولكن ما إن ماتت تلك القوة المعنوية الخارقة باليأس حتى تمكن الأجانب الظلمة - منذ أربعة قرون - أن يتحكموا فى ملايين المسلمين ويكبلوهم بالأغلال".

"إن اليأس داء عضال للأمم والشعوب أشبه ما يكون بالسرطان"^(٣٣).

- على نقيض ذلك اليأس يثبت فىنا النورسى الأمل مذكرا بأنه "فى قلب العالم الإسلامى قد اجتمعت وامتزجت خمس قوى لا تقهر: القوة الأولى: الحقيقة الإسلامية التى هى أستاذ جميع الكمالات والمثل. القوة الثانية: الحاجة الملحة التى هى الأستاذ الحقيقى للمدنية والصناعات والمجهزة بالوسائل والمبادئ الكاملة وكذا الفقر الذى قصم ظهرنا. فالحاجة والفقر قوتان لا تسكتان ولا تقهران. القوة الثالثة: الحرية الشرعية التى ترشد البشرية إلى سبيل المنافسة نحو المعالى والتى تمزق أنواع الاستبداد والتى تهيج فكر المنافسة والتيقظ والميل إلى التجدد. القوة الرابعة: الشهامة الإيمانية المجهزة بالشفقة والرأفة أى لا يرضى الذل لنفسه أمام الظالمين ولا يلحقه بالمظلومين وبعبارة أخرى عدم مدهانة

المستبددين وعدم التحكم بالمساكين. وهو أساس مهم من أسس الحرية الشرعية. القوة الخامسة: العزة الإسلامية التي تعنى إعلاء كلمة الله. وفي زماننا هذا يتوقف إعلاء كلمة الله على التقدم المادى والدخول فى مضمار المدنية الحقيقية ولاريب أن شخصية العالم الإسلامى المعنوية سوف تدرك وتحقق فى المستقبل تحقيقا تاما ما يتطلبه الإيمان من الحفاظ على عزة الإسلام. وكما أن رقى الإسلام وتقدمه فى الماضى كان بالقضاء على تعصب العدو وتمزيق عناده ودفع اعتداءاته وقد تم ذلك بقوة السلاح والسيوف فسوف تغلب الأعداء ويشتت شملهم بالسيوف المعنوية - بدلا من المادية- للمدنية الحقيقية والرقى المادى والحق والحقيقة^(٣٤).

- الهمة والعمل وفق الشرع التكويني أو السنة الكونية:

١- حينما يسئل النورسى: كان المسلمون هم الأغنياء وكان أولئك - يقصد الغربيين- هم الفقراء، إلا أن الآية انعكست الآن، فما الحكمة؟ الجواب: هناك سببان لهذا حسب علمى: الأول: الفتور فى السعى وعدم الرغبة خلافا لما هو مستفاد من الأمر الربانى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٣٥) وانطفاء جذوة شوق الكسب المستفاد من الأمر النبوى بأن الكاسب حبيب الله وذلك نتيجة إحياء بعض الرجال وتلقينات قسم من الوعاظ الجاهلين، أولئك الذين لم يدركوا أن إعلاء كلمة الله فى الوقت الحاضر يتوقف على الرقى المادى..... ولم يتفهموا قيمة الدنيا (من حيث هى مزرعة الآخرة)... ولم يميزوا بين متطلبات القرون الوسطى والقرون الأخرى... ولم يفرقوا بين قناعتين بعيدتين عن بعضهما "القناعة فى التحصيل والكسب" وهى المذمومة والقناعة فى المحصول والأجرة وهى الممدوحة... ولم يتبينوا البون الشاسع بين "التواكل" الذى هو عنوان الكسل "والتوكل" الذى هو صدفه الإخلاص الحقيقى. فالأول: هو تكاسل فى ترتيب المقدمات وهو فى حكم التمرد على النظام القائم بين الأسباب التى هى مقتضى مشيئة الله تعالى. والآخر: هو توكل إيمانى فى ترتب النتائج، وهو من مقتضيات الإسلام، والذى يقود صاحبه إلى التوفيق حتى فى النتائج شريطة عدم التدخل فى التقديرات الإلهية. فالتبس عليهم كلا الأمرين... ولم يتفهموا سر (أمتى.. أمتى) ولا يفهمون حكمة (خير الناس أنفعهم للناس) فهؤلاء هم الذين حطموا ذلك الميل وأطفأوا ذلك الشوق.... والسبب الثانى: هو سلوكنا فى المعيشة مسلكا غير طبيعى، مسلكا يوافق

الكسل وبلائمه، ويداعب الغرور ويربت عليه، وهو المعيشة على الوظيفة الحكومية...لذا لقينا جزاء ما كسبت أيدينا...إن الطريق المشروع للمعيشة والسبيل الطبيعي والحيوى إليها هو الصناعة، الزراعة، التجارة. أما الطريق غير الطبيعي فهو الوظيفة الحكومية والإمارة بأنواعها^(٣٦).

٢- يؤكد النورسى أن العدالة الالهية اقتضت أن تتجلى على الخلق بتحليلين شرعيين صادرين من صفتين من صفات كماله جل وعلا: (أولهما: الشرع التكويني - أو السنة الكونية - الذى هو المشيئة والتقدير الإلهي الصادر من صفة الإرادة الالهية. والثاني: الشريعة المعروفة الصادرة من جهة الكلام الرباني. فكما أن هناك طاعة وعصيانا تجاه الأوامر الشرعية المعروفة كذلك هناك طاعة وعصيان تجاه الأوامر التكوينية وغالبا ما يرى الأول - مطيع الشريعة والعاصى لها - جزاءه وثوابه فى الدار الآخرة. والثاني - مطيع السنن الكونية والعاصى لها - غالبا ما ينال عقابه وثوابه فى الدار الدنيا فكما أن ثواب الصبر النصر وجزاء البطالة والتقاعس الذل والتسفل كذلك ثواب السعى الغنى وثواب الثبات التغلب مثلما أن نتيجة السم المرض وعاقبة الترياق والدواء الشفاء والعافية وتجتمع أحيانا أوامر الشريعتين معا فى شىء فلكل جهة. فطاعة الأمر التكويني الذى هو حق هذه الطاعة غالبية - لأنها امر الهى - على عصيان هذا الأمر بالمقابل لأن العصيان لأى أمر تكويني - يندرج فى الباطل ويصبح جزءا منه فإذا ما أصبح حق وسيلة لباطل فسينتصر على باطل أصبح وسيلة لحق وتظهر النتيجة: حق مغلوب أمام باطل! ولكن ليس مغلوبا بذاته وإنما بوسيلته إذن ف "الحق يعلو، يعلو بالذات، والعقبى هى المرادة" - فليس العلو قاصرا فى الدنيا - إلا أن التقيد والأخذ بحيثيات الحق مقصود ولا بد منه^(٣٧).

- دائرة عمل الجهاد هى الأسباب أما النتائج فموكولة إلى الله: تخطئ الحركات الإسلامية خطأ كبيرا بطريق الاستعجال والتعلق بالنتائج فى الجهاد الأمر الذى يشنت قواها ويصرفها عن الاهتمام بعملها الأساس وهو العمل والأخذ بالأسباب وهنا ينبه النورسى أن دائرة عمل الجهاد إنما هى الأسباب والإجتهاد فى الأخذ بها أما النتائج فموكولة إلى الله: (إن الذين يعملون جاهدين فى طريق الحق ويجاهدون فى سبيله، فى الوقت الذى ينبغى لهم أن يفكروا فى واجبهم وعملهم فإنهم يفكرون فيما يخص شؤون

الله سبحانه وتديره، ويبنون أعمالهم عليه فيخطئون. ورد في كتاب "أدب الدنيا والدين" أن ابليس - لعنة الله عليه - حين ظهر لعيسى بن مريم عليه السلام قال: أأنت تقول: أنه لن يصيبك إلا ما كتبه الله عليك؟ قال: نعم. قال فارم نفسك من ذروة هذا الجبل فإنه إن يقدر لك السلامة تسلم، فقال له: يا ملعون! إن لله أن يختبر عبده وليس للعبد أن يختبر ربه. أى أن الله هو الذى يختبر عبده ويقول له: إذا عملت هكذا سأوافيك بكذا، رأيك تستطيع القيام به؟ يختبره... ولكن العبد ليس له الحق ولا في طوقه أصلاً أن يختبر ربه ويقول: إذا قمت بالعمل هكذا فهل تعمل لى كذا؟ فهذا الأسلوب من الكلام الذى يومىء بالاختبار سوء أدب تجاه الربوبية، وهو مناف للعبودية. فما دام الأمر هكذا فعلى المرء أن يؤدى واجبه ولا يتدخل بتدبير الله سبحانه وقدره. كان جلال الدين خوارزم شاه وهو أحد أبطال الإسلام الذى انتصر على جيش جنكيز خان انتصارات عديدة. كان يتقدم جيشه إلى الحرب، فخاطبه وزراؤه ومقربوه: سيظهرك الله على عدوك وتنتصر عليهم! فأجابهم: "على الجهاد فى سبيل الله اتباعاً لأمره سبحانه ولاحق لى فيما لم أكلف به من شؤونه فالنصر والهزيمة من تقديره سبحانه ولبلوغ هذه البطل العظيم إدراك هذا السر الدقيق فى الاستسلام إلى أمر الله والانقياد إليه، كان النصر حليفه فى أغلب الأحيان نصراً خارقاً. نعم إنه ينبغي ألا يفكر الإنسان - بمالديه من الجزء الإختياري - بالنتائج التى يتولاها الله سبحانه..... والحال أن سيدنا الرسول الأعظم ﷺ وهو الأستاذ الأعظم ومقتدى الكل والرائد الأعلى قد اتخذ الأمر الإلهي: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْمُبَيِّنِ﴾^(٣٨) دليلاً ومرشداً له، فكلما أعرض الناس عن الإصغاء وتولوا عنه ازداد جهاداً وسعياً فى سبيل التبليغ. لأنه علم يقيناً أن جعل الناس يصغون ويهتدون إنما هو من شؤن الله سبحانه وفق الآية الكريمة ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٣٩) فما كان يتدخل فى شؤونه سبحانه. لذا فيا اخوتى! لا تتدخلوا فى أعمال وشؤون لا تعود إليكم ولا تبنوا عليها أعمالكم ولا تتخذوا طور الاختبار تجاه خالقكم^(٤٠).

- يدخل فى هذا الظن بأن الجهاد لا فائدة فيه ولا جدوى منه لقوة العدو مثلاً، إذ يمثل هذا من وجهة نظر النورسى اعتقاداً فى السبب أكثر من المسبب وهذا ضعف فى الإيمان: - حينما بدأ المستعبد الانجليزى بث الفتنة بين المسلمين فى استانبول إثر

احتلالها بنشر شبهات من شأنها أن تقعد المهمة عن الجهاد بادر النورسي بنشر رسالة الخطوات الست مما كان له أكبر الأثر في القضاء على الفتنة حتى اضطر الاستعمار إلى الحكم على بديع الزمان بالإعدام ولكن الله سلم^(٤١). ويضع النورسي قاعدة هامة هنا هي أنه: (ينبغي عدم اللجوء إلى العجز فيما يمكن حله وعدم الإلتجاء إلى الجزع فيما لا يمكن علاجه)^(٤٢).

أهمية سلاح العلم في الجهاد في العصر الحديث:

- يدعو النورسي إلى البحث العلمي الدقيق في دقائق المخلوقات - باعتباره جهادا معنويا- والتأمل والنظر فيها بالمعنى الحرفي لا الاسمي يقول: (النظرة القرآنية إلى الموجودات تجعل الموجودات جميعها حروفا أى انها تعبر عن معنى في غيرها بمعنى أنها تعبر عن تجليات الأسماء الحسنى والصفات الجلية للخالق العظيم المتجلية على الموجودات. أما نظرة الفلسفة الميتة فهي تنظر على الأغلب بالنظر الاسمي إلى الموجودات فتزل قدمها إلى مستنقع الطبيعة)^(٤٣).
- وينبه على أهمية البحث العلمي بمفهوم إيماني وأهمية تحصيل العلوم الدينية: (إن العلم قسمان: نوع منه يكفى العلم به ومعرفته والتفكر فيه مرة أو مرتين. والآخر: كالخبز والماء. يحتاجه الانسان ويفكر فيه كل وقت. فلا يمكنه أن يقول: لقد فهمته وكفى. فالعلوم الايمانية من هذا القسم)^(٤٤).
- حينما جاء وفد من الطلاب إلى الأستاذ النورسي قائلين: "عرفنا بخالقنا، فإن مدرسينا لا يذكرون الله لنا "أجابهم: (إن كل علم من العلوم التي تقرأونها يبحث عن الله دوماً، ويعرف بالخالق الكريم بلغته الخاصة. فأصغوا إلى تلك العلوم دون المدرسين)^(٤٥).
- يؤكد النورسي أن: كل ما ناله الانسان - من حيث جامعية ما أودع الله فيه من استعدادات - من الكمال العلمي والتقدم الفنى ووصوله إلى خوارق الصناعات والاكتشافات تعبر عنه الآية الكريمة بتعليم الأسماء: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٤٦) وهذا التعبير ينطوى على رمز رفيع ودقيق وهو: أن لكل كمال ولكل علم ولكل تقدم ولكل فن - أيا كان - حقيقة سامية عالية وتلك الحقيقة تستند إلى اسم من الأسماء الحسنى وباستنادها إلى ذلك الاسم - الذى له حجب مختلفة وتجليات متنوعة ودوائر ظهور متباينة - يجد ذلك الفن وذلك الكمال وتلد تلك الصنعة كل منها كماله

ويصبح حقيقة فعلا وإلا فهو ظل ناقص مبتور باهت مشوش. فالهندسة - مثلا - علم من العلوم وحقيقتها وغاية منتهاها هي الوصول إلى اسم (العدل والمقدر) من الأسماء الحسنى وبلوغ مشاهدة التجليات الحكيمة لذلك الاسم بكل عظمتها وهيبته في مرآة علم الهندسة. والطب - مثلا - علم ومهارة ومهنة في الوقت نفسه فمنتهاه وحقيقته يستند أيضا إلى اسم من الأسماء الحسنى وهو الشافي فيصل الطب إلى كماله ويصبح حقيقة فعلا بمشاهدة التجليات الرحيمة لاسم الشافي في الأدوية المبتوثة على سطح الأرض الذي يمثل صيدلية عظمى. والعلوم التي تبحث في حقيقة الموجودات - كالفيزياء والكيمياء والنبات والحيوان - هذه العلوم التي هي حكمة الأشياء يمكن أن تكون حكمة حقيقية بمشاهدة التجليات الكبرى لاسم الله الحكيم جل جلاله في منافع الأشياء ومصالحها تصبح تلك الحكمة حكمة حقا أى باستنادها إلى ذلك الاسم الحكيم وإلى ذلك الظهير تصبح حكمة فعلا وإلا فانها تنقلب إلى خرافات وتصبح عبثا لا طائل من ورائها أو تفتح سبيلا إلى الضلالة كما هو الحال في الفلسفة الطبيعية المادية^(٤٧).

- يؤكد النورسى على أهمية المصالحة بين المدارس الدينية والشرعية من جهة وبين المدارس الحديثة: (لتتصافح العلوم النابعة من الفلسفة مع الدين. وتتصالح الحضارة الأوروبية مع حقائق الإسلام مصالحة تامة. ولتتفق المدارس الحديثة وتتعاون مع المدارس الشرعية) لذا بذلت جهدى كله لتأسيس جامعة في مركز الولايات الشرقية التي هي وسط بين الهند والبلاد العربية وإيران والقفقاس وتركستان وسميتها مدرسة الزهراء فهي مدرسة حديثة ومدرسة شرعية في الوقت نفسه. فمثلما بذلت جهدى في سبيل إنشاء هذه الجامعة بذلته في سبيل نشر رسائل النور^(٤٨) ويذكر النورسى أن: (ضيء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة فتتربى همه الطالب وتعلو بكلا الجناحين وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية)^(٤٩) (إن فهما خطأ وتوهما مشؤوما قد أقاما - لحد الآن - سدين أمام جريان العلوم. إذ أن أهم الموانع، والبلاء النازل هو توهما - نحن والأجانب - بخيال باطل، وجود تناقض وتصادم بين بعض ظواهر الإسلام وبعض مسائل العلوم. فمرحى لجهود المعرفة الفياضة وانتشارها، وبخ بخ لعناء العلوم الغيورة،

اللتين امدتا تحرى الحقائق وشحنتا الانسانية، وغرستا ميل الانصاف فى البشرية فجهزتا تلك الحقائق بالاعتدة لدفع الموانع، فقصت وستقصى عليها قضاء تاما). (إن الإسلام لو تجسم لكان قصرا مشيدا نورانيا ينور الأرض ويهيجها فأحد منازل "مدرسة حديثة" وإحدى حجراته مدرسة دينية، وإحدى زواياه تكية، ورواقه مجمع الكل ومجلس الشورى يكمل البعض نقص الآخر.. وكما أن المرأة تمثل صورة الشمس وتعكسها فهذه المدرسة الزهراء ستعكس وتمثل أيضا صورة ذلك القصر الإلهى الفخم فى البلدان الخارجية)^(٥٠).

- يذكر النورسى (إن الضلالة إذا كانت ناجمة من الجهل فإنزالها يسير وسهل. ولكن إن كانت ناشئة من العلم فإنزالها عسير ومعضل. وقد كان هذا القسم الأخير نادرا فيما مضى من الزمان، وربما لا تجد من الألف إلا واحدا يضل باسم العلم. وإذا ما وجد ضالون من هذا النوع ربما يسترشد منهم واحد من الألف. ذلك لأن أمثال هؤلاء يعجبون بأنفسهم، فمع أنهم يجهلون يعتقدون أنهم يعلمون)^(٥١).

- يؤكد النورسى أن المانع الأكبر لنا من إعلاء كلمة الله والجهاد المعنوى إنما هو الجهل: (إن أعداءنا ليسوا الأجانب. وإنما الذى أردانا إلى هذا الوضع وحال بيننا وبين إعلاء كلمة الله هو مخالفتنا للشريعة الغراء نتيجة جهلنا بها، والضرورة التى أثمرت سوء الاخلاق وسوء المعاملات والاختلاف الذى أنتج الاغراض الشخصية والنفاق. فاتحادنا هجوم على هذه الثلاثة من الأعداء الظلمة. أما جهل الأجانب بالإسلام فى القرون الوسطى، فالإسلام مع اضطراره إلى معاداة الجهل والهمجية إلا أنه قد حافظ على العدالة والاستقامة معهم فلم ير فى التاريخ الإسلامى أمثال محاكم التفتيش. ولما قوى ساعد المدنيين فى زمن التحضر هذا فقد زال عنهم ذلك التعصب الذمى. إن الظهور على المدنيين من منظور الدين إنما هو بالإقناع وليس بالإكراه. وبإظهار الإسلام محبوبا وساميا لديهم وذلك بالإمتثال الجميل لأوامره وإظهار الأخلاق الفاضلة. أما الإكراه والعداء، فهما تجاه وحشية الهمجيين)^(٥٢).

- يثمن النورسى العمل وفق أسلوب الجهاد المعنوى ويحذر من المسلك السلبي أو المنحى الصوفى قائلا: سأذكر نكتة لطيفة لحديثين شريفيين لأولئك الإخوة الذين يملون من كتابة رسائل النور - باعتبارها أحد أهم وسائل الجهاد المعنوى فى هذا العصر وفقا للنورسي - والذين يفضلون قراءة الأوراد فى الشهور الثلاثة وهى شهور العبادات على

كتابة رسائل النور التي تعد عبادة بخمس جهات. الحديث الأول: (يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء) - أو كما قال. أى أن ما يصرفه علماء الحقيقة من حبر يوزن يوم القيامة مع دماء الشهداء ويعادلها. الحديث الثانى: (من تمسك بسنتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد) أو كما قال، أى أن من يتمسك بالسنة الشريفة والحقائق القرآنية وعمل لأجلها عند استيلاء البدع وتغلب الضلالة، فله أجر مائة شهيد. فيا من يمل تكاسلا عن الكتابة ويا أيها الإخوة الذين ينحون منحى التصوف! إن حصيلة مفهومي الحديثين الشريفين هي أن درهما مما يقطر من نور أسود وماء باعث للحياة من الأقلام المباركة الزكية لأولئك الذين يخدمون حقائق الإيمان وأسرار الشريعة والسنة النبوية الشريفة في مثل هذه الظروف يمكن أن يفيد كمائة درهم من دم الشهداء يوم الحشر الأكبر).

- يعد النورسى رسائل النور أحد أهم وسائل الجهاد العلمى فى هذا العصر: (إن كتابة رسائل النور تعد عبادة بخمس جهات). (١- أنها جهاد معنوى تجاه أهل الضلالة. ذلك الجهاد الأهم. ٢- أنها خدمة لأستاذه ومعاونة له. ٣- أنها خدمة للمسلمين كافة من حيث الإيمان. ٤- أنها تحصيل للعلم بالكتابة. ٥- أنها عبادة فكرية التي قد تكون ساعة منها بمثابة سنة من العبادات)^(٥٣).
- يؤكد النورسى على أهمية ألا يكون الجهاد العلمى خاضعا لتفسيرات فردية وأنه ينبغى العمل الجماعى بإنشاء مجلس شورى للإجتهد: (بينما نرى الوزارة تستند أصلا إلى ثلاثة مجالس شورى - وقد لا توفى هذه المجالس حاجاتها الكثيرة - نجد أن المشيخة - المسئولة عن الفتوى - قد أودعت إلى شخص واحد، فى وقت تعقدت فيه العلاقات وتشابكت حتى فى أدق الأمور، فضلا عن الفوضى الرهيبة فى الآراء الإجتهدية، وعلاوة على تشتت الأفكار وتدنى الأخلاق المريع الناشئ من تسرب المدنية الزائفة إلينا. من المعلوم أن مقاومة الفرد تكون ضعيفة أمام المؤثرات الخارجية، فلقد ضحى بكثير من أحكام الدين مسايرة للمؤثرات الخارجية. وبينما كانت الأمور بسيطة والتسليم للعلماء وتقليدهم جاريا كانت المشيخة مودعة إلى مجلس شورى - ولو بصورة غير منتظمة - ويتركب من شخصيات مرموقة، أما الآن وقد تعقدت الأمور ولم تعد

بسيطة وارتخى عنان تقليد العلماء واتباعهم... أقول كيف يا ترى يكون بمقدور شخص واحد القيام بكل الأعباء؟^(٥٤).

الهوامش:

- ١- الكلمات ص ٨٦٢.
- ٢- الكلمات ص ٨٧٢-٨٧٣.
- ٣- سيرة ذاتية ص ٣١٦.
- ٤- سيرة ذاتية ص ١٤٤.
- ٥- المكتوبات ص ٦٠٤.
- ٦- صيقل الإسلام ص ٥٠٠.
- ٧- صيقل الإسلام ص ٥٢٧.
- ٨- سيرة ذاتية ص ٥٢٩.
- ٩- صيقل الإسلام ص ٤٩٤.
- ١٠- سيرة ذاتية ص ٤٦٩.
- ١١- اللمعات ص ٢٣٦.
- ١٢- الانعام: ١٦٤.
- ١٣- سيرة ذاتية ص ٤٧٠.
- ١٤- سيرة ذاتية ص ٤٧١.
- ١٥- سيرة ذاتية ص ٤٧٣.
- ١٦- سيرة ذاتية ص ٥٤٢.
- ١٧- سيرة ذاتية ص ٤٧٤.
- ١٨- سيرة ذاتية ص ٥٤٠.
- ١٩- سيرة ذاتية ص ٥٤١.
- ٢٠- سيرة ذاتية ص ٣١٦.
- ٢١- المكتوبات ص ٣٤٠.
- ٢٢- صيقل الإسلام، الخطبة الشامية، ص ٥٠٩.
- ٢٣- المائدة: ٥١.
- ٢٤- صيقل الإسلام ص ٣٣٩.
- ٢٥- صيقل الإسلام، الخطوات الستة، ص ٥٥٢.
- ٢٦- المثنوى العربي النورى ص ٣٤٩-٣٥٠.
- ٢٧- إشارات الإعجاز ص ٤٩.

- ٢٨- الملاحق، قسطنطين ص ١٦٨.
- ٢٩- الملاحق - قسطنطين ص ١٦٣ سيرة ذاتية ص ٣١٤.
- ٣٠- سيرة ذاتية ص ٩٧-٩٩.
- ٣١- الشعاعات ص ١١٥ المكتوبات ص ٦.
- ٣٢- المكتوبات ص ٤٣٠-٤٣١.
- ٣٣- الخطبة الشامية، صيقل الإسلام، ص ٥٠٥.
- ٣٤- صيقل الإسلام ص ٥٠٠.
- ٣٥- النجم: ٣٩.
- ٣٦- المناظرات، صيقل الإسلام ص ٤٠٣.
- ٣٧- الكلمات ص ٨٢٧.
- ٣٨- النور: ٥٤.
- ٣٩- القصص: ٥٦.
- ٤٠- اللمعات ص ١٩٩.
- ٤١- صيقل الإسلام ص ٥٥٤-٥٥٥.
- ٤٢- نوى الحقائق، المكتوبات ص ٦٠٥.
- ٤٣- اللمعات ص ١٧٢.
- ٤٤- الملاحق - بارلا.
- ٤٥- الكلمات ص ١٧٥.
- ٤٦- البقرة: ٣١.
- ٤٧- الكلمات ص ٩١٢.
- ٤٨- الملاحق، اميرداغ ٢ ص ٤١٦، سيرة ذاتية ص ٥٠٠.
- ٤٩- سيرة ذاتية ص ٥٠٣.
- ٥٠- سيرة ذاتية ص ٥٠٦.
- ٥١- المكتوبات، ص ٢٨.
- ٥٢- سيرة ذاتية ص ٩٨.
- ٥٣- اللمعات ص ٢٥٢.
- ٥٤- سيرة ذاتية ص ٩٠.
- مراجع الدراسة: كليات رسائل النور، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط سوزلر للنشر، القاهرة:**
- ١- الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط سوزلر للنشر، القاهرة، ط ٢ بمصر ١٩٩٢
- ٢- المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط سوزلر للنشر، القاهرة،

- ط ٣ بمصر ٢٠٠١
- ٣- اللمعات، بديع الزمان سعيد النورسى، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط سوزلر للنشر، القاهرة، ط ٢ بمصر ١٩٩٢
- ٤- الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسى، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط سوزلر للنشر، القاهرة، ط ٢ بمصر ١٩٩٢
- ٥- اشارات الاعجاز فى مظان الايجاز، بديع الزمان سعيد النورسى، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط سوزلر للنشر، القاهرة، ط ٢ بمصر ١٩٩٤
- ٦- المتنوى العربى النورى، بديع الزمان سعيد النورسى، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط سوزلر للنشر، القاهرة، ط ١ بمصر ١٩٩٥.
- ٧- الملاحق فى فقه دعوة النور، بديع الزمان سعيد النورسى، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط سوزلر للنشر، القاهرة، ط ٢ بمصر ١٩٩٥
- ٨- صيقل الاسلام او اثار سعيد القديم، بديع الزمان سعيد النورسى، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط سوزلر للنشر، القاهرة، ط ٢ بمصر ١٩٩٥.
- ٩- سيرة ذاتية، بديع الزمان سعيد النورسى، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، ط سوزلر للنشر، القاهرة، ط ٣ بمصر ٢٠٠٠.
- ١٠- الفهرس الشامل لرسائل النور، الفهارس، إعداد حازم ناظم فاضل، ط سوزلر للنشر، القاهرة، ط ١ بمصر ٢٠١١.
- ١١- المؤتمرات العلمية والندوات التى عقدت حول رسائل النور.
- ١٢- رسائل الدكتوراه والمجستير التى عقدت حول رسائل النور.

منهج الاستيعاب والتجاوز في فكر بديع الزمان سعيد النورسي دراسة في تجليات النظر الإيجابي إلى الذات وإلى الآخر

د. محمد علّا

دكتوراه (الحوار الديني والثقافي في الحضارة الإسلامية)

جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال

مركز دراسات المعرفة والحضارة - المغرب -

البريد الإلكتروني: mhm.alla@gmail.com

تمهيد:

إن الناظر في الإنتاج العلمي والفكري الذي خلفه بديع الزمان سعيد النورسي - رحمه الله - يجده مفعما بالتنوع والغزارة، قد شمل ألوانا من العلوم، وفروعا من الثقافة والمعرفة؛ في العلوم الشرعية، ونظرات في التجليات الكونية، وتأملات في الفلسفة^(١) والتاريخ والاجتماع والسياسة^(٢) والاقتصاد، والآداب واللغة والشعر والفنون، والعادات والتقاليد، ونظرات استشرافية للمستقبل... وإن مختلف الإشكاليات التي حاول مقاربتها كانت ميزتها الجدة والراهنية، فقد كان مشخصا ماهرا لعلل الأمة، وطبيبا بارعا في اقتراح العلاج والأدوية. فمنهجه الأساس، في موسوعة رسائل النور، يركز على خطين متوازيين؛ الأول: العمل على

(١) الفلسفة في رسائل النور مستمدة من الرؤية الكلية للوجود التي جاءت بها الرؤية التوحيدية القرآنية، والمرتبطة بالحكمة والقيم والجمال، وليست فلسفة النقاش السوفسطائي الجدلي الذي لا يكسب معرفة ولا يصل إلى حقيقة ذات نفع وأثر، كما أنها فلسفة تعطي مركزية كبرى للعقائد ومنها الإلهيات والنبوات والغيبيات وغيرها، وليست فلسفة مادية أحادية الحادية.

(٢) ليس المقصود في هذا السياق المعنى الضيق للمجال السياسي، أي الممارسة السياسية المباشرة التي تحكمها قواعد تأسيس الأحزاب وتوزيع السلطات بين مكونات المشهد السياسي. فالمسلوك السياسي عند النورسي كان خاصا، لقد كان على وعي تام بالسياق التاريخي وتحولاته المتسارعة، كما أنه اتخذ مسارا قرآنيا في النضال رفع من سقف التحديات والأهداف والغايات، مما جعل رؤيته للحياة ومجرياتها رؤية موجهة بقواعد القرآن الكلية التي تسع جميع مجالات الحياة بأجمعها بما فيها القواعد الموجهة للممارسة السياسية.

كشف الداء وفهمه وتشخيصه، ببيان بعض أخطاء الماضي وانحرافات، ومنزلاقات الحاضر والتواءاته. والخط الثاني: العمل على اقتراح الحلول والبدائل الاجتهادية الممكنة، من خلال التمييز بين مختلف القضايا والإشكاليات، وتصنيفها حسب أهميتها والأولويات المستعجلة منها، وكذا اقتراح سبل تصحيح المنطلقات وتصويب المسارات برؤى ناقدة ونافذة هدفها إحياء الإيمان ومنبعها تجديد النظر في القرآن.

تحاول هذه الدراسة مقارنة موضوع «الاستيعاب والتجاوز» اعتماداً على التراث العلمي الغني الذي خلفه بديع الزمان سعيد النورسي وخاصة موسوعة "رسائل النور"، مقارنة علمية تستنطق بعض قواعد النظر الإيجابي التي تتجلى فيها منهجية الاستيعاب والتجاوز بتمظهراتها الإنسانية والحضارية والعلمية والثقافية والاجتماعية.

وتستمد إشكالية الموضوع أهميتها وراهنيتها وشرعيتها للبحث من كون أصول أفكار رسائل النور مستمدة من القرآن الكريم، فهو منطلقها الأول والأساس، والاستيعاب والتجاوز من محددات القرآن المنهجية، فلا شك أن آثار هذا المحدد وشعاعاته ستكون متناثرة في رسائل النور وتحتاج إلى بحث واستقراء وتنقيب. وقد مكّني اتخاذ "الاستيعاب والتجاوز" نموذجاً معرفياً مؤطراً وموجّهاً في قراءتي لرسائل النور من الانفتاح على مداخل منهجية رفيعة وآفاق معرفية جديدة سلّطت الضوء على تجلياته في سيرة بديع الزمان سعيد النورسي في عدد من جوانبها الشخصية والعلمية والنضالية والحضارية.

لقد استوعب الدين كل مراحل حياة النورسي، عاش في الدين ولخدمة الدين والقرآن وللدعوة إلى الإيمان وتحديدده. وحين يستوعبنا الدين والإيمان والقرآن فإنه يوجه أمانينا ورغباتنا وكل حركاتنا وسكناتنا، فيحرسها ويقومها فكراً وسلوكاً، ويهديها إلى طريق الحق والصواب، ويفرض علينا تكاليف وفرائض والتزامات وغيرها، لا ليقهرنا ويجعلنا خنوعين أذلاء في أطر عقدية تعبدية، وإنما هو استيعاب لنا ندخل في حماه بإرادتنا وبتوفيق وإنعام من المولى عز وتعالى، وهو السبيل لتجاوز عوالم الضيق والشهوات والرقى بنا في عوالم الملكوت والخيرات والبركات. رقي يخلق بالمؤمنين في آفاق علوية روحية قوامها الإيمان والعزة والكرامة، والقوة والمنعة والأمان والسعادة، يقول النورسي: "إن الإنسان يسمو بنور الإيمان إلى أعلى عليين فيكتسب بذلك قيمة تجعله لائقاً بالجنة، بينما يتردى بظلمة الكفر إلى أسفل سافلين فيكون في وضع يؤهله لنار جهنم"^(١).

(١) "كليات رسائل النور، الكلمات"، بديع الزمان النورسي، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالح، دار النيل للطباعة والنشر، مصر، ط ١، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٨ م، الكلمة الثالثة والعشرون، ص: ٣٤٥.

فالتجاوز عند النورسي هو تجاوز قرآني، لأنه خدمته للقرآن وعزمه على حمل مشروع إنقاذ الإيمان جعل منظومة المعاني التي يتحدث بها النورسي مستمدة من تعالي القرآن وترفعه ورفعته وحاكميته وهيمنته وقدرته على الاختراق المعنوي والدلالي والاختراق القيمي والأخلاقي والاختراق الزماني والمكاني.. فارتباط الإنسان (الذي هو جزء من الأرض) بالقرآن الذي مصدره علوي سماوي يمكنه من الرقي في مراتب الكمالات فيسحب معه إلى تلك المراتب كل من تمسك به وسار وفق نهجه. والتعلق بالمراتب العلوية يخفف الصراع عن المراتب الدنيوية ويراقب ميولات النفس وتطلعاتها الهابطة.

أولاً: المقصود بالاستيعاب والتجاوز

"الاستيعاب والتجاوز" من القدرات والطاقات الهائلة التي تفرد بها الإسلام عن غيره من الديانات، والمقصود منهما قدرة الإسلام على احتواء وضم كل ما فيه خير من النظم والمرجعيات والاتجاهات، والرقي بها نحو الأفضل والأحسن أو تجاوزها ببدايل أرقى وأسمى. فهو محدد من محددات القرآن المنهجية، مهيمن على الكتب المنزلة، وحاكم على إنتاج العقل البشري بفضل مرجعية الوحي التي تعتبر ميزان الاجتهادات البشرية.

ويقتضي منهج الاستيعاب والتجاوز الانفتاح على الأنساق الثقافية المتداولة ودراستها وإدراكها وتحليلها، ثم تنقيتها ونقدها لتجاوز ما لصق بها من انحرافات وانزلاقات، وإعادة تركيبها ضمن الرؤية التوحيدية المهيمنة. ومن أهم مسالك «الاستيعاب والتجاوز» أنه "إمكان يتأسس على فك الارتباط بين منجزات الحداثة العلمية البشرية، وبين إحالاتها الفلسفية الوضعية، وإعادة تركيب هذه المنجزات العلمية في ناظم ديني غير وضعي، أو بتحديد آخر: تحصيل القدرة على فك مفاصل البناء النظري المنقول وإعادة تركيبها، بفضل عمليات تحويلية متعددة تدخل على المفاهيم والأحكام"^(١).

مختلف المعاني السابقة نجد صداها يتردد في نظرات بديع الزمان النورسي الثاقبة حول القرآن الكريم وتفوق منهجه على سائر المناهج المعرفية السائدة ذات الخلفية المادية الأحادية، فضلاً عن خصوصية السياق الحضاري في تلك الفترة التي عرفت منعطفات تاريخية كبيرة

(١) بلعقروز، عبد الرزاق "عودة المكبوت الديني في الثقافات المعاصرة" مجلة قضايا إسلامية معاصرة، السنة الرابعة عشرة، العدد ٤٣-٤٤ صيف وخريف ٢٠١٠-١٤٣١، ص: ٣٤.

تجلت في الهجمة الشرسة على العالم الإسلامي، والصراع الدامي بين قوى إقليمية اتخذت من سلاح العلم المادي والتطور التقني وسيلة نفوذها وهيمنتها. وقد كان النورسي منخرطاً بإيجابية في تلك اللحظات التاريخية ومشخصاً للإفرازات الحضارية والثقافية. واستقرأ رسائل النور يدل أن منهجه الأساس كان قائماً على آلية الاستيعاب والتجاوز، يوجّه الاختيارات لأقوم المسالك، ويؤكد على أهمية النظر التركيبي القائم على الانفتاح والانتفاع بدل الانغلاق والضياع، وكلها معاني مستمدة من روح القرآن الكريم ومقاصده.

ثانياً: التفكير والعمل الإيجابيين وعلاقتهما بالاستيعاب والتجاوز

إن النظر الإيجابي مدخل أساس لتفعيل آلية الاستيعاب، وكلما كان الجانب النظري التصوري سليماً وقوياً إلا وسيُنتج عنه بالضرورة تفكير إيجابي وأعمال إيجابية بنائية في مختلف مجالات الحياة. والعمل الإيجابي في نظر النورسي منبعه الإيمان ومستنده القرآن، الذي استوعب الكليات والأسس الموجّهة لبناء الإنسان وتشيد العمران، والقائمة على الحوار ومنطلقات التزكية وأخلاق الرحمة والسماحة والمحبة والأخوة والانفتاح على الآخر وفهم متوجه الحضاري والعلمي والمعرفي والقيمي الأخلاقي، وهي محددات أساسية حاکمة على العلاقات والتصرفات بل إنها قيم التكريم والاستخلاف المستقاة من الوحي ومشكاة النبوة. وترتكز منظومة بديع الزمان سعيد النورسي المعرفية على حقائق القرآن ومعارفه، ولا شك أن الخريطة الأساسية للجهاز المفاهيمي القرآني قد شملت محددات منهجية كبرى تتمحور حول: التوحيد والتكريم والاستخلاف والعمران، والوسطية والاعتدال، والقيم والأحكام والتشريعات والدعوة إلى أعمال العقل والفكر والنظر والإبصار والاعتبار، والدعوة إلى الحوار والتعارف والتعايش... وكلها مفاهيم ذات خصوصيات مطلقة، لها هيبتها وهيمنتها وقداستها وشمولها وتعاليلها عن مؤثرات الزمان والمكان، لأن طبيعتها تقوم على البناء والتأسيس والرعاية والتوجيه، لذلك كانت قيماً حاکمة للفكر والثقافة والسلوك والعمران. كما أنها ضوابط تسعى لبناء تفكير إيجابي وعمل بنائي حضاري في آفاقه الانسانية والكونية الرحبة، قادر على استيعاب كل جزئيات الحياة وتفصيلها، وتوجيهها الوجهة الصحيحة، والإسهام ليس فقط في إصلاح أحوال الفرد الذاتية، وإنما في إصلاح أحوال الأسرة والمجتمع والبشرية.

ثالثا: مقتطفات من سيرة بديع الزمان في ضوء آلية «الاستيعاب والتجاوز»

إن مفهوم "الاستيعاب والتجاوز" له ارتباط قوي بسيرة النورسي في مختلف مراحلها، وقد تجلّى في أشكال عديدة في سيرته الذاتية ورؤيته للحياة ومنهجه في الإصلاح، ففي كل موقف من مواقفه نجد تحلياً ربانياً وقبساً نورياً من دلالات الاستيعاب. فإذا نظرنا إلى الدلالة المباشرة للاستيعاب والتي تشير إلى الفهم العميق والذاكرة الراسخة والحفظ الجيد، نجد أنها كانت الميزات الرئيسة للنورسي في صباه وطفولته، حيث بدأ الاستيعاب في وقت مبكر لدى سعيد؛ ذكاءً خارقاً، وذاكرة قوية وقابلية كبيرة للحفظ وفهم راسخ^(١)، وقد مكنته هذه المنح الربانية من امتلاك أرضية علمية شكّلت له زادا معرفياً ومستنداً في إنتاجاته العلمية في مراحل لاحقة رغم بعده عن المكتبة والكتب.

كما استطاع أن يستوعب علوم شيوخه وأساتذته ويتجاوزهم، رغم صغره وحدثه سنّه، فقد "امتحنه الملا عبد الله بتوجيه الأسئلة إليه (بعدما أخبره النورسي بقراءته لثمانين كتاباً في ظرف وجيز) ولما أصغى إلى أجوبته السديدة، قدّر فيه كفاءته العلمية، حتى اتخذهُ أستاذاً له، مع أن بديع الزمان كان قبل ثمانية أشهر تلميذاً لديه"^(٢)، فقد كان عالماً منذ وقت مبكر، ومتحملاً بالتواضع، ومقدّراً لجهود العلماء وموقّراً لهم، ينافح عنهم، ويرفع من مكانتهم، وقد كان هذا الودّ متبادلاً بين النورسي وعلماء زمانه، استوعبتهم رسائل النور فلم يعترضها أحد منهم ولم يقدّم نقداً معرفياً لها، فكان ذلك شهادة عرفان وبرهان على مكانة الرسائل وأهميتها وضرورتها.

ففكر سعيد النورسي هو فكر استيعابي يتحمل بالفهم الثاقب والنظرة الفاحصة، والتحليل العميق، كما أنه فكر متجاوز للسكينة العامة السائدة يسعى للرفقي بها لما أفضل وأحسن، ويستند إلى أرضية صلبة متعالية، لا يضحى بالمبادئ والأصول من أجل متغيرات ظرفية، لأنه يعرف غاياته ومقاصده الكبرى ويسعى لتحقيقها مهما كانت التحديات والعراقيل بمنهج تنزيلي قائم على الإخلاص وتجاوز العائد المصلحي الذاتي، والصبر والتأني

(١) "كليات رسائل النور، سيرة ذاتية" لبديع الزمان النورسي، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي،

دار النيل للطباعة والنشر، مصر، ط ١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص: ٧٧

(٢) المرجع نفسه، ص: ٦٤

والحفاظ على المكتسبات والبحث عن أنوار الآمال من براثن المحن والآلام. وفي تأملاته القرآنية كان دائم الاجتهاد والسعي أن تستوعب تأويلاته للآيات القرآنية أكثر المعاني والتفسيرات والجزئيات الممكنة، لذلك نجده يذكر أوجهها من التأويل ويسلط الضوء على جوانب جديدة وتحليلات فريدة للآيات القرآنية لم يهتدى إليها من قبل، ثم يعقب قائلا: "وجميع هذه الجزئيات تصح أن تكون مرادة ومقصودة، فهي معان حقيقية للآية الكريمة ومعان مجازية لها"^(١). ولا شك أن حاجتنا اليوم ماسة إلى مثل هذا النظر الجديد الذي يحرك النصوص القرآنية وينعشها بتفاسير جديدة وتأملات فريدة تحيي التواصل المستمر للقرآن مع الواقع المتجدد ولا تكون عالية على اجتهادات العقول السابقة.

وإن تنوع مستويات آلية الاستيعاب والتجاوز ومنطقتاتها راجعة بالأساس إلى تنوع الواجهات والجهات التي واجهها النورسي طيلة حياته، فهناك الاستيعاب والتجاوز على المستوى الإيماني والقائم على الارتباط المطلق بالقدرة الإلهية والاستمداد من عونهِ وتوفيقهِ والتعلق بحمائه واليقين في قدرته، حيث استطاع النورسي بفضل الانتساب الإيماني إلى سلطان عظيم ذي قدرة مطلقة ومصدر الطاقة الإيمانية أن يستوعب التصور القرآني للحياة وحقيقة الوجود وغاياته وأن يجعل منه سلاحا ألاماسيا لمواجهة الكفر الإلحادي ونشر الإيمان، وقد عبّر النورسي عن أثر ذلك الإيمان التحقيقي قائلا: "فغدت نعمة الوجود بذلك الإيمان منظوية على نعم الدنيا والآخرة وقادرة على استيعابها"^(٢).

وهناك الاستيعاب والتجاوز على المستوى الحضاري الذي استطاع من خلاله النورسي استيعاب السقف المعرفي والحضاري والوقوف على إفرازاته وتحليلاته ثم اقتراح البدائل المتجاوزة لسلبياته وأخطائه.

وهناك الاستيعاب والتجاوز على المستوى العلمي والمعرفي وأكبر تحليلاته النظر التكاملي بين الشرعيات والإنسانيات والكونيات، والعمل على استيعاب العلوم النافعة ودمجها ضمن إطار الحقيقة الشرعية.

وعموما لقد كان النورسي مستوعبا للجزئيات والتفاصيل ومتجاوزا لها إلى الأصول

(١) "كليات رسائل النور، سيرة ذاتية"، من مقدمة الكتاب لمصطفى صونغور، ص: ١٣

(٢) "كليات رسائل النور؛ الشعاعات" بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالح، دار النيل للطباعة والنشر، مصر، ط ١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، الشعاع الرابع، ص: ٧٣.

والكليات، ومستوعبا للأشكال والمظاهر متجاوزا لها إلى المقاصد والجواهر، ومستوعبا للمرحلة التاريخية الراهنة التي عاشها متجاوز لها إلى الآفاق المستقبلية القادمة، ومستوعبا لفقه السابقين متجاوز له بفقه معاصر يستجيب ومتغيرات العصر، ومحررا له من العجز والجمود والركود، لذلك كان تحليله لوقائع الحياة ونظراته لمتغيراتها نظرة تركيبية كلية شاملة مستوعبة وليست نظرة تجزيئية أحادية اختزالية لا تريد أن ترى من الحقيقة إلا جزءا من جوانبها.

رابعا: تجليات الاستيعاب والتجاوز عند سعيد النورسي في ضوء نماذج من

العمل الإيجابي

١ - نظر إيجابي مستوعب للحياة بمختلف أحوالها.

لم يكن الإبداع والعطاء والإنتاج العلمي الذي تركه النورسي مستندا إلى ظروف الرخاء واليسر والراحة.. وإنما سطع نجم ذلك العطاء العظيم من رحم المعاناة والضيق والاغتراب والمرض والمراقبة، فقد ألفت الرسائل ضمن ظروف لا تطاق "في الجبال والوديان والفيافي والبساتين، بعيدا عن أنظار المراقبة وأحيانا دون أن يكون لديه كاتب يعينه"^(١)، صحيح أن العناية الربانية رافقت النورسي في مسيرته الدعوية والعلمية والجهادية، ولكن حجم العطاء الذي قدمه والجهد الذي بذله في خضم ظروف قاسية يعدّ درسا بليغا للسائرين في الطريق إلى الله، كلٌّ من موقعه وطبيعة عمله وظروف اشتغاله؛ وهي ظروف لا تخرج عن مسارين اثنين:

- فإما أن تكون دائرة حول الشدة والضيق والمعاناة؛

- أو في المقابل تكون محاطة بالرخاء والنعيم والأمن والاستقرار.

ففي الحالة الأولى ينبغي النظر إلى تلك الظروف بعين الرضا والتفاؤل والبحث في منافذ الحياة المختلفة والجدّ في طلب السبل الصحيحة التي تفتح الآمال وتحول الحزن إلى منحة، فتنتقل المعادلة من ردود أفعال غير محسوبة إلى تأثير وعطاء قد تمتدّ بركته حتى إلى من كانوا سببا في المحنة والضيق.

وأما بالنسبة لمن ينعم بظروف الأمن والرخاء والحرية فإن الدرس الموجه إلى هؤلاء أبلغ وأشدّ، لأنهم مطالبون بأعلى مستويات العطاء والمردودية والإيجابية، ولا مبرر لضجرهم أو

(١) "كليات رسائل النور، سيرة ذاتية"، من مقدمة الكتاب لمصطفى صونغور، ص: ١٧

تشكيهم، ولا يليق بهم خلق المبررات الواهية والمسوغات الملتوية للتغطية على تكاسلهم وتحاولهم، يصدق هذا على الجانب الفردي كما يصدق على الجانب الاجتماعي الحضاري، خاصة وأن أغلب مبررات الضعف والتخلف تستند إلى أطروحات وهمية من قبيل؛ المؤامرة الخارجية، وغياب الوسائل وضبابية المنطلقات، وطول أمد التخلف... متغافلة عن إمكانات الأمة المادية والبشرية والروحية والقيمية والمعنوية والتاريخية القادرة على خلق المعجزات في سلم التقدم الإنساني والعمري والحضاري.

لذلك فإن المنهج الذي يقدمه لنا النورسي في هذا المجال يدل على نظرة مستوعبة للحياة بتفاصيلها وجزئياتها، وهي نظرة إيجابية قادرة على تحويل المحن إلى منحة، والإيجابيات إلى سلبيات، وقادرة على استقراء العناية الإلهية في خضم المحن ولحظات الشدة، والدفع إلى الإنتاج والعطاء بنشاط وهمّة، على أساس "أن الدنيا مزرعة للآخرة وسوق ومعمل لها، وتدفع إلى السعي الحثيث في الحياة الدنيا، ثم إنها تُكسب القوة المعنوية المنهارة في غياب الإيمان قوة، وتسوق اليائسين الساقطين في العطالة واللامبالاة إلى الشوق والهمة وتحثهم إلى السعي والعمل"^(١).

ولابن القيم في هذا السياق قول واضح في بيان معادلة مهمّة للسالكين إذ يقول: "قد استقرت حكمته سبحانه أن السعادة والنعيم والراحة لا يوصل إليها إلا على جسر المشقة والتعب، ولا يدخل إليها إلا من باب المكاره والصبر وتحمل المشاق. ولذلك حفّت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات.. وهذا التعب والكّد يستلزم آلاما وحصول مكاره ومشاق هي الطريق إلى تلك الكمالات"^(٢). ولا يعني هذا تساوي لحظات الخير والشر في الحياة، فالغالب الأعم هي أحوال الحسن والخير واليسر، والاستثناء للشر والباطل، يقول النورسي: "فالخير هو الأصل في العالم، أما الشرّ فهو تبعي، فالخير كلي والشر جزئي"^(٣). قد يبدو هذا الكلام

(١) "كليات رسائل النور، سيرة ذاتية"، ص: ٢٩٤.

(٢) الجوزية، ابن القيم "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل" تحقيق خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص: ٣٦٦-٣٦٧.

(٣) "كليات رسائل النور؛ صيقل الإسلام" لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالح، دار النيل للطباعة والنشر، مصر، ط ١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص: ٤٨.

مستغرباً شيئاً ما إذا ما قارنناه بحجم المعاناة التي مرّ بها بديع الزمان وطول سنين الملاحقات والمحاكمات والسجون، ولكن ينبغي أن ننتبه بعمق إلى كلام النورسي حين يفصح - في خضم تلك الظروف - عن لحظات من السعادة والانشراح والانبساط والدعم المعنوي والفيوضات الربانية التي يفتح بها الله عليه من خلال معاني إيمانية جديدة يدوّنها فتكون زادا له وأول من يستفيد منها. أو تفاؤله بما تقدّمته الرسائل من خدمات إيمانية جلييلة، وما تضمنته من معاني قرآنية تسمو بأصحابها إلى مراتب علوية. والسعادة القلبية أمر داخلي لا يعكسها بالضرورة الأحوال المرئية الخارجية التي قد تكسوها الحزن والبلايا، ففي تلك الحالات تحقيق للمعنى الشمولي للعبادة الذي يجعل من البلايا والضرر والأمراض طريقاً موصلاً إلى الله مهما طال زمن النوائب، يقول النورسي: "فإذا ما تجلّ المصاب بالصبر وفكر في ثواب ضرّه عند الله وجميل أجره عنده، وشكر ربّه عليها، تحولت عندئذ كل ساعة من ساعات عمره كأنها يوم من العبادة، فيغدو عمره القصير جداً مديداً طويلاً"^(١) بما يثمر من نتائج حياتية عظيمة.

ولا شك أن الأجيال التي جاءت بعد النورسي قد وقفت على تجليات الرحمة الإلهية والفضل الكبير الذي منحه الله لهذا العالم الرباني الذي "كان جل اهتمامه منصبا في تحطيم قيود اليأس وكسر أغلال القنوط التي كبّلت الناس، وكان يحاول جهده أن يشعل بصيص الأمل وبريق الرجاء في نفوسهم. فضلا عن وضعه لهم موازين شرعية ومنطقية لوزن الأحداث المستحدثة، بعقلية متوازنة إيمانية هادئة، بعيدة قدر الإمكان عن الانفعالات وردود الأفعال"^(٢)، وكثيراً ما نجده يوصي "بأن نجعل حياتنا وقفا للحق والحقيقة وليست لأنفسنا، ونسعى دوماً لرؤية وجه الرحمة وأثرها وذاتها في كل شيء فنظل شاكرين لا شاكين"^(٣). ورسائل النور مليئة بهذه القواعد الإيجابية التي تبعث على الأمل وتمنح رؤية تركيبيّة قرآنية لتفاصيل الحياة، ومن هذه القواعد الآية القرآنية: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ

(١) "كليات رسائل النور؛ اللمعات" لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالح، دار النيل للطباعة والنشر، مصر، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م، ص: ١٣.

(٢) إحسان قاسم الصالح من مقدمته للمناظرات ضمن "كليات رسائل النور، سيرة ذاتية"، ص ٣٥٢.

(٣) "كليات رسائل النور، سيرة ذاتية"، ص: ٣٢٨.

لَكُمْ^١، ومنها: «الخير فيما اختاره الله»، و«الحمد لله على كل حال سوى الكفر والضلال» و«البلاء النازل بنا عناية بحقنا»^(١)، و«خير الأمور أحمزها (أقواها وأشدّها)»^(٢). والنظر إلى الأحسن من كل شيء.

ولا شك أن تجرّد النورسي لخدمة القرآن وإنقاذ الإيمان وإخلاص طلابه في خدمة رسائل النور، قد منح للرسائل بركات من تأثيرات القرآن وفيوضات الرحمن، حيث كانت قدرة على استيعاب النفوس المتجرّدة وإدخالهم في بساطتها اليانية وفضاءاتها الماتعة، حتى وإن لم يكن منطلقها ناشدا للحق وراجيا أنوار الهداية وبراهين العرفان، فتحيي فيهم جذوة الإيمان وتتجاوز بهم آفاق الضيق والتحيز إلى رحاب الحق والعدل والإنصاف، وهذا ما حدث للعديد من المسؤولين ممّن صادروا الرسائل لمقاصد أمنية "فبدأوا بدراستها بكل اهتمام ولهفة، فتحولت تلك المحافل الرسمية إلى ما يشبه المدارس النورية، إذ انقلب النقد والجرح عندهم إلى نظرة الإعجاب والتقدير"^(٣) ويضيف النورسي مبرزاً تأثير الرسائل: "وحولت تلك الدوائر الرسمية الواسعة إلى ما يشبه المدارس النورية، وأنقذت كثيراً من الحيارى والمتتردين وشدّت من إيمانهم، مما ملأنا بهجة وسرورا هو أضعاف أضعاف ما كنا نعانیه من ضيق وضجر"^(٤). بل إن الكثير منهم ازدادوا إيماناً وكانوا سبباً في التخفيف من أزمات النورسي وطلابه ومحاماتهم. مما يؤكد أن تأثير رسائل النور مستمد من تأثير القرآن نفسه، وهنا نتذكر موقف عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين قدم غاضباً إلى بيت أخته فاطمة وزوجها لتوبيخهما بسبب إيمانها برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فبدأت المواجهة بالضرب وانتهت بمحاورة كانت نتيجتها انقلاب جذري في اعتقاد عمر من الحالة الكفرية الشريكية إلى الحالة الإيمانية الربانية بتوفيق من المولى تعالى، بعد سماعه آيات بيّنات من القرآن الكريم وتفاعله الفطري معها. لقد كان منهج الصحابة قرآنيا مرجعاً ومنهجاً وأساساً للتقويم والمراجعة، وهو نفس

(١) المرجع نفسه، ص: ٣٧٨.

(٢) المرجع نفسه، ص: ٣٨٤.

(٣) المرجع نفسه، ص: ٣٥٥.

(٤) "كليات رسائل النور، سيرة ذاتية"، ص: ٣٥٩.

المسار الذي اتخذته رسائل النور، وفي ذلك يقول النورسي: "إن مسلك رسائل النور مسلك مقتبس من نور مسلك الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين"^(١).

٢- منهج الاستيعاب والتجاوز والنظرة الإيجابية إلى الفتن والأزمات

لقد كان النورسي ميّالا إلى السلم والأمن، وكان شديد الاحتراز "من الوقوع أو الإيقاع في أحوال تجر إلى منزلق المعصية والضلال والوبال، وإلى أجواء المحنة والخوف والاضطراب والحيرة، مما لم يأمر الله تعالى به ولا أذن فيه ولا رغب في فعله"^(٢)، فمن ميزات الفتن القاتلة أنها تعصف بالفئة المؤمنة وتغصب حقوقها وتقتلع جذورها. ولقد فتح الله للنورسي بصيرة الوعي بأن شروط التعارك والصراع المباشر والمواجهة المسلحة مع قوى الكفر والضلال غير متوفرة كما أنها غير مجدية في الغالب، خاصة وأن النظام الحاكم قد أعدّ كل قواته وأسلحته لإخماد الحركة الاحتجاجية، فكان الطريق الأسلم في ظل الظروف الراهنة آنذاك هو المواجهة السلمية التدافعية بسلاح الكلمة القوية وإنقاذ الإيمان لمواجهة الزندقة والظلم والإلحاد. وكثيرة هي المواقف التي حقن الله بها بالدماء وكان صارما في تجنب المواجهة المسلحة الداخلية رغم أنه كان الشجاع المغوار الذي أظهر بسالته في مواضعها الصحيحة في الحرب ضد الروس وغيرها.

بهذا المنهج استطاع النورسي أن يستوعب ظروف عصره الراهنة، وأن يتجنب أسباب الفتن وعوامل ظهورها، كما كان على وعي تام "بفتن تكرر فشلها وضررها"^(٣) وكانت له دراية مواكبة لعزيمة الشعب وغيخته الدينية، فاستطاع أن يستوعب فئات عريضة من المجتمع ويمنعها من السقوط في الفتن والصراعات الصدامية المحسومة نتائجها مسبقا، والتي كانت ستعصف بأرواح الأبرياء من الجنود المتحمسين والعامّة الغيورة على دينها وعقيدتها دون أن يتنازل عن حق الأمة في العزة والكرامة والحرية والعدل، ونيز الاستبداد والظلم وفتنة الناس عن إيمانهم وعقيدتهم وعبادتهم لربهم، فكان همّة الأساس التحصين الفكري والخلقي لعموم الناس، خاصة وأن البيئة المناسبة لتحصيل الأثر التربوي والإيماني لرسالة النور هي أجواء

(١) المرجع نفسه، ص: ٤٠١.

(٢) الريسوني، أحمد "فقه الثورة، مراجعات في الفقه السياسي الإسلامي" مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط ١، ٢٠١٢م، ص: ٣٤

(٣) "كليات رسائل النور، سيرة ذاتية"، ص: ٢٩٤

الأمن والنظام والهدوء، حتى وإن كانت ظروف تأليفها غير ذلك، لذلك يربأ النورسي بطلاب رسائل النور أن يشاركوا في الفتن، وبالفعل "لم يشترك فيها واحد منهم، إنما يدل (ذلك) على أن رسائل النور ضدها (أي الفتن) وأنها مدار تحقيق الأمن والنظام"^(١). وفي عبارات واضحة يوضح النورسي أن "خدمتنا تؤسس الأمن والاحترام والرحمة وتسعى لإنقاذ النظام والأمن والحياة الاجتماعية من الفوضى والإرهاب"^(٢). وفي ذلك نجده يوصي طلبة النور "ألا يواجهوا المغاضين بالحدة والتهور، ولا يقابلوهم بالمثل. بل عليهم أن يكتفوا بالدفاع عن أنفسهم فحسب، مع إظهار روح المصالحة، والإجابة بوضوح عن نقاط الاعتراض"^(٣).

من جهة أخرى لم يكن النورسي يعتر أمام الشعارات البراقة التي كانت ترفع باسم الشريعة وتطبيق الدين^(٤)، رغم ظاهرها الجميل وهدفها النبيل، وتوقيتها المناسب ظاهريا في تلك الفترة العصيبة التي تكالبت فيها قوى الضلال والاستبداد على العقيدة والإيمان وشعائر الإسلام، وإنما كان ينظر إلى مآلات الأمور ومقاصدها ومراميها واستقراء النتائج المحتملة من وراء قرارات متسعة وغير محسوبة قد لا تصل إلى مبتغاها وقد تكون نتائجها عكسية على الكليات الأساسية التي جاء الإسلام للحفاظ عليها وهي: الدين والنفس والعرض والعقل والمال. فقد يزداد الخناق على الدين، وقد تسقط الآلاف من الأرواح البريئة وتنتهك الأعراض وتستلب الأموال. فضلا عن ازدياد التضيق والتهميش للفئة المتدينة.

ولا شك أن المتغيرات الإقليمية التي شهدتها العالم في الفترات المعاصرة بحاجة ماسة إلى تنزيل تلك القواعد والضوابط التي أسس لها النورسي في مواجهة الفتن والأزمات، فكثيرة هي

(١) "كليات رسائل النور، سيرة ذاتية"، ص: ٢٩٤-٢٩٥

(٢) المرجع نفسه، ص: ٣٤٤

(٣) المرجع نفسه، ص: ٣٤٨

(٤) مثال ذلك (أحداث ٣١ مارس ١٩٠٩) حين رفع الجنود شعار "نريد تطبيق الشريعة" فنبههم النورسي إلى خطورة العصيان العسكري على شرف العثمانيين وعامة المسلمين... وقد نجح في تهدئة العصيان إلى حد ما وأرجعهم إلى صف الطاعة. (انظر السيرة الذاتية ص١٢٢-١٢٤). ومن جهوده في ذلك أيضا ما جرى في حادثة تبليس سنة ١٩١٣م و تهدئته لبعض المتدينين والغيورين الذين احتلوا المدينة لمدة أسبوع وأرادوا إعلان العصيان ضد بعض القواد (انظر السيرة الذاتية ص١٣٧). وغيرها من المواقف التي عبر من خلالها النورسي عن فقه عميق لمقاصد الشريعة ومراتب الأعمال وفقه المآلات والأولويات وقواعد الترجيحات.

الصراعات التي نشبت لتحقيق أهداف سياسية أو اقتصادية ضيقة، فأُجِّحت المعارك وجنّد الجنود لأسباب واهية، فكانت النتيجة تصدعات مجتمعية وتكالبات إقليمية وبروز طائفيات دينية وعرقية وإثنية غلّبت المصالح الذاتية على مصالح الجماعة والأمة. وإننا اليوم بحاجة ماسة إلى المبادئ النورية في مواجهة الفتن والأزمات، وإيقاف نزيف دماء الأبرياء، وهدر الطاقات المادية والبشرية وتوجيهها الوجهة الصحيحة نحو البناء والعمران بدل الاحتراب والاقتتال.

٣- الاستيعاب والتجاوز في النظرة الإيجابية المنضبطة إلى الحضارة والمدنية الغربية والعلوم الحديثة

لقد كان بديع الزمان مستوعبا للعلوم الحديثة، وآخذا بنظر الاعتبار متطلبات العصر وحاجاته الملحة^(١) حيث استحصل على أسس هذه العلوم من تاريخ وجغرافيا ورياضيات وجيولوجيا وفيزياء وكيمياء وفلك وفلسفة وأمثالها من العلوم. وذلك خلال مدة قصيرة جدا. وسبر أغوار هذه العلوم بنفسه دون معونة أحد ودون اللجوء إلى مدرّس يدرّسها إياه^(٢).

هذا الاستيعاب المبكر للعلوم شكّل زادا علميا ورصيدا وظيفيا أعان النورسي في تدوين تأملاته القرآنية ونظراته التفسيرية الثاقبة، التي تألف فيها النقل والعقل، وتكامل فيها الوحي المسطور مع الوحي المنظور، يؤكد ذلك قول النورسي: "لقد أصبح ما يقرب من تسعين كتابا حفظته مدارج للصعود إلى حقائق القرآن الكريم. ولما بلغت تلك الحقائق شاهدت أن كل آية كريمة تحيط بالكون وتستوعبه"^(٣). وقد حاول النورسي بهذا المنهج الرقي بالمدارس الدينية لتتجاوز تقليدية طرق تدريسها وتأخرها عن ركب المدنية، وتنظر بإيجابية إلى مكتسبات

(١) "كليات رسائل النور، سيرة ذاتية"، ص: ٨٠.

(٢) "كليات رسائل النور، سيرة ذاتية"، ص: ٧٩. ولعل المقصود من ذلك تحصيل أصول هذه العلوم وأساسياتها الكبرى، دون ادعاء أنه كان متخصصا بارعا في جميعها، فمن قناعات النورسي أن "الشخص الواحد لا يستطيع أن يتخصص في علوم كثيرة؛ إلا من كان فذا، فيستطيع أن يتخصص في أربعة أو خمسة من العلوم، ويكون صاحب ملكة فيها. فمن ادعى الكل فاته الكل؛ لأن لكل علم صورة حقيقية، وبالتخصص تتمثل صورته الحقيقية (...). والعلاج هو اتخاذ المرء أحد العلوم أساسا وأصلا، وجعل سائر معلوماته حوضا تخزن فيه". (انظر: "كليات رسائل النور؛ صيقل الإسلام" لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالح، دار النيل للطباعة والنشر، مصر، ط ١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص: ٣٩).

(٣) "كليات رسائل النور، سيرة ذاتية"، ص: ٨٢.

الحضارة الإنسانية لتستوعبها وتبث في الروح بسقيها بالحقيقة الإيمانية القرآنية لتتجاوز إيجالاتها الوضعية وبراديكمتها المادية.

صحيح أن علوم الشرع مؤسسة على نصوص الوحي وأن باقي - العلوم النافعة، المادية منها والإنسانية، مؤسسة على النظر والاعتبار في الكون وعلى التجريب في المادة، وتحليل سلوكيات الإنسان الفردية والجماعية. وكلاهما (الوحي والكون) صادران عن الخالق عز وجل، فالكون هو الحاضن للإنسان وفضاء الاستخلاف، والوحي هو الموجه للإنسان والمسدد له في البناء والعمران. فهذه الأصول التأسيسية تربطها روابط وتجمع بينها علائق لا تنفصل بحال من الأحوال. فما قيمة العلوم الشرعية إن لم تبين إنسانا متصلا بخالقه، معرفة وعبادة وتخلقاً، وتحفظ كرامته وتصون عزته، ليكون واعيا بدوره في الحياة، نافعا لنفسه ولغيره. وما قيمة باقي العلوم إن لم تحقق للإنسان وللإنسانية وللكون النفع المادي والمعنوي، وتساهم في الرقي الفكري والثقافي والحضاري في مختلف مجالات حياة الإنسان، وفي ذلك يقول النورسي: "ضيء القلب العلوم الدينية ونور العقل هو العلوم الكونية الحديثة، وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة وبافتراقهما تنشأ الحيل والشبهات في هذا والتعصب الذميمة في ذاك".

لقد كانت تأملات النورسي متكاملة في الكتابين معا: الوحي المسطور والكون المنظور، فكلاهما يدلان على الخالق عز وجل، وهما كتابان مفتوحان أمام الإنسان في كل وقت وحين، وحتى إن حصل التضيق على الاتصال بالوحي المسطور فإن الوحي المنظور طريق مفتوح موصل إلى توحيد الخالق وعظمته وعزته، وتأكيدا لذلك يحكي النورسي: "جاءني فريق من طلاب الثانوية في «قسطموني» قائلين: عزفنا بخالقنا، فإن مدرّسينا لا يذكرون الله لنا! قلت لهم: إن كل علم من العلوم التي تقرأونها يبحث عن الله دوماً، ويعرّف بالخالق الكريم بلغته الخاصة. فأصغوا إلى تلك العلوم دون المدرسين"^(١)، وفي موضع آخر يؤكد أن "كل علم من العلوم العديدة جدا، يدل على خالق الكون ذي الجلال، ويعرّف لنا سبحانه بأسمائه الحسنى، ويعلمه إيانا بصفاته الجليلة وكمالاته"^(٢).

(١) "كليات رسائل النور؛ الشعاعات" بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالح، دار النيل للطباعة والنشر، مصر، ط ١، ٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م، ص: ٢٤٣.

(٢) "كليات رسائل النور، سيرة ذاتية"، ص: ٣٣٦.

لقد عاش النورسي ظروفًا استثنائية تميزت بسياسة ممنهجة لاتباع الغرب والسير على خطاه بداعي التقدم والتحضر، ورغم الإجراءات القاسية التي رافقت هذا التوجه والقائمة على محاربة كل مظاهر الدين والتدين إلا أن ذلك لم يمنع سعيد النورسي من أن يبني تصورا منضبطا وإيجابيا حول المدنية الغربية وإفرازاتها الحضارية والثقافية وغيرها، تصور قائم من جهة على بيان مواطن الخلل والخلط لتجاوزها وتفاديها، وقائم من جهة أخرى على بيان الجوانب المضئية لاستيعابها والاستفادة منها وتعزيزها وتخليصها من رواسب المادية الوضعية وسقيها بروح الإيمان، جاعلا قاعدة "خذ ما صفا دع ما كدر" دستورا لمنهج الاقتباس من الغرب، "وفي ضوءها (يقرر النورسي) أننا سنأخذ من الأجانب - مشكورين - كل ما يعين على الرقي المدني من علوم وصناعات. أما العادات والأخلاق السيئة، فهي ذنوب المدنية ومساوئها التي لا يتبين قبحها كثيرا لكونها محاطة بمحاسن المدنية الكثيرة"^(١)، وبهذا المنهج "تتحقق المدنية التي تأمرنا بها الشريعة الغراء وتتضمنها، فهي التي ستكشف بانقشاع هذه المدنية الحاضرة، وتضع أسسا إيجابية ببناء مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية"^(٢).

لقد كانت للنورسي تأملات ثاقبة في المنطلقات التي تركز عليها المدنية الغربية، وكان متنبها منذ وقت مبكر لسلبياتها، وعدّد مضارها ومنافعها، وهو يقرر أن الحضارة الإنسانية يوجد فيها الخير والشر والطيب والخبيث والطاهر والقذر، "وأن ما يرى في مدنية الكفار من المحاسن الإنسانية والمعالي الروحية، فمن ترشحات مدنية الإسلام، وانعكاسات إرشادات القرآن وصيحاته، ومن بقايا لمعات الأديان السماوية"^(٣). كما وجد أنها مدنية قائمة على أسس سلبية أهمها: الصراع والجدال والتزاحم والتنازع، وتشجيع الهوى، والعنصرية والقومية السلبية، وكلها قيم سلبية مفرقة للجماعة ومؤججة للصراعات والحروب، ودافعة بالغالبية العظمى من البشر إلى الضنك والشقاء، "لأجل كل هذا لا يرضى القرآن الكريم بمدنية لا تضمن سعادة الجميع أو لا تعم الغالبية العظمى"^(٤). وإنما يؤسس لمدنية مستوعبة للإنسانية "نقطة استنادها هي الحق بدلا من القوة.. وهدفها الفضيلة بدلا من المنفعة، والفضيلة من

(١) المرجع نفسه، ص: ١٠٣

(٢) المرجع نفسه، ص: ٣٣٣.

(٣) "كليات رسائل النور، المشنوي العربي النوري" ص: ١٨٧

(٤) "كليات رسائل النور، سيرة ذاتية"، ص: ١٥٩

شأنها المحبة والتجاذب. وجهة الوحدة فيها والرابطة التي تربط بها المجموعات البشرية الرابطة الدينية والوطنية والمهنية بدلا من العنصرية، وهذه شأنها الأخوة الخالصة، والسلام والوئام، والذود عن البلاد عند اعتداء الأجانب. ودستورها في الحياة التعاون بدل الصراع والجدال، والتعاون من شأنه التساند والاتحاد. وتضع الهدى بدل الهوى ليكون حاكما على الخدمات التي تقدم للبشر، وشأن الهدى رفع الإنسانية إلى مراقبي الكمالات.. وتشوق الروح إلى المعالي"^(١)، هذه المميزات القادرة على التجاوز جعلت النورسي يقرر في موضع آخر "أننا سنلحق بهم، بل نسبقهم، إن حالقنا التوفيق الإلهي، لأن حملهم ثقل وحملنا خفيف"^(٢). ولهذا السبق علامات ومؤشرات، ولعل أهمها - كما سبق - "وضع أسس إيجابية بناءة مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية"^(٣) وتحقيق السعادة الحقيقية التي تؤلف بين الروح والمادة، ومصلحتي الدنيا والآخرة، مدنية تستوعب الكل أو الأكثرية"^(٤)، ولا شك أن هذا المنهج هو وحده الكفيل بإخراج أمة شاهدة على الأمم الأخرى تتسم بالشهود والخيرية والرحمة والإحسان، وتستوعب جميع المكونات البشرية العرقية والدينية واللغوية في إطار عالمية إنسانية يجد الجميع في رحابها خصوصيته وذاتيته.

٤ - الاستيعاب والتجاوز في النظرة الإيجابية إلى مختلف فئات المجتمع

كان قدر النورسي أن يتعامل مع فئات مختلفة من المجتمع، تأثرت بأخلاقه وشيمه الإسلامية الإيجابية الرفيعة، سواء في تعامله مع شيوخه وأساتذته أو مع تلامذته وطلابه، أو مع المسؤولين والسياسيين، والعسكريين والحراس، أو مع المخالفين له في الرأي والدين والعقيدة، أو مع الأعداء والمحاربين، أو مع الأطفال والنساء وعامة المجتمع، حيث "كان في غاية التواضع؛ يتجنب بشدة دواعي التفوق على الآخرين والتميز عنهم. وكان يعامل جميع

(١) المرجع نفسه، ص: ١٦٠

(٢) "كليات رسائل النور؛ صيقل الإسلام" بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالح،

مرجع سابق، ص: ٥١.

(٣) المرجع نفسه، ص: ٣٣٣.

(٤) المرجع نفسه، ص: ٣٣٢.

الناس بالحسنى ولا سيما الشيوخ والأطفال والفقراء ويشملهم بالرفق والمحبة الأخوية واللين في المعاملة. فكانت المحبة والبشاشة الممتزجة بنور الوقار تتلمع من وجهه الطليق دائما"^(١). وإذا كان الاستيعاب الداخلي شرط أساس للتجاوز، فقد حسم النورسي منذ وقت مبكر أمر استيعاب طلابه وتقويتهم وإدماجهم في مشروع قرآني كبير يحتاج إلى تلاؤم الجهود وتظافر الطاقات. لذلك كان حريصا على سلامة الصف الداخلي لطلابه وتقوية أخوتهم وتماسكهم، فكثيرا ما كان يحذرهم من الانتقاد الهدام، والتفرق والتشتت، والتحاسد والتباغض، وينبههم إلى طبيعة الفروقات الفردية بينهم وأن لكل منهم ميزاته الخاصة، وأن ذلك من سنن الاختلاف في الحياة ومظاهر الكون، وينصحهم بالتضحية والشورى وترك الأنانية والانتصار للنفس وحب الظهور. وكلها منطلقات كانت تهدف إلى المحافظة على سلامة المشروع الإيماني وضمان استمراريته وإشعاعه، لأن في تماسكهم وأخوتهم قوة لرسائل النور ودعم لنشرها وانتشارها "وبخلاف هذا فإن اختلافا طفيفا... يمكن أن يلحق أضرارا بليغة برسائل النور"^(٢).

ولعل أهم حوافز ذلك التماسك ما كان يديه النورسي لطلابه من اهتمام بالغ وتقدير كبير لشخصهم وأعمالهم، فضلا عن خدمتهم وإعانتهم والسؤال عن أحوالهم، وتشجيعهم والإفصاح لهم عن حاجة رسائل النور إليهم. لقد كان النورسي قمة في التواضع مع طلابه، لم ير في نفسه إلا عنصرا ضمن فريق متكامل يحتاج إلى جميع عناصره لإكمال مهمته وهدفه، وبالفعل استطاع الفريق أن يكمل الخدمة الإيمانية وتنتشر خيراتها وبركاتها، لتستوعب حتى إخوانه ممن أتوا بعده فأصبحوا تلامذته وطلابه دون أن يراهم أو يروه، فتجاوز بذلك زمانه إلى أزمنة أخرى لم يعيشها، ووصل تأثيره إلى أمكنة لم يرها، وشعوبا لم يدرس لغاتها وعاداتها، ولعل ذلك التجاوز جزء معنوي من فيوضات القرآن وبركاته.

قد يرجع السبب في ذلك إلى انشغاله الكبير بالمشترك العظيم الذي يهم جميع الناس، وهو إنقاذ الإيمان وخدمة القرآن، وإبراز تجليات ذلك في مختلف أحوال الحياة ومراحلها لدى الإنسان، فكانت الأمثلة الغزيرة والجزئيات الكثيرة التي ضمتها رسائل النور سببا في أن

(١) "كليات رسائل النور، سيرة ذاتية"، من مقدمة الكتاب لمصطفى صونغور ص: ١٥-١٦.

(٢) "كليات رسائل النور، سيرة ذاتية"، ص: ٣٥٠.

تستوعب معنويا وروحيا فئات مجتمعية عريضة من الأغنياء والفقراء، والأصحاء والمرضى، وأهل المصائب والمعافين، والنساء والرجال، والمهتدين والغافلين... فتسقي كل فئة بما هي في حاجة إليه من الإرشاد والتوجيه والتنبيه والتذكير. وقد مرّ سابقا كيف استطاعت الرسائل أن تؤثر في المسؤولين المتربصين، بل و"تؤثر في المسجونين وتحوّلهم إلى أناس صالحين مصلحين"^(١).

وحتى إذا نظرنا إلى حالات خاصة بعينها، نجد تحليلات المنهج البنائي القرآني واضحة في تعامل النورسي مع غيره من المخالفين له في العقيدة والدين، أو المعارضين له في الرأي والاجتهاد، أو الجاهلين عليه من العامة والصبيان، فقد سامح الكثير ممن اعتدى عليه من المسؤولين الذين أذاقوه مرارة المعاناة والضيق والتسميم، ومن الصبيان الذين رموه بالحجارة، ولكنه تحمل وتحمل بالصبر، ولم يحمل في صدره غير السلامة وفي قلبه غير الطهر"^(٢) وكان يدعو للجميع بالخير والهداية حتى استطاع في آخر الأمر أن يكسب ود الجميع واحترامهم.

خاتمة

لا شك أن الإبحار في عالم القرآن بالصدق والإخلاص ينتج عملا متمسما بقبسات من نور القرآن، وإذا كان من المعاني المستخلصة من الاستيعاب والتجاوز كمحدد منهجي قرآني قدرة كل جيل على خلق التواؤم المطلوب بين عناصر منظومة الاستخلاف الثلاثة: الوحي والعقل والواقع، فإننا يمكننا التقرير بقناعة تامة أن بديع الزمان سعيد النورسي استطاع أن يوائم بنجاح بين الوحي ومتطلبات واقعه وأن يوظف ما حباه الله من نعم في القيام بفريضة ذلك الوقت للمحافظة على بواعث الإيمان.

ولقد حاولنا أن نبرز بعضا من تحليلات الاستيعاب والتجاوز في المشروع العلمي لسعيد النورسي فوجدنا أن لها معالم واضحة في المنطلقات والأسس النظرية وكذلك في الممارسات العملية والنماذج التطبيقية التي زينت حياته الثرية وكانت نموذجا فريدا في العمل الإيجابي البنائي والعمل الميداني والتدافع المجتمعي والحضاري المستوعب للقيم الإنسانية والأصول

(١) "كليات رسائل النور، سيرة ذاتية"، ص: ٣٦٠.

(٢) "كليات رسائل النور، سيرة ذاتية"، من مقدمة الكتاب لمصطفى صونغور، ص: ١٧.

الإسلامية الكلية التي تضمن العزة والكرامة والحرية والعدل والحقوق وأداء الواجبات، فكانت تجربة غنية وفرت للعلماء والباحثين مادة علمية ثرية يستقون منها مناهج في النظر وقواعد في السلوك قابلة للتوظيف في مقارنة الكثير من القضايا المعرفية والثقافية والتربوية والاجتماعية والإنسانية في واقعنا المعاصر.

لائحة المراجع والمصادر:

📖 القرآن الكريم؛

📖 "كليات رسائل النور، سيرة ذاتية" بديع الزمان النورسي، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالح، دار النيل للطباعة والنشر، مصر، ط ١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

📖 "كليات رسائل النور، الكلمات"، بديع الزمان النورسي، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالح، دار النيل للطباعة والنشر، مصر، ط ١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م

📖 "كليات رسائل النور؛ الشعاعات" بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالح، دار النيل للطباعة والنشر، مصر، ط ١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

📖 "كليات رسائل النور؛ صيقل الإسلام" بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالح، دار النيل للطباعة والنشر، مصر، ط ١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

📖 "كليات رسائل النور؛ اللمعات" بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالح، دار النيل للطباعة والنشر، مصر، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

📖 "كليات رسائل النور، المثنوي العربي النوري" بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالح، دار النيل للطباعة والنشر، مصر، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

📖 الريسوني، أحمد "فقه الثورة، مراجعات في الفقه السياسي الإسلامي" مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط ١، ٢٠١٢م.

📖 بلعقروز، عبد الرزاق "عودة المكبوت الديني في الثقافات المعاصرة" مجلة قضايا إسلامية معاصرة، السنة الرابعة عشرة، العدد ٤٣-٤٤ صيف وخريف ٢٠١٠-١٤٣١.

📖 الجوزية، ابن القيم "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل" تحقيق خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

الفهرس

- ١ مقدمة الكتاب
٢ من كلمات الجلسة الافتتاحية

المحور الأول

المصطلح والجانب النظري

- ١ د. جمشيد أحمد الندوي: تعريف رسائل النور للعمل الإيجابي وشمول معناه
د. طارق عبد الوهاب: "دور العمل الإيجابي في بناء عالم أفضل - مقارنة رسائل النور" العمل الإيجابي من حيث المصطلح والجانب النظري ٢
عباس أمير: "العمل الإيجابي" في رسائل النور لسعيد النورسي: رؤية دلالية ومعالجة
معرفية في البعدين؛ النظري والإجرائي للمصطلح ٣

المحور الثاني

العمل الإيجابي والقضايا الراهنة والعالمية

- د. أماني لوبيس: العمل الإيجابي للتعايش السلمي في عالم متعدد الأديان ومتعدد
الثقافات ١
د. حامد همداني: الأعداء الثلاثة وسبل مكافحتها في منظور رسائل النور ٢
د. حسن الأمراني: دور العمل الإيجابي في بناء عالم أفضل: مقارنة رسائل النور
تجديد المفاهيم وطرق تنزيلها ٣
د. سامر سمارة: دور العمل الإيجابي في وقاية النفس من الحرص وسبل العلاج
من آثاره في ضوء رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي ٤
د. سو زياد: تطبيق العمل الإيجابي حول الحوار الديني عند بديع الزمان سعيد
النورسي ٥
أ.د. فيروز عثمان: حلول مشكلة (اليأس) المانع الأول للنهوض والبعث الحضاري
عند بديع الزمان سعيد النورسي ٦
محمد بلبشير: التعايش في فكر النورسي الواعي والممارسة ٧
د. محمد شهيد الإسلام: مشكلة الخلاف بين الفرق الإسلامية في بنغلاديش ومعالجتها

- ٨ من خلال رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي
- د. مريم عطية: أسس الائتلاف الإنساني ومعالم إدارة الاختلاف الحضاري
- ٩ مقارنة بين مقاصد النص القرآني ورسائل النور
- د. مصطفى الحكيم: قيم التعايش والتواصل الإنساني عند الإمام بديع الزمان النورسي
- ١٠ وأثرها في تنمية العمل الإيجابي، وحل الأزمات، وتجاوز المشكلات
- د. نفيسة دويذة: دور العمل الإيجابي في مواجهة فكرة العداء للإسلام من خلال
- ١١ رسائل النور

المحور الثالث

العمل الإيجابي البناء والعلوم والعلوم الإسلامية

- ١ البروفيسور الأخضر شريط: العمل الإيجابي بين التيارات الفلسفية ورسائل النور
- د. إسماعيل آل ناصر: تناص (رسائل النور) مع الهديين في الفاعلية الإيجابية
- ٢ لبناء عالم أفضل
- أ.د. أشرف همداني: الأعداء الثلاثة وسبل مكافحتها في منظور رسائل النور
- ٣ د. بسام الجمل: العقيدة في خطاب النورسي: مرتكزاتها ووظائفها
- ٤ د. عبيد الرحمن طيب: العدالة والسعادة البشرية كما تتجلى في كتابات الإمام بديع الزمان سعيد النورسي
- ٥ د. علي الصولي: أسس وشروط العمل الإيجابي البناء: من خلال رسائل النور
- ٦ للعلامة بديع الزمان سعيد النورسي
- د. فرهاد الشوباني: قواعد الأخذ عند النورسي وتطبيقاتها في العمل الإيجابي
- ٧ -دراسة تأصيلية مقاصدية -
- د. محمد حلمي: العمل الإيجابي البناء.. مركزية التربية الروحية وفعاليتها في فكر
- ٨ بديع الزمان سعيد النورسي
- د. محمد مسيح الرحمن: العمل الإيجابي من حيث العلوم الإسلامية في ضوء
- ٩ رسائل النور

المحور الرابع

العمل الإيجابي البناء والممارسة العملية

- ١ د. إسماعيل محمد جلال: مفهوم الجهاد وموقف بديع الزمان سعيد النورسي منه

- إيمان علي لاغا: التساند وروح العمل الإيجابي من معالم المدينة الفاضلة في رسائل النور ٢
- د. حسن عبد المجيد متقويا: مفاهيم العلاقات الإيجابية أنموذج مقاربات رسائل النور دراسة وصفية ٣
- د. سعاد دوفاني: آليات الاختلاف ودورها في العمل الإيجابي في فكر الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي ٤
- أ.د. عدنان خطاطبة: الإتقان في ممارسة العمل الوظيفي المؤسسي في ضوء معطيات رسائل النور: تأسيساته ومحدداته وتطبيقاتها ٥
- أ.د. عمّار جيدل: العمل الإيجابي البناء ومتطلباته ٦
- د. محمد عبد اللطيف حامد: العمل الإيجابي البناء لإعلاء كلمة الله أو الجهاد المعنوي في رسائل النور ٧
- د. محمد علا: منهج الاستيعاب والتجاوز في فكر بديع الزمان سعيد النورسي دراسة في تجليات النظر الإيجابي إلى الذات وإلى الآخر ٨